# النَّصْرَانِيَّة وَآدَابُهَا

## بَيْنَ عَرَبِ الجاهِلِيَّة

# THE CHRISTIANITY AND ITS LITERATURE

## AMONGST THE ARABS OF PRE-ISLAMIC TIMES


لِلأب لويس شيخو اليسُوعي

JESUIT LOUIS CHEIKHO



www.muhammadanism.org

November 30, 2011

Fonts: Arabic Transparent, Andalus, Ethiopia Jiret, Galatia SIL, Microsoft San Serif, Times New Roman.

# النَّصْرَانيَّة وَآدابُهَا
# بَيْنَ
# عرَب الجاهِلِيَّة

لِلأب لويس شيخو اليسوعي

مع فهارس بالمواد والمؤلِّفين وأعلام الرجال والنِّساء
وأسماء القبائل والأديان والبلدان والأمكنة والمفردات اللغويّة

طبعَة ثانيَة

دار المشرق ش م م

© جميع الحقوق محفوظة، طبعة ثانية ١٩٨٩

منشورات **دار المشرق ش. م. م.**
ص.ب. ٩٤٦، بيروت ـ لبنان
**ISBN** 2-7214-5975-9

توزيع **المكتبة الشرقية**
ص.ب. ١٩٨٦، بيروت ـ لبنان

# النَّصْرَانيَّة وَآدَابُهَا
# بَيْن
# عَرَب الجاهِلِيَّة

**القِسْمُ الأول**
**في تاريخ النصْرانيّة وقبائلها في عَهد الجاهليّة**

**القِسْمُ الثَّاني**
**في الآدابِ النصرَانيّة في عَهد الجاهِلِيّة**

## صدر أخيرًا للأب لويس شيخو

*** في منشورات دار المشرق**

- « مجاني الأدب في حدائق العرب » ، ستة أجزاء، الطبعة الثانية والعشرون، ١٩٨٣.
- « شعراء النصرانيّة قبل الإسلام » ، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢.
- « شعراء النصرانيّة بعد الإسلام » ، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢.
- « كليلة ودمنة » ، الطبعة الثانية عشرة، ١٩٨٤.
- « الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر وفي الربع الأوّل من القرن العشرين » ، الطبعة الثالثة، ١٩٨٩.

*** في سلسلة « التراث العربيّ المسيحيّ »**

- « علماء النصرانيّة في الإسلام » ، حقّقه وزاد عليه وقدّم له الأب كميل حشيمه اليسوعيّ، جونيه ـ روما، ١٩٨٣.
- « وزراء النصرانيّة في الإسلام » ، حقّقه وزاد عليه وقدّم له الأب كميل حشيمه اليسوعيّ، جونيه ـ روما، ١٩٨٧.

## دراسات عن الأب لويس شيخو

*** في منشورات دار المشرق**

- الأب كميل حشيمه اليسوعيّ : لويس شيخو وكتابه « النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة » ـ دراسة نقدية ـ ( بالفرنسية )، سلسلة « بحوث ودراسات » ، بيروت، ١٩٦٧.
- الأب كميل حشيمه اليسوعيّ : « الأب لويس شيخو، ما كَتَبه وما كُتِب عنه » ، سلسلة « بحوث ودراسات » ، بيروت، ١٩٧٩.

# مُقَدّمة النَّاشِر

قضى الأب لويس شيخو اليسوعيّ سحابةَ عمره ( ١٨٥٩ ـ ١٩٢٧ ) يسعى جاهدًا بعِلمه وعمله، وقوله وقلمه، ليبرز أهميّة الدور الذي قام به المسيحيّون في بلاد العرب على جميع الصُعُد، ولم يترك وجهًا من وجوه الحضارة العربيّة إلاّ تلمّسه، متقفّيًا آثار المسيحيّة فيه ومساهمتها في سطوع بهائه. ولقد خلّف، بعد سنين طويلة من العطاء الثرّ، بضعة عشر مصنّفًا ضخمًا وما يربو على ألفي مقالة تمحورت جميعها من بعيد أو قريب حول هدفه المنشود، فعالجت سائر شؤون العرب من لغة وأدب وتأريخ وسياسة وفلسفة وأديان وعلوم على أنواعها. إلاّ أنّ وساطة هذا العِقد الفريد من المؤلّفات كان، ولا شكّ، كتابه الشهير الموسوم بـ « النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة » .

صدر هذا السفر الموسوعيّ على دفعات، وهو عصارة جهود استمرّت نحو أربعين سنة، فظهر أوّل أمره مقالاتٍ متتاليةً في مجلّة « المشرق » بدءًا من عام ١٩١٠، ثمّ جُمعت تلك الأبحاث وطبعت قسمًا أوّلاً سنة ١٩١٢، قسمًا آخر صَدر أوّلُ جزئيه بُعَيد الحرب الكونيّة الأُولى عام ١٩١٩، وثانيهما سنة ١٩٢٣ مزوّدًا بفهارس ضافية وجداول مفصّلة لموادّ الكتاب، وأعلام الرجال والنساء، والقبائل، والبلدان والأمكنة، والمفردات اللغويّة، وأديان العرب، وأخصّ الكتب الطبيعيّة والخطّيّة المعتمد عليها من عربيّة وأوروبيّة. وقد أَودَع شيخو كتابَه مجموعةً نادرةً من الوثائق تحرّاها في بطون عشرات المطبوعات والمخطوطات ممّا لا يَهتدي إليه إلاّ كبار الباحثين والمنقّبين : فلجأ إلى تواريخ اليونانيّين واللاتينيّين والسريان والعرب، واستعان بسائر ما ورد في الكتب المقدّسة العبريّة والمسيحيّة والإسلاميّة، ومحّص أقوال الشعراء والأمثالَ السائرة، وحلّل معاني الأسماء

والمفردات، واستند إلى آخر ما أبرزته إلى النور علوم الآثار والمسكوكات، فضلاً عمّا ساد من عوائد القبائل وأعرافها. وخَلَص من كلّ ذلك إلى القول بأهميّة الوجود المسيحيّ وأثره في الجزيرة العربيّة مِن جنوبها اليمنيّ إلى شمالها حتّى ديار بكر، ومِن غربها في ربوع غسّان إلى أقصى شرقها حتّى حدود فارس.

ولئن ذهبت الحماسة بشيخو إلى المغالاة في بعض نواحي بحثه، وعلى وجه التحديد في أواخر مصنّفة حين أضفى صفة النصرانيّة على عدد من الشعراء دون الإثبات الجازم اللازم، فإنّه على الرغم من الهنات تلك، قد أسدى إلى التاريخ خدمةً جلّى إذ سلّط الأضواء على ظاهرةٍ طالما أُهمِلتْ قبله وبعده، وهي مساهمة المسيحيّين الفعّالة في تشييد صروح الحضارة العربيّة منذ بداياتها.

وعليه، فإنّ « دار المشرق » لسعيدة بإعادة طبع كتاب « النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة » لنفاده منذ أمد بعيد، ولوفرةٍ في موادّه ومستنداته فريدة من نوعها لم يسبقه إليها أحد، ولم يُؤتَ حتّى الآن بما يتجاوزها جِدّةً، ممّا يجعله أداة بحث وتثقيف تفتخر بها الآداب العربيّة وتباهي.

# النصرانيَّة وآدابها
# **مُقَدّمة المؤلِّف**
# عرب الجاهلية

لمَّا باشرنا قبل عشرين سنة بنشر تأليفنا الموسوم بشعراء النصرانيَّة كان قصدنا أن نقدّم عليهِ فصلاً موسّعًا في النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة، لكنَّ الإنسان في التفكير والله في التدبير فاضطرَّتنا الأحوال قبل نجاز الكتاب إلى السفر إلى البلاد الأجنبيَّة حيث قضينا خمس سنين منقطعين إلى دروس أخرى شغلتنا عن الشرق وعن العلوم الشرقيَّة ولمَّا انكفأنا راجعين إلى الوطن انثالت علينا الأشغال من كل وجه حتى انصرف فكرنا إلى همّ كل يوم بيومِه وتسويف الوعد إلى أجَل غير مسمَّى

على أنَّنا لم ننسَ تمامًا وعدنا بل كنَّا في زيارتنا للمكاتب العموميَّة في أوربَّة وإبَّان دروسنا الخصوصيَّة ندوّن ما يحضرنا من ذلك ونعد الموادّ لهذا البناء أملاً بتشييدهِ قريبًا لا بل كنَّا إذا ما سنحت الفرصة نسلف القرّاء من تعليقاتنا قطعًا تجدها في بعض مقالاتنا في المشرق كنصرانيَّة غسَّان ( ١ : ٥١٩ و ٥٥٤ ) ودين امرئ القيس الشاعر الجاهلي ( ٨ : ٨٨٦ و٩٤٩ ) وغير ذلك ممَّا جعلناهُ كتمهيد لمقال أطول

وزد على ذلك أنَّ التشديد الزائد في مراقبة المطبوعات كان يمنعنا عن إيضاح أفكارنا كما كنَّا نودّ فكان الأمر يخمد همَّتنا ويثبِّط عزمنا

فاليوم والحمد لله قد تؤثِّر الطريق وتسهّلت الأمور فيجوز لنا أن نستوفي هذا البحث على قدر الإمكان. ولنا على كتابهِ وسائل جديدة في ما سطَّرهُ أصحاب الرّحل الحديثة إلى بلاد العرب وما نقلوهُ عن الآثار القديمة كالكتابات الحميريَّة والنبطيَّة والصفويَّة واليونانيَّة وكالتصاوير والتماثيل التي وُجدت في أطراف جزيرة العرب مع ما نُشر في هذه السنين الأخيرة من التآليف المفقودة في السريانيَّة واليونانيَّة والعربيَّة وما كتبهُ المستشرقون في هذه الاكتشافات فراجعنا كل ذلك لنقتبس منهُ أنوارًا نستضيء بها في بُنَيَّات طريقنا

على أنَّ البحث في النصرانيَّة وآدابها يقتضي نظرًا سابقًا في جزيرة العرب وأقسامها

وأهلها يليهِ بحث ملخَّص في أديان العرب القدماء قبل ظهور الدين النصراني وانتشارهِ في أحياء العرب

١ جزيرة العرب : موقعها وأقسامها وأهلها

خصَّ الله جزيرة العرب بموقع عجيب كان سبب غناها وجعل لها حصنًا طبيعيًّا يصونها من سيطرة الأمم الفاتحة بما بسط فيها من المفاوز والصحارى القحلة. فتراها متوسّطة بين آسية وإفريقية ترتفق على سواحل بحر العجم والهند والقلزم من ثلث جهات وتزاحم من الشمال الشرقي إلى الشمال الغربي بلاد العراق وما بين النهرين والشام ومصر. فكانت مجاورةً لمهد البشر الأوَّل تنظر إلى نموّهم وترقّيهم وفتوحاتهم ورُبما كانت وصلةً بينهم ومستودعًا لتجارتها إلا أنّها لم تدعهم يزحفون عليها ليضربوا فيها أطنابهم وإن فعلوا على رغم منها كان دخولهم في براريّها كسحابة صيف لم تلبث أن تنقشع فيعود أهلها إلى استقلالهم

جزيرة العرب مربَّع مستطيل يمتدُّ من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي وهو في جنوبِه أعرض منهُ في الشمال ويبلغ سطحهُ نحو ٦٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربَّع قسمها اليونان ثم الرومان من بعدهم إلى ثلاثة أقسام : العربيَّة الصخرية وكانت قاعدتها سلْع ( סלע ) المسمَّاة پترا ( Petra ) تمتدُّ خصوصًا في شبه جزيرة سينا. ثم العربية القفرة غير المأهولة اخصّها المفازات الواقعة في أواسط العرب في نجد وتهامة واليمامة إلى جهات عمان والمهرة. ثم العربيَّة السعيدة وهي اليمن لخصبها

أمَّا العرب فلم يعرفوا هذا التقسيم وإنما قسموا بلادهم إلى عدَّة أنحاء اخصّها صحارى نجد في أواسطها يليها الحجاز مشرفًا على البحر الأحمر بينهما تهامة. وفي الجنوب الشرقي اليمن وحضرموت ومهرة في شمالها البحرين وعمان على سواحل بحر الهند وفي شمالها الغربي الجوف واليمامة. ثم هجر أو الاحساء على سواحل خليج فارس ثم العراق العربي وبَوادي الجزيرة إلى بادية الشام شرقي دمشق حيث حوران واللجا والصفا والبلقاء وجولان إلى بريَّة طور سينا

أمَّا سكَّان جزيرة العرب فقد قاموا إليها من الشمال واستوطنوها وكانت زحفات القادمين تتوالى فتدفع القبائلُ الجديدة أمامها العشائرَ السابقة إلى أن وجد هؤلاء البحر في وجههم ورُبَّما تجاوزوهُ إذا وجدوا فرصةً تمكّنهم من قطعهِ كما فعلوا في الحبشة

وفي مصر في عهد السُّلالة المعروفة بالرعاة ( الهِكْسُس ). وهذه القبائل لم تكن كلّها من أصل واحد فكان بينها قوم من أبناء كوش المنتمين إلى كنعان بن حام فسكنوا خصوصًا بعض جهات اليمن. الاَّ أنَّ معظمهم ينتسبون إلى يقطان أو قحطان من ذريَّة سام. وقد فرق الكتاب الكريم بينهم ( مزامير ٧١ : ١٢ ) فدعا الأوَّلين سبا ( סבא ) والآخرين شبا ( שבא ). ويضاف إلى الساميين منهم أبناء إسماعيل بن إبراهيم أخصُّهم النبطيُّون والقيدارُّيون وأبناء قطورة سرَّية إبراهيم ومنهم المديَنيُّون وكانت سُكنى هؤلاء في بادية الشام وشرقي بحر لوط وفي شبه جزيرة سينا وقسم من الحجاز

٢ أديان العرب قبل النصرانيّة

ليس بحث أَغمض من تعريف أديان العرب في الجاهليَّة. وإن استفتينا كتبة الإسلام في ذلك وجمعنا كل ما أثبتوهُ في تآليفهم التي نجت من مخالب الزمان لَما زاد مجموعها على أسطر قليلة. وكان ابن الكلبي أَلَّف كتابًا في أصنام العرب الاَّ أنَّ كتابهُ قد ضاع ولحسن الطالع قد نجا معظمهُ بما نقلهُ عنهُ أصحاب معاجم اللغة وياقوت في معجم البلدان. وكذلك روى الحاج خليفة في كشف الظنون ( ٥ : ٤٤ ) كتابًا آخر في الأصنام للجاحظ وهو أيضًا مفقود وقد جمع بعض المستشرقين كلودلف كراهل ( L. Krehl : *Ueber die Religion der vorislamischen Araber* ) والعلاَّمة ڤِلْهوسن ( Wellhausen : *Reste arabischen Heidentums* ) ما عثروا عليهِ من ذلك. على أنَّ هذه المنقولات لا تشفي غليلاً وكثيرًا ما تجدها مضطربة متناقضة فلا تعرف الغثّ بينها من السمين. ولعلَّ أوسع ما جاء في ذلك ما كتبهُ الشهرستاني في الملل والنحل وأحمد بن واضح المعروف باليعقوبيّ وهذا نصُّهُ ( طبعة ليدن ج ١ ص ٢٩٤ ـ ٢٩٦ ) :

« وكانت أديان العرب مختلفة بالمجاورات لأهل الملل والانتقال إلى البلدان والانتجاعات فكانت قريش وعامّة ولد معدّ بن عدنان على بعض دين إبراهيم يحجّون البيت ويقسمون المناسك ويقرون الضيف ويعظّمون الأشهر الحرم وينكرون الفواحش والتقاطع والتظالم ويعاقبون على الجرائم فلم يزالوا على ذلك ما كانوا ولاة وكان آخر من قام بولاية البيت الحرام من ولد معدّ ثعلبة بن إياد بن نزار بن معدّ. فلمَّا خرجت إياد وليت خزاعة حجابة البيت فغيّروا ما كان عليهِ الأمر في المناسك حتى كانوا يفيضون من عرفات قبل الغروب ومن جمع بعد أن تطلع الشمس. وخرج عمرو بن لُحَيّ واسمُ لحي ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر إلى أرض الشام وبها قوم من العمالقة يعبدون الأصنام فقال لهم : ما هذه الأوثان التي أراكم تعبدون. قالوا :

هذه أصنام نعبدها نستنصرها فنُنْصر ونستسقي بها فنُسقى. فقال. ألاَ تعطوني منها صنمًا فاسير بهِ إلى أرض العرب عند بيتِ الله الذي تفد إليهِ العرب. فاعطوهُ صنمًا يقال لهُ هُبل فقدم بهِ مكَّة فوضعهُ عند الكعبة فكان أوَّل صنم وضع بمكَّة ثم وضعوا به إساف ونائلة كل واحد منهما على ركن من أركان البيت. فكان الطائف إذا طاف بدأ باساف فقبّلهُ وختم بهِ ونصبوا على الصفا صنمًا يقال لهُ (( مجاور الريح )) وعلى المَرْوة صنمًا يقال لهُ (( مطعم الطير )) فكانت العرب إذا حجَّت البيت فرأت تلك الأصنام سألت قريشًا وخزاعة فيقولون : نعبدها لتُقربنا إلى الله زُلْفَى. فلمَّا رأت العرب ذلك اتَّخذت أصنامًا فجعلت كل قبيلة لها صنمًا يصلُّون لهُ تقرُّبًا إلى الله فيما يقولون. فكان لكلب بن وبرة وأحياء قضاعة ودّ منصوبًا بدومة الجندل بجرش. وكان لحمير وهمدان نسر منصوبًا بصنعاء وكان لكنانة سُواع. وكان لغطفان العُزّى وكان لهذ وبجيلة وخثعم ذو الخَلَصة. وكان لطَيء الفُلس منصوبًا بالحبس. وكان لربيعة وإياد ذو الكَعبات بسنداد من أرض العراق. وكان لثقيف اللات منصوبًا بالطائف. وكان للاوس والخزرج مناة منصوبًا بفَدَك ممّا يلي ساحل البحر. وكان لدوس صنم يقال لهُ سعد. وكان لقوم من عُذرة صنم يقال لهُ شمس. وكان للازد صنم يقال لهُ رئام ))

وإذا أضفت إلى الأصنام المذكورة في هذهِ النبذة أسماء آلهة أخرى ورد ذكرها في المعاجم وفي بعض التواريخ والشروح كرضا ومناف وجَلْسد وسعير والقصير بلغ بك العدّ إلى نحو ثلاثين صنمًا. وإذا بحثت عنها وعن صفاتها وخواصها والأمكنة التي شاعت فيها عبادتها وطرائق مناسكها وجدت الكتبة يتباينون ويتناقضون فلا يكاد يعوَّل على كلامهم. ولعلَّ كثيرًا من هذه الأصنام لم تُعْبَد في جزيرة العرب كودّ وسُواع ويغوث ويعوق ونَسْر الذين يقال عنهم إنَّهم من آلهة قوم نوح ( اطلب سورة نوح ع ٢٢ ـ ٢٣ ). فأين هذا وما زعم ابن اسحاق وابن هشام انَّ في الكعبة كان عدد الأصنام ٣٦٠ على عدد أيَّام السنة

وقد سعى المستشرقون أن يسدُّوا هذا الخلل فاستخرجوا أسماءَ لأصنام أُخر عربيَّة من أعلام الرجال المسبوقة باسم عبد كعبد الأسد وعبد تيم وعبد الحارث وعبد الدار وعبد عمرو وعبد المدان وعبد المطلب وعبد الملك وزعموا أنَّ المضاف إلى عبد مدلولهُ صنم من الأصنام. وكذلك الأسماء المسبوقة بامرء كامرئ القيس وامرئ اللات أو المختومة باسم ايل كشراحيل وخيليل وشهميل وقسميل. ومنها اعلام عربيَّة وردت في التواريخ اليونانيَّة أو الأسفار المقدَّسة أو الكتابات النبطيَّة مركبَّة من ألفاظ دالَّة على الإله مثل Αραμηλος و Ζαβδιηλ و שלמלת و שמואל وغير ذلك

فهذه الأَعلام وغيرها أيضًا ممَّا يمكن جَمْعُها من المعجمات والآثار ولو ثبت أنَّها دالَّة

على أَصنام العرب ومعبودات القبائل إلاَّ أنَّها لا تفيدنا فتيلاً لمعرفة خواصّها وسَدَنتها والأمكنة والأزمنة التي شاعت فيها عبادُتها وطرائق إكرامها والمناسك الخاصَّة بها. وفي بعض رواياتهم عنها ما لا يقبلهُ العقل السليم ويردُّهُ النقد الصحيح كقول مؤرخي العرب عمومًا بأنَّ أوَّل من أتى بالأصنام من بلاد الشام وجعلها في الكعبة إنَّما هو عمرو ابن لحي رئيس بني خزاعة لمَّا طرد بني جرهم منها وتولَّى مع قومهِ تدبيرها. فلدينا كما سترى شواهد تبطل هذا القول. ومثلهُ مزاعم أُخرى لا بُدَّ أن تُعرض على محكّ الانتقاد فلا تُقبل إلاّ بالبرهان لأنَّ مؤرخي العرب لم يدوَنوا رواياتهم إلاّ بعد الإسلام بزمن طويل فكتبوا ما تناقلتهُ الألسن شفاهًا فتضاربت رواياتهُ واختلفت صورهُ

فهلمَّ نروي خلاصة ما ورد عن ديانة العرب في أقدم الآثار الحجرَّية أو في التواريخ القديمة مستندين في ذلك إلى ما كتبهُ أوثق الكتبة مع ما جمعناهُ في مطالعاتنا العديدة. وهذا أخصُّ التآليف الحديثة في هذا الصدد :

١ جزيرة العرب قبل محمَّد في الآثار للعلاّمة ف . برجه — Berger (Ph) : *L'Arabie avant Mahomet d'après les Inscriptions*.

٢ أديان العرب في الجاهلية لبرغمان — Bergmann : *De Religione Arabum anteislamica.*

٣ العرب في الشام قبل الهجرة للعلامة دوسو — Dussaud (R.) : *Les Arabes avant l'Islam en Syrie.*

٤ سُواع والعُزّى والكتابات اليمنيَّة — Glaser ( E. ) : *Suwâ' un al- 'Uzzu*.

٥ مقدَّمة گريمه على تاريخ محمَّد — Grimme ( H. ) : *Mobammad.*

٦ أبحاث عن الشرق الإسلامي لهرتمان — Hartmann (M.): *Der islamische Orient, II, Berichte und Forschungen*.

٧ ديانة عرب الجاهلية للألماني كراهل — Krehl (L.) *Ueber die Religion der vorislamischen Araber.*

٨ تاريخ الشرق القديم لفرنسوا لونرمان ولبابلون — Lenormant (Fr.) et Babelon : *Histoire ancienne* l'Orient, 9e éd.

٩ العرب القدماء للعلاَّمة نولدك — Noeldeke (Th.) : *Arabs* (*ancients*) *dans* <<ENCYCLOPÆDIA OF RELIGION AND ETHICS>>

١٠ تاريخ العرب لكوسان دي برسفال — Perceval (C. de) : *Essai sur l'Historie des Arabes avant l'Islamisme*.

١١ بنو لخم في الحيرة لروتشتين — Rothstein (G.) : *Die Dynastic der Laḫmiden in al- Ḥira*.

١٢ بقايا الوثنيَّة بين قدماء العرب للمستشرق ڤلهوسن Wellhausen (J.) : *Reste arabischen Heidentums*, 2e éd.

هذا إلى مقالات متعددة ظهرت في المجلاَّت الاسيويَّة الفرنسويَّة والألمانيَّة والنمساويَّة وفي نشرات أخرى شرقيَّة كالنشرة الساميَّة وغير ذلك

*

كان زعم رينان زعمًا غريبًا وأراد أن يثبته بالأدلة الوضعيَّة لولا أنَّ الاكتشافات الحديثة جاءَت كلها مزيّفة لزعمِه. ذهب المذكور إلى أنَّ الشعوب الساميَّة عمومًا والعربيَّة خصوصًا كانت تقول بالتوحيد لا عن وحي خاصّ بل عن غريزة لأنَّ عقل الساميين على زعمهِ مطبوع من أصلهِ على البساطة فيوافق توحيدُ الله بساطةَ عقله. وكانت غايتهُ من ذلك أن ينكر الوحي بالإله الواحد إلى بني إسرائيل

فالآثار العربيَّة قد كذَّبت هذا المزعم كما كذَّبتهُ اكتشافات بقيَّة البلاد الساميَّة. فإنَّ العرب في الجاهلية عاشوا في الشرك مدَّة قرون عديدة. أما شركهم فكان تَألِيهَ قوى الطبيعة إجمالاً والأنوار العلويَّة خصوصًا. ولا عجب فإنَّ قومًا كانت عيونهم ليلاً مع نهار تشخص إلى الإجرام النيّرة لم يلبثوا أن عظَّموها حتى تحوَّل تعظيمها إلى إكرام وسجود لظنّهم أنَّ فيها قوى فائقة الطبيعة. ثم انَّ العرب قبل توغُّلهم في الجزيرة كانوا جاوروا الكلدان وأخذوا منهم عبادة النجوم. وما لا شكَّ فيهِ أنَّ عرب اليمن كانوا على ديانة الصابئين يعبدون الكواكب والسيَّارات السبع. قال الشهرستاني في الملل والنحل ( طبعة لندن ٤٣١ ) : « أما بيوت الأصنام التي كانت للعرب والهند فهي البيوت السبعة المعروفة المبنية على السبع الكواكب » يريد بالعرب أهل اليمن خصوصًا

﴿ الشمس ﴾ بل عمَّت عبادة الكواكب كل أنحاء العرب فكانوا يعبدونها في شمالي الجزيرة وفي غربيها وجنوبها الغربي على صور شتّى وتحت أسماء مختلفة. ولما كانت الشمس هي النيّر العظيم فإنَّ عبادتها بين العرب فاقت على سواها (١ تارةً يؤنّثونها وتارةً يذكّرونها ولدينا على صحَّته شواهد راقية إلى القرن السابع قبل المسيح فإنَّ بين الكتابات التي وُجدت في بابل كتابةً لتغلَثْفلاَسر يذكر فيها انتصارهُ على مدينة دومة الجندل وظفرهُ بملكتها التي كانت كاهنةً للإله « شَمْس » : ( A. Layard : *Inscriptions*, p. 72 ) .

---

١) وفي المعاجم العربيَّة وبعض التواريخ « انَّ شمسًا كان صنمًا لبني تميم ولُعذْرة وكان لهُ بيت وكانت تعبده بنو ادّ كلّها وكانت سدانتهُ في بني أوس » . إلاّ أنَّهم لم يصيبوا بحصر عبادتها

ومن الشواهد القديمة السابقة لعهد المسيح شهادة هيرودوتس الذي يصرّح في تاريخهِ ( ك ٣ ف ٨ ) بأنَّ العرب كانوا يعبدون اوروتال (Οὐροταλ) وهي لفظة مركَّبة في اللُّغات الأراميَّة من ( אור ) أي نور ( העלה ) كالعربية تعالى من فعل ( עלה ) أي علا والمعنى النور المتعالي وأرادوا بهِ الشمس. والدليل عليهِ أنَّ هيرودوتس بعد ذكره اوروتال أردف بقولهِ « وهو ديونيسيوس أو بخوس » الذي كان عند اليونان إله الشمس. وكرَّر ذلك الجغرافي استرابون ( Strabon, XVI, 74I ) والمؤرخ ارّيان ( Arrien, VII, 20 ) ومثلهم اوريجانوس في القرن الثالث للمسيح في ردّهِ على كلسوس ( *contra Celsum, V, 37* : Origenes ) وكان النبطيُّون يعبدون الشمس عبادةً خاصَّة وكان لهم في عاصمتهم سلَع ( Petra ) معبد كبير لإكرامها. وإنما كانوا يدعونها باسم آخر وهو ذو الشَّرى (Δουσάρης) أي الإله المنير وقد ورد اسمهُ مرارًا في كتابات عيون موسى ومدائن صالح وطور سينا (١. أما كون ذي الشرى يراد بهِ الشمس فالأمر واضح من قول استرابون الذي يؤكّد أنَّ النبطيين يعبدون الشمس ( Ἥλιος ). وكانوا جعلوا عيدها في ٢٥ ك ١ كما أفادنا القديس ابيفانيوس في كتابهِ عن الهرطقات ( Epiphanius. Hæres, 51 ). وزاد مكسيموس الصوري أنَّ النبطيين كانوا اتَّخذوا صنمًا لذي الشرى وهو حجر أسود مكعَّب علوُّهُ أربعة أقدام وعرضهُ قدمان ( Maximus Tyr., c.38 ). ومن الأسماء التي شاع بها اسم الشمس في جهات العرب وأكرموها على منطوقِه « ذو الشارق » و « المحرِّقِ » . وكانوا يصرّحون عن إكرامهم لها بأن يتّسمَّوا بأسمائها إذ وجدوا بين أسماء العرب مَن دُعوا باسم عبد الشمس وامرئ الشمس وعبد المحرّق وعبد الشارق. ومن أصنام جنوبي العرب « الذريح » أرادوا به أيضًا الشمس الطالعة

﴿ القمر ﴾ ليس لدينا نصّ صريح ينوّه بعبادة العرب للقمر إلاَّ ما يقال عن عبادة بني كنانة ( Bergmann, 4 ) وكذلك قد عبده الحميريُّون وبقيَّة الصابئين مع السيّارات السبع. بل نرجح أنَّ عبادتهُ شاعت في غير أنحاء من الجزيرة ورُبَّما جمعوا بينهُ وبين الشمس فعبدوهما معًا

﴿ العزَّى ﴾ ومن أشهر معبودات العرب التي شهد لها قدماء الكتبة من يونان ورومان وغيرهم اللات يقول كتبة العرب ( اطلب معجم البلدان لياقوت ٤ : ٣٣٦ ـ ٣٣٧ ) انهَّا كانت

---

١) وفي معجم البلدان لياقوت أنَّ ذا شرى كان صنمًا لدوس وكانوا قد حموا لهُ حمى

صخرة بيضاء مربَّعة تعبدها ثقيف في الطائف وكانوا اتُخذوا له بيتًا فطافوا بهِ وجعلوا لهُ سدَنَةً. واليوم قد أجمع الأثريُّون على أنَّ اللات هي الزُّهَرة. ولنا على ذلك شهادة هيرودوتس المؤرّخ. قال في تاريخهِ ( ك ١ ف ١٣١ ) : ان العرب يعبدون الزهرة السماويَّة Ἀφροδίτη Οὐράνια وهم يدعونها أَليتًا ( Ἀλίττα ) وقد أصلح اسمها في محلّ آخر ( ك ٣ ف ٣ ) فدعاها الإلات ( Ἀλιλάτ ) وهو اختصار الالاهت كما اختصروا الاسم الكريم الإله فقالوا الله. ثم اختصروا الالات فقالوا : اللات. وكانت اللات معبودة في كثير من جهات الجزيرة ليس الطائف فقط كما زعم كتبة العرب فإنَّ الأثريين وجدوا كتابات عديدة ورد فيها ذكر اللات ولاسيَّما في بلاد النبط في حِجر وصلخد والبصرى حيث كان لها هيكل وفي أنحاء حوران وحتى في تدمر. وتدعى هناك بألقاب تدلُّ على مقامها كاللات العظمى وأُمّ الآلهة. وكانوا يضيفون إلى اسمها اسم المكان الذي تُكرم فيهِ فيقولون « لات صلخد » و « لات حبران » الخ

ودخل إكرامها بين أهل المدَر وبين سكنى حوران المتكلمين باليونانيَّة فنقلوا اسمها إلى اليونانيَّة على صورة « اثيني » ( Ἀθηνᾶ ) وهي عند اليونان إلهة الحكمة ( Minerve ) لكنَّ صورها وأوصافها في الكتابات القديمة تثبت على كونها الزُّهَرة ( Vénus ) . وممَّا يدلُّ على انتشار عبادتها بين العرب كثرة الأسماء المركَّبة من اسمها كوَهْبلات وتيم اللات وعمرو اللات وزيد اللات وغيرها أيضًا مما وُجد في الآثار والاعلام القديمة

وعُرفت الزهرة بأسماء أخرى على مُقتضى أحوال ظهورها مساءً بعد غيوب الشمس أو صباحًا قبل طلوعها فيدعون نجمة المساء عَتر وهي أيضًا أستار أو عشستر ( Astarté ) أو عَتَرْعَتَا ( Atargatis ) امَّا نجمة الصبح فشاع اسمها العُزَّى أي الإلهة السامية. وجاء ذكرها باسم كوكب الحُسن في ميامر اسحق الانطاكي ( ص ١ : ٢٤٧ ) من كتبة أوائل القرن السادس وصرَّح بأنَّها هي الزهرة. واخبر پروكوپيوس المؤرخ في القرن السادس أنَّ المنذر صاحب الحيرة ضحَّى للعُزَّى ابن عدوّهِ الحارث ملك غسَّان وكان في يدهِ كأَسير. وذكر العزَّى قبلهُ القديس افرام السرياني والقديس ايرونيموس. ثم روى القديس نيلوس من اشراف القسطنطينيَّة خبر ابنهِ الذي اسرهُ عرب البادية وأرادوا تضحيتهُ لإلهتهم العزَّى أي الزهرة عند طلوعها صباحًا لولا أنَّ النوم تثاقل

عليهم فنجا الولد وذلك نحو السنة ٤١٠ للمسيح. وفي تواريخ السريان أنَّ أحد ملوك الحيرة ضحَّى للعزَّى عددًا من البتولات المسيحيَّات. وكان كثير من العرب يتسمَّون باسمها فيُدعون « عبد العزى » . ويظنّ العلاَّمة نولدك أنَّ الغرَّيين أو الطربالين اللذين كان المنذر في يوم شؤمهِ يصبُّ عليهما دم أوَّل وافدٍ إليهِ إنما كانا رمزًا إلى العزَّى (١

ومن أسماء العزى أيضًا المناة كأنَّهم دعوها بذلك لسطوتها (٢. وعلى رأيْ ياقوت (٤ : ٦٥٢) أنَّها كانت من الأصنام التي أتى بها عمرو بن لحي وأنَّها أقدمُها. وقال في محلّ آخر ( ٤ : ٣٣٧ ) إنَّ اللات أُخذت من مناة. وروى عن ابن الكلبي ( ٤ : ٦٥٢ ) أنَّ مناة كانت صخرة وهذا كلّهُ ينطبق على صورة العزى واللات السابق ذكرهما وكما دعوا عبد العزى سمَّوا أيضًا عبد مناة وكان أخصّ اكرام مناة في هذيل قريبًا من مكَّة وفي يثرب. وكانت قبائل الازد وغسَّان قبل تنصُّرها تعبدها ( ياقوت ٤ : ٦٥٢ )

ومن أسماء الزهرة أيضًا « كَبر » ذكره افتيموس الكاتب اليوناني ( POCOCK, 2I ) وقال إنَّها من معبودات العرب وأنَّ كبر ( χαβαρ ) هي الزهرة أو نجمة الصبح. ودعاها قدرينوس المؤرخ كُبَر ( χουβαρ ) (٣

وكان أهل الجاهلية عمومًا ولا يُستثنى منهم العرب يجعلون الآلهة أزواجًا لكل ذكَر انثاهُ فكان لإلٰهة الشمس تِرْبُها وهو البعل من أصنام العرب أيضًا كان مكرَّمًا في شبه جزيرة سينا وتَسمَّى بهِ العرب عبد البعل واوس البعل وربَّما أشاروا بهِ إلى الشمس. وكان ذكَر العُزَّى الإله « عزيز » الذي وُجد اسمهُ في عدَّة كتابات في جهات الرها وحوران. وكان ذكَر اللات « اللاه » وجدوا اسمهُ في آثار كتابيَّة. وكان لعَتَر زوجُها وهو الإله « مونيموس » الذي يُذكر مع « عزيز »

وممَّا يلحق بعبادة الكواكب والنيّرات العظمى عند عرب الجاهليَّة إكرامهم لزُحَل

---

١) وأفاد الشهرستاني في الملل والنحل ( ص ٤٣١ ) بانَّ قصر غمدان الشهير الذي كان في صنعاء إنما كان بيتًا على اسم الزهرة

٢) اطلب دوسو « العرب في الشام قبل الإسلام » ( ص ٢٢١ )

٣) اطلب أيضًا تاريخ نيقيتا ( Nicetas ) في مجموع أعمال آباء اليونان ( Migne, PP. GG. t. I 40, col. I05-I32 ) ويزعم بلوشه ( Blochet ) أن ( χαβαρ ) تصحيف لفظة كعبة. اطلب كتابهُ : (Blochet *La culte d'Aphrodite chez les Arabes du Paganisme*, 1902)

والشِعْرى والدَبران والجوزاء أو الجبَّار والثرَيَّا يُستدلّ عليهِ من بعض أقوالهم أو من أَعلاَمهم كعبد الثرَيَّا وعبد نجم وعبد الجبار. وكذلك تعظيمهم لبعض المظاهر الجويَّة كتعظيم الإله قُزَح الذي كان يُكْرَم قريبًا من مكَّة. وقد أفادنا يوسيفوس الكاتب في كتابهِ العاديَّات اليهوديَّة (Ant. XV, 255) أن عرب آدوم كانوا يكرمون إلهًا يدعونهُ ( Koζέ ) ورأيُ العلماء أنهُ قُزَح المذكور وإليهِ نسبوا قوس الغمم

وكانوا يدلّون على آلهتهم بنعوت شتَّى فإن أصحاب الأسفار الحديثة في اليمن وفي جهات الصفا كغلازر ( Glaser ) ودوسو ( Dussaud ) وجدوا في الكتابات الحميريَّة والنبطيَّة ذكر تقادم لآلهتهم فمنها للإله مالك والإله رحمان والإله رحيم والإله عزيز السابق ذكرهُ. وربَّما نسبوا آلهتهم إلى بعض الأمكنة التي كانوا يُكْرَمون فيها مثاله ذو الشرى وذو خَلَصة وذات السلام

ومن الأصنام المذكورة في الكتابات الحجريَّة وفي بعض الآثار القديمة والاعلام التاريخية موصوفاتٌ شتَّى تدلُّ على أسماء معاني كالخصب والسعادة والغنى والعزّ منها الإله جَدّ والإله سَعد والإله رُضا والإله كُثْرى والإله وَدّ والإله مَناف فهذه كلها كان العرب يكرمونها ويتفاءَلون بها وينتسبون إلى عبادتها فدَعوا بأسمائها عبد الجدّ وعبد الرُّضا وعبد ودّ وعبد مناف. وجاءَت أسماؤها جميعًا في الكتابات المكتشفة حديثًا. ويقول الكتبة المسلمون إن أهل دومة الجندل كانوا يكرمون صنمًا على اسم ودّ ( ياقوت ٤ : ٩١٣ )

وللعرب صنف آخر من الشرك شاع عند أُمم كثيرة وهو تكريمهم لمواليد الطبيعة (fétichisme) من جماد ونبات وحيوان. فمن آثار تعظيمهم للجماد إكرامهم لحجارة بيضاء أو سوداء كانوا يوقعونها موقع التجلّي للقوات العلويَّة كانت تُكرم في بعض جهات اليمن والحجاز وبلاط النبط. وكان ذلك شائعًا عند غيرهم من أهل الشرق. فإن هيكل الشمس في حمص كان محتويًا على حجر أسود يمثل إله الشمس وكان هليوغَبَل سادنًا لهُ قبل أن يتولى التدبير كقيصر رومانيّ. وكان ذو خلصة مروةً بيضاء

ومن آثار إكرامهم للجماد الإنصابُ وهي حجارة كانوا ينصبونها في أنحاء بلادهم ذكرًا لآلهتهم ويصبُّون عليها الزيت أو الأقط أو السمن أو يطلونها بدم الذبائح. ولعلَّهم

أقاموها في بعض المواطن كتذكار لحادث جليل أرادوا تخليده بينهم فأكرمها الأَخلاف وعظَّموها

وكذلك كانوا يقيمون المناسك لبعض الأشجار كالنخل. وقد روى الكتبة كياقوت وابن خلدون أن العزى كانت تكرم في نجران على صورة النخلة. وكذلك في نخلة اليمانية مكان قريب مكة ( ياقوت ٤ : ٧٧٠ ). ومنها ذات أنواط قال ياقوت ( ١ : ٣٩٣ ) : « انها شجرة خضراء عظيمة كانت الجاهليَّة تأتيها كلّ سنة لها فتعلّق عليها أسلحتها وتذبح عندها وكانت في جوار مكة » . وقد بقي شيء من هذا الإكرام للإشجار حتَّى يومنا في أمكنة حيث يعلق بعض جهَّال العرب وغيرهم أخلاقًا واسمالاً من الخرق في أغصان بعض الأشجار لينجو من الحمَّيات [١]

وكما عبد أهلُ الجاهليَّة الجماد والنبات عبدوا أيضًا بعض الحيوانات والطيور منها النسر الوارد ذكره في القرآن ( ٧١ : ٢٣ ) مع ودّ وسواع ويغوث. وممن شهد على كون نسر من معبودات العرب كتاب التلموذ لليهود ( في فصل عبوده زارا ) وكتاب تعليم الرسول عدي في القرن الثالث للمسيح وكلاهما يدعوه باسمهِ الآرامي « نشرَا » ( ܢܫܪܐ ) وقد امتدَّت عبادة النسر بين الآراميين. ومنها « عَوْف » وهو اسم طائر صيَّاد واحد أسماء الأسد ورد ذكرهُ كإله في الاعلام فقالوا عبد عوف. وزعم البعض أن أسماء القبائل كأسد ونمر وكلب كانت تدلّ سابقًا على بعض عبادة يقدّمها أصحاب القبائل لهذه الحيوانات. وقد بقي أيضًا أثر هذه العبادة في خدمة بعض الطيور والأسماك في أنحاء الشرق كالرها وحلب وطرابلس فانَّا رأينا ذلك بالعيان

هذا نظر إجمالي في آلهة العرب ومعبوداتهم. ويلحق بهِ أبحاث يلزمنا الكلام عنها

( المقامات الدينيَّة) العرب إمَّا أهل وبَر وإمَّا أهل مَدَر فكان يصعب على القسم المتبدّي منهم أن يتخذوا أمكنة ثابتة لإقامة عباداتهم ومن ثم كانت الفرائض عندهم بسيطة يقيمونها حيثما حلُّوا امَّا بتوجيه نظرهم إلى الاجرام الفلكيّة مع ذكر آلهتهم وامَّا ببعض أعمال تقويَّة من سجود ودعاء وتقادُم لاسيَّما في بعض أطوار حياتهم المهمَّة كمولد بنيهم وتزويجهم ودفن موتاهم وفي بعض أمكنة عالية يدعونها المشارف. وكان إكرامهم

---

١) اطلب رحلة الاب جوسن الدومنيكي إلى بلاد مواب (Jaussen: *Coutumes des Arabes au pays de Moab*. p. 330- 337)

لمواليد الطبيعة يوافق أيضًا حالتهم البدويَّة فيجدون منها شيئًا أينما ساروا كالأنصاب وبعض الأشجار والطيور التي يعيفونها ويزجرونها على مقتضى حركاتها يمينًا أو شمالاً. وكذلك يتيمَّنون بالصيد السائح ويتشاءَمون بالبارح. وكان الأب في عائلتهِ والشيخ في قبيلتهِ يقومان مقام الكهنة ويتولَّيان إجراء المشاعر الدينيَّة باسم ذويهم

أمّا أهل المدَر وبالأخص الذين بلغوا منهم درجةً راقية من التمدُّن كالحميريين والنبطيين ودول الحيرة وكَنْدة وغسَّان فما كانوا ليكتفوا بهذه العبادة البسيطة وإنَّما خصَّصوا لديانتهم أمكنةً كانوا يفردونها لذلك امَّا بمضارب يزينونها بأصناف الجلود والأقمشة على شكل قبَّة العهد في بني إسرائيل وامَّا بتشييد بعض الأبنية لهذه الغاية وكان بعضُها فخيمًا أثيرًا كغمدان وبعض هياكل النبط ممَّا ظهرت آثاره في هذه السنين الأخيرة في مدينة سلَع وجوارها. وقد نقل الكاتب اليوناني ديودورس الصقلّيّ ( Diod. III, 45 ) عن السائح الاقريطشي اغاثَرشيدس في القرن الثاني قبل الميلاد وصفًا لثلاثة هياكل زارها في جزيرة العرب قريبًا من سواحل البحر. وربما دعوا هذه الهياكل بالمساجد فإن لفظة المسجد قديمة وردت في كتابات النبط المكتشفة حديثًا

ومن مقاماتهم الدينيَّة ( الكعَبات ) وهي بيوت مربَّعة مرتفعة على أشكال الكعاب كانوا يفرزونها لدينيَّاتهم منها ذو الكعَبات في شمالي الجزيرة لبني إياد ومنها كعبة نجران والكعبة اليمانيّة حيث كان بنو خثعم يعبدون صنمهم المسمَّى ذا الخلصة مع غيره من الأصنام. وأشهر منها الكعبة الحجازيَّة في مكَّة وأوَّل من ذكرها في التاريخ ديودورس الصقلي في القرن الأوَّل قبل المسيح حيث قال ( ك ٣ ص ٢١١ ) : « انَّ في جهات العرب المجاورة لبحر القلزم هيكل يبالغ في أكرامهِ كل العرب » : وربَّما سمَّوا كعَباتهم بالبيوت لأنها كانت مكعَّبةً. وكثر عدد هذه الهياكل في بعض الأمكنة حتَّى ان بلينيوس الطبيعي في القرن الثاني للمسيح عدَّ منها ستين في مدينة سبأ حاضرة اليمن و ٦٥ في تمنة مدينة بني غطفان

وكانوا يتخذون لهذه المقامات ( حَرَمًا ) أي يجعلون لها دائرة تحفظ حرمتها ولا يجوز لأحد انتهاكها وكان حَرَم مكة أشهرها. وكذلك كان يخدم هذه المقامات رجالٌ يدعونهم كهنة أو كُهَّانًا ويريدون بهم الخبيرين بالأحوال الماضية والعرَّافِين. وربُما دعوهم

سَدَنة أي خدامًا للمقدس لقيامهم بحاجاتِه وحاجات زوَّاره. ومنهم من تسمَّى باسم هذه الأمكنة كعبد الكعبة وعبد الدار

وكانوا يزينون تلك الهياكل بالتصاوير المنقوشة على جدرانها أو ينصبون فيها التماثيل للأصنام على هيئات شتَّى. منها حجارة منحوتة بيضاء أو سوداء ومنها صخور من العقيق وبعض الحجارة الكريمة أو الصخور العاديَّة كسعد معبود بني كنانة الذي فيه يقول الشاعر :

أتينا إلى سَعْدٍ ليجمعَ شَمْلَنا فشَتَّتَنا سَعْدٌ فلا نحنُ من سَعْدِ
وهل سَعْدُ إلاَّ صخرةٌ بتِنُوفةٍ من الأرض لا تدعو لغيٍّ ولا رُشْدِ

ومن الأصنام ما كان يُمثِّل أشخاصاً بعينهم يجعلون في أيديهم شارات أو أمتعة تدلُّ على خواصهم الموهومة كودّ وهُبَل جعلوا في أيديهما أقواسًا وأزلامًا. وكالشمس اتخذوا لها صنمًا بيدهِ جوهر على لون النار وجعلوا لها بيتًا حجُّوا إليهِ وكذلك اتَّخذوا للقمر صنمًا على شكل العجل وجعلوا في يدهِ جوهرةً. ونصبوا أيضًا أصنامهم في خارج الهياكل بقربها أو على مشارف ليراها الناس كنائلة واساف ومناف.

وكانوا يكرمون تلك الأصنام بمناسك مختلفة منها ( حجُّهم ) إليها أفرادًا أو زرافات. وكانوا إذا اغتسلوا أو توضَّأوا يطوفون حول الصنم دفعات معدودة ويستلمون الصنم أو يقبلونهُ ويتقرَّبون منهُ بتلبية معلومة قد دوَّن منها الكتبة بعضها كتلبية ذي الكفَّين صنم دوس رواها ابن حبيب : « لبَّيك اللهمَّ لبَّيك انَّ جرهمًا عبادُك. الناس طُرُف وهم تلادك. ونحن أولى منهم بولائك » . وروى تلبية نَسر: « لبَّيك اللهمَّ لبَّيك لأننا عبيد. وكلّنا ميسرة وأنت ربنا الحميد » . وتلبية شمس صنم تميم : « لبَّيك اللهمَّ لبَّيك لبَّيك ما نهارنا نجرُّهُ. أزلامهُ وحرُّهُ وقرُّهُ. لا نتَّقي شيئًا ولا نضرُّهُ. حجًّا لربّ مستقيم برُّهُ »

ومن مناسكهم أيضًا انهم كانوا يسكبون ( السَّكْب ) من خمر أو زيت أو حليب لأصنامهم أو يجعلون أمامها طعامًا يأكلهُ الطير وقد سمّوا لذلك بعض آلهتهم « مطعم الطير »

وكانوا أيضًا يقصّون عند أوثانهم نواصي أولادهم أو يحلقون شعورهم. أو يرمون عندها الجمرات وهي الحَصَى كما أثبت ذلك أحد كبار المستشرقين العلاَّمة شوڤين (١. وكانت العذارى أيضًا يَرْقُصن حول الأصنام مسبلات ذيولهنَّ كما قال امرؤ القيس :

---

١) اطلب كتابهُ في ذلك V. Chauvin : *Le jet des pierres au Péler. de la Mecque*. Avers, 1902

فعنَّ لنا سربٌ كانَّ نعاجهُ عذارى دُوار في مُلاءٍ مُذَيلِ

ومن أخصّ مناسك العرب الذبائح لأصنامهم وخصوصًا للاَّت والعزَّى ومناة : فإنهم كانوا يرون في سفك الدماء وسيلة لإخماد غضب الآلهة وللتقرُّب منهم وطلب رضاهم وما كانوا يأنفون من تضحية البشر أنفسهم كما سبق القول. وممَّن شهد على ذلك يرفيريوس الفيلسوف الوثني (١ في القرن الثاني للمسيح قال « ان أهل دومة الجندل كانوا كل سنة يضحُّون لإلههم رجلاً ثم يدفنونهُ بقرب المذبح » . وروى بروكوپيوس اليوناني ومؤرخ سرياني قديم نشر أعمالهُ لند ( Land ) أن المنذر ضحَّى للعزَّى ابنَ ملك غسان أسيرَهُ و٤٠٠ من الرواهب المتنسكات في بعض أديرة العراق. وقد اتَّسع نيلس من كتبة القرن الخامس بوصف غزوات أهل البادية لطور سينا وذكر قتلهم للرهبان الذين هناك وشرح خصوصًا ما حلّ بابنهِ تاودولس الفتى وكيف أسرهُ أهل البادية من العرب فعوَّلوا على تضحيتهِ للعزَّى كوكب الصبح. وقد وصف الكاتب ما كان دارجاً من العادات في مثل هذه المناسك فنرويهِ هنا معرَّبًا للدلالة على ديانتهم فقال يذكر تفاصيل ذبائحهم (٢:

« وليس لهؤلاء الهمَج دين إلاَّ أنَّهم يكرمون كوكب الصبح ( العُزَّى ) ويخرُّون لهُ ساجدين ويضحُّون لهُ أجود أسراهم الذين أخذوهم في الغزوات وهم يفضّلون لذلك الشبَّان إذا كانوا في عزّ الشباب وصبيحي الوجوه. ويعدُّون لهذه الغاية مذبحًا من الحجارة والصخور التي يكوّمونها وينتظرون الفجر حتى إذا لاح كوكب الصبح يضربون الضحيَّة بالسيوف ويشربون دمها. وعادتهم إذا لم يقع في يدهم أحد من الأسرى أن يضحّوا ناقةً من العيس خالصة البياض فينيخونها ويدورون حولها ثلاثًا ثمَّ يتقدَّم كاهنهم أو زعيمهم بكل رونق وهم يتغنَّون بأغانيهم فيضرب بسيف أوداج الناقة ويتلقَّى دمها فيشربهُ ثم يركض الباقون ويقطع كل منهم قطعة من الذبيحة فيأكلونها نيئَة ويسرعون في ذلك لئلاَّ يبقى شيء من الجزور حتى الجلد والعظام عند طلوع الشمس ... »

ثم انتقل الكاتب إلى وصف ما جرى لابنهِ وكان الفتى مترهّبًا معه في جبل الطور يعيش منفردًا في بعض أنحائِه إذ هجم عليهِ العربان وإذ رأوهُ وسيمًا جميلاً استعدُّوا لتقريبهِ للعزَّى فقال نيلس راويًا لما سمعهُ من ابنهِ بعد أن نجا من الأسر :

---

١) اطلب كتابهُ في القناعة ( Porphyrius : *De abstinentia* II, 56 )
٢) اطلب أعمال الاباء اليونان لمين ( Migne, PP. GG. LXIX, 611 )

« وكان هؤلاء الغزاة عزموا على تضحيتي لنجم الصبح فأَعدُّوا كلّ شيء للذبيحة في سحر اليوم التالي فأقاموا لذلك مذبحًا وهيَّأُوا السيف والسَّكب والأقداح والبخور وكنتُ أنا مُلْقىً على وجهي على الحضيض أمَّا نفسي فكانت مرتفعةً إلى الله أدعو إليه بحرارة كي ينقذني من هذا الخطر العظيم ... وكان البرابرة قضوا قسمًا كبيرًا من ليلهم أكلاً وشربًا وقصفًا حتى غلب عليهم النوم فهجعوا إلى الصباح ولم يستيقظوا إلاَّ والشمسُ قد طلعت وفات وقت الضحيَّة ... فلمَّا رأوا ذلك أخذوني إلى قرية تدعى « سوقا » وتهدَّدوا بقَتْلي أمام أهلها إن لم يَفْدِني أحد منهم. فرحمني أحدهم ودفع فديتي واهتمّ بشأني أسقف المحلّ وها أنا الآن عائد إلى والدي »

ومن دياناتهم إذا ضحَّوا الضحايا أن يصبُّوا دمها على الأنصاب كما سبق ويطلوا بهِ أجسامهم ويغمسوا بهِ أيديهم عند حلَفَهم دلالةً على صدق مواعيدهم ويدعون ذلك « اليمين الغموس »

٣ بقيَّة أديان الجاهليَّة غير النصرانيَّة

كان الشرك يعمُّ كما ترى بلاد العرب في الجاهليَّة ولا نريد أن نحدّد هنا زمنهُ هل امتدَّ إلى مدَّة القرون التي سبقت الإسلام أو هل شمل أنحاء الجزيرة التي عرفت الإله الواحد الصمد فندع الأمر للفصول الآتية

وإنما نضيف إلى قولنا السابق شيئًا عمَّا عُرف من الديانات الأُخر في جزيرة العرب غير النصرانيَّة بوجيز الكلام فنقول إنَّ هذه الأديان كانت المجوسيَّة والصابئيَّة واليهوديَّة وقد نوَّه بها في القرآن غير مرَّة

١ ( المجوسيَّة ) ديانة قدماء الفرس الذين كانوا يعبدون النار ويرون فيها صورة اللاهوت ويقرنون بها عبادة النور. أخذوا هذا الدين من كيومرت أحد أجدادهم وخصوصًا من زرادشت حكيمهم. فهل أثَّر هذا الدين في العرب فالأمر ممكن بل هو محتمل لتقرُّب بلاد العرب شمالاً من الفرس ولخدمتهم لملوكهم في جهات العراق. وممَّن أشاروا إلى دخول المجوسيَّة بين العرب ابن قتيبة فزعم أنَّ المجوسية كانت في تميم والله أعلم

٢ ( الصابئيَّة ) إذا أريد بها عبادة النجوم والشمس والقمر والسيارات السبع فإنها انتشرت خصوصًا في جنوبي جزيرة العرب. أما إذا أريد بها شيعة المندائيين الذين لا يزال منهم بضعة ألوف في العراق فإنَّ تأثيرها في العرب كان منحصرًا ومن أراد تاريخ

هذه الشيعة فعليهِ بالمقالات المطولة التي نشرها حضرة الاب انستاس في المشرق في سنواتِه الثالثة والرابعة والخامسة فانهُ استوفى فيها الكلام

ويلحق بدين الصابئين مذهب الحرَّانيين الذين عبدوا النيّرات السماويَّة مدة أجيال طويلة وكان لهم بيت في حرَّان يعظمونهُ إلى خلافة المأمون فأُخرب. وكذلك المَنويَّة المنسوبة إلى ماني وتدعى أيضًا بالثنويَّة لقول أصحابها بوجود مبدأين متناقضين هما النور والظلمة وآل أمر هذه الشيعة إلى الزندقة وقالوا قول الدهريين

٣ ( اليهوديَّة ) دخل اليهود في أزمنة مختلفة في جزيرة العرب فاستوطنوا في بعض جهاتها. وعلى الأخصّ بعد جلاء بابل لما فرَّ بعض بني إسرائيل من وجه الاشوريين فتوغلوا في أنحاء العرب. وحدث مثل ذلك بعد خراب أورشليم على يد الرومان إذ تشتت شمل اليهود. وكانت سكناهم خصوصًا ما وراء بحر لوط وفي جهات تيماء ووادي القرى في يثرب وخيبر وبعض احياء اليمن. ولم نعلم من اخبارهم إلاَّ النزر القليل. وما لا ريب فيهِ أنَّ القبائل اليهوديَّة كانت تعيش بين العرب دون أن تختلط بهم مواظبةً على عاداتها المألوفة وشرائطها الدينيَّة كما ترى الموسويين في بلاد غير جزيرة العرب. وممن كتبوا عن تأثير اليهوديَّة في دين العرب إبراهيم غايغر ( Abr. Geiger ) لهُ كتاب عنوانهُ « ما أخذ محمد عن اليهوديَّة » وفيهِ مبالغات ظاهرة وزاد عنهُ تطرُّفًا المستشرق دوزي ( D^r R. DOZY ) الذي وضع كتابًا عن اليهود في مكَّة منذ عهد داود إلى القرن الخامس بعد المسيح Die Israeliten zu Mekka von Davids Zeit bis in's 5^te Jahrhundert unserer Zeitrechnung) «Leipzig, I864» وفيهِ من المزاعم الغريبة التي لم يوافقه عليها أصحاب النقد

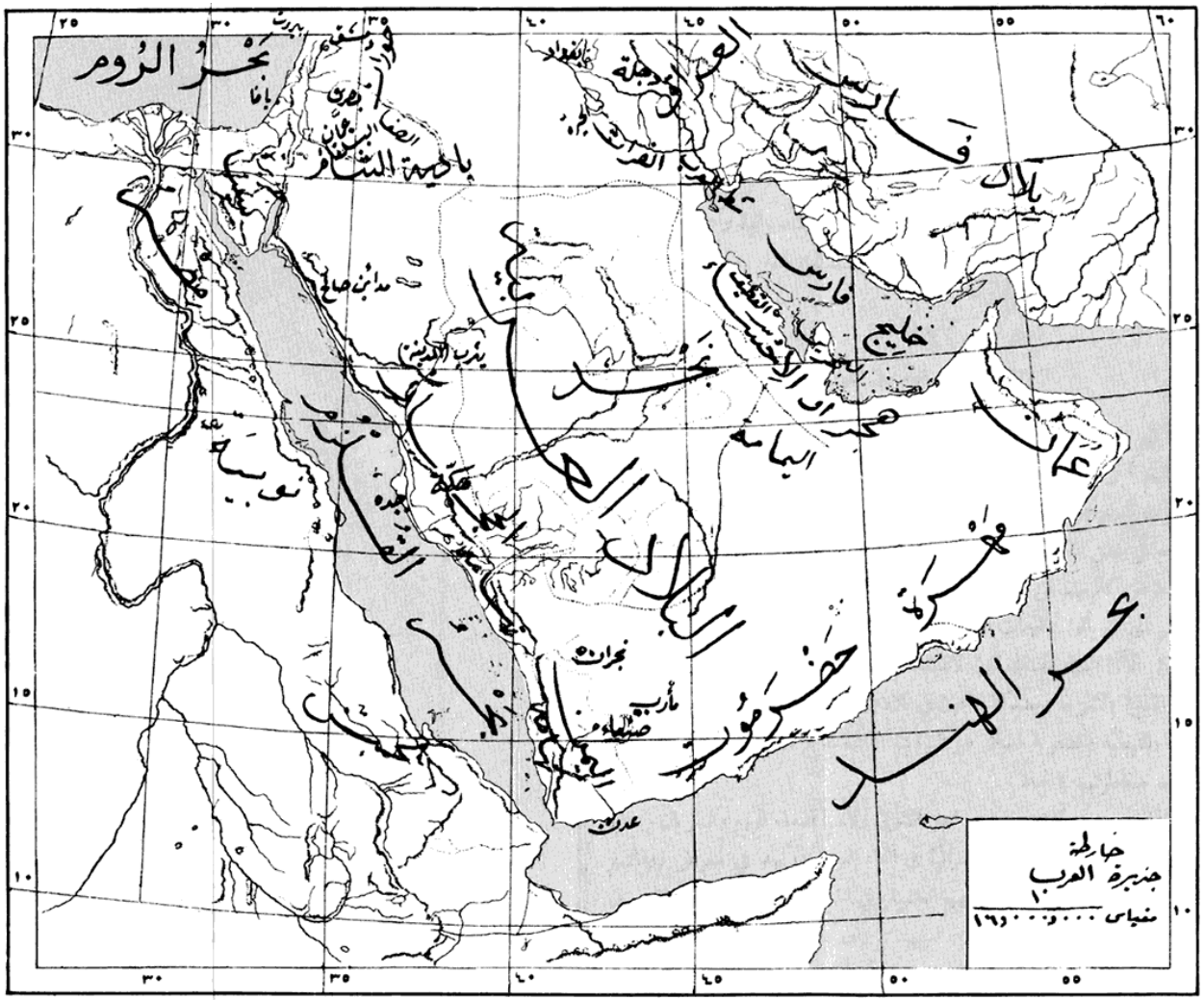
بحر الروم
بابا
بصرى
باطية الشام
مدائن صالح
يذب الديبن
نوبة
مكة
جدة
نجران
مأرب
صنعاء
عدن
بحر الهند
الفرات
دجلة
الفرات
بابل
فارس
خليج
البحرين
اليمامة
عمان
حضرموت
جزيرة العرب
مقياس ١٠٠٠٠٠٠ ١٦٠

# القِسْمُ الأول
# في تاريخ النصْرانيّة وقبائلها في عَهد الجاهِلِيّة

*  *  *

## الفصل الأوَّل

### تاريخ النصرانية في جزيرة العرب

هيَّا بنا الآن بعد هذه المقدّمات الوجيزة نبحث عن النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة وهما البحثان اللذان جعلنا الفصول السابقة كتمهيد لهما

#### الباب الأوَّل
#### مبادئ النصرانية بين العرب

قلنا في مطلع كلامنا إنَّ الإفادات التي خلَّفها كتبة العرب عن الأديان الشائعة في جزيرتهم قبل الإسلام نزرة قليلة. وهذا القول يصحُّ أيضًا في النصرانيَّة مع أنها كانت أقرب إليهم عهدًا فإذا ذكروا الدين المسيحي لا يكادون يذكرون من تاريخهِ غير شيوعهِ في بعض القبائل. هذا إذا اعتبرت فصولهم الوجيزة التي خصُّوها بالأديان. بيد أنهم في عرض كلامهم عن بعض عادات العرب وقصصهم وأمثالهم ولَهَجاتهم حدا بهم الأمر إلى أن يأتوا بمعلومات أُخرى عديدة تجدها متفرّقة متشعّثة في تآليفهم لم يجمعها حتى الآن العلماء المستشرقون لانشغالهم بالبحث عن آلهة العرب وعن فكّ رموز دياناتهم القديمة ونشر ما وجدهُ السائحون في بلادهم من الكتابات الحجريَّة في اللغات الحميريَّة والنبطيَّة والصفويَّة فضلاً عن اليونانيَّة واللاتينيَّة أو ما استخرجوهُ بالحفر من الآثار بعد مخاطرتهم بالحياة

وكذلك ورد في كتب نصارى أهل الشرق ولاسيَّما قدماء الروم والسريان وبعض الكتبة اللاتينيين فوائد شتى عن النصرانيَّة في أنحاء العرب دوَّنوها في معرض رواياتهم التاريخيَّة وأوصافهم الاجتماعيَّة ورِحلهم العلمية وفي أخبارهم عن أولياء الله القديسين الشهداء أو النسَّاك المتعبِّدين في بوادي العرب مما رأوهُ بالعيان أو استفادوهُ من شهود عيانيين أو كتبة موثوق بهم فهذه المعلومات أيضًا عظيمة الشأن غالية الأثمان لم تُجمع حتى اليوم تمامًا وإنما روى منها بعض الكتبة فصولاً تحتاج إلى توسيع وتكملة نخص

منها بالذكر الكتب والمقالات الآتية ما عدا ما ذكر من ذلك في التآليف التي عدَّدناها سابقًا :

١ أعمال البولنديين : مقالة للاب كرپنتيه اليسوعي في النصرانية بين العرب

1 E. Carpentier S. j. : *De SS. Aretha et Ruma Commentarius* ( Acta SS., X, Octob., 661-697 ).

٢ أصول النصرانية في بلاد العرب للعلامة رَيْت

2 Wright : *Early Cbristianity in Arabia*, London 1855.

٣ الشرق المسيحي للاب لوكيان

3 Lequien : *Oriens Christianus*.

٤ دي ساسي : مقالة عن تاريخ العرب قبل محمَّد

4 Le B$^{on}$ de Sacy (S.) : *Mémoire sur l'Histoire des Arabes avant Mahomet*.

٥ تاريخ الدول العربية بين المسيح ومحمّد

5 J. J. Reiskii : *Primæ lineæ Historiæ Regnorum Arabicorum inter Christum et Mohammedem.*

اعلم أنَّ أقدم الآثار النصرانيَّة كما لا يخفى الأناجيل الأربعة وتاريخ أعمال الرسل للقديس لوقا ورسائل بعض تلاميذ الربّ الأوَّلين. وكلها من القرن الأوَّل للمسيح كما يقرُّ بهِ معظم العلماء من الاباحيين فضلاً عن المؤمنين وإن كان أولئك يخالفون الكاثوليك في تعيين سنة كتابة هذه الأسفار وأصحابها. فهذه الآثار لا تخلو من الدلائل على أن العرب نالوا شيئًا من أنوار النصرانيَّة منذ بزوغ شمسها

ولعلَّ أوَّل من استحقَّ أن يُنظم من العرب بين تَبعَة السيد المسيح أولئك الشيوخ الذين عُرفوا بالمجوس فأتوا إلى بيت لحم وأهدوا الربّ ألطافهم وسجدوا لهُ في مهدهِ كما أخبر متى في إنجيلهِ ( ف ٢ ). أما كونهم من العرب أو على الأقلّ بعضهم فلنا على ذلك عدَّة بيِّنات ترجّح هذا الرأي إن لم تجزم بهِ قطعيًّا. فمن ذلك أقدم نصوص الآباء والكتبة الكنسيين من القرن الثاني للمسيح إلى القرن الخامس الذين يجعلونهم عربًا كالقديس يوستينوس في القرن الثاني في مباحثِه مع تريفون. وترتوليان المعلم في كتابيهِ ضدّ اليهود ( ف ٩ ) وضدّ مرقيون ( ك ٣ ف ١٣ ). وكالقديس قبريانوس في القرن الثالث في ميمرهِ عن كوكب المجوس. وكالقديس ابينانيوس في القرن الرابع في شرحهِ لدستور الإيمان ( عدد ٨ ). والقديس يوحنا فم الذهب معاصرهِ في الميمر الثاني على شرح إنجيل متى.

وهكذا فسَّر هؤلاء الكتبة آية أشعيا النبي عن المسيح ( ف ٦٠ ع ٦ ) : « كثرة الابل تغشاكِ بُكرانُ مِدَين وعيفة كلُّهم من شبأ يأتون حاملين ذهبًا ولبانًا يُبشِّرون بتسابيح الربّ » . وسبق داؤد فقال ( مز ٧١ ) : « ملوك سبأ وشبأ يقرّبون لهُ العطايا » . فانَّ مِدْيَن وعِيفة وشبأ كلها تدل على نواحي العرب

وعليها تدلُّ أيضًا الألطاف التي قدَّمها هؤلاء المجوس للمسيح أي الذهب واللبان والمرّ وكلّها من مرافق بلاد العرب. فإن ذهب أنحاء العرب كان مشهورًا (١ وتنبأ داؤد بتقدمتهِ للمسيح ( مز ٧١ ) فقال : « يؤدون إليهِ من ذهب شبأ » . أما اللبان والمرّ فلا يكادان يُستخرَجان من غير جزيرة العرب فيتَّجر بهما أهلها كما شهد على ذلك قدماء الكتبة بعد سفر التكوين ( ٣٧ : ٢٥ )

ثمَّ يؤيد هذا الرأي قول المجوس في الإنجيل لهيرودس بأنهم رأوا نجم المسيح في الشرق فاتوا ليسجدوا لهُ. فقولهم « في الشرق » يدلّ على بلاد العرب أكثر من سواها لوقوعها شرقي فلسطين فضلاً عن كون العرب يُعرفون بالأسفار المقدَّسة ببني الشرق ( وبالعبرية בני קדם بمعناها ) بل شاع هذا الاسم عند الرومان واليونان فاشتقوا منهُ Sarraceni و Σαρακηνοί

وزد على ذلك أنَّ النجم الذي رآه المجوس هو الكوكب الذي سبق وأنبأهم بهِ بلعام في مشارف مُؤَاب ( سفر العدد ٢٤ : ١٧ ) لما قال : « انهُ سيطلع كوكب من يعقوب ويقوم صولجان من إسرائيل » . فتحققت النبوءَة حيث تنبأ بها بلعام مرغومًا فتناقل العرب نبؤتهُ ابنًا عن أب وراقبوا كوكبهُ حتى رأوهُ. ولا بأْس من كون هؤلاء القادمين إلى مهد المسيح يُدعون مجوسًا. فإنَّ هذا الاسم كان يطلق عند العبرانيين على حكماء الشرق عمومًا وكثيرًا ما أثنى الكتاب الكريم على حكمة العرب في سفر أيُّوب وسفر الملوك الثالث ( ٤ : ٣٠ ) وسفر باروك ( ٣ : ٢٣ ). وقد شهد كتبة اليونان بأنَّ فيثاغورس الفيلسوف رحل إلى جزيرة العرب ليأْخذ الحكمة عن أهلها. بل صرَّح بلينيوس الطبيعي بأنَّ بلاد العرب كانت بلاد مجوس (٢

---

١) قال سترابون إن الذهب لا يُعَدَّن في بلاد العجم لكن في بلاد العرب In Perside aurum nullum effoditur, effoditur tamen in Arabia ( Strabo, 1. XVI )

٢) اطلب تاريخهُ الطبيعيّ Fuere in Arabia quos Græci et Latini « Magos » vocant ( Plin., *Hist. Nat., XXV, 5* )

وفي الإنجيل الطاهر شاهدٌ آخر على سبق العرب في معرفة السيّد المسيح وذلك لما ذكر المبشّرون متى ( ف ٤ عدد ٢٤ ـ ٢٥ ) ومرقس ( ٣ : ٧ ) ولوقا ( ٦ : ١٧ ) في جملة الجموع المتقاطرة إلى استماع تعاليم الربّ أهلَ آدوم والمدن العشر وما وراء الاردن. فلا شكّ أن صيتهُ يكون بلغ العرب القاطنين في تلك الجهات. بل ذكر الإنجيل ( متى ٨ : ٣١ ومرقس ٧ : ٣١ ) أن السيّد المسيح عبر الاردن وتجوَّل في المدن الواقعة ما وراء ذلك النهر ومرَّ بالمدن العشر (١ وصنع الآيات في بقعة الجرجاسيين. وكان أهل الحضر والمدر من العرب يسكنون تلك الأنحاء فلا يقبل العقل أنَّهم لم يقتبسوا شيئًا من أنوار ابن الله الكلمة

ثم ما لبث العرب أن نالوا نصيبًا طيّبًا من الدعوة المسيحيّة وذلك يوم حلول الروح القدس على التلاميذ في العلّيّة الصهيونيَّة كما أخبر القديس لوقا في سفر الأعمال ( ف ٢ ) فانهُ صرَّح بأنَّ العرب كانوا في جملة الذين عاينوا آيات ذلك اليوم الشريف وسمعوا الحواريين يتكلَّمون بلغتهم العربية. فلا جرم أنَّ بعضًا منهم كانوا في عداد الثلثة الآلاف المصطبغين ذلك اليوم ( أعمال ٢ : ٤١ ) فلما عادوا إلى بلادهم نشروا بين مواطنيهم ما رأوا وسمعوا من أمر المسيح وتلاميذهِ

وبعد مدَّة قليلة آثار اليهود على تلامذة الرب تلك الاضطهادات التي ذكرها صاحب الأعمال ( ف ٨ ) فكانت على شبه الرياح التي تقوّي الشجرة النامية وتؤصّل جذورها في الأرض وتنقل بزورها إلى أمكنة أخرى فتزدد وتتوفَّر. وأوَّل من يُذكر من الرسل أنهُ دخل بلاد العرب هو الإناء المصطفى القديس بولس فانَّهُ أخبر عن نفسهِ في رسالتهِ إلى أهل غلاطية ( ف ١ ع ١٧ ) انهُ بعد اهتدائهِ إلى الإيمان بظهور السيّد المسيح لهُ على طريق دمشق واعتمادهِ على يد حنانيَّا التلميذ هرب من دسائس اليهود إلى جزيرة العرب حيث أقام مدَّة. فمن البديهي أنَّ ذلك الرسول الذي خصّهُ الله بدعوة الأمم باشر مذ ذاك الحين بالتبشير فدعا إلى النصرانيَّة من رآهم من العرب مستعدّين لقبول دين الخلاص لئلا يحلّ بهِ ذاك الويل الذي كان يوجس منهُ فزعًا حيث قال ( ١ كور ٩ : ١٦ ) : الويل لي ان لم نبشر. وعليهِ فنصادق على قول الذين يجعلون بولس الرسول

---

١) اطلب في المشرق ( ١١ : ٨١ ) مقالة للأب الفرد دوران في رحلة السيد المسيح إلى فينيقية والمدن العشر

كأحد رسل العرب. وقد عدَّهُ بعض كتبة الروم كأوَّل الدعاة إلى المسيح في بُصرى حاضرة حوران

ولمَّا جرى نحو السنة خمسين للمسيح افتراق الرسل إذ ساروا إلى أقطار المعمور ليقوموا بمهنة التبشير التي أمرهم بها سيدهم كان لبلاد العرب نصيب حسن في هذه القسمة المباركة فإن التقاليد القديمة تتواصل وتتفق على أن بعض الرسل تلمذوا أمم العرب وقبائلهم من جهات مختلفة وقد جمع العلاَّمة يوسف السمعاني في مكتبتهِ الشرقيَّة في المجلَّد الثالث القسم الثاني ( Bibl. Or. III$^2$, 1-30 ) كثيرًا من شواهد كتبة اليونان والسريان والعرب التي تثبت كرازة الرسل في أحياء العرب وفي أقطارها المتباينة كبادية الشام وجهات طور سينا واليمن والحجاز والعراق يذكرون منهم متى وبرتلماوس وتدَّاوس ومتّيَّا وتوما. وقد نقل بعض هذهِ الشواهد المؤرخون المسلمون نفسهم كالطبري في تاريخهِ ( ج ١ ص ٧٣٧ ـ ٧٣٨ ) وأبي الفداء في تاريخهِ ( ١ : ٣٨ ) والمقريزي في الخطط ( ٢ : ٤٨٣ ) وابن خلدون في تاريخ العبر ( ٢ : ٤٧ ) والمسعودي في مروج الذهب ( ١ : ١٢٧ ). هذا فضلاً عن بعض تلاميذ الرسل كفيلبس الشمَّاس وتيمون وادّي أو تدَّاي ممن تناقل الرواة خبر بشارتهم بين العرب. وكفى دليلاً بهذه الشواهد المتعدّدة على أنّ الدعوة النصرانيَّة التي امتدَّت إلى أقاصي المعمور لم تهمل جزيرة العرب القريبة من مهد الدين المسيحي. بل كان أهلها يُقبلون كل يوم إلى فلسطين ويمتزجون بسكانها امتزاج الماء بالراح فيعاملونهم ويتاجرونهم. وقد ذكر القديس ايرونيموس في شروحهِ على نبوة ارميا ( ف ٣١ ) ونبوة زكريَّا ( ف ١١ ) أنَّ أسواقًا سنويَّة كانت تقام قريبًا من سيحم ( نابلس ) يأتي إليها عدد عديد من نصارى ويهود ووثنيين يقصدونها للمتاجرة من بلاد الشام وفينيقية والعرب. فلا نتعدَّى إذن طورنا أن أكَّدنا انتشار النصرانيَّة في بلاد العرب منذ عهد الرسل. وبذلك تحققت نبوَّات الأنبياء الذين سبقوا وتنبَّأوا باهتداء العرب وإيمانهم بالمسيح. قال النبي أشعيا بعد وصفهِ العجيب للسيّد المسيح ( ف ١١ ع ١ ـ ١٠ ) ذاكرًا للشعوب التي تقبل شريعتهُ فجعل منها آدوم ومؤاب. وكرَّر ذلك في الفصل ٤٢ وعدَّد قبائل قيدار وبلاد سلع ( Pétra ) وفي الفصل ٦٠ ذكر بين المستنيرين بأنوار أورشليم وملكها الموعود مدينَ وعيفة وسبأ وقيدار والنبط وفيهِ يذكر قدومهم على المسيح ليهدوه ألطافهم من ذهب ولبان. وكان النبي داؤد ( في مزمورَيْهِ ٦٧ ع ٣٢ و ٧١ : ٨٠

ـ ١٠ ) سبق أشعيا في ذكر سجود العرب للمسيح وطاعتهم لهُ. ومثلهما ارميا في فصلهِ التاسع حيث ذكر « افتقاد الرب للأمم المختونين مع الغلف ... أدوم وبني عمُّون ومؤآب وكلّ مقصوصي الزوايا الساكنين في البريَّة »

وفي السنة ٧٠ للميلاد تمتّ نبوة المسيح عن خراب أورشليم فلم يبقَ فيها حجر على حجر وتفرَّق بقايا اليهود شذر مذر بعد أن قتل منهم وسُبي الألوف ومئات الألوف الاَّ ان من كانوا تنصَّروا منهم كانوا بأمر الرب سبقوا وخرجوا من المدينة وعبروا الاردن وسكنوا في مدن العرب التي هناك كما أخبر اوسابيوس المؤرخ (١. فاستوطنوا تلك الاصقاع وكان يرعاهم أساقفة من جنسهم. وقد وجد أصحاب الآثار في أيامنا عددًا دَثرًا من كتبهم الدينيَّة كالأناجيل الأربعة وبعض أسفار التوراة وقطعًا طقسيَّة وأناشيد وصلوات وغير ذلك مما يشهد على نصرانيتهم وسكناهم زمنًا طويلاً في تلك النواحي. وهذه البقايا كانت مكتوبة باللغة الفلسطينيَّة أي الآراميَّة الشائعة في فلسطين. ولا ريب أنَّ العرب الذين حلّ بينهم هؤلاء النصارى أخذوا شيئًا من تعاليمهم واستضاؤوا بأنوار دينهم

وإذا استفتنيا أقدم آثار النصرانيَّة وما كتبهُ آباء الكنيسة الأوَّلون في القرون الأولى للميلاد وجدناهم يذكرون الدعوة المسيحية في جزيرة العرب امَّا تعويضًا وامَّا تصريحًا

فمن تنويههم بذلك قولهم جميعًا بأنَّ الإيمان المسيحي « منتشر في العالم كلهِ » فإن صحّ هذا القول في البلاد القاصية حتى الهند والعجم وجزائر البحر أفلا يكون أيضًا صحّ بالحري في بلاد العرب المجاورة لمنبع الدعوة المسيحية. فترى القديس مرقس في آخر إنجيلهِ ( ١٦ : ٢٠ ) مؤكدًا بأنَّ تلاميذ الرب « خرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات » . وبعدهُ بقليل كان يشكر بولس الرسول أهل رومية في رسالتهِ إليهم (١ : ٨) « على أنَّ إيمانهم يبشَّر بهِ في العالم كلهِ » . وفي رسالة القديس اغناطيوس النوراني تلميذ الرسل إلى أهل أفسس ( PP. GG., V, col. 647 ) يذكر « الأساقفة الذين يرعون المؤمنين في العالم كلهِ ويتفقون جميعًا بالإيمان » . ومثلهُ معاصرهُ القديس بوليكربوس الذي كان يدعو المسيح « راعيًا للكنيسة الكاثوليكيَّة المنتشرة في العالم كلهِ » ( ibid., col. I035 ) فهذه النصوص وغيرها كثير تثبت صريحًا انتشار الدين المسيحي في العالم كلهِ فتشمل أيضًا بلاد العرب ولولا ذلك لَما أمكن القديس اوغسطينوس

---

١) اطلب تاريخهُ الكنسي ك ٣ ف ٥ ( Migne, PP. GG., XX, 221 )

أن يقول في شرحهِ المزمور ٦٦ ( PP. LL. t. 36, col., 669 ) « نحن الكاثوليك منبثُّون في الأرض كلها لأننا نعلن بكل مكان ما للسيد المسيح من المجد ونشترك بهِ » ولَمَا استطاع قبلهُ كيرلس الأورشليمي أن يقول في تعليمهِ الثامن عشر ( PP. GG., t. 33, col. I043 ) : « تُدعى كنيستنا كاثوليكية لأنَّها منتشرة في كل المسكونة من أقاصي تخوم الأرض إلى أقصى حدودها » . وسبقهما القديس قبريانوس فقال في كتاب وحدة الكنيسة (PP. LL., IV. col. 502) : « انَّ الكنيسة تُلقي أشعَّتها في كل المعمور » . وقال معاصرهُ القديس ايريناوس في كتابهِ ضدّ الهرطقات ( PP. GG. VII. col. 550 ) : « انَّ الكنيسة المنتشرة في سائر العالم قد ورثت الإيمان من الرسل وحفظتهُ بكل حرص »

وزاد عن هؤلاء إيضاحًا في أواسط القرن الثاني للمسيح القديس يوستينوس الشهيد من أهل نابلس في مباحثتهِ مع تريفون اليهودي ( PP. GG., VI, col. 750 ) فعدَّ بين من دانوا بدين المسيح « الساكنين في الخيم وأهل البادية » قال : « ليس مطلقًا جنس من البشر سواء كانوا من اليونان أو البرابرة وبايّ اسم تسمَّوا حتى العائشين في العَرَبات ( الاسقيثيين ) والساكنين في الخيم الذين يرعون المواشي وأهل البادية الذين لا يحلّون في بيت الأَ وبينهم جموع يقدّمون الصلوات والقُربات للربّ باسم يسوع المصلوب »

وقال ايريناوس معدّدًا الشعوب التي دخلت بينهم النصرانيَّة (PP, GG., VII. col. 554) وقد دعا العرب بأهل الشرق كما روى مفسّروهُ : « هذا الإيمان المسيحي هو اليوم منبثٌّ في العالم كلّهِ ... فترى الألسنة مختلفةً والنفس واحدةً والقلب واحدًا سواء اعتبرتَ آل جرمانية أو الايبرّيين أو القَلْتيين أو سكَّان الشرق أو مصر أو ليبية والأمم التي في أواسط الدنيا فكلّهم يعتقدون اعتقادًا واحدًا يشبه إيمانهم الشمس التي تضيء العالم كلَّهُ وهي واحدة »

وللمعلم ترتليان في أوائل القرن الثالث نصوص متعدّدة يؤكد فيها انتشار النصرانيَّة بين كل شعوب زمانهِ مهما كانت بعيدة أو مجهولة فما قولك بالعرب ؟ قال في كتابهِ إلى الأمم ( Ad Nationes, c. 8 ) « تأمَّلوا أنهُ لا يوجد اليوم أمَّةٌ إلاَّ ودخلت فيها النصرانيَّة (non ulla gens non christiana) . وفي الفصل السابع من ردّهِ على اليهود يعدّد في جملة المتنصرين ليس فقط الأمم الخاضعة للرومان

« لكن غيرها كثيرة كالسرماتيين والداقيين والجرمانيين والاسقيثيين وقبائل مجهولة وأقطار متفرقة وجزائر البحر ففيها كلها يُعرف اسم المسيح وفيها يملك »

وكثيرًا ما دعا الكتبة جزيرة العرب باسم الهند لاسيَّما جهات اليمن وقد شاع هذا الاسم بهذا المعنى (اطلب البولنديين في المجلَّد العاشر من أعمال القديسين من شهر ت ١ ص ٦٧٠). وإليها أشار القديس يوحنا فم الذهب في ردّهِ على اليهود (PP. GG., XXX. 500) قال : « انظر بأيّ سرعة انتشرت الكنيسة في كل أطراف المسكونة وبين كل الشعوب وذلك بمجرّد فضل الاقناع حتى انَّ أممًا كثيرة تركت أديانها وتعاليم أجدادها وشيّدت هياكل لتعبد فيها الربّ فمنها ما هو واقع في ممالك الرومان كالاسقيثيين والمغاربة وأهل الهند ومنها ما هو خارج عن تخوم الرومان إلى جزائر بريطانية وأقاصي العالم »

وبعضهم قد دعوهم صريحًا باسم العرب أو الإسماعيليين. قال ارنوبيوس في القرن الثالث للمسي يذكر الشعوب الوثنية التي بشَّر بينها الرسل فأُنشئت الكنائس لمن تنصَّر منهم (ك ٢ ف ٥ و ١٢) : « انظروا العجائب التي جرت في أنحاء المعمور منذ ظهور المسيح حتى أنَّهُ لا يكاد يوجد الآن أمَّة عريقة بالهمجيَّة إلاَّ لطَّفت خشونتها محبَّةً بهِ واخضعت عقلها للإيمان بتعاليمهِ فاتَّفقت على ذلك أجيال الناس المتباينة المختلفة طباعًا وآدابًا. وممَّا نقدر أَن نحصيَهُ من هذه الشعوب أهل الهند والصين والفرس والمادّيين والذين يسكنون في بلاد العرب ومصر وجهات آسية وسوريَّا .. وفي كل الجزائر والأقاليم »

فترى أنهُ أحصى بلاد العرب في جملة من دان للمسيح في ذلك العهد. وقد ذكرهم المؤرخ سوزمان ( PP. GG. t, 67, I476 ) في القرن الرابع وأفاد « ان بعض قرى العرب ودساكرهم يوجد فيها أساقفةٌ » . وكذلك صرَّح بذكرهم تاودوريطس في القرن الخامس في كتابهِ المعروف بدواء أضاليل اليونان ( PP. GG. T, 88, p. I037 ) قال : « ليس فقط قد خضعت للمسيح الأمم الخاضعة لشرائع الرومان كالحبش المتاخمين لتيبة وقبائل الإسماعيليين... بل حتى غيرهم من الأمم احنوا رؤوسهم لتعاليم الصيَّادين وشرائع الإنجيل كالسرماتيين والهنود والعجم والصينيين ( Seræ ) والبريطانيين والجرمانيين » . وقال مثل ذلك في محلّ آخر في كتابهِ المسمَّى التاريخ الرهبانيّ ( PP. GG. t, .82, p. I47I )

الباب الثاني
# النصرانيَّة بين عرب الشام

إذا نظرت في خارطة إلى بحر الشام وحدَّدت مدينتيهِ الساحليَّتين طرابلس شمالاً وعكَّا جنوبًا ثمَّ سرت منهما على خطَّين متوازيين إلى الشرق بلغ بك السير بعد مرحلتين من طرابلس وثلاث إلى أربع مراحل من عكَّا إلى مفاوز متَّسعة تمتدُّ على مدى البصر إلى جهة تدمر فالفرات شمالاً وإلى مشارف الشام فاللجا وتلال الصفا حتى جبال حوران وسهول البلقاء جنوبًا فكلّ تلك النواحي الرحبة الأرجاء التي تقيس نحو أربعمائة كيلو متر طولاً في مثلها عرضًا تُعرف اليوم ببادية الشام

ولم تكن هذه البادية في سالف الأجيال قفرة قليلة السكَّان لا تكاد تجد فيها كاليوم غير قرًى معدودة أو بعض احياء البدو الذين يتنقَّلون فيها مع مواشيهم انتجاعًا للمراعي. وإنَّما كانت بعد تملُّك الرومان عليها في أوائل التاريخ المسيحيّ أَصبحت كروضة غنَّاء شيَّد فيها أصحابها المدن العامرة لسكنى الأهلين وابتنوا الحصون الحريزة تأمينًا للطرق وعزَّزوا الزراعة والفلاحة وانبطوا الآبار وحفروا الصهاريج لجمع مياه الأمطار وخدَّدوا القنيّ لسقي المزروعات. والآثار الباقية من هذه الأعمال إلى يومنا تنطق بعمران تلك الأصقاع وحضارتها الراقية

أمّا سكَّانها فكانوا من عناصر شتى بينهم الرومان المستعمرون لاسيَّما من الجنود الذين أتمّوا مدَّة خدمتهم ثم جالية اليونان من بقايا الدول السابقة منذ عهد الإسكندر والسلوقيين ثم الوطنيُّون والفنيقيُّون الذين احتلُّوا تلك البلاد لاستثمارها والمتاجرة فيها

وكانت تلك الأنحاء أوفق ما يتمنَّاه العرب لسكناهم فترى أهل الحَضَر منهم يسكنون القرى ويتعاطون أشغال الفلاحة. أمَّا أهل الوبر فكانوا يرعون مواشيهم في الأرياف ويرتزقون بلحومها وألبانها وأصوافها. وقد نما فيها عددهم حتى رسخت قدمهم وصار إليهم الأمر

وكان الرومان في بدء احتلالهم يعدُّون العرب كخطر على البلاد لما اعتادهُ أهل البدو من الغزوات وشنّ الغارات والسلب والنهب فحاولوا غير مرّة كسر شوكتهم

غير أنَّهم عرفوا بالاختبار أنَّهم لا يظفرون بهم ظفرًا تامًّا ما لم يستنجدوهم ويستعينوا ببعض عشائرهم لقطع دابر الشذّاذ الباقين منهم. فحالف الرومان شيوخ قبائلهم ودفعوا لبعضهم قسمًا من السلطة على بادية الشام بصفة شيوخ أو ملوك فكانوا يتصرَّفون مع أهل جنسهم تصرُّف السيِّد مع المسود وربَّما زاحموا الدولة الرومانية كلما كانوا يشعرون بانتقاض حبلها أو ضعف ولاتها. فترى النبطيين منهم في أواسط القرن الأوَّل للمسيح متقلدين الحكم على دمشق نفسها كما ورد عن الحارث ملكهم في رسالة بولس الرسول في رسالتهِ الثانية إلى أهل كورنتية (١١ : ٣٢) وتبعهُ في الحكم غيرهُ من النبط. وقد أفادنا تاقيتس المؤرخ في تاريخ طيطس بأنَّ الرومان كانوا اتَّخذوا في مقدَّمة جندهم كتيبةً من العرب كانوا يتقدَّمون الجيش في محاربة أورشليم على عهد وسبسيانوس وابنهِ طيطس. بل كان الرومان يدفعون لبعض الفرق العربيَّة وظائف معلومة ليقوموا بحراسة التخوم الرومانيَّة من جهة البادية. وقد أخبر اميان مرقلينوس Ammien ) ( Marcellin, XXV, 6 في ترجمة يليانوس الجاحد بأنَّ بعض شيوخ هؤلاء المتحالفين قدموا على القيصر وشكوا إليهِ تأجيل عِمَّالِه في دفع روايتهم فغضب يليانوس وزجرهم بقولهِ انَّهُ : أعدَّ لهم حديدًا ( لقتالهم ) لا ذهبًا ( لأُجرتهم ). فخرجوا ناقمين على الرومان ولحقوا بجيش العجم وحاربوا يليانوس مع جيش سابور فكانت عليهِ الدَّولة

أمَّا الديانة التي كانت عليها أمم بادية الشام وقبائلها فكانت خلطًا من أديان الوثنيَّة فكان اليونان والرومان أَتوا بمعبوداتهم المنوطة بالسيَّارات كالمشتري وزحل وعطارد والزهرة والمرّيخ فأكرموها أكرام أجدادهم ومواطنيهم لها في أثينة ورومية. ونشر الفينيقيُّون عبادة تمُّوز وعشتروت والبعل. أمّا النبط فكانوا يفضِّلون ذا الشرى ( Dusares ) واللات وشمس ويَتع. ثمّ اختلطت هذه العناصر المتباينة وتداخلت أديانُهم ببعضها وأكرم كل قوم معبودات القوم الآخرين

وفي غضون ذلك ظهرت النصرانيَّة وقامت لمناهضة تلك الأديان كلِّها دون أن ترضى أن تختلط بها أو تبادلها بشيء. والمرجّح أن الدين المسيحي دخل بلاد العرب من غربيّ الجزيرة من جهة الشام حيث انتشر بعد صعود السيد المسيح بزمن قليل كما ورد في سفر الأعمال. ولا يقبل العقل أن بولس الرسول رحل إلى العربية كما جاء

في رسالتهِ إلى أهل غلاطية ( ١ : ١٧ ) دون أن يكون سبقهُ إليها أحد من المتنصِّرين أو خلَّف فيها أثرًا من دينهِ

والظاهر أنَّ النصرانيَّة دخلت أوّلاً في حاضرة حوران أعني بُصرى كما تشير إليهِ التقاليد القديمة التي تناقلها الكتبة اليونان والسريان ثمّ العرب المسلمون من بعدهم. فقد ورد في جدول دورتاوس السوري لتلامذة السيّد المسيح السبعين أنَّ تيمون أحد الشمامسة السبعة المذكورين في سفر الأعمال ( ٣ : ٨ ) نشر الدعوة النصرانيَّة في مدينة بُصرى فعُدَّ كرأس أساقفتها. وفي الروايات التي تداولها الكتبة النصارى عن الرُّسل وأثبتها السمعاني في مكتبتهِ الشرقيَّة ( ج ٤ ص ١ ـ ٢٠ ) أنّ البعض منهم تلمذوا العرب وخصُّوا بهم عرب بادية الشام وحوران كما يظهر من القرائن. وصرَّح بالأمر المقريزي في كتاب الخطط والآثار ( ج ٢ ص ٤٨٣ ) فروى عن متى العشَّار « انهُ سافر إلى فلسطين وصور وصيداء وبصرى » . وقال ابن خلدون في تاريخهِ ( ٢ : ١٥٠ ) : « ان برتلماوس بُعث إلى أرض العرب والحجاز » . أمَّا تدمر وباديتها فذكر سليمان أسقف البصرة في كتابهِ السرياني المعنون بالنحلة ( Budge : *Book of the Bee, p. I06* ) أنَّ يعقوب بن حلفا بشَّر فيها

على أنَّ هذه الشواهد في الدعوة النصرانيَّة الأولى في بادية الشام تعمّ كل عناصر الأهلين ولا تفرز العرب من سواهم فتُبقي شكًّا في تنصُّرهم إلاَّ أنَّ ما يتبع ذلك العهد من الشواهد التاريخيَّة أصرح وأجلى. فقد أفادنا مؤرخو العرب أنَّ القبيلة الأولى التي تولَّت على بادية الشام باسم الرومان إنَّما كانت قضاعة من قبائل اليمن. ثمَّ غلبتها على الأمر سليح ثمَّ جاءت بعدهما قبيلة غسَّان فملكت على تلك الجهات وبقي ملكها إلى ظهور الإسلام. والحال أنَّ هذه القبائل الثلث قد دنت بالنصرانيْة على رأي أولئك المؤرخين. قال اليعقوبيّ في تاريخهِ ( طبعة ليدن ١ : ٢٣٤ ) عن قضاعة « إنَّ قضاعة أوَّل من قدم الشام من العرب فصارت إلى ملوك الروم فملَّكوهم فكان أوَّل الملك لتنوخ بن مالك بن فهم ... فدخلوا في دين النصرانيَّة فملَّكهم ملك الروم على مَن ببلاد الشام من العرب » . وكذلك بنو سليح فقد صرَّح بنصرانيَّتهم المسعوديّ في مروج الذهب ( طبعة باريس ٣ : ٢١٦ ) قائلاً : « وردت سليح للشام فتغلَّبت على تنوخ وتنصَّرت فملَّكها الروم على العرب الذين بالشام »

أمَّا نصرانيَّة غسَّان فهي من الأمور التاريخيَّة الراهنة التي لا يختلف فيها اثنان. على أنَّ كاتبًا من البغاددة أغفل اسمهُ كان تصدَّى لنا في هذه المسألة ونشر في المقتبس (٢ : ٣٨٢) رأيًا خالف فيهِ مجموع المؤرخين وزعم أنَّنا بنسبتنا النصرانيَّة إلى غسَّان ركبنا شططًا فرددنا عليه بمقالتين ضافيتين نشرناهما في المشرق ( ١٠ : ٥١٩ : ٥٥٤ ) جمعنا فيهما البيِّنات اللامعة والشواهد الساطعة التي تثبت تديّن غسَّان واحيائها وملوكها بالنصرانية ولا بأس أن يقال غسَّان كلِّها مع إمكان وجود بعض أفراد أو عشائر لم يكونوا نصارى فإن الكلام على الأغلبية. ولإثبات زعمنا أتينا بالأدلَّة التابعة التي لم نركن فيها إلى أقوال مؤرخي العرب فقط وكل ذي انتقاد يعلم أنَّ كتبة العرب لم يدوّنوا تاريخًا صحيحًا قبل القرن الثامن وإنما نقلنا نصوص كتبة يوثق بهم من يونان ورومان وسريان ممن كانوا معاصرين للحوادث التي فصَّلوا أخبارها وأمكنهم الوقوف على صحَّتها أما بالمعاينة وامَّا بصوت العموم

نصرانية غسَّان

غسَّان قبيلة يمنية قدمت جهات الشام بعد انفجار سدّ مأرب وسيل العرم فاستوطنوها ثم تغلبت على أهلها بعد سليح كما سبق فصار إليها الأمر وتبعت قضاعة وسليحًا في نصرانيتهما. والكتبة العرب لسان واحد في إثبات ذلك فإن تتبَّعنا آثار النصرانية في كتبهم وجدناهم يذكرون لملوك غسَّان الأوَّلين أبنيةً تدلُّ على نصرانيَّتهم فإن حمزة الأصبهانيّ في تاريخ الملوك والأنبياء ( ص ١١٧ ) يؤكِّد أن ثاني ملوك غسَّان عمرو بن جفنة بنى بالشام عدَّة ديورة « منها دير هند ودير حالي ودير أيّوب » ثم ذكر ( ص ١١٨ ) للايهم بن حارث بن جبلة أخي المنذر الغسَّاني الاكبر انهُ « بنى دير ضخم ودير النبوة » . ومن المعلوم أنَّ تنصُّر الملوك يدلُّ عادةً على تنصُّر رعاياهم. وفي الواقع لا تكاد تجد مؤرخًا عربيًّا الاَّ يشير إلى نصرانيَّة غسَّان فالمسعودي في مروج الذهب طبعة مصر ( ١ : ٢٠٦ ) وفي كتاب التنبيه والإشراف طبعة ليدن ( ص ٢٦٥ ) وابن رسته في كتاب الاعلاق النفسية (طبعة ليدن ٢١٧) وأبو الفداء في تاريخهِ ( ١ : ٧٦ ) والنويري ( Rasmussen, 72 ) وغيرهم لا يدعون في الأمر ريبًا. وقال اليعقوبي من كتبة القرن العاشر للمسيح ( في تاريخه

١ : ٢٩٨ ) : « وامَّا من تنصَّر من احياء العرب فقوم من قريش ومن اليمن طيّ وبهراء وسليح وتنوخ وغسَّان ولخم » .

وقال السيوطيّ في المزهر نقلاً عن كتاب الألفاظ والحروف بأنَّ اللغة العربيَّة لم تؤخذ من قبائل شتى إلى أن قال إنَّها لم تؤخذ « ولا من قضاعة وغسَّان وإياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانيَّة » يريد بالعبرانيَّة السريانيَّةَ الفلسطينية

وممن أشار إلى نصرانيَّة غسَّان النابغة في بائيَّتهِ التي مدح فيها ملوك غسَّان وأثنى على دينهم وذكر عيد الشعانين فقال :

محلّتهم ذات الإلهِ ودينُهم قديمٌ فما يرجون غير العواقبِ
رقاق النعال طيِّبٌ حجزاتهم يحيَّون بالرَّيحان يوم السباسبِ

هذا ما علق في ذهن العرب عن نصرانيَّة غسَّان ولعلَّهُ كافٍ ليقنع بشيوع دين المسيح في بادية الشام كلّها لأنَّ كلامهم يدلّ على أنَّ النصرانيَّة بتلك الأصقاع ما كانت محصورة في غسَّان بل امتدَّت أيضًا إلى القبائل العربيَّة من أهل الحضر والمدر الذين سكنوا في تلك الأنحاء واختلطوا بمستعمريها. فمن أراد أن يتتبَّع تاريخ النصرانيَّة بينها ينبغي عليهِ أن يجمع ما دوَّنهُ المؤرخون اليونان والرومان والسريان منذ انتشار الدين المسيحيّ في تلك الجهات إذ لا يجوز القول بأنَّ النصرانيَّة لم تؤثر في غير الأجانب المستوطنين فيها وأقوالهم جديرة بالاعتبار وهم معاصرون للأمور التي كتبوا عنها

فممَّا رواهُ اوسابيوس القيصري في تاريخهِ الكنسي ( ك ٦ ف ١٩ ) أنَّ النصرانيَّة كانت في مبادئ القرن الثالث للمسيح راسخة القدم وافرة العدد في بصرى حاضرة حوران. وقد أخبر عن اوريجانوس المعلّم الاسكندريّ الشهير أنَّهُ رحل ثلاث مرَّات إلى بُصرى. فالمرَّة الأولى استدعاهُ حاكمها الرومانيّ المدعوّ جالِّيوس سنة ٢١٧ ليفقّههُ تعاليم الدين المسيحيّ وينصِّرهُ فجاء اوريجانوس إلى بلاد العرب ملبِّيًا دعوتهُ وبعد أنْ أتمَّ مرغوب الحاكم وعمَّده رجع إلى الإسكندريَّة. أمَّا الرحلة الثانية فباشرها اوريجانوس كما أفاد اوسابيوس في تاريخهِ (ك ٦ ف ٣٣) بسبب بيرلُّوس مطران بصرى. فإنَّ هذا الرجل كان من مشاهير أساقفة زمانهِ في

بلاد العرب أَلَف رسائل ومقالات دينيَّة وأدبيَّة فصيحة الألفاظ بليغة المعاني لولا أنَّهُ شطّ في كلامهِ عن لاهوت السيِّد المسيح فجرى بينهُ وبين الأساقفة معاصريهِ جدال وخصام ولمَّا لم يقنعوه أرسلوا إلى اوريجانوس ليأتي إلى حوران فيباحث بيرلُّوس المذكور ويردّهُ عن ضلالهِ فعاد المعلِّم الاسكندري إلى حاضرة بلاد العرب وبعد أن اجتمع بأسقفها وتحقَّق شططهُ عرض عليهِ الرأي الصحيح وأزال ريبهُ فجاهر بيرلُّوس بخضوعهِ للإيمان المستقيم أمام مجمع من الأساقفة عُقد لذلك وانصرف اوريجانوس راجعًا إلى الاسكندريَّة. ففي التئام هذا المجمع دليل واضح على نفوذ النصرانيَّة في بادية الشام ووجود أساقفة في مدنها كجرش ( Gérasa ) وربَّة عمَّان ( Philadelphie )

أمَّا المرَّة الثالثة التي قدم فيها اوريجانوس الإمام إلى بادية الشام فكان بسبب بدعةٍ ابتدعها بعض اهلها فزعموا أن النفوس تفنى بالموت كالأجساد ثم تُبْعَث يوم الدينونة معها لتنال الثواب عن أعمالها. فلمَّا عرف اوريجانوس بهذا القول. أسرع إلى تفنيدهِ في مجمع ضمّ أربعة عشر أسقفًا وبيّن أمام الجموع الملتئمة لاستماعهِ حقيقة تعليم الكنيسة فردّ الضالّين وثبَّت الإيمان في قلوبهم وانكفأ منصرفًا إلى مركزهِ ( راجع تاريخ اوسابيوس ك ٦ ف ٣٧ )

وكان قبل ذلك بمدَّة اشتهر مبتدع آخر نصرانيّ من عرب الشام اسمهُ منيم (Monoimos) كان هذا كطاطيانوس ( Tatien ) تلميذًا للقديس يستينوس النابلسي والفيلسوف الشهيد لكنَّهُ خلط بين الآراء الفلسفيَّة والإيمان كما ذكر تاودوريطوس في كتاب الهرطقات ( Fab. Hær., I, 18 ) واتَّضح مؤخرًا من كتاب القديس هيبوليتس الشهيد المدعو بفيلوسوفومينا ( Philosophoumena )

وممَّا يُثبت ارتقاء النصرانيَّة واتساع دائرتها في بادية العرب أنَّ منها خرج أوَّل قياصرة الرومان النصارى. ونريد بهِ فيلبُّوس العربيّ الذي ملك على رومية من السنة ٢٤٤ إلى ٢٤٩. وكان أصلهُ من بُصرى ثمَّ تجنَّد في جيوش الرومان ولم يزل يتقلَّب في كلّ مناصب الجنديَّة حتَّى صار كبير رؤساء العسكر ووزير الحرب وصحب غرديان الثالث في محاربة الفرس. إلاَّ أنَّ الجند شغبوا على الملك في طريقهِ وأقاموا بدلاً منهُ فيلبُّوس العربيّ. وكان فيلبُّوس نصرانيًّا كما تشهد على دينهِ الآثار التاريخيَّة ورسائل اوريجانوس إليهِ. وقد زعم البعض أنَّ غورديان قُتل بإغرائهِ إلاَّ أنَّ غيرهم ينكرون

ذلك بتاتًا ولعلَّهُ لم يخلُ من الطمع فلم يدافع عن مولاه كما وجب عليهِ ولذلك قد أخبر اوسابيوس القيصري ( ك ٦ ف ٣٤ ) وصاحب التاريخ الاسكندري (Chronicon Alexandrinum). انهُ لمَّا عاد راجعًا بالعسكر إلى رومية مرَّ بانطاكية وأراد أن يشترك مع النصارى في موسم عيد الفصح إلا أنَّ أسقف المدينة القديس بابيلاس تصدَّى لهُ ولم يسمح لهُ بمشاركة المؤمنين إلاَّ بعد اعترافهِ بخطاياه وتقدمتهِ التوبة عنها (١. وكانت أيَّام فيلبُّوس العربيّ أيَّام راحة وعمران للدولة الرومانيَّة وفي عهدهِ أُقيمت الأفراح العموميَّة في كلّ المملكة بنسبة مرور ألف سنة على مدينة رومية ومن أعمالهِ تشييد مدينة « عمَّان » في حوران ودعاها باسمهِ Philippopolis » « ونالت بهمَّتهِ النصرانيَّة سلامًا موقتًا فانتشرت أيّ انتشار إلى أن فتك بهِ أحد القوَّاد المدعو دقيوس وقتلهُ مع ابنهِ وتولَّى الأمر مكانهُ. قال اوسابيوس (ك ٦ ف ٣٩) إنَّ دقيوس هذا أثار على النصارى اضطهادًا دمويًّا بغضًا بفيلبوس سلفهِ. وفي تاريخ اوروزيوس ( اوروشيوس ) من كتبة القرن الخامس ( ك ٧ ف ٢١ ) انَّ دقيوس قتل فيلبوس وابنهُ بسبب تنصُّرهما وعليهِ يكون موتهما استشهادًا. وقد جمع البولنديُّون في أعمال القديس Acta SS. Janv,. II, 617 ) ( 621 – عدَّة شواهد تثبت ذلك. فكفى بهِ فخرًا لبلاد العرب أنَّ أوَّل قياصرة رومية المتنصِّرين كان مولدهُ في ربوعها وسبق قسطنطين في تنصُّرهِ

كلّ ما سبق قد تمَّ قبل القرن الرابع فلمَّا نالت النصرانيَّة حرّيتها وخرجت ظافرةً من الديناميس زاد الدين بذلك رونقًا وعزًّا في بادية العرب وكافَّة مدنها ولنا أدلَّة على ذلك في الكنائس العديدة التي تشيَّدت مذ ذاك العهد بكلّ أنحاء حوران والصفا واللجا وجولان والبلقاء التي وَجَد كثيرًا من بقاياها الجليلة الأثريُّون الذين تجوَّلوا في تلك الجهات كوادنغتون (Waddington) ودي ڤوكويه ( de Vogüé ) ووتشتين ( Wetzstein ) وراي ( Rey ) ودوسُّو ( Dussaud ) وآباء رهبانيَّتنا. وكلهم وصفوا هذه الآثار ورسموا تصاويرها وذكروا تواريخها (٢

---

١) اطلب أيضًا تاريخ مختصر الدول لابن العبري ( ص ١٢٦ )

٢) راجع كتاب وادنغتون ودي ڤوكوية (Waddington et de Vogüé: *Syrie Centrale: Architecture civile et religieuse du 1^er^ jusqu'au 7^e^ siècle*, Paris, 1864)

ومن هذه الآثار مئات من الكتابات اليونانيَّة واللاتينيَّة* وجدت في نيِّف ومائة موضع فيها أسماء كنائس وأساقفة ووجهاء من النصارى وعليها رموز نصرانيَّة لا شكَّ فيها كالصليب في هيئات مختلفة وأوَّل حروف اسم السيّد المسيح والانجر وسعف النخل والسمكة. ومنها ما يحتوي شعارًا دينيًّا صريحًا كآية التوحيد « الله واحد هو » وتسبحة السيّد المسيح « قد انتصر المسيح » أو « المسيح إلهٌ هو » . وبين تلك الكتابات كتابة عربيَّة سبقت الإسلام خمسين سنة بأحرف عربيَّة تاريخها سنة ٤٦٣ لبصرى أي ٥٦٨ للمسيح وُجدت في حَرَّان وجاء فيها ذكر مشهد أُقيم تذكارًا للقديس يوحنّا المعمدان على يد أحد شيوخ القبائل العربيَّة المدعو شراحيل (١

وكذلك توفَّرت شواهد المؤرخين الذين أبقوا لنا ذكرًا للنصرانيَّة ولأمورها الدينيَّة والمدنيَّة في بادية الشام. فمنها جداول الأساقفة الذين حضروا المجامع المسكونيَّة الكبيرة التي سبقت الإسلام وبالأخصّ الأربعة الأولى في نيقية والقسطنطينيَّة وافسس وخلقيدونية فهناك أسماء عدَّة أساقفة أتوا من مدن بادية الشام وصادقوا على أعمال تلك المجامع بتوقيعهم وأسماء بعضهم عربيَّة محض كالحارث أو منقولة عن العربيَّة كتاودولس تعريب عبد الله وثاودورس تعريب وهب الله

وكان هؤلاء الأساقفة من أهل الحضر يسكنون مدن بادية الشام. إلاَّ أنَّ غيرهم كانوا يسكنون المضارب ويتنقَّلون مع القبائل الراحلة الناجعة المتقلِّبة في المجالات ارتيادًا لمراعي غنمها ومصالح ابلها. وقد بلغتنا أسماء بعضهم ممَّن عُرفوا بأساقفة الخيام وحضر بعضهم المجامع الكنسيَّة وامضوا عليها

واشتهر بعض أساقفة البلاد العربيَّة بما خلَّفوهُ من الآثار. منهم القديس طيطس رئيس أساقفة بُصرى وضع عدَّة تآليف أعظمها شأنًا ما كتبهُ في تزييف بدعة ماني والمانويين وكانت هذه التآليف مفقودة حتَّى توفَّق إلى اكتشافها في عهدنا بعض المستشرقين فوجدوها في السريانية ونشروها مع ترجمتها. وكان طيطس في عهد يليانوس الجاحد ولم يخف من تحذير شعبهِ عن كفر ذلك القيصر المارق

واشتهر في القرن الخامس للميلاد خلفهُ على كرسيّهِ القديس انطيفاتر صاحب

---

* بين القرن الثاني والقرن الرابع للمسيح

١) اطلب كتاب لو با ووادنغتون ( Ph. Le Bas et Waddington : *Inscriptions Grecques et Latines*, III, p. 563 )

مصنَّفات عديدة في مواضيع دينيَّة شتَّى كمقالات في إيضاح الإيمان وميامر في الأعياد وردود على الهرطقة

وفي تاريخ كتبة اليونان كسوزومان ( ك ٦ ف ٣٨ ) وروفينوس ( ك ٢ ف ٦ ) وثاودوريطس ( ك ٤ ف ٢٠ ) وثاوفان في تاريخ سنة ٣٦٩ وغيرهم من مؤرخي القرن الرابع إلى أواخر السادس للمسيح فصول شتَّى وأخبار منثورة عن أحوال الدين بين عرب الشام تفيدنا علمًا عن سطوة النصرانيَّة واجتذابها لقلوب أهل البادية لاسيَّما بواسطة السيَّاح والنسَّاك الذين كانوا يعيشون في قفارهم ويخدمون الله كملائكة متقمصين أجسادًا هيوليَّة. فكانت فضائلهم العجيبة والكرامات التي تجري على أيديهم من شفاء الأسقام وطرد الأرواح النجسة واستمداد النعم الروحيَّة والبركات الزمنيَّة تجذب إليهم أهل المدن والقرى فلا يلبثون أن يسمعوا تعاليمهم ويستنيروا بإرشاداتهم ويهتدوا على أيديهم إلى جادَّة الحقّ فيطلبوا الاصطباغ بمياه المعموديَّة

قال سوزمان في تاريخهِ ( Sozomène, HE, VI, c. 38 ) عن عرب الشام : « قد تنصَّر كثير من العرب ( هو يدعوهم بالشرقيين Σαρακηνοὶ ) قبل زمان والنس ( من ٣٦٤ إلى ٣٧٨ ) ممَّن اجتذبتهم إلى الإيمان المسيحي إرشادات الكهنة والرهبان الذين كانوا يعيشون في النسك والزهد في الأنحاء المجاورة لهم عائشين بالقداسة ومجترحين المعجزات الباهرة » . ثم ذكر سوزمان ما أشرنا إليهِ سابقًا في دفاعنا عن نصرانيَّة غسَّان أعني رجوع قبيلة كبيرة كان زعيمها يدعى زوكوموس ( وهو ضجعم ) فنال لهُ أحد الرهبان بصلواتهِ إلى الله ولدًا ذكرًا فاعتمد هو وكلّ قبيلتهِ

وأردف المؤلف ذلك بخبر ماوية ملكة العرب التي حاربت الرومان وغلَبتهم واستولت على بلادهم إلى تخوم مصر ولم ترضَ بصلحهم إلاَّ على شرط بأن يرسل الرومان إلى مملكتها ناسكًا شهيرًا يُدعى موسى خصَّهُ الله بصنع العجائب وبقداسة الحياة فسُقّف على العرب الذين تحت حكمها وكان عدد النصارى الذين وجدهم في دولتها قليلاً امَّا هو فانار معظم رعاياها وعمَّدهم. وقد أخبر ثاودوريطس في تاريخهِ ( ك ٤ ف ٢٠ ) انَّ ماوية هذه توطيدًا للصلح مع الرومان قرنت ابنتها بالزواج مع القائد الروماني ڤكتور. وكانت الفتاة شديدة التحمُّس في الإيمان

ومذ ذاك الحين إذا ورد اسم أحد ملوك غسَّان امَّا في تواريخ السريان وامَّا

في تواريخ اليونان واللاتين تجد الكتبة لسانًا واحدًا في وصفهم كنصارى يخصُّهم الكتبة بالألقاب الشرَفية الممنوحة لهم من القياصرة فيُدْعَون بطارقة وامراء وذوي العزّ والدولة : وربَّما زادوا على هذه الألقاب ما دلَّ على دينهم فيُدعون مؤمنين ( ܟܝܪܣܛܝܢܘܣ ܟܝܪܝܐ ) ومحبين للمسيح ( ܟܝܪܝܐ ܕܡܫܝܚܐ ܠܚܝܠܗ ) وكذلك ورد في أحد مخطوطات لندن اسم كاهن يُدعى « كاهن ذي العزَّة والمحب للمسيح البطريق المنذر بن الحارث » (١

وفي القرن الخامس أخذ الرهبان يعيشون عيشةً اجتماعيّة بعد أن كانوا يعيشون منفردين في الأقفار والمرجَّح أن الأديرة التي ذكرها حمزة الأصبهاني وأبو الفداء وغيرهما بُنيت في هذا الزمان. وكذلك الأديرة التي وصفها ياقوت الرومي في معجم البلدان كدير أيُّوب في حوران ( في قنوات على ما يظنّ وهي بلد أيُّوب ) ودير بَوَنَّا ودير سعد ودير بصرى وقد بقي بعض هذه الأديرة مدَّةً حتى بعد عهد الإسلام

وممَّا زاد النصرانيَّة ترقّيًا في بلاد العرب عدد كبير من الأساقفة والكهنة والرهبان كانوا في أيَّام الاضطهادات على عهد القياصرة الوثنيين أو ملوك الروم المتشيعين لا يجدون على حياتهم أمانًا الاَّ بأن يهجروا بلادهم ويفرُّوا إلى أنحاء العرب حيث كان يصعب على المغتصبين أن يدركوهم ويلحقوا بهم الأذى

وربَّما نفى المغتصبون هؤلاء المعترفين بالإيمان من بلادهم إلى بلاد العرب ليذوقوا هناك مشقَّات العيش من الجوع والعطش والعري. وكثر عددهم في أيَّام بدعة آريوس. وكان بعض هؤلاء رجالاً ذوي علم واسع وفضل كبير كايليَّا بطريرك القدس واوجان أسقف الرها وبروتوجان أسقف حرَّان. فكان المنفيُّون إذا احتلُّوا بين العرب سعوا في إنارة عقولهم وبيَّنوا لهم بطلان أوثانهم وأَقنعوهم بجحد أضاليلهم

بل يذكر التاريخ جملة من الشهداء قُتلوا في سبيل الإيمان في بادية الشام ومدنها كالقديسين كيرلُّس واكويلا ودومطيان المستشهدين في مدينة عمَّان على عهد ديوقلطيانوس وتذكرهم الكنيسة في ١٠ آب وكزينون وزيناس الشهيدين على عهدهِ أيضًا سنة ٣٠٥. وذكر اوسابيوس القيصري ( ك ٨ ف ٢١ ) أنَّ في زمن هذا الملك « قُتل عدد لا يُحصى من الشهداء في بلاد العرب » . وفي السنكسار الرومانيّ عدَّة شهداء

---

١) اطلب كتاب نلدكه عن غسَّان ( Die Ghassan. Fürsten, P. 8 )

١ كنيسة بُصرى في حوران
(رسم العلّامة دي ڤوكويه)

٢ رسم الكنيسة المذكورة وهندستها

٣ قطع نصفيّ لكنيسة اذرح في حوران

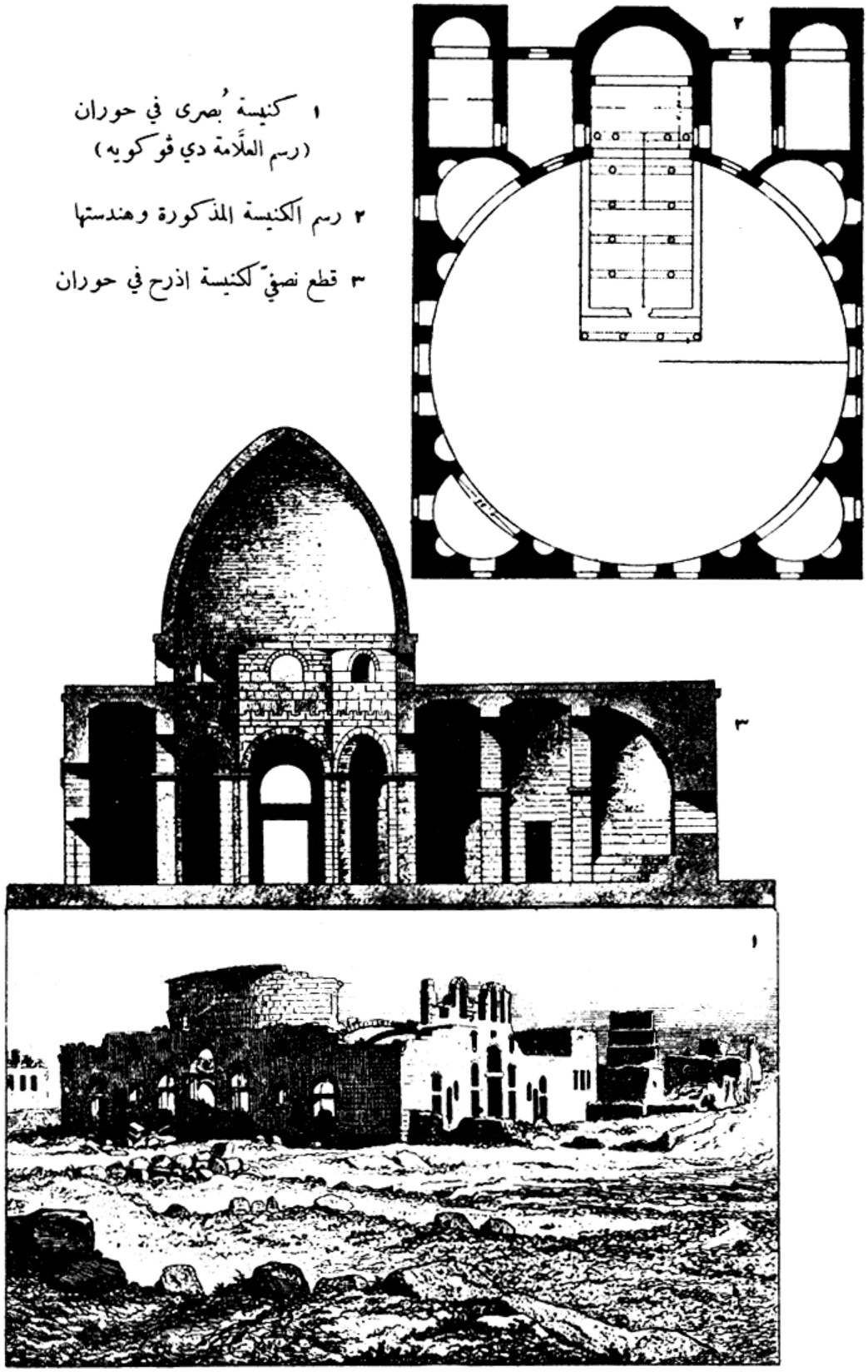

قُتلوا في بادية الشام في ذلك الاضطهاد عينهِ فيُكرمون لشهامتهم في غرَّة آب. واستشهد فيها على عهد يليانوس الجاحد القديسان اوجان ومكاريوس المكرَّمان في ك ١. فلا غرو أنَّ دم هؤلاء الشهداء أَخْصب زريعة الإيمان وأنماها في جهات العرب

ومن هذه الآثار القديمة اعلام الأمكنة التي بقيت حتى اليوم كدليل ناطق على اتِّساع النصرانيَّة في منازل غسَّان لاسيَّما الصفا وحوران. فان عددًا من أسماء الأمكنة يدعى في زماننا بالدير كدير الكهف ودير قنّ عدَّدها الاثريُّون دي فوگوي ووادنغتون ودسُّو وغيرهم

ويضاف إلى هذه الشواهد جداول المراكز الدينيَّة التي تدلّ على تعدُّد الاسقفيَّات في تلك الأنحاء فإن مطران البصرى وحدهُ كان يحكم على ٢٠ أسقفًا (١ وكان بعض هؤلاء الأساقفة يتنقَّلون مع القبائل الراعية فيسكنون الخيم ولذلك يدعونهم أساقفة الخيم ( ἐπίσχοποι τῶν παρεμβολ ῶν ) وقد أمضوا غير مرّة أعمال المجامع بهذا التوقيع « فلان أسقف أهل الوبر » أو « فلان أسقف القبائل الشرقيَّة المتحالفة » أو « فلان أسقف العرب البادية » (٢. أَفترى بيِّنة أعظم من ذلك على انتشار النصرانيَّة بين عرب الشام

فهذه الحجج كافية ليقرّ كل مناظر بصحَّة قولنا عن غسَّان إنَّها كانت تدين بالنصرانيَّة ولو شئنا لعزَّزنا هذه الأدلَّة بشواهد أخرى من كتبة السريان كميخائيل الكبير ويوحنَّا أسقف أفسس ويوشع العمودي وابن العبري ونصوصهم توافق ما ذكرناهُ آنفًا

وممَّا يقتضي التنبيه إليهِ أنَّ النصرانيَّة في بادية الشام ثبتت في عزّها إلى ظهور الإسلام ونمت واتَّسعت حتَّى يجوز القول بأنَّ الوثنيَّة تقلَّص ظلُّها حتَّى كاد يضمحلّ وممَّا يدلُّ على ذلك أنَّ نصارى العرب الذين اجتمعوا مع الرومان لردّ غارات المسلمين في غرَّة الإسلام كانوا ألوفًا مؤلَّفة يبلِّغ الكتبة عددهم إلى مئة ألف بنيِّف (٣

---

١) وجاء في بعثة دوسو إلى بادية الشام (René Dussaud: *Mission dans les région désertiques de la Syrie moyenne*, p. 77) أنّ عددها كان ٣٣

٢) اطلب مجموع أعمال المجامع ( Labbe : IV, 83, 91, 268 )

٣) راجع ما كتبهُ الياس النصيبيني المؤرخ ( Elias Nisib. *ap. Baethgen*, Fragm. 109 )

فهذا العدد الوافر من المقاتلين يدلُّ على أنَّ النصارى في بادية الشام كانوا أُلوف الألوف فلا يكادُ يبقى بينهم مكان لأهل الشرك وعبدة الأصنام

هذا ولا ندَّعي أنَّ النصرانيَّة الغالبة على بادية الشام كانت صافية خالية من كلّ شائبة وضلال. كلاَّ بل نعلم حقّ العلم أنَّ البدعة اليعقوبيَّة تسرَّبت إلى تلك الجهات وكدَّرت صفاء الإيمان بما أدخلتهُ من المعتقدات الباطلة في طبيعتي السيد المسيح وبزعمها أنَّ المسيح طبيعة واحدة كما هو أقنوم واحد فمزجت اللاهوت بالناسوت وبلبلت كلّ تعاليم الخلاص

ولم تكن اليعقوبيَّة البدعة الوحيدة التي قوَّضت أركان التعاليم الرسوليَّة بل دخل إلى بلاد العرب كثيرون من المبتدعين الذين كانوا يؤملون رواج أضاليلهم في أنحائها دون أن يلاقوا فيها زاجرًا يزجرهم ولا وازعًا يزعهم. وكان بعضهم يفرّون إلى جهات العرب لينجوا من مصادرة ملوك الروم الذين كانوا يريدون قهرهم على جحود أضاليلهم فيفضِّل أولئك المتشيعون الهرب إلى بادية العرب. فكثروا هناك ونشروا بدعهم حتَّى قال القديس ابيفانيوس أنَّ بلاد العرب ممتازة ببدعها ( Arabia hæresium ferax )

وقد رددنا في المشرق ( ١٠ : ٥٥٦ ) على بعض اعتراضات اعترض بها على نصرانيَّة غسَّان مراسل المقتبس فبيَّنَّا بطلانها. كزعمهِ بأنَّ الحارث الأكبر ابن أبي شمّر الغسَّاني الملقَّب بالأعرج كان وثنيًّا لأنَّهُ أهدى سيفَيْهِ رسوبًا ومخذمًا لبيت صنم كما روى الطبري ( ١ : ١٧٠٦ ) فأثبتنا نصرانيَّة الحارث بشواهد مؤرخين معاصرين للحارث من يونان ولاتين وسريان وقد ورد اسمهُ في الكتابات القديمة ملقَّبًا بالمحبّ للمسيح كما رأيت وان كان يعقوبيَّ النحلة كما ذكر هؤلاء الكتبة. أمَّا تقدمتهُ سيفين لبيت صنم فهي رواية ضعيفة لا يتَّفق فيها الرواة ( اطلب ياقوت ٤ : ٤٥٣ ) ما لم يقُل إنَّ الطبريّ جعل بيت صنم أحد معابد النصارى أو يقال إنَّ الحارث النصرانيّ أتى بفعلهِ عملاً ذميمًا فنسي شرائع النصرانيَّة أو تجاهل بها

واعترض الكاتب البغداديّ على نصرانيَّة عرب غسَّان بشهادة ياقوت الحموي ( ٤ : ٦٥٢ ) بأنَّ غسَّان كانت تعبد مناة وذكر دعاءَها عند وقوفها عند صنمها. فكان جوابنا أنَّنا لم ننكر كون غسَّان دانت مدَّة بالوثنيَّة لكنَّها لمَّا تنصَّرت نبذت

عبادة مناة وبقيَّة الأصنام منذ القرن الرابع للمسيح كما ثبت من الشواهد التي ذكرناها. هذا فضلاً عن أنَّ الدعاء الذي ذكرهُ عن تاريخ اليعقوبيّ ( ١ : ٢٩٧ ) : « لبيك ربَّ غسان راجلها وفارسها » لا يختصّ بصنم ويجوز التوسُّل بهِ

وكان آخر ما اعترض علينا الكاتب البغداديّ قول اليعقوبيّ إلى إله الحقّ (١ : ٢٩٨) بعد ذكر نصرانيَّة غسَّان أنَّ « قومًا منهم تهوَّدوا » فكان جوابنا عليهِ أنَّ الكتبة العرب إجمالاً (الاَّ اليعقوبيّ) ليس فقط لم يذكروا تهوُّد غسَّان بل نفوا اليهوديَّة عنهم. وعنهم نقل صاحب الفضل شكري أفندي الألوسي البغداديّ في كتاب بلوغ الارب في أحوال العرب ( ٢ : ٢٦ ) حيث روى عن تبَّع الأصغر الحميريّ انهُ لمَّا تهوَّد دعا إلى اليهوديَّة غسَّان فابوا معتذرين بدخولهم إلى النصرانيَّة. قال : « وسار تُبَّع إلى الشام وملوكها غسَّان فاعطتهُ المقادة واعتذروا من دخولهم إلى النصرانيَّة »

وأضفنا إلى قولنا هذا جوابًا آخر فقلنا إنهُ لمُحتَمل أيضًا إنَّ اليعقوبيّ نسب اليهوديَّة إلى قوم من غسَّان لانتشار بعض الشيع بينهم كشيعة الابيونيين ( Ebionites ) والنزاريين (Nazaréens) وغيرهما كانت من بقايا اليهود الأوَّلين الذين تنصَّروا وحفظوا شيئًا من نواميس موسى وهم الذين خرجوا بأمر الرب من أورشليم قبل حصارها في عهد طيطس فعبروا بلاد العرب وعرفوا باليهود المتنصِّرين ( Judéo- chrétiens )

## الباب الثالث

### النصرانيَّة بين عرب الغور والسلط والبَلقاء

انَّ نهر الاردن المعروف بالشريعة بعد خروجهِ من أغوار حرمون في جهات بانياس وجريهِ جنوبًا فتتكوَّن منهُ بحيرة الحولة يصبّ في بحر الجليل ثمَّ يخترقهُ فيسيل متحدّرًا إلى الأعماق بين ضفَّتين ترتفعان شرقًا وغربًا حتى يبلغ تحدُّرهُ نحو ٣٠٠ متر تحت سطح بحر الشام وينتهي إلى بحر لوط فتلك الناحية التي يقطعها الاردن تدعى بالغَور. وليست تلك الجهة مسيلاً للنهر فقط بل تتَّسع ضفافها وترتفع بالتدريج في سعةٍ يقدَّر معدَّلها نحو ١٠ كيلومترات فيها البقع المخصبة والنواحي العامرة والعيون المتدفّقة

وان لحظت عبر الاردن وجدت وراء ضفافهِ شرقًا بلادًا واسعة تعلوها الجبال الشاهقة كجبل عجلون وجبل جلعاد وجبل نبو إلى جبال مؤاب بينها المشارف الفسيحة والأودية الكثيرة الخيرات والمناجع الطيّبة كالسلط والبلقاء وصحاري مؤاب تتَّصل شمالاً ببادية الشام وجنوبًا بنواحي كرك وجهات النبط وشبه جزيرة سينا فهناك سكنت شعوب كبيرة كالعمونيين والمؤابيين والمدينيين. وكانت قبائل العرب البادية والحاضرة ممتزجة معها تتنقَّل في جهاتها من أريافها إلى صرودها طلبًا للمراعي أو تسكن في المدر فتعنى بالفلاحة

فالنصرانيَّة وجدت لها في تلك الأقطار كلِّها بين أهلها المطبوعين على شظف الزرع الجيِّد حتى نما أيَّ نموّ. وكان حلول المسيحيين الأوَّلين في تلك الجهات قليلاً بعد صعود الربّ ولاسيَّما لمَّا ثار الاضطهاد الأوَّل على تلاميذ الرسل ( أعمال ٨ : ١ ) ولمَّا جاء الرومان لمحاصرة أورشليم إذ خرجوا إلى عبر الاردن بوحي من الربّ فاستوطنوا أنحائهُ كما أخبر اوسابيوس. ولا شكّ أنهُ نال العرب قسمٌ من تلك النعم الروحية التي أفاضها الله على سكَّان تلك الأصقاع فدانوا بدين المهاجرين

ومن الأدلَّة التي تناقلها بالتقليد فدوَّنها المؤرخون تنصُّر الضجاعمة الذين سبقوا الغسَّانيين في ملك البلقاء. وقد حفظوا لنا اسم أحد أمرائهم فدعوهُ دؤَاد بن الهبولة المعروف باللثق وجعلوا مقامهُ في مادبا ( اطلب تاريخ ابن خلدون ٢ : ١٥٣ ) وذلك في أواخر القرن الثاني للمسيح (١

ولمَّا انتهى طور الاضطهادات على المسيحيين في القرن الرابع قُسمت تلك النواحي ايالتين مدنيَّتين فدُعيت الواحدة بفلسطين الثانية كانت حاضرتها مدينة باسان والأخرى فلسطين الثالثة كانت حاضرتها مدينة بترا أو سلع. وقد بلغ عدد الكراسي فيها قبل الإسلام نيِّفًا وأربعين كرسيًا يُعرف أسماءُ كثيرين من أساقفتها الذين دبَّروها ورعوا مؤمنيها فناهيك بذلك شاهدًا صادقًا على امتداد الدين المسيحي في العرب

---

١) قال ابن دريد في كتاب الاشتقاق ( طبعة ليبسيك ص ٣١٩ ) : « والضجاعم كانوا ملوكًا قبل غسَّان ومنهم داود اللثق الذي يُضاف إليهِ دير داود بالشام وقد ملك زمانًا ( والضجاعم هم بنو ضجعم بن سعد بن سليح بن عمران بن الحاف، بن قضاعة )

وكان أكثر الدُّعاةِ عملاً في نشر النصرانيَّة نسَّاكها وسيَّاحها الذين كانوا اتَّخذوا لهم مآوي ومحابس يسكنونها معتزلين عن الناس ليعيشوا فيها عيشة الملائكة بالزهد وضروب المناسك الرهبانيَّة فكان مثلهم يعمل في قلوب العرب خصوصًا ويجتذبهم إلى دين أولئك الأبرار فيطلبون منهم نعمة المعموديَّة

ومما أخبر بهِ القديس هيرونيموس في ترجمة القديس هيلاريون (١ انَّ هذا السائح الجليل الذي تنسَّك في جهات غزَّة سار إلى مدينة الخلصة ( Elusa ) في البريَّة جنوبي بحر لوط ليعود أحد تلامذتهِ وكان أهلها يدينون بالوثنيَّة ويكرمون الزهرة على شكل حجرة فوافق وصولهُ إليها يوم عيد الزهرة فلما بلغهم قدوم القديس خرجوا لاستقباله وأكرموه اكرامًا جزيلاً مع نسائهم وأولادهم وكانوا يطلبون بركتهُ وكان قوم منهم نالوا بدعائهِ الشفاء من أمراضهم فجعلوا يتوسَّلون إليهِ بأن يقيم بينهم فوعدهم بأن يفعل إذا نبذوا عبادة الحجارة وآمنوا بالسيِّد المسيح. فاجابوا إلى طلبتهِ ولم يدعوهُ يخرج من بلدتهم حتى اختطَّ لهم حدود كنيسة يقيمونها وكان ممَّن تنصَّروا على يد القديس كاهنهم وسادن أصنامهم. ومذ ذاك الوقت وردت عدَّة آثار عن النصرانيَّة في الخلصاء وأسماء اساقفتها منهم واحد يسمى عبد الله وسنذكر أعمالاً أُخرى لهيلاريون

وممن دخلت النصرانيَّة بينهم في تلك الأنحاء أمَّة النبيط أو النبط فهؤلاء كانوا أيضًا من العرب فأنشأُوا دولة عظيمة ومصَّروا لهم الامصار واتَّخذوا لهم مدينة عظيمة يدعونها پترا أو سَلَع لا تزال آثارها الفخيمة تدهش كلّ من يقصدها. وقد مرَّ لحضرة الاب جلابرت (المشرق ٨ : ٩٦٥ ـ ٩٧٣) وصف بعض ابنتيها العاديَّة. وكان ظهور النبط نحو القرن الخامس قبل المسيح وما لبثوا أن اشتدَّ ساعدهم واستفحل أمرهم وصار لملوكهم شهرة واسعة واستقلُّوا بالملك في القرن الثاني قبل المسيح وكان أوَّلهم « الحارث الأوَّل » ودام ملكهم إلى العشر الأوَّل من القرن الثاني بعد المسيح حيث تغلَّب الرومان على بلادهم وكان آخر ملوكهم مالك أو مليكوس الثاني ( ١٠٣ ـ ١٠٧ ) وأصبحت بلاد النبط اقليمًا رومانيًّا يتولاَّه أحد حكَّام رومية

وكانت پترا معبرًا لكلّ القوافل القادمة من مصر إلى دمشق ومن جزيرة العرب إلى فلسطين ومن العراق إلى مصر ولذلك ازدادت ثروتها واشتهر أهلها بالمتاجرة.

---

١) اطلب أعمال الآباء اللاتين Migne P.L., XXIII, col. 42

وبلغتها النصرانيَّة قبل غيرها من مدن النبط وترى استيريوس اسقفها يلعب دورًا مهمًّا في عهد قسطنطين لمعاكسة البدعة الاريانيَّة. ثم انتشرت النصرانية في بقية النبط وتأصلت فيهم وثبتوا عليها حتَّى بعد ظهور الإسلام بمدَّة حتَّى انَّ بعض الكتبة يدعون نصارى العرب نبطًا. ولك مثال على ذلك في بعض مقامات بديع الزمان في المقامة القزوينيَّة حيث جعل نصَّابهُ أبا الفتح الاسكندريّ نبطيًّا فيقول متظاهرًا بالإسلام :

ان اكُ امنتُ فكم ليلةٍ جحدتُ فيها وعبدتُ الصليبْ

وكذلك ضرب شعراء العرب المثل برهبان مدين وزهدهم. قال كثير عزَّة :

رهبانُ مدينَ والذين عهدتُهم يبكون من حذر العقاب قعودا

وكانت نواحي الغور على ضفَّتي نهر الاردن أديرة عديدة يُعرف منها نحو العشرين قد اكتشف بعضها حضرة رئيس مدرسة الصلاحيَّة المفضال الاب ي.ل. فدرلين .(R.P.J.L Féderlin) ووصف أخربتها وصفًا مدقّقًا في مقالاتهِ الفريدة التي نشرها في مجلَّة الأرض المقدَّسة (١ في السنين ١٩٠٢ و ١٩٠٣ و ١٩٠٧ ولا شكّ أنَّ رهبان تلك الأديرة اجتذبوا إلى الدين المسيحيّ من كان يجاورهم من عرب الحضر. بل لدينا دلائل على ترهب بعض أولئك العرب المتنصِّرين في هذه الأديرة أشهرهم القديس ايليا البطريرك الأورشليميّ فهذا كان عربيّ الأصل رحل من بلدهِ إلى دير نطرون في مصر وبعد أن ارتاض في الآداب الرهبانيَّة سكن مدَّة في دير ساپساس على ضفَّة الاردن اليُمنى ثم رُقّي إلى رتبة البطريركيَّة فدافع عن الإيمان بغيرة شديدة حتَّى فضَّل النفي على موافقة المبتدعين ومات في أيلة سنة ٥١٣

وممن يستحقّ ذكرًا خصوصيًا في تبشير العرب ودعوتهم إلى النصرانيَّة القديس العظيم افتيميوس كوكب بريّة الاردن وجهات الغور فإنَّ الله اصطفاهُ في أواسط القرن الخامس لينير عددًا عديدًا من العرب ويهديهم إلى سبيل الإيمان فانَّ المؤرخ الشهير والراهب معاصرهُ كيرلُّس من سيتوبوليس ( Scythopolis ) أو بيسان روى في ترجمتهِ تفاصيل ذلك الخبر الذي رواهُ حضرة الأب پيترس من جماعة

---

١) اطلب LA TERRE SAINTE : Recherches sur les Laures et Monastères de la plaine du Jourdain et du désert de Jérusalem راجع أيضًا ما كتبهُ بلاَّديوس الأسقف في تاريخهِ ( المشرق ١٠ : ١٧٧ ) ويوحنَّا موسكوس في المرج الروحي

البولنديين ( في المشرق ١٢ : ٣٤٤ ـ ٣٥٣ ) نقلاً عن نسخة عربيَّة قديمة في مكتبتنا الشرقيَّة وخلاصتهُ أنَّ أحد الوثنيين يونانيّ الأصل المدعوّ اسپاباط ولعلّهُ اصبهبذ (Ἀσπέβετος) ولاَّهُ ازدشير الملك تخوم العجم فلمَّا أثار الاضطهاد على نصارى مملكتِه وأخذ يصادرهم ويذيقهم ضروب العذابات جعلوا يولُّون هاربين من العجم إلى ممالك الرومان واسپاباط لا يتعرَّض لهم رغمًا عن أوامر الملك فسعى المجوس بهِ لدى ازدشير ليعاقبهُ ففرَّ هو أيضًا هاربًا إلى أراضي الرومان حيث أكرم وفادتهُ اناطوليوس الحاكم وولاَّهُ على القبائل العربيَّة المنتمية لرومية

وكان لاسپاباط ولدٌ يُدعى طرابون مصاب بالفالج افرغ أبوهُ في شفائهِ كل الوسائل دون فائدة فالتجأ أخيرًا بإلهام من الله إلى القديس افتيميوس فشفى الغلام ونصَّر أباه ودعاهُ بطرس وعمَّد كلّ آل بيتهِ وتبعهم في دينهم قوم كثيرون من العرب سعى القديس افتيميوس في تلقينهم كلّ عقائد النصرانيَّة. ثمَّ اجتذب مَثَلَهم غيرهم من قبائل العرب فخطَّط لهم القديس افتيميوس حدود مدينة صغيرة ليست بعيدةً من ديرهِ وأمرهم ببنائها على رسم معلوم وحفر لهم بئرًا وابتنى لهم كنيسة ودارًا لزعيمهم. ثم اتَّفق مع البطريرك يوينياليوس فجعل بطرس أسقفًا عليهم. وأخذ كثيرون من العرب يتواردون إلى منزلهم حتَّى بلغ عددهم عشرين الفًا ودُعيت مدينة هؤلاء المتنصرين بالمحلَّة ( παρεμβολὴ ) وتوالى الأساقفة عليهم حتَّى أواخر القرن السادس مع ما المَّ بهم من الضيقات والبلايا لاسيَّما بمعاداة قبائل العرب الوثنيين الذين غزوهم غير مرَّة (١

والحقَّ يقال إنَّ هؤلاء الغُزاة كانوا على مألوف عادة شذَّاذ العرب يتلصَّصون الاقفار فينهبون مجالس الرهبان وأديرتهم ويسلبون ما يجدونهُ فيها. وقد أخبر كاسينانوس في خطابهِ السادِس ( Migne, P. L., XLIX, col. 643- 648 ) انَّ هؤلاء الأشقياء هجموا على تَقُوع على مسافة ستة أميال من مدينة بيت لحم جنوبًا فقتلوا رهبانًا كانوا يعيشون في البراري بالنسك والتُّقى ثمَّ اخبر أنَّ أهل تلك الناحية ابدوا لذخائرهم اكرامًا عظيمًا (( ولاسيَّما جموع العرب الذين هناك وبلغت رغبتهم في

---

١) اطلب ترجمة القديس افتيميوس لحضرة الاب جانيه الدومنيكي (F. R. Génier. O. P. : *Vie de S^t^ Euthyme le Grand*)

اقتنائها إلى أن وقع بينهم قتال للفوز بتلك الأجسام المقدَّسة )) وكان ذلك سنة ٣٩٥ للمسيح. وفي هذا دليل على أنَّ عرب فلسطين كانوا يدينون بالنصرانيَّة

وجاء أيضًا في مجموع المجامع ( Labbe : Collect. Concil., III, 728 ) انَّ البطريرك يوليناليوس سقَّف عددًا من الأساقفة لجهات العرب قبل السنة ٤٣٠ وهذا دليل آخر على انتشار النصرانية بين عرب فلسطين. وورد قبل ذلك في تاريخ سنة ٣٦٣ في مجمع انطاكية اسم أسقف يُدعى تاوتيموس قد وقَّع على أعمالهِ بهذا الامضاء (( تاوتيموس أسقف العرب )) ولعلَّه أراد قبائل العرب الساكنة في نواحي تَدْمر حيث كانت النصرانية أصابت مقامًا رفيعًا ليس فقط في حواضرها كتدمر والقريتين وحوَّارين ولكن في بادية تدمر نفسها حيث تنصَّرت القبائل المتنقلة فيها

## الباب الرابع
### النصرانيَّة في النجب وطورسينا

ان انحدرت من فلسطين جنوبًا فسرت من غزَّة على سِيف البحر مارًّا بالعريش حتى ترعة سويس ثمَّ مددت من هاتين النقطتين خطَّين متوازيين إلى الجنوب انبسطت أمامك البراري الواسعة كبريَّة سين وبريَّة سور وبلاد الشراة والنَّجب ثمَّ يتشكَّل لك شبه مثلَّث مخروط رأساهُ الاعليان عند خليج سويس غربًا وخليج عقبة شرقًا والرأس الثالث يدخل في البحر ويُعرف برأس محمَّد. فهذا المثلَّث الكبير هو شبه جزيرة سينا فيهِ بادية التيه التي تنقَّل فيها بنو إسرائيل سنين عديدة وبريَّة فاران. وهناك سلسلة جبال شاهقة كجبل غرندل وجبل سرابيط الخادم وجبل التيه وخصوصًا طور سينا أو حوريب وجبل موسى وجبل سربال وجبل كاترين مع ما فيها من الأودية ( انظر في المشرق ٩ : ١٠٦٨ خارطة طور سينا ) فتلك البلاد كانت شمالاً في أيَّام بني إسرائيل مواطن للادوميين وللعمالقة وللمدينيين وقد كثرت فيها بعد ذلك قبائل العرب من بني اسماعيل والنبطيين فاستولت عليها واقتسمتها وكانت تتجوَّل فيها على حسب حاجاتها كما يتجوَّل الملك في مملكتهِ والسيّد في أملاكهِ دون أن تركز في محلّ مخصوص إلاَّ أهل المدر منها فإنها وجدت في بعض بقعها وواحاتها ما يقوم بلوازمها ومناجع مواشيها فاستوطنتها

فهذه البلاد الواسعة قدم إليها تلامذة المسيح ليدعوا الناس إلى دين سيّدهم.

وممَّن ذكرهم القدماء الرسول برتلماوس فقالوا عنهُ أنهُ « تلمذ بلاد العرب والنبط » يريدون جنوبي الجزيرة وهذه الجهات خصوصًا. وجاء في تاريخ القبط للمقريزي : Wetzer ( Macrizii Historia Coptorum, p. 14 ) انَّ متيَّاس ( وهو الرسول الذي أُقيم بدلاً من يهوذا الاسخريوطيّ ) سار إلى بلاد الشراة (١ فبشَّر فيها بالمسيح

وكأنَّ النصرانيَّة وجدت في تلك الأنحاء ملجأً في قرون الميلاد الأولى نزعت إليهِ ولاذت بهِ رغبةً في التنسُّك والزهد أو فرارًا من اضطهادات الوثنيين فكان نصارى مصر والشام يرون في شبه جزيرة سينا مقامًا آمنًا لا يستطيع العالم أن يكدّر فيهِ صفاء حياتهم الملائكيَّة ولا يقدر أعداؤهم القبض عليهم فكانوا يسكنون في أوديتها ووهادها أو يرقون جبالها ليعيشوا فيها عيشة سماويَّة في مناجاة الله

ولنا على ذلك عدّة شواهد ترتقي إلى أواسط القرن الثالث للميلاد منها رسالة للقديس ديونيسيوس أسقف الإسكندريَّة كتبها إلى فابيوس أسقف انطاكية وصف فيها المحن والبلايا المتعدّدة التي نالت نصارى مصر بسبب اضطهادات الحنفاء وعبدة الأوثان لاسيَّما في عهد القيصر دقيوس فممَّا قالهُ (٢ : انَّ أسقف مدينة نيلوس هرب إلى جبال العرب مع عدد كبير من النصارى فبعضهم ماتوا وبعضهم استعبدهم العربان إلى أن افتداهم النصارى بالمال الكثير وبقي غيرهم منقطعين إلى العيشة النسكيَّة. وقد أثبت البولنديّون في أعمال القديسين وبعض مؤرخي الكنيسة انَّ العيشة الرهبانيَّة في شبه جزيرة سينا وما وراء بحر القلزم سبق عهد القيصر ديوقلطيانوس

وجاء في أعمال القديسين الشهيدين غلاقتيون وامرأَتهِ ابيستام المولودين في حمص (٣ انهما نذرا لله عفَّتهما في الزواج ورحلا إلى طور سينا حيث وجدا عشرةً من النسَّاك كانوا يعيشون هناك عيشة الأبرار فأخذ العرسان عنهم آداب السيرة النسكيَّة وعاشا متفرّدين لأعمال البرّ غلاقتيون بين الرجال وابيستام مع النساء حتى بلغ خبر أولئك السيَّاح واليّ الرومان سنة ٢٥٠ فطلبهما وقتلهما شهيدين

ومع ما كان يلقى أولئك السيَّاح من أنواع المشقَّات من القبائل الوثنيَّة التي

---

١) وفي طبعة مصر للخطط والآثار ( ٢ : ٤٨٣ ) انهُ سار إلى الشرق ونظنُّها تصحيفًا

٢) اطلب مجموع أعمال آباء اليونان لمين Migne. P. L., X col. 1505 – 6 وتاريخ اوسابيوس القيصري ( ك ٦ ف ٤١ و ٤٣ )

٣) اطلب مجموع متافراست ( Migne. P.G., CXVI, col. 102 )

تسكن جهات الطور والبراري المجاورة لأرض مصر لم يلبث أَن يؤثر في بعضها مثل أولئك الأبرار حتى ارتدَّ منهم قومٌ إلى الإيمان ونظنّ أن القديس ديونيسيوس الاسكندري يشير إلى هؤلاء المتنصَرين في كتابهِ إلى البابا القديس اسطفانوس الأول نحو سنة ٢٥٥ حيث يبشّرهُ بموافقة الكنائس الشرقيَّة على تعليمهِ بخصوص معموديَّة الهراطقة قال (١ : « وقد ترى رأيكم كلُّ الأقاليم السوريَّة مع بلاد العرب التي تقومون من حين إلى آخر بضروريَّاتها والتي وجَّهتم إليها رسائلكم الآن » . فقولهُ « بلاد العرب » يدلُّ خصوصًا على ما جاور منها مصر كما يظهر من القرائن. وقولهُ « تقومون بضروريَّاتها » دليل حي على عناية الكرسي الرسولي في القرون الأولى بكل كنائس العالم حتى أقصاها لمساعدتها في حاجاتها الروحية والماديَّة

وفي هذه البلاد العربيَّة المجاورة لمصر بشَّر بالإيمان أحد الشهداء في عهد ديوقلطيانوس وهو القديس كيروس كما ورد في أعمالهِ التي نشرها الكردينال ماي (٢ ونصَّر جمًّا غفيرًا من أهلها بكلامهِ ومعجزاتهِ ثمَّ قُتل شهيدًا

واشهر منهُ أربعون شهيدًا قتلهم العرب الوثنيون في سنة ٣٠٩. وكان هؤلاء تنسَّكوا في لحف جبل موسى فيعيشون هناك في الصوم والشغل اليدويّ فوثب عليهم أهل البوادي وقتلوا منهم أربعين وقد أُقيم لذكرهم دير ترى حتى يومنا آثارهُ ويدعى بدير الأربعين (٣ ويُعيَّد لهؤلاء الشهداءَ في تاريخ ٢٨ ك ١

ولمَّا فازت النصرانيَّة بتنصُّر قسطنطين رسخ الدين النصرانيّ في أنحاء طور سينا والبلاد العربيَّة الواقعة بجوارهِ. وقد أخبر المؤرخون أنَّ القديسة هيلانة شيَّدت كنيسة على طور سينا تذكارًا لما جرى فيهِ من الأعاجيب في عهد موسى وشعب إسرائيل. وزاد النسَّاك عددًا وانتشارًا في سائر أصقاع تلك الجهات. ففي غزَّة ونواحيها الشرقيَّة والجنوبيَّة اشتهر القديس هيلاريون المارّ ذكرهُ. ولا تزال آثار هذا

---

١) أعمال الآباء اليونان ( Migne, P.G., X, 1314 – 5 )

٢) اطلب ( A. Maï : *Spicileg. Romanum*, IV, 230 – 241 ) اطلب أيضًا أعمال البولنديين (Acta SS, III Janv. 701)

٣) اطلب سياحة الاب ميشال جوليان اليسوعي إلى سينا ( M. Jullien : *Sinai et Syrie*, p. 140 )

الرجل العظيم باقيةً هناك وقد وصفها في المشرق ( ١ : ٢١٣ ـ ٢١٥ ) السائح الهمام الكاهن لويس موسيل نزيل كلّيتنا سابقًا مع بيان موقعها وذكر تلامذة القديس الذين أخذوا عنهُ الطريق النسكيَّة. وفي ترجمة حياتهِ التي كتبها القديس هيرونيموس معاصرهُ ما ينبئ بأعمالهِ الرسوليَّة بين عرب تلك النواحي وقد أقام عدَّة أديرة في ظهرانيهم في بريَّة غزَّة وجهات عين قادس وكان يتردّد إليها ويرافقه الرهبان في سياحتهِ زرافاتٍ بلغ أحيانًا عددهم الفي راهب (١. ولمَّا شاع خبر قداستهِ كان الأهلون يخرجوه إليهِ أفواجًا وجماهير مجمهرة يتقدَّمهم الأساقفة والكهنة. وذكرنا سابقًا اكرام العرب لهُ في خَلَصة. واخبر الثقة انهم كانوا يقصدونهُ في كل حاجاتهم فترةً كان يلتمس لهم المطر في سنتهم وتارةً كان يشفي نوقَهم من عاهاتها وكان يخرج منهم الشياطين أو ينال لهم من الله البرءَ من أمراضهم فردّ النظر في مدينة العريش (Rhinocolure) لامرأة عمياء وابرأ من مرض عضال شيخ مدينة أيْلة النصراني المدعوّ أوريون (٢. وذكر سوزومان في تاريخهِ الكنسي ( ك ٥ ف ١٥ ) أنَّ القديس شفى أيضًا في غزَّة جدَّهُ ألافيان الذي اشتهر بعدئذٍ بتقاهُ وشيَّد اديرة وكنائس

وفي هذا القرن الرابع نُفي إلى براري سينا والنبط رجال أفاضل من الأساقفة والكهنة نفاهم الملك قنسطنسيوس الاريوسي كالقديسين أوجان وبروتوجان المنفيَّين من الرها إلى براريّ العرب ( عيدهما في ٥ أيار ) وفي ترجمة القديس هيلاريون ورد ذكر الأسقفين القديسين دراكُنْتيس وفيلون المنفيَّين إلى نواحي غزَّة. وإلى أَيلة نفى الامبراطور انستاس القديس ايليا بطريرك أورشليم وكان عربي الأصل كما مرَّ (٣. وكذلك أسقف ايلة الذي أمضى أعمال المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ كان عربيًّا ويدعى غَوْثًا

وأخذت الأديرة تمتدُّ في أواسط بلاد سينا وتكثر حولها القبائل المتنصِّرة

---

١) اطلب أعمال القديس هيرونيموس في مين ( Migne, P. L. XXIII, 42 )

٢) ( ibid. 37 )

٣) اطلب ترجمتهُ للاب جنيه الدومنيكي (Conférences de S$^{t}$ Etienne, 1909- 910, p. 287- 30)

واخصُّ هذه الأديرة دير فاران الذي ورد ذكرهُ في كتاب المرج الروحي تأليف حنا موسكوس في القرن السادس للمسيح (١. وقد أثنى هناك على رئيسهِ غريغوريوس الذي صار بعد ذلك بطريركًا على انطاكية. وكان دير فاران حافلاً بالرهبان الوطنيين وغيرهم ذكر الآباء منهم القديس سلوانس رئيسهُ ثمَّ موسى الفاراني الشهير بقداستهِ وكراماتهِ

وفاران هذه كانت شهيرة في عهد الدولة الرومانيَّة وأصبحت مدينةً كبيرة وافرة السكان وهي اليوم قرية حقيرة فيها نحو الخمسين بيتًا وهي تُدعى فَيْران موقعها في وادٍ كثير الخصب تنمو فيهِ الأشجار لاسيَّما النخيل وتجري فيهِ المياه الطيِّبة فالنصارى دخلوا فاران ونشروا فيها دينهم حتى كاد يعمّ كل أهلها منذ القرن الرابع. وكان فيها كرسيّ اسقفيّ يذكر الروم في الميناون في ١٨ شباط أسقفها المدعوّ اغابيطوس أو محبوب في عهد قسطنطين الكبير. وممَّن لا يُشكّ في تاريخهِ الأسقف نثراس أو نثير في النصف الثاني من القرن الرابع وتلميذ القديس سلوانس. وكان أمير فاران نصرانيًّا يُدعى عوبديان أو عبدان. وقد بقيت فيها النصرانيَّة معزَّزة رفيعة الشأن إلى القرن السابع وحجَّت إليها القديسة سيلفيا (أوكارية) في أواخر القرن الرابع في رحلتها إلى الأراضي المقدَّسة والقديس انطونينوس الشهيد نحو سنة ٥٨٠. وترى بين اخربتها حتى اليوم بقايا من كنيستها ومدافنها النصرانيَّة عليها النقوش المسيحيَّة كالصلبان والرموز الدينية واسم السيِّد المسيح مختصرًا

ومن الأديرة الشهيرة في التاريخ الكنسي دير رَيْث الذي موقعهُ بجوار مدينة الطور فهذا الدير توارد إليهِ الرهبان ونمت شهرتهُ حتى طمعت فيهِ قبيلة همجيَّة كانت تسكن في سواحل مصر يدعونها بلامّيس ( Blemmeys ) فاجتازت بحر القلزم واغتالت رهبانهُ سنة ٣٧١ وفرَّت هاربةً فلمَّا بلغ الخبر أهل فاران ساروا مع أسقف البلد وعوبديان الأمير إلى دير ريث وجمعوا جثث الشهداء ودفنوهم بكل إكرام. وقد روى اخبارهم امُّونيوس الراهب الشاهد العياني لاستشهادهم

وقبل أن يقدّس هؤلاء وادي فيران وسواحل جبل الطور كان رقي قوم آخرون

---

١) اطلب أعمال الآباء لمين Migne, P. L. LXXIV, 188-190

أعالي جبل موسى حيث كان التقليد عيَّن موقع مناجاة الكليم لربِّه وحيث صعد اليَّا إلى جبل الله فانقطعوا على مثالهما للالهيَّات. وقد مرَّ بك ذكر بعض هؤلاء النسَّاك في أواسط القرن الثالث. واخبر سولبسيوس ساويرس (١ في سياحتهِ إلى جبل سينا نحو السنة ٣٨٠ انهُ رأى راهبًا كان يقطن أعالي سينا منذ خمسين سنةً. ثمَّ كثر عددهم فابتنوا لهم مآوي ليسكنوا فيها. على أنَّ لصوص العرب الوثنيين والمعادين لأهل الحضر المتنصِّرين قدموا من شمالي الجزيرة وجهات الشراة وهجموا بغتةً على محابس الرهبان المتفرّقة في أنحاء جبل موسى ووقع ذلك نحو سنة ٣٩٠ كما رواهُ أحد الشهود العيان والكاتب اليونانيّ القديس نيلوس الذي مرَّ ذكرهُ وكان هذا من أسرة شريفة تولَّى نظارة الأمور على مدينة القسطنطينيَّة ثمَّ استعفى ليتجرَّد لخدمة الله فرحل إلى طور سينا مع ابنهِ تاودولوس وتنسَّكا في ذلك المقام. فقتل العرب في هذه الزحفة سبعة من السيَّاح واسروا غيرهم وكان من جملتهم ابن القديس نيلوس الذي روينا شيئًا من أخبارهِ في باب تاريخ أديان العرب وقد نجا من أيدي الغزاة في مدينة الخلصة بهمَّة أهلها النصارى واسقفها (٢

ومذ ذاك الحين أخذ رهبان جبل سينا يتحصَّنون في وجه الغزاة ولمَّا صار الأمر إلى يوستنيان الملك ابتنى لهم الكنائس الفخيمة والأبنية الحصينة وجعل في خدمة الرهبان بعض قبائل العرب المتنصِّرين أخصُّهم بنو صالح وقد عُرفوا بالجبليَّة. وكان الزوَّار إذا ما قصدوا الأراضي المقدَّسة يزورون أيضًا هذه الأديرة لينالوا بركتها وبركة أهلها. وقد ازداد عدد رهبانها حتى جُعل لطور سينا أساقفة عدَّدنا أسماءَهم في مقالة نشرناها في أعمال المكتب الشرقيّ (٣

وكذلك اشتهر بين الرهبان بعض القديسين والكتبة كالقديس انستاس السينوي في القرن السادس. وليس أقلّ منهُ شهرةً القديس يوحنا رئيس طور سينا المعروف

---

١) اطلب أعمال الآباء اللاتين ( Migne, P. L., XX, 194, Sulpice- Sêvère, Dial. 1, 17 )

٢) أعمال الآباء اليونان ( Migne, P. G., LXXIX, col. 678-700 )

٣) اطلب الجزء الثاني من هذا المجموع (*Mélanges de la Fac. Or.* II, Les Evêques du Sinaï 408- 421)

بالسُلَّميّ أو كليماكوس باسم كتاب ألفهُ دعاهُ سُلَّم الكمال وكان معاصرًا للقديس البابا غريغوريوس الكبير وكان بين القديسين مكاتبات رواها جامعو آثار الحبر الأعظم. وقد ذكرنا في المشرق ( ٧ : ٩٩٣ ) ما تبرَّع بهِ ذلك البابا من الحسنات لدير طور سينا حيث انشأ يوحنَّا مأوى للعجزة والزوَّار

وفي أعمال القديس صفرونيوس بطريرك القدس تُكرَّر ذكر طور سينا ورهبانهِ والزوَّار المتردّدين إليه (١

وبعد ذلك بقليل استولى العرب المسلمون على شبه جزيرة سينا وقد قيل أنَّ بين آثار دير الطور سجلاً أعطاهُ محمَّد كأمانٍ لأهلهِ وبقي عندهم إلى أيَّام السلطان الغازي سليم الأوَّل فأخذهُ إلى القسطنطينيَّة ( راجع في المشرق ١٢ : ٦٠٩ و ٦٧٩ ) مقالتنا في عهود نبيّ الإسلام والخلفاء الراشدين للنصارى

ومن الآثار النصرانيَّة كتابات عديدة وجدت منقورة في الصخر أو مكتوبة بالمغرة على جوانب وادي المكتَّب. فإن السيَّاح كانوا إذا مرُّوا هناك كتبوا أسماءهم وطلبوا من الله الرحمة وأعلنوا إيمانهم بالله الواحد ورسموا بعض العلامات المسيحيَّة كالصليب والانجر وسعف النخل والحرف الأوَّل من اسم السيّد المسيح. وهذه الكتابات منها يونانيَّة ومنها قبطيَّة لا شكّ في نسبتها إلى النصارى. وبينها كتابات أخرى عديدة مكتوبة بالنبطيَّة ومن جملتها ما نصفهُ يونانيّ ونصفهُ الآخر نبطي وبعض العلماء يرتأون أنَّها للوطنيين المشركين امَّا غيرهم فيرجّحون أيضًا أنَّها للنصارى منهم من قبائل تيم الله وكلب واوس ممَّن اعتقدوا النصرانيَّة بل تّرى العلامات النصرانيَّة عليها كما تُرى على اليونانيَّة والقبطيَّة وان لم يكن في منطوقها ما يدلّ على الدين المسيحي صريحًا ما لم يُقَل انَّ تلك العلامات أُضيفت بعد ذلك العهد والله أعلم (٢

ومن البلاد اللاحقة بشبه جزيرة سينا بقعة واسعة في تخوم فلسطين عن جنوبها الشرقيّ كثيرة النخيل عرفها الكتبة اليونان ودعوها فينيقون ( Φοινικών ) أي مغارس النخل وقد ظنَّ البعض أنَّ موقعها في وادي فيران الاَّ أنَّ كلام الكتبة

---

١) اطلب أعمال الآباء اليونان ( Migne, P. G. LXXVII, col. 719, 2958, 3035, 3051 )

٢) اطلب المجلَّة الاسويَّة الفرنسويَّة ( J. A.,1859[1] 5 et 194 ) وسياحة الاب ميشال جوليان إلى سينا (ص ٧٧)

الأقدمين لا ينطبق عليها. والصواب أنَّها شمالي غربي وادي فيران وقيل أنَّ هناك مكانًا يُدعى بالنَّخْل لكثرة نخلهِ فلعلَّهُ هو مدلول كتبة اليونان. ففي القرن السادس كان يحتلّ هذا البقيعَ قومٌ من العرب من جذام ولخم وكان أحد امرائهم يدعى أبا كرب. فروى عنهُ المؤرخ بروكوبيوس الغزّي (١ انَّهُ تكب إلى يوستنيان ملك الروم يقدّم له ولايتهُ فشكرهُ الملك وجعلهُ أميرًا على كل قبائل العرب ( phylarque ) التي في جوارهِ فتولاَّها باسم ملك الروم واخضع العرب لامرهِ. ولا شك انَّ هذا الأمير كان نصرانيًا ولولا ذلك لمَا رَضي يوستنيان أن يرئَسهُ على بلاد كان الدين المسيحي قد مدَّ عليهم سيطرتهَ كالنبط وبني كلب وغيرهم. وفيهِ أيضًا دليل على نصرانيَّة العرب المستوطنين لبقعة النخيل التي كان أبو كرب مالكًا عليها

وقد جاءَت الاكتشافات الجديدة للسيَّاح الاوربيين في بلاد مواب وآدوم والنبط مثبتة لهذه الآثار التاريخيَّة القديمة فانّ الكاهن العالم نزيل كلِّيتنا سابقًا الدكتور لويس موسيل الذي تجوَّل مرارًا في تلك الأنحاء وصف ما رأى بالعيان في مجلَّدات ضخمة فرسم في تآليفهِ ما وجدهُ من الآثار كالرسوم والقبور والصلبان وغير ذلك منها في قصر الموقَّر (٢ وفي العويرة (٣ وفي أمّ الرصاص (٤ وممَّا تُرى بقاياهُ إلى يومنا آثار كنائس عديدة في أمكنة شتى كعَبد والعوجاء وفار وفينان وحُسبان والكسيفة والمكاور والمحيّ وقد يُسمَّى بعضها اليوم بإعلام تدلّ على دين أهلها كالكنيسة والنصرانيَّة والدير (٥ بل وجد بين الاحياء التي تسكن حتى الآن في تلك البوادي عادات نصرانيَّة تدلّ على أصلها القديم كرسم الصليب والدعاء إلى السيّد المسيح (٦

ومثلهُ سائح آخر جال في تلك الأنحاء سنة ١٩٠٨ يُدعى دلمان (٧ فانَّهُ وصف

---

١) اطلب كتابهُ في الحرب الفارسيَّة Procopius *: De Bello Persico* I. 19

٢) اطلب كتابهُ ( A. Musil : ARABIA PERÆA : I, Moab 194 )

٣) فيهِ Ibid, III, 58

٤) فيهِ Ibid I, 109

٥) فيهِ أيضًا ;Ib. I. 97, 109, 120, 134, 193, 273, 338, etc, II[1], 67, 105, 205, 273, 278 etc. II[2] , 18, 26, 39, 45, 110, 119, 125, 142, etc.

٦) اطلب المجلد الثالث ( Ibid. 111, 297, 304, 316, )

٧) اطلب كتاب سياحتهِ ( D[r] Gustaf Dalmann : *Petra und seine Felsheiligtümer* , p. 98 )

نحو عشرين أَثرًا نصرانيًا وجدها في رحلتهِ إلى جهات النبط

وليس أقلّ منها شأنًا ما رواهُ العالمان برونُّو ودومازڤسكي في المجلَّدات الثلاثة الضخمة التي دوَّنا فيها أعمال بعثتهما العلميَّة إلى إقليم عربيَّة (١ وقد مرَّ وصفها للأب جلابرت في المشرق ( ٨ : ٤٥٧ ـ ٤٦١ ) في المقالة المعنونة السكَّة الرومانيَّة من مادبا إلى عقبة وفي هذا التأليف الجليل وصف آثار خطيرة للنصرانيَّة لا يسعنا هنا بيانها

فيؤخذ من كل هذه الأدلَّة التي استدلَلْنا بها أنَّ طور سينا والبلاد اللاحقة أو المحدقة بهِ كاد يعمُّها الدين النصراني في القرن السادس وقد أقرَّ بذلك المستشرق دوزي ( Dozy ) في مقدَّمة كتابهِ عنْ الإسلام (٢ قال : « انَّ شبه جزيرة سينا كلها تقريبًا كانت ارتدَّت إلى النصرانيَّة وكانت حاويةً لجملة من الأديرة والكنائس وكان عرب الشام يدينون بالنصرانية (٣ »

## الباب الخامس

النصرانية في اليمن

فلندعنَّ طور سينا لننحدر إلى أطراف جزيرة العرب في جنوبها الشرقيّ حيث نلقى بلادًا واسعةً كثيرة الخيرات وافرة الأسباب تمتدُّ بين بحر القلزم وبحر الهند فيها السهول الرحبة المخصبة والجبال الطيبة الهواء الغنيَّة بالمعادن وبالأشجار النافعة كالكروم والبنّ والوَرْس واللُّبان أو الكُندُر. فتلك البلاد سكنتها أمم عديدة تزاحمت فيها وتنازعت على ملكها وتركت فيها آثارًا عظيمة من ابنيتها كهياكل وقصور أشهرها قصرا غمدان ورَيْدان وكانت تلك الشعوب من عناصر شتَّى وقبائل مختلفة منها كوشيَّة ومنها ساميَّة. وبلاد اليمن تشمل عدَّة أعمال ومخاليف كعسير ومهرة وحضرموت والشحر ومن مدنها الشهيرة مأرب ذات السدّ قاعدة تابعة اليمن ومن

---

١) اطلب ( R. E. Brünnow et A. v. Domaszewski : *Die Provincia Arabia* )

٢) اطلب Dozy: *Essai sur l'Hist.de l'Islamisme*, (traduction de V. Chauvin), p. p13

٣) وهذا كلامهُ: La presqu'île sinaïtique à peu près entièrement convertie, renfermait nombre de couvents d'églises; les Arabes de Syrie professaient le Christianisme

حواضرهم أيضًا ظفار وصنعاء ونجران وزبيد وذَمار وعَدَن كلها قصبات شهيرة حافلة بالسكَّان دارَّة المرافق. وكانت لغتها من اللغات الساميَّة تُدعى بالحميريَّة لها قلمٌ خاصّ يُعرف بالمُسند وجد منها الأثريُّون المحدثون كتابات عديدة يرتقي بعضها إلى الأزمنة السابقة لتاريخ الميلاد بمئين من السنين تدلُّ على أنَّ أهلها كانوا يدينون بالصابئيَّة ويكرمون القوَّات العلويَّة والنيّرات السماوية والسيَّارات السبع وكان المتملّك على اليمن في أوائل تاريخ الميلاد ملوك من حمير يتلقَّبون في الكتابات المكتشفة حديثًا في جنوبي جزيرة العرب « بملوك سبإٍ وذي ريدان » ولمَّا استولى ملوك حمير على بلاد حضرموت نحو السنة ٣٠٠ للمسيح أضافوا إلى ألقابهم « ملوك حضرموت ويمانات » (١

لا مراءَ أنَّ النصرانية منذ بزوغها وجَّهت أنظارها إلى اليمن كما يشهد عليهِ أقدم الكتبة الغربيين والشرقيين حتى أنَّ بعض الآباء زعموا أن المجوس الثلاثة الذين سبق ترجيحنا لجنسهم العربيّ كانوا من اليمن وماتوا شهداء في صنعاء بعد أن عمَّدهم القديس توما قبل سفرهِ من عدن إلى الهند (٢

ومن الرُّسل الذين يُنسب إليهم التبشير بالمسيح في اليمن متى الرسول فإنَّ اوريجانس في كتابهِ الذي ردَّ فيهِ على الأمم ومثلهُ المؤرخ سقراط ( ك ١ ف ١٥ ) وروفينوس في تاريخهِ ( ك ١ ف ٩ ) والقديس هيرونيموس في تأليفهِ عن الكتبة الكنسيين ونيقيفوروس في تاريخهِ ( ك ٢ ف ٤٠ ) كلُّهم يؤكدون بأنَّ متى الرسول بشَّر في جهات الحبش وادَّعى المحدثون بأن اسم الحبش يُطلق أيضًا على اليمن وهو اسمٌ شاع عند القدماء فسمَّوا بهِ تلك الناحية لأنَّ الحبشة كانوا استولوا مدَّة طويلة على اليمن ولأنَّ قبائل من الحبشة كانت اجتازت من سواحل الحبش إلى اليمن وهذا القول لا يخلو من الصحَّة لأن القدماء رُبَّما دعوا أهل اليمن بالحبش منذ عهد هيرودوتس واسطرابون ( ك ١ ص ٥١ من طبعة اوكسفورد ) الاَّ أنَّ معظم الكتبة لا يسلّمون ببشارة متَّى في اليمن ويزعمون أنّ القديس بشَّر حبشة افريقية ليس عرب اليمن

---

١) اطلب دائرة العلوم الإسلامية (Encyclopédie de I'Islam, p. 383)
٢) اطلب أعمال الآباء اللاتين ( Migne, P. L., XXI, 230 )

وسبق لنا ذكر القديس برتلماوس ودعوتهُ للعرب فانَّ الكتبة القدماء كاوريجانوس واوسابيوس القيصري ( في التاريخ الكنسي ك ١ ف ١٠ ) وسقراط المؤرخ زادوا على تعريفهم للعرب بقولهم أنَّ الرسول برتلماوس بشَّر بالمسيح في الهند القريبة يريدون بها اليمن لأنَّ اسم اليمن كان مجهولاً لديهم فسمَّوها بالهند القريبة معارضةً بالهند الشرقيَّة ما وراء البحر الهندي. ثم انَّ المؤرخ فيلوسترجيوس ( ك ٢ ف ٦ ) وتاوفانوس في تاريخ سنة العالم (٦٠٦٤) وتاوفيلاكتوس ( ك ٣ ) يدعون الحميريين بالهنود. وزاد بعضهم إيضاحًا فقالوا إن برتلماوس بشَّر بني سبا. وفي الميناون المنسوب إلى الملك باسيل يقال أنهُ بشَّر هنود العربيَّة السعيدة وهي اليمن كما لا يخفى

وقد رأيت آنفًا انهم ينسبون أيضًا دعوة النصرانيَّة في بلاد العرب إلى القديس توما قبل سفرهِ إلى الأقطار الهنديَّة. وقد ارتاى هذا الرأي القديس غريغوريوس النزينزيّ في ميمره عن الرسل. ومثلهُ تاودوريطس في كتابهِ عن الأناجيل ( ك ٩ ) وبعض كتبة السريان

ومن الشواهد الجليلة التي توفقنا على دخول النصرانيَّة في اليمن منذ القرون الأولى لتاريخ الميلاد ما رواه اوسابيوس القيصري ( ك ٥ ف ١٠ ) ومثلهُ هيرونيموس (Hieron., de vir. Illustr. c. 36) عن أحد العلماء الاسكندريين في النصف الثاني من القرن الثاني للمسيح : ألا وهو پنتانوس الفيلسوف فانَّ هذا كان من الفلاسفة الرواقيين جحد الوثنيَّة وتنصَّر وعهد إليهِ دمتريوس أسقف الاسكندريَّة التدريس في مدرسة الاسكندريَّة ففعل واحرز لهُ شهرةً واسعةً بالتعليم الدينيّ وعنهُ أخذ اوريجانوس المعلم الكبير فپنتانوس المذكور نحو السنة ١٨٣ للمسيح تنزَّل عن التدريس وسافر الى الهند ليبشر فيها بالدين النصرانيّ. وقد اتفق المؤرخون على أنَّ الهند المقصودة هنا هي المجاورة لمصر اعني بلاد اليمن كما سبق

قال اوسابيوس : « فبلغ پنتانوس تلك الجهات ودعا إلى النصرانيَّة أهلها فاوقفوهُ على إنجيل مخطوط بالعبرانيَّة (١ للقديس متى كان أتى بهِ إليهم القديس

١) يراد بالعبرانية اللغة الفلسطينيَّة التي كانت شائعة في أيَّام السيد المسيح وهي من فروع الاراميَّة

برتلماوس الرسول وأودعهُ عندهم » وفي هذا القول شهادة على ما سبق بالدعوة النصرانيَّة في جهات اليمن منذ عهد الرسل

هل كان لدعوة پنتانوس في اليمن تأثير في أهل تلك البلاد ؟ ذلك أمر لا يمكن القطع بهِ وإنَّما هو محتمل بل مرجَّح ففي وجودهِ بين القوم إنجيلاً قديمًا دليل على أن النصرانية التي بشَّر بها برتلماوس الرسول لم تمت بينهم. ويؤخذ من رواية اوسابيوس أنَّ الأستاذ الإسكندري عاد إلى وطنهِ راضيًا شاكرًا لم يذهب تعبهُ سُدًى. ولعلَّهُ لم ينس أولئك الموعوظين فأَمدَّهم بمرسلين يجارونهُ في عملهِ. وكما هاجر بعض النصارى المصريين في زمن الاضطهادات إلى جهات سينا وبادية الشام على ما روى المؤرخون يجوز القول أيضًا بأن قومًا منهم هاجروا إلى اليمن لاسيَّما في عهد دقيوس وديوقلطيانوس فنشروا دينهم فيما بينهم

ومما يُستدل إليهِ من تواريخ العرب كالطبريّ وسيرة الرسول لابن هشام والمسعوديّ وغيرهم أنَّ النصرانية واليهودية أخذتا في النزاع والمخاصمة منذ أواسط القرن الثالث للمسيح. وبلغ الخصام إلى أعيان الدولة وملوكها. فيخبرون أن التبَّع أسعد أبا كرب تهوَّد على يد ربَّانيَّين من يثرب وحمل أهل رعيَّتهِ على التهوُّد وتبعهُ في أمرهِ بعض أولادهِ بعدهُ لكنّ النصرانيَّة فازت في عهد عبد كلال بن مثوب

وقيل ان عبد كلال المذكور ملك في القسم الثاني من القرن الثالث (١ منذ نحو السنة ٢٧٣ للمسيح إلى ٢٩٧ وقد جعل حمزة الأصفهاني ملكهُ ( ف ١٣١ طبعة بطرسبرج ) أربعًا وسبعين سنة. وقد اتفق المؤرخون على تدينهِ بالنصرانيَّة. جاء في القصيدة الحميريَّة

ام أَين عبد كُلالٍ الماضي على  دين المسيح الطاهر المسَّاحِ

وقال الطبريّ في تاريخهِ ( طبعة ليدن ج ١ ص ٨٨١ ) :

وملك بعد عمرو بن تبع عبدُ كُلال بن مثوّب ... فأخذ المُلكَ عبد كُلال ... ووليهُ بسنّ وتجربة وسياسة حسنة وكان فيما ذكروا على دين النصرانية الأولى وكان يسرّ ذلك من قومهِ وكان الذي دعاه إليهِ رجلٌ من غسَّان قدم عليهِ من الشام فوثبت حمير بالغسَّاني فقتلتهُ

---

١) اطلب تاريخ العرب لكوسان دي پرسفال (C. de Perceval : *Essai sur l'Hist. Des Arabes*, I, 107)

ثمَّ عاد من بعدهِ عبد كلال إلى اليهوديَّة أخلافهُ. هذا ما يُستخلص من تواريخ العرب الاَّ أنَّ هذه التواريخ سقيمة جدًّا ولاسيَّما تاريخ حمير. قال حمزة الأصفهاني ( ص ١٣٤ ): « ليس في جميع التواريخ أسقم ولا أخلّ من تاريخ الأقيال ملوك حمير »

ومما وجد من الكتابات الحجرية الحميرية في أواسط القرن الماضي (CISE. 6) كتابة فيها اسم عبد كلال وامرأتهِ ابعلي وولديهِ هني وهعلل نقشوها تذكارًا لبناية دار يدعونها « يرث » شيَّدوها « برضى الرحمان » وذلك في شهر ذي خرف من السنة ( الحميريَّة ) ٥٧٣ الموافقة للسنة المسيحيَّة ٤٥٨. فذكُر الرحمان من الأدلة على توحيدهِ أو نصرانيَّتهِ

ومن الآثار التاريخيَّة اليونانيَّة عن نفوذ النصرانيَّة في اليمن ما رواه المؤرخ الاريوسى فيلوسترجيوس من كتبة القرن الرابع وأوائل الخامس. فكان هذا من قباذوقية وكتب تاريخًا في اثني عشر كتابًا دافع فيهِ عن أعمال الاريوسيين مباشرة من السنة ٣٠٠ إلى ٤٢٥ وتاريخهُ مفقود الاَّ ما نقلهُ عنهُ فوطيوس البطريرك القسطنطيني في مكتبتهِ يبلغ نحو ثمانين صفحة (١ وممَّا رُوي هناك (٢ أن الامبراطور قنسطنيسوس ابن قسطنطين الكبير المتشيِّع للاريوسيَّة أرسل نحو السنة ٣٥٦ وفدًا من الرومان إلى الحميريين في اليمن وكان يترأس الوفد تاوفيل الهندي من جزيرة سرنديب أي سيلان. فرحل هذا إلى بلادهم ودخل على الملك وقدَّم لهُ ألطافًا وهدايا فنال لديهِ الحظوى وبشَّر هناك بالدين المسيحي واسترخص بتشييد الكنائس بل جادل اليهود الذين وجدهم في بلاط الملك واقنع الملك بالحجج الدامغة عن صحة النصرانيَّة حتى نصَّرهُ. وشيَّد تاوفيل ثلاث كنائس : الأولى في حاضرتهم ظفار والثانية في عَدَن على ساحل الاوقيانوس ( الهندي ) حيث كان ينزل الرومان للمتاجرة والثالثة في فرضة عند مدخل خليج العجم يظنونها هرمز وعيَّن للمتنصرين رئيسًا ثم رحل. هذا ما رواه فيلستورجيوس الاَّ أنَّ تشيُّعهُ للاريوسيَّة حدا به إلى القول إنَّ النصرانيَّة لم تدخل بلاد العرب قبلاً والأمر على خلاف ذلك كما رأيت. والمؤرخون يرون أنَّ

---

١) أعمال الآباء اليونان ( Migne, P. G., LXV, col. 459 -637 )
٢) فيهِ ( Ibid. 482-485 )

الأسقف الذي أمضى أعمال مجمع نيقية سنة ٣٢٥ باسم « يوحنا أسقف الهند » إنما كان أسقفًا على اليمن وقد سبق أنَّ اسم الهند كثيرًا ما أُطلق على اليمن. وكذلك قد بيَّن العلاَّمة المستشرق السنيور ك. روسيني (١ انَّ الملك قسطنسيوس لم يقصد بوفدهِ إلى ملك حمير أمرًا دينيًّا محضًا وإنما أراد أن ينهج للرومان طريقًا تجاريَّة في البحر إلى اليمن ويعقد محالفةً مع الحميريّين ضدْ الفرس وملكهم سابور الثاني. أمَّا اسم الملك المتنصِّر على يد تاوفيل في اليمن فلم يذكرهُ المؤرخ فيلسترجيوس ولعلهُ مرثد بن عبد كلال المالك على ما يظنّ من السنة ٣٣٠ إلى ٣٥٠ وقد أطرأ الثعالبيّ في طبقات الملوك حلمهُ وحبهُ للفقراء وحكمتهُ وتساهلهُ وقال عنهُ انهُ لم يشأ أن يقلق رعاياه بسبب دينهم. أو هو وليعة بن مرثد الذي تعصب أوَّلاً لليهوديَّة ثم عدل إلى النصرانيَّة. وقد جاء للفيروزباديّ ما يؤيّد نصرانيَّة هؤلاء الملوك حيث قال « انَّ كثيرًا من ملوك اليمن والحيرة تنصَّروا »

وممَّا يشهد على ثبات المعاهدة التجاريَّة المبرمة بين الرومان والعرب قانون سنَّهُ تاودوسيوس الكبير في تلك الأثناء نظَّم فيهِ أمور الوفود الراحلين إلى الحميريين والحبشة من الاسكندريَّة (٢

ومن الشهود على نفوذ النصرانيَّة في اليمن القديس هيرونيموس فانهُ غير مرَّة ذكر بين المتنصِّرين أهلُ الهند والحبشة. من ذلك رسالتهُ إلى مارسلاَّ الرومانيَّة (Migne, P. L., XXII. 489) حيث يعدّد فئات المتقاطرين لزيارة الأراضي المقدَّسة وكلهم على إيمان واحد ممَّن كان يشاهدهم ويحادثهم فجعل في مقدَّمتهم العجم والارمن وعرب اليمن ( الذين دعاهم بأهل الهند ) والحبشة. وكذلك كرَّر قولهُ في رسالتهِ إلى السيدة ليتا ( Ibid., XXII. 870 ) وخصَّ بالذكر « رهبان الهند » أي اليمن كما قلنا

وفي ترجمة القديس سمعان العموديّ التي كتبها تاودوريطس في القرن الخامس قد ذكر غير مرَّة بين الذين قصدوا القديس على عمودهِ عربَ حمير وقد رآهم تاودوريطس

---

١) اطلب أعمال أكادمية لينشاي ( Rendiconti d. reale Accademia dei Lincei, *Aprile*, 1911, p. 715 )

٢) اطلب الدستور التيودوسي (Code Théodosien IV, p. 616, *de legatis*, 1. XII, tit. XII, 2)

عيانًا قال ( Migne, P. G., LXXIV. 104 ) : « ولا يتزاحم حول سمعان أهلُ بلادنا فقط بل يأتيهِ جموع من الإسماعيليين والعجم والأرمن والكرج والحميريين » وكذلك كتب انطونيوس تلميذ القديس ( Ibid. LXXXII, 328 ) : « قد نصَّر سمعان العمودي اممًا عديدة من الشرقيين ( السراكسة ) والعجم والأرمن والاسكوتيين وذوي القبائل » . وقد صرَّح باسم تلك القبائل قدرينوس المؤلف فقال انهم « الحميريُّون »

ثمَّ انَّ النصرانيَّة لم تدخل فقط إلى اليمن من جهة الجنوب ومن بلاد الرومان ولكن نفذت إليها من جهات الشمال وخصوصًا من العراق فمن المعلوم أنَّ ملوك الفرس كانوا يسعون في محالفة ملوك اليمن ويتقرَّبون إلى أهلها ليستعينوا بهم على ردّ غارات الرومان. وكذلك ملوك اليمن والحبشة رُبَّما أوفدوا الوفود إلى ملوك العجم ليبرموا معهم المعاهدات كما روى المؤرخون (١

وكانت القوافل تسير ذهابًا وإيابًا من العراق إلى اليمن ومن اليمن إلى العراق فالنصرانيَّة التي كانت بلغت في الشمال مبلغًا عجيبًا ما كانت لتهمل هذه الوسائط لنشر الدين المسيحي في الجنوب. ومن التقاليد الشائعة عند الكلدان ان رسولَي الكلدان الأوَّلين ادي وماري سارا أيضًا إلى بلاد العرب سكَّان الخيم وإلى نجران وجزائر بحر اليمن (٢

وجاء في المصحف الناموسي ( ص ١٨ ) : « وبشَّر الجزيرة والموصل وأرض السواد كلها وما يليها من أرض التيمن كلها وبلاد العرب سكَّان الخيم وإلى ناحية نجران والجزائر التي في بحر اليمن ماري الذي من السبعين » . وإلى هذه البشارة في اليمن أشار القديس أفرام في القرن الرابع حيث قال في أحد ميامرهِ : « جاءَت ملكة التيمن ( سبأ ) إلى سليمان ونالت من نورهِ شعلةً استضاءَت بها وبقيت تلك الشرارة مخبوَّة تحت الرماد إلى أن ظهرت شمس العدل السيد المسيح فاتقدت تلك الشرارة حتى أصبحت نجمًا باهرًا ينير اليوم تلك الأنحاء »

---

١) اطلب منشورات لند السريانية ( Land : *Anecdota Syriaca*, II, 76 et seqq )

٢) اطلب كتابي فطاركة كرسي المشرق لسليمان بن ماري ( طبعة رومية ص ٢ ) والمجدل لعمرو بن متى الطيرهاني ( ص ١ )

وما لا ينكر أن النساطرة كانوا انتشروا في تلك البلاد قبل الإسلام وانشأوا عدَّة كنائس وكان لهم فيها أساقفة اتوها من قبل جثالقة المشرق أصحاب كرسي المدائن وبقوا فيها بعد الإسلام مدَّة كما سيأتي. وقد ارتأى العلاَّمة دي ساسي في احدى مقالاتهِ (١ انَّ نصارى الشمال من أهل العراق كانوا يتردّدون إلى اليمن وانَّهم ادخلوا بين اخوانهم في الدين الكتابة السريانيّة بدلاً من الخطّ المسند الشائع هناك قبلهم. وقد روى السمعاني في المكتبة الشرقيَّة (Assemani. BO. III$^2$, 603) انَّ اللغة السريانيَّة كانت دخلت في جهات عديدة من اليمن. وكذلك ذكر المؤرخ فيلسترجيوس أنَّ في زمانهِ كانت مستعمرات أخرى سوريَّة احتلَّت سواحل افريقية بازاء بلاد العرب وانَّ أصحابها كانوا يتكلَّمون بالسريانيَّة. وقد جاء في كتاب كشف الأسرار في بيان قواعد الأقلام الكوفيَّة « ان القلم الكوفي كان يُدعى بالسوري » ولعلهُ أراد بذلك شبههُ بالقلم السرياني. وقال هناك أنَّ « آل طسم وقحطان وحمير » كانوا يكتبون بهِ

*

ومن أعظم الشواهد التي أثبتها العرب على دخول النصرانيَّة في اليمن ما رواهُ الطبريّ في تاريخهِ (٢ وياقوت في معجم البلدان ( ٤ : ٧٥٢ ) وابن خلدون في كتاب العبر (٢ : ٥٩) وابن هشام في سيرة الرسول ( ص ٢٠ ) وغيرهم أنَّ أهل نجران وهي من أمّهات مدن اليمن تنصروا جميعهم. وقد ذكروا الخبر في كلام طويل خلاصتهُ أنَّ رجلاً من بقيَّة أصحاب الحواريين يقال لهُ فيميون وقالوا قيمون وقالوا ميمون (٣ من أفضل الناس عبادة واعرقهم في أعمال الصلاح كان سائحًا تجري على يديهِ الكرامات والمعجزات وصل في سياحتهِ إلى بلاد غسَّان فتبعهُ رجلٌ من أهل الشام اسمهُ صالح فتوغَّلا في بلاد العرب ثم اختطفتهما سيَّارة وباعوهما بنجران وأهلها حينئذٍ من بني الحارث بن كعب المنتمين إلى كهلان يعبدون العزَّى على صورة النخلة.

---

١) اطلب ( Mémoire des Inscript. et Belles-Lettres, t. 50, p. 266 )

٢) اطلب تاريخهُ ( طبعة ليدن ) ج ١ ص ٩١٨

٣) وفي تاريخ فطاركة المشرق لسليمان بن ماري ( ص ٣٣ ) انهُ كان يُدعى حيَّان كان أصلهُ من نجران تنصَّر في الحيرة على يدهِ خلقٌ من حمير والحبشة

فأوقف فيميون سيِّدهُ على بطلان الشرك بما صنع لديهِ من الآيات ولاسيَّما إذ دعا ربَّه في يوم عيد العزَّى فارسل الله ريحًا جعف النخلةَ من أصلها فعرف أهل نجران صحة دينهِ ودانوا بدين المسيح. وجعل فيميون عليهم رئيسًا أحد أشراف المدينة عبد الله بن الثامر ورعاهم أسقفٌ كان يُدعى بولس

وأقام أهل نجران على دين المسيح حتى دعاهم إلى اليهوديَّة أحد ملوكهم اسمهُ ذو نوَّاس كان متعصبًا لدين اليهود فأبى النجرانيون اتّباعهُ في ضلالهِ وكان رئيسهم إذ ذاك اسمهُ الحارث واستعدُّوا للدفاع عن بلدهم الاَّ انَّ ذا نوَاس دخلهُ بالمكر وحفر أخاديد ( أشار إليها في القرآن ) اضرمها نارًا وألقى فيها على ما روى ابن اسحاق عشرين ألفًا من النصارى أو يزيدون ماتوا في سبيل إيمانهم مع الحارث رئيسهم

على أنَّ الخبر لم يلبث ان نما إلى قيصر الروم بواسطة رجل من أهل نجران فرّ هاربًا اسمهُ دوس ذو ثعلبان فاستنصرهُ على ذي نوَاس فامر القيصر النجاشيَّ أَلِصْبان ملك الحبشة بمحاربة اليهودي ففعل وأرسل جيشًا مع أرياط وإبرهة الأشرم فناجزوهُ القتال وظفروا ببلادهِ ومات الطاغية غرقًا. واتمَّ الحبشة فتح اليمن فملكوا عليها أكثر من نصف قرن كان أوَّل ملكهم ارياط (٥٢٥) ثم ابرهة الاشرم ( ٥٣٧ ـ ٥٧٠ ) ثمَّ ابنهُ يكسوم ( ٥٧٠ ـ ٥٧٢ ) ثمَّ مسروق ( ٥٧٢ ـ ٥٧٥ ). امَّا الملوك الحميريُّون فبعد موت ذي نوَاس حاول أحدهم المسمَّى ذو جدن ان يضبط زمام الملك لكنهُ قُتل في حرب الحبشة ولم يعودوا إلى الملك الاَّ في زمن سيف ابن ذي يزن الذي استعان بالفرس واخرج الحبش من اليمن وملك هو وابنهُ معدي كرب. ثمَّ انَّ الفرس لم يلبثوا أن يمدُّوا سيطرتهم على تلك البلاد وجعلوا عليها عُمَّالاً كان أوَّلهم وهرز (٥٩٧) ثمَّ بَذْهان وفي زمنهِ فتح المسلمون نواحي اليمن

هذا ملخَّص ما جاء في تواريخ المسلمين وقد أيَّدتهُ في أمورهِ الجوهريَّة التواريخ اليونانيَّة والسريانيَّة كتاريخ الحرب الفارسية لپروكوپيوس الغزّي ( rocop., *de Bello Pers*. I, c. 20) وتاريخ يوحنَّا المعروف بأسقف آسية ( Assemani, BO, II, 83 ) وتاريخ تاوفانوس ( ج ١ ص ٣٤٦ من طبعة بونَّا ) وتاريخ يوحنَّا ملالا (ص ٤٣٤ من الطبعة عينها) فكلّ هؤلاء ذكروا أمور الحبشة وما جرى من الحروب بين ملكها وملك حمير اليهودي بسبب قتلهِ لنصارى نجران. وفي رواياتهم بعض افادات

عن ذي نـوَاس الـذي يدعونـهُ دمنـوس أو دميـانوس وعـن القيصـر يوسـتينوس الـذي انتصـر للمظلـومين وبعـث الحبشـة لمحاربـة ملـك الـيمن. وكـان علـى الحبشـة ملـك يدعونـهُ أَليسـابوس (Elesbaas) أو أَلِصْـبان وصـحفهُ غيـرهم باليسـتاوس مـن أحكـم الملـوك وأعـرقهم فـي الـدين النصرانيّ. وهم يقولون انَّ أسقف نجران المدعو بولس كـان تـوفّي قبـل هجـوم ذي نـوَاس عليهـا وانَّ الملك اليهودي بعد ظفرهِ بنجران انتهك حرمة قبرهِ

أمَّـا استشـهاد أهل نجـران علـى عهـد ذي نـوَاس فقد وصـفهُ المعاصـرون منـهم شـمعون أسقف بيت ارشـام الـذي سمع فـي العـراق الخبـر مـن شـهود عيـانيين فدوَّنـهُ فـي رسـالة نشـرها السمعانيّ في المكتبة الشرقيَّة ( BO, I, 364-79 ). وكذلك ليعقوب الرهاوي فيهم ميمر نشرهُ الاب بيجان ( Acta Martyrum I. 372-97 ) ثمَّ نشر البولنديُّون أعمـالهم فـي اليونانيَّـة عن نسخة قديمة في تاريخ ٢٤ ت١ ( Act. SS. X, Oct. 750-780 ) وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسخة عربيَّة من هذه الأعمال نقلناها عن مخطوط قديم

ومـن الآثـار الكتابيَّـة التـي نُشـرت حـديثًا واتتنـا بفوائـد جديـدة عن دخـول النصـرانيَّة فـي نجران أعمال القديس « ازقير » بالحبشيَّة من مخطوطات خزانة الكتب الشرقيَّة في لندن فنشرها لأوَّل مـرَّة الاسـتاذ الإيطـالي المفضـال كنتـي روسّـيني (١ وخلاصـتها انّ « ازقيـر » كـان كاهنًـا نصرانيًا دعا إلى دينهِ أهل نجران فأمر الملك شرحبيلُ بن ينكف بحبسهِ لكنـهُ نجـا مـن الحـبس وعمَّد كثيرين وتبعهُ رجلٌ يدعونهُ قرياقوس واجتمعت عليهِ اليهود ففنَّد أقوالهم جهـارًا وقُضـي لمجادلتهِ آخرًا بقطع الرأس مع ٣٨ آخرين وعيدهُ فـي الكلنـدار الحبشـي واقـع فـي ٢٤ مـن شـهر خدار ( ٢٠ ت٢ )

فكلّ هذه الآثار بيَّنت انتشار النصرانيَّة في اليمن. ولم يزدها اضطهاد ذي نوَاس واليهود الاَّ نموًّا لأنَّ ملك الروم ونجاشـي الحبش القديس أَلصـبان مـا فتئـا ان أرسـلا جنـودًا إلـى الـيمن انتقمت للمظلومين وكسرت شوكة اليهود في تلك الأنحاء

وقد أتتنـا فـي هذه الحقبـة الأخيـرة شـواهد جديـدة غير منتظرة أَلا وهـي كتابـات يونانيَّـة وحبشيَّة وحميريَّة اكتشفها الاثريُّون وهي تبيّن ما كان من النفوذ للحبشة في

---

١) اطلب مجلة لينشـاي (Rendic. d. reale Accad. d. Lincei, 1910, ser, V., vol. XIX p. 705-750) ويظن الكاتب انَّ ازقير هذا هو فيمون والله اعلم

بلاد اليمن. « فاليونانية اكتشفها في اكسوم الرحَّالة الانكليزي هنري سَلْت ( H. Salt ) كتبها « أَيْزن ملك اكسوم والحميريين وريدان والحبش والصابئة وزيلع وتهامة وبغيث وتوقال ملك الملوك ابن الإله المرّيخ غير المغلوب » يصف فيها انتصارهُ على أعدائهِ البغيثيين. وتاريخ هذه الكتابة أواسط القرن الرابع يظهر منها أنَّ ملوك الحبشة الوثنيين كانوا استولوا مدَّة على اليمن والحميريين

ومن الكتابات الحبشيَّة كتابة وقف عليها المرسل الإيطالي يوسف ساپيتو (G. Sapeto) في أكسوم أيضًا ثمَّ نشرها وفسَّرها وهي للملك النصراني « تازينا ابن الاعَميدا ملك اكسوم وحمير وريدان وسبا الخ » افتتحها بذكر الاسم الكريم « خالق السماء والأرض الرب الأزلي » . وكان تازينا المذكور مالكًا نحو السنة ٥٠٠ ومن كلامه يظهر انَّ ملوك الحبشة لم يزالوا باسطين سيطرتهم على الحميرين. ولا غرو انَّ نصرانيَّتهم أَثرت بدين الحميريين الوثنيين واجتذبت منهم قومًا إلى المسيحيَّة

امَّا الكتابات الحميريَّة فأعظم شأنًا واخطر بيانًا لتاريخ النصرانيَّة اكتشفها في أنحاء اليمن رجالٌ ذوو حزم لا يهابون الأخطار دخلوا في هذه السنين الأخيرة إلى أقاصي اليمن ونقلوا ما كانوا يراقبونهُ من الكتابات الحميريَّة الكاشفة لأسرار التاريخ اليمني. أشهرهم العلماء يوسف هالوي ( J. Halévy ) وادورد گلازر ( Ed Glaser ) فأتوا من اليمن بمئات من الآثار الكتابيَّة بينها كتابات حميريَّة تفصِّل محاربة الحبشة لذي نوَاس وظفرهم باليمن. وتاريخ هذه الكتابات هو تاريخ حمير الواقع سنة ١١٥ للمسيح. فمن جملة تلك المآثر التاريخيَّة كتابة تُنسب إلى حصن الغراب وجدها گلازر (١ فنشرها وهي « لسميفع اشوع » (٢ أقامها في ذي الحجة سنة ٦٤٠ ( أي ٥٢٥ للمسيح ) تذكارًا لدخول الحبشة في بلاد حمير بعد انتصارهم على ملكها ( ذي نوَاس )

ومنها كتابة أخرى تاريخها سنة ٦٥٧ و ٦٥٨ ( أي ٥٤٢ ـ ٥٤٣ ) ورد فيها ذكر انفجار سدّ مأرب وهو من أجلّ الحوادث التاريخيَّة كان العلماء يرقُّونهُ استنادًا إلى مؤرخي العرب إلى القرن الثاني للمسيح فثبت الآن انهُ جرى في أواسط القرن

---

١) اطلب كتابهُ الحبشة في بلاد العرب وفي إفريقية ( E. Glaser : *Die Abessinier in Arabien u. Afrika*, p. 113 )

٢) هذا الاسم صحفهُ اليونان باميسيفاوس

السادس. والكتابة قد نُقرت في الصخر بأمر ابرهة الملك الحبشي أوّلها : « بقوَّة ونعمة ورحمة الرحمان ومسيحهِ وروحهِ القدوس قد أمر برسم هذه الكتابة أبرهة الحاكم (على اليمن) باسم الملك الكيزي ( الحبشي ) رمحيس ذو بي يمن ملك سبا وذي ريدان وحضرموت ويمانات والعرب الذين في الجبال والسهول » . ومما قال هناك : « ونحن على ذلك إذ بلغنا خبر تهدُّم السدّ والخزَّان والحوض والمَصْرف في شهر ذي المدرح سنة ٦٥٧ ... » ثمَّ أردف ابرهة قولهُ : « فارسلت إلى القبائل لتنفذ الحجارة والاخشاب والرصاص لترميم السدّ في مأرب ... ثم توجَّهتُ إلى مأرب وبعد أن صلَّيتُ في كنيستها عمدتُ إلى ترميم السدّ فعزلوا الانقاض حتى وصلوا إلى الصخر وبنوا عليهِ » . ثمَّ يذكر تأخُّر العمل لسأم بعض القبائل عن الشغل وكيف حالف أبرهةُ اقيالَ اليمن وقابل وفود ملوك الروم وفارس والحيرة ( المنذر ) وغسَّان ( الحارث بن جبلة وأبي كرب بن جبلة ) وغير ذلك ممَّا يفيدنا علمًا عن أخبار العرب وفوز ابرهة بقبائلهم سنة ٦٥٧ للحبش ( ٥٤٢ م ). ثمَّ عاد إلى وصف ترميم سدّ مأرب فقال : « فرَّمموهُ ووسَّعوهُ حتى بلغ طولهُ ٤٥ ذراعًا وارتفاعهُ ٣٥ ذراعًا » ثمَّ فصل هناك ما انفق على العمل من الحجارة والأطعمة للعملة إلى أن ختم الكتابة بقولهِ إنَّهم « انتهوا من العمل في شهر ذي معان سنة ٦٥٨ (٥٤٣) (١) »

ولعلَّ هذا السدّ كان انفجر قبل ذلك غير مرَّة ورُمم إلاَّ أنَّ اخبار العرب تنطبق خصوصًا على هذا الحادث الأخير. وإنما خلطوا في أقوالهم خلطًا عجيبًا وكفى بهِ استدلالاً على ضعف رواياتهم التاريخيَّة التي لا يمكن التسليم بصحتها الاَّ بعد النقد والنظر المليّ

لا غرو أنَّ النصرانيَّة في مدَّة ملك الحبشة على اليمن بلغت أقصى النجاح والتقدُّم. لنا على ذلك شواهد تاريخيَّة عديدة وكان أوَّل ما باشر بهِ الحبش أن جعلوا نجران كقُبلة الدين النصراني بعد أن اصطبغت بدماء أهلها الشهداء فأقاموا فيها مزارًا كان العرب يصدونهُ من كلّ صوب وكانوا انفقوا عليهِ القناطير المقنطرة ليزينوهُ بأنواع

---

١) اطلب كتاب مردتمان في الكتابات الحميرية ( Mordtmann : *Himjar. Inschriften*, Berlin 1893 ) وكتاب مولّر في مدن اليمن وقصورها ( Müller: Bürgen *u. Schloesser*, Wien 1881 )

الحليّ. وهذا المزار قد شاع ذكرهُ عند العرب فدعوهُ (( كعبة نجران )) أو (( كعبة اليمن )) وضربوا بحسنهِ المثل وإليهِ أشار الأعشى في بعض أبياتهِ حيث قال يكلم ناقتهُ :

وكعبة نجرانَ حتمٌ عليكِ حتى تُناخيْ بأبوابها
تزورُ يزيدًا وعبد المسيح وقيسًا هم خيرُ أربابها
إذا الحبرَات تلوَّتْ بهم وجرُّوا أسافلَ هدَّابها

يريد بني عبد المدان الذين كانوا يتولون أمرها وهم من أعيان بني الحارث بن كعب وأعرقُ الناس في النصرانيَّة. وممَّن طبَّقت أخبارهُ أقاصي العرب في ذاك الوقت خطيب مصقع ضربت العربُ المثل في بلاغتهِ نريد القسّ بن ساعدة أسقف نجران وقد جمعنا في شعراء النصرانيَّة ( ص ٢١١ ـ ٢١٩ ) ما رواهُ الكتبة العرب عنهُ وعن يزيد بن عبد المدان النجرانيّ ( ص ٨٠ ـ ٨٨ )

ومما يعود فضلهُ إلى الحبشة كنيسة عظيمة جمعوا فيها ضروب المحاسن وانفقوا عليها المبالغ الطائلة بنوها في حاضرة ملكهم صنعاء لا تزال حتى اليوم تُرى بقاياها في جامع هذه المدينة وكانوا زيَّنوها بكل أصناف الزين والتصاوير وضروب الفسيفساء وهي الكنيسة التي عرفها العرب بالقُلَيس (١ وذكروها في تواريخهم ووصفوها في كتبهم ( اطلب مجموعنا مجاني الأدب ج ٣ ص ٣٠٢ وكتاب الأغاني ٢ : ٧٥ ) فما لبثت أن جذبت إليها الجماهير المجمهرة حتى نسي الوثنيون قصر غمدان القريب منها وأصنامه الصابئيَّة

وكما فعلوا في صنعاء أقاموا أيضًا في ظفار كنيسة أخرى جليلة كانت آيةً في الحسن والجمال. وكان المتولّى تدبير هذه الكنيسة أسقف شهير يدعى جرجنسيوس اتَّخذهُ ملك الحبشة كمستشارهِ ومساعدهِ لتنصير الحميريين فما ألا جهدًا في ذلك وقد ترك لنا من آثارهِ كتاب شرائع الحميريين التي تُرى ترجمتُها اليونانيَّة في مجموع الآباء اليونان لمين Migne, P. G., T. ) ( 86, col. 567-620 وكان يجادل اليهود ويردّ على مزاعمهم ولهُ جدال مع هربان الربَّاني صبر أيضًا على آفات الدهر باليونانيَّة ( Ibid., col. 621-783 ) ولدينا منهُ ترجمة عربيَّة

---

١) القليس مشتقَّة من اليونانيَّة ( Ἐκκλησία ) ومعناها الكنيسة

ولنا حتى اليوم دليل حسّي على تأثير نصرانيَّة الحبشة في العرب ألاّ وهو ما دخل في اللغة العربيَّة من الألفاظ الدينيَّة الحبشيَّة بعضُها حبشيّ الأصل كالمِنْبر والمِصْحَف والحَواريّ والمنافق والفاطر ( أي الخالق ) والجِبْت ( أي الصنم ) والشيطان والزَّار. وبعضها يوناني او سريانيّ أو عبراني لكنَّهُ دخل في العربيَّة بواسطة الحبش كما تدلُّ عليهِ صورتهُ الحاضرة كالإنجيل وجهنم والتابوت والقلم والحرم والجنّ والرقية. وللعلاَّمة المستشرق نولدك بحث خصوصيّ في هذه الألفاظ (١

وكان شيوع الخطّ المُسنَد وهو الخطّ الحميري في بلاد العرب بفضل الحبشة واشتقاقهُ من الخطّ الحبشي القديم ظاهر. نقلوهُ إلى اليمن في التاريخ السابق للميلاد ثم استعملوهُ في كتاباتهم الحجريَّة إلى ظهور الإسلام قال ياقوت في معجم البلدان ( ٤ : ١٧١ ) عند وصفهِ كنيسة القُلَيْس ان ابرهة كان كتب على بابها بالمُسْنَد : « بنيتُ هذا لكَ ( اللهمَّ ) من مالك ليُذكر فيهِ اسمك وأنا عبدك »

وفي مدَّة ولاية الحبش على اليمن رحل إلى الهند قسما الرحَّالة (Cosmas Indicopleustes) نحو السنة ٥٣٥ فعدَّد ما وجدهُ من الكنائس في طريقهِ وانتشار النصرانيَّة في أواسط الشرق وأقاصيهِ وقد خصَّ بينها بلاد اليمن حيث قال ما تعريبهُ (٢ : « انك حيثما سرتَ تجدْ كنائس للنصارى وأساقفة وشهداء وسيَّاحًا حتى بين أهل عربيَّة السعيدة الذين يُدْعَون بالحميريين كما في كلّ العرب أيضًا وبين النبط وبني جرم ... »

وان سأل السائل أكانت النصرانيَّة في اليمن مستقيمة خالية من البدع. الجواب انَّهُ من المرجَّح انَّ دينهم كان في أوَّل الأمر خالصًا من كلّ شائبة وكاثوليكيًّا محضًا لأن الإمبراطور يستينوس وخلفهُ يستنيانوس لحسن ديانتهما ما كانا ليسمحا للحبش أن ينشرا في بلاد العرب غير الإيمان الارثذكسيّ الموافق لتعليم المجامع الأربعة الأولى. يثبت ذلك تكريم الكنيسة لملك الحبشة أَلِصْبان الذي كان مالكًا في وقت فتح الحبشة لليمن ثمَّ جلوس جرجنسيوس على كرسي أساقفة صنعاء وهو قديس تكرمهُ الكنيسة لقداستِه. وإنَّما يظهر أيضًا أنَّ بدعة أوطيخا

---

١) اطلب Th. Noeldeke *: Neue Beitraege z. semit. Sprachwissenschaft*

٢) اطلب مجموع آباء اليونان ( Migne, P. G., t. LXXX, col. 169 )

سرت إلى جهات اليمن وكدَّرت صفاء إيمانهم فانَّ الحبشة في القرن السادس جنحوا إلى تعاليم اليعاقبة فلا بُدَّ أن أضاليلهم انعكس صداها إلى العرب. لكنَّ المؤرخين اليعاقبة قد بالغوا في ذكر شيوع هرطقتهم بين أهل اليمن كما يُستدلّ من تاريخ يوحنَّا الآسيويّ (١ وكما نقلهُ ابن العبري في تاريخ مختصر الدول ( ص ١٤٨ )

على أنَّ العُنصر العربيّ وسلالة ملوك اليمن لم يعودوا يطيقون نير الأجانب عليهم لاسيَّما بعد موت أبرهة وتملُّك ابنيهِ يكسوم ومسروق على حمير إذ تشدَّدا على الوطنيين وأساءَا إليهم الصنع فأخذ امراء حمير يطلبون لهم وسيلة لينجوا من الحبشة. وكان مقدَّمتهم سيف بن ذي يزن فاستنجد بملك الروم وطلب منهُ جيشًا ليُخرج الحبش من جزيرة العرب فلم تلقَ دعوتهُ اذنًا صاغية فعدل إلى كسرى ملك العجم فنصرهُ بجندٍ من صعاليك دولتهِ تحت قيادة رجل اسمهُ وهرز فظفروا بالحبشة وبدَّدوا شملهم وملك سيف بن ذي يزن لكنَّ ملكهُ لم يدم زمنًا طويلاً إذ فتك بهِ بعض الحبشة فخلفهُ ابنهُ معدي كرب. ولم يلبث العجم ان استولوا على اليمن فارسلوا عمَّالاً يحكمون باسمهم كان أولهم وهرز المذكور ثمَّ خلفهُ باذان وفي عهدهِ صارت اليمن في أيدي المسلمين

أمَّا النصرانية فانَّها لم تمت بنفي الحبشة بل بقيت في عزّها إلى ظهور الإسلام ولعل سيف بن ذي يزن عينهُ كان يدين بها يؤيدهُ ما وقفنا عليهِ في أحد مخطوطات باريس العربية وهو كتاب انساب العرب لسلمة بن مسلم ( Suppl. Pari, 2866 ) في الصحيفة ٩٧ حيث قال ان سيف بن ذي يزن دخل على القيصر ومال إلى النصرانية. والحقّ يقال انهُ ما كان ليلوذ بالقيصر ملك الروم النصرانيّ لو دان هو باليهوديَّة كذي نوَاس وكذلك قد مدحهُ الشاعر النصرانيّ اميَّة بن أبي الصلت بقصيدتهِ الشهيرة التي أوَّلها :

لا يطلبُ الثار الاَّ كابن ذي يزنٍ  في البحر خيَّم للأعداء أحوالا

ولا شيء في هذه الأبيات يُشعر بيهوديَّة سيف. لو عرف أهل نجران وعرب النصارى في اليمن أنَّ ابن ذي يزن من أنصار لليهوديَّة لما مكَّنوهُ من الملك

---

١) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني ( Assemani ; BO, II, 381-386 )

وعلى ظِنّنا أنَّ نساطرة العراق انتهزوا فرصة دخول الفرس في اليمن لينشروا هناك بدعتهم ولعلَّهم كانوا سبقوا إلى بثِّها قبل ذلك فعزَّزوها. وفي تواريخ النساطرة ما يصرّح بانتشار تلك البدعة في جنوبي العرب ومقاومتهم لليعاقبة. وفي كتاب الأغاني ( ١٠ : ١٤٨ ) انَّ عشرة من أساقفة نجران قدموا على نبيّ المسلمين وجادلوهُ فدعاهم إلى المباهلة ولعلَّ منهم من كان نسطوريًّا وكان حينئذٍ رئيسًا على نجران رجل اسمهُ السيد (١ فأُعطي الأمان هو وقومهُ

ولكن النصارى بعد فوز الاسلام أخذوا يضعفون في اليمن شيئًا فشيئًا ولاسيَّما بعد أن أمر عُمَر بإخراجهم من الجزيرة استنادًا إلى حديث يعزونهُ إلى محمَّد هذا منطوقهُ: « لأُخرجنَّ اليهود والنصارى عن جزيرة العرب حتى لا ادع فيها إلاَّ مسلمًا » . والظاهر انَّ هذا لم يتمّ بالحرف فانَّ لدينا عدَّة شواهد على وجود النصارى في اليمن في أيَّام الخلفاء فمن ذلك ما ورد في أعمال طيموتاوس الكبير بطريرك النساطرة انَّهُ سام اسقفًا على نجران وصنعاء اسمهُ بطرس في أواخر القرن الثامن (٢ وجاء في كتاب الفهرست لأبي الفرج بن النديم (ص ٣٤٩) ان المؤَلف اجتمع براهب من نجران في اليمن يدعى حسَّان كان انفذهُ جاثليق النساطرة إلى الصين فعاد منها سنة ٣٧٧ ( ٩٨٨ م ) واخبرهُ بعجائبها

وجاء في تقويم الكنائس النسطوريَّة الذي طبعهُ الخوري بطرس عزيز الكلداني (واليوم مطران سلمست في العجم) عن بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقية ( ص ٧ ) في الحاشية انَّ البطريرك يوحنَّا الخامس أرسل كتابًا إلى حسن قسيس اليمن سنة ٩٠١ م يجاوب فيهِ على ٢٧ سؤالاً ألقاها عليهِ. وقال في الجدول انَّ في سنة ١٢١٠ للمسيح كان في صنعاء اليمن خمسة أساقفة للنساطرة. الأوَّل مطرابوليط على صنعاء اسمهُ اسطيفانوس وتحت يدهِ ثلاثة أساقفة ايليا وياولاها وشمعون لهم ثلاث كنائس وعدد المؤمنين عندهم ٥,٧٠٠. ثم كان اسقف لمدينة زبيد اسمهُ عبد يشوع وعدد المؤمنين فيها ٢١٠٠ بيت. ثم ذكر نجران وقال انَّ في سنة ١٢٦٠ كان لها أسقف يدعى يعقوب وانَّ في أنحائها كان ١٤٠٠ بيت من النساطرة. وقال عن

---

١) اطلب التاريخ الكنسي لابن العبري ( Barhebræus : *Chron. Eccl.*, II, p. 116 )
٢) اطلب مكتبة السمعاني ( BO. IV, 609 )

عدن انها كان يوجد فيها سنة ١٢٥٠ م اسقف اسمهُ ميلو وانَّ جماعة النساطرة كانت ١٣٠٠ بيت الاَّ أنَّ أكثرهم قُتلوا بالسيف أو عدلوا إلى الإسلام. هذا ما نقلناهُ عن هذا الأثر الذي لم يمكنَّا أن نقابلهُ على غيرهِ لنتأكَّد صحَّتهُ

وفي القرن السادس عشر ذكر الكاتب الاسباني اوردينو دي سينالتوس (Ordeno de Cenaltos) انهُ في رحلتهِ إلى المغرب لقي بعض قبائل عربيَّة احتفت بهِ وأكَّدت لهُ انَّ أصلها من قبائل نصارى العرب في اليمن. وقد أخبرنا المرسلون الكبوشيون في عدن سنة ١٨٥٩ انَّهم وجدوا في بعض أهل اليمن آثارًا مسيحيَّة ظاهرة ورثوها من أجدادهم النصارى

## الباب السادس
## النصرانية في حضرموت وعمان واليمامة والبحرين

انَّ بلاد حضرموت وعمان واليمامة والبحرين مجاورة لليمن فكان ملوك اليمن إذا قويت شوكتهم طمحوا إليها بالأبصار وادخلوها في سيطرتهم. الاّ انَّ أخبار تلك الجهات نادرةٌ جدًّا لا يُعرف الاَّ القليل من أمورها السياسيَّة والأدبيَّة والدينيَّة

﴿ حضرموت ﴾ ومنها بلاد مَهْرة ما وقع من جزيرة العرب شرقي اليمن بين اليمن وبحر الهند. روى ابن خلدون في تاريخهِ (١ اسماء دولة مستقلة ملكت عليها بعد المسيح إلى أيّام الحبشة فلمَّا صارت اليمن في حوزة الحبش ملكوا أيضًا حضرموت ولذلك لم يذكر ابن خلدون لحضرموت امراء بعد دخولهم إلى اليمن فنوَّه بسكوتهِ إلى أنَّها دخلت في حكم الحبش. فلا بُدَّ اذن من أن يُقال أنَّ النصرانيَّة دخلت أيضًا في حضرموت مع أولئك الفاتحين بل دخلت قبلهم والدليل عليهِ انَّ قسمًا كبيرًا من كندة كانوا يسكنون في حضرموت (٢ ومعلوم انَّ النصرانيَّة كانت الديانة الغالبة على كندة كما سترى

ثمَّ انهُ كان لحضرموت عدَّة مدن ساحليَّة ذكرها بطلميوس الجغرافيّ (٣ كانت

---

١) اطلب تاريخهُ المطبوع في مصر ( ٢ : ٢٥٢ )
٢) فيهِ ( ٢ : ٢٥٣ )
٣) اطلب جغرافيَّتهُ ( ك ١٦ ف ٤ ) ثم كتاب گلازر ( Ed. Glaser : *Skizze d. Geschichte u. Geogr. Arabiens* 88-89 )

تُقام فيها أسواق تجارية تقصدها الروم وغيرهم فكان أهل حضرموت يختلطون بتجار النصارى القادمين من أنحاء شتى فيدينون بدينهم. وكان يسكن بعض هؤلاء النصارى الجزائر المجاورة التي لدينا شواهد على نصرانيتها قبل الإسلام بزمن مديد. قال قزما الرحّالة (Cosmas, P. G., T. 88, col. 169) : « وفي جزيرة تاپروبانا التي يدعوها أهل الهند سيدليبا ( وهي سيلان ويدعوها العرب سرنديب ) في بحر الهند كنيسة للنصارى مع عدد من الاكليريكيين والمؤمنين. وكذلك في مالي ( ملبار ) حيث يُجنى الفلفل. وفي جزيرة كاليانا اسقف يُسام في العجم ويُرسل إليها. وفي جزيرة ديوسقريدس ( وهي سقطرى القريبة من سواحل العرب ) كذلك اكليريكيون يُرسمون في العجم وهناك جمٌّ غفير من النصارى ... وخدمة الدين النصراني في تاپروبانا يُرسلون أيضًا بعد سيامتهم »

وما يدلُّ على علاقات هؤلاء النصارى مع سواحل العرب ما قرأناهُ في كتاب سلمة بن مسلم العوتبيّ الصحاريّ في انساب العرب الذي مرَّ ذكرهُ ( ص ١٠٦ ) عن مهرة وسقطرى:

وبجزيرة سقطرى من جميع القبائل من مهرة وهي جزيرة طولها ٣٠٠ فرسخ وبها العنبر السقطري... وكان أهلها من أولاد الروم فدخلوا في نسب القُمْر من مهرة وهم معروفون. ( قال ) وبها عشرة آلاف مقاتل كانوا نصارى وذلك انهم يذكرون انَّ قومًا من بلد الروم طرحهم بها كسرى فعمروا بذلك الموضع حتى عبرت إليهم مهرة فغلبت عليهم وعلى الجزيرة. ( قال ) وقد يقولون انهُ لم يكن بها رهبانيَّة على دين الروم من النصرانيَّة ثمَّ دخلتها الشراة من مهرة وحضرموت وقتلوا من بها

وقد بقي قوم من النصارى في سقطرى حتى القرن السادس عشر كما ورد في رسالة للقديس فرنسيس كسفاريوس كتبها عند سفرهِ إلى الهند وكان نزل إلى سقطرى ورأى فيها بقايا النصرانيَّة فالحُّوا عليهِ بان يسكن عندهم فلم يمكنهُ الأمر

ويثبت انتشار النصرانيَّة في حضرموت ما جاء في كتاب طبقات ابن سعد في فصل الوفادات فذكر وفد حضرموت واورد قول أحد الوافدين اسمهُ كُليب بن اسد :

انت النبيّ الذي كنّا نُخَبَّرهُ وبشَّرتنا بك التوراة والرسلُ

فكفى بهذا دليلاً على وجود النصرانيَّة في حضرموت (١

---

١) اطلب ( Wellhausen : *Skizzen u. Vorarbeiten*, IV, 178 )

﴿ عُمَان ﴾ شمالي حضرموت واقعة على شواطئ بحري الهند والعجم وحاضرتها صُحار وكانت النصرانيَّة دخلت إليها بواسطة دُعاةٍ اتوها من العراق. وفي التواريخ الكلدانيَّة (١ أسماء أساقفة كانوا في عمان منذ القرن الخامس وهم يدعونها مَزُون كما دعاها أيضًا العرب ونبَّه إليهِ ياقوت في معجم البلدان ( ٤ : ٥٢١ ) فممَّن ذكروهُ يوحنان سنة ٤٢٤ وداود (٥٤٤) وشمويل (٥٧٦) واسطفان (٦٧٦)

وفي جملة الرسائل التي بعث بها رسول الاسلام إلى الملوك رسالة وجَّهها إلى ملك عُمَان المسمَّى جَيْفر بن الجلندى من ازد عمان كان نصرانيًّا هو وأخوهُ عبَّاد ويقال عَبْد وعُبَيْد. فنصرانيَّة الملك تشير إلى نصرانيَّة البلاد الخاضعة لهُ

وكان في عمان أديرة للنصارى يشير إليها صاحب الأغاني. وجاء في تاريخ ابن الأثير ( ١ : ٢٣٤ ) انَّ قيس بن زهير « لمَّا تنصر ساح في الأرض حتى انتهى إلى عمان فترهَّب بها »

﴿ البحرين ﴾ هي البلاد الساحليَّة الواقعة في شرق جزيرة العرب على سواحل خليج العجم حيث مغاص اللؤلؤ الشهير كان أهلها في الجاهليَّة من بني عبد القيس وهي إحدى القبائل المعروفة بنصرانيَّتها قال الشاعر ذو الرمَّة في بعض احيائهم ( اطلب نسخة مكتبتنا الخطيَّة ص ٥٧ ) :

ولكنَّ أصلَ امرئ القيس معشرٌ يحلُّ لهم اكلُ الخنازير والخمرُ

وفي البحرين مغاص اللؤلؤ الشهير الذي لا يزال أهل تلك الأنحاء يستخرجون منهُ الدرر الثمينة وقد مررنا بهِ في رحلتنا من بغداد إلى الهند. ولأهل البحرين عادات نصرانيَّة تناقلوها أبًا عن جدّ حتى اليوم وأشار إليها السيَّاح الألمانيون الذين طافوا تلك البلاد حديثًا كصورة الصليب يرسمونها على جبهاتهم أو يطبعونها بالوشم على أعضائهم وكاكرامهم للخبز ذكرًا بالقربان الأقدس. وقد لحظ ذلك منهم أحد آباء رهبانيَّتنا منذ ثلاثين سنة في دمشق وكان قوم منهم قصدوها للارتزاق

وكانت بلاد البحرين والاحساء المجاورة لها تحت حكم الفرس منذ ظهور الاسلام وكان أهل الأرض كما أثبت ياقوت في معجم البلدان ( ١ : ٥٠٨ ) « من المجوس واليهود والنصارى » وكان العامل عليها أحد بني تميم المتنصرين اسمهُ المنذر ابن ساوي. ومن اشرافها النصارى عند ظهور الاسلام بشر بن عمرو المعروف

---

١) اطلب Chabot : *Synodes Nestoriens*

بالجارود وكان سيد عبد القيس والمؤرخون العرب يذكرون انهُ اسلم ومات سنة ٦١ هـ (٦٨١ م)

وكان للنساطرة في بلاد البحرين أساقفة وخصوصًا في قطَر وهم يسمُّونها بيت قطرايا (١. وقد ذكروا في مجمعهم الذي عقدهُ سنة ٥٨٥ الجاثليقُ يشوعياب أهل البحرين المتنصرين ويأمرونهم بالكفّ عن الشغل يوم الأحد ان أمكنهم الأمر والاَّ اعفوهم من ذلك لأجل الضرورة. وقد ثبت هؤلاء النصارى على دينهم بعد الإسلام كما يظهر من جمع آخر نسطوري عُقد سنة ٥٧ هـ ( ٦٧٦ م ) دبَّر فيهِ الآباء عدَّة أمور دينيَّة. ومنهُ يظهر أن بلاد البحرين كانت حافلة بالكنائس والأديرة ودُعاة الدين وكان إذ ذاك على قطَر اسقف اسمهُ توما

وكان لقصبة بلاد البحرين وهي هَجَر اسقف يُدعى اسحاق ذُكر في مجمع النساطرة سنة ٥٧٦ ثم ورد ذكر اسقف آخر يُدعى فوسي سنة ٦٧٦ (٢

ومن جزائر البحرين دَارِين ويقال دَيْرِين ذُكر له في تواريخ النساطرة ثلاثة أساقفة وهم بولس سنة ٤١٠ ويعقوب سنة ٥٨٥ ويشوعياب سنة ٦٧٦ (٣

ومنها أيضًا جزيرة سماهيج ( وفي السريانية مشمهيج ) في وسط البحر بين عُمان والبحرين ( ياقوت ٣ : ١٣١ ) كانت فيها كنيسة مسيحية وفي المجامع النسطوريَّة (Chabot. 273, 275, etc) أسماء ثلثة أساقفة تولَّوا تدبيرها وهم باطاي والياس (٤١٠) وسركيس (٥٧٦)

ومن مدن الاحساء الخطّ وهي بلدة تُنسب إليها الرماح الخطّيَّة وكان الفرس يدعونها بيت اردشير وكان للنساطرة فيها كنائس ذُكر من أساقفتها اسحاق سنة ٥٧٦ وشاهين سنة ٦٧٦ ٤)

﴿ اليمامة ﴾ وربما سُمِّيت بالعَروض والجوّ وتُلحق بإقليم الأَحقاف وهي مفاوز متسعة في الجنوب الغربيّ من عمان بين الاحساء شرقًا والحجاز غربًا كانت قصبتها

---

١) اطلب كتاب المجامع النسطوريَّة المنشور حديثًا ( J. B. Chabot : *Synodes Nestoriens*, p. 189 et 448 )

٢) اطلب كتاب المجامع المذكور : ( Ibid. 387, 482 )

٣) فيهِ ( Ibid., 482, 618 )

٤) فيهِ ( Ibid. 387, 482 )

حَجْر بفتح فسكون مدينة كبيرة. والعرب يجعلون فيها قومًا من الجبابرة من طسم وجديس. وما لا ينكر انَّ النصرانيَّة انتشرت في تلك الأنحاء بعد قسطنطين الكبير فإن عمرو بن متى في كتاب فطاركة المشرق ذكر أن عبد يشوع السائح بشَّر بالنصرانيَّة في جهات اليمامة في أواخر القرن الرابع للمسيح

وكان معظم سكَّان اليمامة قبل الإسلام بني حنيفة ممَّن يشهد الكتبة المسلمون على نصرانيَّتهم (١ وكان يملك عليهم قبل ظهور الإسلام بقليل هوذة بن عليّ الذي كان أسر قومًا من بني تميم ثمَّ أطلقهم يوم عيد الفصح كما ذكر ابن الأثير في تاريخهِ ( ج ١ ص ٢٦٠ من طبعة مصر ) فقال الأعشى يمدحهُ لفعلهِ :

بهم يقرِّبُ يومَ الفصح ضاحيةً يرجو الإلهَ بما أسدى وما صنعا

على أنَّ بعض الكتبة زعموا أنَّ بني حنيفة كانوا يعبدون صنمًا من عجين ثمَّ أتت عليهم سنة فأكلوهُ فهجاهم البعض بقولهِ :

اكلتْ حنيفة ربَّها زمن التقحّم والمجاعَهْ
لم يحذروا من ربّهم سوء العقوبة والتباعَهْ

وعندنا أنَّ هذه الشكوى باطلة وانَّ الذين نسبوا إلى بني حنيفة أكل صنمٍ من عجين إنَّما خُدعوا بما رأوهْ من تقرُّبهم من القربان الأقدس فان الأصنام لا تُتخذ من العجينِ ولا تسدّ جوع كثيرين في أيَّام القحط فضلاً عن كون الأقط اليابس العتيق لا يصلح لأَكل

وممَّا يدلُّ على نصرانيَّة اليمامة مقاومةِ أهلها للمسلمين تحت قيادة مسيلمة الذي عُرف بالكذَّاب وكان نصرانيًّا هو وسجاح التغلبيَّة امرأتهُ. وقيل انَّ امر مسيلمة المذكور قد تفاقم حتى خاف المسلمون فتنتهُ وكان يتلو قرآنًا كرسول المسلمين ذكرهُ عبد المسيح الكندي في ردّهِ على الهاشميّ ( ص ٨٧ من طبعة اكسفرد ) فدخل عليهِ قوم ليلاً واغتالوهُ وكُفوا شرَّهُ

هذه بعض شواهد على وجود النصرانيَّة في البلاد العربيَّة المتوسطة بين اليمن والعراق المجاورة لبحر الهند وخليج العجم وفيها دلائل كافية على ما كان للدين المسيحيّ من النفوذ في تلك الجهات التي لم يفدنا عنها المؤرخون إلاَّ الفوائد الزهيدة

---

١) اطلب كتاب ارنلد في الإسلام والنصرانية Arnold (J. M.) : *Islam, his History and Relations to Christianity*, p. 54

## الباب السابع
## النصرانيَّة في العراق

ان صعدت من بلاد البحرين وجهات الاحساء انتهى بك المسير إلى مفاوز واسعة يحدُّها شرقًا خليج العجم وغربًا بوادي قحلة جرداء لكنَّ شمالها أراضٍ طيِّبة كثيرة الخيرات تُعَدّ من أخصب بلاد الله يسقيها النهران الكبيران الفرات ودجلة فيجعلانها جنَّات غنَّاء تزاحمت على ملكها الأمم القديمة من بابليين وكلدان وآشوريين وشبعت من دسمها ووفرة غلاَّتها. وكان العرب يدعون تلك الأنحاء بالعراق ويخصُّون باسم السواد الأرياف المجاورة لبوادي العرب

والعرب منذ سالف الاعصار كانوا لا يزالون يراقبون لتلك البلاد طامعين في ثروتها حتى إذا وجدوا غرَّة من عمَّال الأمم المالكة عليها غزوها وبسطوا أيديهم إليها ريثما يزحف إليهم مَن يردّهم إلى بواديهم. وكان ملوك العراق في الغالب يفضّلون محالفتهم فيجعلونهم كحرس ثغورهم وسور مملكتهم على شرط أن يُعْطَوا حظَّهم من مستغلاَّت تلك الجهات ويسرّحون في مراعيها قطعانهم

لكنَّ القبائل المحالفة لممالك العراق كان يحسدها على هناء عيشها غيرُها من العشائر فتسير إليها من الجنوب ولا تزال تزاحمها إلى أن تغلبها على منازلها فتسكنها معها أو بدلاً منها. ومن القبائل التي ذكرها المؤرخون ووصفوا سيرها إلى سواد العراق قبائل يمنيَّة من الازد تركوا بلاد اليمن سواء كان ذلك لانفجار سدّ مأرب على قولهم أو لأسباب أُخرى كالمزاحمة وتوفُّر النسل فعدلَ قسم منها إلى غرب البلاد نحو الشام وهم الغسَّانيون تحت امرة جفنة بن عمرو بن ثعلبة وتوقَّل القسم الآخر في الشمال تحت قيادة مالك بن فهم واذ وجدوا في تلك الجهات عشائر من اياد ولخم وغيرهما انضمُّوا إلى بعضها وقهروا البعض الآخر حتى رسخت ثمَّت قدمهم وثبتت كلمتهم بل أخذوا يسعون في ضبط زمام السلطة على كلّ القبائل التي هناك ففازوا بمرغوبهم وانشأُوا لهم دولةً تُعرف بدولة المناذرة كان أول ملوكها جذيمة الابرش فاستولى على جهات السواد الواقعة غربيّ الفرات واتَّخذ لهُ مدينة الانبار كقاعدة ملكهِ ثم نقلها خلفاؤهُ من بعدهِ إلى الحيرة ولم يزالوا يتتابعون في الملك عليها إلى ظهور الإسلام فغلب خالد بن الوليد ملكها الأخير المنذر بن النعمان أبي قابوس سنة ١١ للهجرة

( ٦٣٣ م ). وكان ملوك الحيرة في مدَّة دولتهم محالفين لملوك العجم من السلالة الساسانيَّة بينما كان اخوتهم الغسَّانيُّون احلافًا للروم في بادية الشام

وان اعتبرنا دين عرب العراق وجدنا الشرك شائعًا بينهم كما في بقيَّة جهات العرب وجرت عندهم خصوصًا عبادة الكواكب والسيَّارات السبع كما ألفها عرب اليمن والكلدان أهل العراق ولعلَّهُ دخل في دينهم أيضًا شيء من ديانة المجوس كتعظيم الشمس والنيّرات

أمَّا النصرانيَّة فكان لها فيهم تأثير عظيم. وهذا ما يلوح من الآثار القديمة التي ورد فيها تاريخ تلك البلاد بعد السيد المسيح فلمَّا اشرقت شمس النصرانيَّة سار دُعاتها إلى ما بين النهرين والجزيرة والعراق فدعوا إليها أهل تلك الأقطار الذين لبَّوا دعوتهم وانتظمت الجموع الغفيرة في سلك النصرانيَّة. وإذ كانت العرب ممتزجة مع سكَّان تلك الجهات اقبلوا هم أيضًا إلى التديُّن بها وجحدوا عبادة الأصنام والكواكب. ولنا على تنصُّر عرب العراق شواهد سبق بعضُها عهدَ مالك بن فهمٍ

فمن ذلك ما رواهُ كتبة الكلدان عن أوَّل من بشَّر بالدين المسيحيّ في مواطنهم وكان العلامة يوسف السمعاني في مكتبته الشرقيَّة ( ٤ : ٥ ـ ٣٠ ) جمع عدة شواهد من أقوالهم تصرّح بانتشار النصرانيَّة في العراق ونواحي اشور وبابل على يد الرسولين توما وبرتلماوس وبدعوة ثلاثة من المبشرين الأوَّلين اعني ادّي او تدَّاي أحد السبعين وتلميذيهِ اجّي وماري. لكنّ كثيرًا من علماء التاريخ لم يسلّموا لهُ بصحَّتها إذ رأوها حديثة العهد من القرن العاشر فما بعد لكنَّ الاكتشافات الحديثة في السريانيَّة لم تُبقِ ريبًا في الأمر إذ تثبت انَّ ادّي الذي يعتبرهُ الكلدان كرسولهم كان حقًّا من تلامذة السيّد المسيح وانَّ بشارتهُ في جهات العراق لا يجوز نكرانها. فانَّ أقدم التواريخ الكلدانيَّة من القرن الخامس إلى التاسع التي نُشرت مؤخّرًا كتاريخ « بَرْحَدْ بشابا عَربايا » وتاريخ « مشيحا زخا » وشعر نرساي في القرن الخامس وشهادة آباء مجمع المدائن المنعقد في بلاط الملك كسرى سنة ٦١٢ وأعمال الشهداء والكتب الطقسيَّة القديمة كلَّها تشير إلى بشارة الرسول ادّي (١ كما

---

١) اطلب كتاب حضرة القس منگنا المعنون (Mingana .A: *Sources Syriaques*) وكتاب السيد عبد يشوع خيَّاط في الكلدان والنساطرة والرئاسة البطرسية : (Eb. Khayyath: *Syri Orientales seu Chaldæi*)

ان بعضها يروي أعمال القديس ماري تلميذ ادّي (١. وفي الشواهد عن هؤلاء المبشرين الأوَّلين للكلدان ربَّما ذكروا أيضًا تبشيرهم لنواحي العرب. قال صاحب كتاب النحلة من كتبة القرن السابع : « وكان الداعي والمنصِّر والمتلمذ والمدبّر بالجزيرة والموصل وأرض بابل والسواد وما والاهُ من بلاد التيمن والحزَّة ونواحي العرب من التلاميذ السبعين ادّي وماري ولحق بهما من التلاميذ الاثني عشر ناثنيل وهو ابن ثلماي ( أي برتلماوس ) » . وقد قال سليمان بن ماري عن هذا الرسول ( ص ٥ ) : ان برتلماوس تلمذ مع ادّي وماري « نصيبين والجزيرة والموصل وأرض بابل والسواد وبلاد العرب وأرض المشرق والنبط »

وقد سبقهما القديس افرام الكبير في القرن الرابع وذكر بشارة ادّي إلى الرها والمشرق في الميمر الذي مدح فيه مدينة الرها

امَّا ماري فانَّ ذكرهُ لا يكاد يفترق عن ذكر ادّي في الشواهد السابق ذكرها كالكتب الطقسيَّة النسطوريَّة وأعمال المجامع وترجمتهِ المومأ إليها وكلها تشير إلى دعوتهِ بين العرب في بلاد ميشان وسواد العراق وسكَّان الخيام. قال ابن ماري في تاريخ فطاركة المشرق: « انَّ ماري بادر إلى تلماذ جميع نواحي أرض بابل والعراقين والأهواز ... وبلاد العرب سكَّان الخيم ونجران وجزائر بحر اليمن » . وقد روى الطيّب الذكر السيد عبد يشوع خيَّاط في مقدَّمة أعمال مار ماري (٢ انَّ دخائرهُ وُجدت سنة ١٨٧٩ مع ذخائر يشوع سبران أحد شهداء القرن السادس بين آثار كنيسة قديمة موقعها في كرملاش شرقيّ الموصل. فهذه الشواهد من شأنها أن تزيل الشكّ في تاريخيَّة ماري التي ارتاب فيها البعض

قُلنا انَّ بعض قبائل العرب كانت سبقت مالك بن فهم في سكنى العراق من جملتها بنو اياد الذين يذكر المؤرخون تنصُّرهم منهم البكري في معجم ما استعجم ( ص ٤٨ ). وقد أشار شاعرهم لقيط بن يعمر الاياديّ إلى بِيَعهم في قصيدتهِ العينيَّة التي كتبها ليحذِّرهم من غزوة كسرى وهي من اقدم الآثار العربيَّة فقال :

تامت فؤادي بذات الجزع خرعبةٌ  مرَّت تريدُ بذات العَذْبة البِيَعا

---

١) اطلب ترجمتهُ التي نشرها لأوَّل مرَّة في الأصل السرياني السيِّد ابّلوس J. B. Abbeloos : *Acta S. Maris* )

٢) اطلب هذه الترجمة ( Acta S. Maris, 7-8 )

ففي ذكرهِ للبيع في ديار اياد على عهد كسرى شاهد على شيوع النصرانيَّة بينها منذ القرن الرابع وهذا يخالف رواية ابن دريد في الاشتقاق ( ص ١٠٥ éd. Wüstenfeld) حيث أَخَّر تنصُّرهم قائلاً : « اياد قدم خروجُهم من اليمن فصاروا إلى السواد فالحَّت عليهم الفرس في الغارة فدخلوا الروم فتنصَّروا »

وكان أيضًا بين قبائل العراق قوم من لَخْم. وفي السيرة الحلبيَّة (طبعة مصر ٣ : ٩٥) انَّ بني لخم كانوا من عدد القبائل المتنصرة. لكنَّ الكاتب لم يذكر زمن تنصُّرهم

ولمَّا ظفرت النصرانيَّة بالدين في الدولة الرومانيَّة بجلوس قسطنطين على منصَّة الملك بلغ صدى ذاك الانقلاب حتى العراق وحدثت نهضة جديدة ساقت الألوف المؤلفة إلى التنصُّر رغمًا عن معارضة ملوك العجم حتى كادت النصرانيَّة تعمّ تلك الأنحاء كلها وتستأصل شأفة المجوسيَّة لكنهُ قام سابور ذو الاكتاف وسفك دماء النصارى مدَّة ملكهِ الذي دام سبعين سنة فضحَّى ١٦٠,٠٠٠ من المسيحيين الذين كانوا في دولتهِ. وأعمال هؤلاء الشهداء قد كتبها شهود عيانيُّون تُعدّ رواياتهم من أصدق وأثبت التواريخ نشرها السمعاني ونقلها إلى اللاتينيَّة

ولا غرو أن بين هؤلاء الشهداء كان أيضًا قوم من العرب المتنصِّرين كما يُستدلّ من أمكنة استشهادهم وبعض اعلامهم كعبد الله والحارث وعزيز وحبيب الخ وقد ذكر اليَّا النصيبيني اساقفة على البصرة ( وكان اسمها فرات ميشان ) منذ السنة ٣١٠

وقد شهد المؤرخون أن سيَّاحًا من النصارى كانوا يعيشون بين احياء عرب العراق منذ أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع ذكرهم المؤرخ سوزمان (١ ودعاهم بالرعاة (Βοσκόμενοι) لأنَّهم كانوا يعيشون في البراريّ ويقتاتون من النبات وروى ذلك المؤرخ « انَّهم بحياتهم النسكيَّة وفضائلهم العجيبة ردُّوا كثيرين من العرب والعجم إلى الدين النصراني »

ثمَّ تبع هؤلاء السيَّاح رهبانٌ غيرهم جروا على مثال رهبان الصعيد واخذوا عنهم طرائقهم النسكيَّة فكثيرون منهم اشتهروا في جهات العراق وفي البلاد التي كان يسكنها العرب

---

١) اطلب تاريخهُ ( Sozomène, H. E., 1. VI, 34 )

وممَّن خصَّهم بالذكر قدماءُ الكتبة الراهبُ حنَّا الكشكري (١ الذي سكن في بلاد جرم وابتنى ديرًا هناك نحو سنة ٣٢٠

وذكر تاودوريطس المؤرخ القديس سمعان القديم (٢ فروى انهُ كان تنسَّك في بلاد « الإسماعيليين » مختفيًا في بعض المجاهل الأَ أن العرب اكتشفوا مكانهُ واتوهُ جموعًا متكاثفة ليسمعوا تعاليمه وينالوا منهُ الشفاء لمرضاهم. فأجاب إلى ملتمسهم لكنهُ لم يزل يراقب الفرصة ليهرب من لجاجهم ويبقى معتزلاً في مناجاة ربّهِ

ويروى عن القديس يليان سابا أي الشيخ انهُ ساح في بلاد العرب مع تلميذهِ المسمى يوحنَّا الفارسي (٣ في غضون ذلك القرن الرابع

وفي هذا القرن نفسهِ كانت القبائل اليمنيَّة من آل نصر بن ربيعة الازدي التي انتقلت من جنوبيّ العرب إلى الشمال فأَلقت في جهاتها عصا التسيار وأخذت تقوى وتنمو وتضمُّ إليها شتات القبائل العربيَّة لتملك عليها. وكان بين ملوكها الأَوَّلين المسمَّى امرؤ القيس بن عمرو المعروف بالبدء الذي طالت مدَّة ملكهِ إلى أواسط القرن الرابع. وممَّا يجدر بالذكر أن الكتبة يؤكّدون تنصُّرهُ قال ابن خلدون في تاريخهِ نقلاً عن ابن الكلبيّ وغيرهِ ( طبعة مصر ١ : ٢٦٣ ) : « ولمَّا هلك عمرو بن عديّ ولي بعدهُ على العرب وسائر مَن ببادية العراق والحجاز والجزيرة امرؤ القيس بن عمرو بن عدي ويقال لهُ البدء وهو أوَّل من تنصَّر من ملوك آل نصر وعمَّال الفرس »

ولسنا نحن نرى في الأمر عجبًا بعد ما روينا عن أمور النصرانيَّة في اليمن فهذه القبائل المهاجرة إلى الشمال كانت عرفت الدين المسيحيّ في مواطنها فبقيت خميرتهُ فيها عند انتقالها إلى العراق. يؤيد ذلك ما رواهُ القزوينيّ من أمر « الأنبياء » الذين أرسلهم الله إلى بني حمير ليردُّوهم إلى الله قال : « فبعث الله ثلاثة عشر نبيًّا ( لأهل اليمن ) فكذَّبوهم » . لكن المسعودي في مروج الذهب ( ٣ : ٣٩٣ ) ذكر توبتهم على يد أولئك الرسل وانتظام أمورهم فقال : « وازال الله انعامهم وأموالهم فقالوا لرسلهم :

---

١) اطلب المكتبة الشرقيَّة للسمعاني ( ٤ : ٦٩١ ـ ٧٠٤ )

٢) اطلب تاريخ الرهبان لتاودوريطس ( Migne PP. GG. Vol. 82, col. 1350 )

٣) اطلب أعمال البولنديين في اليوم ١٨ من شهر تشرين الأوَّل. وممَّا روى تاودوريطس المذكور في تاريخهِ ( ك ٣ ف ٢٠ ) انَّ بعض كتبة زمانهِ نسبوا قتل الامبراطور يليان الجاحد في حرب الفرس إلى أحد رُعاة العرب

ادعوا لنا الله أن يخلف علينا نعمتنا ويردّ علينا ما شرد من انعامنا ونعطيكم مؤثقًا ان لا نشرك بالله شيئًا فسألت الرسل بربّها فاجابهم إلى ذلك وأعطاهم ما سألوا فاتَّسعت بلادهم واخصبت عمائرهم إلى أرض فلسطين والشام )) . وقال القزوينيّ : (( ان ذلك كان بين مبعث عيسى والنبيّ )) فتعيَّن بقولهِ هذا انَّ هؤلاء الأنبياء أو الرسل ما كانوا الاَّ دعاةً لدين المسيح كما يُستدلّ عليهِ من الشواهد السابقة

ولنا دليل آخر على تنصُّر تلك القبائل اليمنيَّة في العراق وذلك ما ذكرهُ المؤرخون عنها فقالوا انَّ قبائل من قضاعة من تيم اللات وكلب بن وبرة والأشعريين مع قوم من الازد تحالفوا وتآخوا فدُعوا تنوخًا ونزلوا جهات البحرين ثم العراق ما بين الحيرة والانبار وتنصَّروا. قال ابن خلكان في ترجمة ابي العلاء المعرّي (ص ٤٩ éd. De Slane) : (( تنوخ اسم لعدَّة قبائل اجتمعوا قديمًا بالبحرين وتحالفوا على التناصر واقاموا هناك وسُمُّوا تنوخًا. وتنوخ إحدى القبائل الثلاث التي هي نصارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلب )) . امَّا تنصُّرهم في القرن الرابع فيؤخذ من قول صاحب الأغاني عن سابور ذي الأكتاف لمَّا حاربهم وكان شعارهم شعار المسيحيين. قال ( ١١ : ١٦٢ ) : (( ونزلت تنوخ بالبحرين سنتين ... حتى نزلوا الحيرة فهم أوَّل من اختطها ... ثمَّ اغار عليهم سابور الأكبر فقاتلوهُ فكان شعارهم يؤمئذٍ : آل عباد الله فسُمُّوا العباد ))

ولعلَّ الديرَيْن أي دير الجماجم بظاهر الكوفة ودير الحريق قرب الحيرة اللذين ذكرهما ياقوت في معجم البلدان ( ٢ : ٦٥٢ , ٦٦٤ ) قد أنشأهما نصارى العرب في العراق تذكارًا لأولئك الشهداء الذين قتلهم سابور لأجل إيمانهم وفي روايات نقلها ياقوت ما يلمِّع بذلك. وجاء في روايات أُخرى فيهِ عن ابن الكلبي ان دير الجماجم بناهُ بنو عامر شكرًا لله على ظفرهم ببني ذبيان وبني تميم بعد حرب وقعت بينهم. امَّا دير الحريق فبُني تذكارًا لقومٍ أُحرقوا بالحيرة

وما لا يُنكر وتثبتهُ الشواهد التاريخيَّة انَّ الأديرة كثرت في أواخر القرن الرابع للمسيح في جهات العراق التي كان يسكنها العرب. فانَّ القديس اوگين الذي كان نشر العيشة الرهبانيَّة في بلاد الجزيرة وما بين النهرين أرسل عصبةً من تلاميذهِ حتى أقاصي العراق وما عتَّمت الآداب الرهبانيَّة ان انتشرت فيها على يدهم أيَّ

انتشار خصَّ منهم المؤرخون بالذكر الراهبَ يونان أو يونس الذي شيَّد ديرَيْن الواحد في الانبار قاعدة اللخميين قبل سكناهم في الحيرة على الفرات والآخر بقرب نينوى. وقد عرف العرب الديرين كليهما فذكرهما ياقوت ودعا الأوَّل ( ٢ : ٧٠١ ) دير مار يونان والثاني دير يونس قال عن هذا الأخير ( ٢ : ٧١٠ ) انهُ « في جانب دجلة الشرقي مقابل الموصل وبينهُ وبين دجلة فرسخان واقلّ وموضعهُ يُعرف بنينوى »

وفي التواريخ الكلدانيَّة القديمة ان يونان المذكور طاف بلاد السواد وبشَّر العرب بالمسيح وكان قبل ان يزهد بالدنيا يتعاطى العلوم الفلسفيَّة ويزاول الطبّ فحبَّبهُ ذلك إلى العرب وكافَّة أهل السواد. ولمَّا ابتنى ديرهُ في الانبار كثر عدد الطالبين للترهُّب تحت تدبيرهِ

وفي النصف الثاني من هذا القرن الرابع تولَّى أحد رهبان النصارى اسمهُ عبدا بناءَ الأديرة في أنحاء العرب فقدم على جاثليق المدائن المسمى تمُّوز أو تومرصا ونال منهُ الرخصة في ذلك فبنى هو ديرًا كبيرًا في دير قنَّى أو درقان وطنهِ على اسم مار ماري حيث كانت ذخائر ذاك الرسول. وبنى تلامذتهُ أديرةً أخرى منهم تلميذهُ عبد يشوع الذي شيَّد على نهر صرصر الدير المعروف بالصليب حيث كان ظهر صليب منير في أيَّام استشهاد المسيحيين على يد سابور باغراء المجوس. وشيد ديرًا آخر في باكسايا في سواد العراق ثم ديرًا ثالثًا عند الفرات. واخبر المؤرخ ابن ماري ( ص ٢٩ ) انَّهُ تلمذ العرب في متوث وميشان واليمامة وردَّ بني ثعلبة إلى الإيمان (١ فجعله تومرصا اسقفًا مقامهُ في دير محراق. ومنهم تلميذهُ يبالاها الذي ردَّ أقوامًا من العرب في أرياف الفرات وابتنى ديرًا في دسكرة السواد وديرًا آخر على ضفَّة النهر قيل انَّ عدد رهبان ديرهِ قد كثر حتى ضاق بهم الدير مع سعتهِ فبلغوا الاربعمائة بنيِّف وكان الرهبان من أنحاء شتى يتكلمون لغات مختلفة فجعلهم أربعًا وعشرين فرقة يتعاقبون في تلاوة الفرض الإلهيّ ليلاً ونهارًا فيتلون الصلوات والتسابيح في لغاتهم أي السريانيَّة واليونانيَّة واللاتينيَّة والقبطيَّة. وكان سبقهُ إلى ذلك في هذه المناسك راهب آخر اسمهُ اسكندر الذي أنشأ طائفة الساهرين ( Acémètes ) لمواصلتهم الصلاة ليلاً مع نهار. وقد ذكر سليمان بن ماري في تاريخ فطاركة كرسيّ المشرق ( ص ٢١ ) وعمرو بن متى في

---

١) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني ( ج ٣ ص ١٩٨ و ٢١٨ و ٣٠٢ )

المجدل ( ص ٢٨ ) كثيرًا من هذه الأديرة واختصرا تواريخها عن كتبة معاصرين اخصّهم احّي تلميذ مار عبدا الذي وضع ترجمة حياة معلمهِ ثمَّ صار بعد ذلك بطريركًا على الكلدان

فهذا العدد الوافر من الأديار وكثرة المترهّبين فيهما دليل واضح على سطوع ضياء النصرانيَّة بين عرب العراق في ختام القرن الرابع للمسيح. فانَّ كلّ دير منها كان كينبوع من المياه الحيَّة يسقي تلك الارجاء فينبت للخلاص الثمار الطيّبة. وكان المتنصِّرون يمارسون من الفضائل اسماها ومن الأعمال المبرورة أفضلها وأولاها حتى انهم ما كانوا يحجمون عن الموت والعذابات لأجل دينهم كما يُروى عن السفراء الثلاثة الذين أوفدهم ملك العجم إلى القيصر يليانوس المارق سنة ٣٦١ واسماؤهم مانويل ( أو عمانويل ) وشابيل واسماعيل أراد يليانوس أن يغصبهم على السجود للأصنام فأَبوا وماتوا في سبيل دينهم القويم في القسطنطينيَّة وأعمالُهم مدوَّنة في مجموع البولنديين ( Acta Sanctorum, d. XVII Junii ). وكان قبلهم سفيران آخران ( سنة ٢٥٠ ) قد وفدا على دقيوس من قبل دولة الفرس اسمهما عبدون وسنان وفضَّلا الموت على جحود النصرانيّة فقُتلا في رومية وعيدهما في الكنيسة في ٣٠ تموز

وبعد هؤلاء نسَّاك العراق بزمن قليل قام في الكنيسة الانطاكية قدّيس آخر اشتهر في الشرق والغرب معًا نريد بهِ القديس سمعان العمودي المولود نحو سنة ٣٦٠ للمسيح الذي رقي عمودهُ في الجبل المعروف باسمهِ في جها انطاكية واضحى بعد مدَّةً كمنارة استضاء بها العالم كلهُ. وسيرتهُ قد كتبها أحد تلاميذهِ المسمى انطون فنُشرت في أعمال الآباء اللاتينيين (Migne, P. L. t. 73, p. 329) وكتبها أيضًا تاودوريطس معاصرهُ الذي كان يتردَّد عليهِ وهو من أوثق المؤرخين وأصدقهم روايةً. وكذلك روى أعمالهُ كثيرون من السريان فنُشرت تآليفهم في هذه المدَّات الأخيرة. ومن يتصفَّحْها يتحقَّق ما ناله العرب من فضل القديس سمعان. وقد مرَّ لنا ذكر الحميرين الذين كانوا يقصدونهُ من اليمن. وكان العراقيُّون من العرب ينتابونهُ بشوق أعظم لقربهم منهُ. اسمع ما كتبهُ تاودوريطس اسقف قورش بعد أن شاهد عيانًا العجائب التي كان يأتيها العموديّ قال عن العرب ما نروي قسمًا منهُ معرَّبًا (١ :

١) اطلب الباب ٢٦ من كتابهِ المدعو بفيلوتاوس أو الحياة الرهبانيَّة (Migne P. G., t. 82, col. 1474)

« انَّ مقام سمعان على عمودهِ قد أنار قلوب الألوف المؤلَّفة من بني إسماعيل فكانوا يأتونهُ أفواجًا أفواجًا فيتقاطرون إليهِ تارةً مائتين وتارةً ثلاثمائة وأحيانًا ألوفًا ( ὅτε καὶ χίλιοι ) فيجحدون لديهِ أضاليل اجدادهم وربَّما حطَّموا إمامهُ أصنامهم ولعنوا بإغرائهِ الزُّهَرة وعبادتها النجسة ثم كانوا يتلقَّنون التعاليم الخلاصية ويذعنون للبشارة الإنجيليَّة. وقد حصل لي خطر على حياتي من تزاحمهم عليَّ لأنَّ القديس سمعان كان يأمرهم أن يطلبوا مني البركة الأسقفيَّة مؤكِّدًا لهم انَّها تعود عليهم بالخير فكانوا إذ ذاك يقحمون عليَّ من كل جانب من الإمام والوراء والجانبين ويركب بعضهم على أكتاف البعض ويمدُّون إليَّ أيديهم ليلتمسوا مني البركة ولولا أن القديس سمعان كان يزجرهم لكُنت تأذَّيتُ من لجاجهم وازدحامهم عليَّ »

وقد ذكر هناك تاودوريطس ومثلهُ المؤرخ ايڤاغريوس والكاهن قزما معاصرهُ عدَّة عجائب وآيات باهرة صنعها سمعان مع العرب وشيوخهم زادت ثقتهم بهِ وتوارُدهم إليهِ واقبالهم على استماع أقوالهِ. فمن ذلك ما أخبر بهِ عن أمير قبيلة نُقل إليهِ مخلَّعًا على سرير من مدينة الرقَّة فشفاه القديس برسم إشارة الصليب عليهِ وصبغهِ بمياه المعموديَّة فعاد كمخلع الإنجيل حاملاً سريرهُ والحضور كلهم يشكرون الله على هذه النعمة السابغة (١. وكذلك اخبر عن أمير آخر كان تنصَّر ونذر بين يدي القديس انَّهُ يصوم عن أكل اللحم فنسي نذرهُ مرَّة وأكل قطعة من اللحم استحالت في جوفه إلى حجر كاد يلفظ به روحهُ لو لم يسرع إلى القديس الذي خلَّصهُ بصلاتهِ (٢. وأرسلت ملكة العرب من العراق وسألتهُ أن يزيل عقمها وينال لها من الله ابنًا ذكرًا فنالتهُ وأرسلتهُ إلى رجل الله لينال بركتهُ

وذكر تلميذهُ انطون في سيرته (٣ انَّ أميرًا من أمراء قبائل عرب الجزيرة دعاهُ مالكًا ( Basilicus ) قدم على القديس فوجد سمعان يصلي فوق عمودهِ فجثا تحتهُ ينتظر نهاية صلاتهِ ليطلب بركتهُ وإذا بدودةٍ كانت ترعى جسم القديس وكان يحتمل ذلك بصبر حبًّا بالله سقطت فالتقطها الأمير ليحفظها كتذكار وذخيرة. فلحظ سمعان فعل الأمير فصرخ إليهِ : انك بفعلك هذا أيُّها الرجل الشريف قد كدَّرتني فكيف تمسّ ما ينتثر من جسدي من القذر. ففتح الأمير يدهُ وإذا بالدودة قد استحالت إلى درَّة ثمينة فأراها القديس وقال : ليست هذه دودة بل درَّة. فأجابهُ سمعان : على حسب إيمانك قد صنع بك الربّ فلتكن يدك مباركة طول حياتك. وانطلق الأمير فرحًا

---

١) الآباء اليونان ( P. G., t. 88, col. 1477 )
٢) فيهِ أيضًا
٣) اطلب مجموع الآباء اللاتين ( Migne : P. L., t. 73, p. 329 )

على أنَّ بعض أمراء العرب غير المتنصرين لم يرضوا بفعل رعاياهم وخروجهم إلى بلاد الرومان وتنصُّرهم على يد سمعان العمودي. وممَّا أخبر المؤرخ قزما الكاهن أنَّ ملك الحيرة الذي دعاهُ بالنعمان وهو النعمان الأوَّل الذي يلقبهُ العرب بالأعور لمَّا استولى على ملك الحيرة بعد امرئ القيس الثاني ( نحو سنة ٣٩٠ إلى ٤٢٠ ) امتعض من رحلة أهل الحيرة إلى القديس سمعان فاعلن بأمر ملكي انَّهُ ينهى تحت عقاب الموت الخروج إلى زيارة السائح. فما انتشر هذا الخبر حتى استولى الخوف على رعاياه فرأَوا ان الطاعة لهذا الحكم الظالم أولى من التعرُّض للموت الأحمر. الاَّ أنَّ الملك لم يلبث أن ندم على ما فعل. ففي ذات الليلة التي وليت صدور الحكم ظهر لهُ القديس في الحلم وفي يدهِ سيف ومعه خمسة رجال لابسين ثيابًا بيضًا ناصعة فنظر إلى الملك شزْرًا وبكَّتهُ على فعلهِ ثمَّ أمر الرجال أن يربطوهُ ويجلدوهُ جلدًا مبرّحًا دون أن يرثوا لعويلهِ فلمَّا كاد يصير إلى التلف أمر بالكفّ عنهُ ثمَّ سلَّ السيف متهدّدًا وقال: (( إيَّاك إيَّاك أن تعود إلى مثلها فبهذا السيف تُقطع مفاصلك )) فقام الملك وهو على آخر رمق ولمَّا أصبح الصباح جمع حاشيتهُ والغى حكمهُ أمامهم وحضَّ شعبهُ أن يذهبوا إلى القديس كيفما شاؤُوا. قال قزما المؤرخ : (( وهذا الخبر رواهُ أحد قوَّاد النعمان المسمَّى انطيوخس بن سالم وكان سمعهُ من فم النعمان ولمَّا جاء ليزور القديس أخبر بما سمع أمام سمعان نفسهِ وأنا حاضر )) . وأَردف الراوي قائلاً : ومذ ذاك الحين أُطلقت الحريَّة لعرب الحيرة بأن يدينوا بالنصرانيَّة ثم قال : والملك النعمان كان يريد بعد ذلك أن يتنصَّر ويزهد بالدنيا لكنهُ خاف من سطوة ملك العجم

( قلنا ) ولنا في شهادة مؤرخي العرب ما يثبت هذه الرواية ويؤيد صحَّتها. فانَّ المؤرخين قد رووا أنَّ النعمان الأعور بعد سنين من ملكهِ اجتمع بأحد النسَّاك الصالحين المدعوّين بالرابطة فزهَّدهُ بالفانية ودعاهُ إلى ترك الدنيا وعبادة الله فلبى الملك دعوتهُ ولبس معهُ المسوح وساحا في الأرض زهدًا (١. وليس هؤلاء الرابطة على رأينا سوى رهبان النصارى الذين بيَّنا لك وفرة عددهم في جهات العراق وزهدهم بالعالم. وفيما ذكرنا من تاريخ قزما مصداق على هذا الرأي. ولعلَّ الدير الذي دعاهُ العرب بدير الأعور قد ابتناهُ نعمان الأعور المذكور ولولا أنَّ ياقوت (٢ :

---

١) اطلب تاريخ الطبري طبعة ليدن ( ج ١ ص ٨٥٤ ) ومجموعنا مجاني الأدب ( ٢ : ٢٢١ )

٦٤٤ ) نسب دير الأعور الواقع على قوله بظاهر الكوفة إلى رجل من بني حذافة ابن زهر بن إياد وقد مرَّ بك انَّ بني اياد من أقدم قبائل العرب المتنصِّرة

ولا غرو ان تنصُّر هذين الملكين زاد النصرانيَّة شأنًا وعزًّا في العراق. قال قزما بعد رواية انطيوخس بن سالم عن ندامة النعمان ان الدين المسيحي مذ ذاك الوقت نما نموًّا عظيمًا فكثر عدد الأساقفة والكهنة حتى ضاق عن الحصر. ولمَّا قام الملك ازدشير الأوَّل واضطهد النصارى في ملكهِ نال عربَ العراق قسمٌ من تلك المحن اظهروا فيها من الثبات ما غيرَّ بعد مدَّة أفكار الملك فتغاضى عنهم. وقيل انّ امرأة الملك ازدشير نالت بشفاعة القديس سمعان الشفاء من مرضٍ عُضال فرغبت إلى الملك أن يكفّ الاضطهاد عن النصارى في مملكتهِ

وفي القسم الأوَّل من القرن الخامس بلغت النصرانيَّة أوج فخرها وازدهارها في العراق. وكان الإيمان كاثوليكيًّا محضًا لم يُشَبْ بشيء من أضاليل النساطرة واليعاقبة وكان الأساقفة حريصين على وديعة التعاليم الرسوليَّة كما ترى من أعمال مجمع المدائن الذي عُقد سنة ٤١٠ فشذبت اضاليل آريوس وغيرهِ من المبتدعين

وفي هذا الزمان عُرف القديس ماروثا رئيس أساقفة ميَّافارقين الذي حظي لدى ملك العجم ازدشير الثاني وابرأ ابنتهُ من داء عقام فنالت من أبيها الحريَّة التامَّة لنشر النصرانيَّة في العجم. وماروثا من كبار القديسين الشرقيين والمدافعين عن الإيمان المستقيم بهمتهِ عُقد مجمع ثانٍ في المدائن سنة ٤٢٠ لإثبات عقائد الإيمان وحُرم نسطور

وفيهِ أيضًا أصبحت جهات الجزيرة ولاسيَّما العراق العربي كصعيد آخر بلغ فيها عدد الزهَّاد إلى ما تجاوز كلّ احصاء. فكانت الأديرة كمدن واسعة يسكنها الوف من الرهبان يقضون فيها الحياة في الصلاة والشغل. ولو راجعت الفصل الذي خصَّهُ البكري في معجم ما استعجم ( ٣٥٨ ـ ٣٨١ ) وياقوت الحموي ( ٢ : ٦١ ـ ٧٣٩ ) وغيرهما بهذه الأديرة لرأيت أن بلاد العراق كان لها نصيب كبير منها وهم لم يذكروا غالبًا إلاَّ ما ورد اسمهُ في شعر الشعراء كدير الابلق في الأهواز ودير أبي يوسف فوق الموصل قريب من بَلَد وديارات الأساقف بالنَّجَف بين قصري أبي خصيب والسدير وديرَي الأسكون بالحيرة وقرب واسط كانت فيهما مدارس للعلوم الدينيَّة ودير اشموني قرب بغداد ودير الأعلى بالموصل على جبل مطلّ على دجلة ودير باشهرا بين

سامرَّا وبغداد ودير باعَربا بين الموصل والحديثة على شاطئ دجلة ودير مخائيل ودير الثعالب منسوب على ما نظنّ إلى بني ثعلبة المتنصرين قريب من بغداد عند الحارثيَّة ودير الجرَعَة بالحيرة ودير الخوات بعُكْبرا ودير الخنافس على قلَّة جبل تُشرف على دجلة ونينوى ودير دُرْتا غربيّ بغداد ودير الدِهْدار بنواحي البصرة ودير النَّرنْدَوْرد في الجانب الشرقي من بغداد ودير سابور غربيّ دجلة ودير سمالو وكلاهما قرب بغداد ودير السُّوسي بنواحي سرَّ من رأى ( وهي سامرَّا ) ودير الشاء بأرض الكوفة ودير صَباعي شرقيّ تكريت ودير الطواويس بسامرَّا ودير العاقول بين مدائن كسرى والنعمانيَّة ودير العجَّاج بين تكريت وهيت ودير العَلْث ودير فثيون وكلاهما بسامرَّا وديرَي القباب وقوطا من نواحي بغداد ودير القيَّارة عند الموصل ودير كَرْدشير بين الريّ وقمّ ودير كُوم من أعمال الموصل ودير مار فثيون بالحيرة أسفل النجَف ودير مار سرجيس قرب سامرَّا ودير متى قرب نينوى ودير مديان على نهر كرخايا قرب بغداد ودير مر جرجس بالمَزْرفة قرية من منتزهات بغداد ودير مَرْ ماري من نواحي سامرَّا ودير مر يُحنَّا جانب تكريت ودير ملكيساوا فوق الموصل ودير هِزْقل في جهات البصرى وغيرها أيضًا تؤيد كثرتها ما قلنا عن انتشار النصرانيَّة في العراق

والعرب لم يعرفوا فقط هذه الأديرة ورووا أسماءَها في أشعارهم أو ذكروها في جملة أخبارهم بل نُسب كثير منها إليهم أو لوقوعها في ديارهم أو لأنَّهم عُنوا بتشييدها وكلّ ذلك ما يزيد بيانًا قولنا في نفوذ النصرانيَّة بين عرب العراق. فمن ذلك ما ذكرهُ البكريّ وياقوت أيضًا كدير ابن برَّاق بظاهر الحيرة ودير ابن عامر ودير ابن وضَّاح ويسمَّى أيضًا دير مر عبدا بناهُ بذات الاكيراح من نواحي الحيرة عَبدا بن حنيف بن وضَّاح اللحياني. ودير حنظلة المنسوب إلى حنظلة بن عبد المسيح بن علقمة بن مالك من بني لخم. ودير حنة دير قديم في الحيرة منذ ايَّام بني المنذر لقوم من تنوخ يقال لهم بنو ساطع. ودير حنَّة آخر بالأكيراح بناحية البليخ ذكرهُ البكريّ (٣٧٢) ثمَّ قال : « والاكيراح موضع أيضًا بالحيرة فيهِ دير بناهُ عبد بن حنيف من بني لحيان الذين كانوا من لخم ومِلكَ الحيرة منهم ملكان » ودير خندف وهي ليلى بنت حلوان القضاعي أمّ ولد الياس بن مضر بن نزار. ودير السوا المنسوب إلى رجل من اياد وقيل إلى بني حذافة. ودير عبد المسيح المنسوب إلى عبد المسيح

ابن عمرو بن بُقَيلة الغسَّاني الشاعر واحد المعمِّرين موقعهُ في ظاهر الحيرة. ودير العذارى بين سرَّ من رأى والحظيرة وكان يسكنهُ من ابكار العباديين وعرب النصارى. روى ياقوت (٢ : ٦٨٠) والبيروني في كتابهِ الآثار الباقية ( éd. Sachau p. 314 ) « انَّ أحد ملوك الحيرة أراد أن يختار منهنَّ لهُ نسوة فصُمن ثلاثة أيَّام بالوصال فمات ذلك الملك في آخرها ولم يمسَسْهنَّ ومذ ذاك أخذوا يصومون هذا الصوم المعروف بصوم العذارى » . ودير علقمة بالحيرة منسوب إلى علقمة بن عديّ بن الرميك من بني لخم ودير عمرو في جبال طيء. ودير قرَّة المنسوب إلى قرَّة أحد بني حذافة بن زُهر ابن إياد. ودير اللجّ للنعمان ملك الحيرة. ودير هند الكبرى وهند الصغرى وسنعود إلى ذكرهما

ويخبر عن المتعبدين في تلك الأديرة أو القلالي الممتدَّة بين الحيرة والبصرة انَّهم كانوا يجتمعون في الأعياد فيحتفلون بها برونق وكان أهل تلك الأنحاء يخرجون إليهم فيحضرون حفلاتهم ويطلبون منهم شفاء مرضاهم. وكان النسَّاك يعيشون غالبًا من صيد الأسماك ومن حسنات المؤمنين

فهذه أديرة عديدة كلُّها من بناء نصارى العرب في جهات العراق. فلعمري انَّها من أدلّ الأدلَّة وأجلى البيِّنات على علوّ منار النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة

وما قلناهُ عن الأديرة يجوز قولهُ عن عدَّة كنائس وبيع شيَّدها العرب وأشاروا بذلك إلى تُقاهم وتحمُّسهم في الدين. وكانوا يتفاخرون ببناء البيع في احيائهم. قال الفيروزابادي : وكان في الحيرة كثير من الكنائس البهيَّة. وقال الزبرقان بن بدر التميميّ لمَّا وفد على محمَّد يذكر كنائس قومهِ ( سيرة الرسول لابن هشَّام ٩٣٥ ) :

نحنُ الكرامُ ولا حيٌّ يعادلنا  منَّا الملوكُ وفينا تُنْصَب البيعُ

وقال في معجم البلدان ( ٢ : ٧٠٣ ) : « كان أهل ثلاث بيوتات يتبارون في البيع وربّها ( كذا ) أهل المنذر بالحيرة وغسَّان بالشام وبنو الحارث بن كعب بنجران وبنوا دياراتهم في المواضع النزهة الكثيرة الشجر والرياض والغدران ويجعلون في حيطانها الفسافس وفي سقوفها الذهب والصور وكان بنو الحارث بن كعب على ذلك إلى أن جاء الإسلام » . وقال ابن دُرَيْد في كتاب الاشتقاق .(ed. Wüstenfeld

( 226 عن بني عديّ : « ومن بني لخم بنو عديّ بن الذُّميل بن اسس لهم بيعة بالحيرة وكانوا أشرافًا »

وكان يحقّ بنا أن نضيف إلى هذه الشواهد جدول الأساقفة الذين كانوا في القرن الخامس يدبرون كنائس العراق العربي كالانبار والحيرة والبصرة وبيت عربايا وميشان وغيرها لكنَّ ذلك يطول بنا فنشير إليهِ فقط إشارة خفيفة

لكنَّ الحقيقة تضطرُّنا أيضًا أن نذكر ما أُصيبت بهِ كنائس بابل والعراق. فانَّ في أواخر القرن الخامس نفثت البدعة النسطوريَّة فيها سمَّها وخدعت كثيرين من المؤمنين والأساقفة فاعاروا لها اذنًا صاغية وانتموا إلى أصحابها. ثم قامت باثرهم البدعة اليعقوبيَّة وانتشرت انتشارًا عظيمًا في بلاد الجزيرة وبلغت أيضًا إلى أنحاء العراق فقامت الحرب الدينيَّة بين البدعتين على ساق وكانتا في البيعة الشرقيَّة كالزؤان الذي خنق الزرع الجيد الذي زرعهُ ربُّ البيت. فلا غروَ أنَّ العرب انقسموا مع أهل تلك البلاد إلى قسمين فعدل قسم منهم ولاسيَّما أهل القبائل الواقعة شرقيّ الموصل حتى خليج العجم إلى النسطوريَّة بينما كان القسم الآخر ومقامهم على الأخصّ في غربي الموصل وفي ديار ربيعة إلى جهات الرها وتخوم حلب وحمص وحماة قد تبع اليعقوبيَّة

فابتدأ تقهقر النصرانيَّة مذ ذاك الحين في الشرق فترى تاريخ الكنيسة الشرقيَّة ينحصر غالبًا في تاريخ الخصومات والمشاغبات التي سبَّبتها تانك البدعتان أو ما كان ينوط بهما من البدع والمشاكل. وزاد في الطين بلَّة تداخل ملوك القسطنطينيَّة من الروم في أمور الدين فأقاموا نفوسهم كقضاة في المعتقدات المسيحيَّة وكان منهم من يعضد البدع وينتمي إليها جهارًا كما فعل قنسطنسيوس ووالنس اللذان نصرا الاريوسيَّة وكزينون وانستاس المدافعين عن اليعقوبيَّة وكهرقل الذي دافع عن بدعة المنوثليين فكنت ترى المجامع تتوالى منها كاثوليكيَّة ومنها هرطوقية فتبطل هذه ما أثبتتهُ تلك وكان الاحبار الرومانيُّون مهتمّين وقتئذٍ بتهذيب أمم البرابرة التي هجمت على المملكة الرومانيَّة فلا يستطيعون أن يداووا أسقام الشرق كما يشاؤُون لبُعد الشرق عن نظرهم أو أيضًا لما كانوا يجدونهُ في ملوك الروم وبطاركة القسطنطينيَّة من المخالفة لأوامرهم فأصبح الشرق في هرج ومرج واختلَّت بذلك أمور الدين وانتقض حبل الإيمان المتين

وان تتبعنا تاريخ النصرانيَّة بين عرب العراق في أواخر القرن الخامس ومدَّة القرن السادس وجدنا بينهم رَجع صدًى لهذه الحوادث الجارية في ظهرانيهم وهم منوطون في العراق بالكنيسة الكلدانيَّة التي تبعت أضاليل نسطور وفي الجزيرة وديار بكر وربيعة وأنحاء الرها بالكنيسة السريانيَّة التي غلبت عليها الهرطقة اليعقوبيَّة

وكان ملوك الحيرة أوَّل من تأثَّر بهذه الحوادث فإن السياسة قضت عليهم بأن يتبعوا الدولة الساسانيَّة التي بسطت حمايتها على النسطوريَّة وعضدتها في بلاد العراق إلى نصيبين وذلك بغضًا بملوك الروم الذين كانوا يتقلَّبون حينًا مع البدعة اليعقوبيَّة وحينًا مع الكنيسة الكاثوليكيَّة. ونرى المؤرخين الروم واللاتين مضطربين في إيضاح تاريخ ملوك الحيرة فتتناقض آراؤهم فيهم إذ كانوا يرونهم في مصافّ أعدائهم الفرس فبعضهم يجعلونهم وثنيين وبعضهم يذكرونهم في عداد النصارى ويروي غيرهم عن امراء الجيش ما لا يصحُّ إلاَّ عن الملوك وبعكس ذلك ينسبون إلى الملوك ما أتاهُ الأمراء. وترى شيئًا من هذا الاضطراب في رواية السريان والعرب. وها نحن نورد من ذلك ما نراهُ أقرب إلى الحقّ

خلف المنذرُ الأوَّل في ملك الحيرة أباهُ النعمان بعد تنصُّرهِ وزهدهِ فملك ٤٤ سنة (٤١٨ ـ ٤٦٢) قضاها في حروب متواترة ضدّ الروم في خدمة ملوك الفرس لاسيَّما بهرام جور بن ازدشير الذي كان تربَّى بين عرب الحيرة. وكان بهرام عدوًّا للنصارى فامتحنهم في بلاد فارس وجوارها وصادرهم وقتل منهم كثيرين تعيّد الكنيسة ذكرًا لاستشهادهم وكأَنَّ المنذر وافقهُ على آرائه وعاد إلى شرك آبائهِ القديم. وأخبر سقراط (١ المؤرخ معاصرهُ أنَّهُ دخل في بلاد الروم فنهب وسلب وأحرق وسبى وكان يقصد السَّير إلى القسطنطينيَّة ليفتتحها لكنَّهُ لم يفلح وأُصيب جيشهُ بكسرة عظيمة وقُتل منهم مئة ألف على قول سقراط وسبعون ألفًا على رأي الكتبة السريان

وقام بالملك بعد المنذر أبناؤهُ الثلاثة بالتوالي أعني نعمان الثاني ( ٤٦٢ ـ ٤٧١ ) المعروف بابن شقيقة صاحب الفرقتين الشهباء ودوسر. ثم الأسود ( ٤٧١ ـ ٤٩١ ) ثم المنذر الثاني ( ٤٩١ ـ ٤٩٨ ) ولا نعلم من أمر دينهم شيئًا بل أخبارهم مضطربة لا تُؤخذ سندًا لتاريخ

---

١) اطلب تاريخهُ ( ك ٧ ف ١٨ )

وأثبتُ منها أخبار النعمان الثالث ابن الأسود بن المنذر ( ٤٩٨ ـ ٥٠٣ ) الذي سها عن ذكرهِ معظم مؤرخي العرب الاَّ حمزة الأصفهاني ( ص ١٠٤ ) وقال انَّ امَّهُ كانت تدعى أم المالك وانَّها كانت ابنة عمرو المقصور أحد ملوك كندة وجدّ امرئ القيس الشاعر غزا أيضًا الروم ونهب بلادهم وكان في خدمة الملك قباذ. ولعلهُ هو هو الذي أشار إليهِ مؤرخو الروم (١ لمَّا ذكروا فتح الفرس لمدينة آمد فقالوا انَّ ملك العرب طلب من قُباذ أن لا يُصيبوا بأذىً الذين التجأُوا إلى كنيسة الأربعين شاهدًا وفي هذا دليل إلى ميلهِ إلى النصرانية لكنهُ بعد ذلك دالت عليهِ الدولة فكسرهُ الرومان دفعتين. وأخبر يوشع العمودي المؤرخ السرياني (٢ انَّ النعمان مشى أخيرًا إلى محاربة الرها مع قباذ ولمَّا نهاهما عن ذلك أحد ضباط جيشهِ النصارى وذكر لهُ قصَّة الابجر ملك الرها والسيد المسيح غضب عليهِ وشتم دينهِ وكان ذلك داعيًا إلى موتهِ إذ انتفض جرحهُ السابق فمات. فعيَّن قُباذ كخلفهِ في تدبير الملك رجلاً يدعوه أبو الفداء وحمزة الأصفهاني وغيرهما أبا يعفر علقمة وهذا لم يكن من أبناء الملوك ولعلهُ كان فقط وليًّا للملك وإنَّما كان من أشراف اللخميين وأحد أبناء أُسرة بني ذميل النصرانيَّة التي سبق ذكرها فاستخلفهُ قباذ ولم يتولّ سياسة الدولة إلاَّ ثلث سنوات ثمَّ أُقيم امرؤ القيس الثالث الذي لم تطل مدَّتهُ ( ٥٠٥ ـ ٥١٢ )

وصار الملك من بعد امرئ القيس إلى ابنه المنذر الثالث الشهير بابن ماء السماء الذي ملك ٤٩ سنة ( ٥١٣ ـ ٥٦٢ ) وماء السماء لقب امّهِ ماوية ( ويروى مارية ) ابنة عوف وقيل بل هي أخت كليب والمهلهل التغلبيَّين وانَّ اسمها رُبَيعة والعرب دعوها بماء السماء لكرمها ورقَّة طباعها. ويدعى أيضًا هذا المنذر بذي القرنين لضفيرتين كانتا لهُ من شعرهِ. وكان المنذر المذكور من أرفع ملوك الحيرة قدرًا وأشدّهم بأْسًا وهو الذي انتصر من بليزار أحد أبطال الروم في زمانهِ وكبير قوَّاد يستنيان. أمَّا دينهُ فانَّ شواهد المؤرخين متضاربة في تعريفهِ. وما يُحصَّل منها انَّهُ عرف النصرانيَّة منذ حداثة سنهِ لأنَّ أمَّهُ كانت نصرانية فلا شكّ أنَّها لقنتهُ منذ صغرهِ مبادئ الدين المسيحي لكنهُ لمَّا كبر وتولَّى الملك تحت سيطرة ملوك العجم عدل إلى

---

١) اطلب تاريخ روروباخر ( ٨ : ٥٥٧ )

٢) اطلب تاريخهُ (Josué le Stylite, *éd. Martin*. p. 42)

الشرك ودين المجوسيَّة أو بالحري إلى مذهب مزدك أي المانويَّة بايعاز ملك فارس. والظاهر انهُ في أثناء زندقتهِ استقبل الوفد الذي أرسلهُ ذو نوَّاس بعد قتلهِ نصارى نجران كما أخبر الكاتب المعاصر شمعون أسقف بيت أرشم (١ فطلب منهُ أن يقتفي آثارهُ ويقتل نصارى الحيرة فأَثر كلام ملك اليمن في المنذر وأراد أن يختبر صدق إيمان المتنصرين من جيشهِ فدعا قومًا منهم وعرض عليهم جحود إيمانهم فقام أحد صناديد ضبَّاطهِ فقال لهُ : « انَّ تنصُّرنا قد سبق جلوسك على عرش المناذرة فهيهات أن تقنعنا بالعدول عن ديننا. وعلى كل حال ان كان رصفائي لا يثبتون في مذهبهم فإني لا أجحدهُ مطلقًا ولست أخاف العذاب ولا الموت كما تحقَّقتَ ذلك لمَّا رأيتني في وقائع الحروب إذ لم يكُ سيفي أقصر من سواي » . فلمَّا سمع المنذر كلامهُ عرف أنَّهُ لا يستفيد شيئًا فعدل عن قصدهِ وترك كلاًّ من جنودهِ يتبع دينهُ. وبقي المنذر على زندقتهِ زمنًا وعبد كبعض العرب اللات والعزَّى. وممَّا أخبرهُ عنهُ المؤرخ زكريَّا الخطيب (٢ وميخائيل الكبير (٣ انهُ انتهك في بعض حروبهِ حرمة الكنائس والأديرة فنهب وسلب وأسر في أراضي الرومان عددًا من الأسرى بينهم ٤٠٠ من العذارى الراهبات قتلهنَّ وقدَّمهنَّ كذبائح للعُزَّى

على أنَّ المنذر لم يثبت في زندقتهِ بل جحد الوثنيَّة ونبذ مذهب مزدك. بل تنصَّر بعد ذلك كما يؤخذ من شهادات المؤرخين الروم والسريان والعرب. وقد روى صاحب الأغاني (١٩ : ٧٧) والقزويني ( ص ٢٨٥ ) وغيرهما خبر تنصُّرهِ في مطاوي ذكرهم للغربيَّين قالوا انَّ المنذر المذكور إذ كان قتل في بعض أيَّام ثملتهِ اثنين من أعزّ ندمائهِ عمرو بن مسعود وخالد بن المضلّل أقام على قبريهما غريَّين أو طربالين واتخذ لهما يومين يوم نعيم كان يُغني فيه من أتاه قبل غيرهِ ويوم بؤسٍ كان يقتل فيهِ أوَّل وافد عليهِ. فقتل في إحدى السنين عبيد الأبرص الشاعر ثم أتاه في سنة أخرى أحد مضيفيهِ المحسنين إليهِ في يوم صيدهِ يُدعى حنظلة بن أبي عفراء الطائي وهو يرجّي خيرًا فلم ير المنذر بُدًّا من قتلهِ لئلاَّ يحنث بوعدهِ إلاَّ أنَّ حنظلة طلب تأجيل الحكم

---

١) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني ( BO, I, 364 )
٢) اطلب تاريخهُ ( éd. Land III, 244 )
٣) في تاريخهِ ( éd. Chabot II, 178 )

لمدَّة معلومة واتَّخذ لهُ كفيلاً شريك بن عمرو الشيباني. فلمَّا جاء اليوم المعهود وكاد يُنفَذ الحكم في الكفيل رجع حنظلة مستعدًّا ليُقتَل. وإذ قضى الملك المنذر منهُ العجب سألهُ ماذا دفعهُ إلى القيام بوعدهِ فأجاب أن دينهُ النصراني دفعهُ إلى ذلك فتنصر الملك وأهل الحيرة معهُ. هذا ما رواهُ العرب. ومنهم من ينسب الأمر إلى النعمان الأوَّل وغيرهم يروونهُ عن النعمان أبي قابوس إلاَّ أنَّ أصحاب النقد يرجّحون أنهُ المنذر الثالث ابن ماء السماء. وهو يؤيّد كما ترى ما قلناهُ عن تنصر المنذر (١

أمَّا حنظلة فروى ياقوت ( ٢ : ٦٥٥ ) أنَّهُ بعد نجاتهِ من الموت زهد في الدنيا وابتنى ديرًا قريبًا من الفرات عند الرَّحبة دُعي باسمهِ دير حنظلة وكان حنظلة عمّ اياس بن قبيصة الذي صار ملكًا على الحيرة بأمر ملك العجم كما سترى

وقد جاء أيضًا في تاريخ ابن العبري ( مختصر الدول ١٤٨ ) ان المنذر كان يعتقد اعتقاد اليعقوبية كنصارى العرب إلاَّ أن ابن العبريّ ليس مصيبًا في ذلك ولعلَّهُ انخدع بشهادة بعض المؤرخين اليعاقبة مثلهُ. ولنا على صحة إيمان المنذر دليل لامع وهو ما رواه المؤرخ اليوناني تاوفانوس قال انَّ ساويرس البطريرك السرياني الدخيل أراد أن يجتذب إلى بدعتهِ ملك الحيرة فأرسل إليهِ أسقفين ليقنعاه بأنَّ في المسيح طبيعةً واحدة ليس طبيعتين كما تُعلِّم الكنيسة الارثذكسيَّة. فالملك سمع كلامهما ساكتًا ثمَّ فضَّ كتابًا كان في يدهِ فبدت عند قراءَتهِ الكأبة على وجههِ فسألهُ الأسقفان : ما الأمر. فقال : قد أبلغني كاتب هذه الرسالة أنَّ رئيس الملائكة قد توفي فهذا الخبر قد أمعضني جدًّا. فضحك الأسقفان حتى قهقها وقالا للملك : كيف يمكن أن يموت ملاك لا جسد لهُ فهذا كذب محض. فأردف الملك وقال لهما : وكيف أنتما تزعمان أنَّ المسيح وهو ذو طبيعة إلهيَّة مفردة قد مات. أليس هذا أعظم كذبًا وضلالاً ؟ ثمَّ ردَّ الأسقفين خائبين (٢

فيظهر من جواب المنذر لهذين الأسقفين أنهُ ليس فقط كان نصرانيًّا بل كاثوليكيًّا يؤيد ذلك المؤرخ فكتور التونويّ المتوفى سنة ٥٥٦ فقال انَّ المنذر تعمَّد

---

١) وذكر أبو الفداء في تقويم البلدان ( ص ٢٩٩ éd. Reinaud ) تنصُّر المنذر بقولهِ : « وبها ( أي بالحيرة ) تنصَّر المنذر بن امرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة »

٢) راجع تاريخ تاوفانوس في سنة ٥٠٥ وتاريخ ايڤاغريوس ( ك ٣ ف ٣٣ ) وتاريخ تاودورس القارئ ( ك ٢ ) وتاريخ زوناراس ( ك ١٤ ص ١٦٠ )

على يد أساقفة من أنصار المجمع الخلقيدوني (١

وكان هذا المجمع قد عُقد سنة ٤٥١ وحضرهُ أسقفان من العرب أوسطات ويوحنَّا فوقَّع كلاهما على أعمالهِ باسم أسقف السراكسة أو الشرقيين. وعلى رأي البولنديين المشهورين بتدقيقهم في البحث أن البدعتين اليعقوبيَّة والنسطوريَّة لم تفشوا بين عرب العراق إلاَّ بعد أواسط القرن السادس في أيَّام فيروز ملك العجم لمَّا أطلق العنان لبرصوما. إلاَّ أنَّ السمعاني في المكتبة الشرقيَّة ( مج ٣ الجزء ٢ ص ٦٠٥ ) يرتإي انَّ البدعتين أخذتا في الانتشار منذ أواسط القرن الخامس ويأتي ببعض الشواهد لتأييد قولهِ. وكان للنسطوريَّة في العراق السهم الأفوز

وكانت وفاة المنذر ابن ماء السماء في يوم حليمة أحد أيَّام العرب الشهيرة بين اللخميين وبني غسَّان. فضبط زمام الملك ابنهُ عمرو بن المنذر الشهير بعمرو بن هند ( ٥٦٢ ـ ٥٧٤ ) واشتهر كأبيهِ بعدَّة وقائع مع الروم وعرب غسَّان وعرب اليمامة وغيرهم. أمَّا دينهُ فالنصرانيَّة لنا على ذلك شاهد جليل رواهُ أبو عبيد البكري الوزير في معجم ما استعجم ( ص ٣٦٤ ) وياقوت في معجم البلدان ( ٢ : ٧٠٩ ) في وصف دير هند الأقدم أو دير هند الكبرى أمّ عمرو وابنة الحارث بن عمرو بن حجر الكنديّ قال :

« وكان في صدرهِ ( أي صدر دير هند ) مكتوب : بنتْ هذه البيعة هندٌ بنت الحارث بن عمرو بن حُجْر الملكة بنتُ الأمْلاك وأمّ الملك عمرو بن المنذر أَمَةُ المسيح وأمُ عبدهِ وابنة عبدهِ في زمن ملك الأملاك خسرو انوشروان وفي زمن افرائيم الأسقف. فالإله الذي بنت لهُ هذا الدير يغفر خطيئَتها ويترحَّم عليها وعلى ولدها ويُقبل بها وبقومها إلى أمانة الحقّ ويكون الإله ( وروى ياقوت : الله ) معها ومع ولدها الدهر الداهر »

فهذا القول من أوضح البيِّنات على نصرانيّة عمرو بن هند بل على نصرانيَّة ملوك كندة كما ترى

وخلف عَمْرَ بن هند النعمانُ بن المنذر وهو صاحب عديّ بن زيد الشاعر النصراني العبادي الشهير وعلى ما يُستنتج من رواية مؤرخي السريان أنَّهُ كان نصرانيًّا قبل جلوسهِ على سدَّة الملك. أمَّا العرب فيخبرون أنَّهُ تنصر على يد صهرهِ عديّ بن

---

١) اطلب تاريخهُ في مجموع الآباء اللاتين لمين ( Migne P. L. t. 88 col. 951 )

زيد زوج ابنتهِ هند بنت النعمان وماريَّة الكندية المعروفة بالحُرَقة. وقد روى غير واحد منهم ( راجع الأغاني ٢ : ٣٤ ) ان النعمان مرَّ بمقبرة فأنشدهُ عدي أبياتًا زهديَّة ( اطلب شعراء النصرانيَّة ص ٤٤١ ـ ٤٤٢ ) كانت سبب تنصُّرهِ بل روى أبو الفرج أنهُ « لبس المسوح وتنصَّر وترهب وخرج سائحًا على وجههِ فلا يدرى ما كانت حالهُ فتنصَّر ولدهُ بعدهُ وبنوا البيَع والصوامع »

على أنك رأيت ممَّا سبق أنَّ ملوك الحيرة تنصروا قبل ذلك وقد جاءت أخبار النعمان بن المنذر مضطربة فمنهم من أخبر أنَّهُ فتك بعديّ بن زيد فقتلهُ فقام ابن عديّ المدعو زيدًا كجدهِ فسعى بهِ لدى كسرى انوشروان فحبسهُ وقتلهُ. وروى غيرهم ولعلَّهُ الأصحّ انَّ قاتل عديّ بن زيد إنَّما هو خلفهُ المنذر أبو قابوس (١. أمَّا ابنتهُ هند فزهدت بالدنيا وعمَّرت لها ديرًا عُرف بدير هند. ولهند هذه قصة مشهورة مع سعد ابن أبي وقَّاص بعد يوم القادسيَّة ثمَّ مع المغيرة بن شعبة الذي خطبها لمَّا تولى الكوفة فردَّتهُ ردًّا لطيفًا وماتت في رهبانيَّتها

وممَّا لا يُنكر أنَّ النصرانيَّة غلبت بعد ذلك على ملوك الحيرة وأهلها العرب حتى يجوز القول بأنَّها عمَّتهم قاطبة وأنَّ المسلمين لمَّا فتحوا مملكة المناذرة وجدوها مملكة نصرانيَّة في دينها وآدابها وعاداتها. ومن بعض أصحابها أخذ العرب كتابتهم كما مرّ في المشرق ( ٤ : ٢٧٨ ـ ٢٨٢ ) وان كانت بعض فروع الكتابة أتتهم أيضًا من نصارى النبط ومن أهل دومة الجندل ومن الحبشة كما ورد هناك أيضًا وأثبتتهُ الاكتشافات الأثرية الأخيرة. وكان المتولي على عرب الحيرة في عهد الفتح الإسلامي اياس بن قبيصة الطائي كان كسرى ابرويز ولاَّهُ عليهم بعد وفاة المنذر ريثما يعين لهم ملكًا من أبنائهِ فبقي على ولايتهم إلى دخول المسلمين في الحيرة. ونصرانيَّة اياس المذكور ثابتة لا شكّ فيها كما رأيت (٢

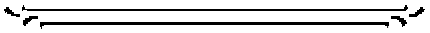

١) اطلب أخبار عدي بن زيد في شعراء النصرانية ( ص ٤٣٩ ـ ٤٧٤ )
٢) اطلب أيضًا شعراء النصرانيَّة ( ٩٢ و ٩٤ )

## الباب الثامن
## النصرانيَّة في الجزيرة

تتبعنا آثار النصرانيَّة بين العرب في الجاهلية على حدود بحر فارس ثم في جهات العراق ورأينا ما خلفتهُ لنا التواريخ من أخبار الدين المسيحي في الممالك الثلاثة الكبرى التي اقتسمت جزيرة العرب أعني دول الغساسنة والتبابعة والمناذرة. وحتى الآن لم نستوفِ مآثر نصارى العرب على التخوم الفاصلة بلادهم عن البلاد المجاورة

فمَّما لم نذكرهُ حتى الآن السهول الواسعة والبقاع الرحبة الممتدَّة من جهات الموصل إلى مجرى الفرات المتوسطة بين الأرمن والشام. فهناك مفاوز متسعة يسقيها النهران الكبيران دجلة والفرات مع عدَّة أنهار تنصبّ فيها أخصها الخابور. فتلك البوادي التي كانت الأمم القديمة تتزاحم في ملكها لخصبها العجيب ووفرة خيراتها وسعة غلاَّتها ازهرت فيها مدن عديدة وحواضر ممصَّرة لم يبقَ من أكثرها اليوم غير أخربة مهيبة أو مدن ثانويَّة تنبئ بعظم مقامها في القرون الغابرة كنصيبين ودارا ودُنيسر وآمد وميافارقين وسعرت وماردين والرَّقة ورأس العين وقرقميش وقرقيسيا والرها التي يُطلق على مجموعها اسم الجزيرة

فتلك البلاد المتدفقة بالنعم الزاخرة بالخير قد احبَّتها منذ سالف الأجيال قبائل العرب سواء كانوا من أهل الحضر أو من أهل المدر إذ كانوا يجدون فيها ما يصلح لمعاشهم الساذج ولرعية مواشيهم فيتنقلون إذا شاءوا من الأرياف إلى البراري ليس من يتعرَّض لاستقلالهم أو يتداخل في أمورهم غير شيوخهم وأمراء عشائرهم

وما يدلّ على انتشار القبائل العربيَّة في الأنحاء المذكور أَعلامها المشيرة إلى قاطنيها كباعربايا وجزيرة ابن عمر وديار ربيعة وديار بكر وديار مضر وغير ذلك ممَّا ينوّه اسمهُ باصل سكانه. فباعربايا أو بيت عربايا اسم لثلاثة أماكن احتلَّها العرب أخصُّها مدينة كانت قريبة من نصيبين. وجزيرة ابن عمر وعلى الأصحّ « ابني عمر » هي مدينة موقعها على دجلة يدعوها الكلدان بازَبْدى ثم نُسبت إلى ابني عُمَر وهما على ما روى ابن خلكان « اوس وكامل ابنا عُمَر بن أوس التغلبي »

أمَّا ديار بكر وديار ربيعة وديار مُضر فقد أحسن في وصفها ياقوت في معجم البلدان ( ٢ : ٦٣٦ ـ ٦٣٨ ) فقال عن ديار بكر :

« ديار بكر هي بلاد واسعة تُنْسَب إلى بكر بن وائل ... بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان وحدُّها ما غرَّب من دجلة من بلاد الجبل المطلّ على نصيبين إلى دجلة ومنهُ حصن كيفا وآمد وميَّافارقين. وقد يتجاوز دجلة إلى سعرت وحيزان وحينى وما تخلَّل ذلك من البلاد ولا يتجاوز السهل »

وقال عن ديار ربيعة :

« ديار ربيعة بين الموصل إلى رأس عين ودُنَيْسر والخابور جميعهُ وما بين ذلك من المدن والقرى وربَّما جُمع بين ديار بكر وديار ربيعة وسُمّيت كلها ربيعة فانَّهم كلهم ربيعة. وهذا اسمٌ لهذه البلاد قديم كانت العرب تحلُّهُ قبل الإسلام في بواديهِ واسم الجزيرة يشمل اَلكلّ »

وقال في ديار مضر :

« ديار مُضر هي ما كان في السهل بقرب من شرقيّ الفرات نحو جرَّان والرقَّة وشمشاط وسروج وتلّ مَوْزَن »

أمَّا القبائل التي كانت تسكن في تلك الجهات فكانت من ذريَّة نزار بن معد كإياد بن نزار بعد فرارهم من تخوم العجم ومُضر بن نزار منهم بنو النمر بن قاسط ولاسيَّما بني ربيعة منهم خصوصًا بنو تغلب وبني بكر وبني شيبان. قال أبو محمَّد الحسن الهمداني في كتاب صفة جزيرة العرب ( ص ١٣٢ éd. D. H. Müller ) يذكر منازل تلك القبائل :

« ثمَّ تأتي الفرات من بلد الروم شاقًّا في طرف الشام على التواء إلى العراق فغربيُّهُ ديار كَلْب وشرقيُّهُ ديار مُضَر ( فيها ) من المدن الرافقة وهي على شط الفرات يسكنها اخلاط مُضر. وحرَّان موضع آلة القياس مثل الاسطرلابات وغيرها ... لبني تميم ومن يُخالط بني سُليم. والرُّها لبني سُلَيم وكنيسة الرها التي يُضَرب بها المثل. ومَرْبَعا والخابور لبني عُقَيْل اعلاه ولبني مالك وبني حَبيب وبطون تغلب الباقي. ثم آخر ديار مضر رأسُ العين للنمر ابن قاسط

( ديار ربيعة ) وما خلفها. أوَّلها وآخر ديار مضر رأسُ العين. ثم كفرتوثا لجشم عن اياسرها مارَّة من موضع الجنَّات المضروب بها المثل وهي تطلّ على دارَين ثم نصيبين .. وهي دار آل حمدان بن حمدون موالي تغلب. فمن نصيبين إلى أَذْرَمة والسُّمَيعية مسيرة يوم وعن أيمن ذاك جبل سنجار جبل شُراة بين تغلب والشراة منها بنو زهير وبنو عمرو ثم من أيمن ذلك دُهُنَّا إلى رحبة مالك بن طوق وقرقيسيا ثم ترجع إلى اذرمة إلى برقعيد وهي ديار بني عبد من تغلب ... ثم منها إلى بَلَد وفيها شراة وغير ذلك على حدّ الموصل. وإن أردت بعد أرض الموصل مررت بتكريت وكان ( نهر ) الثرثار عن يمينك. وأكثر أهل الموصل مذحج وهي رَبِعية فان

تياسرتَ منها وقعت إلى الجبل المسمَّى بالجودي يسكنهُ ربيعة وخلفهُ الأكراد وخلف الأكراد الأرمن. وان تيامنت من الموصل تريد بغداد لقيتْك الحديثة وجبل بارمَّا يسمَّى اليوم حُمْرين .. ثم السنّ والبوازيج بلاد الشراة من ربيعة ثم يقع في جبل الطور البري وهو أوَّل حدود ديار بكر وهو لبني شيبان وذويها لا يمازجهم إلى ناحية خراسان إلاَّ الأكراد ))

فإذ عرفت حدود الجزيرة والقبائل العربيَّة المنتشرة فيها بقي علينا أن نبين ما كان للنصرانيَّة من النفوذ بينها فنقول :

انَّ أوَّل برهان يثبت دخول النصرانيَّة بين عرب الجزيرة ما أصاب هذا الدين من الانتشار السريع الغريب في ما بين النهرين كما تصرّح بهِ كل الآثار التاريخيَّة والكتابيَّة والبنائية كالكنائس الباقية إلى يومنا الراقية إلى القرن الرابع والخامس للمسيح وكصوامع الرهبان ومغاورهم. فلا يقبل العقل انَّ عرب الجزيرة لم ينالوا من الدعوة المسيحية حظَّهم كما أصابهُ اخوتهم في بادية الشام وفي اليمن والعراق ولهم شظف عيشهم وسلامة طباعهم ما يعدّ قلوبهم لقبول ذلك الزرع الإلهي الذي أتى بهِ ابن الله إلى الأرض وبذرهُ في التربة الجيدة ولاسيَّما بعد أن عاين أهل الجزيرة مع العرب ( أعمال ٢ : ٩ ـ ١١ ) المعجزات التي جرت يوم حلول الروح القدس في أورشليم

ولنا دليل ثانٍ على تديُّن عرب الجزيرة بالنصرانية بعد نبذهم لشرك الوثنية أَلا وهو الغيرة الملتهبة التي كانت في قلوب الرسل والدُّعاة الأوَّلين للنصرانية فإنَّ بعضهم بلغوا إلى أقاصي الأرض كما رأيت فما قولك بالبلاد بالمجاورة لليهوديَّة التي كثرت فيها المعاملات مع فلسطين منبع الدين المسيحيّ

ثالثًا وان استفتينا التواريخ القديمة والتقاليد المحليَّة والطقوس السريانيَّة وجدناها كلها تتفق على ذكر دعوة العرب إلى الإيمان بالمسيح كدعوة بقيَّة أهل الجزيرة. قال عبد يشوع الصوباوي في ذكر ادّي رسول الجزيرة ما تعريبهُ : (( قد اقتبلت الرها ثم نصيبين وسائر العرب وكل تخوم الجزيرة الكهنوت المقدس من ادّي أحد السبعين تلميذًا )) . وقال ايليَّا الأسقف الدمشقي يذكر ادّي وتلميذهُ ماري : (( وكان الداعي والمنصر والمتلمذ والمدبر بالجزيرة والموصل وأرض بابل والسواد... ونواحي الاعراب من التلاميذ السبعين ادّي وماري (١ )) . وقال ماري بن سليمان ( éd. Gismondi, p. 2 ) : (( وتوجه آحي وماري ( تلميذا ادّي ) إلى نصيبين واعمدا أهلها وانفذ

---

١) اطلب المكتبة الشرقيَّة للسمعاني ( ٤ : ٥ ـ ٢٥ )

ماري إلى المشرق وآحي إلى قردى وبازبدى ثم توجَّه ادّي إلى المشرق وبدأ بناحية حزَّة والموصل وباجرمي وعاد إلى مدينة الرها واستناح فيها بعد ١٢ سنة... )) وقال أيضًا: (( وادّي قصد مع آحي ومار ماري بلاد الرها والموصل وبابل والشمال والجنوب وبوادي المغرب ( والصواب : العرب ) )) . وجاء في أخبار فطاركة كرسي المشرق لعمرو بن متى الطيرهاني ( éd. Gismondi ١ ص ) مصرّحًا : (( ثم انهُ ( أي ماري ) بادر إلى تلماذ جميع نواحي أرض بابل والعراقين والأهواز واليمن والجزائر وبلاد العرب سكان الخيم ونجران وجزائر بحر اليمن ))

ويمكننا أن نضيف إلى هذه الشهادات ما رويناه سابقًا عن تبشير عرب العراق فانَّ الشواهد المروية هناك عن الرسل وتلاميذهم تصحُّ في عرب الجزيرة. ومثلها أقوال المؤرخين في بشارة الرسول برتلماوس للعرب. وكذلك ورد في السنكسارات القديمة وفي خطط المقريزي (١ ان يهوذا الرسول المعروف بتداوس (( كرز في سوريَّة والجزيرة ))

رابعًا وان تخطَّينا عهد الرسل إلى القرن الثاني والثالث للمسيح رأينا بلاد الجزيرة زاهرة بالدين النصراني. ففي الرها كانت الترجمة الأولى للكتب المقدَّسة إلى السريانيَّة وهي الترجمة المعروفة بالبسيطة في أواخر القرن الأوَّل للمسيح أو أوائل الثاني (٢ وهناك تولى طاطيانوس تلميذ القديس يوستينوس الفيلسوف الشهيد في القسم الثاني من القرن الثاني تنسيق الأناجيل الأربعة برواية واحدة تعرف بالدياطاسارون (٣. وهناك تنصَّر الأباجرة ملوك الرها سواء يُسلَّم بصحَّة المكاتبة بين السيد المسيح والابجر المعروف باوخاما كما تعتقدهُ الكنائس السريانيَّة أو يؤجل تنصُّرهم إلى أيام كراكلاَّ برجوع ابجر التاسع ( ١٧٩ ـ ٢١٤ ) وهناك عُقد مَجمعان واحد ذكرهُ اوسابيوس في تاريخهِ ( ك ٥ ف ٢٢ ) نحو سنة ١٥١ للمسيح التأم فيهِ ١٩ أسقفًا للنظر في أمر الفصح وتعيين يومهِ (٤. والآخر عُقد بعدهُ بزمن قليل للفحص عن أقوال بعض

---

١) اطلب الخطط طبعة بولاق ( ٢ : ٤٨٣ )
٢) راجع ويسمان ( Wiseman : *Horæ syriacæ* ) وتاريخ الآداب السريانيَّة لرَيْت ( ص ٣ )
٣) اطلب المشرق ( ٤ : ١٠٠ )
٤) اطلب مجموع المجامع لمانسي ( Mansi, *Collectio Conciliorum* I, 719 et 727 )

المبتدعين كتاودوطس وابيون وارتيمون حضرهُ ١٤ أسقفًا (١ فكفى بعدد هؤلاء الأساقفة دليلاً على انتشار الدين المسيحي في زمن قريب من رسل الربّ يؤيد ما جاء في تقاليد كنائس الجزيرة عن أسماء عدَّة أساقفة رعوا المؤمنين قبل القرن الرابع في مدن عديدة كنصيبين وبازبدى ( جزيرة بني عمر ) وآمد والرقة وهلمَّ جرًّا

أمَّا كون العرب هناك كانوا من جملة المتنصرين فيشهد عليهِ ابن ديصان الذي عاش في الرها ( ١٥٤ ـ ٢٢٢ ) فيذكر أهل الرها وأهل حضر (٢ وكانوا من عرب قضاعة عليهم ملكٌ يمتدُّ ملكهُ في أنحاء الجزيرة فقال عنهُ عديّ بن زيد :

واخو الحَضْر إذ بناهُ واذ م دجلةُ تجبى إليه والخابورُ

خامسًا ثم جاء القرن الرابع والخامس فكانا زمن انتصار الدين المسيحي في العالم الروماني فظهرت النصرانيَّة في كل رونقها وجلالها في أنحاء الجزيرة فاستقت القبائل العربيَّة هناك من مواردها العذبة وكان ذلك على الأخصّ بواسطة الرهبان والسيَّاح الذين اختاروا بلاد الجزيرة ليقدّسوها بفضائلهم كما قدَّس سيَّاح مصر بلاد الصعيد. وكان منشئ العيشة الرهبانيَّة في الجزيرة القديس اوگين من تلامذة القديس انطونيوس الكبير. وقد أجمع المؤرخون الكلدان والسريان انهُ قدم من مصر في العشر الثاني من القرن الرابع وسكن في جبل نصيبين المسمَّى جبل الإزْل وبشَّر بالإيمان في نصيبين وعمَّد عاملها وأولاده وطاف بلاد قردى وبازبدى وجهات نصيبين حيث كانت قبائل العرب وتلمذ الناس وبنى الأديرة منها دير الزعفران مقام بطاركة اليعاقبة في يومنا وهو قرب ماردين وتتلمذ لهُ عدد من الرهبان. وكانت وفاة مار اوگين في نصيبين

ويؤيد شهادة السريان المؤرخ اليوناني المعاصر سوزومان (٣ في الكتاب السادس من تاريخهِ ( الفصل ٣٤ ) فقال عنهُ أنَّ اوكين وهو دعاهُ اونس ( Aónes ) جارى القديس انطونيوس بنشرهِ المناسك الرهبانيَّة في الجزيرة وفي تخوم العجم وقال عنهُ انهُ سكن في نواحي نصيبين في فادانا ( Phadana ) ثم انتقل المؤرخ إلى ذكر

---

١) فيهِ Mansi ibid.
٢) اطلب كتاب الشرائع لابن ديصان ( Bardesane: *le Livre des Lois des pays*, p. 59 )
٣) اطلب مجموع الآباء مين ( Migne, PP. GG. LXVII, 1391 )

تلاميذهِ أو المتشبهين بسيرتهِ فذكر في جبل سنجار باتَّاوس واوسابيوس وبرجس وكالس وآبا ولعازر الذي سُقّف بعد ذلك على نصيبين وعبد الله وزينون وهليودورس وذكر في حرَّان اوسابيوس الحبيس وبروتوجان الذي تولَّى الأسقفيَّة على حرَّان بعد بيتوس

وذكر السريان من تلامذة مار اوگين القديس شليطا الراهب الذي بشر بالإيمان في بازبدى ثم سابا الذي عمر هناك ديرًا ويوحنا الذي كان يطوف القرى وينصّر الناس وآحا اخا يوحنا (١. ثم تبعهم آخرون كثيرون وعمَّروا الأديرة العديدة حتى صارت بعض أنحاء الجزيرة كمدن رهبانيَّة لاسيَّما الأمكنة والمقفرة والجبال كالجبل المعروف بطور عابدين في شمالي شرقي ماردين وجبل الإِزْل السابق ذكرهُ وجبال الموصل والرها. وزعم بعض المؤرخين أنَّ بين هذه الأديرة ما كان يبلغ عدد رهبانهِ عدَّة آلاف منها للرجال ومنها للعذارى (٢ وقد بقي من هذه الأديرة إلى يومنا آثار ظاهرة وبقايا معتبرة. فإنَّ حضرة القسّ اسحاق أرملة وصف في مقالة نفيسة الأديرة التي تُرى آثارها بقرب ماردين فقط (اطلب المشرق ١٢: ٧٦٠)

واشتهر مع هؤلاء كثيرون من كبار المعلمين والأولياء كالقديس يعقوب النصيبيني والقديس افرام والأساقفة القديسين برسيس واولوجيوس وربُّولا والقديس بوليان سابا

فهؤلاء كلهم أو أكثرهم اختلطوا بعرب الجزيرة ونصَّروهم ودعوهم إلى الدين المسيحي. وكانت سيرتهم الملائكيَّة تؤثر في أهل البادية فكانوا يقصدونهم ويلتمسون صلواتهم ويطلبون منهم شفاء أمراضهم فينالون غالبًا ملتمسهم ويقبلون دين المحسنين إليهم فيعتمدون. وذلك منذ القرن الرابع كما تشهد عليهِ نصوص المؤرخين حتى أمكن السمعاني أن يقول في مكتبتهِ الشرقيَّة ( ٤ : ٥٩٨ ) : ان العرب الذين كانوا يسكنون في الجزيرة ونواحي الكلدان والخليج العجمي عدلوا إلى الدين المسيحي قبل السنة ٣٢٠ المسيح بهمة أساقفة الرها والمدائن والرهبان المنتشرين بينهم

وممَّن شهد على تنصر العرب المؤرخ اليوناني سوزومان فقال في تاريخهِ ( ك ٦

---

١) اطلب تاريخ ماري بن سليمان ( ص ٢٦ ) والمكتبة الشرقية للسمعاني ( ٤ : ٨٦٥ )
٢) اطلب تاريخ العيشة الرهبانية تاودوريطوس Theodoreti : *Hist. religiosa*. c. 30

ف ٣٤ ) عن الرهبان : « انَّ هؤلاء النساك قد جذبوا إلى دين المسيح كل السريان تقريبًا وعددًا عظيمًا جدًّا من الفرس والعرب بعد أن أنقذوهم من عبادة الأصنام » . وقد مرَّ بك ما رواهُ تاودوريطس عن القديس سمعان العمودي وقبائل العرب التي تنصَّرت على يدهِ. وكان كثير منها تقاطرت إليهِ من العراق واليمن فما قولك بالقبائل التي كانت قريبة منهُ كقبائل الجزيرة

سادسًا وكما شهد كتبة السريان واليونان على نصرانيَّة قبائل الجزيرة كذلك وافقهم كتبة العرب على هذا الأمر كما سترى

اعلم انَّ مؤرخي الإسلام مع قلة ما كتبوا عن عرب الجزيرة في الجاهليَّة ذكروا غير مرَّة نصرانيَّتهم وصرَّحوا كما بينَّا سابقًا بنصرانيَّة بني إياد بن نزار ( المشرق ١٤ : ٨٨٩ ) سواء قيل انَّهم تنصَّروا قبل دخولهم في حكم الرومان أو بعد خروجهم من بلاد فارس إذ لحقوا بالجزيرة. وكذلك أثبتوا نصرانيَّة ربيعة المحتلّين في ديار ربيعة وديار بكر. قال ابن قتيبة في كتاب المعارف ( طبعة مصر ص ٣٠٥ ) : « وكان النصرانيَّة في ربيعة » . وقال صاحب السيرة الحلبيَّة ( ج ٣ ص ٩٥ ) : « ومن قبائل العرب المتنصِّرة بكر وتغلب ولخم وبهراء وجذام » . وبقيت بعض هذه القبائل على نصرانيّتها زمنًا طويلاً بعد الإسلام كما ترى في الآثار الباقية وفي كتب العرب والسريان بل ربما ذكروا أساقفة لبني مَعدّ وتنوخ وعقيل (١. وجاء في ترجمة ماروثا أسقف تكريت انهُ جعل تحت حكمهِ ثلاثة أساقفة كانوا يدبّرون قبائل العرب وهم اسقف بيت رامان أو بيت رزيق ثم أسقف بني جرم وأسقف بني ثعلبة (٢

وكان نصارى غربيّ الجزيرة يتردَّدون إلى مشهد القديس سرجيوس أو سرجيس الشهيد في الرُّصافة ( Sergiopolis ) ويعظمونهُ وكانت صورتهُ مع الصليب على راياتهم الحربيَّة. قال الأخطل ( اطلب ديوانهُ ٣٠٩ ) :

لمَّا رأونا والصليب طالعا ومار سرجيسِ وموتًا ناقعا
وابصروا راياتنا لوامعا خلَّوا لنا راذان والمزارعا

---

١) اطلب الآثار السريانية مجموعة لند ( Land : *Anecdota Syriaca*, I, 47, 50 ) وفي منتجات لاگرد ( Lagarde : *Analecta Syriaca*, p. 108 )
٢) اطلب السمعاني ( المكتبة الشرقية ٢ : ٤١٠ )

وقال جرير :

فبالصليب ومار سرجِس تتقي شهباءُ ذات مناكبٍ جمهورا

وقال أيضًا :

يستنصرون بمار سرجسَ وابنهِ بعد الصليب وما لهم من ناصرِ

ثامنًا ويؤيد شهادة العرب عن النصرانيَّة في الجزيرة ما رووهُ عن أديرتها هناك فممَّا ذكرهُ ياقوت ( في معجم البلدان ٢ : ٦٤١ ـ ٧١٠ ) دير الأبيض قرب الرها وهو مشرف على حرَّان. ودير أحويشا بسعرت ( قال : فيهِ ٤٠٠ راهب ). ودير باثاوا بقرب جزيرة ابن عُمَر. ودير باعربا بين الموصل والحديثة. ودير باغوث بين الموصل وجزيرة ابن عُمَر. ودير باطّا بين الموصل وتكريت. ودير بانخايال ( أو مخائيل ) في أعلى الموصل. ودير الرُّصافة قرب الرقَّة. ودير الرمَّان بين الرقَّة والخابور. ودير الزرنوق على فرسخين من جزيرة ابن عُمَر. ودير الزعفران ( مرَّ ذكرهُ ). ودير زكَّى على باب الرها. ودير صلوبا من قرى الموصل. ودير عبدون قرب جزيرة ابن عمر. ودير العذارى من أعمال الرقة بين الموصل وباجرمي. ودير قنسري على شاطئ الفرات في نواحي ديار مضر على أربعة فراسخ من منبج كان يسكنهُ ٣٧٠ راهبًا. ودير الكلب بين الموصل وجزيرة ابن عمر كان الناس يلتجئون إلى رهبانه إذا أُصيبوا بداء الكلَب فيبرأون. ودير لُبَّى على الفرات من منازل بني تغلب. ودير مار سرجيس على الفرات. ودير متى بشرقي الموصل شهير. ودير توما بميافارقين. ودير مر جرجيس فوق بلدَ بينها وبين جزيرة ابن عمر. ودير مرماعوث على شاطئ الفرات. ودير مر يوحنَّا إلى جانب تكريت على دجلة. ودير منصور مُطلّ على نهر الخابور. ودير يونس في جانب دجلة مقابل الموصل

غير أنَّ النصرانيَّة في الجزيرة منذ أواسط القرن الخامس تشوهَّت باضاليل البدع ولاسيَّما البدعة اليعقوبيَّة التي انتشرت في تلك الجهات انتشار العدوى القاتلة ففصلتها عن مركز الوحدة وأوقعتها في لجَّة الضلال

قال يوحنا الافسسي في تاريخهِ السرياني انَّ ما جرى بين قبائل العرب المتنصرة من الجدال بسبب المجمع الخلقيدوني شتَّت شمل كثيرين منهم حتى أصبحوا خمس

عشرة فرقة. ومثلهُ قال ميخائيل الكبير وابن العبري في تاريخهما الكنسي (١. على أنَّ الكتبة اليعاقبة يلقون التبعة على الكاثوليك وكان الأحرى بهم أن يلقوها على سوء تصرُّفهم وعصيانهم على المجمع المسكوني

وكان رهبان النساطرة واليعاقبة يتسابقون إلى عرب البادية ليبثُّوا بينهم زؤان أضاليلهم. كأَحُودمه ( ٥٥٩ ـ ٥٧٥ ) تلميذ يعقوب البردعيّ الذي أخبر عنهُ ابن العبري في تاريخهِ الكَنسيّ (٢ « انهُ لمَّا صار مفريانًا على المشرق ذهب ليدعو إلى النصرانيَّة القبائل العربيَّة الساكنة في الخيم وردّ منهم كثيرين وجعل عليهم كهنة ورهبانًا وابتنى لهم ديرين يدعى الواحد دير عين قنَّا والآخر دير جثان بقرب تكريت »

واشتهر بين اليعاقبة بعد ذلك « جرجس اسقف العرب » فإن هذا كان من علماء عصرهِ نقل إلى السريانيَّة عدَّة تآليف لليونان منها كتاب الاورغانون لأرسطو وألَّف التآليف العديدة في شرح الكتاب المقدَّس وأسرار الكنيسة وغير ذلك وكان كرسيهُ في عاقولاء بين قبائل العرب. وميامرهُ بالسريانيَّة شهيرة. كانت وفاتهُ سنة ٧٢٤ م

وفي أخبار الأخطل وقومهِ وحروبهم مع زُفر بن الحارث وقبائلهِ القيسيَّة شواهد لامعة تبيّن أنَّ النصرانيَّة بقيت بين عرب الفرات زمنًا طويلاً بعد الإسلام في عهد بني أميَّة

## الباب التاسع
### النصرانيَّة بين عرب شمالي سوريّة

انَّ في شمالي سوريَّا مفاوز متسعة تمتدُّ من نواحي دمشق إلى تدمر شرقي جبل الشيخ ثم حمص وحماة وتبلغ إلى جهات حلب وتتناول البوادي الفسيحة التي تنبسط في تلك الأنحاء شرقًا حتى نهر الفرات. فهذه الصحاري الرحبة كانت أيضًا من قديم الزمان محطًّا لقبائل العرب تجول في بسطتها دون أن يضايقها سكَّان المدن وهناك تسرح

---

١) اطلب كتاب العلاَّمة نولدك في امراء غسَّان T. Noeldek: *Die Ghassânishen Fürsten*, p. 31-32

٢) اطلب طبعة ابّلوس ( Abbelos : *Greg. Barhebraei Chron. Ecclesiasticum*, II, 100 )

مواشيها وترعى ابلها في أيام الربيع فإذا اشتدّ عليها القيظ تقرَّبت من الأرياف أو جاورت ضفاف الفرات

فتلك البلاد الواسعة كانت في القرون السابقة للإسلام ديارًا لقبائل عربيَّة جليلة أخصُّها بنو كلب كانوا يسكنون منها القسم المتَّصل بالفرات شرقًا في البيداء المعروفة بالسماوة. قال الهمداني في صفة جزيرة العرب ( ص ١٢٩ ) : « أمَّا كلب فمساكنها السماوة ولا يخالط بطونها في السماوة أحد. ومن كلب بأرض الغوطة عامر بن الحصين وابن رباب المعقلي »

وقال في موضع آخر عن قبائل الجهات التي نحن في صددها :

وإن جُزْت جبل عاملة تريد قَصْد دمشق وحمص وما يليها فهي ديار غسَّان من آل جفنة وغيرهم. فإن تياسرتَ من حمص عن البحر الكبير وهو بحر الروم وقمتَ في أرض بهراء ... ثم من أيسرهم ممَّا يصل البحر تنوخ ... ثم تقع في نصارى وغير ذلك إلى حدّ الفرات إلى بالس في برية خُساف وهي من الدهناء ومنها مخرج إلى تدمر ذات اليمين وهي تدمر القديمة وهي جانب السماوة

« وما وقع في ديار كلب من القرى تدمر وسلميَّة والعاصميَّة وحمص وهي حميرية وخلفها مما يلي العراق حماة وشيزر وكفرطاب لكنانة من كلب ثم ترجع بكنانة كلب من ديارها هذه إلى ناحية السماوة والفرات من المدن تلّ منَّس وحرص وزعرايا ومنبج. ومنبج بينهم وبين بني كلاب إلى حدّ وادي بطنان »

لا شكّ أنَّ كل هذه النواحي التي كان عرب البادية يقيمون فيها لم تُحرَم من الدعوة النصرانية ولو لم يكن لنا حجَّة لتأييد قولنا غير موقع ديارها لكفى بهِ دليلاً لأنها واقعة كما ترى بين فلسطين والشام وجهات انطاكية وحلب وأنحاء الرها وكلها بلادٌ أصابت سهمًا معلًّى من الدعوة المسيحيَّة لقربها من ينابيع الخلاص فلا غرو أن تكون جرت إليها منها جداول قبل بقيَّة الأقطار بعد صعود الرب بزمن قليل

وفي هذه الأنحاء، بل في القرى أيضًا، تعدّدت في القرون النصرانيّة الأولى الكراسي الأسقفية ليس في المدن فقط بل في القرى أيضًا حتى الصغيرة ( μικροκομίαι ) كما يشهد على ذلك القديس باسيليوس في رسالتهِ ١٩٠ إلى امفيلوخيوس (١

وورد في الآثار الكتابيَّة أو التواريخ القديمة أسماء عدَّة أساقفة كانوا يسوسون

---

١) اطلب مجموعة مين ( Migne, P. G. t. 32, col. 697 )

الرعايا المتفرّقة في المقاطعات التي نحن في صددها وقد وقَّع كثيرون منهم على أعمال المجامع النيقاوي والقسطنطيني والافسسي والخلقيدوني

وقد أثبت حضرة الاب سبستيان ونزقال في مقالتهِ عن زينت ( المشرق السنة الأولى ص ٩٨٧ ـ ٩٩٠ ) ما كان للنصرانيَّة من النفوذ في تدمر والبلاد المجاورة لها في القرن الثالث للمسيح بفضل السلام السائد على تلك الأنحاء. كما ظهر ذلك النفوذ أيضًا في المجمع المنعقد سنة ٢٦٩ في انطاكية للحكم على بولس السميساطي فحضرهُ ثمانون أسقفًا وحرموهُ

وقد صرَّح في ذلك القرن ديونيسيوس الاسكندري بنصرانيَّة تلك الأصقاع حيث كتب للبابا القديس اسطفانس (١ : « ان أقاليم سوريَّا كلها مع بلاد العرب التي تمدُّها بصدقاتك وبلاد ما بين النهرين تصادق على تعاليمك »

ويؤيد ذلك اخبار السيَّاح الذين سكنوا في تلك الأقفاز فاجتذبوا إليهم القبائل المجاورة لهم كالقديس ملكوس أو مالك الذي روى قصتهُ العجيبة القديس ايرونيموس (٢ وكالقديس اليان الواسع الشهرة في القريتين ( المشرق ٩ : ٦٥٨ ) والقديس سمعان العمودي الذي مرّ ذكرهُ وكان مقامهُ في شمالي سوريا في الجبل المنسوب إليهِ. وقد أفاد تاودوريطس (٣ في تاريخهِ أن الإسماعيليين أي العرب كانوا يتقاطرون إلى عمودهِ وأنَّهُ نصَّر منهم ألوفًا مؤلفة (Ismaelitarum millia innumerabilia) . وفي حياة القديس نونُّوس انهُ لما كان في بعلبك عمَّد ثلاثين ألفًا من العرب (٤

ويُضاف إلى ما تقدَّم ما وجدهُ الأثريون في شمالي سوريَّا من الآثار النصرانيَّة العديدة كبقايا أديرة وأخربة كنائس ونقوش نصرانيَّة بديعة غنيت بها متاحف أوربَّا وقد رأينا بعض تلك الأبنية في سياحتنا إلى بادية تدمر ( في المشرق ٩ : ٩٥٣ )

ومن ذلك أثر فريد اكتشفهُ رحَّالة أوربي قبل ١٢ سنة في زبَد ليس بعيدًا عن حلب فيهِ كتابة بثلث لغات يونانيَّة وسريانيَّة وعربيَّة تاريخهُ باليونانيَّة سنة ٨٢٣ للاسكندر الموافقة لسنة ٥١٢ للمسيح. وهو أوَّل أثر يُعرف بالقلم العربي كُتب ١١٠

---

١) راجع التاريخ الكنسي لاوسابيوس الكتاب السابع الفصل الخامس
٢) اطلب أعمال الآباء اللاتين ( Migen P. L. XXIII, 55 )
٣) أعمال الآباء اليونان ( Id., P. G. vol. 74 col. 1041 )
٤) فيها ( Id., P. G. vol. 83 col. 668 )

سنوات قبل الهجرة. وهذا الأثر نصراني محض نُقر في حجر ليوضع على مشهد أُقيم هناك لتذكار الشهيد القديس سرجيوس. وهذا يثبت ما قلناه سابقًا عن تعبُّد العرب لذلك الشهيد. واخبر ساويرس البطريرك الدخيل وزعيم البدعة اليعقوبيَّة أن عرب البادية كانوا إذا تنصَّروا يطلبون المعمودية في كنيسة القديس سرجيوس في الرصافة حيث قُتل شهيدًا ( روى ذلك في ميمرهِ السابع والخمسين الذي قالهُ في ٧ تشرين الأوَّل سنة ٥١٤ أعني سنتين بعد تاريخ الأثر المذكور ) (١

ومن الشواهد التاريخيَّة المثبتة تنصُّر العرب في شمالي سوريَّا ما رواه ميخائيل الكبير وابن العبري عن يوحنَّا أسقف أفسس من كتبة القرن السادس أنهُ لمَّا حصل الانقسام بين الملكيين وأعداء المجمع الخلقيدوني تفرَّق العرب النصارى وسكن منهم قسم في بادية تدمر في النبك والقريتين وحُوَّارين. وبقي هؤلاء العرب على نصرانيتهم زمنًا طويلاً بعد الفتح الإسلامي كما يشهد عليهِ ياقوت الحموي ( ٤ : ٧٧ ) حيث قال عن القريتين في زمانهِ « انَّ أهلها كلهم نصارى »

ولنا في كتب العرب ما يزيل كل ريب عن القبائل المتنصرة في شمالي سوريَّة وقد رأيت في ما نقلناهُ عن وصف الجزيرة للهَمْداني أنَّ السهول الواقعة بين الشام وحلب والفرات كان معظم سكَّانها من غسَّان وتغلب وتنوخ وعلى الأخص من بني كلب الذين تفرَّدوا بسكنى السماوة الممتدَّة من الشام إلى نواحي الموصل وكانوا يسكنون خصوصًا في جهات تدمر وسلميَّة حتى سُمِّيت تلك الجهات بادية كَلْب. فهذه القبائل كلها كانت نصرانيَّة فأمَّا غسَّان وتغلب وتنوخ فقد مرَّت الشواهد على نصرانيتها فبقيت قبيلة بني كلب. ودونك الأدلَّة على تديُّنها بالدين المسيحي

ان بني كلب بطن من قضاعة وهي القبيلة اليمنيَّة الأصل التي أجمع الكتبة على تنصُّرها عمومًا كابن قتيبة واليعقوبي والنويري وخصُّوا بالذكر بعض بطونها كبني سليح وبني جرم. ثم ليس في كتب المؤرخين إشارة إلى شِرك كلب بل كثيرًا ما يصرّحون بنصرانيَّة أعيانهم كبحدل بن عُنَيف من سادتهم وهو أبو ميسون زوجة معاوية وكقرافصة الكلبي أبي نائلة زوجة الخليفة عثمان بن عفَّان

وذُكر في المقتضب لياقوت ( ص ٣٦ ) وفي تاريخ ابن عساكر في ترجمة نائلة « انّ

---

١) اطلب مجلة الأبحاث الشرقية ( Riv. d. Studi Orientali, I, p. 577-587 )

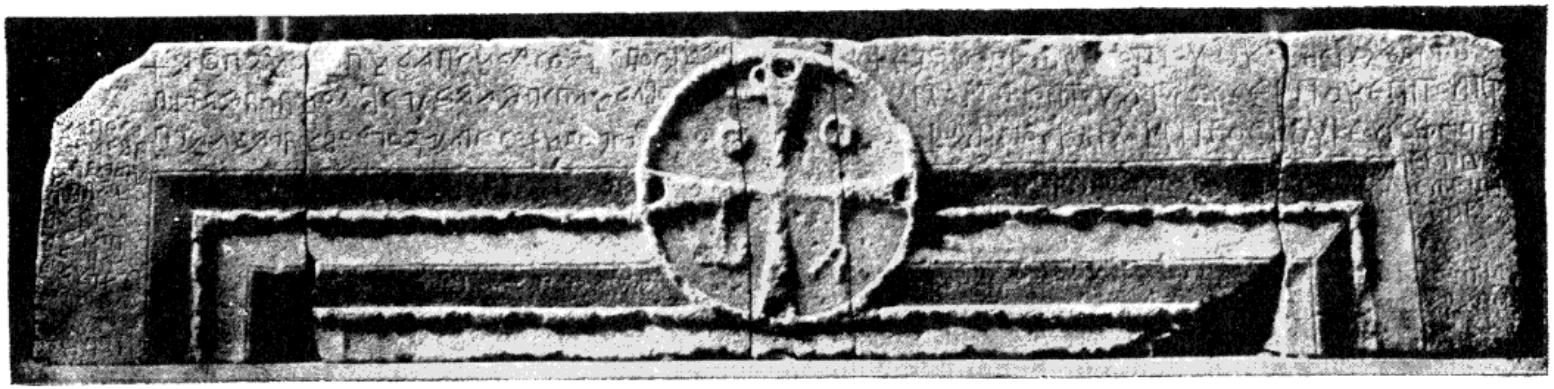

الاثر المكتشف في زَبَد قريباً من حلب وفيهِ كتابة بثلاث لغات يونانيَّة وسريانيَّة وعربيَّة تاريخها سنة ٥١٢ للمسيح . والكتابة العربيَّة طُبعت منفردةً

بني كلب كلهم كانوا نصارى » . وكذلك ذكر ابن خلدون في تاريخهِ ( ٢ : ٢١٩ ) انهم دخلوا في دين النصرانيَّة

ولمَّا ظهر الإسلام كان بنو كندة وبنو كلب من جملة الذين لم ينكروا دينهم كما أخبر بذلك ابن هشام في سيرة الرسول ( éd. Wüstenfeld, p. 282 ) وكذا روى ياقوت في المقتضب عن مدَر كلب أي أهل البادية فقال : « أسلمت كلب غير مدرها كانوا نصارى » وبقي الذين أسلموا منهم على عاداتهم النصرانيَّة كما روى في كتاب البلدان لابن الفقيه ( ص ٣١٥ ) فقال عنهم : « انهم مسلمون في أخلاق النصارى » . وأخبر ابن قتيبة في عيون الأخبار ( ص ١٧٤ ) والجاحظ في البيان والتبيين ( ٢ : ٦٢ ) أنَّ بعض من أسلم منهم كانوا يضربون الناقوس ويترددون إلى الكنيسة التي تعمدوا فيها

وكان في جملة أمرائهم الذين يتولَّون تدبيرهم أبو كرب الذي عُرف بنصرانيَّتهِ فمنحهُ يستنيانوس الملك تدبير قبائل السماوة كما روى المؤرخ پروكوبيوس (١

وربما دعا المؤرخون هذه القبائل المتنصِّرة بالمستعربة وإليهم التجأ الروم عند ظهور الإسلام لمحاربة خالد بن الوليد. قال ابن البطريق في تاريخهِ عن هرقل انهُ « استجلب المستعربة من غسان وجذام وكلب ولخم وكل من قدر عليهِ من الاعراب وأمَّر عليهم قائدًا من قوَّادهِ يقال لهُ ماهان » (٢

فترى من هذه النصوص أن كتبة العرب أيضًا يوافقون اليونان والسريان في نسبة النصرانيَّة إلى القبائل المتفرقة في شمالي سوريَّة

ونختم هذا الفصل بأثر جميل وُجد في بعض مخطوطات لندن السريانيَّة التي وصفها العلاَّمة رَيْت في قائمة المتحف البريطاني تحت العدد ٧٥٤ وهو مجموع رسائل قديمة راقية إلى أواخر القرن السادس للمسيح. من جملتها رسالة مضمونها دستور الإيمان كتبها رؤساء أديرة أقليم العربيَّة ( ܬܡܢܐ ܪܝܫܐ ܕܒܝܬ ܥܪܒܝܐ ) ووجَّهوها إلى يعقوب البرادعيّ ليرذلوا فيها بدعة يحيى النحويّ في تثليث الجوهر الإلهيّ ( Trithéisme ) وذلك بين السنتين ٥٧٠ و ٥٧٨ وهذه الرسالة قد نشرها المنسنيور

---

١) اطلب ( Procope, de B. P., I, 19 )
٢) اطلب الصفحة ١٦ من الجزء الثاني من طبعتنا

لامي ( M^gr Lamy ) رئيس كليَّة لوڤان في مؤتمر المستشرقين في باريس سنة ١٨٩٨ ( ص ١١٨ ـ ١٣٨ ) وهي موقعة بإمضاء ١٣٧ رئيسًا على ١٣٧ ديرًا موقعها كلها في اقليم العربية الممتدّ شرقي بلاد الشام إلى جهات الفرات (١. فناهيك بهذا العدد العديد شاهدًا جليلاً على انتشار النصرانيَّة بين عرب الشام وسوريَّة. على أنَّ هؤلاء العرب كانوا جنحوا إلى البدعة اليعقوبيَّة كما ترى. وأيَّد ذلك ابن العبريّ في تاريخهِ الكنسيّ حيث قال ( ج ١ ص ٢١٧ ) : « انَّ كلّ قبائل العرب التي كانت في البادية ( يريد بادية الشام والفرات ) كانوا معارضين للجمع الخلقيدوني ولا يرضون بمشاركة الخلقيدونيين » . فهذا القول مع ما فيهِ من المبالغة لا يخلو من الصحَّة. وعلى كلّ حال يثبت قولنا في شمول النصرانيَّة لعرب بلاد الشام والفرات إلى حدود العراق

والمستشرقون في عهدنا يرتأُون هذا الرأي. قال الهولندي دوزي ( B. Dozy ) في مقدَّمات كتابهِ عن الإسلام. ( الترجمة الفرنسويَّة لشوفان V. Chauvin, p. 13 ) « كان عرب سوريَّة يدينون بالنصرانيَّة » (Les Arabes de Syrie professaient le Christianisme) ويشاركهُ في هذا الرأي غيرهُ من العلماء كنولدك وغولدتسير ( J. Goldziher ) ولونرمان (Lenormand) بل كل من لهُ بعض المام بتاريخ العرب في الجاهليَّة

## الباب العاشر
## النصرانية في الحجاز ونجد

تتبَّعنا كما رأيت آثار النصرانيَّة في أطراف بلاد العرب على كل جوانبها فلم يبق علينا إلاَّ ذكر أواسطها لنرى ما كان للدين المسيحي من التأثير في القبائل الساكنة في الحجاز ونجد وبذلك تتمُّ أبحاثنا عن تاريخ النصرانيَّة في كل أنحاء جزيرة العرب

الحجاز على مقتضى تعريف العرب جبل ممتدّ من تخوم صنعاء في اليمن إلى

---

١) اطلب مقالة العلاَّمة نولدك في بحثهِ الجغرافي عن مواقع هذه الأديرة في المجلة الأسيويّة الألمانية (ZDMG, XXIX, 441- 449)

تخوم الشام من جنوب جزيرة العرب الشرقي إلى شمالها الغربي وقد دُعي حجازًا لأنَّهُ يحجز غور تهامة على سواحل خليج العرب عن بلاد نجد في أواسط الجزيرة. ويُدعى الحجاز أيضًا بجبل السَّراة وهو أعظم جبال العرب وفيهِ أشهر مدنهم أي مكة والمدينة وتدخل فيهِ دومة الجندل حتى أَيلة على بحر القلزم التي نعتها ياقوت بآخر بلاد الحجاز

فتلك البلاد كانت قديمًا عريقة في الوثنيَّة ولاسيَّما في عبادة قوَّات الطبيعة واخصّها النيّران العظيمان الشمس والقمر ثم الزُّهَرة. على أن دُعاة الدين المسيحي لم يحجموا عن دعوة أهلها إلى النصرانيَّة كما تشهد عليهِ شواهد ثابتة نقلها قدماء الكتبة من يونان وسريان وعرب. وقد أثبتنا سابقًا شهادة ابن خلدون ( ج ٢ ص ١٥٠ من تاريخهِ ) في بعثة الرسول برتلماوس « إلى أرض العرب والحجاز » . وسبقهُ إلى مثل ذلك الطبري في تاريخهِ ( طبعة ليدن ج ١ ص ٧٣٨ ) حيث قال : « وكان ممن توجَّه من الحواريّين ... ابن تلما ( أي برتلماوس ) إلى العربيَّة وهي أرض الحجاز » وكذلك ورد في سيرة الرسول لابن هشام (ص ٩٧٢، éd. Wüstenfeld) : « وبُعث من الحواريين ... ابن تلما إلى الاعرابيَّة وهي أرض الحجاز » . وجاء في ترجمة القديس يعقوب اسقف أورشليم ( ص ١٧ ) انَّهُ « نصَّر أرض فلسطين وما يليها من ناحية حمص وقيساريَّة والسامرة وبادية الحجاز »

ثم في تاريخ الطبري قصة ظريفة عن رسول السيد المسيح إلى العرب نرويها بحرفها دون القطع بصحَّتها قال ( ١ : ٧٣٨ ـ ٧٣٩ ) :

حدَّثنا ابن حميد ... عن أبي سُليم الانصاري ثم الزُّرَقي قال : كان على امرأة منَّا نذر لتظهرنَّ على رأس الجمَّاء جبل بالعقيق من ناحية المدينة ( قال ) فظهرتُ معها حتى إذا استوينا على رأس الجبل إذا قبر عظيم عليهِ حجران عظيمان حجر عند رأسهِ وحجر عند رجليهِ فيهما كتاب بالمسند لا أدري ما هو. فاحتملتُ الحجرين معي حتى إذا كنت ببعض الجبل منهبطًا ثقلا عليّ فألقيتُ أحدهما وهبطتُ بالآخر فعرضتهُ على أهل السريانيَّة هل يعرفون كتابتهُ فلم يعرفوهُ. وعرضتهُ على من يكتب بالزبور ( أي العبرانية ) من أهل اليمن ومن يكتب بالمُسْنَد فلم يعرفوه. فلمَّا لم أجد أحدًا ممَّن يعرفهُ القيتهُ تحت تابوت لنا فمكث سنين. ثم دخل علينا ناس من أهل ماه من الفرس يبتغون ( ويروى : يبيعون ) الخرز فقلتُ لهم :هل لكم من كتاب. فقالوا : نعم. فاخرجتُ إليهم الحجر فإذا هم يقرأونهُ فإذا هو بكتابتهم : « هذا قبرُ رسول الله عيسى بن مريم عليهِ السلام إلى أهل هذه البلاد » . فإذا هم كانوا أهلها في ذلك الزمان مات عندهم فدفنوهُ على رأس الجبل

فهذه شهادة جليلة تشير إلى مجيء أحد رُسل السيد المسيح إلى الحجاز قريبًا من

المدينة. ومن عجيب أمر كاتبها انهُ يعتبر كالنصارى (( عيسى بن مريم )) إلهًا إذ قرينة الكتابة تبين أنَّ الرسول المذكور ليس هو عيسى بل هو مرسل من (( الله عيسى ))

﴿ ايلة ﴾ كما مرّ في طرف الحجاز من جهة الغرب كان أهلها قبل الإسلام نصارى ويهودًا. ولا يبعد أن النصرانيَّة دخلت فيها بعد المسيح بزمن قليل لقربها من بلاد الشام وفلسطين. وما لا يُنكر أن صاحبها كان نصرانيًّا لمّا ظهر رسول العرب واسمهُ يوحنا بن رؤبة صالحهُ نبيذ الإسلام على جزية كانت تبلغ ٣٠٠ دينار. وفي كتاب وفادات العرب على محمَّد لابن سعد ( éd. Wüstenfeld, *Skizze*. IV, ٢٧ ) ما حرفهُ :

(( قال وقدم يحنَّه بن رؤبة على النبي وكان ملك ايلة ... وأقبل ومعهُ أهل جرباء واذرح. فاتوهُ فصالحهم وقطع عليهم جزية معلومة ... أخبر عبد الرحمن بن جابر عن أبيهِ قال : رأيتُ على يحنه بن رؤبة يوم أَتى صليبًا من ذهب وهو معقود الناصية فلمَّا رأى رسول الله كفَّر وأومأ برأسهِ فأومأ إليهِ النبيّ أن ارفع رأسك. وصالحهُ يؤمئذٍ وكساهُ رسول الله بُرد يمنة .. ))

وجاء في كتاب التنبيه والاشراق للمسعوديّ ( طبعة ليدن ص ٢٧٣ ) انَّ (( يحنَّة بن رؤبة كان أسقف ايلة وانهُ قدم على محمَّد سنة ٩ للهجرة وهو في تبوك فصالحهُ على أنَّ لكل حالمٍ بها دينارًا في السنة ))

﴿ دَوْمة الجَندل ﴾ حصن كان بين المدينة ودمشق على سبع مراحل من دمشق وقيل على خمس ليال ويبعد عن المدينة ١٥ ليلة وقيل ١٣ كان مبنيًّا بالجندل أي الصخر وكان حولهُ مدينة واسعة يحيط بها سور. وكان صاحب دومة الجندل أُكَيدر الملك ابن عبد الملك السكوني. وكانت دومة الجندل عند ظهور نبيّ الإسلام كلها نصرانيَّة عليها أسقف تابع لمدينة دمشق كما ورد في كتاب (( مدينة الله انطاكية )) من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة. وكان ملكها أُكيدر نصرانيًّا فبعث إليهِ محمد رسول الإسلام خالد بن الوليد في ربيع الأوَّل من السنة الخامسة للهجرة ( ٦٢٦ م ) فاسرهُ

والعرب يذكرون عدَّة غزوات لدومة الجندل عند ظهور الإسلام. قال في تاريخ الخميس ( ٢ : ١١ ) (( انَّ دومة كان عليها قبل الاكيدر المسمَّى اصبع بن عمرو الكلبيّ وكان نصرانيًّا وان عبد الرحمان بن عوف غزا دومة الجندل ففتحها وتزوج

ابنة الاصبع تماضر » . وكان الروم عادوا فملكوها قال المسعوديّ في كتاب التنبيه والاشراق ( ص ٦٤٨ ) يذكر غزوةً غزاها رسول الاسلام لدومة :

وفيها ( أي السنة الخامسة للهجرة ) كانت غزوة دومة الجندل وهي أوَّل غزوة النبيّ للروم وكان صاحبها أي دومة اكيدر بن عبد الملك الكنديْ يدين بالنصرانيَّة وهو في طاعة هرقل ملك الروم وكان يعترض سفر المدينة وتجارهم ( قال ) فبلغ اكيدرًا سيرهُ فهرب وتفرَّق أهل دومة وصار إليها فلم يجد بها أحدًا فأقام أيامًا وعاد إلى المدينة. ثم بعث إليهِ خالدًا السنة التاسعة للهجرة فأخذهُ أسيرًا وفتح الله عليهِ دومة »

وقال ابن سَعد في كتاب وفادات العرب ( ص ٢٧ ) بعد ذكرهِ يحنَّه بن رؤبة صاحب أَيْلة : « قال ورأيت أُكيدر حين قدم بهِ خالد وعليه صليب من ذهب وعليهِ الديباج ظاهرًا » . وفي معجم البلدان لياقوت ( ٢ : ٦٢٦ ) انَّ خالدًا حاربهُ السنة تسع للهجرة وافتتح دومة الجندل عنوة وقتل أخاه حسَّان. قال : « ثم انَّ النبيّ صالح اكيدر على دومة وامَّنهُ وقرَّر عليهِ وعلى أهله الجزية وكان نصرانيًّا ... » . وفي فتوح البلدان للبلاذري ( ص ٦١ ـ ٦٣ ) انَّهُ أَسلم ثم ارتدَّ بعد وفاة محمَّد فاجلاه عُمر من دومة الجندل فيمن أجلى من مخالفي دين الإسلام إلى الحيرة فنزل في موضع منها قرب عين التمر وبنى بهِ منازل سمَّاها دُومة باسم حصنهِ فغزاها خالد سنة ١٢ للهجرة وقتل اكيدر

أما أهل دومة الجندل فكانوا من بني السكون وهم فرع من بني كندة وكانوا نصارى كما ورد في سيرة الرسول لابن هشام. وكذلك كان يسكن دومة الجندل قوم من بني كلب الذين سبق بيان نصرانيتهم (١

﴿ وادي القرى ﴾ هو وادٍ بين الشام والمدينة يُعدّ من الحجاز ومنهُ كانت دومة الجندل ودُعي هذا الوادي بوادي القرى لكثرة القرى الواقعة فيهِ لوفرة مياههِ وخصبهِ منه الحِجْر وكان اليهود يسكنون هذا الوادي أوَّلاً ثم نزلتهُ قضاعة وهي من أثبت القبائل في النصرانيَّة ومنهم بنو سليح ذكر المؤرخون تنصُّرهم في الشام (٢ وفي وادي القرى كان يسكن قوم من الرهبان ذكرهم شعراء العرب قال جعفر بن سراقة ( الأغاني ٧ : ١٦١ ) :

---

١) اطلب تاريخ العرب في الجاهليَّة لكوسان دي برسڤال : (Caussin de Perceval: *Essai sur l'Hist. des Arabes*, I, 214; II, 232, 265)

٢) في التاريخ المذكور ( Id. I, 212, 231 )

ونحــن منعنــا ذا القــرى مــن عدوّنا وعُذرةَ إذا نَلتقى يهودًا وبَعثرا
منعنـاهُ من عُليـا معدّ وأنتـمُ سفاسيفُ روح بين قُرْح وخيبرا
فريقان رهبانٌ بأسفل ذي القرى وبالشام عرّافون فيمـن تنصَّرا

﴿ تيماء ﴾ هي بلدة في الحجاز بين الشام ووادي القرى وفيها كان الابلق حصن السموَل. والشـائع أنَّ السـموَل كـان يهوديًّـا إلاَّ أنَّنـا لمَّـا طبعنـا لأول مرَّة ديوانـهُ أتينـا فـي المقدَّمـة بـبعض الشـواهد المثبتـة نصـرانيتهُ (١ كاصـلهِ الغسَّـاني وكـذكرهِ فـي شـعرهِ لـبعض تلامـذة المسـيح بـل تصريحهِ باسم السيد المسيح في قصيدة لاميَّة وجدت في الموصل حيث يقول

وفي آخر الأزمان جاء مسيحنا فاهدى بني الدنيا سلام التكاملِ

ولعلَّ الصواب أنَّهُ كان من إحدى الشيع اليهوديَّـة المتنصِّـرة (Judéo-chrétien). وقد ذكر العرب أنَّ قومًا من نصارى طيء كانوا أيضًا يسكنون تيماء (٢

﴿ تبوك ﴾ مكان حصين بين وادي القرى والشام على أربـع مراحل من الحِجر كـان بـهِ عين ونخلٌ. ملكهُ المسلمون سنة ٩ للهجرة بعد أن حاربوا فيهِ الروم ومعهم نصارى العرب من عاملة ولخم وجذام. وكان أهل تبوك من نصارى قضاعة قال ابن خلدون نقلاً عن ابن سعد ( ٢ : ٢٤٩ ) : (( وكان لقضاعة ملكٌ آخر في كلب ابن وَبَرة بن تغلب يتداولونهُ مع السكون من كندة فكانت لكلب دومـة الجندل وتَبُـوك ودخلـوا فـي دين النصـرانيَّة )) . ثـم ذكـر مهـاجرة كلـب بعـد الإسلام فقال : (( وبقيت بنو كلب في خلقٍ عظيم علـى خليج القسطنطينيَّة منهم مسلمون ومنهم متنصِّرون ))

﴿ معان ﴾ قال ياقوت ( ٤ : ٥٧١ ) : (( هي مدينة في طـرف باديـة الشـام تلقـاء الحجـاز من نواحي البلقاء )) وكـان أهلهـا نصـارى تحـت حكـم الـروم والمالـك عليهـا عنـد ظهـور الإسـلام فروة بن أبي عـامر شـيخ بنـي جذام النصـارى. وبقـرب معـان عنـد مؤتـة التـي دعاهـا تاوفـانوس المؤرخ ( Théophane. I. 515. éd. Bonn ) باسم ( Μοθους ) حـدثت وقعـة سـنة ٨ للهجرة بين جيوش المسلمين تحت امرة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة و (بين) جيوش الروم تحت قيادة تاودورس

---

١) راجع المشرق السنة ١٢ ( ١٩٠٩ ص ١٦٢ )
٢) اطلب أيضًا(Arnold Mulheisen: *Islam: History and relations to Christianity,* p. 34)

المعروف بالنائب وقد روى مؤرخو العرب أنَّ عدد الروم كان مئة ألفٍ ومعهم من عرب النصارى مئة ألف آخرون (١ فكان الانتصار للروم وهُزم المسلمون وقُتل قادتهم. لكنَّهم عادوا بعد ذلك بسنة فغلبوا الروم وفتحوا معان واستولوا على جهات البلقاء وقيل انَّ فروة صاحب معان اسلم

﴿ المدينة ﴾ كان اسمها في الجاهليَّة يثرب دُعيت بذلك على ما قيل باسم بانيها أحد أبناء آرام وفي تقاليد العرب انَّ أوَّل من سكنها العمالقة ثم هاجر إليها اليهود في أزمنة مختلفة قبل المسيح على عهد موسى ويشوع بن نون وداود ثم في زمن خراب أورشليم وهيكلها على يد الاشوريين ثم بعد المسيح عند فتح الرومان للقدس الشريف فخرج منهم إلى يثرب بنو قريظة والنَّضير وبَهدل ونزلوا واديين اسمهما بطحان ومهزور (٢ وبنوا هناك الآطام أي المنازل المحصَّنة

وكانت ديانة هذه القبائل اليهوديَّة كما هو بديهيّ. غير انهم اختلطوا بقبائل أُخرى عربيَّة كان البعض يسكن في جوار يثرب والبعض الآخر هاجر إليها من اليمن بعد تفرُّق أهلهِ سواء كان بسبب سيل العرم كما روى العرب أو لعلل أُخرى

وما لا سبيل إلى إنكارهِ انَّ النصرانيَّة دخلت يثرب بعد السيد المسيح بقليل كما رأَيت في ما نقلناهُ عن دعوة الرُّسل في الحجاز ووجود قبر واحد منهم في جبل العقيق من ناحية المدينة على ما نقلهُ الطبري ( ص ١٠٧ )

وليس من المستبعد أنَّ بين القبائل اليهوديَّة المهاجرة من أورشليم قوم عرفوا النصرانيَّة ودانوا بها ولاسيَّما أولئك المتنصِّرين الذين سبق خروجهم فتح حاضرة بلادهم فالتجأُوا إلى المدن الواقعة ما وراء الاردن. فانَّهم إذ رأوا ما حلَّ بالمدينة المقدَّسة من الدمار توغلوا في بلاد العرب وسكنوا في جهاتها الداخليَّة

والظاهر انَّ بعض تلك البدع المعروفة بالبدع اليهوديَّة النصرانيَّة sectes )

---

١) هكذا روى العرب ومثلهم روى السريان كالياس النصيبيني اطلب تاريخ اليعقوبيّ ( ٢ : ٦٦ ) ومعجم البلدان لياقوت ( ٤ : ٦٨٨ و ٥٧١ ) ثم de Goeje: *Mémoires d'Hist. et de Géogr. Orientales*, 2 éd., 1900, p. 6-9

٢) راجع كتاب الأغاني ( ١٩ : ٩٥ ) وروايات الأغاني ( ٢ : ١ ـ ٥ ) راجع أيضًا مجلة الدروس اليهوديَّة ( Revue des Etudes Juives VII, 167 et X, 10 )

( judéo-chrétiennes شاعت خصوصًا في نواحي العرب كشيع الناصريين (Nazaréens) والابيونيين ( Ebionites ) والكسائيين ( Elkésaïtes ) وقد ذكرهم الكتبة الكنسيُّون في القرن الأولى كاوسابيوس المؤرّخ (١ واوريجانس المعلم (٢ ويوستينوس الشهيد (٣ والقديس ابيفانيوس (٤ في تاريخ الهرطقات والقديس هيرونيموس في كتاب الاعلام (٥ وتاودوريطس (٦ وصاحب الفلسفيّات (٧ وذكروا علاقاتهم مع المسيحيين

واستشهدوا بما كان لديهم من الآثار النصرانيَّة. وقد وجد الاثريُّون في زماننا بعض تلك الآثار المكتوبة بالحرف السرياني الفلسطيني ونشروها بينها فصول إنجيليَّة وطقوس ورُتَب بيعيَّة

وبعض هذه البدع التي انتشرت في جهات العرب بالغ أصحابها في أضاليلهم فنبذ النصارى مزاعمهم وقبَّحوها كالفطائريين ( Collyridiens ) الذين كانوا يبالغون في عبادة مريم العذراء فيقدّمون لها نوعًا من القرابين أخصُّها أقراص العجين والفطائر وقد ذكرهم القديس ابيفانيوس في كتاب الهرطقات (٨ ولعلّ هؤلاء المبتدعين هم الذين دعاهم ابن بطريق (٩ بالمريميَّة والبربرانيَّة فأفادنا انهم كانوا يقولون « انَّ المسيح وامَّهُ الهان من دون الله » . وقد وصفهم بذلك ابن تيميَّة في كتابهِ الجواب الصحيح ودعاهم بالمريمانيين أو المريمانيَّة. وعلى هذا البناء شرح مفسِّرو القرآن قولهُ : في سورة المائدة « اتَّخذوني وامّي إلهين » وقالوا في شرح قولهِ في سورة النساء « ولا تقولوا

---

١) اطلب تاريخهُ ( Eusèbe, H. E., IV, 17 et 22 )
٢) اطلب ردّهُ على قلسوس ( Origenes c. Celsum, II, 3 et Hom. III, in Gen. n° 5 )
٣) اطلب مذاكراتهِ ( Justini *Dialog*., c. IV, LXIII et LXXX )
٤) كتاب الهرطقات ( Epiphan., *Hæres*. XXIX, 7, 9, 15, et XXX, 15-19 )
٥) اطلب ( Hieron : *De situ et nominibus*, Migne, XXIII, p. 888 )
٦) كتابهُ في خرافات الأمم ( Theodoret, *fabul*. I, et II, 18 )
٧) اطلب ( Philosophoumena, VII, 12, IX, 13, X, 17 et 29 )
٨) اطلب ( Epiphan., *Hæres*. 10 )
٩) راجع طبعتنا (١٢٦)

ثلثة » أي لا تقولوا الآلهة ثلثة الله والمسيح ومريم ( كذا ورد في شرح البيضوي والزمخشري وغيرهما )

وقام غيرهم في أنحاء العرب وتطرَّفوا على عكس ذلك فانكروا على العذراء مريم دوامها في البتوليَّة فسمَّوهم لذلك بالمُعادين لمريم ( Antidicomarianites ) ذكرهم القديس ابيفانوس في كتاب البدع (١

وروى القديس ايلاريوس في رسالتهِ إلى قسطنطين الملك (٢ انَّ فرعًا من اشياع اريوس ظهروا في جهات العرب وهو يدعوهم اقاقيين باسم اقاقيوس زعيمهم كانوا يذهبون إلى أن السيد المسيح ليس هو ابن الله لزعمهم انَّ من قال ذلك جعل لله زوجة فخلطوا بين الولادة الجسديَّة والولادة الإلهيَّة الروحية الأزليَّة المثبتة في الكتب المنزلة

وقد ذكر حضرة الاب انستاس الكرملي في إحدى المقالات المنشورة في المشرق (٦: ٦٠) بدعة أُخرى وجد منها بقايا في العراق تُعرف بالداؤدة أو الداوُديّين يعظِّم أصحابها داود النبي ويكرمون السيد المسيح لكنَّهم يجعلونهُ دون رتبة داود

فكلّ هذه البدع وغيرها التي شاعت خصوصًا بين القبائل اليهوديَّة المتنصرة الساكنة في حدود الشام والحجاز شوَّهت المعتقدات النصرانيَّة الصحيحة في تلك البلاد

وبقي الأمر على ذلك حتى قدمت إلى يثرب بطون من عرب اليمن كبني الحرث ابن بهثة وبني شظيَّة من غسان ولاسيَّما بني الاوس والخزرج من الازد الذين لحقوا بها بعد سيل العرم. لكنَّهم أقاموا فيها كما روى صاحب الأغاني ( ١٩ : ٩٥ ) في جهد وضيق المعاش يرتزقون من الزراعة وكانت الأموال لليهود حتى قام بينهم في أواسط القرن السادس للمسيح أحد شيوخهم وهو مالك بن عجلان فأَوفد إلى ملك في الشام من ملوك غسَّان يُدعى أبا جُبَيْلة فاستنجدهُ على يهود يثرب فأَنجدهُ واوقعا باشراف اليهود حتى ذلُّوا وصار الأمر إلى الأوس والخزرج مذ ذاك الحين إلى ظهور الإسلام ومنهم كان الأنصار. وقد وقعت بين الاوس والخزرج حروب رواها صاحب الأغاني ( ٢ : ١٦٧ ـ ١٧٠ ) لا حاجة إلى ذكرها

---

١) اطلب ( Epiph., *Hæres*. 78 )
٢) اطلب مجموعة مين ( Migne, PP. LL., X )

امَّا دين الأوس والخزرج وبقيَّة القبائل غير اليهوديَّة التي كانت في يثرب وجهاتها فيظهر انهُ كان في أوّل أمرها الشرك وانَّها كانت تعبد المناة كما روى الشهرستاني في كتاب الملل والنحل ( ص ٤٣٤ من طبعة لندن ) لكنَّها عدلت بعد ذلك إلى النصرانيَّة. ولنا على الأمر أدلَّة نرويها هنا عن مصادر موثوق بها

قد رأيت في أوَّل هذا الباب انَّ دُعاة الدين المسيحي دخلوا بلاد الحجاز منذ قرون النصرانيَّة الأولى بل روى أوَّل مؤرخي الإسلام أبو جرير الطبري تقليدًا عن أهل المدينة ذكروا فيهِ وجود قبر لأحد رسل السيد المسيح في جبل العقيق المجاور لبلدهم ( راجع ص ١٠٧ )

ومن الأدلّة على نصرانيَّة عرب المدينة أن الأوس والخزرج ينتسبون إلى الحارث بن ثعلبة فيرتقي نسبهم إلى بني غسَّان. ونصرانيَّة غسَّان ثابتة لا يشكُّ فيها إلاَّ من كابر الحقّ كما رأيت. أفليس من الصواب أن يقال أنَّ الأوس والخزرج دانوا بديانة غسَّان. وزد على ذلك أنَّ أَبا جُبَيْلة الغسَّاني ملك الشام المعروف بنصرانيَّتهِ ما كان لينصر الأوس والخزرج على يهود المدينة كما مرّ بك لولا علمهُ أنهم يدينون بدينهِ

ولنا على ذلك برهان آخر أقرب وأدلّ وهو الاسم المُطلق على أهل مدينة يثرب الذين كانوا يُدْعون بأهل الكتاب. قال الشهرستاني في الملل والنحل ( ص ١٦٢ من طبعة لندن ) : « الفرقتان المتقابلتان قبل المبعث هم أهل الكتاب والأمّيون والأمي من لا يعرف الكتابة فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والأميون بمكَّة » فينتج عن قولهِ هذا أنَّ أهل المدينة كانوا منقسمين قسمين قسم يهودي كقريظة والنضير وقسم نصراني وهم عرب الأوس والخزرج وقضاعة الذين كانوا يسكنون المدينة بل ربَّما غلب اسم أهل الكتاب على النصارى كما أفاد القسطلانيّ. ويؤيّد ذلك أنَّ أحد زعماء الأوس يوم مهاجرة محمد إلى المدينة كان يُدعى « أبا عامر الراهب » وفي اسمهِ دليل على دينهِ. فهذا حارب محمدًا وأنصارهُ في أُحُد ثمَّ خرج مع آلهِ إلى ثقيف وهو الذي سماهُ رسول الإسلام بالفاسق (١

وجاء في التقويم للكنيسة الكلدانيَّة الذي نشرهُ الخوري بطرس عزيز

---

١) راجع سيرة الرسول لابن هشَّام ص ٥٦١ - ٥٦٣ ثم (Sprenger: *Leben d. Mohammad* III, 32)

سنة ١٩٠٩ ( ص ٨ ) أن النساطرة « أقاموا مطروبوليطًا في يثرب وانَّهُ كان فيها ثلاث كنائس على اسم ابراهيم الخليل وأيّوب الصديق وموسى الكليم » وهي رواية وجدناها في تقويم آخر مخطوط لأحد أهل الموصل والله أعلم بصحَّتهما

على أنَّ وجود النصارى في المدينة قبل الإسلام وفي أوائل ظهوره لمن الأمور التي لا يمكن نكرانها. لأنَّ النصارى كانوا بلغوا أقاصي تخوم العرب فما قولك بالبلاد المجاورة لممالك الروم. وهذا ما أقرَّ به المستشرقون في كتبهم الحديثة. قال أحد أئمَّتهم العلاَّمة ڤِلْهاوزن (١ : « انَّ محمَّدًا وجد الطريق ممهَّدة في المدينة بواسطة اليهوديَّة والنصرانيَّة لأنَّ هناك كان يهود كثيرون ثم لوقوع المدينة على حدود الرومان واليونان وتحت نفوذ النصارى الآراميين » . ومثلهُ قال هرتويغ درنبورغ الموسوي من أساتذة اللغات الشرقيَّة في باريس المتوفي سنة ١٩١٠ : « كان للنصرانيَّة تبَعة متعدّدون في جزيرة العرب فكانت مالكة على شمالها بدولتي الحيرة وغسان وعلى وسطها في المدينة وعلى جنوبها بأسقفيَّات اليمن (٢ » )

وبقي النصارى في يثرب حتَّى بعد وفاة نبيّ الإسلام كما يدلُّ عليهِ قول حسَّان بن ثابت في داليَّتهِ التي رثى بها محمَّدًا ( طبعة ليدن Hirschfeld, p. 59 ) :

فرحت نصارى يثربٍ ويهودُها لمَّا توارى في الضريح المُلْحَدِ

ولعل النصارى واليهود بقوا في المدينة إلى عهد عمر بن الخطَّاب الذي أخرج الفريقين من جزيرة العرب استنادًا إلى ما رُوي في الحديث : « لأخرجنَّ النصارى واليهود من جزيرة العرب »

ولمَّا أراد الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ هـ ( ٧٠٧ م ) أن يجدّد عمارة المسجد

---

١) هذا قولهُ بالحرف في كتابهِ عن ملك العرب WELLHAUSEN: Das arabische *Reich und sein Sturz* ( p, 4 ) : « In Medina war der Boden für Mohammad vorbereitet durch das Judentum und Christentum; es gab dort viele Juden und die Stadt lag an der Grenze desienigen Teils von Arabien, der under griechisch-roemischem und christlich-aramaïschem Einfluss stand. »

٢) ودونك قولهُ : H. DERENBOURG : *Opuscules d'un Arabisant* (p. 16) « Le Christianisme comptait en Arabie de nombreux adhérents; il dominait le Nord par les rois de Hira et de Ghassan, le Centre par Médine, le Sud par les évêchés du Yémen »

الكبير المعروف بمسجد النبي في المدينة كان بُناتهُ من نصارى الروم والقبط كما روى المؤرخون. وأخبر الطبري ( ٢ : ١١٧ ) « انَّ ملك الروم بعث إليهِ بمائة عامل ومائة ألف مثقال ذهب وأربعين حملاً من الفسيفساء فبنوا المسجد وجعلوا طولهُ مائتيْ ذراع في مثلها » . وقيل انَّ بعض المدنيين لم يستحسنوا العمل إذ رأَوهُ شبيهًا بكنيسة

﴿ مكَّة ﴾ كما عُرفت النصرانيَّة في يثرب في عهد الجاهليَّة كذلك نالت مكَّة نصيبًا من ذلك الدين. وها نحن ننقل ما رواهُ قدماء الكتبة إثباتًا لهذا الرأي

قدَّمنا في أوَّل هذا الفصل ما أثبتهُ المؤَرخون اليونان والسريان والعرب من الدعوة النصرانيَّة في الحجاز إجمالاً. ومكَّة في الحجاز بل حاضرة الحجاز فبديهي أن يقال انَّ الدين المسيحي دخل أيضًا مكَّة كسواها من الجهات الحجازية. وان قيل انَّ مكَّة واقعة في أقاصي الحجاز أجبنا أنَّ كلام الكتبة يشمل كل جهات العرب حتَّى أقصاها. قال تاودوريطوس المؤرخ الكنسي (١ في القرن الخامس للمسيح عن القيصر ڤالنس انَّهُ لمَّا اضطهد الكاثوليك فرَّقهم في كل البلاد حتى نفى منهم كثيرين في أقاصي تخوم العرب ( per ultimos fines Arabiæ )

وأقدم ما رواهُ كتبة العرب صريحًا عن النصرانيَّة في مكة ما ورد في أثناء تاريخ جرهم الثانية قالوا انَّ جرهم استولوا بعد بني إسماعيل على الحجاز وصارت إليهم سدانة بيت الحرم في مكة ومفاتيح الكعبة. أمَّا زمن دولة بني جرهم فلم يتفق الكتبة في تعريفه والعلماء الأوربيون مجموعون على أنَّ جرهم الثانية قامت قبل تاريخ الميلاد بقليل. ومن عجيب ما رواه مؤرخو العرب كابن الأثير وابن خلدون وأبي الفداء (٢ وغيرهم أنَّ سادس ملوك جرهم يُدْعى باسم نصراني وهو عبد المسيح بن باقية بن جرهم. فمنهُ يتعيَّن أنَّ النصرانيَّة دخلت مكة قبل بني الأزد وتغلُّب بني خزاعة أعني بعد موت السيد المسيح بزمن قليل. وهذا يوافق نصوص الكتبة المرويَّة سابقًا عن تبشير رسل المسيح في الحجاز

---

١) راجع تاريخهُ في أعمال آباء اليونان ( Théodoret, H. E. I. IV, c. 15 ; Migne P.G., t. 82 col. 1158 )

٢) اطلب تاريخ عرب الجاهليَّة لكوسان دي برسڤال (C. de Perceval : *Essai sur l'Hist. des Arabes avant l'Islamisme*, I, 199)

وفي كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ( ١٣ : ١٠٩ ) انَّ بيت الحرام كان لهُ في عهد بني جرهم (( خزانة وهي بئر في بطنهِ يُلقى فيه الحُلى والمتاع الذي يُهدى لهُ وهو يومئذٍ لأسقف عليهِ )) . فقولهُ (( أسقف )) يريد به حبر النصارى المعروف. وهو إثبات لما روى مؤرخو العرب عن نصرانيَّة الملك الجرهمي عبد المسيح بن باقية

ولنا في كتب العرب دليل أعظم يثبت انتشار النصرانيَّة في مكة قبل الإسلام وذلك في أقدم تواريخ مكة الذي عنوانهُ (( كتاب أخبار مكة شرَّفها الله تعالى وما جاء فيها من الآثار تأليف ابن الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الازرقي )) المطبوع في ليبسيك ( éd. Wüstenfeld. 112 -110) انهُ كانت في دعائم الكعبة (( صور الأنبياء وصور الشجر وصور الملائكة إبراهيم خليل الرحمان وصورة عيسى ابن مريم )) ثمَّ قال ما حرفهُ ( ص ١١١ ) :

(( فلمَّا كان يوم فتح مكَّة دخل رسول الله صلعم البيت فارسل الفضل بن العبَّاس ابن عبد المطلب فجاء بماء زمزم ثمَّ أمر بثوب فبُلَّ بالماء وأمر بطمس تلك الصور فطُمست. قال ووضع كفَّيه على صورة عيسى بن مريم وامّهِ عليهما السلام وقال : امحوا جميع الصور إلاَّ ما تحت يديَّ فرفع يديهِ عن عيسى بن مريم وامّهِ ... وحدَّثني جدّي قال حدَّثنا داود بن عبد الله الرحمان عن ابن جريج قال : سأل سليمان بن موسى الشامي عطاء بن أبي رباح وأنا أسمع : أَدركتَ في البيت تمثال مريم وعيسى ؟ قال : نعم أدركتُ فيها (كذا) تمثال ( ص ١١٢ ) مريم مزوَّقًا في حجرها عيسى ابنها قاعدًا مزوَّقًا. وكانت في البيت أعمدة ستّ سواري وصفها كما نُقطت في هذا التربيع

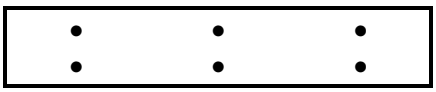

قال وكان تمثال عيسى بن مريم ومريم عليهما السلام في العمود الذي يلي الباب : قال ابن جريج فقلت لعطاء : متى هلك ؟ قال : في الحريق في عصر ابن الزُّبير ... قال ابن جريج : ثمَّ عاودتُ عطاء بعد حين فخطَّ لي ستَّ سواري كما خططتُ ثمَّ قال : تمثال عيسى وامّهِ عليهما السلام في الوسطى من اللاتي تَلينَ الباب الذي يلينا إذا دخلنا .. ( ص ١١٣ ). أخبرني محمَّد بن يحيى عن الثقة عندهُ عن ابن إسحاق عن حكيم بن عبَّاد بن حنيف وغيرهِ من أهل العلم انَّ قريشًا كانت قد جعلت في الكعبة صورًا فيها عيسى بن مريم ومريم عليهما السلام. قال ابن شهاب قالت أسماء بنت شقر : ان امرأَة من غسَّان حجَّت في حاجّ العرب فلمَّا رأَت صورة مريم في الكعبة قالت : بابي أنتِ وأمي إنَّكِ لعربية. فأمر رسول الله صلعم أن يمحوا تلك الصور إلاَّ ما كان من صورة عيسى ومريم ))

وما رواهُ هنا الأزرقي ذكرهُ كتبة آخرون كالهروي والبيهقي وابن العربي. وفيهِ شاهد جليل على تنصُّر قسم من قريش في مكة. ويؤيد ذلك أحمد بن واضح المعروف باليعقوبي في تاريخهِ ( طبعة ليدن ١ : ٢٩٨ ) حيث قال : « امَّا من تنصَّر من احياء العرب فقوم من قُرَيْش من بني أسد بن عبد العزَّى منهم عثمان بن الحويرث بن أسد وورقة بن نوفل بن أسد »

ولذلك ترى الشعراء النصارى في الجاهليَّة لم يأنفوا إذا حلفوا أن يجمعوا بين الصليب والكعبة قال عديّ بن زيد ( الأغاني ٢ : ٢٤ ) :

سعى الأعداءُ لا يألون شرًّا عليك وربِّ مكَّةَ والصليبِ

وقال الأعشى :

حلفتُ بثوبَيْ راهب الدير والتي بناها قُصَيٌّ والمضاضُ بن جُرهمِ

ولعلَّ ذلك أيضًا ما حمل نصارى العرب على أن يعظِّموا الكعبة في الجاهليَّة لما كانوا يرون فيها من الآثار النصرانيَّة فضلاً عن ذكر إبراهيم الخليل الذي كان يُكْرَم هناك مع ابنهِ إسماعيل حيث جعل التقليد العربيّ ظهور ملاك الربّ لأمّهِ هاجر ( تكوين ٢١ : ١٧ ) في هذا المكان. قال ياقوت في معجم البلدان ( ٤ : ٦٢٢ ) « وليست امَّة في الأرض أَلاَّ وهم يعظمون البيت ... وانهُ من بناء إبراهيم حتى اليهود والنصارى »

وممَّا يدلُّ على آثار النصرانيَّة في مكة أو قربها المكان المعروف بموقف النصراني ذكرهُ في تاج العروس. وكذلك مقبرة النصارى. قال الازرقي في أخبار مكة ( ص ٥٠١ ) : « مقبرة النصارى دُبر المَقلع على طريق بئر عنبسة بذي طوى » والمقلع « الجبل الذي بأسفل مكة على يمين الخارج إلى المدينة » . ونظنّ أنَّ « مسجد مريمْ » الذي ذكرهُ المقدسي في جغرافيَّتهِ ( ص ٧٧ ) بجوار مكة دعي باسم مريم العذراء لأثر دينيّ كان هناك في عهد الجاهليَّة

وممَّا يثبت نفوذ النصرانيَّة في مكة على عهد الجاهليَّة نهضة الحنيفيَّة هناك فإنَّ العلماء الذين درسوا تعاليم تلك الشيعة وما بقي من أخبار أصحابها في تواريخ العرب كسپرنغر ( Sprenger ) (١ ووِلْهَوْزن ( Wellhausen ) (٢ وكوسَّان دي پرسڤال

---

١) اطلب كتابهُ ( Sprenger : *Das Leben u. d. Lehre des Mohammad* )

٢) اطلب ( Wellhausen : *Skizze u. Vorarbeiten*, III, 87 *seq*. )

( C. de Perceval ) (١ وغيرهم فكانت نتيجة أبحاثهم أنَّ الحنيفيَّة في الجاهليَّة كانت شيعة نصرانيَّة خالطتها بعض تعاليم من غيرها وربما أراد بها شعراء الجاهليّة والكتبةُ القدماء النصرانيَّةَ بعينها. قال شاعر هذيل ( Hudheil 18 : 11 ) :

كأَنَّ تَوالَيهُ بالملا نصارى يساقون لاقوا حنيفا

أراد بالحنيف الراهب يذهب النصارى لملاقاتهِ. وروى صاحب الأغاني ( ك ١٦ ص ٤٥ ) وياقوت في معجم البلدان ( ٢ : ٥١ ) لأَيمن بن خريم قولهُ في وصف الخمرة :

وصَهْباءَ جرجانيَّة لم يَطَفْ بها حنيفٌ ولم تَنغر (٢ بها ساعةً قِدْرُ
ولم يشهد القسُّ المُهَيْمن نارَها طَرُوقًا ولا صلّى (٣ على طَبْخها حَبرُ

أراد بالخمر قربان النصارى والحنيف هنا بلا شكّ الراهب بدليل ذكرهِ في البيت الثاني القسّ والحَبْر. ولعلَّ أبا ذؤيب قصد أيضًا الراهب حيث قال مشيرًا إلى أصوام الرهبان ( تاج العروس ٣ : ٣٣٩ ) :

أقامت بهِ كمقام الحنيفِ م شهرَي جمادي وشهرَي صَفَرْ

ويؤيد رأي هؤلاء الكتبة في نصرانيَّة الحنفاء انَّ معظم الذين ورد ذكرهم في التاريخ يقال عنهم أنهم تنصَّروا. وأشهرهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى وكان ابن عم خديجة زوجة رسول الإسلام الأولى وقيل بل كان عمَّها أخا أبيها قال ابن هشام في سيرة الرسول (éd. Wüstenfeld, p. ١٥٣) : « وكان ورقة قد تنصَّر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل (٤ » . وقال الاسحاقي في تاريخهِ الأكبر (٥ : « كان ورقة امرءًا قد تنصَّر في الجاهليَّة وكان يكتب الكتاب العربيّ فكتب بالعربيَّة من الإنجيل ما شاء أن يكتب »

ومنهم عبيد الله بن جَحش بن رئاب. قال ابن هشام ( ص ١٤٣ ـ ١٤٤ ) : « هاجر عبيد الله مع المسلمين إلى الحبشة ومعهُ امرأتهُ أمّ حبيبة ابنة أبي سفيان

---

١) كتابهُ ( Essai sur l'Hist. des Arabes, I, 321 )
٢) روى ياقوت : ولم ينفر
٣) في ياقوت : ولم يحصر ( يحضر ؟ )
٤) اطلب كتابنا شعراء النصرانيَّة ( ص ٦١٦ )
٥) في نسخة مكتبة باريس ( Mss. arab. de Paris. n° 735 ff. 88 )

مسلمةً فلمَّا قدماها تنصَّر وفارق الإسلام حتى هلك هنالك نصرانيًّا. قال ابن اسحاق : فحدَّثني محمَّد بن جعفر بن الزبير قال : كان عبيد الله بن جحش حين تنصر يمرُّ بأصحاب رسول الله صلعم وهم هنالك في أرض الحبشة فيقول : فقَّحنا وصَأْصَأْتُمْ أي أَبصرنا وأنتم تلتمسون البصَر ولم تُبصروا بعد »

ومنهم عثمان بن الحويرث الذي ذكر نصرانيَّتهُ اليعقوبيّ. وروى ابن هشام ( ص ١٤٤ ) عن ابن اسحاق قولهُ (١ : « وأمَّا عثمان بن الحوَيْرث فقدم على قيصر وتنصَّر وحَسُنت منزلتهُ عندهُ » . كانت وفاتهُ في الشام

ومنهم زيد بن عمرو بن نُفَيل الذي ذكر ابن هشام ( ص ١٤٨ ) وصاحب الأغاني تردُّده في دينهِ واجتماعه بأحبار النصارى ورهبانهم بعد اعتزالهِ الأوثان

ومنهم أميَّة بن أبي الصلت الذي ترى ديوانهُ مشحونًا بتعاليم النصارى مع منقولات متعدّدة عن الأسفار المقدَّسة كسفر الخليقة وخلقة آدم وسقوط الأبوين الأوَّلين بإغراء الحيَّة والطوفان وذكر الأنبياء والملائكة والسيد المسيح ومريم العذراء (٢

وكان في مكة من النصارى غير هؤلاء الحنفاء منهم أبو قيس صرمة بن أبي أنس الذي روى عنهُ ابن الأثير في أسد الغابة ( ٣ : ١٨ ) انه « كان ترهَّب في الجاهليَّة ولبس المسوح »

ومنهم زيد بن حارثة مولى رسول المسلمين كان نصرانيًّا ثمَّ أسلم

وكذلك ذكر صاحب الأغاني ( ١٥ : ٢ ) نصرانيَّة عتبة بن أبي لهب صهر نبيّ الإسلام

وكان أبو سفيان زعيم مكَّة صهرًا لبشر أخي أُكَيْدر صاحب دومة الجندل وكان كلاهما نصرانيًّا وبشر هو الذي علَّم أهل مكَّة الخطّ العربيّ

وممَّا يفيد تاريخ النصرانيَّة في مكة ذكر المعاملات التجاريَّة التي كانت متواصلةً بين أهلها ونصارى قبائل العرب الواردين إليها ونصارى الحبشة وغيرهم فإنَّ اختلاط أولئك النصارى بأهل مكة أثَّر فيهم تأْثيرًا عظيمًا واجتذب كثيرين منهم إلى

---

١) اطلب مقالتنا المعنونة الأحداث الكتابية في شعراء الجاهليَّة ( ص ٢٠ ـ ٢١ )
٢) اطلب مقالاتنا « الأحداث الكتابية والتشابيه النصرانية في شعراء الجاهليَّة » ( ص ٢٠ ـ ٢١ )

الدين المسيحي. وممَّا يؤيد ذلك أنَّ أبا عامر الراهب الذي حارب رسول الإسلام في مكَّة وأُحُد قد لَقي المسلمين « في الأحابيش وعُبدان أهل مكَّة » كما روى ابن هشام في سيرة الرسول (ص ٥٦١ ـ ٥٦٢)

وفي كتاب الخراج ( ed. Th. Juynboll, 1896, p. ٥٣ ) ما نقلهُ الكاتب عن أبي الحويرث قال « ضرب الرسول صلعم على نصرانيّ بمكة دينارًا كل سنة » وفي هذا دليل على بقاء النصرانيَّة في مكَّة في أيَّام نبي الإسلام

ولم تخلُ بقيَّة مدن الحجاز من آثار النصرانيَّة كالطائف على مسيرة يوم من مكَّة (١ ومنها كان أميَّة بن أبي الصلت الشاعر النصرانيّ ينتسب إلى ثقيف أهل الطائف (٢. وكعكاظ التي كان يجتمع في سوقها العرب فيتناشدون ويتفاخرون وهناك خطب قسّ بن ساعدة أسقف نجران كما رووا. وفي التقويم النسطوري ( ص ٨ ) الذي أشرنا إليهِ سابقًا فطبعهُ حضرة الخوري بطرس عزيز سنة ١٩٠٩ أن النساطرة كان لهم كنيسة في عكاظ مع جماعة من أهل دينهم والله أعلم

*

وإن توغَّلت في قلب جزيرة العرب ورقيتَ ما يرتفع في أوساطها من التلال والمشارف لقيت بلاد نجد التي أفاض شعراء العرب في مدحها لطيب هوائها وجودة تربتها كقول بعضهم :

فيا حبَّذا نجدٌ وطيبُ ترابهِ إذا هضبَتهُ بالعشيّ هواضبُهْ
وريحُ صبا نجدٍ إذا ما تنسَّمت ضُحًى أو سرت جِنْحَ الظلام جنائبُهْ
بأجرع ممراع كأنَّ رياحهُ سحابٌ من الكافور والمسكُ شائبُهْ
واشهد لا أنساهُ ما عشتُ ساعةً وما انجابَ ليلٌ عن نهار يعاقِبُهْ

ففي نجد وجهاتهِ وجدت النصرانيَّة لدعوتها قلوبًا تقبَّلتها بالترحاب فهناك كانت عدَّة قبائل عُرفت بتديُّنها بدين السيد المسيح كطيء والسكون والسكاسك وكندة

وقد مرَّ بك أنَّ ثمَّ كانت أديرة لرهبان النصارى كدير سَعْد في بلاد غطفان ودير عمرو في جبال طيء قرب جوّ من ديارهم

١) وكانت ثقيف تسكن الطائف ومنها كان أبو رغال الذي تقدَّم الحبش وصار دليلهم لمحاربة مكَّة
٢) راجع ترجمتهُ في شعراء النصرانيَّة ( ص ٢١٩ ـ ٢٢٩ )

أمَّا نصرانيَّة قبائل نجد فلنا عليها عدَّة شواهد. قال السائح الإنكليزي پَلْغراڤ في كتاب رحلتهِ إلى جزيرة العرب ( ج ١ ص ٦١ ) عن بلاد الجوْف : « ان أهل الجوف لا يعرفون عن أصلهم وتاريخهم إلاَّ القليل لكن التقاليد المحليَّة تزعم أنَّ تلك البلاد كانت قبلاً تدين بالنصرانيَّة وانَّ أنصار النبي كعلي وخالد بن الوليد اضطرُّوا إلى استعمال أقطع الأدلَّة أي السيف ليدخلوا أهلها في الإسلام (١ »

وقال في محلّ آخر ( ص ١١١ ) : « قبل الإسلام كانت قبائل العرب في وسط الجزيرة راتعة في بحبوحة السلام الذي فقدتهُ بعد ذلك. وكان أكثرها يدين بالنصرانيَّة بل يرجَّح أنها حفظت دينها بعد الإسلام إلى خروج بني أميَّة عليها (٢ »

وخصَّ بالذكر تلك القبائل المتنصرة فقال ( ص ٨٤ ) انَّ عرب نجد قبل الإسلام كانوا من تغلب وتنوخ وكندة وطيء. وقد لقي ذاك السائح هناك عدَّة آثار وأبنية سمع الأهلين ينسبونها إلى قدماء النصارى من جملتها بير شقيق الذي نزل بقربهِ

وليس كلام هذا الرحالة حديث خرافة بل تؤيد روايتَهُ الآثار القديمة وتاريخ قبائل نجد. وكانت أعظم تلك القبائل كندة ومنها السكون والسكاسك الذين ذكر تنصرهم ابن خلدون في تاريخهِ ( ٢ : ٢٤٩ ). وكان لكندة بيت ملك فتولَّوا على بني معدّ في أنحاء نجد وأوَّلهم حُجر آكل المرار ثم خلف حجرًا بنوهُ من بعدهِ ومنهم كان امرؤ القيس الشاعر

أمَّا نصرانيَّة كندة فلا شكَّ فيها وقد أثبتنا ذلك في مقالة خصوصيَّة حيث

---

١) هذا نصُّهُ بالحرف : « Les Djawfites savent peu de chose sur leur origine et leur histoire; les anciennes traditions locales prétendent pourtant que les pays était chrétien, et que pour le convertir à l'islamisme, les sectateurs du prophète, Ali et Khalid- ebn- Walid durent employer le plus tranchant de tous les arguments, le glaive.» (Palgrave : *Voyage dans l'Arabie Centrale*. I, p. 61)

٢) وهذا قولهُ : « Les tribus du centre de la Péninsule jouissaient d'un calme et d'une prospérité qui plus tard leurs furent étrangères. La plupart avaient embrassé la foi chrétienne et probablement la professaient encore à l'époque ou elles repoussèrent l'invasion des Ommatidies. » (Id. I, 111)

رددنا على مزاعم حضرة الاب انستاس الكرملي في مزدكيَّة امرئ القيس ( راجع المشرق ٨ (١٩٠٥) ص ٩٩٨ ـ ١٠٠٦ ). وقد ذكرنا الكتابة التي وضعتها على صدر ديرها هندُ الكبرى بنت الحارث الكنديَّة حيث تفتخر بكونها « أَمَة المسيح وامّ عبدهِ ( أي عمرو بن هند ) وبنت عبيدهِ » ( أي الحارث بن عمرو بن حجر ملوك كندة ). وروينا أيضًا النصوص اليونانيَّة التي نقلها فوتيوس في مكتبتهِ ( Migne, P. G. III, 46 – 47 ) عن المعاهدات التي أبرمها ملوك الروم مع ملوك كندة في أيَّام انسطاس ويوستينوس ويستنيان ولولا نصرانيَّة كندة لما تسامحوا بذلك على الإطلاق. ويؤيد قولنا في دين كندة عبد المسيح الكندي في رسالتهِ إلى الهاشميّ في أيَّام المأمون. وقد ذكر هذه الرسالة أبو الريحان البيروني في الآثار الباقية ( ص ٢٠٥ من طبعة ليبسيك ) قال الكندي ( ص ١٢٤ من طبعة لندن سنة ١٨٨٠ ) :

« ولسنا نحبُّ أن نفتخر بما لنا من السبق والنسق في العربية وشرف الآباء فيها إذ كان ذلك معروفًا غير مجهول لآبائنا وأجدادنا. فقد علم كلّ ذي علم ولبّ كيف كانت ملوك كندة الذين هم ولدونا وما كان لهم من الشرف على سائر العرب لكنَّنا نقول ما قالهُ رسول الحقّ بولس : أَلا من يفتخر فليفتخر بالله والعمل الصالح فإنهُ غاية الفخر والشرف. فليس لنا اليوم فخر نفتخر بهِ إلاَّ دين النصرانيّة الذي هو المعرفة بالله وبهِ نهتدي إلى العمل الصالح ونعرف الله حقَّ معرفتهِ ونتقرَّب إليهِ وهو الباب المؤدي إلى الحياة والنجاة من نار جهنم »

وقال في محلّ آخر ( ص ١٠٣ ) يشير إلى دين كندة أجدادهِ :

« ولولا أنَّ الديانة عندي أشرف من الحسب الجسداني الزائل لكان يسعني السكوت ... لكنّي رجل نصراني ولي في هذه الديانة سابقة هي حسبي ونسبي وشرفي الذي أتشرَّف بهِ وأفتخر بمكاني منهُ وأرغب إلى الله في إماتتي على هذه الديانة وحشري عليها فإنهُ غاية أملي ورجائي الذي أرجو بهِ الخلاص من العذاب في نار جهنم والدخول إلى ملكوت السماء والخلود فيها بفضلهِ وإحسانهِ وسعة رحمتهِ »

فصحَّ إذن أنَّ بلاد نجد لم تشذّ عن سواها في قبول الدين النصراني فشاع فيها كما شاع في بقيَّة أنحاء العرب. وبهِ نختم هذا الفصل الذي تحرَّينا فيهِ تاريخ النصرانيَّة في جميع جهات العرب

# الفصل الثاني

## في قبائل العرب المتنصِّرة

هذا فصل نجعلهُ كتتمَّة الفصل السابق فنسرد فيهِ على سياق حروف المعجم أسماء القبائل المتنصرة في عهد الجاهليَّة مع الأدلَّة على نصرانيَّتها

١ ﴿ الازد ﴾ اسم عامّ يشمل القبائل الحميريَّة نسبة إلى الازد بن غوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ. ونصرانيَّتهم مثبتة بنصرانيَّة القبائل المتفرّعة منهم وهي القبائل التي خرجت بعد انفجار سدّ مأرب فسكنت في أنحاء الجزيرة وسيأتي ذكرها

٢ ﴿ امرؤُ القيس ﴾ بنو امرئ القيس من بني زيد مناة بن تميم. وممن صرَّح بنصرانيتهم ابن واضح المعروف باليعقوبي في تاريخهِ ( ج ١ ص ٢٩٨ ) (ed. Houtsma) قال : « وتنصر من بني تميم بنو امرئ القيس بن زيد مناة » . وإلى نصرانية بني امرئ القيس يشير ذو الرمة الشاعر حيث يقول :

ولكنَّ أهلَ امرئ القيس معشرٌ يحلُّ لهم أكلُ الخنازير والخمرُ

٣ ﴿ الاوس ﴾ روينا في الباب العاشر من فصلنا الأوَّل ( ص ١٠٨ ) أقوال الكتبة في نصرانيَّة الأوس بعد احتلالهم في مدينة يثرب وانهم المشار إليهم بأهل الكتاب أي النصارى

٤ ﴿ اياد ﴾ من أقدم القبائل العربيَّة المتنصرة. نقل السيوطي في المزهر (١ : ١٠٥) قول أبي نصر الفارابي في القبائل العربيَّة التي لم يؤخذ عنها اللسان العربيّ لفسادٍ لحق بلُغتها: « ولم يؤخذ ( اللسان العربي ) لا من قضاعة وغسَّان وإياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانيَّة » يريد اللغة الآراميَّة التي شاعت بين العبرانيين بعد جلاء بابل. وقال البكري في معجم ما استعجم ( ص ٤٨ ) ( ed. Wüstenfeld ) : « دانت إياد لغسَّان وتنصَّروا » . وقال ابن دريد في الاشتقاق ( ص ١٠٥ id. ) : « إياد قدم خروجهم من اليمن فصاروا إلى السواد فألحَّت عليهم الفرس في الغارة فدخلوا الروم فتنصروا »

٥ ﴿ بكر ﴾ بن وائل قبيلة كبيرة أخت تغلب وقرينتها في القوَّة والدين كانت ساكنة في الجزيرة وإليها نُسبت ديار بكر. أمَّا نصرانيّتها فثابتة من كل الوجوه لا يُشكّ فيها. قال صاحب سيرة الرسول المعروفة بالحلبيَّة ( ٣ : ٩٥ ) : « من قبائل العرب المتنصرة بكر وتغلب ولخم وبهراء وجذام »

٦ ﴿ بليّ ﴾ بليّ بن عمرو أخوة بهراء قضاعة مثلهم كانوا نصارى وحاربوا مع بهراء ونصارى العرب جيوش المسلمين كما ذكر الطبريّ ( ١ : ٢٤٧٤ )

٧ ﴿ بهراء ﴾ فرعٌ من قضاعة اشتهروا بالنصرانيَّة كما رأيت آنفًا بنصّ السيرة الحلبيَّة. وقال اليعقوبي في تاريخهِ ( ١ : ٢٩٨ ) : « تنصر ... من ربيعة تغلب ومن اليمن طيّ ومذحج والبهراء وسليح وتنوخ وغسَّان ولخم » وجاء في كتاب البلدان للاصطخري (طبعة ليدن ١٤ ed. de Goeje,) : « انّ بعض العرب تنصر ودان بدين الروم مثل تغلب من ربيعة بأرض الجزيرة وغسَّان وبهراء وتنوخ من اليمن بأرض الشام » . وجاء في ترجمة أبي العلاء المعري لابن خلكان : « تنوخ إحدى القبائل الثلث التي هي نصارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلب » ومثلهُ الفيروزابادي حيث قال : « كانت النصرانيَّة في ربيعة وقضاعة وبهراء وتنوخ وتغلب وبعض طيء » وسبق الطبريّ ( ج ٢٠٨١,٠١ ) كلَّ هؤلاء فجعل بهراء في عداد نصارى العرب أنصار الروم. فترى أنَّ نصرانيَّة بهراء شائعة في التاريخ

٨ ﴿ تغلب ﴾ بن وائل هي القبيلة المعدّيَّة الشهيرة وشقيقة بكر. كانت بلغت في الجاهليَّة مقامًا قلما أدركتهُ قبيلة عربيَّة أخرى قال عمرو الشيباني يصف شرف تغلب: « كانت تغلب بن وائل من أشدّ الناس في الجاهليَّة وقالوا : لو أبطأ الإسلام قليلاً لأكلت بنو تغلب الناس (١ » . وكانت تغلب مع شدَّتها عريقة في الدين. قال عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقتهِ يفتخر بشرف ودين نساء قومهِ :

ظعائن من بني جُشم بن بكر جمعنَ بمِيسم شرفًا ودينا

أمَّا هذا الدين فكان دين النصرانيَّة كما هو مشهور. والشواهد على ذلك لا تُحصى كما رأيت آنفًا من نصوص اليعقوبي والاصطخري والفيروزابادي وابن

---

١) اطلب شرح التبريزي لمعلَّقة عمرو بن كلثوم ( ed. Lyall, p. 108 )

خلكان. وزد عليها قول ابن حوقل في المسالك والممالك ( ص ١٨ ) : « نزلوا ( أي العرب ) على خفارة فارس والروم حتى أنَّ بعضهم تنصر ودان بدين النصرانيَّة مثل تغلب من ربيعة بأرض الجزيرة وغسَّان وبهراء وتنوخ من اليمن بأرض الشام » . وتجد في الباب الثامن من الفصل السابق شواهد أخرى تويد الأمر ولا تدع ريبًا لمستريب. قال جابر بن حنيّ يردّ على بهراء ( اطلب شعراء النصرانيَّة ص ١٩٠ ) :

وقد زعمت بهراءُ انَّ رماحنارماحُ نصارى لا تخوض إلى الدَّمِ ...

بل لدينا أدلَّة واضحة على ثبوت النصرانيَّة في تغلب حتى القرن الثالث والرابع بعد الإسلام وجاء في سراج الملوك للطرطوشي ( ص ٣٦ من طبعة مصر ١٢٩٩ ) أنَّ بني تغلب دخلوا على عبد العزيز فأعلنوا بنصرانيتهم

٩ ﴿ تميم ﴾ هو ابن مرَّة بن ادّ من بني مضر العدنايين وكانوا عدَّة قبائل ودخلت النصرانية في كثير منها كبني امرئ القيس وبني شيبان وبني أيُّوب ابن قلاَّم الذي منهم كان الشاعر النصراني الشهير عديّ بن زيد. وجاء في التذكرة الحمدونيَّة ( ص ١٧ و ١٨ من نسخة برلين ) في وصاة الحرث بن كعب لبنيهِ أنَّهُ « بقي على دين عيسى بن مريم مع تميم بن مرّ وأسد بن خزيمة » فجعل النصرانيَّة في قبائل تميم بنسبتها إلى رأسهم وشيخهم تميم بن مرّ

ولمَّا وفد بنو تميم على محمد كان أحد زعمائهم الزبرقان بن بدر وممَّا افتخر بهِ البَيعُ التي كان يشيدها قومهُ كما روى ابن هشام في سيرة الرسول ( ص ٩٣٥ ) :

نحن الكرام ولا حيٌّ يعادلنا منَّا الملوك وفينا تُنصَب البِيَعُ

ومن تميم في الجاهليَّة كان أسقف نصراني يُدعى محمدًا وهو محمد بن سفيان ابن مجاشع بن دارم التميميّ (١

---

١) اطلب حياة محمد لسپرنغر ( Sprenger : *Das Leben d. Mohammad*, I, 161 ). وفيهِ تفنيد لقول بعض الزاعمين أنَّ اسم محمَّد لم يُعرف في الجاهليَّة قبل نبيّ الإسلام. قال ابن بُريّ ( في تاج العروس ٢ : ٣٣٩ ) « ومن سُمّي بمحمَّد في الجاهليَّة سبعة محمّد بن سفيان بن مجاشع التميميّ ومحمَّد بن عتوارة الليثيّ الكناني ومحمَّد بن أُحيحة بن الجلاح الأوسيّ ومحمَّد بن حمران بن مالك الجعفيّ المعروف بالشويعر ومحمَّد بن مسلمة الإنصاريّ ومحمَّد بن خزاعيّ بن علقمة ومحمَّد بن حرماز بن مالك التميمي

١٠ ﴿ تنوخ ﴾ إحدى قبائل اليمن ونصرانيتها مُجمع عليها فإنَّ الطبري ( ١ : ٢٠٦٥ و ٢٠٨١ ) واليعقوبي ( ١ : ٢٩٨ ) في تاريخهما والاصطخري في كتاب مسالك الممالك (ص ٢٤) وابن خلكان ( ج ١ ص ٤٢ ) والفيروزباديّ في معجمهِ يجعلون كلهم تنوخ من جملة القبائل المتنصرة بل ورد في كتب السريان ذكرًا لأسقف التنوخين (١

١١ ﴿ ثعلبة ﴾ بنو ثعلبة ثلاثة أَبطن من طيء وهم ثعلبة بن ذُهل وثعلبة بن رومان وثعلبة بن جدعاء يقال لهم ثعالب طيء. ورد في الباب الثامن من الفصل السابق ذكر أساقفتهم. وقد عرف كتبة اليونان والرومان والسريان نصرانيتهم فذكروهم غير مرَّة ويجعلونه من الطائعين الخاضعين للروم « ܒܢܝ ܬܥܠܒ ܕܡܢ ܒܝܕ ܪܘܡܝ ܕܡܬܝܚܢ ܠܗܘܢ » (٢. وأخبر الابشيهي صاحب كتاب المستطرف (ج ١ ص ١٣٥) قال : (( رُوي انَّ بني ثعلبة دخلوا على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهُ فقالوا : يا أمير المؤمنين إنَّا قوم من العرب افرضْ لنا. قال : نصارى ؟ قالوا : نصارى. قال: ادعوا إليَّ حجَّامًا. ففعلوا فجزَّ نواصيهم ... )) . ويوجد غير هؤلاء أيضًا عُرفوا ببني ثعلبة أشهرهم بنو ثعلبة بن شيبان من بطون تميم

١٢ ﴿ جذام ﴾ بن مالك بن نصر قبيلة يمنيَّة من الازد كانت تدين بالنصرانيَّة قال صاحب السيرة الحلبيَّة ( ٣ : ٩٥ ) : (( من قبائل العرب المتنصرة بكر ولخم وجذام )) . وكذلك الفارابي في المزهر ( ١ : ١٠٥ ) يجعل جذام من النصارى الذين (( يقرأُون بالعبرانيَّة )) . وفي الفتوحات الإسلامية للبلاذري ( ٥٩ و ١٣٥ ) وفي الطبري (١ : ١٧٠٢) وفي تاريخ ابن بطريق ( طبعتنا ج ٢ ص ١٣ ) ترى جذامًا في جملة قبائل العرب المتنصرة التي تحارب جيوش المسلمين مع غسَّان وكلب ولخم

١٣ ﴿ جَرْم ﴾ بن ريَّان هم من قبائل قضاعة ونصرانيتهم ثابتة كنصرانيَّة قضاعة. وقد مرَّ بك في الباب الثامن من الفصل الأوَّل ذكر أسقف لبني جرم. وكانت النصرانيَّة في جرم منذ زمن قديم فإنَّ السريان ذكروا ديرًا ابتناه الرهبان في ديار جرم منذ أواسط القرن الرابع (٣. وقد روى قزما الرحَّالة الهندي في سفرهِ

---

١) اطلب النخب السريانية ( Lagarde *Analecta Syriaca* p. 128 )
٢) اطلب ( G. Rothstein : *Die Dynastie der Laḫmiden in al-Ḥîra* )
٣) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني ( Assemani : BO, II, 41 )

إلى الهند انَّ بين الدائنين بالنصرانيَّة في زمانهِ أي القرن السادس للمسيح كان النبط وبنو جرم [١]

١٤ ﴿ جرهم ﴾ نقلنا في جملة آثار النصرانيَّة في مكَّة ما رواه كتبة العرب عن دين بني جرهم وعن ملكهم عبد المسيح وأسقفهم في مكة. فليراجع

١٥ ﴿ الحدَّاء والسِّمْط ﴾ فروع من بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم. كانوا يسكنون الحيرة ويدينون بدين أهلها. قال طُخيم بن أبي الطَّخماء الاسدي يمدحهم ( الكامل للمبرَّد ص ٢٦ ed. Wright ) :

بنو السمط والحدَّاء كلُّ سَمَيدع لهُ في العروق الصالحات عروقُ
وإني وان كانوا نصارى أحبّهم ويرتاحُ قلبي نحوهم ويتوقُ

١٦ ﴿ الحارث بن كعب ﴾ قبيلة يمنيَّة كبيرة تنتسب إلى مذحج إلى كهلان احتلَّت نجران ونواحيها وتنصرت وحسنت نصرانيتها ويظهر أنَّ الحارث بن كعب جدّ هذه القبيلة مات نصرانيًّا فإنَّنا قد وجدنا في النسخة الخطِّية من التذكرة الحمدونيَّة (Ms. Berlin, *Ahlwardt*, n^os 8359 et ff. 17) ما حرفهُ [٢] :

« أوصى الحرث بن كعب بنيه فقال : يا بنيَّ قد أتت عليَّ مائة وستون سنة ماصافحت يميني يمين غادر ولا قنعت نفسي بخلَّة فاجر ولا بحتُ لصديق بسرّ ولا طرحتْ عندي مومسة قناعًا ولا بقي على دين عيسى ابن مريم أحد غيري وغير تميم بن مرّ واسد بن خزيمة. فموتوا على شريعتي واحفظوا وصيتي وإلهَكم فاتَّقوا يكفِكم المهمَّ من أموركم ويصلح لكم أعمالكم وإيَّاكم والمعصية لئلا يحلّ بكم الدمار وتوحش منكم الديار ... فإنّ لزوم الخطيَّة تعقب البلية »

وهناك حاشية رواها ابن حمدون : « انَّ النصارى في العرب كثير وبني الحرث بن كعب كلهم نصارى »

وكانت نجران تحت حكم بني الحارث لمَّا قصدها ذو نوءَاس ملك حمير اليهودي فافتتحها وامتحن أهلها بأخاديد النار فمات منهم عدد دثر مفضلين الموت الأحمر على جحود الدين. وبعد ظفر الحبش بذي نوءَاس عاد بنو الحارث بن كعب إلى امرة نجران وكان من أشرافهم بنو عبد المدان بن الديان الذين شادوا كعبة نجران وكنيستها المعروفة بالقليس التي أفاضل الكتبة في وصف محاسنها كما رأيت في

---

١) اطلب مجموعة مين ( Migne, PG., t. 88 col. et 446 )
٢) ثم وجدنا هذه الوصاة في كتابين من مخطوطات باريس ومخطوطات مكتبتنا

الباب المختصّ بنصرانيَّة أهل اليمن. وبقي بنو الحارث بن كعب على نصرانيتهم بعد ظهور الإسلام كما يؤخذ من كتاب الوفادات لابن سعد ( Wellhausen, *Skizzen*, IV, ٨ ) حيث صالحهم نبيّ المسلمين على شروط عدَّدها هناك ولم ينبذوا دينهم. وممَّا رأيناه في أحد مخطوطات مكتبة قديمة في حلب منسوبًا إلى شاعر من بني الحارث الأبيات الآتية المشيرة إلى دينهم القويم :

ألا إنَّنا من معشرٍ سبقت لهم ... أيادي من الحسنى فعُوفوا من الجهلِ
ولم ينظروا يومًا إلى ذات مَحْرم ... ولا عرفوا إلاّ التقيَّة في الفعلِ
وفينا من التوحيد والعقل شاهدٌ ... عرفناهُ والتوحيدُ يُعرَف بالعقلِ
نُعاين من فوق السماوات كلها ... معاينة الأشخاص بالجوهر المجلي
ونعلمُ ما كنَّا ومن أين بدؤنا ... وما نحن بالتصوير في عالم الشكلِ
وانّا وإن كنَّا على مركبة الثرى ... فارماحنا في عالم النور تستعلي
وما صعدتْ لم تختبره وإنَّما ... رأت ذاتها بالنور في العالم العقلي
فلم ترضَ بالدنيا مقامًا فاثرت ... حقيقةَ ممثولٍ وجلَّت عن المثلِ

١٧ ﴿ حمير ﴾ أخبار تنصُّرها مرّت في باب النصرانيَّة في اليمن فعليك بها. وزد على نصوصنا قول الفيروزابادي : « انّ كثيرًا من ملوك اليمن والحيرة تنصَّروا »

١٨ ﴿ حَنيفة ﴾ بنو حنيفة بطن كبير من بكر بن وائل كانوا يسكنون اليمامة وقد مرَّ ذكر تنصُّرهم في أثناء ذكر « النصرانية في حضرموت وعُمان واليمامة والبحرين » وفنَّدنا هناك ما روي عن عبادتهم لصنم من عجيم بل وجدنا في ذلك الهجو دليلاً على نصرانيَّتهم لإشارتهِ إلى القربان الأقدس. ومثلهُ قول الآخر :

أكلت ربَّها حنيفةُ من جو ... عٍ قديمٍ ومن اعوازِ

ومن حنيفة كان هَوْذة بن عليّ المعروف بذي التاج ملك اليمامة الذي مرَّ ذكرهُ. ومنهم كان مسيلمة بن حبيب الذي ناصب محمَّدًا وتبعهُ أهل اليمامة واستفحل أمره وكاد يظهر على الإسلام لولا خالد بن الوليد الذي غلبهُ وقتلهُ. وممَّا يدلُّ على نصرانيَّة بني حنيفة ما ذكره ابن سعد في كتاب الوفادات ( Wellhausen, p. 46 ) حيث روى خبر وفودهم على محمَّد إلى أن قال : « أعطاهم رسول الله اداوةً من ماء فيه فضل طهوره فقال : إذا قدمتم بلدَكم اكسروا بيعتكم وانضحوا مكانها بهذا

الماء واتَّخذوا مكانها مسجدًا ففعلوا )) . ثمَّ يذكر أنَّ (( راهب البيعة هرب فكان آخر العهد بهِ )) . فذكرُهُ لبيعة بني حنيفة وراهبها دليل ساطع على نصرانيَّتهم

١٩ ﴿ الخَزْرج ﴾ بنو الخزرج كبني الأوس كانوا يسكنون المدينة ويُعدُّون من أهل الكتاب أي النصارى ( يراجع ما سبق عن النصرانيَّة في المدينة )

٢٠ ﴿ ربيعة ﴾ هو اسم يطلق على القبائل العديدة المنتسبة إلى ربيعة بن نزار وهي أكبر قسم من القبائل العدنانيَّة الأربع أعني أنمار وإياد وربيعة ومضر. وقد انتشرت النصرانيَّة في ربيعة حتى أوشكت تشمل كل بطونها وفروعها فترى من ثمَّ كتبة العرب إذا ذكروا النصرانيَّة في الجاهليَّة جعلوها خصوصًا في ربيعة قال الفيروزابادي : (( وكانت النصرانيَّة في ربيعة )) . وشهد بذلك قبلهُ ابن قتيبة في المعارف ( ص ٣٠٥ من طبعة مصر ) وابن رسته في الاعلاق النفيسة ( ص ٢١٧ ) والقاضي ابن صاعد في كتاب طبقات الأمم ( ص ٤٣ من طبعتنا ) وغيرهم كثيرون. فقولهم (( انَّ النصرانيَّة كانت في ربيعة )) بإطلاقهِ يدلُّ على أنَّ هذا الدين كان الغالب عليهم على اختلاف قبائلهم. ويؤيد ذلك ما رويناه عن نصرانيَّة أعظم قبائل ربيعة كبكر وتغلب وامرئ القيس وحنيفة وشيبان الخ. فناهيك بذلك شاهدًا على شيوع النصرانيَّة بين العرب

٢١ ﴿ السكاسك والسَّكُون ﴾ قال ابن دريد في الاشتقاق ( ص ٢٢١ ) (( ومن قبائلهم السكاسك والسكون قبيلتان عظيمتان وهما ابنا اشرس بن ثور بن كندي (١ )) . وممَّا يؤيد تنصرهما انهما كانتا في دومة الجندل التي مرَّ ذكر نصرانيتها ونصرانيَّة صاحبها أُكيدر السكوني. وقد صرَّح ابن خلدون في تاريخهِ ( ٢ : ٢٤٩ ) بنصرانيَّة السكون قال : (( وكان لقضاعة ملك اخر في كلب بن وبَرة يتداولونهُ مع السكون من كندة فكانت لكلب دومة الجندل وتبوك ودخلوا في دين النصرانيَّة وجاء الإسلام والدولة في دومة الجندل لأُكيدر بن عبد الملك بن السكون )) . وكان السكون والسكاسك يسكنون أيضًا في حضرموت محالفين لبني الحرث بن كعب أهل نجران كما أخبر الطبري ولمَّا ظهر الأسود العنسي محاربًا لمحمد نبيّ الإسلام

---

١) والصواب ما قالهُ ابن دريد في الاشتقاق ( ص ٢١٨ ) (( كندة هو كِنْدي واسمهُ ثَوْر ))

كان السكون والسكاسك من أنصارهِ (١ وكذلك نراهم يحاربون خالدًا مع بني كلب وغسَّان وبهراء وكلهم من نصارى العرب

٢٢ ﴿ سليح ﴾ هي القبيلة العربيَّة التي سبقت الغسانيين في الشام ودانت بالنصرانيَّة قال المطهَّر المقدسي في كتاب البدء المنسوب لأبي زيد البلخي ( éd. Huart, III, p 208 ): « وأوَّل من دخل الشام سليح وهم من غسان ويقال من قضاعة فدانت بالنصرانيَّة وملَّك عليها ملك الروم رجلاً يقال له النعمان بن عمرو بن مالك » . وقال المسعودي في مروج الذهب (طبعة باريس ٣ : ٢١٦) : « وردت سليح الشام فتغلبت على تنوخ وتنصرت فملَّكها الروم على العرب الذين بالشام » . وكذلك ابن واضح اليعقوبي في تاريخهِ (١ : ٢٩٨): « تنصَّر... من اليمن طي ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسَّان ولخم » . وسبقهم الطبري في تاريخه ( ١ : ٢٠٨١ ) فجعل سليحًا مع قبائل نصارى العرب المحاربين مع الروم. وبنو سليح يُدعون أيضًا بالضجاعم أو الضجاعمة نسبة إلى أحد أجدادهم قال في التاج ( ٨ : ٣٧٣ ): « ضجعم أبو بطن من العرب وهو ضجعم بن سعد بن عمرو الملقب بسليح بن حلوان بن عمران » . وقد ذكر الطبري ( ١ : ٢٠٦٥ ) الضجاعم مع قبائل النصارى المحاربة لخالد بن الوليد. ومن ملوك الضجاعم في الشام داود بن هبُّولة المعروف باللَثِق وكان نصرانيًّا (٢ وقال ابن دريد في الاشتقاق ( ص ٣١٩ ) : « يضاف إليهِ دير داود في الشام »

٢٣ ﴿ شيبان ﴾ حي من بكر بن وائل. قال في التاج ( ١ : ٣٢٨ ) : « هما شيبانان : أحدهما شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. والآخر شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة الخ. وهما قبيلتان عظيمتان على بطون وأفخاذ » . ونصرانيَّة القبيلتين شائعة كنصرانيَّة جذرهما بكر بن وائل. وكان مقام بني شيبان في بلاد الجزيرة المعروفة بديار بكر قريبًا من دجلة حيث انتشرت النصرانيَّة انتشارًا تامًّا. وبنو شيبان يُعرفون غالبًا ببني ثعلبة في

---

١) تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٠٠٢ ـ ٢٠٠٤

٢) اطلب (Caussin de Perceval : *Hist. des Arabes*, II, 201-202 )

تواريخ الروم والسريان ( راجع ما قلناه عن ثعلبة ). ومن شيبان كان حارث بن عبَّاد سيِّد شيبان في حرب البسوس وقِرن المهلهل. ومنهم بسطام بن قيس أحد فرسان العرب المشهورين وسيد شيبان في يومي غبيط ومحطط اللذين ذكرهما ابن عبد ربهِ في العقد الفريد ( ٣ : ٨٨ ـ ٨٩ ) وابن الأثير في تاريخهِ ( ١ : ٢٥٠ ). وقد صرَّح ابن عبد ربهِ هناك بنصرانيَّة بسطام ويدعوهُ أيضًا حنيفًا فيثبت ما قلناه عن نصرانيَّة الحنفاء. ومنهم أيضًا نابغة بني شيبان الشاعر الأموي الشهير له ديوان لم يُطبع حتى الآن. وقد ذكر أبو الفرج في الأغاني ( ٦ : ١٥١ ) نصرانيتهُ. وكذلك هانئ بن قبيصة قال ابن دريد في الاشتقاق ( ص ٢١٦ ) : « وكان شريفًا عظيم القدر وكان نصرانيًّا وأدرك الإسلام فلم يُسلم ومات بالكوفة »

٢٤ ﴿ ضُبيعة ﴾ كانوا اخوة بني شيبان ويُعرفون مثلهم بالثعالب يشاركونهم بكل أحوالهم وهم نازلون في ديارهم ويدينون بدينهم ومنهم كان الشاعر الجاهليّ الشهير طَرَفة بن العبد صاحب المعلَّقة

٢٥ ﴿ طيء ﴾ من أكبر قبائل العرب وأطولها باعًا وارقاها حضارةً وأثبتها على خطوب الزمام. أصلهم من اليمن ينسبون إلى طيء بن ادد بن كهلان. وكانت ديارهم في نجد حيث الجبلان المعروفان بجبلي طيء وهما أجا وسلما وكانوا يسكنون في أطراف اليمامة في نواحي تيماء وكانوا يدينون أولاً بالوثنية. وقد ذكروا لهم صنمًا كانوا يعبدونهُ الفُلْس أو الفَلْس لم يتفقوا في تعريفهِ. وما لا يُنكر أنَّ النصرانيّة كانت كثيرة الانتشار بينهم. قال ابن واضح اليعقوبي ( ١ : ٢٩٨ ) : « تنصَّر من احياء العرب ... من اليمن طيء ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسَّان ولخم » فجعل طيِّئًا في مقدَّمة القبائل المتنصرة. وقد أخبر ابن العبريّ في تاريخهِ الكنسي ( Barhebræi Chronicon Eccl., III, 100 ) انَّ « أحودما » المفريان سنة ٨٧٠ لليونان ( أي ٥٥٩ للمسيح ) تنقل بين العرب الطائيين وردّ كثيرًا منهم. وكان اسم الطائيين عند السريان يعمّ كل العرب لكنهم يخصصون بهِ بني طيء أيضًا ويذكرون نصرانيتهم. ومن آثار النصرانية في طيء أديرة للرهبان في أنحائهم مرَّ لنا ذكرها. كدير عمرو في جبال طيء ( ياقوت ٢ : ٦٨٢ ) وكدير الثعالب لبطون من طيء قريبًا من بغداد (ياقوت ٢ : ٦٥٠). ومن مآثر النصارى الطائيين

انَّ قومًا منهم وضعوا الخطّ العربي كما شهد على ذلك قدماء الكتبة ( راجع المشرق ٤ : ١٩٠١ ) ص ٢٧٨ ) وقد صرَّح مؤَلفو العرب بنصرانية كثيرين من الطائيِّين كحنظلة الطائي باني دير حنظلة ( ياقوت ٢ : ٦٥٥ ) الذي بسببه تنصَّر النعمان صاحب الغريين. وكاياس بن قبيصة بن أبي عفراء الذي ملك مدَّة بالحيرة. وكأبي زُبَيد الشاعر النصراني وكعدي بن حاتم الطائي سيد بني طيّ قال ابن سعد في وفادات العرب ( Skizzen, IV, ٥١ ) : « عدّي بن حاتم كان على النصرانية » ومثلهُ ياقوت ( ٣ : ٩١٣ ). والمستشرقون اليوم مجمعون على نصرانيَّة طيء. وقد مرّ بك قول الرحالة پلغراف ( ص ١٢٢ ). وكذلك العلاَّمة ڤلهوسن (١ خصَّ طيِّئًا بالعلائق القديمة مع النصرانيَّة وختم قولهُ بهذه الألفاظ « لو لم يظهر الإسلام لاضحت بعد زمن قليل بلاد شمالي العرب من البحر الأحمر إلى خليج العجم كلها نصرانيَّة (٢ »

٢٦ ﴿ عاملة ﴾ قبيلة ينتسبون إلى عاملة بن سبا من بني قحطان وقد سكنوا العراق ثم انتقلوا إلى جهات الشام وإليهم تنتسب جبال عاملة. وكانوا يدينون بالنصرانية كجميع عرب الشام. وقد ذكر البلاذري بني عاملة في فتوح البلدان ( ص ٥٩ ) في جملة العرب المتنصرين الذين حاربوا في تبوك رسول الإسلام سنة ٩ للهجرة مع الروم ولخم وجذام. وكذلك الطبري في تاريخهِ ( ج ١ ص ٢٣٤٦ ) نظم عاملة في جملة أحلاف الروم. قال في تاريخ سنة ١٤ : « لمَّا أصافت الروم سار هرقل في الروم حتى نزل انطاكية ومعهُ من المستعربة لخم وجذام وبلقين وبليّ وعاملة وتلك القبائل من قضاعة وغسَّان بشر كثير »

٢٧ ﴿ العباد ﴾ قال ابن خلكان ( éd. de Slane, 98 ): « العباد عدَّة بطون من قبائل شتى نزلوا الحيرة وكانوا نصارى يُنسب إليهم خلق كثير منهم

---

١) اطلب كتابهُ عن أديان العرب : Wellhausen : *Reste arab. Heidentums*, p. 231

٢) وهذا نصُّهُ الأصلي : « In der Mitte zwischen den Qudâa und der Rai'a Tamîm hatten die Taiji, vielleicht von Mesopotamien her, alte Beziehungen zum Christentum. Waere nicht der Islam dazwischen gekommen; so waere voraussichtlich binnen kurzem das ganze noerdlich Arabien, vom Roten bis zum Persischen Meerbusen, christlich gewesen. »

عديّ بن زيد العبادي الشاعر ›› . وقد روى هشام بن الكلبيّ ( اطلب تاريخ ابن خلدون ٢ : ١٦٩ ـ ١٧٠ ) عن نصارى العرب في العراق ما نصهُ :

وكانت بيوتهم على ريف العراق ينزلون الحيرة وكانوا ثلث فرق : الأولى تنوخ ومنهم قضاعة ... وكانوا يسكنون بيوت الشعر والوبر ويضعونها غربي الفرات بين الأنبار والحيرة وما فوقها فأنفوا من الإقامة في مملكة اردشير وخرجوا إلى البريَّة. والثانية العباد الذين كانوا يسكنون الحيرة وأوطنوها. والثالثة الاجلاف الذين نزلوا بهم من غير نسبهم ولم يكونوا من تنوخ الناكثين من طاعة الفرس ولا من العباد الذين دانوا بهم فملك هؤلاء الأحلاف الحيرة والأنبار وكان منهم عمرو بن عدي وقومهُ ...

امَّا تسميتهم بالعباد فإنَّ أَبا الفرج في الأغاني ( ١١ : ١٦٢ ) علَّلها بكونهم قاتلوا سابور ملك العجم واتَّخذوا كشعارهم (( يا آل عباد الله فسُمّوا العباد ››

٢٨ ﴿ عبد الدار ﴾ كانوا فرعًا من لخم وسكنوا مدَّةً مكَّة وكانت لهم فيها الرفادة والسقاية. ثمَّ لحقوا بعرب العراق وتنصروا وسكنوا الشام وجبال فلسطين (١

٢٩ ﴿ عبد القيس ﴾ هي قبيلة من ربيعة كانت ساكنة في تيماء وبصرى وبلاد البحرين وكانت النصرانية غالبة عليها ووفدت على محمد سنة ٨ للهجرة مع سيدها بشر بن عمرو المعروف بالجارود وكان نصرانيًّا (٢. ومن هذه القبيلة كان بحيرا الراهب النسطوري (٣. قال الخفاجيّ في نسيم الرياض وشرحهِ على الشفاء ( ج ٢ ص ٢٣ ) : (( بحيرا اسمهُ جرجس ويقال جرجيس بياء كان من عبد القيس نصارى تيماء أو بصرى ›› . ومنهم الرئاب ابن البراء الشنّي قال ابن دريد في الاشتقاق ( ص ١٩٧ ) : (( وكان ( الرئاب ) على دين عيسى عليه السلام وكانوا سمعوا في الجاهلية مناديًا ينادي : ألا أنَّ خير الناس رئاب الشنّيّ ››

٣٠ ﴿ عبس وذبيان ﴾ هما ابنا بغيض بن غطفان من قبائل مضر (٤. ليس لدينا شواهد صريحة على نصرانيتهما وإنما يستدلّ عليها ببعض الدلائل فمن

---

١) اطلب سيرة محمد ( Sprenger III, 432 ) ثم ( Wellhausen, *Skizzen*, IV, 108 )
٢) اطلب تاريخ ابن خلدون ( ٢ : ٣٠١ ) ثم Sprenger III, 372 و Wellhausen, ibid. 155 )
٣) اطلب مروج الذهب طبعة باريس ( ٣ : ٢٥٧ )
٤) اطلب تاريخ ابن خلدون ( ٢ : ٣٠٥ ـ ٣٠٦ )

ذلك تنصُّر قيس بن زهير بن جذيمة العبسي سيد بني عبس في أيَّام داحس والغبراء. قال ابن الأثير في تاريخهِ ( ١ : ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ) انهُ تاب إلى ربهِ « فتنصر وساح في الأرض حتى انتهى إلى عمان فترهَّب بهِ » . وكذلك الربيع بن زياد أحد أعيان بني عبس كان منادمًا لملك الحيرة النعمان بن المنذر مع سرجون بن توفيل ( ويروى نوفل ) وكان النعمان نصرانيًّا وسرجون أيضًا نصراني رومي (١ فلا يُحتمل أن يكون الربيع بن زياد من عبدة الأصنام. وأدلّ من ذلك على النصرانيَّة في عبس ظهور رجل بينهم من بني مخزوم بن عبس يدعونهُ خالد بن سنان ويذكرون انهُ كان نبيًّا. قال ابن دريد في الاشتقاق ( ص ١٧٠ ) : « ذُكر عن النبي صلعم انهُ قال ( عن خالد بن سنان ) : ذاك نبيّ ضيعهُ قومهُ » . قال العصاميّ في كتاب سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (٢ : « روي أنَّ خالد بن سنان كان في زمن كسرى انو شروان وانهُ كان يدعو الناس إلى دين عيسى وكان بأرض بني عبس وأطفأ النار التي كانت تخرج من بئر هناك وتحرق من لقيتْهُ من عابر سبيل » . وذكر العصامي في الكتاب عينهِ نبيًّا آخر لبني عبس اسمهُ حنظلة ابن صفوان ( ص ٦٩ ) قال انهُ دعا قومهُ إلى الله تعالى وصنع المعجزات ثمَّ قتلهُ قومهُ

أمَّا ذبيان فشقيقة عبس ولا يبعد أنها دانت بالنصرانيّة. وما لا ينكر أنَّ شاعرها الكبير النابغة الذبياني كان نصرانيًّا بشهادة تاج العروس ( ١ : ٣٣٧ ) نقلاً عن الصغاني والأصمعي قال في بيان معاني الصليب : « والصليب العلَم. قال النابعة :

ظلَّت أقاطيعُ انعامٍ مؤبَّلةٍ  لدى صليبٍ على الزوراء منصوبِ

... وقيل سمَّى النابغة العلَمَ صليبًا لأنَّهُ كان نصرانيًّا »

٣١ ﴿ عِجل ﴾ قبيلة كبيرة من بكر بن وائل وهم عِجل بن لُجَيْم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وهم اخوة بني حنيفة وكلهم نصارى كما سبق فتبعتهم عجل في دينهم. وعجل إحدى قبائل النصارى التي ظفرت بالعجم يوم ذي قار (٣ وكان سيدهم حنظلة بن ثعلبة بن سيَّار العجليّ وكان على شيبان هانئ بن

---

١) اطلب الأغاني ( ١٤ : ٩٤ و ١٦ : ٢٢ ) ثمَّ شعراء النصرانيَّة ( ص ٧٨٩ )
٢) من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة ( ص ٦٩ )
٣) اطلب الأغاني ( ج ٢٠ ص ١٣٢ ـ ١٤٠ )

قبيصة النصراني ( الاشتقاق لابن دريد ص ٢١٦ ). وقد روى أبو الريحان البيرونيّ في كتاب الآثار الباقية ( ed. Sachau, p. 314 ) « انَّ العذارى النصرانيَّات من العرب صُمن شُكرًا لله حيث انتصرت العرب من العجم يوم ذي قار فنُصروا عليهم » ثم نسب إليهِ صوم العذارى الواقع يوم الاثنين بعد عيد الدنح ويدوم ثلثة أيام ـ وبقيت عجل على نصرانيتها حتى بعد ظهور الإسلام فحاربت خالد بن الوليد وجيوش المسلمين تحت قيادة جابر بن بُجير وعبد الأسود النصرانيين كما روى الطبري ( ج ١ ص ٢٠٣٢ ـ ٢٠٣٣ ) وابن خلدون ( ج ٢ (تتمة) ٨٠ ) وقال كلاهما هناك إنَّ عبد الأسود وجابر كانا سائرين في نصارى العرب « من عجل وتيم اللات وضُبيعة » . ولم يعدل بنو عجل عن نصرانيتهم إلى أيام بني أمية والدليل على ذلك أن الطبري صرَّح بنصرانية سيّد بني عجل أَبجر بن جابر ( الطبري ج ١ ص ٣٤٦٠ ). وبقي ابنهُ حجَّار على دينهِ كما يشهد عليهِ هجاء قالهُ فيهِ الشاعر عبد الله بن الزبير وكان حجَّار من أشراف أهل الكوفة ودونك الشعر ( الأغاني ١٣ : ٤٦ ـ ٤٧ ) :

سليلَ النصارى سُدْت عِجلاً ومَن يكن كذلك أهلٌ أن يسود بني عِجلِ
ولكنهم كانوا لئامًا فسُدْتهم ومثلك من ساد اللئام بلا عقلِ
وكيف بعجل ان دنا الفصحُ واغتدت عليك بنو عجل ومرجلكم يغلي
وعندك قسّيس النصارى وصُلبها وغانية صهباء مثل جنى النحلِ

فغاظ هذا الشاعر بني عجل لمَّا تهدَّدوهُ بالقتل لهجوهِ سيدهم فقال :

تُهدّدني عجلٌ وما خلتُ انني خلاةٌ لعجل والصليبُ لها بعلُ ...

يريد اكرام بني عجل للصليب على مألوف عادة النصارى

٣٢ ﴿ عُقيل ﴾ بطن من كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من غطفان. كان يسكنون اليمامة وكان أهل اليمامة كما سبق من أتباع النصرانيَّة. وقد خصُّوا بالذكر عُقيلاً وذكروا لهم أساقفة. ولمَّا ظهر الإسلام دانوا بهِ مدة حتى وفاة محمد ثم ارتدُّوا إلى دينهم فاضطرّ أبو بكر الصديق أن يرسل إليهم بعثةً لمحاربتهم وكان قسم من بني عُقَيْل يسكنون أيضًا في الجزيرة عند نهر خابور مع نصارى تغلب وبكر ( راجع ص ٩٤ )

٣٣ ﴿ غسَّان ﴾ لا حاجة إلى الإطالة في ذكر نصرانيَّة غسَّان وقد مرَّ لنا كلام مُسهب في ذلك. وليس بين كتبة العرب من يعدّد القبائل المتنصرة إلاَّ

ذكر في مقدَّمتها أو في جملتها قبيلة غسَّان كالاصطخري في مسالك الممالك ( ص ١٤ ) واليعقوبي في تاريخه ( ١ : ٢٩٨ ) وابن سعد في كتاب الوفادات ( ed. Wellhausen, *Skizzen*, IV, 7 ) والسيوطي في المزهر والفيروزابادي في مقدَّمة المحيط (١. واشتهر منهم بنو جفنة ملوكهم الذين امتدحهم النابغة الذبياني بحسن الدين فقال :

مجلَّهم ذات الإله ودينهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

٣٤ ﴿ فَرَسان ﴾ هي قبيلة من تغلب وإليهم نُسبت جزائر فَرَسانِ. قال ابن الحائك في كتاب الإكليل (٢ : « من جزائر اليمن جزائر فَرَسان وفَرَسان قبيلة من تغلب كانوا قديمًا نصارى ولهم في جزائر فرسان كنائس قد خربت وفيهم بأس ... ويحملون التجار إلى بلد الحبش ولهم في السنة سفرة وينضمُّ إليهم كثير من الناس ونُسَّاب حمير يقولون انَّهم من حمير » . وفي تاج العروس ( ٤ : ٣٠٦ ) « انَّ فَرَسان لقب عمران ابن عمرو ... بن تغلب قيل لقّب بهِ لجبل بالشام اجتاز فيهِ وسكن ولدهُ بهِ ثمَّ ارتحلوا باليمن ونزلوا هذه الجزيرة فعُرفت لهم فلمَّا أجدبت نزلوا إلى وادي مَوْزَع فغلبوا عليهم وسكنوا هنالك. ومن الفرَسانيين جماعة يقال لهم التغالب يسكنون الربع اليماني من زبيد »

٣٥ ﴿ قُرَيش ﴾ أَتينا في مطاوي كلامنا عن مكة بذكر آثار النصرانية في مكَّة بين قُرَيش مع الشواهد على ذلك. فليراجع

٣٦ ( قُضاعة ﴾ أَشرنا مرارًا إلى نصرانيَّة هذه القبيلة التي كانت تُعد من أمَّهات القبائل وإلى نصرانيَّة بطونها كجرم بن ريَّان وسليح وكلب بن وَبَرة وتيم اللات. وممن صرَّحوا بدينها النصراني ابن واضح اليعقوبي في تاريخهِ قال ( ١ : ٢٣٤ ) : « كانت قضاعة أوَّل من قدم الشام من العرب ... فدخلوا في دين النصرانيّة فملَّكهم ملك الروم على من ببلاد الشام من العرب » . وقد مرَّ قول الفارابي ( اطلب المزهر ١ : ١٠٥ ) عن نصرانية قضاعة. ومثلهما الفيروزابادي حيث

---

١) وممَّن اتَّسعوا في تاريخ غسَّان العلاَّمة نُلْدك في كتابهِ ( Die Ghassanischen Fürsten aus dem Hause Ġafnas ) وكذلك الرحَّالة دوسُّو وصفهم بالتحمُّس الديني في النصرانية ( Dussaud: *Les Arabes avant l'Islam*. ) فقال عنهم : (Les Ghassanides.. fervents chrétiens et fondateurs de monastères, p. 52)

٢) اطلب معجم البلدان لياقوت ( ٣ : ٨٧٣ ـ ٨٧٤ )

قال : « كانت النصرانيَّة في ربيعة وقضاعة وبهراء وتنوخ وبعض طيء » وقد أفادنا ياقوت في معجم البلدان ( ٢ : ٦٥٨ ) انَّ دير خِندِف في نواحي خوزستان قد بنتهُ ليلى القضاعيَّة المعروفة بخندف امِّ ولد الياس بن مضر (١

٣٧ ﴿ القين ﴾ أو بلقين هم بطن من قضاعة بنو القين بن جسر بن الأسد بن وَبَرة ومن الشواهد على نصرانيتهم ما رواه الطبري في تاريخهِ ( ١ : ٢٣٤٧ ) عن هرقل انَّهُ سنة ١٤ للهجرة سار لمقاتلة المسلمين في اليرموك وكان معهُ من القبائل النصرانيَّة المستعربة « لخم وجُذام وبَلقين وبَليّ وعاملة وتلك القبائل من قضاعة » وكانت هذه القبائل حاربت مع الروم سابقًا في تبوك سنة ٧ للهجرة (٢

٣٨ ﴿ كَلْب ﴾ بن وَبَرة قبيلٌ عظيم من قضاعة يُقسم إلى عدَّة بطون. وهم من أعرق العرب في النصرانيَّة وأقدمهم عهدًا فيها. كما رأيت في تاريخ الشام والجزيرة (٣ وقد عُرفت قبيلةِ كلب بشرفها وعزّها. ومن امرائها النصارى زُهَير بن جناب أحد المعمرين. ومنهم بَحدل بن أُنيف النصراني حمو معاوية بن سفيان كان لهُ كنيسة في دمشق. ومنهم دَحية بن خليفة قال ابن دُرَيد ( في الاشتقاق ٣١٦ ) : « هو الذي كان جبريل عليهِ السلام ينزل في صورتهِ (كذا) » . ومنهم فرافصة النصرانية زوجة عثمان وقد دعت ابنةً لها بمريم. وبقيت كلب مدَّة على نصرانيتها بعد الإسلام إلاَّ بعضهم وفي المقتضب لياقوت (٤ : أسلمت كلب غير مدره كانوا نصارى » . وفي سيرة الرسول لابن هشام ( ص ٢٨٢ ) « انَّ محمدًا دعا إلى الإسلام قومًا من كلب يُعرفون ببني عبد الله فلم يقبلوا منهُ. وكانت كلب تسكن بقاع الشام حتى نُسبت إليها. قال ياقوت في معجم البلدان ( ١ : ٦٩٩ ) :

« البقاع .. يقال لهُ بقاع كلب قريب من دمشق وهو أرض واسعة بين بعلبك وحمص

---

١) وقد اقرَّ بنصرانية قضاعة العلاَّمة ڤلهَوْزن فقال : « كل قبيلة قضاعة كانت متنصِّرة في القرن السابق للإسلام » (In dem Jahrhundert vor dem Islam hatten alle Quda'astaemme es (das Christentum) angenommen. Wellhausen : *Reste arab. Heidentums*, p. 231 )

٢) اطلب ( Sprenger : *Das Leben d. Mohammad*, III. 292.295 ) راجع أيضًا تاريخ الطبري ( ١ : ١٨٧٢ )

٣) اطلب الباب التاسع من الفصل الأوَّل ( ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ) ثم راجع تاريخ ابن خلدون ( ٢ : ٢٤٩ )

٤) اطلب ( Lammens *: Etudes sur Mo'awia*, 287-289 )

ودمشق فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة نميرة وأكثر شرب هذه الضياع من عين تخرج من جبل يقال لهذه العين عين الجرّ. وبالبقاع هذه قبر الياس النبي عم (١ »

٣٦ ﴿ كندة ﴾ سبق الكلام عن كندة ونصرانيَّة أهلها في أثناء كلامنا عن النصرانيَّة في الحجاز ونجد. وقد روى ابن هشام عن ابن اسحاق في سيرة الرسول ثباتهم على دينهم بعد ظهور نبيّ المسلمين قال ( ص ٢٨٢ ) : « أتى ( النبيّ ) كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال لهُ مُليح فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه » ومن رجال كندة عبد المسيح عاقبُ نجران في أوَّل الإسلام والعاقب عندهم دون السيد. ومنهم أيضًا جُحيَّة بن المضرّب الشاعر الذي أدرك الإسلام ومات على نصرانيتهِ كما روى في الأغاني ( ٢١ : ١٦ )

٣٧ ﴿ لخم ﴾ أحد أحياء اليمن الكبرى الشهيرة بنصرانيتها. قال صاحب السيرة الحلبية ( ٣ : ٩٥ ) : « ومن القبائل المتنصرة بكر ولخم وجذام » . وكذلك اليعقوبي ( ١ : ٢٩٨ ) جعل لخمًا من جملة القبائل النصرانيَّة في اليمن. ومثلهما السيوطي في المزهر ( ١ : ١٠٥ ). وبقيت لخم على دينها زمنًا بعد الإسلام فتراها محاربةً لجيوش المسلمين مع جُذام وعاملة وغسَّان ( اطلب فتوح البلدان للبلاذري ص ٥٩ وتاريخ الطبري ج ١ ص ٢٠٨١ ). ومن لخم كان ملوك الحيرة الذين روينا أخبارهم وذكرنا تنصُّر كثيرين منهم. ومن لخم كان بنو عديّ بن الذميل النصارى الأشراف الذين ذكر ابن دريد في الاشتقاق ( ص ٢٢٦ ) بيعتهم في الحيرة

ومن اللخميين بنو صالح الذين اختارهم يوستنيان ملك الروم لحراسة دير طور سينا كما ذكر ابن بطريق في تاريخهِ ( راجع طبعتنا ص ٢٠٤ ). وذكر كتَبة العرب عدَّة أديرة وبيعًا بناها اللخميون كدير علقمة ودير حنظلة اللخمي وبيعة عدي بن الدُّميك ( لعلَّها الذميل ) اللخمي ( ياقوت ١ : ٧٩٦ )

٣٨ ﴿ مازن ﴾ بطن من الازد كانوا في العراق يدينون بالنصرانيَّة. وقد ذكر لهم البلاذري في فتوحاتهِ ( ص ٢٨١ ) بيعةً فقال : « وبيعة بني مازن بالحيرة لقوم من الأزد من بني عمرو بن مازن وهم من غسَّان »

٣٩ ﴿ مَذحج ﴾ قبيلة يمنيَّة تنتسب إلى مذحج وهو مالك بن ازد بن ادد بن كهلان ذكرها ابن واضح اليعقوبي في تاريخهِ ( ١ : ٢٩٨ ) مع القبائل المتنصرة

---

١) لعلَّهُ يشير بذلك إلى « قب الياس » لكن قبر الياس النبي لا يُعرف مكانهُ

فقال : « تنصَّر من اليمن طيء ومذحج الخ » . وكانت مذحج تسكن في جهات الموصل ( ص ٩٤ ) ومن مذحج كان بنو الحارث بن كعب أهل نجران المشهورون برسوخ قدمهم في الدين النصراني

٤٠ ﴿ معدّ ﴾ أبو القبائل العدنانيَّة. ورد ذكر نصارى معدّ وأساقفة معدّ في تواريخ السريان كما سبق. وكثيرًا ما كانوا يطلقون اسم المعدّيين على العرب المتنصرين كقولهم جرجس اسقف المعدّيين (١ وكذلك كانوا يدعون بني كلب النصارى بالمعدّيين ( ܟܠܒܝܐ ܡܥܕܝܐ ) ومثلهم بنو عقيل ( ܥܩܝܠ ܡܥܕܝܐ ) (٢

٤١ ﴿ مَهَرة ﴾ حيّ عظيم من قضاعة ونصارى مثلهم ينتسبون إلى مهرة بن حيدان وكانوا يسكنون اليمن مع الحميريين وكان أميرهم عند ظهور الإسلام الحارث بن عبد كلال وفد على نبيّ المسلمين كما روى الطبري ( ج ١ ص ١٧١٧ ) مع ملوك حمير

٤٢ ﴿ ناجية ﴾ هم بنو ناجية بن عِقَال قوم الفرزدق ينتهي نسبهم إلى تميم. ولنا على نصرانيتهم في الجاهليَّة شاهد باهِر في ما رواه الطبري في تاريخ سنة ٣٨ ( ج ١ ص ٣٤٣٤ - ٣٤٣٥ ) حيث حدَّث عن ابن الطُّفيل ما حرفهُ :

« قال كنتُ في الجيش الذي بعثهم عليُّ بن أبي طالب إلى بني ناجية فقال : فانتهينا إليهم فوجدناهم على ثلث فرَق فقال أميرنا لفرقة منهم : ما أنتم. قالوا : نحنُ قومٌ نصارى لم نَرَ دينًا أفضل من ديننا فثبتنا عليهِ. فقال لهم : اعتزولوا. وقال للفرقة الأُخرى : ما أنتم. قالوا. كنَّا نصارى فأسلمنا فثبتنا على إسلامنا فقال لهم : اعتزلوا. ثم قالوا للفرقة الأخرى الثالثة : ما أنتم. قالوا : نحن قوم كنا نصارى فأسلمنا فلم نَرَ دينًا هو أفضل من ديننا الأوّل فقال لهم : أَسلموا. فأبوا فقال لأصحابهِ إذا مسحتُ رأسي ثلاث مرات فشدوا عليهم فاقتلوا المقاتلة واسبوا الذريّة فجيء بالذريَّة إلى عليّ فجاء مصقلة بن هُبيرة فاشتراهم بمائتي ألف فجاء بمائة ألف فلم يقبلها عليّ فانطلق بالدراهم وعمد إليهم مصقلة فأعتقهم ولحق بمعاوية فقيل لعليّ : الاَ تأْخذ الذريّة. فقال : لا. فلم يعرِض لهم

٤٣ ﴿ النبط ﴾ سواء عُدَّ النبط من العرب أو من عنصر آخر لا شكّ أنهم اختلطوا بالعرب في أنحاء شتى من بادية الشام وأرياف العراق وتخوم مصر.. وتديُّنهم بالنصرانيَّة قديم تشهد عليهِ عدَّة شواهد لكتبة السريان واليونان والعرب

---

١) اطلب ( Land : *Anecdota Syriaca*, I, 47 )

٢) ܥܩܝܠ Smith : *Thesaurus Syr. S. v.*

رويناها في الفصل الأوَّل الباب الثالث. وقد صرَّح بذلك قزما الرحَّالة الهندي في القرن السادس للمسيح وغيرهُ كثيرون. وكان لهم كنائس يطيفون بها في مناسكهم وإليها أشار متمم النويري يصف ناقتهُ :

بمُجدَّةٍ عنسٍ كأَن سَراتَها فدَنٌ تُطيف بهِ النبيط مرفَّعُ

٤٤ ﴿ النَّخَع ﴾ بطن من مذحج السابق ذكرهم. كانوا نصارى يسكنون نواحي نجران. ومنهم كان بنو عبد المَدان بن عُلة بن سعد العشيرة وهو مذحج من سادة اليمن. وكان زُرارة النخعي من أشرافهم وفرسانهم. قال ابن سعد في الوفادات ( ٦٩ ed. Wellhausen, *Skizzen,* IV ) : « هو زرارة بن قيس بن الحرث بن عدَّاء وكان نصرانيًا » وجاء مثل ذلك في أُسد الغابة لابن الأثير ( ج ٢ ص ٢٠٢ )

٤٥ ﴿ النمر بن قاسط ﴾ حي من ربيعة نزولوا في الجزيرة مع بني تغلب وبني بكر. وقد سبق في ذكر تاريخ عرب الجزيرة أنَّهم دانوا كلهم بالنصرانيَّة وفي المعارف لابن قتيبة « أن تنوخ ونمر وكلب ثلاثتهم اخوة » . وفي فتوح البلدان للبلاذري ( ص ٢٤٧ ) أنَّ بني النمر بن قاسط حاربوا خالد بن الوليد في عين تمر مع تغلب وإياد والقبائل العربيَّة المتنصرة. وكانوا سنة ١١ للهجرة حاربوا المسلمين في البحرين مع شيبان وتغلب ( الطبري ج ١ ص ١٩٧٣ )

٤٦ ﴿ يشكُر ﴾ فرع من بني بكر كانوا يدينون بالنصرانيَّة كاخوتهم من بكر. وكانوا من جملة العرب الذين حاربوا العجم يوم ذي قار. وكانوا محالفين للخميين ويحاربون معه وكفى بذلك دليلاً على دينهم

هذا ما أمكنَّا جمعهُ من آثار النصرانيَّة في قبائل العرب ولو سمح لنا الوقت بمراجعة كثير ممَّا لدينا من المطبوعات والمخطوطات لوجدنا أدلَّة غير التي ذكرنا. ولا بُدَّ هنا من تنبيه القرَّاء إلى أمر مهمّ وهو أن قدماء الكتبة ما كانوا غالبًا ليكترثوا بذكر أديان قبائل العرب لاسيَّما قبل الإسلام فيطلقون عليهم اسم الجاهليَّة أو اسم المشركين دون الإفراز بين النصارى وغيرهم. وكانوا لا يرون في نصرانيتهم أمرًا غريبًا على خلاف اليهود فإنهم إذا ذكروا قبيلة يهوديَّة عرَّفوا دينها سواء أرادوا بذلك تعييرها أو قصدوا بيان أصلها الأجنبي

( تمَّ الجزء الأول. ويليهِ الجزء الثاني في الآداب النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة)

# افادات واصلاحات

( ص ٨ س ٥ ـ ١٢ ) وممن فنَّدوا رأي رينان في التوحيد الغريزي بين قدماء العرب المستشرق الشهير يوسف هالوي ( Joseph Halévy ) في مقالاتهِ عن الكتابات المكتشفة حديثًا في بلاد العرب (١ بهمَّة الرحالين إليها كالإنكليزي دوغتي ( Doughty ) والقنصل الفرنسوي هوبر ( Huber ) والأستاذ اوتنغ ( Euting ) وكذلك العلاَّمة الأثري فيليب برجه ( Ph. Berger ) في كرَّاستهِ عن كتابات تيماء ( Inscriptions de Teimâ ) ويتضح من هذه الاكتشافات أن عبادة الأصنام كانت شائعة في جزيرة العرب ومنظمة فلها هياكل وكهنة وذبائح وآلهة متعدّدون خلافًا لما زعم رينان رغبةً في معاداة الوحي

( ص ١٠ س ٢١ وهذا بعض قول إسحاق الانطاكي ( ed. Bickell, I. 244-246 ) في الزُّهْرة وعبادتها عند العرب ثم عدولهم إلى دين المسيح

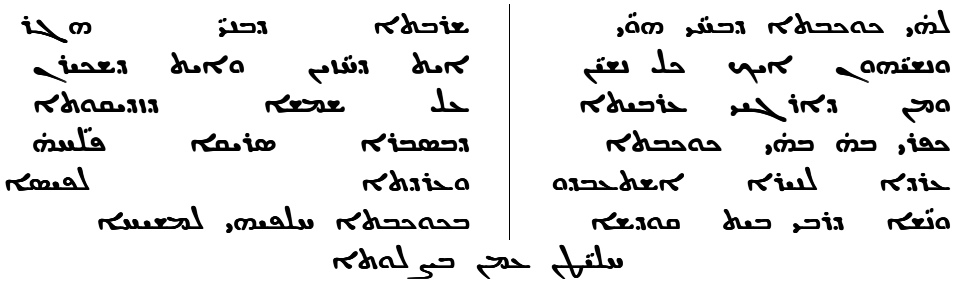

« لهذا الكوكب ( أي الزهرة ) كانت قبائل أبناء هاجر ( العرب ) تقدّم الذبائح ( لتنال نساؤهم موهبة الحسن والجمال ) لكنَّ نساءَهم كبقية النساء فمنهنَّ جميلات ومنهنَّ قبيحات. ومنذ أقبلت النساء العربيَّات على ( عبادة ) شمس البرّ ( أي المسيح ) فانهنَّ جحدن ( عبادة ) ذاك الكوكب ( الزهرة ) الذي عبدنَهُ باطلاً. فإنّ أولئك الافراء ( أي العرب ) حنوا رؤوسهم للنير واناثهم ( خضعن ) للتأديب. والنساء اللواتي تربَّين في المقدس ( أي البيعة ) أبدلن ( عبادة ) الزهرة بعبادة المسيح واختلطن معنا بصلاتهنَّ »

( ص ١٢ س ١١ ) في تاريخ الجاهلية لأبي الفداء ( Fleischer : *Abulfedæ Hist. anteislamica*, p. 180 ) ما حرفهُ عن أصنام العرب قال :

---

١) اطلب مقالاتهِ المعنونة ( Découvertes épigraphiques en Arabie ) نشرها في مجلة الدروس اليهودية ( Revue des Etudes Juives, IX, 1 et 164 )

« وصفٌ ( من العرب ) عبدوا الأصنام وكادت أصنامهم مختصة بالقبائل فكان ودّ لكلب وهو بدومة الجندل وسواع لهذَيل ويغوث لمذحج ولقبائل من اليمن ونَسر لذي الكلاع بأرض حمير ويعوق لهمذان ( لهمْدان ) واللات لثقيف بالطائف والعزّى لقريش وبني كنانة ومناة للاوس والخزرج وهُبَل أعظم أصنامهم وكان هُبَل على ظهر الكعبة وكان اساف ونائلة على الصفا والمروة »

( ص ١٤ س ١٧ ذو الخلَصَة ) المرجَّح ان ذا الخلَصَة لم يكن صنمًا بل بيتًا أو بالحريّ بيعةً نصرانيَّة لقبائل اليمن. قال ياقوت في معجم البلدان ( ٢ : ٤٦١ ) :

« الخلَصَة بيت أصنام لدوس وخثعم وبجيلة ... وقيل هو الكعبة اليمانيَّة التي بناها أبرهة بن الصبَّاح الحميري ... وقيل كان ذو الخاصة يسمَّى الكعبة اليمانيَّة وبيت الحرم الكعبة الشاميَّة »

وقد ذكر ياقوت الكعبة اليمانيَّة في محلّ آخر ( ٢ : ٧٠٣ ) ودعاها بدير نجران وعليهِ يجب القول إن القبائل التي كانت تحجُّ إليها أعني خثعم وبجيلة ودوس كانت نصرانيَّة

( ص ١٦ س ٢ الذبائح ) جاء في شرح المفضليات لابن الانباري ( ed. Lyall, p. 228-229 ) في قول سلامة بن جندل « كأنَّ أعناقَها أنصابُ ترجيب » أنَّ العرب « كانوا يذبحون في رجب »

( ص ٣٠ س ١٢ نصرانيّة غسَّان ) يضاف إلى ما ورد هنالك لليعقوبي قولهُ ( ج ١ ص ٢٣٣ ) بعد ذكرهِ لتنصر بني سليح في الشام : « وتنصرت غسَّان مملَّكةً من قبل صاحب الروم » وجعل تنصُّرها على عهد « جَفنة بن عليَّة ( ثعلبة ) بن عمرو بن عامر » . وكذلك الفيروزباديّ في مقدَّمة قاموسهِ : « انَّ كثيرًا من ملوك الحيرة واليمن تنصَّروا وامَّا ملوك غسَّان فكانوا كلهم نصارى » وقد أفادنا ابن خلدون في تاريخهِ ( ٢ : ٢٧١ ) عن اخبار غسان بعد الإسلام ما حرفهُ : قال :

« وقامت غسان بعد منصرفها من الشام بأرض القسطنطينيّة حتى انقرض ملك القياصرة فتجهَّزوا إلى جبل شركس وهو ما بين بحر طبرستان وبحر نيطش الذي يمدّه خليج القسطنطينية وفي هذا الجبل باب الأبواب وفيهِ من شعوب الترك المتنصرة والشركس واركس واللاص وكسا ومعهم اخلاط من الفرس واليونان »

( ـ س ٢٢ ) أَصلح : كتاب التنبيه والاشراف ( بالفاء )

( ص ٣٣ س ١١ ـ ١٢ تنصر القيصر فيلبس العربي ) قال اوروزيوس (اوروشيوس) المؤرخ الاسباني في القرن الخامس للميلاد عن فيلبس العربيّ « ان فيلبس سبق كلّ الامبراطرة ( القياصرة ) في دينهِ بالنصرانية -Hic ( Philippus

Arabs ) primus Imperatorum omnium Christianus fuit- ( *Paul-Orose, Hist.* VII, c. 20 )

( ص ٣٥ س ١٩ ـ ٢٥ ماوية ) جاء في تاريخ سوزمان ( Sozomène, H. E., V, c. 1 ) انَّ الروم لمَّا ساروا لمحاربة الغوطيين الزاحفين على القسطنطينية استعانوا بفرقة من العرب الخاضعين لماوية

( ص ٣٦ س ١٦ نفي الشهداء في بلاد العرب ) قال تاودويطس المؤرخ في القرن الخامس عن ڤالنس القيصر الروماني « انَّهُ نفى كثيرين من المعترفين بالإيمان في الرها إلى حدود العرب » Qui (Valens) multos confessarios fidei Edessenos in finibus« Arabiæ dispergi jussit *( Theodoret*, H. E. IV. 18 )

( ص ٣٧ س ٥ ) اصلح : غسان ... وحوران ـ س ٢٣ : Dussaud

( ـ س ١٣ أساقفة العرب ) وقد ذكر القديس ابيفانيوس في القرن الرابع (Epiphanius *Anaceph*. n° 12) : أساقفة أقيموا على قُوى العرب (μητροκωμίαι Ἀραβίας)

( ص ٣٩ س ١٧ ) اصلح : Judéo-chrétiens

( ٤٠ س ٣ البلقاء ) ومن مدن البلقاء عمَّان. وفي وفادات العرب لابن سعد (ed. Wellhausen, 20) انَّ فروة بن عمرو الجذاميّ كان عاملاً على عمَّان من أرض البلقاء وكان نصرانيًّا فأسلم عند ظهور الإسلام فغضب عليهِ هرقل وقتلهُ صلبًا

( ص ٤٥ س ١٣ و ٢٦ اضطهاد دقيوس ) اخبر اوسابيوس في تاريخهِ ( Eusèbe, H. E., VI, c. 39 ) « انَّ كثيرين من النصارى هربوا إلى بلاد العرب لمَّا ثار اضطهاد القيصر دقيوس »

( ص ٥٣ س ١٤ ) أَصلح : يُنسب إليهم

( ص ٥٤ س ١٦ الفيلسوف النصرانيّ پنتانوس في بلاد العرب ) راجع في مجلة الكليَّة الكاثوليكيَّة ( Université Catholique, 1853 XXXV, p. 329 ) للمستشرق البلجكيّ نيف ( F. Nève ) مقالة مسهبة يثبت فيها انَّ الهند المذكورة في تاريخ پنتانوس إنَّما هي اليمن الأَ قال :

« Quand nous lisons (dans Eusèbe) que Démétrius archevêque d'Alexandrie donna en 189 à S. Pantène la mission d'annoncer l'Evangile dans les Indes, nous ne pouvons entendre par ce terme que l'Arabie Heureuse » . Cfr. *aussi Annales de Philosophie, 3^e^ série*, t. XIII, XIV (p.) et XV »

( ص ٥٦ س ٧ ـ ٨. الرحمان ) اسم الرحمان ورد مرارًا في الكتابات الحميريَّة المكتشفة حديثًا ولاسيَّما في الكتابات النصرانيَّة اطلب مجلة الاسيويَّة الألمانيَّة : Fell) *Sudarab. Studien*, ZDMG, 1900, LIV, p. 252)

( ص ٦٠ س ١٠ شهداء نجران ) راجع في المجلة الاسيويَّة الألمانية ZDMG) XXXV, 1881, 1-75) مقالة مطوَّلة في الآثار العربية والسريانيَّة والحبشيَّة المنوطة باخبار أولئك الشهداء للعلاَّمة الألماني فال (Fell : *Die Christenferfolgung in Südarabien*)

( ص ٦٢ س ١٥ ) اصلح : J. Halévy

( ـ س ٢٤. سدّ مأرب ) في رواية كتبة العرب عن هذا السدّ إشارة إلى نبيّ دعا أهل اليمن إلى التوحيد فأبوا الاصغاء إليهِ فعاقبهم الله بانفجار هذا السدّ. فنجد في خبرهم عينهِ مع ما فيهِ من المزاعم الباطلة إشارة إلى الدعوة النصرانيَّة لدى ذكرهم ذلك النبي الذي دعاهم إلى الله فقتلوهُ وهو على رأينا أحد دعاة النصرانيَّة وشهدائها في اليمن. دونك شيئًا من روايتهم نقلاً عن كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته ( ed. de Goeje, p. 114 ) :

« كان أهلها ( أي أهل سبأ ) ... أغنياء صاحب صامت ومواشي فلم يكونوا يرون لأحد على أنفسهم طاعةً إلاّ لمن قد ملْكوه على أنفسهم وانقادوا لرئاستهِ وكان لهم أوثان يعبدونها فبعث الله عزَّ وجلَّ إليهم نبيًّا أقام فيهم زمانًا يدعوهم إلى الله فكذبوه فاوعدهم وخوَّفهم وحثهم على شكر الله على ما أنعم عليهم فلم يلتفتوا إلى قولهِ واستهانوا بهِ وقالوا : آتِنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين وذبحوه ذبحًا ... فانبثق ذلك السدّ وأتى على أهل هاتين المدينتين ( يريد سبأ المنقسمة إلى مدينتين عظيمتين ) ..... فلمَّا حلَّ بهم هذا الحدث آمنوا بالله وسألوه العفو وأنابوا وخضعوا فقبل الله تعالى ذلك منهم وقوَّاهم وجمع كلمتهم وأيَّد أمرهم .. »

( ص ٦٤ س ١١ ـ ١٢. كنيسة صنعاء ) قرأنا في أحد مخطوطات باريس de) Slane, Mss. Arab. *Paris*, Ms 701 ff. 71) عنوانهُ « تاريخ صنعاء اليمن لأحمد الرازي » كتبهُ سنة ٣٩٠ ( ١٠٠٠ م ) ما حرفهُ :

« حدَّث غسَّان بن أبي عبيد قال دخل عيسى بن مريم صلَّى الله عليهِ في موضع الكنيسة ( يريد في صنعاء! ) فاتخذ النصارى الكنيسة بصنعاء على أثر مصلاَّهُ. وهذه الكنيسة في وقتنا خربة وهي أسفل زقاق المنصبين في صنعاء في الجانب الغربي محاذية لبيعة اليهود التي هي اليوم باقية بصنعاء. وقد بقي من هذه الكنيسة ضبر شبه اسطوان على حرف الطريق إلى سوق العطارين وإلى درب دمشق. وقد أدركتُ عقودًا كثيرة كانت باقية إلى سنة ٣٩٠ »

( ص ٦٨ س ١٤. حضرموت ) روى الطبري في تاريخهِ ( ج ١ ص ١٨٥٢ ـ ١٨٥٦ و ٢٠٠٥ ـ ٢٠٠٧ ) ان قسمًا من قبيلتي السكون والسكاسك النصرانيتين كانوا يسكنون في حضرموت

( ص ٦٩ س ٨. النصرانية في سُقُطْرى ) وممن أثبتوا دخول النصرانية في جزيرة سقطرى المؤرخ فيلوستورج ( Philostorge, P. G., LXV, p. 470-482 ) من كتبة القرن الرابع للمسيح. وبقيت النصرانية فيها أجيالاً طويلة بعد الإسلام. قال المسعودي في مروج الذهب ( طبعة باريس ٣ : ٣٧ ) : « وظهر المسيح فتنصر مَنْ فيها ( أي جزيرة سقطرى ) إلى هذا الوقت » . وفي معجم البلدان لياقوت ( ٢ : ١٠٢ ) : ان في سُقُطرى « من جميع قبائل مَهرة وبها عشرة آلاف مقاتل وهم نصارى » ثمَّ قال « وامَّا أهل عدن فانهم يقولون لم يدخلها من الروم أحد ولكن كان لأهلها رهبانية ثم فنوا وسكنها مهرة وقوم من الشراة »

ومثلهما الشريف الادريسي في القرن الثاني عشر ( ed. Jaubert. I. 47 ). وأفادنا الرحَّالة مركو بولو في أواخر القرن الثالث عشر أنَّ سقطرى كانت خاضعة لبطاركة الكلدان الذين كان يرسلون لها مطارنة. عُرف منهم مار دوا سنة ٨٨٠ وقرياقوس سنة ١٢٨٢ فغلبت النسطوريَّة على أهلها. ولمَّا دخلها البرتغاليون سنة ١٥٠٣ وجدوا أهلها نصارى كان استولى على جزيرتهم حديثًا عرب اليمن سنة ١٤٨٠ فحاربوهم سنة ١٥٠٧ وضبطوا جزيرتهم مدَّة

( ـ س ٢١. القديس فرنسيس كسفاريوس ) لم ينسَ القديس كسفاريوس جزيرة سقطرى بعد رحلتهِ إلى الهند بل أرسل إليها مرسلين يسوعيين بلغ عددهم سنة ١٥٤٩ أربعةً وتبعهم غيرهم من المرسلين سنة ١٥٦٢. الاَّ أن غزوات العرب المتوالية لم تعد تسمح لهم بالسكنى هناك ( راجع مقالة مطوَّلة للكاتب الفرنسويّ رومانه دي كليو F. Romanet de Caillaud ) ( في مجلَّة الأرض المقدَّسة La Terre )

( Sainte. 1889, pp. 174 et 187 وترجمة حياة القديس فرنسيس كسفاريوس الجديدة للاب برو ( A. Brou : *St François Xávier*. I. 120 )

( ص ٧٠ س ١١ البحرين ) ومن المحدثين الذين أشاروا إلى تنصُّر عرب البحرين قبل الإسلام الرحَّالة پالغراف ( Palgrave ) في سفرهِ إلى أواسط جزيرة العرب ( ج ٢ ص ٢٠٢ ). راجع أيضًا ما نقلناه عن ياقوت ( ٣ : ٨٧٣ ـ ٨٧٤ ) في ذكر فَرَسان (ص ١٣٧)

( ص ٧٧ س ١٢ ـ ١٥. تنصر امرئ القيس البدء ) وقد سبق الطبريُّ ابنَ خلدون في رواية تنصر امرئ القيس حيث قال في تاريخهِ ( ج ١ ص ٨٣٤ ـ ٨٣٥ ) :

« وكان من عمَّال سابور بن ازدشير وهرمز بن سابور وبهرام بن سابور بعد مهلك عمرو بن عديّ على فُرَج العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذٍ ابنٌ لعمرو بن عدي يقال لهُ امرؤ القيس البدء وهو أوَّل من تنصر من ملوك آل نصر بن ربيعة وعمَّال ملوك الفرس »

وفي مروج الذهب للمسعودي ( ٣ : ١٩٩ ) انَّ امّ امرئ القيس البدء كانت غسَّانية اسمها مارية أخت ثعلبة بن عمرو من ملوك غسَّان

( ص ٨٧ س ٢٢ ـ ٢٣. النعمان ابن شقيقة ) نقل ابن خلدون في تاريخهِ ( ٢ : ٢٧١ ) عن البيهقي أن النعمان ابن الشقيقة « هو أوَّل من تنصر » وقد رأيت سابقًا ان امرئ القيس البدء هو أوَّل ملوك المناذرة المتنصرين قبل ذلك بزمن طويل

( ص ٨٩ س ١٥ ـ ١٦. تنصُّر المنذر بن امرئ القيس المعروف بابن ماء السماء ) يزاد إلى ما روينا ما قالهُ أبو الفداء في تقويم البلدان ( ed. Reinaud, p. 299 ) : « كانت الحيرة منازل آل النعمان بن المنذر وبها تنصَّر المنذر بن امرئ القيس وبني بها الكنائس العظيمة » . ومن الحيرة كان أحد كبار السيَّاح المعروف بمار يوحنَّان ( Chabot : *Le Livre de la Chasteté*., p. 28 ) الذي تنسَّك في جبل الإزْل في دير معَرْتا. قال مؤلف كتاب العفاف السرياني ( ܟܬܒܐ ܕܥܦܘܬܐ ) انهُ « كان من الحيرة عربيّ الأصل من أسرة شريفة وبعد أن درس في مدرسة نصيبين ترهَّب في دير معرتا وكرَّمهُ الله بعمل المعجزات »

( ص ٩٠ س ١٠ ـ ٢٠ ) هذا الخبر المرويّ عن المنذر رواه المؤرخ اللاتيني وكتور التوني ( Victor Tununensis, † 556 ) المتوفى سنة ٥٥٦ م في تاريخ سنة ٥١٢ بما حرفهُ :

« Alamundarus Saracenorum rex a defensoribus Synodi Chalcedonensis baptizatus, Theopaschitas episcopos a Severo Antiochensi episcopo ad se cum litteris missos, barbaram mirabiliter propositionem concludens atque superans. Deum immortalem ostendit » (*Migne* P. L., LXVIII, p. 95)

( ص ٩٢ س ٣. تنصر النعمان بن المنذر ) زعم عمرو بن متى (٤٨ .ed Gismondi, p ) وسليمان بن ماري ( Id. p, ٥٦ ) ان النعمان بن المنذر مرض مرضًا شديدًا فشفاه الاسقفان النسطوريان شمعون أسقف الحيرة وسبريشوع أسقف لاشوم مع الراهب ايشوع زخا. وانهُ اعتمد من بعدهِ ولداه المنذر والحسن قال : « وكان الحسن أشدّهم تمسّكًا بالنصرانيّة وكان لا يمنع تقدُّم المساكين إليهِ إذا دخل البيعة »

( ص ١٠٢ س ٢٣ ) اصلح : « بل في القرى أيضًا تعددت ... الكراسي الأسقفية ليس في المدن فقط »

( ص ١٠٦ س ١٧ ) اصلح : الباب العاشر

( ص ١١٢ س ٥. النصرانية في المدينة ) ومن الآثار المنبئة بوجود النصرانية في المدينة دير كان على جبل قريب من المدينة يدعى بسَلْع فنُسب إليه دير سَلْع وقد ذكرهُ الطبري في تاريخهِ وكان هذا الدير صار بعد ذلك في أيدي اليهود فجعلوه مقبرة وفيه دُفن الخليفة عثمان بعد قتلهِ ( راجع الطبري ج ١ ص ٣٠٤٧ )

( ص ١١٤ س ٢١. أبو عامر الراهب ) هو أبو عامر عبد عمرو بن صيفي بن زيد بن أمية من بني عمرو بن عوف ذكره ابن الأثير في أسد الغابة ( ٤ : ٤٤٨ ) وذكر في تاج العروس ( ٤ : ١٧٣ ) له ابنةً تدعى شموسًا

( ص ١١٩ س ٥. الحنيف بمعنى النصراني ) جاء في العقد الفريد لابن عبد ربِّهِ في وصف يوم الغبيط ( ٣ : ٨٨ ) « انَّ عتيبة قال لبسطام بن قيس سيد بني بكر: استأسر لي... فناداه بسطام : ان كررتَ فانا حنيف. وكان بسطام نصرانيًّا »

( ص ١٢٥ س ٧. بهراء ) شهد على نصرانيتها أيضًا ابن حوقل في المسالك والممالك ( ص ١٨ ) قال : « انَّ بعضهم ( أي بعض العرب ) تنصر ودان بدين النصرانية مثل تغلب من ربيعة بأرض الجزيرة وغسَّان وبهراء وتنوخ من اليمن بأرض الشام »

( ص ١٢٦ س ٢٤ ـ ٢٥ ) محمد بن حمران كان من نصارى مذحج وكان معاصرًا لامرئ القيس وهو الذي سمَّاه امرؤ القيس بالشويعر. أمَّا محمد بن خزاعي

فكان من بني ذكوان بطن من سُلَيم قدم على ابرهة ملك اليمن فتنصر ومات على دينهِ (Sprenger : *Mohammad*, I, 161)

( ص ١٢٨ س ١٤ ـ ١٩ ) وصية الحرث بن كعب ) قد وجدنا هذه الوصية في كتب أُخرى منها خطية ومنها مطبوعة كما رويناها. ثم وقفنا على رواية مختلفة أثبتها العلامة غولتسير ( Goldziehr ) في كتابهِ ( Abhandl. z. arab. Philologie, XLIII ) وفيها يقول الحارث (( انهُ على دين شُعيب )) وروايتنا هي الأصح كما يلوح من القرائن. وقد روى أيضًا غولتسير (( أُسيَد بن خزيمة )) بدلاً من (( اسد ))

( ص ١٢٩ س ١٥ ) ومن المحدثين الذين صرَّحوا بنصرانية بني حنيفة ارنلد (Arnold Mulheisen : *Islam and its Relations to* $X^{Y}$ , P. 34) وكذلك حضرة الاب لامنس في كتابهِ عن معاوية ( ص ٤٣١ )

( ص ١٣٠ س ٣. خثعم ) قد ذهلنا عن ذكر نصرانية قبيلة خثعم. وقد شهد على الأمر ياقوت في معجم البلدان ( ٢ : ٧٠٣ ) حيث قال عن دير نجران في اليمن وهو المسمَّى كعبة نجران أو الكعبة اليمانية ( راجع صفحة ١٤٣ ) :

(( وكان بنو عبد المدان بنوهُ مربَّعًا مستوي الأضلاع والأقطار مرتفعًا عن الأرض يُصعد إليهِ بدرجة على مثال بناء الكعبة فكانوا يحجونهُ هم وطوائف من العرب ممن يحلّ الأشهر الحرم ولا يحجّ الكعبة ويحجهُ خثعم قاطبة ))

فبقوله انَّ بني خثعم كانوا يحجون دير نجران أوضح بنوع صريح نصرانيتهم. وبنو خثعم كانوا ينتسبون إلى خثعم بن أنمار بن نزار بن معد بن عدنان. وكانوا يسكنون في البحرين وفي اليمن مع عبد القيس وبجيلة وحاربوا سابور ملك الفرس مع اياد (C. de Perceval : *Hist. des Arabes*, II, 48-49)

( ص ١٣٢ س ١٣ ) وإلى طيّ يُنسب دير سِلسلة الذي كان في جهات الكوفة قبل الإسلام وهو سلسلة بن غنم بطن من طيء ( اطلب تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٤٠٣ ) وهناك دير حُرقة ودير امّ عمرو

[ Blank Page ]

# القِسْمُ الثَّاني
# في الآدابِ النصرَانيّة في عَهد الجاهِليّة

* * *

## الجُزءُ الأول

أتينا في قسمنا الأوَّل بما وقفنا عليهِ من النصوص التاريخيَّة والشواهد الثابتة العيانيَّة عن نفوذ النصرانيَّة في كلّ أنحاء العرب حتى أقصاها بعدًا وأنحاها حدًّا ثمَّ عدَّدنا القبائل التي نسب الكتبة إليها عمومًا أو إلى بعض بطونها التديُّن بالدين المسيحيّ

وها نحن اليوم نباشر بالقسم الثاني من كتابنا نجمع فيهِ ما ينوط بآداب نصارى العرب في الجاهليَّة. ونريد بالآداب كلّ ما خلَّفوهُ لنا من مآثرهم في الكتابة واللغة والأمثال والحكم والإنشاء والشعر والخطب ممَّا رواهُ عنهم أئمَّة الأدباء الذين جمعوا شوارد اللغة العربيَّة وآثارها في القرن الثاني بعد الإسلام. فإنَّ هذه البقايا مع ما تضعضع منها بتوالي الزمان تنبئ بترقي النصرانيَّة بين أهل الجاهليَّة وتثبت من وجه آخر سعة نفوذها في جزيرة العرب. ويُضاف إلى هذه المآثر الأدبيَّة عادات ألفها عرب الجاهليَّة قبل الإسلام واستعاروها من النصارى فتجدهم في أطوار حياتهم الدينيَّة والمدنيَّة يتقلَّدونهم ويأخذون مآخذهم حتى لا نكاد نرى في بعض الأنحاء أثرًا من وثنيتهم السابقة. فكلّ هذه الظواهر يشهد عليها الشعراء القدماء والرواة الذين نقل الكتبة المسلمون عنهم اخبار الجاهليَّة فنثبتها على علاَّتها مع الاشارة إلى مواضعها كما فعلنا سابقًا

## الفصل الأوَّل

النصارى والكتابة العربية

أوَّل خدمة أَدَّاها نصارى العرب لقومهم تعليمهم الكتابة. وهي قضيَّة يشهد عليها تاريخ الكتابة العربيَّة وأصولها

لمَّا ظهر الإسلام في العشر الثاني من القرن السابع للمسيح لم تكن جزيرة العرب كما زعم البعض حديثة العهد بالكتابة. وإنما كانت شائعة في بعض الأنحاء دون غيرها. فكان لأهل اليمن كتابة يسمُّونها المسند شاعت في بني حمير بينها وبين الكتابة الحبشيَّة في كثير من الحروف شبه ظاهر. وكانت حروفها منفصلة. وقد وجد سيَّاح الفرنج كأرْنو وهالوي وغلازر من آثارها في هذه السنين الأخيرة ألوفًا من الكتابات يرقى عهد أوَّلها إلى ما قبل المسيح بنحو ٤٠٠ أو ٥٠٠ سنة ومنها ما كتب في القرون التابعة للميلاد حتى القرن السادس. وهذه الكتابة التي حلُّوا أسرارها ونشروها في عدَّة تآليف صابئيَّة ليست عربيَّة كما ظنَّ البعض منهم كابن خلدون في مقدَّمته ( ٢ : ٣٤١ من طبعة باريس ) حيث قال : « وكان لحمير كتابة تسمَّى المسند ... ومن حمير تعلَّمت مضر الكتابة العربيَّة إلاَّ انهم لم يكونوا مجيدين لها »

وكان في جزيرة العرب كتابة أُخرى شاعت في شماليّ بلاد العرب وفي غربيّها وهي الكتابة النبطيَّة وقد ظهرت على صورتين صورة منها مربَّعة الحروف محكمة الصُّنْع مع صلابة في شكلها شاعت خصوصًا في شماليّ العرب واستعملوها في النقود والأبنية لها علاقة مع الخطّ الآرامي المعروف بالأسطرنجليّ وصورة أُخرى مستديرة الشكل خشبية الصُّنع جرى استعمالها غالبًا في نسخ المعاملات والصكوك وما شاكلها

فهذه الكتابة النبطيَّة على صورتيها هي أصل الكتابة العربيَّة. ويدعوها العرب بالجزم أخذوها عن الأمم المجاورة لهم. وكان النصارى هم الذين علَّموها العرب سواء قيل انَّهم وضعوها أو انَّهم نقلوها كقوم وسَط. ولنا على ذلك شواهد تثبت قولنا. فانَّ العرب الذين بحثوا عن أصل الكتابة العربيَّة نسبوها إلى رجال من

بَوْلان من قبيلة طيئ كانوا على دين المسيح يسكنون الانبار فقاسوها على شكل السريانيَّة. قال السيوطيّ في المزهر ( ١ : ٣٩ )

« انَّ أوَّل من كتب بخطّنا هذا وهو الجزم مرامر بن مرَّة واسلم بن سدرة وعامر بن جدرة وهم من عرب طيء ... علَّموهُ أهل الانبار ومنهم انتشرت الكتابة في العراق والحيرة وغيرهما فتعلَّمها بشر بن عبد الملك (١ وكان لهُ صحبة بحرب بن أميَّة لتجارتهِ عندهم فتعلَّم حرب منهُ الكتابة. ثم سافر معهُ بشر إلى مكَّة فتعلَّم منهُ جماعة من قريش قبل الإسلام وسُمِّي هذا الخطّ بالجزم لأنه جُزم أي قُطع من الخطّ الحميري وتعلَّمهُ شرذمة قليلة منهم ... »

وكذلك نقل صاحب الفهرست ( ص ٤ ) عن ابن عبَّاس قولهُ :

« أوَّل من كتب بالعربيَّة ثلثة رجال من بَوْلان وهي قبيلة سكنوا الانبار وانَّهم اجتمعوا فوضعوا حروفًا مقطَّعة وموصولة وهم مرامر بن مرَّة ( ويقال مروة ) واسلم بن سِدْرة وعامر بن جدرة ( ويقال جدلة ). فأمَّا مرامر فوضع الصور وامَّا اسلم ففصل ووصل وإمَّا عامر فوضع الإعجام. وسُئل أهل الحيرة : ممَّن أخذتم الخطّ العربي. فقالوا : من أهل الانبار »

ومثلهما ابن عبد ربّهِ في العقد الفريد ( ٢ : ٢٠٥ ) :

« وحكوا انَّ ثلاث نفر من طيء اجتمعوا ببقعة وهم مرامر بن مرَّة واسلم بن سِدْرة وعامر بن جدرة فوضعوا الخطّ وقاسوا هجاء العربيَّة على هجاء السريانيَّة فتعلَّمهُ قوم من الانبار وجاء الإسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير بضعة عشر إنسانًا »

وروى البلاذري في فتوح البلدان ( ص ٤٧١ ) مثل هذا القول لكنَّهُ روى « ببقَّة » بدلاً من « البقعة » وبقَّة مدينة قرب الانبار. ثم زاد ايضاحًا بقولهِ عن بِشْر :

« وكان بشر بن عبد الملك أخو أُكَيْدر بن عبد الملك بن عبد الجنّ الكندي ثم السَّكوني صاحب دومة الجندل يأتي الحيرة فيقيم بها الحين وكان نصرانيًّا فتعلَّم بشر الخطَّ العربيَّ من أهل الحيرة ثمَّ أتى مكَّة في بعض شأنه فرآه سفين بن أميَّة بن عبد شمس وأبو قيس بن منَاف بن زُهرَة بن كلاب يكتب فسألاه أن يعلّمهما الخطَّ فعلَّمهما الهجاء ثم أراهما الخطَّ فكتبا ثمَّ أنَّ بشرًا وسفين وابا قيس أتوا الطائف في تجارة فصحبهم غَيْلان بن سَلَمة الثقفي فتعلَّم الخطَّ منهم وفارقهم بشر ومضى إلى ديار مضر فتعلَّم الخطَّ منهُ عمر بن زُرارة بن عُدَس فسمّي عمرو الكاتب ثم أتى بشر الشام فتعلَّم الخط منهُ اناس هناك. وتعلَّم الخطّ من الثلثة الطائيّين أيضًا رجل من طابخة كلب فعلَّمهُ رجلاً من أهل وادي القرى فأتى الوادي يتردَّد فأقام بها وعلَّم الخطَّ قومًا من أهلها »

---

١) هو أخو صاحب دومة الجندل النصرانيّ ( راجع القسم الأوَّل ص ١٠٨ ـ ١٣٠ )

قال الشاعر كندي من أصل دومة الجندل يخاطب بني قريش :

لا تجحدوا نعماءَ بشرٍ عليكمُ فقد كان ميمون النقيبة ازهرا
أتاكم بخطّ الجزم حتى حفظتمُ من المال ما قد كان شتى مبعثرا
واتقنتمُ ما كان بالمال مهملاً وطامنتمُ ما كان منهُ منفرَّا
فأجريتمُ الأقلامَ عَوْدًا وبَدْأةً وضاهيتمُ كتّاب كسرى وقيصرا
واغنيتمُ عن مَسْنَد القوم حميرٍ وما دبَّرت في الكتب اقيال حِمْيرَا

فهذا الخطّ هو الذي بعدئذٍ نُسب إلى الكوفة لمَّا عُني أساتذة الكوفة بتحسينهِ في أوائل الإسلام. أمَّا الخطّ الثاني النسخيّ فالظاهر انَّ العرب أخذوهُ من نصارى النبط المجاورين لجهات الحجاز ومن رهبان مدين ووادي القرى الذين ذكرهم شعراء العرب ويؤيّد ذلك قول بعض الكتبة انَّ واضعي الكتابة العربيَّة كانوا من طسم وجديس وقال ابن النديم في الفهرست (ص ٤) والحاج خليفة في كشف الظنون ( ٣ : ١٤٥ ) « كانوا من ملوك مَدْيَن » وذكرا رأي من ادَّعى انهم وضعوا الخطّ العربيّ على أسمائهم وهي أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت » . فذكرهُما لمَدْين وذكر البلاذري لوادي القرى يؤيّد قولنا ( راجع ما ورد في القسم الأوَّل عن النصرانيَّة فيهما )

وقد وجد العلماء من هذا الخطّ النسخيّ أمثلة عديدة يرتقي عهدها إلى عهد الخطّ الآخر. ومن ثمّ لم يعد يجوز القول كما ورد في كتاب القلقشندي عن الخطّ ( المشرق ٤ : ٢٨٠ ) بأنَّ « الخطّ الكوفي هو العربي. وانَّ الخطّ النسخي وضعهُ ابن مقلة في القرن الثالث للهجرة » وعلى كلّ حال لا بُدَّ من الاعتراف بفضل النصارى لتشييع الخطّ في جهات العرب

وما عدا هذه الشواهد التي تنسب الكتابة إلى قوم من النصارى قد ورد في تراجم الشعراء وقصائدهم ما يشير إلى شيوع الكتابة بين النصارى قبل الهجرة. فمن ذلك ما روى صاحب الأغاني ( ٢١ : ١٩٥ ) وغيرهُ من قدماء الكتبة عن طرفة والمتلمّس وعن الرسالتين اللتين كتبهما عمرو بن هند لعاملهِ المكعبر في البحرين موهمًا بانَّهُ يوصي لهما بخير وهو يضمر لهما الشرّ. ففضَّ المتلمّس صحيفتهُ وأعطاها غلامًا عباديًّا من غلمان الحيرة فقرأها لهُ: « باسمك اللهمَّ من عمرو بن هند إلى المكعبر. أما بعد إذا جاءَك كتابي هذا من المتلمس فاقطع يديهِ ورجليهِ وادفنهُ حيًّا (١ » فلمَّا

١) راجع في المشرق ( ٥ : ١٠١٦ ـ ١٠٦٢ ) تفاصيل هذه القصَّة

عرف مضمونها فرَّ هاربًا. أمَّا طرفة فلم يشأ أن يقف على محتويات صحيفتهِ فمات قتلاً وضُرب المثل بصحيفة المتلمّس للمتهوّر في التهلكة. وفي هذا دليل على أنَّ العباديين وهم قوم من النصارى في جهات الحيرة كانوا يعرفون الكتابة ويعلّمونها غلمانهم. وفي الأغاني ( ٥ : ١٩١ ) ان المرقّش الأكبر وأخاهُ حرملة « دفعهما أبوهما إلى نصرانيّ من أهل الحيرة فعلَّمهما الخطّ »

ولنا دليل آخر في المعلقات التي زعموا أنَّها كُتبت على الحرير وعُلّقت على أستار الكعبة وأخصّ المعلَّقات لشعراء من قبائل نصرانيَّة كتغلب وبكر وكندة ففي كتابتها برهان على شيوع فنّ الخطّ بين النصارى

ومن الأدلَّة على ذلك ما جاء في شعراء النصرانيَّة من الإشارة إلى الكتابة كقول حاتم الطائيّ ( الأغاني ٧ : ١٣٢ ) :

أَتَعْرف آثار الديار توهُّمًا  كخطّك في رقٍّ كتابًا منَمْنَما

وقال المرار بن منقذ يصف اخربة دار :

وترى منها رسومًا قد علَتْ  مثل خطّ اللام في وَحْي الزُّبُرْ

ومثلهما لبيد حيث قال :

وجلا السيولَ عن الطلال كأنَّها  زُبُرٌ تحدُّ مُتونَها أقلامُها

وسبقهم امرؤ القيس فشبَّه طَلَل الدار بوحي الزبور في عسيبٍ يماني :

لمن طَلَلٌ أبصرتُهُ فشجاني  كخطّ زبورٍ في عسيبٍ يماني

وقال أيضًا مخصّصًا زَبور الرهبان :

قفا نبكي من ذكرى حبيب وعرفانِ  ورسم عفت آياتهُ منذ أزمانِ
أتت حججٌ بعدي عليها فأصبحت  كخطّ زبورِ في مصاحف رهبانِ

وقد افتخر اميَّة ابن أبي الصلت بقومهِ اياد لعلمهم بالكتابة. فقال :

قومي أيادٌ انَّهم أمَمُ  أو لو أقاموا فتَهْزَلُ النَّعَمُ
قومٌ لهم ساحةُ العراق إذا  ساروا جميعًا والقطّ والقَلَمُ

القطّ هو الكتاب. وقد بيَّنا سابقًا أنَّ بني اياد من أوَّل القبائل المتنصرة ومنهم كان لقيط الأيادي ( راجع القسم الأوَّل ص ٧٥ ) الذي أرسل لقومهِ صحيفةً ينذرهم فيها بما يتهدَّدهم من الأخطار من جانب كسرى (١ أوَّلها :

---

١) راجع تاريخ ابن الأثير ( ١ : ١٥٧ طبعة مصر )

سلامٌ في الصحيفة من لقيطٍ إلى من بالجزيرةِ من اياد

هذا وممَّا ينفي كلّ شكٍّ في ما نقولهُ ان الكتابتين العربيَّتين اللتين وُجدتا حتى اليوم من عهد الجاهليَّة هما لقوم من النصارى. فأقدمُهما الكتابة التي رسمنا صورتها في القسم الأوَّل الباب التاسع ( ص ١٠٣ ـ ١٠٤ ) وهي الكتابة المكتشفة في زُبَد في جوار الفرات يرقى عهدها إلى السنة ٥١٢ للمسيح أي قبل الهجرة بمئة وعشر سنين وهي في ثلث لغات أي اليونانيَّة والسريانيَّة والعربيَّة تُصرّح بأن المشهد الذي أُقيم هناك إنَّما شُيّد تذكارًا للقديس سرجيوس الشهيد وفي أوَّلها الاسم الكريم أو دعاءٌ لهُ تعالى (١

والأثر الثاني وُجد في حرَّان من أعمال بلاد حوران مكتوبًا باليونانيَّة والعربيَّة تاريخهُ ٥٤ قبل الهجرة أي السنة ٤٦٣ لبُصرى و ٥٦٨ للمسيح ورد فيهِ أنَّ هناك « مرطول » (Martyrium) أي مشهد لتذكار القديس يوحنَّا المعمدان هذا أوَّلهُ بالعربيَّة

أنا شرحبل بر ( بن ) طلمو ( ظالم ) بنيتُ ذا المرطول سنة ٤٦٣ ...

وقد رسمنا مع هذه الكتابة كتابتين آخريين عربيَّتين الواحدة بالحرف النبطي وجدها في نمارة في الصفا الرحَّالة الفرنسوي رينه دوسو وهي مكتوبة على ضريح أحد ملوك الحيرة يُدعى امرءَ القيس بن عمرو تاريخ وفاته ٧ كسلول من السنة ٢٢٣ لبصرى الموافق لسبعة كانون الأوَّل من السنة ٨٢٣ للمسيح. والأخرى عن صفيحة قرآن كُتبت على الرق من القرن الثالث للهجرة وهي خاصَّة مكتبتنا الشرقيَّة

فكلّ هذه الحجج والبيِّنات دعت بالعلماء المستشرقين إلى أن ينسبوا الكتابة العربيَّة أو على الأقلّ انتشارها بين العرب إلى النصارى وأوَّلهم أمامهم دي ساسي ( $B^{on}$ S. de Sacy ) الذي كتب في هذا الصدد مقالة واسعة أثبت فيها استعارة العرب فنّ الكتابة من نصارى العراق وما بين النهرين قال في المجلَّة الاسيويَّة ( J. A., 1re Série, X. 210-211 ) مشيرًا إليها :

J'établissais par des preuves de toute espèce que l'écriture… fut apportée dans le Hedjaz de la Mésopotamie, ou les Syriens l'avaient propagée parmi les tribus arabes qui avaient, du moins en partie, reçu la religion chrétienne, ce culte auquel la mauvaise foi

---

١) اطلب رحلة المسيو دوسو ( R. Dussaud ) إلى بادية الشام ( ص ٣١٦ و ٣٢٤ ) وكتاب لزبرسكي ( Libzbarski ) في الكتابات الآرامية ( ص ٤٨٤ )

**جدول أقدم الكتابات العربية**

١ً كتابة عربيَّة بخط نبطي تاريخها سنة ٢٢٣ لبُصرى ٣٢٨ للمسيح وجدها في نمارة من أعمال حوران المستشرق دوسو

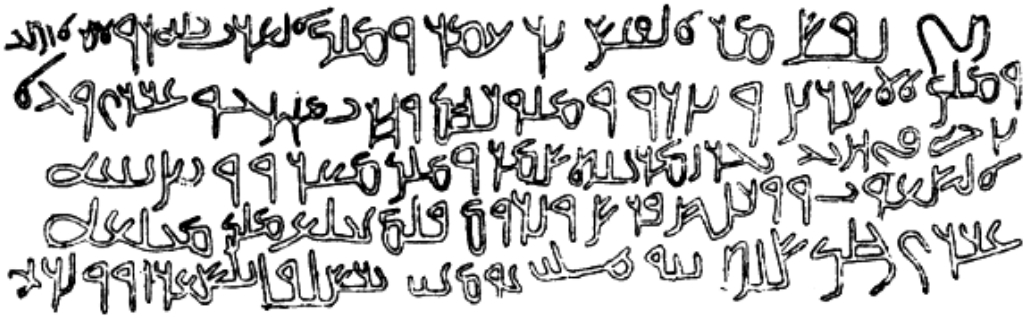

صوره الكتابة مأخوذة عن الحجر

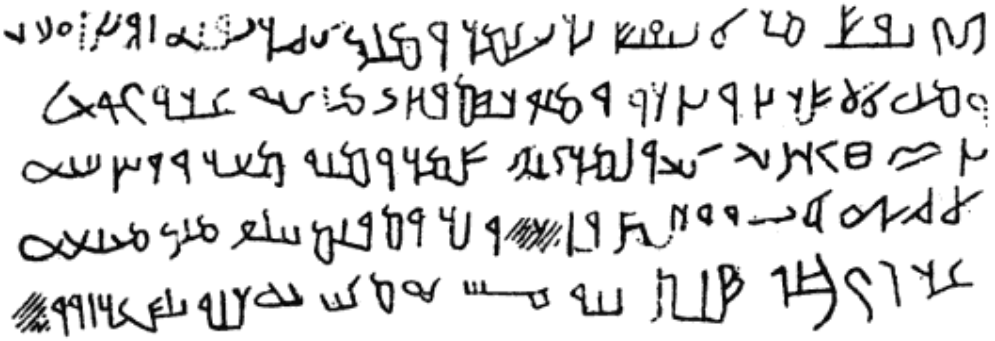

رسم الكتابة بالخطّ

تي نفس امرء القيس بر عمرو ملك العرب كلِّهِ ذو أسر التاج
ومَلَكَ الاسدين ونزارو وملوكَهم وهرَّب محجو عكدى وجاء
بزجاي ( ؟ ) في حَبْج نجران مدينت شمَر ومَلَكَ معدو وبيَّن بينهِ
الشعوب ووكَّلهنَّ فارسو لروم فلم يبلغ ملكٌ مبلغهُ
عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بالسعد ذو وَلَدَهُ
رسم الكتابة بخط عربيّ ( نقلاً عن كتاب دوسو )

صورة القلم الحميري

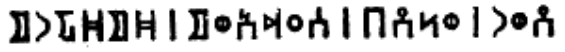

صور ونصب سعداوم دمدمرم

٢ً كتابة زَبَد في ثلث لغات يونانيَّة وسريانيَّة وعربيَّة على مشهد أقيم ذكرًا لمار سرجيوس تاريخها ٨٢٣ للاسكندر ٥١٢ للمسيح
اطلب صورتها في القسم الأوَّل ( الصفحة ١٠٤ )

٣ً كتابة عربيَّة يونانيَّة وُجدت في حرَّان من أعمال حوران تاريخها سنة ٤٦٣ لبُصرى و ٥٦٨ للمسيح

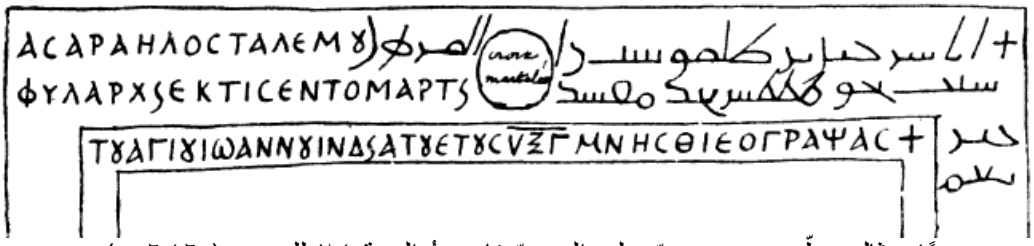

٤ً مثال خطّ عربي نسخيّ على البرديّ تاريخهُ السنة ٢٤ للهجرة ( ٦٤٦ م )

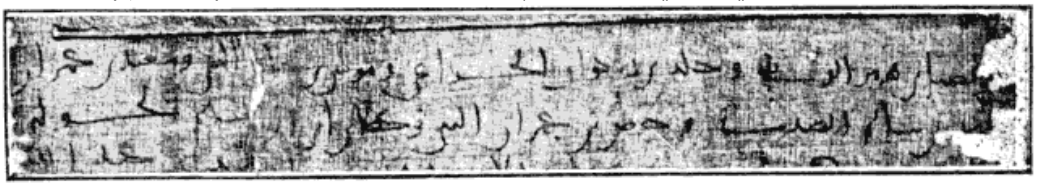

٥ً قطعة من سورة البقرة عن رقّ من القرن الثالث للهجرة في مكتبتنا الشرقية

ودونك رسمها بالحرف الاسطرنجليّ للمقابلة بين الخطَّين

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| وكصيِّب | من | السماء | فيه | ظلمات | ورعد | وبرق |
| يجعلون | أصابعهم | في | آذانهم | من | الصواعق |
| حذر | الموت | والله | محيط | بالكفرين (كذا) | ويكاد | البرق... |

a si souvent reproché de favoriser l'ignorance, et qui, comme l'histoire en fait foi, a toujours amené á sa suite l'art d'écrire et le goût pour l'étude.

قال الأثري الشهير فيليب برجه في كتابهِ عن أصول الكتابة (Ph. Berger : *Histoire de l'Ecriture dans l'Antiquité*, 2de éd., 287) « ان الكتابة العربية وجدت قبل محمَّد وكانت نصرانيَّةً قبل أن تتحول إلى إسلاميَّة »

L'écriture arabe existait avant Mahomet, elle a été chrétienne avant d'être musulmane.

ومثلهما المستشرق العلاَّمة ولهَوْزن ( J. Wellhausen : *Reste arab, Heidentums*, p. 232 ) أكَّد بأن الكتابة العربية شاعت أوَّلاً بين النصارى ولاسيَّما العباديين في الحيرة والأنبار فقال :

Die Christen haben das Arabische wol zuerst als Sprichtsprache gebraucht. Namentlich die Ibaedier von Hira und Anbar scheinen sich in dieser Beziehung Verdienste erworben zu haben.

ويوافق هؤلاء الكتبة الدكتور الألماني روثستين (G. Rothstein : *Die Dynastie d. Laḫmiden in al Ḥira* p. 26) والاستاذ المجري الشهير غولدسير ( J. Goldziher : *Muhammedanische Studien*, I. 110 )

فهذه الشواهد كافية لتثبيت حقيقة قولنا بأنَّ الفضل الكبير في تعليم الكتابة العربيَّة للمسلمين يرجع لنصارى العرب وان لم ننكر أنَّ لليهود أيضًا حصَّة في ذلك لاسيَّما في المدينة كما ذكر البلاذريّ. وكذلك رووا أنَّ بعض العرب كتبوا في الجاهليَّة بالعبرانيَّة إلاَّ أنَّ عبرانيَّة ذلك العهد هي الآراميَّة أو السريانيَّة كقول صاحب الأغاني ( ٣ : ١٤ ) عن ورقة بن نوفل « انَّهُ كان يكتب بالعبرانيَّة من الإنجيل ما شاء » والله أعلم

## الفصل الثاني

الألفاظ النصرانية في لغة عرب الجاهليّة

كثيرًا ما كنَّا نسمع في حداثة سنّنا بأنَّ اللغة العربيَّة لغة القرآن وانّها كلّها

اسلاميَّة وقد قرأنا ذلك في بعض كتب الأوربيّين الذين لم يفقهوا الأمر ورموا الكلام على عواهنهِ ولعلَّهم قالوا ذلك لأنَّ القرآن أوَّل كتاب دوَّنهُ العرب على الرقّ أو الجلد أو البرديّ أو رقاق العظام. على أنَّ اللغة العربيَّة سبقت الإسلام كما هو معروف ونطقَ بها قبائل شتى منها قبائل نصرانيَّة كشفنا القناع عن دينها المسيحيّ. ثم أثبتنا فضل النصارى في سبقهم إلى الكتابة العربيَّة

وليست غايتنا هنا أن نتتبَّع كلّ مفرادت لغتنا الشريفة فنروي ما جاء منها على ألسنة النصارى فإنَّ ذلك مستحيل إذ كان العربيَّة مع وفرة لهجاتها واحدةً في القبائل النصرانيَّة وغيرها كما أنَّ لغة النصرانيّ في عهدنا لا تختلف عن لغة المسلم

ومع اقرارنا بذلك يمكننا أنْ نجمع عدَّة مفردات وردت في المعجمات العربيَّة القديمة دخلت في اللغة بواسطة نصارى العرب لاسيَّما شعرائهم. ومجموعها دليل واضح على تأثير النصرانيَّة في لغة أهل الجاهليَّة

وتسهيلاً لبيان الأمر نروي هذه الألفاظ على حسب معانيها مباشرةً بالألفاظ الدالَّة عليهِ تعالى وكمالاتهِ وأسمائهِ الحسنى

## ١ الاسم الكريم وأسماؤهُ الحسنى في الجاهليَّة

انَّ الوثنيَّة كانت عمَّت قبل المسيح كلّ جهات جزيرة العرب كما سبق لنا بيانهُ وشهدت عليهِ المآثر المتعدّدة. فإن وجدنا فيها ديانة التوحيد ووصف كمالاتهِ تعالى وألفاظًا دالَّة على ذلك بعد المسيح فلا بُدَّ من القول انَّ العرب الذين فاهوا بها كانوا موحّدين فهم امَّا يهود وامَّا نصارى وعلى الأقل انَّهم استعاروها من أولئك الموحّدين. على انَّنا نعرف الجهات التي كان يسكنها اليهود في جزيرة العرب امَّا النصارى فكانوا منبثّين في كلّ أنحائها فيجب القول بأنَّ هذه الألفاظ هي غالبًا للمسيحيين دون اليهود

( الله تعالى ) لا مراء بأنَّ اسمهُ عزَّ وجلَّ كالإله الحقّ سبحانهُ وتعالى قد سبق عهد الإسلام وشاع في كلّ أنحاء العرب وقد وجدهُ صاحب الشريعة الإسلاميَّة مكرَّمًا معظَّمًا بين أبناء جنسهِ المكيّين فهو يكرّر اسمهُ في القرآن كالإله العظيم الذي ليس فوقهُ إله وإن كان بعض منهم يشركون بهِ آلهة غيرهُ دونهُ رتبةً

امَّا اشتقاق هذا الاسم فلم يتَّفق عليهِ كتبة العرب وقد زعموا غالبًا انَّهُ عربيّ الأصل وانَّهُ مركَّب من لفظة اله مسبوقة بال التعريف كأنَّهُ (( الإله )) اختصروه بالله. امَّا علماء اللغات الساميَّة فيجمعون على انَّ هذا الاسم مشتق من أصل آراميّ ( ايل אל ) مفخَّم بزيادة الهاء فجاء في الكلدانيَّة والسريانيَّة على صورة آلَهَا ( אלהא ) فقالوا بالعربيَّة الله بلام أصليَّة مفخَّمة. وقد جاء الاسم الكريم في الكتابات النبطيَّة والصفويَّة فالنبطيَّة ذكرتهُ منسوبًا إليهِ كزيد الله وعبد الله وتيم الله وورد في الكتابات الصفويَّة منفردًا. ولمَّا كانت النصرانيَّة دخلت إلى بلاد العرب خصوصًا من جهات الشام وتمكَّنت بين أحياء النبط أطلقوا اسم الله في لهجتهم على الإله الحقّ كما شاع بين طوائف السريان ونقلوهُ في أسفار العهدَيْن القديم والحديث منذ أوائل القرن الثاني للمسيح. وخلاصة القول انَّ اسم الله دخل في جزيرة العرب بنفوذ النصرانيَّة خصوصًا. وعليهِ قد تكرَّر هذا الاسم الكريم في الشعر الجاهليّ الذي كان معظمهُ لشعراء نصارى من قبائل نصرانيَّة كربيعة وبكر واياد وغيرهم .. ولا نرى حاجة إلى ذكر أمثلة عديدة لهذه الحقيقة لثباتها وكثرة استعمال اسم الله في الشعر الجاهليّ أمَّا بقيَّة آلهة العرب فقلَّ ما ورد ذكرها إذ كانت الديانة الوثنيَّة قد تقلَّص ظلُّها قبل ظهور الإسلام. وكفى بايراد أقوال بعضهم في الاسم الكريم على صورتَيْه (( الله )) أو (( إله )) قال زيد بن عمرو (عن رواية ابن هشام) :

إلى الله أهدي مدحتي وثنائيا وقولاً رصينًا لا يني الدهرَ باقيا
إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقَهُ إلـهٌ ولا ربٌّ يكون مدانيا
رضيتُ بك اللهمَّ ربًّا فلن أرَى ادين إلهًا غيرك الله ثانيا

وقال الأعشى ( شعراء النصرانيَّة ص ٣٦٥ ) :

وذا النُّصُب المَنْصوبِ لا تَسْكَنَّهُ ولا تَعْبدِ الأوثان والله فاعبدا

وقال بعض الاياديين ( كتاب البيان للجاحظ ١ : ١٩٠ ) :

ونحن إيادٌ عبيدُ الإله ورهطُ مناجيهِ في السُّلَّم

وقال أميَّة بن أبي الصلت :

إلهُ العالمين وكلّ أرضٍ وربُّ الراسياتِ من الجبالِ

ويقرب من اسم الإله اسم الربّ كقول بن أَوس بن حجَر :

اطعنا ربَّنا وعصاهُ قومٌ فذقنا طَعْم طاعتنا وذواقوا

( الأسماء الحسنى ) يريد العرب المسلمون بالأسماء الحسنى صفاتٍ لهُ تعالى تدلُّ على أخصّ كمالاتهِ عزَّ وجلَّ استخرجوها من بعض أقوال القرآن وعدُّوها ٩٩ اسمًا. وأسماء الله لا عداد لها كما هو معروف لأَنَّ كمالاتهِ تعالى لا يضمُّ بها احصاء ومهما وُصفت بهِ الذات الإلهيَّة فما تلك الأوصاف الاَّ نقطة من بحر. ولا نتتبَّع كلّ اسم من هذه الأسماء وإنَّما نكتفي بما هو أدلُّ على جلالهِ تعالى وعظمتهِ وقدرتهِ وعلمهِ ورحمتهِ فنجدها كلّها سبقت على أَلسنة أهل الجاهليَّة وإذ كان الله الواحد الصمد قد عرفهُ العرب كما قلنا بواسطة الموحّدين ولاسيَّما النصارى وجب القول بأن هذه الصفات استعارها أيضًا كتبة العرب وشعراؤهم عن الدين النصرانيّ والأسفار المقدَّسة التي كان يتداولها أرباب هذا الدين

وكمالاتهُ تعالى على صنفين صنفٌ منها يعرّف الذات الإلهيَّة في نفسها بقطع النظر من المخلوقات كلّها والصنف الآخر يشعر بصفات العزَّة الإلهيَّة بالنسبة إلى الكائنات الخارجة عنهُ

فمن الصنف الأوَّل ما دلّ على وجودهِ تعالى الواجب وقيامتهِ بذاتهِ وجلالهِ وعلمهِ وحكمتهِ وقدرتهِ وغناه وأبديَّتهِ. وكلّ هذه الصفات قد عرفها أهل الجاهليَّة من نصارى العرب واستعاروها من الأسفار المقدّسة من العهدين القديم والحديث. فمن ذلك قول أميَّة بن أبي الصلت يصف عظمتهُ وجلالهُ وفي كلامهِ كثير ممَّا ورد في القرآن من الأسماء الحسنى فقال ( شعراء النصرانيَّة ص ٢٢٧ ) :

لك الحمدُ والنعماءُ والملك ربَّنا فلا شيء أعلى منك مجدًا وامجدُ
مليكٌ على عرش السماء مُهَيْمن لعزَّتهِ تعنو الوجوهُ وتسجُدُ
عليهِ حجابُ النور والنورُ حولهُ وانهار نورِ حولهُ تتوقَّدُ
فلا بشَرٌ يسمو إليهِ بطرفهِ ودون حجاب النورِ خلقٌ مؤيَّدُ

ومنها في وحدانيَّته وصمدانيَّته وملكهِ المتعالي :

فسبحانَ من لا يعرفُ الخلقُ قدرَهُ ومن هو فوق العرش فردٌ موحَّدُ
ومن لم تنازعهُ الخلائقُ مُلْكَهُ وان لم تفرّدْهُ العبادُ فمُفْرَدُ
مليك السماوات الشدادِ وأرضها وليس لشيء عن قضاهُ تأوُّدُ

وفي وحدانيَّتهِ وقدرتهِ وبقائهِ قال ورقة بن نوفل ( الأغاني ٣ : ١٤ ) :

سبحانَ ذي العرش سبحانًا يعادلهُ ربُّ البريَّة فردٌ واحدٌ صَمَدُ
مسخَّر كلُّ ما تحت السماء لهُ لا ينبغي أن يُناوي ملكَهُ احدُ

لا شيء ممَّا نرى تبقى بشاشتهُ يبقى الإلهُ ويودي المالُ والولدُ

ولزيد بن عمرو في ربوبيَّتهِ وولائهِ وأبديَّته قولهُ ( كتاب البدء والتاريخ ١ : ٦٢ وسيرة الرسول لابن هشام ص ١٤٦ ) :

ألا كلُّ شيء هالك غير ربّنَا ولله ميراثُ الذي كان فانيا
وليٌّ لهُ من دون كلّ ولايةٍ إذا شاء لم يُمسوا جميعًا تواليا
وان يكُ شيء خالدًا ومعمّرًا تأمَّلْ تجدْ من فوقهِ اللهَ باقيا
لهُ ما رأت عِينُ البصير وفوقهُ سماءُ الإلهِ فوق سبع سمائيا

وروى الصغاني : (( فوق ستّ سمائيا )) . وسمَّاهُ أميَّة مقدّسًا وذا الجلال فضلاً عن بقائهِ فقال :

فكلّ معمّر لا بُدَّ يومًا وذي الدنيا يصيرُ إلى الزوال
ويفنى بعد جدَّتهِ ويبلى سوى الباقي المقدَّس ذي الجلالِ

ودعاهُ زيد بن عمرو ( الاتقان للسيوطي ص ١٥٤ ) بالعزيز والواسع فقال :

انَّ الإلـه عزيـز واسعٌ حكَمٌ بكفّهِ الضرُّ والبأساءُ والنِعَمُ

فترى في كلّ هذه الأبيات عددًا عديدًا من أسمائهِ عزّ وجلَّ كالواحد والأحد والفرد والصَّمَد الأوَّل والآخر والباقي والعزيز والعظيم والكبير والعليّ والمتعالي والمحتجب والماجد والمجيد والقادر والقويّ والقهَّار والمقتدر والملك ومالك المُلك وذي الجلال والمقدَّس والحقّ والعليم والحكيم والغنيّ وكلُّها من أوصافهِ الدالَّة على كمالاتهِ الذاتيَّة. أمَّا الصفات الإلهيَّة المنبئة بالعلاقة بين الخالق والمخلوق فورد منها كثير في الشعر الجاهليّ ومصدرها كما في الصفات السابقة التعاليم النصرانيَّة الشائعة في جزيرة العرب. فمن جميل أبيات أميَّة بن أبي الصلت قولهُ يصف خالق البريَّة ( شعراء النصرانيَّة ص ٢٢٨ ) :

هو الله باري الخَلْق والخَلْقُ كلّهم امـاءٌ لـهُ طوعًـا جميعًـا واعبُدُ
وانّى يكون الخَلْقُ كالخالقِ الذي يدومُ ويبقى والخليقة تنفدُ

ووصفهُ هناك بالمحيي المميت :

ونفنى ولا يبقى سوى الواحد الذي يُميت ويُحيي دائبًا ليس يهمُدُ

ولهُ في وصف تكوين العالم أقوال كثيرة كقولهِ في السماء ( شعراء النصرانيَّة ص ٢٢٦ )

بناها وابتنى سبعًا شدادًا بلا عَمَد يُرَيْن ولا رجالِ

وسوَّاها وزيَّنها بنورِ من الشمس المضيئة والهلالِ
ومن شُهبٍ تلألأ في دُجاهَا مراميها أشدُّ من النصالِ
وشقَّ الأرض فانبجست وأنهارًا من العَذبِ الزّلالِ عيونًا
وبارك في نواحيها وزكَّى بها ما كان من حرثٍ ومالِ

ولقسّ بن ساعدة في الخالق وغايتهِ من الخلق ( شعراء النصرانيَّة ص ٢١٦ ) :
الحمدُ لله الذي لم يخلق الخَلْق عبَثْ

ومثلهُ لعديّ بن زيد وسمَّاهُ مسبَّحًا وخلاَّقًا ( شعراء النصرانيَّة ص ٤٥٤ ) :
ليس شيء على المنونِ بباقِ غيرَ وجهِ المسبَّح الخلاَّقِ

ومما يضاف إلى صفتهِ بالخالق قول أميَّة بن أبي الصلت (العرائس للثعلبيّ ص ١١)
إذا قيل من ربُّ هذي السما فليس سواهُ لهُ يضطربْ
ولو قيل ربٌّ سوى ربّنا لقال العبادُ جميعًا كَذِبْ

وسمَّاهُ أميَّة كبيرًا ومنشئًا ومُحييًا وقديرًا فقال :
مجّدوا الله وهو للمجد أهلٌ ربُّنا في السماء أمسى كبيرا
ذلك المنشئ الحجارة والمو تى وأحياهُمُ وكان قديرا

ووصفهُ قسّ بن ساعدة بالمُهيمن ( شعراء النصرانيَّة ٢١٧ ) :
فأعوذُ بالملك المُهَيْمَن ممَّا غالهُ بالبأساءِ والنحسِ

ونعتهُ أميَّة ابن أبي الصَّلْت بالسَّليطَط والمقتدر فقال :
انَّ الانام رعايا اللهِ كلُّهمُ انَّ السَّليطَطَ فوقَ الأرض مقتدرُ

وسمّاهُ الكريم فقال :
ثمَّ يجلو النهار ربٌّ كريمٌ بمهاةٍ شعاعُها منثورُ

وقال أعشى قيس :
ربّي كريمٌ لا يكدَّرُ نعمةً فإذا تُنوشد في المَهارق أنشدا

وخصَّهُ زهير بن أبي سلمى بمراقبة الأعمال والانتقام لها في معلَّقتهِ :
فلا تكتمُنَّ اللهَ ما في صدوركم ليَخْفى ومهما يُكْتَمِ اللهُ يَعلَمِ
يؤخّر فيوضعْ في كتاب فيُدّخر ليوم الحساب أو يعجَّل فيُنقم

ودعاهُ أميَّة حَكَمًا فقال :
لك الحمد والمنُّ ربَّ العبا دِ انتَ المليكُ وأنتَ الحكَمْ

وسماهُ عليًّا ومتعاليًا ( المرتضى ص ٣١٣ )

واشهد أنَّ الله لا شيء بعدهُ عليّـًا وامسى ذكرهُ متعاليا

ووصفوهُ بالرحمان والرحيم. قال الأعشى ( شعراء النصرانيَّة ص ٣٩١ ) :
فلئنْ ربُّك من رحمتهِ كشف الضيقة عنَّا وفَسَحْ

وقال المثقّب العبديّ ( شعراء النصرانيَّة ص ٤١٥ ) :
لحى الرَّحْمانُ أقوامًا أضاعوا على الوعواع افراسي وعيسي

وقال سلامة بن جندل يصفهُ بالرحمان والجابر والجامع ( اطلب طبعتنا ص ١٩ )
عجلتم علينا حجَّتين عليكمُ وما يشأِ الرحمانُ يَعْقد ويُطْلقِ
هو الجابرُ العظمِ الكسيرِ وما من الأمر يجمعْ بينَهُ ويفرّقِ
يشا

ويروى : « هو الكاسرُ العظمِ الأمينِ » . ووصفهُ زيد بن عمرو بالرحمان والغفُور فقال ( الأغاني ١٣ : ١٦ ) :
اربًّا واحدًا ام الفَ ربٍ ادينُ إذا تقسَّمتِ الأمورُ
ولكن أعبدُ الرحمانَ ربّي ليغفر ذنبيَ الربُّ الغَفُورُ

وقال أميَّة في الرحيم ( كتاب الألفاظ لابن السكّيت ٤٩٠ )
ثمَّ يجلو الظلام ربٌّ رحيمٌ بمهاةٍ شعاعها منشورُ

ودعاهُ الورقة بن نوفل بالسميع المجيب فقال ( الأغاني ٣ : ١٦ ) :
ادينُ لربّ يستجيبُ ولا أرى أديـنُ لمـن لا يسـمعُ الـدهرَ واعيا
أقول إذا صلّيتُ في كلّ بيعةٍ تباركـتَ قـد أكثـرتَ باسـمك داعيا

فهذه الأسماء كلّها من صفات الله تبارك وتعالى تثبت جليًّا بأن أهل الجاهليَّة المتنصِّرين لم يَفُتهم شيء من معرفة الإله الحقّ

**٢ السماء والجحيم وما فيهما**

كما اقتبس عرب الجاهليَّة معارفهم عن الحقّ سبحانهُ وتعالى من نور النصرانيَّة ودُعاتها خصوصًا كذلك يجب القول أنَّهم عرفوا الآخرة بفضلهم وان امكنهم ان يستعير شيئًا منها من اليهود الاَّ أنَّ اليهود كما سبق لنا القول كانوا منزوين في بعض أنحاء جزيرة العرب ولم يختلطوا مع أهلها الاَّ اختلاطًا يسيرًا على خلاف النصارى الذين رأيناهم في ما مرَّ ساكنين في كلّ أقطار العرب لا يخلو منهم حيّ واحد فلا عجب أن يكونوا بثُّوا تعاليمهم عن دار الخلود بين أهل البادية والحضر كما نشروا تعريفهم للخالق عزَّ وجلّ

( السماء ) معلوم أنَّ السماء مقام الله حيث يتجلَّى للأبرار وحيث يسعى في خدمتهِ ملائكة منزَّهون عن الهيولي ... وقد مرَّت لنا أبيات لأميَّة بن أبي الصلت وصف فيها تلك السماء العليا. فلا حاجة إلى تكرارها وإنَّما نضيف إلهيا قولهُ في الدارين :

دارٌ دحاها ثمَّ أعمرَنَا بها وأقام بالأخرى التي هي أمجدُ

وفي هذه السماء العليا قال أيضًا :

فأتمَّ ستًّا فاستوَتْ أطباقُها وأتى بسابعةٍ فأنَّى تُورَدُ

وتُدعى السماءُ بجنَّة الخُلْد وبالفردوس وجنان عَدْن. قال أميَّة بن أبي الصلت :

ربّي لا تحرمنَّني جنَّةَ الخُلْد م وكن ربّي بي روؤفًا حفيًّا

وقال حكيم بن قبيصة يخاطب ابنهُ بشرًا ( في الحماسة ٧٩٢ ,ed. Freytag )

فما جنّةُ الفردوس هاجرتَ تبتغي ولكن دعاكَ الخبزُ والتمرُ أحسبُ

ومثلهُ لحسَّان بن ثابت ( تاج العروس ٤ : ٤٠٥ ) :

وانَّ ثواب الله كلَّ موحّدٍ جنانٌ من الفردوس فيها يخلّدُ

وقال النابغة ( المخصَّص لابن سيده ٩ : ٥٦ ) :

فسلامُ الإله يغدو عليهم وفيُوءُ الفردوس ذات الظلالِ

وللسماء في الشعر القديم أسماء غيرها منها بِرْقِع وعدن ونعيم قال أميّة بن أبي الصلت ( المخصَّص ٩ : ٦ ) :

وكأنَّ بِرْقِعَ والملائكُ حولها سَدِرٌ تواكَلَهُ القوائمُ أجردُ

وجاء في عَدْن لهُ أيضًا :

جهنمُ تلك لا تُبقي بغيًّا وعَدْنٌ لا يطالُعها رجيمُ

وقال في النعيم :

لم يُخْلَقِ السماءُ والنجومُ والشّمْسُ معها قمرٌ يقومُ
قدَّرهُ المُهَيْمن القيُّومُ والحشُّ والجنّةُ والنعيمُ
الاّ لأمْر شأنهُ عظيمُ

وسماها أيضًا دار صِدْق قال :

وحلَّ المتّقون بدارِ صدقٍ وعيشٍ ناعم تحت الظلالِ
لهم ما يشتهون وما تمنّوا من الأفراح فيها والكمالِ

( الملائكة ) وأخصُّ ما في السماء الملائكة. ومعلوم ان ذكر الملائكة لم يمكنهُ

أنّ يتَّصل إلى العرب الأَ بطريقة وَحْيٍ سابق ودينٍ شاع فيهِ المعتقد بوجود الملائكة كالنصرانيَّة. وقد أحسن أميَّة في وصفهم فقال :

ينتـابهُ المتنصّفون بسَجْرةٍ ... في ألفِ ألفٍ من ملائكَ تُحْشَدُ
رسلٌ يجوبون السماء بأمرهِ ... لا ينظرون ثـواء من يَتقصَّدُ
فهمُ كأوْب الريح بينا أدبرَتْ ... رجعت بَوَادي وجهها لا تُكرَدُ
حذَ منـاكبهم على أكتافهم ... زفٌّ يزفُّ بهم إذا ما استنجدوا
وإذا تلاميذَ الإلـه تعـاونوا ... غلبوا ونشّطهم جنـاحٌ معتدُ
نهضوا بأجنحةٍ فلم يتواكلوا ... لا مبطئ منهم ولا مستوغد

ولهُ من قصيدة أخرى :

ملائكةٌ أقدامهم تحت عرشهِ ... بكفَّيهِ لـولا اللهُ كلُّوا وأبلدوا
قيامٌ على الأقدام عانينَ تَحتَهُ ... فرائصهم من شدَّةِ الخوفِ تُرْعَدُ
وسبطَ صفوفٌ ينظرون قضاءَهُ ... يصيخون بالاسماع للوَحْيِ ركَّدُ

وهناك قد ميَّز طبقات الملائكة وأشار إلـى عددهم ومختلف أعمالهم ورتبهم كالكروبيم والحرَّاس وصرَّح بأسماء بعضهم كجبرئيل وميخائيل قال :

أمينٌ لوحي القدس جبريلُ فيهم ... وميكالُ ذو الروح القويّ المسدَّدُ
وحرَّاسُ أبوابِ السماوات دونَهم ... قيـامٌ عليهـا بالمقاليد رُصّـدُ
فنعمَ العبـادُ المصطَفَوْن لأمـرهِ ... ومن دونهم جندٌ كثيفٌ مجنَّدُ
مـلائكةٌ لا يفتـرون عبـادةً ... كروبيَّةٌ منهم ركـوعٌ وسجَّدُ
فساجدُهم لا يـرفعُ الـدهرَ رأسَهُ ... يعظّم ربّـًا فوقـهُ ويمجّـدُ
وراكعهم يحنو لهُ الـدهرَ خاشعًا ... يـردّدُ آلاءَ الإلـهِ ويحمـدُ
ومنهـم ملفٌّ في الجنـاحَيْن رأسهُ ... يكـاد لذكـرى ربـّهِ يتفصَّدُ
من الخـوف لا ذو سـأمةٍ بعبادةٍ ... ولا هُوَ من طول التعبُّد يُجهدُ
ودون كثيف الماء في غامض الهوا ... ملائكةٌ تنحطّ فيهِ وتصـعدُ
وبين طباق الأرض تحت بطونهـا ... ملائكـةٌ بالأمـر فيهـا تَردَّدُ

وانشد الكسائي لعلقمة بن العبد يمدح الحارث بن جبلة. وتروى لشاعر من عبد القيس يمدح النعمان وفيها ذكر الملئكة ( راجع التاج في مادَّة ملك. وشرح بانت سعاد لابن هشام ed. Guidi, p. 42 ) :

تعاليتَ أن تُعْزَى إلى الانس خلَّةً ... وللإنْس من يعزوكَ فهو كذوبُ
فلستَ لإنسيٍّ ولكـن لِمَـلأكٍ ... تنزّلَ من جوّ السماءِ يُصَوّبُ

ولاميَّة أيضًا في الملائكة الموكلين بالمخلوقات السفلى قولهُ (أساس البلاغة ٢: ١٩٦):

وتحت كثيف الماء في باطن الثرى ملائكةٌ تنحطُّ فيه وتسمعُ

وقد كثُر ذكر الملاك جبرائيل في الشعر القديم. قال عمران بن حطَّان :

والروح جبريلُ فيهم لا كفاء لهُ وكان جبريلُ عند الله مأمونا

وقال حسَّان بن ثابت ( ديوانهُ طبعة ليدن ed. Hirschfeld, p. 42 ) :

يا حارِ في سِنَةٍ من نومِ أوَّلكمأم كنتَ ويحك مغترًّا بجبريلِ

وقال أيضًا ( ib. 15 ) :

برجالٍ لستمُ أَمثالهم أُيَّدوا جبريلَ نصرًا فنزَلْ

وقد لقَّبهُ في محلّ آخر بالروح القدس ( ib. p. 2 ) :

وجبريلٌ أمينُ الله فينا وروح القدس ليس لهُ كفاءُ

ويروى : « رسول الله » . وكذلك ذكروا الملاك ميخائيل ودعوهُ ميكال قال ورقة بن نوفل :

وجبريلُ يأتيهِ وميكالُ معهما من الله وحيٌ يشرح الصدرَ مُنزَلُ

وذكروا من طغمات الملائكة الكروبيَّة وهم الكروبيم وصفهم في تاج العروس « بسادة الملائكة والمقرَّبين إلى حَمَلَة العرش » . كقول أميَّة بن أبي الصلت السابق ذكرهُ ( التاج ٢ : ٤٥٤ ) :

ملائكةُ لا يفترون عبادةً كروبيَّةٌ منهم ركوعٌ وسُجَّدُ

وقال في الساروفيم ودعاهم بالسرافيل (كتاب البدء للمقدّسي ١: ١٦٨ ( ed. Huart ) وعجائب المخلوقات للقزوينيّ ( ص ٥٦ ed. Wüstenfeld, ) :

حُبس السرافيلُ الصَّوافي تحتَهُ لا واهنٌ منهم ولا مستوغِذُ

وممَّا وصفه شعراء الجاهليَّة في السماء عرش الله الذي تكرَّر ذكرهُ في الأسفار المقدَّسة من العهدين العتيق والحديث. ومن البديهيّ انَّ عرش الله ليس شيئًا هيولِيًّا مجسَّمًا وإنَّما المراد بهِ عزَّتهُ تعالى وثباتُهُ. قال أميَّة وهو غير ما سبق لهُ ( الأضداد لابن الانباري ص ٥١ )

ملكٌ على عرشِ السماء مهيمنٌ تعنو لعزَّتهِ الوجوهُ وتسجدُ

وقال ورقة بن نوفل ( الأغاني ٣ : ١٤ ) :

سبحان ذي العرش سبحانًا يعادلُهُ ربُّ البريَّة فردٌ واحدٌ صَمَدُ

ويروى : « سبحانًا يدوم لهُ. وسبحانًا يعود لهُ » . ومثل العرش السريرُ قال أميَّة (كتاب البدء والتاريخ للمقدّسي ١ : ١٦٥) :

مجّدوا الله فَهْو للمجد أهلٌ ربُنا في السماء أمسى كبيرا
بالبناء الأعلى الذي سبق الخَلْـ ـق وسوَّى فوق السماء سريرا
شرجعًا ما ينالهُ بصرُ العَيْـ ـن ترى دونهُ الملائكَ صُورا

فالشرجع الخشبة المربَّعة الطويلة وهي أيضًا العرش والسرير

( جهنَّم ) ليست معرفة شعراء الجاهليَّة بجهنم وعذابات الهالكين ووجود الشياطين دون معرفتهم بالسماء وأهلها. قال كَعْب بن مالك في وصف جهنم ( اتقان علوم القرآن للسيوطي ١ : ١٥٨ ) :

تَلَظَّى عليهم حين أَنْ شدَّ حَميُها بزُبْر الحديدِ والحجارة ساجرُ

وقال أميَّة بن أبي الصلت ( فيه ١ : ١٥٩ ) :

فأُركِسوا في حميم النـار أنَّهمُ كانوا عُتاتًا يقولون الكذب والزورا

ويروى : « في جهنم انهم كانوا عصاة » . وقال وقد أجاد في بيان حال الهالكين (شعراء النصرانيَّة ١ : ٢٢) :

وسيقَ المجرمون وهم عُراةٌ إلى ذاتِ المقامع والنكالِ
فنادوا ويلنا ويلاً طويلاً وعجُّوا في سلاسلها الطوالِ
فليسوا ميّتين فيستريحوا وكلّهمُ ببحر النار صالِ

وقال فيهم ( خزانة الأدب ٢ : ٣٤٦ ) :

فهم يَطْفون كالاقذاء فيها لئن لم يغفر الربُّ الرحيمُ

وقال النابغة الجعديّ مستغفرًا وطالبًا النجاة من جهنَّم ( خزانة الأدب ٤ : ٤ )

يا مالك الأرض والسماء ومَن يَفْرَقْ من الله لا يَخَفْ إثْما
اني امرؤ قد ظلمتُ نفسي وإلاّ م تَعْفُ عنّي اغلا دمًا كَثِما
أطْرَحُ بالكافرين في الدرك م الأسفل يا ربِّ أَصْطلي الضرَما

وقال أميَّة بين أبي الصلت يذكر الأبرار ونعيمهم والأشرار وجحيمهم :

هما فريقانِ فرقةٌ تدخلُ م الجنّـةَ حفّت به حدائقُها
وفرقةٌ منهم قد أدخلت م النـار فساءَتهم مرافقُها
لا يستوي المنزلان ثَمَّ ولا م الأعمالُ لا تستوي طرائقُها

وكما جعلوا الملائكة في السماء كذلك عيَّنوا جهنَّم لإبليس وفرقتهِ من الشياطين

والجنّ الذين هبطوا من السماء بخطيئتهم فأخذهم الله بعصيانهم. قال أميَّة ( لسان العرب ١٥ : ٤٠٩ ) :

وفيها من عباد الله قومٌ ملائكُ ذُلّلوا وهمُ صعابُ

وقال أميَّة أيضًا ودعا الشيطان شاطنًا ( اللسان والتاج والصحاح في مادَّة عكا ) :

ايُما شاطنٌ عصاهُ عكاهُ ثمَّ يُلْقَى في السجن والأغلالِ

ودعاهُ عديّ بن زيد إبليسًا ( تاريخ العصامي سيمط النجوم العوالي ص ١٩ ) :

وأَهبطَ اللهُ إبليسًا وأوعدَهُ نارًا تَلهَّبُ بالإسعار والشَّرَرِ

وقال اميَّة بن أبي الصلت :

وترى شياطينًا تروغُ مُضاعةً ورَواغُها صبرٌ إذا ما يُطْرَدُ
تُلقى عليها في السماءِ مذلَّةً وكواكبٌ تُرمى بها فتُعَرِّدُ

وفي هذه السماء العليا قال أيضًا :

فأَتمَّ ستًّا فاستوَتْ أَطباقُها وأتى بسابعةٍ فأنّى تؤرَدُ

وقد كثر في الشعر الجاهلي ذكر الدينونة والحساب وما يتبعهما من ثواب أو عقاب قال زهير بن أبي سلمى في معلَّقتهِ يتهدَّد المنافقين بالدينونة :

فلا تكتُمنَّ اللهَ ما في صدوركم ليخفى ومَهْما يُكْتَم اللهَ يَعْلَم
يؤخَّر فيوضع في كتاب فيُدَّخر ليوم الحساب أو يُعجَّلْ فيُنْقَم

وقال أميَّة بن أبي الصلت :

يوقَفُ الناسُ للحساب جميعًا فشقيٌّ معذَّبٌ وسعيدُ

وقال النابغة الذبياني يذكر معتقد بني غسَّان بالدينونة :

فلا يحسبونَ الخير لا شرَّ بعدَهُ ولا يحسبون الشرَّ ضربةَ لازبِ

وقال لبيد ( ديوانهُ ص ٢٨. ed. Huber ) :

وكلُّ امرئ يومًا سيُعْلَمُ سَعْيُهُإذا كُشفت عند الإلهِ المحاصلُ

ويروى في المخصَّص ( ١٢ : ٧١ ) : « إذا حصلت عند الإله الحصائل » . وروى السيوطي لأميَّة بن أبي الصلت ( في اتقان علوم القران ١ : ١٥٨ )

ولا يوم الحساب وكان يومًا عبوسًا في الشدائد قَمْطريرا

وقال أميَّة أيضًا ( فيه. وفي الأغاني ٣ : ١٩٠ ) :

انَّ يوم الحساب يومٌ عظيمٌ شابَ فيهِ الصغيرُ شيبًا طويلا
ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي في قلال الجبال ارعى الوعولا

كلَّ عيشٍ وان تطاول دهرًا منتهى امرهِ إلى أن يزولا
وأجعلِ الموت نصب عينك واحذَرْ غولة الدهر انَّ للموت غُولا

وقال أيضًا ( خزانة الأدب ٤ : ٧ ) :

لا تخلطنَّ خبيثاتٍ بطيّبةٍ واخلع ثيابك منها وانجُ عريانا
كلّ امرئ سوف يجزى قرْضُهُ أو سيّئًا ومَدينًا كالذي دنا حسنًا

وهم يذكرون مع الدينونة والحساب يوم الحشر وبعث الأجساد وقيامتها من قبورها وجزاء العالمين الأخير. قال أميَّة ووصفهُ تعالى بالباعث للموتى :

الوارثُ الباعثُ الأموات قد ضَمنت ايَّاهم الأرض في دهر الدهاريرِ

وقال قس بن ساعدة ( الشريشي ٢ : ٢٧٥ ومحاضرات ابن العربيّ ٢ : ٦٧٠ وكتاب المعمّرين لأبي حاتم السجستاني ص ٧٦ ) :

يا ناعيَ الموتِ والأمواتُ في جدثٍ عليهم من بقايا خزّهم خِرَقُ
دَعْهم فانَّ لهم يومًا يُصاحُ بهم فهم إذا انتَبهُوا من نومهم فُرُقُ (١
حتى يعودوا بحالٍ غير حالهم خلقًا جديدًا كما من قبلها خُلقوا
منهم عراةٌ وموتى في ثيابهم منها الجديد ومنها الأوْرَق الخَلَقُ

وقال عبيد بن الأبرص يذكر القيامة ( خزانة الادب ١٦٠١ ) :

انت المليكُ عليهِم وهم العبيدُ إلى القيامَهْ

وقال أميَّة ولهُ السهمُ الافوز في وصف الدينونة وذكر أيضًا العرش وميزان الحساب والزُّبُر أي الأسفار المقدَّسة التي أوحى بها الله لهداية العالمين ( كتاب البدء ٢ : ١٤٦ ) :

ويومُ موعدهم أن يُحْشَروا زُمرًا يومُ التغابُنِ إذ لا ينفع الحَذَرُ
مستوسقينَ مع الداعي كأنَّهمُ رِجلُ الجَرَادِ رقَتْهُ الريحُ تنتشرُ
وأبْرِزوا بصعيدٍ مستوٍ حرزٍ (٢ وأنزل العرشُ والميزانُ والزُّبُرُ
وحُوسبوا بالذي لم يُحصِهِ أحدٌ منهم وفي مثل ذاك اليوم مُعْتَبَرُ
فمنهمُ فَرِحٌ راضٍ بمبعثهِ وآخرون عصَوْا مأواهمُ السَّقَرُ
يقولُ خُزَّانُها : ما كان عندكمُ ألم يكنْ جاءَكم من ربِّكم نُذَرُ
قالوا : بلى فتبعنا فتيةً بطروا وغرَّنا طول هذا العيش والعُمُرُ
قالوا : امكثوا في عذاب اللهِ ما لكمُ الاّ السلاسلُ والاغلالُ والسَّعَرُ
فذاك عيشهمُ لا يبرحون بهِ طول المقام وان صحُّوا ضجِروا

---

١) وروى الباقلاني في إعجاز القران ( ص ٧٢ ) : كما ينبَّهُ من نوماتهِ الصَّعِقُ
٢) كذا في الأصل. والصواب جَرَزٍ. يقال أرض جَرْز وجَرَز وجُرُز أي مُجْدبة

وآخرون على الأعراف قد طمعوا بجنـَّةٍ حفـَّها الرمَّانُ والخضَرُ
انَّ الأنـام رعايـا اللهِ كلهـمُ هو السَّلِيطَطَ فوق الأرض مُقْتدرُ

وهو القائل أيضًا في وصف الجحيم والنعيم ( المقاصد النحويَّة في هامش خزانة الادب ٢ : ٣٤٦ ومنتخب ربيع الأبرار Ms Wien, ff 16$^{v}$ )

سلامَك ربَّنا في كلّ فخرٍ بريئًا ما تليقُ بك الذَموم
عبادك يخطئون وانت ربٌّ بكفِّيكَ المنايا والحتـومُ
غداةَ يقولُ بعضهمُ لبعضٍ ألاَ يا ليت أمّـكمُ عقيـمُ
فلا تدنو جهنـَّمُ من بريءٍ ولا عَدْنٌ يحلُّ بهـا الاثيمُ
فهم يطفونَ كالاقذاء فيها لئن لم يغفر الربُّ الرحيمُ
جهنـَّمُ تلك لا تبقي بغيًّا وعَدْنٌ لا يطالِعها الرجيمُ
فلا لغـوٌ ولا تأثيمَ فيهـا ولا حَيْنٌ ولا فيها مُلِيـمُ
إذا بَلَغوا التي أجرُوا إليها تقبَّلهم وحُلَّل مَن يصومُ
وخُفِّفَت النذورُ واردفَتهم فضول الله وانتهت القسومُ

فهذه الأوصاف كلها لا تُرى في غير الأسفار المقدسة التي كانت في أيدي النصارى فاخذها عنهم شعراء العرب قبل الإسلام. ولاميَّة المذكور أبيات ذكر فيها انتظار البشر ليوم الدينونة وظهور المسيح ليدين العالم ( كتاب البدء ٢ : ١٤٥ ) :

والناسُ راثَ عليهم امرُ ساعتهم فكلـُّهم قائلٌ للدِين أيّـانـا (١
ايَّامَ يلـقى نصـاراهم مسيحَـهمُ والكائنين لهُ ودًّا وقربـانا (٢
هـم ساعدوهُ كمـا قالوا إلههمُ وارسلوهُ يريد الغيث دسفانا (٣

ومعلوم في معتقد المسلمين أنَّ السيّد المسيح ( عيسى ) هو الذي ينزل في آخر العالم ليدين العالمين. فكفى بهذه الشواهد دليلاً على أنَّ كل الألفاظ الواردة في القرآن والحديث عن الدينونة وأحوالها قد سبق إليها أهل الكتاب في الجاهلية كما سبقوا إلى اسماء الله الحسنى

---

١) راثَ أي تأَخَّر. يريد أن الناس يكونون في انتظار الساعة فيقول بعضهم لبعض أَيَّانا أي متى يحلّ يوم الدين

٢) كذا في الأصل. ونظنّ أن الصواب « الكانتين » أي الخاضعين

٣) الدُسفان المرسل. يريد أنَّ المسيح تقدَّمهم كالرائد الذي ينتجع الكلأ. ولعلَّ في هذا إشارة إلى قول السيِّد المسيح في إنجيل يوحنَّا ( ١٤ : ٣ ) : « اني ذاهب لاعدَّ لكم المكان » . وفي كتاب البدء : وارسلوهُ كسوف الغيب. وفي اللسان : يسوف الغيثَ

## ٣ الدين ومقاماتهُ ومناسكهُ

كان لعرب الجاهليَّة شركُهم كما سبق الأَ أنَّ الآثار العربيَّة الباقية من العهد السابق للإسلام قلَّما تُشعر بالتوثُّن لنفوذ التوحيد بينهم بفضل الدين المسيحيّ. وها نحن ذا ندوّن الألفاظ النصرانيَّة الواردة في شعرهم المثبتة لقولنا

( الدّين ) انَّ لفظة الدين بمعناها الخاصّ أي العبادة لله قد سبقت الإسلام وأوَّل ما نجد لفظها في الشعر العربيّ مدلولها الدين النصرانيّ. قال النابغة يمدح ملوك غسَّان النصارى بدينهم :

مجلّتهم ذاتُ الإله ودينُهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وروى اللسان محلَّتهم أي الأرض المقدَّسة. ومثلهُ ما أنشدهُ نبيّ الإسلام عن شاعر جاهليّ « لمَّا أفاض من عرَفة إلى مزدلفة وكان في بطن محسِّر الذي كان موقف النصارى » ( تاج العروس ٣ : ١٤٠ و٩ : ٣٦٢ ). وفي الأبيات إشارة إلى الناقة التي كان راكبها في مسيره إلى الحرم :

إليك تعدو قلقًا وضينُها معترضًا في بطنها جنينُها
مخالفًا دينَ النصارى دينُها

وكذلك روينا لورقة بن نوفل النصرانيّ قولهُ ( الأغانيّ ٣ : ١٦ ) :

ادينُ لربّ يستجيب ولا أرى ادينُ لمن لا يسمعُ الدهرَ واعيا
أقول إذا صلّيتُ في كلّ بيعةٍ تباركتَ قد اكثرتَ باسمك داعيا

ولأُميَّة في معناهُ قولهُ :

رضيتُ بك اللهمَّ ربًّا فلن أرى ادينُ إلهًا غيرك الله ثانيا

ومن حكم عديّ بن زيد قولهُ :

نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا فلا دينُنا يبقى ولا ما نرقِّعُ

والدين أيضًا بمعنى الحكم والقضاء والحساب. قال السيّد المسيح (متَّى ٧ : ١ ـ ٢): « لا تدينوا لئلاَّ تُدانوا فانكم بالدينونة التي بها تدينون تُدانون » فجاءَت اللفظة في الشعر الجاهليّ مقتبسةً عن الآية السابقة. قال خويلد بن نوفل الكلابيّ يخاطب الحارث بن أبي شمّر (التاج ٩ : ٢٠٧) :

يا حارِ أَيْقِنْ انَّ ملكك زائلٌ واعلم بأن كما تدينُ تدانُ

وإلى هذا المعنى يعود اسمهُ تعالى بالديَّان ورد في الشعر الجاهليّ. وبهِ دُعي

آل عبد المدان بن الديَّان سادة بني الحارث بن كعب النصارى « الذين كانوا يتبارَون في البِيَع وزيّها » ( البكري في معجم ما استعجم ص ٣٦٧ )

( العبد ... المتعبِّد ... العِبَاد ... العبادة ) هي أيضًا مفردات سبقت الإسلام ودلُّوا بها على مَن يعبد الله من النصارى. قال النابغة :

لو أنَّها عرضت لأَشمطَ راهبٍ عبدَ الإله صرورةٍ متعبِّدِ ...

وقال أميَّة بن أبي الصلت في الملئكة :

فنعم العبادُ المصطفَوْن لأمرهِ ومِن دونهم جندٌ كثيفٌ مجنَّدُ
ملائكة لا يفترون عبادةً كروبيَّةٌ منهم ركوعٌ وسجَّدُ

والعِباد قبائل شتّى من بطون العرب اجتمعوا على دين النصرانيَّة فدُعوا بالعباد لزهدهم. ويقال لنسَّاك النصارى الأعابد أيضًا قال أبو دؤاد الأيادي يصف مصابيح الرهبان في مشارف الجبال ( التاج ٢ : ٤١٠ ) :

لهنَّ كنار الرأس بالعلياء تذكيها الأَعابدْ

وكثيرًا ما يطلقون اسم العباد على كل البشر ولاسيَّما الذين يعبدون الإله الحقّ قال أميَّة:

لك الحمدُ والمنُّ ربَّ العبا دِ أنت المليكُ وأنت الحكَمْ

وقال أيضًا :

ولو قيل ربٌّ سوى ربّنا لقال العبادُ جميعًا كَذِبْ

ومثله العبادة مطلقًا خصُّوها بعزَّتهِ تعالى. قال زيد بن عمرو :

ولكن اعبد الرحمان ربّي ليغفر ذنبيَ الربُّ الغفورُ

وقال ورقة بن نوفل :

لا تعبدُنَّ الهًا غير خالقكم فان دعوكم فقولوا بيننا حَدَدُ

( آمن ... إيمان ... المؤمن ) كلّ هذه الألفاظ سبقت أيضًا الإسلام فاتَّخذها النصارى لاعتقادهم ولعلَّهم استعاروها من السريان. وقد وردت في اخبار المتنصّرين في الجاهليَّة كرواية أصحاب الكهف ( مجاني الأدب ٢ : ٢٣٢ ـ ٢٤٠ ) ورواية تنصُّر أهل نجران (معجم البلدان لياقوت ٤ : ٧٥٥). لا بل ذكرها في القرآن ( سورة البقرة ع ٢٨٥ ) وأطلقها على النصارى أيضًا فقال : « والمؤمنون كل من آمن بالله وملائكتهِ وكتبهِ ورُسلُهِ ... لا نفرّق بين أحد من رسلهِ » . ومثلها

في سورة آل عمران : « ومنهم المؤمنون ... من أهل الكتاب أمَّة يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهَوْن عن المُنْكر ... »

( العيد ) هي من الألفاظ الدينيَّة التي استعارها النصارى في الجاهليَّة عن الاراميين وهي بالسريانيَّة « ܥܺܝܕܳܐ » . وقد نطق بها امرؤ القيس فقال يصف سربًا من المها أي بقر الوحش :

فآنستُ سربًا من بعيدٍ كأنَّهُ رواهبُ عيدٍ في مُلاءٍ مهدَّبِ

اشار إلى لبس الراهبات في أعياد النصارى للملاء والأنسجة الطويلة الاذيال. ومثلهُ تصريحًا قول العجَّاج في ثور وحش اعتاد الارباضَ كاعتياد النصارى أعيادهم ( الألفاظ لابن السكيت ص ٤٤٦ ) :

واعتاد أرباضًا لها آرِيُّ كما يعودُ العيدَ نصرانيُّ

( النذر ) ومن عادات النصارى أن يوجبوا على نفوسهم نوافل تقويَّة حبًّا بالله. وذلك النذر من السريانيَّة « ܢܕܪܐ » . والنذير ( נזיר ) عند بني إسرائيل المقطوع لخدمة الله. وجاء في قصَّة مريم ( سورة آل عمران ع ٣١ ) : « إذ قالت امرأت عمران ربِّ اني نذرتُ لك ما في بطني محرَّرًا فتقبَّل مني » . وسبق أميَّة بن الاشكر الكنانيّ ( راجع حماسة البحتري ع ٥٢٠ ) فقال :

كم من أسيرٍ من قُرَيْش وغيرها تدارَكَهُ من سَعْين نَذْرُ ناذرِ
فلمَّا قدَرْنا انقذَتْهُ رماحُنا فآب إلى آلائهِ غيرَ شاكرِ

وورد لاميَّة بن أبي الصلت يذكر نذر ابراهيم لابنهِ اسحاق وفيه ذكر ( الاحتساب ) وهي أيضًا من ألفاظهم الدينيَّة بمعنى الثواب والاجر قال ( تاريخ الطبري ١ : ٣٠٨ ) :

ولإبراهيمَ المُوَفّي بنَذْرٍ إحْتسابًا وحامل الاجذالِ

إلى أن قال :

أَبُنَيَّ انّي نذرتُكَ للهِ شحيطًا فاصبر فدىً لك حَالي

*

ثم للدين مقامات وأبنية مخصَّصة بالعبادة شاع عند العرب المسجد والمعبد والمصلَّى والمنسك والكعبة .. وكلّ هذه الألفاظ قد سبقت الإسلام واستعملها أهل الجاهليَّة ولاسيَّما النصارى للدلالة على دينهم

( المسجد ) قال الزجَّاج في تعريفهِ ( لسان العرب ٤ : ١٨٨ ) : « كلُّ موضع يُتَعبَّد فيهِ فهو مسجد » . وقد أطلقوها على هيكل أورشليم كقول الطبري في تاريخهِ ( ١ : ٧٢٩ ) عن يوسف خطيب مريم : « تولَّى يوسف خدمة المسجد » وقال ابن خلدون في تاريخهِ عن العذراء مريم ( ٢ : ١٤٤ ) انَّ حنَّة امَّها « جاءَت بها إلى المسجد فدفعتها إلى عبَّاده » . وقد مرَّ أيضًا ذكر « مسجد مريم » كما ورد في معرفة البلدان للمقدسيّ ( ص ٧٧ ). ولا نشكّ انَّها وردت أيضًا في الشعر القديم. وممَّا رواهُ سيبويهِ عن بعض الشيوخ ( تاج العروس ٥ : ٤١٩ ) قولهُ :

اوصاك ربُّكَ بالتُّقى وأولو النُّهى أوصوا مَعَهُ
فاخترْ لنفسك مسجدًا تخلو بهِ أو صومَعَهْ

( قال ) الصومعة بيت النصارى. فذكرُ المسجد معها إشارةً إلى أنَّها في معناها شائعة أيضًا عند النصارى. وقد ورد اسم المسجد في القرآن ( سورة الاسرى ع ١ ) دلالةً على « المسجد الأقصى » في القدس الشريف

وما قلناهُ عن المسجد يصحُّ أيضًا في المعبد والمصلَّى أي مقام العبادة ومحلّ الصلاة ومكان النسك فإنَّ هذه الألفاظ كلّها يرتقي عهدها إلى الزمن السابق للإسلام

( الكَعْبة ) أصلها الغرفة المكعَّبة اتَّخذوها الكعبة الحرام في مكَّة. وقد استعملها أيضًا النصارى للدلالة على كنائسهم في الجاهليَّة كما أشرنا إليهِ في القسم الأوَّل من كتابنا (ص ٦٤) عند ذكرنا كعبة نجران وكعبة اليمن دلُّوا بها إلى كنيسة في نجران قال الأعشى :

وكعبةُ نجران حتمٌ عليكِ حتى تُناخِي بأبوابها ... الخ

وكان لكنائسهم حَرَمٌ لا يجوز انتهاك حرمتهِ ان دخلهُ أَمن على حياتهِ. راجع في المشرق سنة ١٩١٠ ( ١٣ : ٧١ ) مقالة قنصل الشام المسيو ن. جيرون في حِمى كنيسة دمشق قبل الإسلام وعلى مثالهِ كان حَرَم مكَّة

وفي مساجدهم أمكنة خاصَّة تُعْرف بأسمائها كالمِحْراب والقبلة

( فالمِحْرَاب ) يراد بها مطلق المسجد. قال صاحب تاج العروس ( ١ : ٢٠٧ ) : محاريب بني إسرائيل مساجدهم التي كانوا يصلُّون فيها. وكذلك النصارى قد سمُّوا صدر كنائسهم المحراب كما دلَّ بها المسلمون بعد ذلك على صدر مساجدهم. قال

في القرآن في سورة آل عمران عن زكريَّا (ع ٣٢) انـهُ كـان « يدخل المحـراب علـى مـريم » . وتكرَّرت في الشعر القديم قال الأعشى ( لسان العرب ٧ : ١٧ ) :

كدميةٍ صُوِّرَ محرابها بمُذْهبٍ ذي مرمرٍ ماثرِ

وقال المسيّب بن علس ( التاج ١ : ٢٠٧ ) :

أو دميةٌ صوِّرَ محرابها أو دُرَّةٌ شِيفَتْ إلى تاجرٍ

وقال امرؤ القيس ( ديوانهُ ص ١٥٣ ) :

كغزلان رملٍ في محاريب اقوالِ

وقال عدي بن زيد ( شعراء النصرانيَّة ص ٤٥٥ ) :

كدُمى العاج في المحارب اوكا م لَبْيض في الروض زهرُهُ مستنيرُ

وقال وضَّاح اليمَن :

ربَّهُ محرابٍ إذا جئتُها لم أَلْقَها أو ارتقي سلَّما

ومثل المحراب القِبْلة وهي وِجْهَة المسجد جاءَت في الشعر الجاهليّ روى صاحب اللسان ( ١٤ : ٣١٤ ) والجواليقيّ في المعرَّب ( ed. Sachau, p. 9 ) لعبد المطلب قولهُ :

عُذْت بما عاذ بهِ ابراهمُ مُستَقْبِلَ القِبْلَةِ وهو قائمُ

( وممَّا يلحق بالمساجد المنارة ) وهي من النور كالمسرجة وقيل من النار وقد اشتقَّها العلماء من السريانيَّة ( ܡܢܐܪܬܐ ) بهذا المعنى والمسلمون يريدون بها المئذنة. والمنارة سبقت عهد الإسلام فاستعملها امرؤ القيس في معلَّقتهِ بمعنى المصباح كان الرهبان يوقدونهُ لمناسكهم في قمم الجبال ليلاً قال :

تُضيءُ الظلامَ بالعشاءِ كأنّها منارَةُ مُمْسَى راهبٍ متبتّل

وكانت المناور تُسْرَج في الكنائس. ثمَّ اتَّخذوها بمعنى المجاز فاطلقوها على الصومعة ومقام الرهبان ومحلّ عبادتهم. وفي الأغاني ( ٢٠ : ٨٥ ) وردت المنارة والصومعة بمعنى واحد. وكثيرًا ما كانت صوامع الرهبان مرتفعة مشيَّدة على شبه الابراج بل اكتشف الأثريُّون في كنائس ما بين النهرين وشماليّ سوريَّة عدَّة كنائس كانوا شيَّدوا في أعلاها أبراجًا مستديرة أو مربَّعة يؤذنون فيها بمناسكهم أو يقرعون فيها النواقيس فلمَّا جاء الإسلام اتَّخذوا المناور على مثال الصوامع وتلك البروج.

وقد أثبت العلاَّمة غوتَّيل ( Gottheil ) من أساتذة كليَّة كولومبيا (١ أن المسلمين في أوَّل عهدهم كانوا يجتمعون لصلاتهم دون اذان قال ابن هشام في سيرة الرسول ed. ) ( Wüstenfeld. P. 347 : « وقد كان رسول الله حين قدموا انَّما يجتمع الناس للصلاة بغير دعوة » وكذلك قال القسطلاَّني في إرشاد الساري ( ج ٢ ص ٣ ) : « كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيحيون الصلاة ليس يُنادَى لها » ثم « ذكروا أن يُعلموا وقت الصلاة بشيء يعرفونهُ فذكروا أن ينوّروا نارًا أو يضربوا ناقوسًا وأُمر بِلال (المؤَذّن ) ان يشفع الاذان » ثم سُنَّ الاذان بعد ذلك في موضع بارز وموضع عالٍ. ورُبَّما صعد المؤذّن سور المدينة ليدعو إلى الصلاة انشد ابن البرّي للفرزدق ( لسان العرب ١٦ : ١٥٠ ) :

وحتى علا في سور كلّ مدينةٍ منادٍ يُنادي فوقها بأذانِ

وأثبت غوتَّيل أنَّ أقدم مساجد المسلمين كمساجد بلد الحرام والمدينة والكوفة والبصرة ومسجد عمرو بن العاص في الفسطاط لم تُجهَّز لها المناور وانَّ أوَّل ما ورد ذكر المنارة في خلافة معاوية أقامها زياد بن أبي سفيان في مسجد البصرة. قال البلاذريّ في فتوح البلدان (ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨) : « لمَّا استعمل معاوية زيادًا بن أبي سفيان على البصرة زاد في المسجد زيادةً كثيرة ... وبنى منارتهُ بالحجارة وهو أوَّل من عمل المقصورة »

و( المِئذنة ) محلّ التأذين أي النداء إلى الصلاة وردت بمعنى المنارة والصومعة. قال في تاج العروس ( ٩ : ١٢١ ) : « المئذنة موضع الاذان للصلاة أو المنارة كما في الصحاح. قال أبو زيد : المِئذنة والمُؤْذنة. وقال اللحيانيّ : هي المنارة يعني الصومعة على التشبيه. والمؤذّن المنادي للصلاة » . وقد جاءَت في الشعر القديم قال عديّ بن زيد النصرانيّ ( في معجم ما استعجم للبكري ص ٢٣٣ ) :

بتلّ جَحْوَشَ ما يدعو مُؤذّنهم لأَمر رُشْدٍ ولا يحتثُّ انفارا

ومن مفردات المنارة عندهم أيضًا ( المصباح ) واصلهُ السراج وقد استعملهُ أَوس بن حجر في شعرهِ بمعنى المشعل الذي يوقدهُ رؤساء النصارى في ليلة الفصح قال

---

١) اطلب مقالتهُ في المجلة الاسيويَّة الأميركيَّة (The Origin and History of the Minaret, JAOS, XXX, (1910) p. 132-154)

يصف سنانًا ( راجع شعراء النصرانيَّة ص ٤٩٤ ed. Geyer, ٢٠ ) :
عليهِ كمصباح العَزِيزِ يشبُّهُ لِفَصْحٍ ويَحْشُوهُ الذُبَالَ المفتَّلا

قال الشارح : « أراد السنان الشديد الائتلاق وهو مثل مشعل الجليل العظيم الشأن من بطارقة الروم لاسيَّما إذا أَلهبه في ليلة فصح وإذا كان في مثل هذه الليلة كان أَنورَ وأكثر ضوءًا »

وأوَّل الفرائض المقامة في المساجد ( الصلاة ). وقد تكرر ذِكرها في شعر النصارى قبل عهد الإسلام. قال منظور الاسديّ يصف بعيرًا شبَّه مَوْقع ثَفِنَاتهِ إذا برك بموقع كفَّي راهب على الأرض إذا صلَّى عند الفجر ( الألفاظ لابن السكيت ص ٤١٢ ) :

كأنَّ مهواهُ على الكلكلّ موقعُ كفّي راهب يُصَلّي
في غَبَش الصُّبْح أو التتلّي

وقال البعيث يذكر صلاة الرهبان وهم قيام ( التاج ١٠ : ٥٣ واللسان ١٨ : ١١١ ) :
على ظهر عاديٍّ كأنَّ أُروَمهُ رجالٌ يتلُّون الصلاةَ قيامُ

( قال ) « تلَّى فلان صلاتهُ أي أَتبع الصلاةَ أو اتبع المكتوبَةَ التطوُّعَ » . ثم كانوا يصلُّون على الخمر في التقديس قال الأعشى يصف خمرًا :

لها حارسٌ لا يبرحُ الدهر بيتها وإن ذُبِحَتْ صلّى عليها وزمزما
ببابلَ لم تُعْصَرْ فسالت سلافةً تخالطَ قنديدًا ومسكًا مختمًا

ومثلهُ ما رويناهُ عن أيمن بن خُزَيم في خمر جرجان ( الأغاني ١٦ : ٤٥ ) :

وصهباءَ جرجانيَّة لم يَطَفْ بها حنيفٌ ولم ينغرْ بها ساعةً قِدْرُ
ولم يشهد القسّ المُهينمُ نارَها طروقًا ولا صلّى على طَبْخها حَبْرُ

والصلاة أكثر ما تتمُّ بالسجود والركوع والتسبيح. وكلُّ ذلك قد تكرَّر ذكرهُ عن نصارى العرب في الجاهليَّة. قال المضرّس الاسديّ ( معجم البلدان ٤ : ٣٧٥ ) :
وسخالٍ ساجيةِ العيون خواذلٍبجمادِ لينةَ كالنصارى السُّجَّدِ

( قال ) « لينة ماء لبني غاضرة » . وكذلك ورد في شعر لبيد مما قالهُ في الجاهليَّة (اطلب ديوانهُ في طبعة ڤينا ص ١١٣) وقد وصف الثور فشبَّههُ عند اكبابهِ بالمصلّي الذي يقضي نذرًا قال :

فبات كأَنَّهُ يقضي نُذورًا يلوذُ بغَرْقَدٍ خَضلٍ وضالِ

( قال الشارح ) : ويروى : يُطيفُ بغرقدِ. وبات أي الثور أي بات مكبًّا كأَنَّهُ يصلي صلاة يقضي بها نذرًا. والغرقد والضال نباتان

قال آخر يصف راهبًا ( المفضَّليات ed. Lyall, p. 411 ) :
وأَشعثَ غُنْوانٌ بهِ من سجودِهِكركبْةَ عَتْزٍ من عُنوزِ بني صخرِ

وأُنشد في هذا الباب عن المرأة النصرانيَّة الساجدة ( كتاب سيبويهِ طبعة بولاق ٢ : ٩٢ ) :
فكلتاهما خرَّت وأَسْجدَ رأسَها كما سجدت نصرانةٌ لم تُحَنَّفِ

ومن عادة النصارى أن يحنوا رؤوسهم اكرامًا لرؤسائهم قال حُميَد بن ثور (المخصَّص لابن سيده ١٢ : ٨٧) :
فضولُ ازمّتها أَسْجدت سجودَ النصارى لأَربابها

ومن قبيل السجود ( الركوع ) وهو اخفاض المصلّي لرأسهِ وانكبابهُ لوجههِ. وقد ورد في شعر أميَّة بن أبي الصلت عن الملائكة قولهُ :
ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيَّةٌ منهم ركوعٌ وسُجَّدُ
فساجدُهم لا يرفعُ الدهرَ رأسهُ يعظّم ربًّا فوقَهُ ويمجّدُ
وراكعُهم يحنو لهُ الدهرَ خاشعًا يردّد آلاء الإلهِ ويحمدُ

وكان الراهب لكثرة صلاتهِ يدعى راكعًا. ومثلهُ الحنيف مرادف الراهب كما مرَّ قال في تاج العروس ( ٥ : ٣٦٣ ) : « وكانت العرب في الجاهليَّة تسمّي الحنيف راكعًا إذا لم يعبد الأوثان ويقولون ركع إلى الله قال الزمخشري : أي اطمأنَّ. قال النابغة الذبيانيّ :
سيبلغ عذرًا أو نجاحًا من امرئ إلى ربّهِ ربِّ البريَّة راكعِ

ون آداب الصلاة ( التسبيحُ ) أي شكرُ الله وتقديس اسمهِ وتعظيم آلائهِ جاءَت في الشعر الجاهليّ قال أميَّة ( تاج العروس ٢ : ١٥٧ ) :
سبحانَهُ ثمَّ سبحانًا يعودُ له وقبلَنا سبَّح الجوديُّ والجَمَدُ

وقال الأعشى ( لسان العرب ٣ : ٢١٠ ) :
وسَبّحْ على حين العشيَّات والضُّحَى ولا تعبد الشيطان واللهَ فاعبدا

وروي بيت عمرو بن عبد الحقّ للأخطل على هذه الصورة ( ياقوت ٤ : ٧٨١ ) :
وما سَبَّح الرهبانُ في كلّ بيعة ابيل الابيلين المسيحُ بن مريما

ومن الآداب الدينيَّة ( الصوم ). والنصارى قد اشتهروا بهِ. قال النمر بن تولب (كتاب سيبويه طبعة بولاق ٢ : ٢٩) :

صدّت كما صدَّ عمَّا لا يحلُّ لهُ ساقي نصارى قُبَيْلَ الفِصح صوَّامُ

وقال أميَّة بن أبي الصلت عن الأبرار في النعيم :

إذا بلغوا التي أَجْرَوا إليها تقبَّلُهُمْ وخُلِّلَ مَن يصومُ

ومن الفرائض الدينيَّة ( الحجّ ) ويراد بهِ اصطلاحًا قصدُ مكَّة للنسك لكنَّ اللفظة في الأصل يراد بهِ مُطلق النسك. وهي مشتقَّة من العبرانيَّة ( חג ) وتكرَّرت في الأسفار المقدَّسة بمعنى العيد والاحتشاد. وقد استعملها المقريزيّ في الخطط ( ج ٢ ص ٤٧٤ ) لليهود. قال في ذكر أعيادهم في أيار : « وفيهِ عيد الموقف وهو حجُّ الأسابيع ... ويقال لهذا العيد في زماننا عيد العنصرة » . وكذلك استعملها الكتبة المسلمون لغير قصد مكَّة قال الادريسي في وصف المغرب ( ed. Dozy et de Goeje, p. ٦٤ ) عن قبر ابن تومرت انَّ المَصـَامِدة جعلوهُ « حجًّا يقصدون إليهِ من جميع بلادهم » . ومثلهم نصارى العرب فانَّهم استعاروا اللفظة من السريانيَّة وهي عندهم كثيرة الاستعمال للدلالة على كلّ الحفلات الدينيَّة فاتَّخذوها بهذا المعنى وبمعنى زيارة الأمكنة المقدَّسة. فقد وردت في ذكرهم للكعبة اليمنيَّة أي كنيسة نجران وفي زيارة بيت المقدس وقد استعملها ابن القلانسيّ في كتابهِ ذيل تاريخ دمشق ( ص ٦٩ ) لزيارة بيعة القيامة : « هذه بيعة ... تعظّمها النصارى أفضل تعظيم وتحجُّ إليها عند فصحهم » . وقال ياقوت عن دير نجران ( معجم البلدان ٢ : ٧٠٣ ) ان « بني عبد المدان بنوهُ مربَّعًا ... فكانوا يحجُّونهُ هم وطوائف من العرب ممَّن يحلّ الاشهر الحرم ولا يحجُّ الكعبة. ويحجُّهُ خثعم قاطبةً ... »

## ٤ الوحي وكتبهُ وائمَّتهُ

ليس الدين طبيعيًّا فقط يدرك حقائقَهُ العقلُ البشري ويقرّرها بالأدلَّة العقليَّة. لكنَّهُ وضعيّ أيضًا وهو الذي أوحى بهِ الله إلى عبادهِ وأرشدهم إليهِ على يد بعض أصفيائهِ المعروفين بالأنبياء كموسى كليمهِ تعالى ولاسيَّما السيد المسيح كلمة الله فطورًا أوحى بمناسك وفرائض معلومة كالختان والذبائح وطورًا أنبأ بأسرار تفوق ادراك البشر كأسرار العالم الآخر وبعض الحقائق الإلهيَّة. ولا يخفى أنَّ العرب في الجاهليَّة لم

يعرفوا وحيًا ولم يدينوا بدين وضعيّ بل أفسدوا الدين الطبيعيّ ولحقوا بالشرك وعبادة الأصنام كما تدلُّ عليهِ الآثار المتعدّدة المكتشفة في عهدنا

على أنَّ جهلهم بالوحي انَّما سبق عهد المسيح وقد بيَّنا في القسم الأوَّل من مقالاتنا نفوذ النصرانيَّة بين العرب. ولنا في لغتهم العربيَّة قبل الإسلام ما يثبت هذا القول. وذلك في استعمالهم للألفاظ الدالَّة على الوحي وكتبهِ وائمتهِ كما سترى

( الوَحْي ) هي أوَّل لفظة تدلّ على قولنا. فانَّها وردت في الشعر الجاهليّ قبل القرآن بمعنى تبليغ الله كلمتهُ إلى أنبيائهِ. قال ورقة بن نوفل الراهب النصرانيّ :

وجبريلُ يأتيهِ وميكالُ مَعْهما من الله وَحْيٌ يشرَحُ الصَدْرَ مُنْزَلُ

فبقولهِ « الوحي المُنْزَل » بيَّن كونهُ يريد دينًا وضعيًّا بلَّغ بهِ الله أنبياءَهُ. ومثلهُ قول أميَّة بن أبي الصلت في الملائكة واصاختهم لوحي الله :

وسبطَ صفوفٌ ينظرون قضاءَهُ يصيخون بالاسماع للوَحْي رُكَّدُ
أمينٌ لوحي القدسِ جبريلُ فيهم وميكالُ ذو الروح القويّ المسدّدُ

وقد انتقلوا من معنى اللفظة الأصليّ إلى معناها المجازيّ فجعلوا الأسفار الإلهيَّة وحيًا والمكتوب فيها وحيًا قال جرير بهذا المعنى ( معجم ما استعجم للبكري ص ١٠٦ ) :

لمن الديارُ بعاقلٍ فالأَنْعَمِ كالوَحْي في ورق الزَّبور المُعْجَم

وإذ كانوا يحفرون بعض آيات الوحي في الصخور أشاروا إلى ذلك في أشعارهم. قال زهير يشبّه آثار الدار بكتابة الوحي ( شعراء النصرانيَّة ص ٥٧٥ ) :

« لمن طَلَلٌ كالوَحْي عافٍ منازِلُهْ »

وعلى مثالهِ قال حسَّان بن ثابت ( سيرة الرسول ص ٤٥٤ .ed. Wüstenfeld )

عرفتُ ديار زينبَ بالكثيب كخطّ الوَحْي في الورق القشيبِ

وقد جاءَت على لفظ الجمع في معلَّقة لبيد قال يشبّه مسايل جبل ريَّان ببقاء كتابة الوحي في الحجارة :

فمَدَافعُ الريَّانِ عُرّيَ رسمُها خلقًا كما ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلاَمُها

وقد دعوا كتب الوحي بألفاظ أخرى تدلّ على احتوائها لكلام الله. فمنها ( السِفْر ) وأصلها من العبرانيَّة ספר والسريانيَّة ܣܦܪܐ ومعناها الكتاب وقد

خصُّوا بها الكتب الإلهيَّة. قال ابن دريد في الاشتقاق ( ص ١٠٣ ) : « السِفْر الكتاب من التوراة والإنجيل وما أشبههما » . وقد وردت في القران في سورة الجمعة وفي الحديث بالمعنى ذاتهِ. وروى البكري في معجم ما استعجم ( ص ٣٦٩ ) دخول الحُسين بن ضحَّاك إلى أحد أديرة النصارى بينما كان الراهب يقرأ « سِفْرًا من أسفارهم » أي كتبهم المقدَّسة وكانوا يدعون كلاًّ من تلك الأسفار ( بكتاب الله ). قال عديّ بن زيد ( شعراء النصرانيَّة ) :

ناشدتَنا بكتاب الله حُرْمَتَنَا ولم تكن بكتاب الله ترتفعُ

وقد دعوا أيضًا كتب الوحي ( مجلَّةً ) وعلى هذا رُوي بيت النابغة في بني غسَّان :

مجلَّتهم ذات الإلهِ ودينُهم قويمٌ فما يرجون غيرَ العواقبِ

قال ابن دريد في الاشتقاق ( ص ١٩١ ) : « المجلّة الصحيفة يُكْتَب فيها شيء من الحكمة. وأصل الكلمة من العبرانيَّة מגלה أي الوحي والتبيان. وقد وردت في سيرة الرسول لابن هشام ( ص ٢٨٥ .ed Wüstenfeld ) حيث ذكر « مجلّة لقمان يعني حكمة لقمان » وفي حديث انس « أَلقى إلينا مجالّ أي صُفُحًا »

وربَّما دعوا كتاب الوحي ( بالصَّحيفة ) جمعها صحائف وصُحُف واصلها من الحميريَّة والحبشيَّة بمعنى الكتاب والرسالة مطلقًا. قال لقيط الاياديّ في أوَّل قصيدةٍ يحذّر فيها قومهُ من كسرى ( الأغاني ٢٠ : ٣٤ ) :

كتابٌ في الصحيفةِ من لقيطٍ إلى مَنْ بالجزيرة من إيادِ

ومثلها « صُحُف موسى وإبراهيم » في القرآن يُراد بها كُتُب منسوبة إلى موسى وإبراهيم

ومثلها ( اَلمصْحَف ) بتثليث الميم أي الكتاب والمسلمون يخصُّونها بالقرآن. وقد سبق شعراء الجاهليَّة فنطقوا بها وأطلقوها على أسفار النصارى قال امرؤ القيس ( راجع ديوانهُ في العقد الثمين ص ١٦١ ) وورد في قولهِ اسم ( الآية ) إشارة إلى مضامين تلك الأسفار :

قفا نبكِ من ذِكْري حبيبٍ وعِرْفانِ ورسم عَفَتْ آياتهُ منذ أزمان
أَتَتْ حِجَجٌ بعدي عليهِ فأصبحَتْ كخَطِّ زَبُورٍ في مَصَاحفِ رُهْبانِ

وأصل الكلمة من الحبشية ( مَصْحَف ) من ( صَحَفَ ) أي كَتَبَ

وقد استعملوها لفظة ( القرآن ) ولم يتَّفقوا على أصلها فمنهم مَن همزها وجعلها مصدرًا لقرأَ بمعنى القراءَة. ومنهم من رجَّح عدم همزها فقال قُرَان واستشهدوا ببيت حسَّان بن ثابت في هجوهِ لبني جمح ( سيرة الرسول ص ٥٢٦ ) قال (١ :

جَحَدوا القُرَانَ وكذَّبوا بمحمَّدٍ والله يُظهر دينَ كلّ رسولِ

وعليهِ تكون القُران من قَرَن أي جمعَ بمعنى مجموع الآيات. وعلى رأينا أنَّ الهمز أفضل وهو الشائع وعلى هذا اللفظ وردت في لاميَّة كعب بن زهير قال :

مَهْلاً هداك الذي أعطاك نافلةَ م القُرْآنِ فيهِ مواعيظٌ وتَفْصيلُ

وعندنا أنَّ أصل الكلمة من السريانيَّة ܩܪܝܢܐ وهي مصدر ܩܪܐ ومعناها القراءَة وقطعة من الكتاب لاسيَّما الكتاب المقدَّس ويقال بهذا المعنى « رأس القِرْيان » ( ܫܡܥ ܩܪܝܢܐ )

وقد استعملوا ( الفُرْقان ) بمعنى القُرآن قالوا دُعي بذلك لأنهُ يفرق الحقّ من الباطل. وجاءت الكلمة في القرآن في سورة البقرة بمعنى التوراة حيث قال : « آتَيْنا موسى الكتاب والفُرْقان » ( راجع تاج العروس في مادَّة فرق ). واصل هذه الكلمة على ما نرى من السريانيَّة وهي ܦܪܩܢܐ بمعنى النجاة والخلاص مع الإشارة إلى الفصل والتفريق. وقد وردت بمعنى الخلاص في القرآن في سورة الأنفال حيث قال : « إنْ تَتَّقوا الله يجعَلْ لكم فُرْقانًا » فشرحهُ ابن سعيد بقولهِ : « الفرقان النصر على الأعداء » وكذلك شرح ابن دريد قول القرآن « يوم الفُرْقان » بيوم النصر

ثمَّ دعو فصول القرآن ( سُورة ) فهمزها بعضهم واهمل هَمْزَها غيرهم فقالوا هي البقيَّة من الشيء والقطعة منهُ. وقال غيرهم هي من السُورة بمعنى الرتبة والشرف كما قال النابغة يمدح النعمان :

أَلَم تَرَ انَّ الله أَعطاك سُورَةً ترى كلَّ مَلْكٍ دونها يَتَذَبْذَبُ

والمرجَّح ما ارتآهُ في ذلك العلاَّمة نولدك ( Gesch. d. Qorans, p. 24 ) انَّ أصلها من العبرانيَّة שׁוּרָה معناها المِدْماك والساف من البناء ومجازًا هي سطور الكتابة والقطعة منها

ثمَّ انَّ وسيط الوحي بين الله والبشر ( النبيء ) شرحهُ في تاج العروس ( ١ : ١٣٣ ) بقولهِ : « النبيء على فعيل الطريق الواضح يُهْمَزْ ولا يُهْمَز .. ومنهُ أُخِذ الرسول لانهُ الطريق المُوضح المُوصِل إلى الله تعالى » وعلى رأي العلماء هذا شرح بعيد واللفظة من العبرانيَّة נביא والسريانيَّة ܢܒܝܐ أي الناظر والرائي سلفًا لما يوحي إليهِ الله من الأمور المستقبلة (١. وقد جاءَت في الشعر الجاهليّ قال أميَّة بن أبي الصلت عن مريم العذراء كتاب البدء للمقدسيّ ( ٣ : ١٢٣ ) :

فأَدْرَكها من ربّها ثمَّ رحمةٌ بصدقِ حديثٍ من نبيّ مكلِّمِ

وقال آخر :

كلّ أهل السماء يدعو عليكم من نبيّ وملأَك ورسولِ

ومثل النبيّ ( الرّسُول ) أي المرسل من الله إلى الناس قال أميَّة في بعثة الله لموسى الكليم ( سيرة الرسول لابن هشام ص ١٤٥ ) :

وأَنت الذي من فضل مَنٍّ (٢ ورَحمَةٍ بَعَثْت إلى موسى رسولاً مناديًا

وقال أيضًا عن لسان الملاك جبرئيل إلى مريم يبشرها بالمسيح ( كتاب البدء ٣ : ١٢٣ ) :

أَنيبِي وأَعْطِي ما سُئِلْتِ فانَّني رسولٌ من الرحمان يأتيكِ بابْنَمِ (٣

وقد استعملوا بمعنى الرسول ( النَّذير ) قال أميَّة بن أبي الصلت ( كتاب البدء ٢ : ١٤٦ ) عن لسان إبليس :

يقول خزَّانُها ما كان عندكمُ أَلم يكن جاءَكم من ربِّكم مُنْذِرُ

*

واخصّ ما عرفهُ العرب في الجاهليَّة من الكتب المنزلة ( التوراة والزبور والإنجيل ). فقالوا في التوراة ( تورية ) أيضًا وهي كتب موسى الخمسة أي التكوين والخروج والعدد وسفر الاحبار وتثنية الاشتراع. ثمَّ أطلقوها على أسفار العهد القديم

١) راجع كتاب نولدك ( Noeldeke : *Gesch. d. Qorans*, p. 25-27 )
٢) وفي خزانة الأدب ( ١ : ١١٩ ) : من فضل سَيْبِ
٣) أي إِرْضي يا مريم بما يطلب الله منك فابشّرك بمولد ابنٍ أي المسيح. وابْنم كابن والميم للتفخيم

اجمالاً. ومن غريب ما قالهُ بعض اللغويين في أصل هذه الكلمة أنَّها مَصْدر ورَّى الزنادَ توريةً إذا اخرج نارهُ وانَّ التوراة لغة طيء في التورية وكلاهما بمعنى الإضاءَة. وفي شرح المفضليَّات ( ص ٤٤٧ ed. Lyall ) انَّ توراة أصلها وَوْراة بقلب الواو تاءً. واصحُّ من هذا ما رواهُ صاحب التاج عن الزجَّاج حيث قال : « هو لفظ غير عربيّ بل هو عبرانيّ اتُفاقًا » وهو في العبرانيَّة תורה ومعناها التعليم والحكمة. وقد وردت الكلمة في الشعر القديم. قال السموءَل ( راجع طبعتنا لديوانهِ ص ١٢ ) :

وبقايا الاسباطِ اسباطَ يعقو بَ دِراسُ التَّوْراةِ والتابوتُ

وقد ذكروا ( موسى ) صاحب التوراة كما رأيت في باب ( الرَّسول ). وقال السموءَل ( ص ١٢ ) :

وانفلاقُ الأَمواج طورَيْنِ عن مو سى وبَعْدُ المملَّكُ الطالوتُ

وقال المضرّس بن ربعيّ ( ياقوت ٣ : ٨٧ ) من أبيات :

فلمَّا لحقناهم قرأْنا عليهمُ تحيَّةَ موسى ربَّهُ إذ يجاوِرُهْ

وقد أكثر العرب من ذكر ( الزَّبُور ). قال المرقّش الأكبر ( لسان العرب ١٦ : ٣ ) :

وكذاكَ لا خيرٌ ولا شرٌّ على أحدٍ بدائمْ
قد خُطَ ذلك في الزبو ر الأَوَّليَّات القدائمْ

وقال امرؤ القيس ( شعراء النصرانيَّة ص ٦٥ ) :

لمن طَلَلٌ أَبصرتُهُ فشجاني كخطّ زَبُورٍ في عسيبِ يماني

قال ابن الكلبيّ في كتاب انساب العرب ( Ms de Paris, ff. 160 ) : « انَّ امرءَ القيس اوَّل من شبَّه الطَّلَل بوَحْي الزَّبور في عسيب يماني. وقد مرَّ بك قوله :

أَتَتْ حججٌ بعدي عليها فأصبحَتْ كخطّ زَبُورٍ في مصاحفِ رهبانِ

وجمعوا الزَّبُور ( الزُّبُر ) قال المرَّار بن منقذ في المفضَّليات يصف دارًا :

وترى منها رسومًا قد عَلَتْ مثل خطِّ اللامِ في وَحْي الزُّبُرْ

ويشبههُ قول الآخر :

او زُبْرُ حمْير بينها احبارُها بالحميريَّة في عسيبٍ ذابلِ

وقال كذلك أميَّة بن أبي الصلت ( كتاب البدء ٢ : ١٤٦ ) في يوم الدين :

وأُبْرزوا بصعيدٍ مستوٍ جَرَزٍ (١ وأُنزل العرشُ والميزان والزُّبُرُ

---

١) الجَرَز الأرض المجدبة. وفي الأصل : حرَز

أما أصل الكلمة فقد اشتقُّوهُ من قولهم زَبَرَ الكتابَ زَبْرًا كتبهُ. قال صاحب التاج ( في مادَّة زَبَرَ ) : « قال الأزهريّ : واعرفهُ النقش في الحجارة وقال بعضهم : زبرتُ الكتاب إذا اتقنتَ كتابتهُ » . وجعلوا الذَّبْر كالزَّبْر كما قال صخر الغيّ :

أَبْلِغ كبيرًا عنّي مخلَّفةً تبرقُ فيها صحائفٌ جُدُدُ
فيها كتابٌ ذَبْرٌ لِمُقْترئٍ يَعْرفهُ البُهْمُ ومن حَشَدُوا

ورُوي في حديث لابن الكلبيّ ( ياقوت : معجم البلدان ٤ : ٩١ ) دَبَرَ بالدال قال في وصف صَنم ودّ : « قد دُبر عليهِ حلَّتان أي نُقش » . ( قلنا ) والصواب عندنا أَنّ الزَّبْر من الزَّمْر والزَّبُور كالمزمور وإنَّما أُبدلت الميم باءً كما جرى في لفظة « زمن » بالعربية وهي في السريانيَّة ܙܒܢ بالباء فكذلك الزَّبُور أو المزبور من. العبرانيَّة מזמור وفي السريانيَّة ܡܙܡܘܪ و ܙܡܝܪܬܐ وهو التسبيح

ومثل التوراة والزبور ( الإِنْجيل ) أخذها العرب من اليونان εὐαγγέλιον بوساطة السريانيَّة ܐܘܢܓܠܝܘܢ أو أخذوها توًّا من الحبشيَّة على هذه الصورة. وعلى كلّ حال انَّ اللفظة سبقت الإسلام. قال عديّ بن زيد ( كتاب الحيوان للجاحظ. طبعة مصر ٤ : ٦٦ و Ms de Vienne. ff. 213$^{r}$ ) :

وأوتيا المُلْكَ والإنجيلَ نقرأهُ نشفي بحكمتهِ أحْلاَمنا عَلَلا
من غير ما حاجةٍ الاَّ ليجعَلَنا فوق البريَّة أربابًا كما فعلا

وروى البكريّ في معجم ما استعجم ( ص ٣٦١ ) لشاعر لم يذكر اسمهُ بيتًا هجا فيهِ راهبًا هجر الرهبانيَّة :

هجر الإنجيلَ حبًا للصبى ورأى الدنيا غرورًا فركَنْ

وقال في محلّ آخر عن غلام يتغنَّى بتلاوة الإنجيل :

إذا رجَّع الإنجيلَ واهتزَّ مائدًا تذكَّرَ محزونُ الفؤادِ غريبُ

والمرجَّح انَّ النابغة أراد الإنجيل في ذكرهِ لمجلَّة غسَّان لمَّا قال :

مجلَّتهم ذاتُ الإله ودينُهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وكذلك من المحتمل انَّ اميَّة بن أبي الصَّلْت أراد الإنجيل في البيت التالي حيث وردت لفظة الرقّ ومعناها السِّفر ( راجع الأضداد لابن الانباري ث ٨١ ولسان العرب ٩ : ٢٥٨ ) وهو يمدح بني إياد قومهُ النصارى :

قومٌ لهم ساحةُ العراقِ إذا ساروا جميعًا والقِطُّ والقَلَمُ

وكما ذكروا موسى وداؤُود صاحبي التوراة والزبور كذلك ذكروا السيّد المسيح مع ذكرهم لإنجيلهِ الشريف وهم يدعونهُ ( عيسى ). روى ابن العربيّ في محاضرة الأبرار ( ٢ : ٥٠ ) عن لسان قسّ بن ساعدة أسقف نجران : « الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث ولم يخلق الناس سدى من بعد عيسى واكترث ... » . وفي اسم عيسى هذا سرٌّ من أسرار الاشتقاق الغريبة. قال في التاج ( ٤ : ٢٠٠ ) : « قال الجوهريّ عيسى عبرانيّ أو سريانيّ. قال الليث : هو معدول عن ايشوع كذا يقول أهل السريانيَّة » على أنَّ عدولهم هذا من باب الغرائب. ولا نجد عَلَمًا قد تبدَّل في العربيَّة على هذا المنوال. وعندنا أنَّ هذا التبديل جرى على يد اليهود الذين ادخلوهُ في العرب بغضًا بالنصارى فدعوا يسوع باسم عيسى أو عيسو وهو أخو يعقوب الذي نفاهُ الله من شعبهِ وكان هو وقومهُ الادوميُّون رجسًا في بني إسرائيل فقلبوا اسم يسوع ونقلوا عينهُ إلى أوَّلهِ فجعلوا الرأس ذنبًا وزعم بعضهم أنَّ أصل عيسى « عِوْسَى » قلبوا الواو ياء فصارت « عِيسَى ». قال أميَّة بن أبي الصلت (كتاب البدء ٣ : ١٢٣):

وفي دينكم من ربّ مريمَ آيةٌ منبتّةٌ بالعَبْد ١) عيسى بن مريمِ

وللسيد يسوع اسمٌ آخر اشيع منهُ عند العرب وهو « المسيح » من العبرانيَّة משיח والسريانيَّة ܡܫܝܚܐ وهما كالعربيَّة مسيح واليونانيَّة Χριστός أي الممسوح بدهن الكهنوت والملك كما كانوا يفعلون بأحبار بني إسرائيل وملوكهم وقال العرب غير ذلك. روى في تاج العروس عن شمّر « انَّ المسيح دُعي بذلك لبركتهِ أي لأنهُ مُسح بالبركة. وقال الراغب : سُمّي عيسى بالمسيح لأنه مُسِحت عنهُ القوَّة الذميمة من الجهل والشره والحرص وسائر الأخلاق الذميمة ... وفي بعض الأقاويل المَسِيح من السَّيْح لأنهُ كان يسيح في البراري ويذهب في الأرض فأينما أدركهُ الليل صفَّ قدميهِ وصلَّى حتى الصباح » . وكل هذه آراء ضعيفة والصواب ما قلناهُ انهُ من المسح. وقد تكرَّر اسم المسيح في الشعر القديم. قال عمرو بن عبد الحقّ ويروى لغيرهِ ( اطلب المعاجم في مادَّة ابل ) :

وما قدَّس الرهبان في كلّ هيكل ابيل الابيلين المسيح بن مَرْيما

---

١) في الأصل : والعبد ونظنُّها تصحيفًا. وقد دعا المسيح عبدًا لله من حيث ناسوتهِ

ورُوي للسموءَل ( راجع ديوانهُ صفحة ٣٢ ) قولهُ :

وفي آخر الأيَّام جاء مسيحُنا فأَهدى بني الدنيا سلامَ التكامُلِ

وقال أميَّة يذكر مجيء المسيح في آخر الازمنة ليدين البشر :
أيَّام يلقى نصاراهم مسيحَهمُ والكائنين لهُ ودًّا وقربانا

وذكر آخر محارَبة السيد المسيح للمسيح الدجال وانتصارهُ عليهِ ( راجع اللسان في مادَّة مَسَحَ ٣ : ٤٣٠ ) :

إذِ المسيحُ يقتلُ المسيحا

وكانوا يسمُّون المسيح ( بالابيل ) ومعناهُ الناسك والزاهد بالدنيا ودعوهُ بابيل الابيلين لأنهُ كان بزهدهِ قدوة الرهبان كما مرَّ بك

وقد عظَّموا ليلة مولد المسيح فدعوها ليل التمام. قال في اللسان ( في مادَّة تمَّ ١٤ : ٣٣٤ ) : « قال عمرو بن شميل : ليل التمام أطول ما يكون من الليل .. قال الإصمعيّ. ويطول ليل التمام حتى تطلع فيهِ النجوم كلها وهي ليلة ميلاد عيسى ... والنصارى تعظِّمها وتقوم فيها »

ولم يذكروا فقط السيّد المسيح بل ذكروا أمَّهُ مريم العذراء كما رأيت. وذكروا القديس يوحنا الصابغ المتقدّم أمام وجههِ وذكروا تلامذتهُ. ومما رووا عن ( مريم العذارء ) بتوليَّتها وبشارة الملاك إليها بابنها الإلهيّ وحبلها الطاهر بابنها من الروح القدس. ورد ذلك في القرآن وسبقهُ أميَّة بن أبي الصلت فقال وفي قولهِ نظرٌ لما ادخلهُ فيهِ من المزاعم المنقولة عن الأناجيل غير القانونيَّة ( راجع كتاب البدء للمقدسي ٣ : ١٢٣ ) :

وفي دينكم من ربّ مريم آيةٌ منبئةٌ بالعبد عيسى بن مريم
أنابتْ لوجه الله ثمَّ تبتّلت فسبَّح عنها (١ لومةَ المتلوّم
فلا هي همَّت بالنكاح ولا دنَتْ إلى بشر منها بفرج ولا فم
ولطّت حجابَ البَيْت من دون أهْلها تغيَّبُ عنهم في صحاريٍّ رِمْرِم (٢

---

١) سبَّح عنها أي أبعد عنها ونزَّعها

٢) يقال لطَّ البابَ إذا أغلَقَهُ. ورِمْرِم علَم مكان. والرِمرم أيضًا الحشيشة المشوكة المعروفة بالرَمْرام فنسب الصحاري إليها. يريد الشاعر أن مريم خرجت إلى الصحراء وهناك بشَّرها الملاك بمولد ابنها وهو قول استعارهُ الشاعر من مزاعم الكتبة غير القانونيين

يحارُ بها الساري إذا جنَّ ليلُهُ ... وليس وان كان النهارُ بُمعْلَم
تدلَّى عليها بعد ما نام أهلُها ... رسول فلم يَحْصَر ولم يَترَمرَم (١
فقال : ألاَ تَجْزَعي وتكذّبي (٢ ... ملائكةٌ من ربِّ عادٍ وجُرْهُم
أنيبي وأعْطي ما سُئِلتِ فإنّني ... رسولٌ من الرَّحْمانِ يأتيك بابنم (٣
فقالت لهُ أنّى يكونُ ولم أكُنْ ... بغيًّا ولا حُبْلَى ولا ذاتِ قيِّم (٤
أأخْرَجُ بالرَّحْمان ان كُنْتَ مؤمنًا ... كلاميَ فاقعُدْ ما بدا لكَ أو قم (٥
فسبَّح ثمَّ اعترَّها (٦ فالتقت بهِ ... غلامًا سويَّ الخَلْق ليس بتوْأم
بنفختهِ في الصدر من جيب دِرْعها ... وما يصرم الرحمنُ مِلْ أمْرٍ يُصْرَم (٧
فلمّا أتَمَّتهُ وجاءَت لوضعهِ ... فآوى لهم من لومهم والتندُّم (٨
وقال لها مَنْ حَوْلها : جئتُ مُنكَرًا ... فحقَّ بأن تُلْحَيْ عليهِ وتُرْجَمي (٩
فأدركها من ربّها ثَمَّ رحمةٌ ... بصدقِ حديثٍ من نبيّ مكلّم
فقال لها : انّي من الله آيةٌ ... وعلّمني والله خيرُ معلّم
وأرْسِلْتُ لم أرْسَل غويًّا ولم أكن ... شقيًّا ولم أبْعَثْ بفحشٍ ومأثم

أمَّا ( يوحنَّا المعمدان ) السابق أمام وجه المسيح فقد شاع ذكرهُ بين عرب الجاهليَّة وقد رأيت أنَّ إحدى الكتابتين العربيَّتين السابقتين لعهد الإسلام كانت على باب كنيسة في حوران مشيَّدة على اسم القديس يوحنَّا ( راجع الصفحة ٧١ مع رسم هذه الكتابة في الجدول ٦٨ ـ ٦٩ ). وقد ذكر القرآن في سورة عمران

---

١) حَصِر قصر عن الكلام. وترَمْرَم حرّك شفَتَيْه بالكلام. يريد أنَّ كلامهُ لم يكن كمثل كلام البشر
٢) أي لا تخيبي ظنَّهم فيكِ
٣) أعطي ما سُئِلْتِ أي ارضَيْ بما يطلبهُ منك الربّ. وابنم تفخيم ابن
٤) ذات قيم أي ذات زوج. والبيت ترجمة قول العذراء ( لوقا ١ : ٥ ) : « وكيف يكون ذلك وأنا لا أعرف رجلاً »
٥) حرج بالرحمان أي كفر والأصل مصحَّف بأَخرجُ. والمعنى كيف آثمُ أمام الرحمن. فإن صدّقتَ قولي فبهِ وإلاَّ فافعل ما بدا لك من إقامة أو ذهاب
٦) اعترَّها أي اعترض لها. يشير إلى قول الإنجيل أنَّ الروح القدس ظلَّلها فحبلت بنعمتهِ وقوَّتهِ بابنها المسيح دون زرع بشريّ. فالنفخة في صدرها مجاز
٧) صرَمهُ بتّهُ وفصلهُ. وقولهُ « مِلْ أَمْرٍ » أي من الأمر
٨) في البيت تصحيف. والمعنى أنَّ اليهود لمَّا رأوا ابنها شكُّوا في برارتها. وهو زعمُ من مزاعم أناجيل الزور ومثلهُ قولهُ عن المسيح أنهُ تكلم في المهد ليبرّر والدتهُ الطاهرة ورد ذلك في إنجيل الطفوليَّة المصنوع
٩) لحاهَ بكَّتهُ وعابهُ وفي الأصل : بأنَّ تُلْجَى وهو تصحيف

( ع ٣٣ و ٣٤ ) ما روى عنهُ القديس لوقا في الإنجيل من بشارة الملاك لأبيهِ زكريَّا ومن مولدهِ العجيب ووصفَهُ هناك بكونهِ « مصدّقًا بكلمة من الله وسيّدًا وحَصُورًا ونبيًّا من الصالحين » فاطرأ إيمانهُ ورفعة مقامهِ وعفَّتهُ ونبوَّتهُ

والعرب يدعون يوحنَّا المعمدان باسم ( يحيى ) وهو أيضًا مع اسم عيسى أحد أَلغازِ التبديل التي لم يذكر اللغويُّون سببها. ومن المعلوم أنَّ يوحنَّا اسم عبراني مركَّب من كلمتين « يوحنَّن » ( יוחנן ) أو « يهوحنن » ( יהוחנן ) أي حنَّ اللهُ وترحَّم ومنهُ السريانيَّة ܝܘܚܢܢ فكيف اذن قُلب بيحيا. على رأينا أنَّ الاسم قد تصحَّف في العربيَّة وذلك أنهُ كان في الأصل « يُحَنَّا » فكتبوهُ قبل وضع النقط والحركات « ﻳﺤﻨﺎ » فقرأوهُ « يَحْيَا أو يحيى » . ولا نرى وجهًا آخر لتعليل هذا التغيير الذي حدث كما نظنّ قبل الإسلام فجرى عليهِ المسلمون وهم يدعونهُ بيحيى بن زكريَّا النبيّ أو يحيى الحَصُور لعفافهِ عن النساء. وقد ورد اسم يحيى في الشعر الجاهليّ كما سترى

( والحَوَاريُّون ) تلاميذ السيّد المسيح عند العرب وقد اختلفوا أيضًا في أصل هذه اللفظة فقال البعض أنَّ معناها القصَّار لأنَّ رسل المسيح كانوا يقصرون الثياب وهو قول لا سند لهُ إذ لم يُعْرَف أحد من الرسل بمزاولة القصارة. وقال غيرهم هو من الحَوَر أي شدَّة بياض العين في شدَّة سوادها قالوا دُعوا بذلك لصفاء نيَّاتهم وقيل بل لأنَّهم كانوا صفوة الأنبياء ( راجع لسان العرب في مادَّة حور ). وإن صحَّ ذلك يكون اشتقاق الكلمة من السريانيَّة ܚܘܪܝܐ أولى ومعناها الأبيض والصافي البياض والنقيّ. والصواب أن اللفظة حبشيَّة (حَوَاري) ومعناها الرسول. وما لا ريب فيهِ أنَّ اللفظة سبقت الإسلام. وقد جاءت في القصائد المعروفة بالاصمعيَّات ( ص ٧٥ Ahlwardt. ) في بيت للضابئ بن الحارث بن ارطاة البرجميّ يشير إلى رغبة رسل المسيح في الموت لأجل سيّدهم استشهادًا :

وكرَّ كما كرَّ الحواريُّ يبتغيإلى الله زُلْفَى أَن يَكُرَّ فيُقْتَلاَ (١

وقال السموءَل يذكر الحواريّ ( راجع طبعتنا لديوانهِ ص ١٢ ) :

وسُلَيمن والحواريّ يحيى ومُتَى يوسفَ كأَنّي وليتُ

يريد بالحواريّ يحيى على ما نظنّ يوحنَّا الحبيب وكذلك ذكر متَّى الرسول فخفَّف.

---

١) ويروى : فيُقْبَلا

أَمَّا « يوسف » فلعلَّهُ يوسف المعروف باخي الربّ ( متَّى ١٣ : ٥٥ ) أو يكون يوسف اسم أبي متى كأنَّهُ مُتَى بن يوسف

ومؤنَّث الحوارّيين ( الحَوَاريَّات ) قالوا هنَّ نساء الأَمْصار لبياضهنَّ. قال أبو جلدة وهو مسهر بن النعمان اليشكريّ ( لسان العرب ٥ : ٢٩٩ ) :

فَقُلْ للحَوَاريَّات يبكينَ غيرنا ولا تبكَينَّا إلاّ الكلابُ النوابحُ
بكينَ إلينا خيفةً ان تُبيحها رماحُ النصارى والسيوف الجوارحُ

( قال ) : « جعل أهل الشام نصارى لأنها تلي الرومِ وهي بلادها »

## ٥ مفردات نصارى العرب الدالَّة على رؤسائهم ورهبانهم

وكان للنصارى في جزيرة العرب كما في بقيَّة البلاد نظامهم الدينيّ ورُتَبهم من رؤساء ومرؤوسين يسوسهم الرُّعاة وزعماء الدين. ويمتاز بينهم العبَّاد والمنقطعون لخدمة الله في الرهبانيَّة. والدليل على ذلك ألفاظ متعدّدة وردت في آثار عرب الجاهليَّة تشهد على قولنا شهادةً واضحة

فمن ألفاظهم التي استعملوها للدلالة على رئيس النصارى ( الأَبيل ) وقد اتَّخذوهُ للدلالة على السيّد المسيح كما ورد في البيت المنسوب للأعشى وللأخطل ولابن عبد الجن :

وما سبَّح الرهبان في كلّ بيعةٍ ابيلُ الابيلين المسيحُ بن مريما

قال في لسان العرب ( ١٣ : ٦ ) « وكانوا يعظِّمون الأَبيل فيحلفون بهِ كما يحلفون بالله » . وهذه اللفظة سريانيَّة ܐܒܝܠ ( من فعل ܐܒܠ أي ناح وبكى على خطاياهُ ) ومعناها في السريانيَّة الزاهد والناسك والراهب وكانوا يتَّخذون عادةً رؤساءَهم من الرهبان المتبتّلين

ومن ألفاظهم الخاصَّة برئيس النصرانيَّة « البَطْرَك » « وَالبِطَرْك » على ما جاء في التاج ( ٧ : ١١١ ) قال : « هو مقدَّم النصارى. وقال : البطرك هو البِطْريق ومنهم من جعل البطريق مقدَّم جيش الروم » والصواب أنَّ البطرك كلمة يونانيَّة ( Πατριάρχης ) معناها أبو الآباء أمَّا البطريق فلفظة لاتينيَّة ( Patricius ). وقد جاء اللفظان في الشعر القديم قال الراعي يصف ثورًا ( لسان العرب ٧٢ : ٢٨١ ) :

يعلو الظواهرَ فردًا لا أَليفَ لهُ مَشْيَ البِطَرْكِ عليهِ رَبْطُ كتّانِ

وقال أميَّة بن أبي الصلت في البطريق ( التاج ٦ : ٢٩٦ ) :

من كل بِطْرِيقٍ لِبِطْريقٍ نقيّ الوجهِ واضِحْ

وكذلك أنشد ابن برّيّ ( اللسان ١١ : ٢٠٣ ) :

فلا تنكروني انَّ قومي اعزَّةٌ بطارقةٌ بيضُ الوجوهِ كرامُ

ومن ألفاظهم ( الجَاثَليق ) وهو دون البطرك واصل الكلمة من اليونانيَّة ومعناها المسكوني ( Καθολικός ) وقد استعملوهُ لرؤساء النساطرة والارمن قال صاحب القاموس : « هو رئيس للنصارى في بلاد الإسلام بمدينة السلام ... ويكون تحت يد بطريق انطاكية ثمَّ المطران تحت يدهِ ثمَّ الاسقف يكون في كلّ بلد من تحت المطران ثمَّ القسيس ثمَّ الشمَّاس » . وقد ورد اسم الجاثليق في شعر بكر بن خارجة ( معجم البكري ص ٣٧١ ) :

بِمارَةِ مريمٍ وبدير زكّى ومَرْ توما ودير الجاثليقِ

أمَّا ( المَطْران ) فأَصلها على هذه الصورة من السريانيَّة ܡܛܪܦܘܠܝܛܐ أو ܡܛܪܦܘܠܝܬܐ والسريان اختصروها من ܡܛܪܘܢ ܕܡܕܝܢܬܐ اليونانيَّة ( μετροπολίτης ) ولم نجدها في الشعر القديم

واشيع من المطران عند العرب ( الأُسْقُف ) زعم ابن السكيت أنهُ مشتقّ من السَّقَف أي طول في انحناء وهو تأويل غريب. والصواب انهُ مشتقّ من اليونانيَّة ( ἐπίσκοπος ) بواسطة السريانيَّة ܐܦܣܩܘܦܐ . وقد وردت اللفظة في الكلام القديم. روى ابن سعد في كتاب الوفود في شروط محمَّد إلى أهل نجران : « لا يغيَّر أُسقف عن أسقفيَّتهِ ولا راهب عن رهبانيَّتهِ ولا واقف عن وقفانيَّتهِ » . وكذلك روى البكريّ في معجم ما استعجم للحسين بن الضحَّاك يصف دير العُمْر ( ص ٧٦٩ ) :

عجَّت اساقفُها في بيت مذبحها وعجَّ رهبانها في عرصة الدارِ

ومن ألفاظهم الدالَّة على رؤساء النصارى ( الحَبْر ) ويقال الحِبْر وأصلها العالِم ثمّ خصُّوها بكبير النصارى واستعملوها أيضًا لغيرهم. قال أيمن بن خُرَيْم يذكر خمر التقديس (الأغاني ١٦ : ٤٥) :

ولم يشهد القسُّ المُهَيْنِمُ نارَهاطروقًا ولا صلَّى على طبخها حَبْرُ

وجاء في الجمهرة :

أو زُبْر حِمْيرَ بينها احبارُها بالحميريَّة في عسيبٍ ذابلِ

وروى ابن هشام في سيرة الرسول ( ص ٣٨٥ ) قول الشاعر :

لو كنتُ مرتَهَنًا في القُوسِ أَفْتَنَني منها الكلامُ وربَّانيَّ أَحْبارِ

قال ابن هشام : القُوس صومعة الراهب والربَّاني مشتقّ من الربّ أي السيّد ومثلهُ الحبر بمعنى « السيِّد العالم » . وجاءَت الحبر بمعنى العالم من اليهود أو كبيرهم ومنهُ كَعْب الأَحبار. ويشبههُ قول الشمَّاخ ( اللسان ٥ : ٢٢٩ ) :

كما خطّ عِبْرَانيَّةً بيمينهِ بتَيْماءَ حبرٌ ثمَّ عرَّض أسطرا

وكما دُعي رؤساء النصارى بالاحبار دعوهم أيضًا ( بالأَرْباب ). قال حُمَيْد بن ثور (المخصَّص ١٢ : ٨٧) يصف بعيرًا يطأطئُ برأسهِ ليُرْكَب :

فُضولَ ازمَّتها أَسجدتْ سجودَ النصارى لأَربابها

وروى في التاج ( ٢ : ٣٧١ ) : « لأَحبارها »

ومن الألفاظ المختصَّة برئيس النصارى عند العرب ( الساعي ). قال في التاج (١٠ : ١٨٧) : « الساعي لليهود والنصارى رئيسهم الذي يصدرون عن رأيهِ ولا يقضون أمرًا دونهُ. وبالمعنَيَيْن فُسِّر حديث حذيفة في الأمانة : ان كان يهوديًّا أو نصرانيًّا ليردّنَّهُ على ساعيهِ »

وممَّا ذكرهُ اللغويُّون ( العَسَطُوس ) قال في التاج ( ٤ : ١٩٢ ) : « هو رأس النصارى واللفظة روميَّة » لم يمكنَّا ردُّها إلى أصلها ولعلَّها مصحَّفة

ومنها ( القسّ ) شرحهُ أصحاب المعاجم برئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم واللفظة سريانيَّة ܩܫܫܐ أي شيخ وتأتي على وزن فَعيل ܩܰܫܺܝܫܳܐ ومنها القسِّيس في العربيَّة. قال جرير في القسّ ( المعرَّب للجواليقي ص ٣٩ ) :

صبَّحن ثُوماءَ والناقوسُ يقرَعُهُ قسُّ النصارى حراجيجًا بنا تَجِفُ

قالوا ثُوماء من أعمال دمشق. ورواية معجم المستعجم للبكري ( ١ : ٢١٥ ) : ثرماءَ. قال ثَرْماء ماء لكندة. وروى في لسان العرب ( ١٤ : ٣٤٣ ) : « صبَّحن تَيْماءَ » . ومن الشواهد في القسّ قول الراجز ( اللسان ٨ : ٥٨ ) :

لو عرضَتْ لأيْبليّ قسٌّ أشْعَثَ في هيكلهِ مُندسٌّ حنَّ إليها كحنين الطّسِّ

ومنهُ اسم قسّ بن ساعدة خطيب العرب وأسقف نجران. وممَّا ورد في القسِّيس قول عبد الله بن زبير لحجَّار بن ابجر العجليّ ( الأغانيّ ١٣ : ٤٧ ) يقرّعهُ في نصرانيَّتِهِ :

وعندكَ قسّيسُ النصارى وصُلْبُها وغانيةٌ صَهْباءُ مثل جنى النَّحلِ

وجمعوهُ على قَساقسة. قال أميَّة بن أبي الصلت ( التاج ٤ : ٢٠٧ ) :

لـو كان مُنْفلتٌ كانت قَسَاقِسةٌ يحييهمِ الله في أيديهـمِ الزُّبرُ

والاسم من القس ( القسِّيسيَّة والقُسُوسة ) وفي الحديث « لا يغيَّر قسِّيس من قسّيسيَّتهِ » واللفظة مشتقَّة من السريانيَّة ܩܫܝܫܐ وبنى منها العرب فعل قسَّس

ودون القسّ ( الشمَّاس ) عرَّفهُ ابن سِيده في المخصَّص بقولهِ ( ١٣ : ١٠٠ ) : « من رؤوس النصارى يحلق وسط رأسهِ ويلزم البيعة » . واللفظة سريانيَّة ܫܡܫܐ أي خادم البيعة. وقد تسمَّى بعض العرب بالشماس كما ورد في الاشتقاق لابن دريد ( ٢٦٨ ) وفي حماسة أبي تمَّام ( ص ٢٥٥ ). وجمعَها خَلَفُ بن خليفة ( كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٤٨ ed. Goeje ) على شماميس فقال :

كأنَّا شماميسُ في بيعةٍ تُقَسِّسُ في بعض عِيدانها

وجمعها البحتري على شمامِسُ حيث قال ( معجم البلدان لياقوت ٢ : ٨٣ ) :

بين شمامسٍ وقسوسِ

ومن الألفاظ التي وردت في المعاجم لرتب النصارى الواقف والوافه والواهف. (فالواقف) على ما ورد في لسان العرب والقاموس والتاج خادم البيعة مشتقَّة من وَقَف النصرانيُّ وقِّيفَى إذا خدم البيعة ونقل في التاج ( ٦ : ٢٦٩ ) الحديث في كتاب محمَّد لأهل نجران « أن لا يُغيَّر واقفٌ من وِقّيفاهُ » ( قال ) : « الواقف خادم البيعة لأنهُ وقف نفسهُ على خدمتها » . وروى ابن سعد ( ed. Wellhausen. ٧٧ ) « من وقفانيَّتهِ » . و ( الوافه ) قد عرَّفوهُ « بقيِّم البيعة التي فيها صليب النصارى بلغة أهل الجزيرة » ( التاج ٩ : ٤٢١ ). وروى الحديث السابق : « لا يغيَّر وافه من وَفْهيَّتهِ » . والوفاهة كالوفهيَّة والواقه بالقاف كالوافه وروى الحديث أيضًا : « ولا واقه من وقاهيَّتهِ » . ومثلهما ( الواهف ) قال في التاج (٦ : ٣٧٣) : « الواهف سادن

البيعة التي فيها صليبُهم وقيّمها كالوافه وعمَلُها الوِهَافة بالكسر والفتح والوُهْفيَّة والهَفيَّة. وقد وَهَفَ يَهِفُ وَهفًا وَوهافةً. وقال ابن دريد في المخصَّص ( ١٣ : ١٠٠ ) : (( الوافه مقلوب عن الواهف ))

ومثل الوافه ( السَّاعور ) شرحها في التاج ( ٣ : ٣٦٨ ) : (( مقدَّم النصارى في معرفة علم الطب وادواتِهِ واصلهُ بالسريانيَّة ساعورا ومعناهُ متفقّد المرضي )) . والساعور ( ܫܥܘܪܐ ) في عهدنا تُقال في الجزيرة لقيّم البيعة وفي مصطلح السريان يُراد بها المدبّر والزائر مطلقًا

وأكثر ما تعدَّد عند العرب من المفردات النصرانيَّة الألفاظ الدالَّة على الرُّهبان ومساكنها. فمنها ( الأَبيل ) التي مرَّ ذكرها ومعناها الزاهد والراهب. وقد ذكرنا أصلها السريانيّ. ومن غريب التأويل ما ذكرهُ في التاج ( ٧ : ١٩٩ ) : (( الابيل الراهب سُمّي بهِ لِتَأَبُّلِهِ عن النساء وتَرْك غشيانهنّ قال عديّ بن زيد :

انّني والله فاقْبَلْ حِلْفتي بأبيلٍ كلّما صلَّى جأرْ

وقال ابن دريد : هو ضارب الناقوس وانشد :

(( وما صكّ ناقوسَ الصلاةِ ابيلُها ))

ومثل الأَبيل ( الأَيْبَلِيّ والأَيْبُلِيّ والهَيْبِلِيّ ) وكلُّها بمعنى واحد أي الراهب ولعلّها مقلوبة عن الابيل. قال الأعشى :

وَمَا أَيْبُلِيٌّ على هيكلٍ بناهُ وصلَّب فيهِ وصارا

واشهرُ من الابيل والايبليّ ( الرَّاهب ) فأَكثرَ من ذكرهِ شعراءُ العرب قال الأعشى (تاج العروس ١ : ٢٨٠) يحلف بمسوح الرهبان والكعبة :

حلفتُ بثَوْبَيْ راهب الدير والتي بناها قُصَيٌّ والمُضَاضُ بن جُرْهُمِ

أراد بثوبيْهِ مسحَيْهِ كما قال جرير ( التاج ٨ : ٦٩ وسيرة الرسول ٣٨٥ ) :

لا وَصْل إذ صرَمت هندٌ ولو وقَفَتْ لاستفتَنَتْني وذا المسحَيْنِ في القُوسِ

وروى البكري في معجم ما استعجم ( ص ٤٨٩ ) بيت الأعشى : (( بثوبَيْ راهب الطور )) وروى أيضًا (( وثوبَيْ راهب اللـُّجِّ )) ( راجع المفضَّليَّات ( ص ٤٨ ed. Lyall ) واردف البكري قائلاً : (( قيل انهُ أراد المسيح عليهِ السلام بقولهِ راهب اللجّ ... والتي بناها قُصَيّ يعني مكَّة ))

وكان رهبان جزيرة العرب يسكنون في التِلال وأعالي الجبال كما يشهد عليهِ بيت أنشدهُ ابن الاعرابيّ ( التاج ١ : ٢٨١ ) :

لو كلَّمَتْ رَهْبانَ ديرٍ في الفُلَلِلانْحدر الرَّهْبَانُ يسعى فَنزَلْ

قالوا الرَّهْبان هنا مُفرد كالراهب. وقال ربيعة بن مقروم الضبّيّ يصف مقام الراهب ونسكهُ ( الأغاني ١٩ : ٩٢ ) :

لو أنها عرَضت لأشْمَطَ راهبٍ في رأس مُشْرفةِ الذَرى متبتّلِ
جثَّار ساعات النيام لربّهِ حتى تخدَّد لحمهُ مُتَشَمْعِلِ
لصَبَا لبهجتها وحُسن حديثها ولَهَمَّ من ناقوسهِ يَتنزّلِ

والمتشمعل المتغنّي في تلاوة الزبور. قال الراعي ( معجم البلدان ٤ : ٥٠١ ) :

وسِربِ نساءٍ لو رآهنَّ راهبٌ لهُ ظلتةٌ في قلَّةٍ ظلَّ رانيا

يقال رنا إليهِ أي طرب لحديثهِ. وممَّا وصفوهُ وأفاضوا في ذكرهِ مصباحُ الراهب الذي يوقدهُ ليلاً لصلاتهِ فيُرى عن بُعْد ويستهدي بهِ طارق الليل. قال امرؤ القيس في معلَّقتهِ يصف لَمَعان البرق ويشبّههُ بسراج الراهب عند صبِّهِ الزيت على الفتيلة ليذكيَهُ :

أصاح ترى برقًا أُرِيكَ وميضَهُ كلَمْع اليدَيْن في حَبِيٍّ مكلّلِ
يُضيءُ سناهُ أو مصابيحُ راهبٍ أمال السليطَ بالذّبالِ المُفتّلِ

ومثلهُ قول كُثيّر ( اللسان ١٥ : ١٧٩ ) :

أو مصابيحَ راهب في يَفَاعٍ سغَّمَ الزيتَ ساطعاتِ الذُّبالِ

وقال امرؤ القيس ( راجع ديوانهُ في العقد الثمين ص ٢١ ) :

نظرتُ إليها والنجومُ كأَنَّها مصابيحُ رُهْبانٍ تُشَبُّ لقُفَّالِ

قال الشرَّاح : القفَّال عبَّاد النصارى لأنهم قفلت جلودهم أي يبست من العبادة. وقال المزرّد الشمَّاخ ( عن ديوانهِ المخطوط ) :

كأَنَّ شعاع الشمس في حُجُرَاتها مصابيحُ رُهْبانٍ زَهتها القنادلُ

وذكروا لبس الرهبان للسواد قال الأعلم ( في الهذيليَّات ص ٥٧ ) يصف قتمة جلد الضباع :

سودٍ سحاليلَ كأَنَّ جلودهنَّ ثيابُ راهبْ

وقد وصفوا الرهبان بالتبتُّل. قال امرؤ القيس ( ديوانهُ ص ١٤٨ ) :
تُضِيء الظلامَ بالعشاء كأَنَّها منارةُ مُمْسَى راهبٍ مُتبتّلِ

والصَّرورة مثل المتبتِّل (١ قال النابغة الذبيانيّ ( ديوانهُ في العقد الفريد ص ١١ )
لو أنَّها عرضت لأشْمط راهبِ عَبَدَ الإلهَ صَرُورةٍ متعبّدِ
لَرنا لرؤيتها وحسن حديثها ولخَلهُ رُشدًا وان لم يرشدِ

كذلك وصفوا صلاة الرهبان في ليلهم وتشعُّثُ لُمَّتهم زهدًا وأصوامهم. قال منظور الأسديّ ( راجع تهذيب الألفاظ لابن السكيت ص ٤١٢ ولسان العرب ١٣ : ٦ ) :
كأنَّ مهواهُ على الكَلْكَلِّ مَوْقِعُ كفَّيْ راهب يصلّي
ببازلٍ وَجْناءَ أو عَيْهَلِّ في غَبَشِ الصُّبح أو التتلّي

وقال الآخر ( اللسان ١٤ : ٨٩ ) :
عن راهبٍ متبتّلٍ متقَهّلٍ صادي النهارَ لِلَيْلِهِ متهجّدِ

القَهَل يُبْس الجلد من العبادة. والتهجُّد السهر للصلاة. وكانوا يتلون الزبور خصوصًا في صلاتهم كما قال امرؤ القيس يصف رسوم الدار ( ديوانهُ في العقد الثمين ص ١٦١ ) :
أَتت حججٌ بعدي عليهِ فأَصبحتْ كخطِّ زبورٍ في مصاحفِ رهبانِ

وكما أفاضوا في ذكر الرهبان كذلك بيَّنوا منازلهم في بلاد العرب فخصُّوا منها بلاد مَدْيَن قال كثيّر عزَّة ( معجم البلدان لياقوت ٤ : ٤٥١ ) :
رهبانُ مَدْيَنَ والذينَ عهدْتُهم يبكون من حَذَرِ العقاب قُعودا
لو يَسْمعونَ كما سمعتُ كلامها خرُّوا لعزَّةَ رُكَّعًا وسجودا

وقال جرير ( ياقوت ٤ : ٤٥١ ) :
رهبانُ مَدْيَنَ لو رأوكِ تَنزَّلواوالعُصْمُ من شَعَفِ الجبالِ الفَادرِ

وكذلك خصَّصوا وادي القرى كمناسك للرهبان قال جعفر بن سراقة أحد بني قرَّة (الأغاني ٧ : ١٠١) :
فنحنُ منعنا ذا القرى من عدوّنا وعذرةَ إذ نَلْقى يهودًا وبَعْثرَا

---

١) وفي الحديث. « لا صرورة في الإسلام » قال الزجاجيّ معناهُ التبتُّل وترك النكاح

منعنـاهُ من عليـا معدٍّ وأنتـمُ سفاسيفُ روح بين قرح وخيْبرا
فريقانِ رهبانٌ بأسفل ذي القرى وبالشام عرَّافون فيمن تنصَّرا

وكذلك عيَّنوا مَوْزَن وهو بلد بالجزيرة في ديار مُضر كأحد مناسك الرهبان. قال كثيّر ( راجع التاج ٣ : ٤٩٩ وياقوت : ٤ : ٦٨٠ ) :

كأنَّهمُ قَصْرًا مصابيحُ راهبٍ بمَوْزَنَ رَوَّى بالسليط ذَبَالَها
هم أهلُ الواح السريرِ ويُمْنهِ قرابين أردافًا لها وشمالهَا

قصرًا عشيًّا. والسليط الزيت كما مرَّ. وعدّد صخر الغيّ ( لسان العرب ٩ : ٢٧ والتاج ٥ : ٢٨٣ والهذيليَّات ص ١٣ ) أمكنةً أخرى يسكنها الرهبان كبلاد الروم ومنازل تنوخ وصَوَّران وزبَد. قال :

والله لو اسمعتْ مقالَتَها شيخًا من الشَّعْثِ رَأسُهُ لَبَدُ
مآبُهُ الرومُ أو تنوخُ أو م الآطام من صَوَّرانَ أو زَبَدُ
لَفَاتَحَ البَيْعَ يوم رؤيتها وكان من قبلُ بَيْعُهُ لَكَدُ

فذكرُهم للرهبان في كلّ هذه الأمكنة يؤيد قولنا في القسم الأوَّل عن شيوع النصرانيَّة في أنحاء جزيرة العرب

وكانوا يدعون الرهبان بالحُبساء. و ( الحبيس ) في المعاجم المحبوس في سبيل الله أي المُفْرَز لذلك فيقولون حبيس الله (١

وكذلك دعوا الرهبان ( بالحُنَفاء ). وقد مرَّ لنا كلام في الحنيف في القسم الأوَّل من كتابنا ( ص ١١٩ ) حيث أثبتنا أنَّ الحنيف جاءَت بمعنى الراهب. كفى شاهدًا على ذلك قول صخر الغيّ في الهذيليَّات ( ص ٤٥ ed. Kosegarten ) :

كأنَّ توالِيَهُ بالمَلاَ نصارى يساقون لاقَوْا حنيفا

ومن أسماء الراهب عند العرب ( الدَّيْرَانيّ ) قالوا انهُ صاحب الدير نسبةً إليهِ على شذوذ والصواب انهُ من السريانيَّة ܕܝܪܐ . ومنها أيضًا ( الرَّبيط ) قال الزجاجيّ : هو الراهب. وفي التاج ( ٥ : ١٤٣ ) : « الربيط الراهب والحكيم الذي ظلفَ أي ربط نفسهُ عن الدنيا أي سدّها ومنعها » . ومنها ( الجُلاذيّ ) و ( الجُلَذي )

---

١) اطلب كتاب المعمّرين للسجستاني ( Coldziher. *Abhandlungen*, XXII )

قال في التاج ( ٢ : ٥٥٧ ) هو خادم البيعة والراهب والجمع الجَلاذيّ بفتح الأوَّل وقد ورد في الشعر القديم قال تميم بن مُقبل :

صوتُ النواقيس فيهِ ما يفرّطَهُ أيدي الجلاذيّ جونٌ ما يعفيّنا
كأنَّ أصواتها من حيث تسمعُها صوت المحارث يخلجن المحارينا

ورُوي البيت الأوَّل : « الجلاذي وجون ما يغفيّنا » والثاني : « صوت المحابض ينزعنَ المحارينا »

ومن أسماء الراهب أيضًا ( النُّهاميّ ) جاء في المخصَّص لابن سيده ( ١٣ : ١٠٠ ): « النهاميّ في قول ابن الاعرابيّ الراهب لأنهُ ينهم أي يدعو. ومن المحتمل انَّها مستعارة من السريانيَّة ܢܗܡܐ أي الباكي والزاهد كما قالوا الابيل. أو هي مشتقَّة من الحبشيَّة كما ارتأى العلاَّمة نولدك ( Beitraege, p. 56 ). وجاءَت اللفظة في الشعر القديم قال الأسود بن يعفر ( لسان العرب ٢٠ : ٦٦ ) :

وقالوا شريسٌ يكفي شريسكم سنانٌ كنِبْراس النّهامي مفتَقُ
نَمتْهُ العصا ثمَّ استمرَّ كأنّـهُ شهابٌ بكفّي فارسٍ يتحرَّقُ

وقد رأيت انهم دعوا الراهب ( بالأَشْعث ) لتشعُّث لمتِّهِ قال الشاعر ( لسان العرب ١٩: ٣٤١ راجع أيضًا المفضَّليَّات ص ٤١١ ) :

وأَشْعَثَ عنوانٌ بهِ من سجودهِكَرُكْبَةِ عَترٍ من عنوزِ بني نَصْرِ

وقال صخر الغيّ :

شيخًا من الشُّعْثِ رأسهُ لبدُ

وقد سمَّوا الراهب ( المُقَدّس ) إذا زار بيت المَقْدس كما قال امرؤ القيس يصف ثورًا ادركتهُ الكلاب فقطَّعت جلدهُ :

فأَدْرَكتَهُ يأْخذنُ بالساق والنَّسنَا كما شَبْرَقَ الولدانُ ثَوْبَ المقدِّسِ

قال في اللسان ( ٨ : ٥٠ ) شبرق جلدَهُ أي قطَّعهُ. يقول قطَّعهُ الكلاب كما شبرق ولدان النصارى الراهب الذي يجيء من بيت المقدس فقطَّعوا ثيابهُ تبرُّكًا وكانوا يتبرَّكون بهِ وبمسْحِهِ الذي هو لابسهُ واخذ خيوط منه حتى يتمزَّق ثوبهُ وقيل المقدّس الحبر »

ومن أسماء الراهب عندهم ( المتعبِّد ) قال ابن سيده ( ١٣ : ١٠٠ ) : « هو المنقطع في الصومعة » وقد مرَّ في الشعر

وقد ابتنوا من الراهب اسمًا فقالوا « الرهبانيَّة » ومنهُ ما ورد في سورة الحديد ( ع ٢٧ ) : « وقفَّينا بعيسى بن مريم واتيناهُ الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتَّبعوه رأفةً ورحمةً ورهبانيَّةً ما كتبناها عليهم إلاَّ ابتغاء رضوان الله »

وكما ذكروا الراهب ذكروا ( الراهبة ) وجمعوها الرواهب. قال امرؤ القيس ( العقد الثمين ص ١١٨ والتاج ٤ : ٤٣ ) :

فآنستُ سربًا من بعيدٍ كأنَّهُ رواهبُ عيدٍ في مُلاَءٍ مُهَذَّبِ

ودعوا الراهبة أيضًا ( بالدَّيْرَانيَّة ) وردت اللفظة في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ( ص ٢٢٩ ) وفي معجم البكريّ (٢٧٧). ودعوا الرواهب أيضًا ( بالعذارى ) ومنهُ عدَّة اديرة وصفها العرب وسمَّوها أديرة العذارى ( راجع البكري ص ٣٧٦ وياقوت في معجم البلدان ٣ : ٦٧٨ ) ومنهُ صوم العذارى « للعذارى النصرانيَّات من العرب شُكْرًا لله حيث انتصرت العرب من العجم يوم ذي قار » ( الآثار الباقية للبيروني ص ٣١٤ )

وعلى ظنّنا أنَّ ( الحَوَاريَّات ) أرادوا بها أيضًا العذارى الرواهب قال مُسهر اليشكري ( اللسان ٥ : ٢٩٩ ) :

فَقُلْ للحَوَاريَّات يبكينَ غيرنا ولا تبكينَّا الاَّ الكلابُ النوابحُ

ويلحق باسم الراهب « المحرَّر والنَّذيرة » ورد ذكرهما في المخصَّص (١٣ : ١٠١) في باب الرهبانيَّة ونحوها قال : « هما الابن أَو الابنة يجعلهُ أبواهُ قيِّمًا وخادمًا للكنيسة وانَّما كان يفعل ذلك بنو إسرائيل كان ربَّما ولد لأحدهم ولد فحرَّره أي جعلهُ نذيرةً في خدمة الكنيسة ما عاش لا يسعُهُ تركها » . وقد وردت لفظة المحرَّر في القرآن عن لسان والدة العذراء مريم فقال ( سورة آل عمران ٣ : ٣١ ) : « إذ قالت امرأَتُ عِمْران ربِّ انّي نذرتُ لك ما في بطني محرَّرًا » . والنذيرة من العبرانيَّة נזיר أي المنذور للربّ

وهذه ألفاظ أُخرى نردفها باسماء الرهبان وردت أيضًا في لغة أهل الجاهليّة منها (السائح) بمعنى الراهب المتفرّد في الاقفار ذكرها ابن هشام في سيرتهِ ( ص ٢٠ )

عن أوَّل داعٍ للنصرانيَّة في نجران. وذكرها المؤرخون عن نعمان ملك الحيرة لمَّا ساح في الأرض بعدَ تنصُّرهِ وزهدهِ. والاسم السياحة قال في التاج ( ٢ : ١٦٨ ) : « السياحة والسُّيوح والسَّيَحَان والسَّيْح الذهاب في الأرض للعبادة والترهُّب ( قال ) : ومنهُ المسيح عيسى بن مريم عليهِ السلام في بعض الأقاويل لأنهُ كان يذهب في الأرض فأينما أدركهُ الليل صفَّ قدميهِ وصلَّى حتى الصباح » وقد مرَّ بك أن هذا الاشتقاق ليس بصواب

ومنها ( الناسك ) وهو المتعبّد المتقرّب إلى الله بالصوم والصلاة وأعمال البرّ أطلقها العرب على الراهب. والاسم النُّسك بتثليث أوَّلها

وكان الرهبان يحلقون وسط رأسهم وهي ( القـُوقة ) والرجل مقوَّق. جاء في كتاب الاضداد ( ص ١٣٢. وفي اللسان ١٢ : ٢٠٠ ) :

أيُّها القسُّ الذي قد حَلَق القوقةَ حلقَهْ
لو رأيتَ الدفّ منها لنسقتَ الدفَّ نَسْقَهْ

ومنها ( الحازي والعرَّاف والكاهن ) وهي ألفاظ التبست عليهم فتردَّدوا في معانيها. ولا شكّ أنها أُطلقت أيضًا على نصارى الجاهلية. فالحازي عندهم « الكاهن والعائف والعالم بالأمور » ( راجع التاج في المادَّة ) واللفظة معرَّبة من العبرانيَّة ( חזה ) أي الناظر والنبي أو مأخوذة من السريانيَّة ܚܙܐ أو ܫܘܪܝܐ أي المتفقّد والناظر والحكيم أرادوا بها رئيس الدين لحكمتهِ ولعلَّها ترجمة اليونانيَّة ( ἐπίσκοπος ) بمعنى الناظر أي الأسقف والراعي الديني

وكذلك ( العرَّاف ) أرادوا بها الساحر والمنبئ بالمستقبل عمومًا. وقد خصُّوا بها النصارى قال جعفر بن سراقة في شعر مرَّ ذكرهُ ( ص ٥٩٨ ) :

فريقانِ رهبان بأَسفل ذي القرى وبالشام عرَّافون فيمن تنصَّرا

ومثلهما ( الكاهن ) فانَّها وردت بمعنى مدَّعي معرفة الأسرار والمتعاطي أخبار الكائنات في الماضي والمستقبل. والاسم الكَهَانة. لكن للكاهن معنى آخر لم يجهلهُ العرب في الجاهليَّة نريد بهِ معنى خادم الدين ومقرّب الأقداس للإله وهو معناها في العبرانيَّة ( כהן ) وفي الآرامية ܟܘܡܪܐ فلا بُدَّ من القول أنَّ العرب استعاروهُ منهما للدلالة على كهنة اليهود والنصارى وقد رأيت في فصولنا السابقة عن تاريخ

النصرانيّة في جزيرة العرب شيوع هذا الدين في كل أنحاء العربيَّة. والدين المسيحي لا يقوم إلاَّ بالنظام الكنسيّ أي بوجود أساقفة وكهنة ومنهُ يتَّضح أنَّهم لم يريدوا بلفظة الكاهن السَّحَرة والمشعوذين فقط بل أخذوها أيضًا بمعناها الخاصّ أي راعي الدين القويم وخادم الأسرار المقدَّسة وإن لم ينصُّوا عليهِ. وقريب منهُ قول صاحب لسان العرب ( ١٧ : ٢٤٥ ): « العرب تسمّي كلَّ من يتعاطى علمًا دقيقًا كاهنًا ومنهم من كان يسمّي المنجّم والطبيب كاهنًا » فطبيب الأرواح أحقّ بهِ من سواه. وفي تاريخ عرب الجاهليّة أخبار بعض الكهَّان الذين دعوا إلى الله وردُّوا عن المنكر وأرشدوا إلى الخير ما يدلّ على أنَّهم كانوا أرفع مقامًا من السَّحَرة

## ٦ مفردات نصارى الجاهلية الخاصَّة بكنائسهم وأقداسها

سبق لنا عدَّة ألفاظ مشتركة استعملها نصارى العرب لمناسكهم وعباداتهم كما سبقوا غيرهم إلى استعمالها كالمسجد والكعبة والمحراب والمنارة والمئذنة. ولهم ألفاظ أُخرى خاصَّة بهم تجري عندهم حتى اليوم وكانت شائعة قبل الإسلام كما سترى

منها ( الكنيسة ) وهي لفظة ساميَّة معناها المجمع عبرانيَّتُها כנישתא وسريانيَّتُها ܟܢܝܫܬܐ فاتت بمعنى محلّ صلاة اليهود والنصارى ومنهم من يجعل الكنيسة للنصارى والكنيس لليهود. ومن الشواهد على استعمال اللفظة قديمًا لمعبد النصارى قول جرير يهجو بني تغلب النصارى ( الكامل للمبرّد ص ٤٨٥ ed. Wright ) :

ما في مقام ديارِ تغلبَ مسجدٌوبها كنائسُ خَنثَمٍ ودِنان

( قالوا ) الحَنْتم الخزَف الأخضر

واشيع منها لفظة ( البيعَة ) وهي سريانيَّة ܒܥܝܬܐ ومعناها البَيضة والقبَّة اشارة إلى شكل بناء الكنائس قديمًا وذكرُها مكرَّر في الشعر الجاهليّ. قال ورقة ابن نوفل ( الأغاني ٣ : ١٦ ) :

اقولُ إذا صلّيتُ في كلّ بيعةٍ تباركتَ قد اكثرتَ باسمكَ داعيا

ومثلهُ للزبرقان بن بدر التميميّ لمَّا وفد على نبيّ المسلمين ( سيرة الرسول لابن هشام ص ٩٣٥ ) :

نحن الكرامُ فلا حيٌّ يعادِلُنا منَّا الملوكُ وفينا تُنصَبُ البيَعُ

وأقدم منهما قول لقيط بن مَعْبد في عينيَّتهِ التي وجَّهها إلى قومه ليحذّرهم من كسرى ذي الأوتاد ( مختارات شعراء العرب لهبة الله العلويّ ص ٣ وتاج العروس ٥ : ٢٨٥ ) :

تامَتْ فؤادي بذاتِ الخالِ خَرْعَبَةٌ مرَّت تريد بذاتِ العَذْبَةِ البيَعا

( قال ) : ذات الخال وذات العذبة مكانان. ويروى : بذات الجذع. وروى في التاج « نامت .. خزعتهُ » وهو تصحيف. ومثلهُ قدمًا قول عبد المسيح بن بقيلة ( معجم البلدان لياقوت ٢ : ٦٥١ ) :

لكم تجرَّعتُ بدَيْر الجَرَعَهْ غصصًا كَبْدي بها مُنْصَدِعهْ
من بدورِ فوق أغصانِ على كثبٍ زُرْنَ احتسابًا بيَعَهْ

ومنها ( القُلَّيْس ) قال في المخصَّص ( ١٣ : ١٠٣ ) : « القُلَّيْس بيعةٌ كانت بصنعاء للحبشة هدمَتْها حِمْيرَ » . واللفظة دخيلة أصلها من اليونانيَّة Ἐκκλησία. وقد وصف قدماء الكتبة هذه الكنيسة بأوصاف تدلُّ على حسنها وفخامة بنائها وكان بانيها الملك أبرهة ( راجع ما نقلناهُ من أقوالهم في مجاني الأدب ج ٣ ع ٤٠١ وج ٧ ص ١٢٩٦ )

ومنها ( السعيدة ) جعلها ابن سيدة ( ١٣ : ١٠٣ ) وياقوت ( ٤ : ٧٥٦ ) في جملة مناسك النصارى وقالا عنها انَّها « بيتٌ كانت تحجُّهُ ربيعة في الجاهليَّة » وقد مرَّ بك ذكر تنصُّر ربيعة

———

واجلُّ ما في البيعة ( هَيْكَلُها ) وهو صدورها حيث تُقام الصلوات والرتب واللفظة عبرانيَّة היכל وآرامية ܗܝܟܠܐ وهي فيهما بناء العبادة الكبير. والهيكل في العربيَّة البناء العظيم واستُعمل لكلّ كبير الجسم. قال التبريزي في شرح الحماسة ( ص ٢٩ ) : « الهيكل اصلهُ في البناء » . وقال في الأغانيّ : « الهيكل العظيم من الخيل والشجر. ومنهُ (؟) سُمّي بيت النصارى الهيكل » . وقد ورد بهذا المعنى في الشعر الجاهليّ. قال عنترة ( راجع العقد الثمين ص ١٨١ ) :

تَمْشي النعامُ بهِ خَلاءً حولَهُ مَشْيَ النصارى حولَ بيت الهيكلِ

قال في المخصَّص ( ١٣ : ١٠٤ ) : « الهيكل بيت النصارى فيهِ صورة مريم عليها السلام ... وربَّما سُمّي بهِ ديرهم » وفي لسان العرب ( ١٤ : ٢٢٥ ) :

« الهيكل بيت النصارى فيهِ صورة مريم وعيسى » . وقال الأعشى ( الاضداد ص ٢٤ ولسان العرب ٦ : ١٤٤ ) يذكر الهيكل :

وما ابيليٌّ على هيكل  بناهُ وصلَّب فيهِ وصارا

ومثلهُ قول الآخر وقد مرَّ :

وما قدَّس الرهبانُ في كلّ هيكلٍ  ابيلُ الابيلين المسيح بن مريما

وفي الهَيْكل ( المَذْبَح ) وهو محلّ التقديس والقربان. واصلهُ محلّ الذبح وتقدمة الذبيحة فاستعملوهُ مجازًا قال في التاج ( ٢ : ١٣٨ ) : « ومن المجاز المذابح للمحَاريب والمقاصير في الكنائس وبيوت كُتب النصارى. سُمّيت بالمذابح للقرابين » . وقال في أساس البلاغة ( ١ : ١٩٢ ) : « مررتُ بمذابح النصارى وهي محاريبهم وموضع كتبهم ونحوها المناسك للمعتقدات »

قال الحسين بن الضحَّاك ( راجع معجم البكري ص ٣٦٩ ) :

عجَّت أساقفُها في بيت مَذْبَحها  وعجَّ رهبانُها في عرصة الدارِ

وكان للكنائس ( محاريبُها ) وقد مرَّت. واخصّ ما كانوا يزينون بهِ هياكلهم (الصَّليب) تنويهًا بموت السيّد المسيح مصلوبًا. وقد تكرَّر ذكرهُ في الشعر الجاهلي وجمعوهُ على صُلْب وصُلُبان وصرَّحوا بعبادة النصارى للصليب وباتخاذهم لهُ كقبلة وكرأْية. وقد أَقسم بهِ عديّ بن زيد فقال ( الأغاني ٢ : ٢٤ ) :

سعى الاعداءُ لا يألونَ شرًّا  عليكَ وربِّ مكَّة والصليب

راجع أيضًا ما قيل في القسم الأوَّل عن إكرام النصارى لمكَّة في الجاهليَّة (ص ١١٨). وممَّن ذكروا الصليب النابغة الذبيانيّ ( تاج العروس ١٠: ٣٣٧ ) قال :

ظلَّت اقاطيعُ انعامٍ مؤبَّلةٍ  لدى صَليبٍ على الزوراء منصوبُ

قال الصغَّاني ( Lane s.v ) : « سمَّى النابغة العَلَم صليبًا لأَنَّهُ كان على صليب لأنهُ كان نصرانيًّا » وقال شارح ديوان النابغة ( شعراء النصرانيَّة ص ٦٥٥ ) : « أراد النابغة صليب النصارى وكان النعمان نصرانيًّا » . وقد ذكر الأخطل خروج النصارى لحروبهم والصليب يتقدَّمهم ( ديوانهُ ص ٣٠٩ ) :

لمَّا رأَونا والصليبَ طالعا  خلَّوا لنا رازانَ والمزارعا

وممَّن صرَّحوا بعبادة العرب للصليب حجَّار بن أَبْجر قال يهجو بني عجل النصارى (الأغاني ١٣ : ٤٧) :

تُهدّدني عجلٌ وما خلتُ انّني خلاةٌ لعجلٍ والصليبُ لها بَعْلُ

أي تعبد المصلوب. وروى في التاج ( ١٠ : ٩٠ ) للأُقيشر :

في فتيةٍ جعلوا الصليبَ إلهَهُمْ حاشاي اني مُسلمٌ معذورُ

وكانوا يسِمون جباههم بالصليب قال حجَّة الدين الصقليّ في كتاب أَنباء نجباء الأَنباء لخالد بن يزيد في امرأتهِ رَمْلة الزبيريَّة ( ص ٩٤ ) :

أحبُّ بني العوَّام طَرًّا لأجلها ومن أجلها حبَّبت أخْوَالها كَلْبَا
فان تُسلَمِي أسْلِم وان تتنصَّري يخَطّ رجالٌ بين أعينهم صُلبا

وبنوا من الصليب فعلاً فقالوا صلَّب أي رسم الصليب كما رأيت في شعر الأعشى :

فما أيبليٌّ على هيكلٍ بناهُ وصَلَّب فيهِ وصارا

———

وكان نصارى العرب كما غيرهم يزينون كنائسهم بنقش الصور ونصب التماثيل فيكرمونها نسبةً إلى ما تمثّلهُ لهم من أولياء الله وفضائلهم. ولنا في شعر أهل الجاهليَّة عدَّة شواهد على ذلك. فذكروا ( الصورة ) وهي هيئة الشيء وشكلهُ لاسيَّما هيئة أولياء الله. وقد سبق في باب تاريخ النصرانيَّة بين عرب الحجاز ( ص ١١٦ ـ ١١٧ ) انَّ العرب كانوا وضعوا في الكعبة صورة « الملائكة والأنبياء كموسى ومريم وعيسى » : وممَّن ذكروا الصور النصرانيَّة الأعشى كما سبق فبنى من الصورة فعل « صارَ » :

وصلَّب فيهِ وصارا

يريد الراهب الذي نصب الصليب في الهيكل وزانهُ بالصور. وتسمَّى الصورة (تمثالاً) قال في التاج ( ٨ : ١١١ ) : « التمثال الشيء المصنوع مشبَّهًا بخَلْق من خلق الله عزَّ وجلّ. ( قال ) والتماثيل هي صور الأنبياء وكان التمثيل مباحًا في ذلك الوقت » . وكانت تلك الصور تُتْقن بالفن وينقشونها بالألوان ويطلونها بالذهب. قال عبد الله بن عجلان (الأغاني ١٩: ١٠٢) :

غرَّاءُ مثل الهلالِ صورتُها ومثل تمثالِ صورةِ الذَّهَبِ

( قال ) ويروى : بيعة الذهب. وروى ياقوت لشاعر قديم ( ٣ : ٥٢٥ ) :

حتى إذا كُنَّ دُوَيْن الطِرْبالْ بَشّرَ منهُ بصهيلٍ صَلْصَالْ
مطهَّر الصورة مثل التمثالْ

ومثلهُ للأخطل ( ديوانهُ ص ١٢ ) :

حَلْيٌ يشبُّ بياضَ النّحْر واقدُهُكما تُصَوَّرُ في الدير التماثيلُ

وكانوا يطوفون حول الصور لاسيَّما في اعيادهم. قال الحارث بن خالد المخزومي (الأغاني ١٥ : ١٣٣) :

وبشرةُ خَود مثل تمثالِ بيعةٍ تظلُّ النصارى حولَهُ يومَ عيدها

ومثل الصورة والتمثال ( الدُّمْية ) جمعُها الدُّمى واصلها من السريانيَّة ܕܡܘܬܐ ومعناها الشبه. قال في التاج ( ١٠ : ١٣١ ) : « الدُّمْية الصورة المنقَّسة من الرخام ( عن الليث ). وفي الصحاح : الصورة من العاج ونحوه أو عامّ من كلّ شيء مستحسن في البياض أو الصورة عامّة ( وهو قول كراع ). قال ابن الأثير : هي الصورة المصوَّرة لأنَّها يُتنوَّق في صنعها ويُبالَغ في تحسينها... والدمية أيضًا الصَّنم... لتزيينها وتنقيشها كالدُّمى المصوَّرة » . ولذلك ضربوا المثل في حسنها فقالوا : « أحسن من دُمية ( أمثال الميدانيّ ١ : ٣٠٠ ) وقد شبَّهوا بها نساءَهم قال الأعشى ( التاج ٦ : ٣٤٤ ) :

وحُورٍ كأَمثال الدُّمى ومناصفُ

وكان سبقهم داود النبيّ إلى هذا التشبيه فوصف في المزامير ( مز ١٤٣ : ١٢ ) : بنات المنافقين « المتزيّنات كدُّمَى الهياكل » . ومعظم الشعراء القدماء الذين ذكروا الدُّمى خَصُّوا بها بيَع النصارى ومحاربيهم دلالةً إلى عادتهم المألوفة بتزيين كنائسهم بالصور ليكرموها لا ليعبدوها كالأصنام قال عديّ بن زيد ( في الكامل للمبرَّد ed. Wright, 460 ) :

كَدُمى العاج في المحاريب أو كالبَيْض في الروضِ زهرهُ مستنيرُ

ومثلهُ للأخوص في الإسلام ( الأغاني ٤ : ١٤٢ ) :
كأَنَّ لُبْنى صَبيرُ غاديةٍ أو دميةٌ زُيّنت بها البِيَعُ

وقال عُمر بن أبي ربيعة ( الكامل ص ٣٧٠ ) :
دميةٌ عند راهبٍ ذي اجتهادٍ صوَّروها في جانب المحرابِ

وقال أميَّة بِن أبي عائذ ( ديوان الهذليّين ص ١٧٧ ) :

أو دميةٌ المحراب قد لعبتْ بها ايدي البُناةِ بزُخرفِ الإِتْراصِ

وتبعهُ أبو العتاهية فقال ( الأغاني ٣ : ١٥١ ) :
كأنَّ عتَّابةَ من حسنها دُمْيةُ قسٍّ فتنت قسَّها

وممَّن وصفوا الدُّمَى امرؤ القيس حيث قال ( ديوانهُ في العقد الثمين ص ١٢٨ ) :
كأنَّ دُمى سُقْفٍ على ظَهر مرمرٍ كسا مُزبَدَ الساجوم وشيًا مصوَّرا

ومثلهُ النابغة الذبيانيّ ( العقد الفريد ص ١٠ ) :
أو دميـةٍ من مرمرٍ مرفوعةٍ بُنيتْ بآجـرٍّ تُشادُ وقَرْمَد

وكذلك قال عبيد بن الأبرص ( الأغاني ١٩ : ٨٦ ) :
واوانسٌ مثـل الدُّمَىحورُ العيونِ قد استُبينا

وقال سُلْمى بن ربيعة ( الحماسة ص ٥٠٦ ed. Freytag ) :
والبيض يرفُلْنَ كالدُّمَى في الرَّيْط والمُذهب المَصُونِ

وقال زياد بن حَمل ( الحماسة ٦١٤ ) :
فيها عقائل أمثـالُ الدُّمَى خُرُدٌلم يَغْذُهنَّ شَقا عيشٍ ولا يَتمُ

ويظهر من شعرهم انَّ هذه الدُّمى كانت تُصطنع في بعض أنحاء العرب كَهَكِر قيل انـهُ موضع في اليمن قال امرؤ القيس ( ديوانهُ ص ١٢٤ في العقد الثمين ) :
كناعمتَين من ظِباء تبالةٍ على جؤذرَيْن أو كبعض دُمَى هَكسِرْ

وكذلك ميسنان وقيل انها مَيْسان بين الواسط وبصرة قال سُحَيم :
وما دميةٌ من دُمَى مَيْسَنا نِ معجبةٌ نظرًا واتّصافًا

ولعلَّهم اطلقوا أيضًا على الصورة اسم ( النُّصْب ) وهو في الأصل كل ما كان يُنْصَب فيُعْبَد من دون الله تعالى والجمع أنصاب ويقال نُصُب بضمَّتين والجمع نَصَائب. وقد خصُّوها بعبادة الأوثان فأرادوا بها حجارةً كانت حول الكعبة كانوا يصبُّون عليها دماء الذبائح. ولعلّ النصارى أرادوا بها معنى الصورة عمومًا دون الوثن لورود اللفظة في شعر البعض منهم

وأَعجب من هذا انَّهم استعملوا لفظة ( الوثن ) للدلالة على صورهم والكلمة حبشيَّة بهذا المعنى وقد استعملها الأعشى بمعنى الصليب. قال ( المفضليَّات ص ٥٤٩ ed. Lyall ولسان العرب ١٧ : ٣٣٤ ) :
يطوفُ العفاةُ بأبوابـهِ كطَوْف النصارى ببيت الوثنْ

( قال ) اراد بالوثن الصليب

———

وقد امتازت كنائس النصارى ( بالناقوس ) وكان قديمًا خشبةً طويلة يقرعون عليها بخشبة قصيرة اسمها ( الوَبيل ) أو ( الأَبيل ) يقال نَقَس بالوبيل الناقوس نَقْسًا إذا ضربهُ ثمَّ جعلوا بدلاً من الخشبة لوحًا من نحاس كانوا يقرعون عليهِ. وهو اليوم ( الجَرَس ) على صورة نصف المخروط وهو عربيّ أيضًا ذكرهُ في التاج قال ( ٤ : ١١٨ ) : « والجرس الجلجل ... والذي يُضْرَب بهِ » . وتكرَّر في الشعر الجاهليّ ذكر النواقيس. قال المتلمِّس يذكر خروجهُ إلى بلاد غسَّان حيث كثرت الكنائس والنواقيس ( راجع طبعتنا لديوانهِ ) :

حنَّت قَلُوصي بها والليلُ مُطَّرِقٌ بعد الهدوِّ وشاقَتْها النواقيسُ

قولهُ « بعد الهدوّ » أي عند السَّحَر لانَّ عادة الرهبان أن يقرعوا نواقيسهم للصلاة قبل الفجر. ومثلهُ قال المرقّش الأكبر ( المفضَّليات ص ٤٦٥ ) :

وتسمعُ تَزْقَاءً من البوم حولنا كما ضُرِبت بعد الهدوِّ النواقسُ

ومثلهما للأَعشى ( راجع الجوهري في مادَّة حدّ ) ويروى لعنترة ( العقد الثمين ص ١٧٩ ) :

وكأْسٍ كعين الديك باكرتُ حدَّها بفتيانِ صدقٍ والنواقيسُ تُضْرَبُ

وقال الأسود بن يعفر وجمعَ الناقوس على نُقُس ( التاج ٤ : ٢٦٣ ) :

وقد سبأْتُ لفتيان ذوي كرمٍ قبلَ الصباح ولمَّا تُقْرَعِ النُّقُسُ

وأكثر ما كانت النواقيس في الدساكر والقرى قال لبيد ( ديوانهُ ص ١٣٧ ) :

فصدَّهم منطقُ الدُّجاجِ عن العَهْد وضربُ الناقوس فاجتنبا

قال الشارح : « والناقوس انَّما يكون في القرى فلمَّا مرُّوا بالقرى كرهوا دخولها فعدلوا عنها واجتنبوها وكانت قصدًا على الطريق » . ومثلهُ للجعديّ :

ودسكرةٍ صوتُ أبوابها كصوتِ الموائح بالحَوْأبِ
سبقتُ صياح فراريجها وصوتَ نواقيسَ لم تُضرَبِ

وكان ضارب الناقوس الراهب والراهبة والقسّ. قال ربيعة بن مقروم من أبيات مرَّت ذكر فيها الراهب ( الأغاني ١٩ : ٩٢ ) :

لَصَبا لبهجتها وحُسن حديثها ولَهَمَّ من ناقوسهِ يتنزَّلِ

وروى في الأغاني لبعض الاغفال عن راهبة :

تضربُ بالناقوسِ وَسْط الدَّيْرِ قبل الدُّجاجِ وزقاءِ الطَّير

ومثلهُ لجرير في القسّ ( البكريّ ٢١٥ ) :

صبَحنَ ثَرْمَاءً والناقوسُ يقرعهُ قُسُّ النصارى حراجيجًا بنا تجفُ

وقال جرير أيضًا ( البكري ٣٦٨ ) :

لمَّا تذكرتُ بالديرَيْن ارَّقني صوتُ الدجاج وقَرْعٌ بالنواقيسِ

وقال الأعشى ودعا ضارب الناقوس بالأَبيل وهو أيضًا الحبر كما مرَّ ( راجع حماسة البحتري ص ٥٦ ) :

فانيّ وربّ الساجدينَ عشيةً وما صكّ ناقوسَ الصلاة أبيلُها
أصالحكم حتى تبوُّوا بمثلها كصرخة حُبلى بشّرتها قَبُولها

ويؤيد ذلك قول المثل في القاموس : « رأيت أَبيلاً على وَبيل » أي حبرًا على عصا رعايتهِ. وقيل بل الابيل هو عصا الناقوس كالوبيل

أمَّا ( الجَرَس ) فلم نجدهُ في شعر قديم. وانَّما ورد ذكرهُ في الحديث قال في أُسد الغابة لابن الأثير ( ١ : ٣٥١ ) عن لسان محمَّد في الوحي : « أحيانًا يأتيني ( أي الوحي ) في مثال صلصلة الجَرَس » . وفي حديث آخر رواهُ مسلم ( ٤ : ٤٥٠ ) : « الجَرَس مزامير الشيطان (١ »

---

وكانوا ينيرون كنائسهم بالأنوار ويسرجون فيها السُّرج ويضيئُونها بالمصابيح قال عمر ابن أبي ربيعة ( الأغاني ١٥ : ٧ ) :

نظرتُ إليها بالمحصَّب من مِنى ولي نظرةٌ لولا التحرُّجُ عارمُ
فقلتُ اشمسٌ ام مصابيحُ بيعةٍ بدت لك خَلْف السُّجْفِ أم أنتَ حالمُ

وكانوا على الأخصّ يقيمون فيها الرتب الدينيَّة. مرَّ ذكر صلاتهم وسجودهم وتسبيحهم في كنائسهم. وكانوا يقرّبون القرابين في القدَّاس ومنهُ قول الأعشى :

وما قدَّس الرهبان في كلّ هيكلٍ ...

ومثلهُ قول البكري في معجم ما استعجم ( ص ٣٦٩ ) يصف رتبة قدَّاس النصارى « وضجَّ الرهبان بالتَقْديس »

---

١) اطلب Goldziher : *Abhhandl. z. arab. Philologie*, .p. 189

ومن مناسكهم ( القُرْبان ) هو في الأصل كلُّ ما يُتقَرَّب بهِ إلى الله. وقد خُصَّت بقربان النصارى. قال أميَّة ( كتاب البدء ٢ : ١٤٥ ) :

ايَّام يَلْقى نصاراهم مسيحَهُمُ والكائنينَ لهُ ودًّا وقرْبانا

وروى في اللسان لجرير ( ١٥ : ١٢٥ ) :

أو تتركون إلى القسِّين هِجْرَتكم ومَسْحكم صُلْبَهم رَخْمان قرْبانا

وقد بنوا منهُ فعلاً ( تقرَّب ) إذا أخذ القربان. قال الأعشى يمدح هوذة بن عليّ النصرانيّ الذي اعتق مئة من أَسرى تميم يوم الفصح ( تاريخ الطبري ١ : ٩٨٧ ) :

بهم تقرَّبَ يوم الفِصْح ضاحيةً يرجو الالهَ بما أَسدى وما صَنَعا

ومثلهُ ما اخبر صاحب الأغاني ( ٢ : ٣٢ ) عن عديّ بن زيد وهند بنت النعمان كيف دخلا يوم خميس الفصح كنيسة الحيرة « ليتقرَّبا » يريد تناولهما الفصحيّ

وكانوا يدعون القربان ( الشَّبَر ) ولعلَّ اللفظة سريانيَّة « ܫܒܥܬܐ » وهي الطعام والغذاء أرادوا بها قوت النفوس وقد وردت في الشعر القديم. قال عديُّ بن زيد يحلف بالقربان ( شعراء النصرانيَّة ٤٥٢ ولسان العرب ٦ : ٥٨ ) :

إذ أتاني نبأٌ من مُنْعمٍ لم أَخُنْهُ والذي أَعطى الشَّبَرْ

قال الشارح : « الشبر هو الإنجيل والقربان » . وقد وردت الكلمة في شعر العجَّاج فافتتح إحدى اراجيزهِ بقولهِ :

الحمدُ لله الذي أَعطي الشَّبَرْ

فشرحوا الشَّبر بالعطيَّة والموهبة. وكأَنها تعريب اللفظة اليونانيَّة افخارستيا (Ευχαριστία’) ومعناها الموهبة الصالحة فاطلقوها على القربان. وورد لابن السكيت في اصلاح المنطق ( طبعة مصر ص ١٥٩ ) في شرح بيت عديّ : « قيل في الشبر ههنا انهُ القربان »

وقد خصُّوا بالذكر ( خمر القربان ) ورووا صلاة النصارى عليها وتقديسهم لها وقد مرَّت في ذلك أبيات أيمن بن خُرَيم ( الأغاني ١٦ : ٤٥ ) :

وصهباءَ جرجانيَّة لم يَطَفْ بها حنيفٌ ولم تنغَرْ بها ساعةً قِدْرُ
ولم يشهد القسُّ المهينمُ نارَها طروقًا ولا صلّى على طبخها حَبرُ

ومثلهُ فيها للأعشى ( شعراء النصرانيَّة ص ٣٧٨ ) :

لها حارسٌ لا يبرحُ الدهرَ بينها وان ذَبحتْ صَلّى وزَمْزما
ببابلَ لم تُعْصَر فسالت سُلافة تخالط قنديدًا ومسكًا مختمًا

فبذكرهِ للصلاة عليها خصَّ الخمر المقدّسة. وقال الأعشى أيضًا :

وصهباءَ طافٍ نهاميُّها وأبرزَها وعليها خَتَمْ
وقابلها مستهامًا لها وصلّى على دنّها وارتسمْ
تمزّرْتها غيرَ مستكبر على الشرب أو مُنْكر ما عُلِمْ

النهاميّ صاحب الدير وقد مرَّت ورُوي ( قطب السرور Ms de Paris ff. 67 ) : « طاف يهوديُّها » ولعلَّهُ تصحيف لأنَّ اليهوديّ لا يصلّي على الخمر ولا يطيف بها.

وكذلك قال علقمة وذكر ( الكأْس ) وخصَّ خمرها بصفات أقرب إلى الخمر المقدَّسة :

كأسُ عزيزٍ من الأعناب عتَّقها لبعض أربابها حانيةَ حومُ
تشفي الصُّداع ولا يؤذيكَ طالبُها ولا يخالِطُها في الرأس تدويمُ
ظلّت تَرَقْرَقُ في الناجودِ يصفقُها وليدُ أعجَمَ بالكتّانِ مفدومُ

قالوا أراد بالعزيز الملك. وقالوا بل أراد كبير النصارى كقول اوس بن حجر يذكر فصح النصارى :

عليهِ كمصباحِ العزيز يَشُبُّهُ لِفصْحٍ ويحشوهُ الذُّبال المفتَّلا

وكما شربوا خمر القربان أكلوا خبزهُ المقدَّس. وقد بيَّنَّا ( ص ٧٢ و ١٣٩ ) ان هجو بعض الشعراء لبني حنيفة النصارى على « أكلهم لربّهم » إنَّما أرادوا بهِ تقرَّبهم من القربان الأقدس فقرَّعوهم بما لم يدركوا معناهُ فقالوا :

أكلتْ حنيفةُ ربَّها زمن التقحُّم والمجاعَهْ
لم يحذروا من ربّهم سوء العقوبة والتباعَه

ومثلهُ قوله الآخر :

أَكلتْ ربَّها حنيفةُ من جو عٍ قديمٍ ومن إِعْوَازِ

والنصارى يشيرون إلى القربان ( بمائدة الربّ ) كما دعاها بولس في رسالتهِ الأولى إلى أهل كورنتس ( ١٠ : ٢١ ). واللفظة شاعت عند عرب الجاهليَّة أخذوها أيضًا من نصارى الحبش وهي عندهم وقد وردت في القرآن بهذا المعنى ( في

سورة المائدة ع ١١٢ و ١١٤ ) حيث يذكر انَّ الحواريين طلبوا من المسيح أن يُنزل عليهم مائدة من السماء فأَنزلها. وأراد بها العشاء السرّي

ولا شكّ انهُ كان لهم في كنائسهم ( مِنْبَر ) للكرازة وأعظم شاهد على قولنا انَّ اللفظة ليست عربيَّة بل مستعارة من نصارى الحبش أي مجلس وكرسي الخطابة ثم أخذها المسلمون (١. قال الفرزدق في آل أَبي العاصي (راجع ديوانهُ de. Boucher. p. 19):

ولن يزالَ امامٌ منهمُ مَلِكٌ إليهِ يشخصُ فوق المِنْبر البَصَرُ

## ٧ مفردات نصارى الجاهليَّة الخاصَّة بمساكن الرهبان

قد توفَّرت المفردات العربيَّة التي ورد ذكرها في المعاجم والشعر القديم دلالةً على مساكن الرهبان فجمعنا منها ما تيسَّر لنا على ترتيب حروف المعجم وفي وفرتها شاهد ناطق على شيوع العيشة الرهبانيَّة في أنحاء العرب

فمن ذلك ( الأسطوانة ) وهي السارية وفقًا لمعناها الأصلي في اليونانيَّة ( ἱστών ) وقد اتَّخذها العرب بمعنى العمود الذي كان يتعبَّد فوقهُ بعض الرهبان المدعوين لذلك بالمعمودين ( Stylites ) قال ذو الجدن ( سيرة الرسول لابن هشام ص ٢٦ ed. Wüstenfeld )

فانَّ الموت لا ينهاهُ ناهٍ ولو شربَ الشفاءَ مع النّشُوقِ
ولا مترهّب في أسطوانِ يناطحُ جُدْرَهُ بيضُ الأنوقِ

قال الشارح : الاسطوان والاسطوانة هاهنا موضع الراهب المرتفع. وقال في التاج : الفرق بين الاسطوانة والعمود انَّ العمود حجر واحد والاسطوانة بناء

ومنها ( الأُكَيْرَاح ) وهي قلاَّية الراهب. ومثلها الكِرْح. واصل الكلمة من السريانيَّة ܟܘܢܟܐ قال في المخصَّص لابن سيده ( ١٣ : ١٠ ) : « الأُكَيْراح بيوت ومواضع تخرج إليها النصارى في بعض أعيادهم وهو معروف » . وقال في معجم البلدان ( ١ : ٣٤٥ ) : « الأُكَيْرَاح بيوت صغار تسكنها الرهبان الذين لا قلالِيَّ لهم » وهي أيضًا موضع بعينهِ واشد لبكر بن خارجة :

---

١) راجع مقالة للمستشرق بكر ( C. H. Becker ) عنوانها المِنْبر عند قدماء العرب .Orient. Stud ) Theod. Noeldeke. t. 1,331-351 )

دع البساتينَ من آسٍ وتفـَّاح وأقصد إلى الشيخ من ذات الأكَيْراح
إلى الدساكر فالديرِ المقابلها لدى الأكَيرَاح أو دير ابن وضَّاح

ومنها ( التامور ) ويُروى بالهمز تأمور. قال في التاج ( ١ : ٢٠ ) : « التأمور صومعة الراهب وناموسهُ... وقال ابن دريد انَّ هذه الكلمة سريانيَّة » . ولم نجدها في المعاجم السريانيَّة بهذا اللفظ. ولعلَّها من ܛܡܘܪ بالطاء فتكون كالمطمورة في العربيَّة شبَّهوا بها مسكن الراهب. أو كالطَّمَار أي المحلّ المرتفع والله أعلم. وقيل انَّ أصلها من (تـَبُر) الحبشيَّة فابدلوا الباءُ من الميم (١ ووردت الكلمة في الشعر الجاهليّ في قول الشاعر عن الراهب :

ولَهَمَّ من تامورهِ يتنزَّلُ

ومن ألفاظهم الشهيرة ( الدَّيْر ) وهي لفظة سريانيَّة الأصل ( ܕܝܪܐ ) ومعناها المسكن عمومـًا لاسيَّما المحصَّن ثمَّ خصُّوا بها مسكن الرهبان. قال ياقوت في معجم البلدان (٦ : ٦٣٩) : « الدَّير بيت يتعبَّد فيهِ الرهبان ولا يكاد يكون في المصر الأعظم انَّما يكون في الصحارى ورؤوس الجبال » . وقال في اللسان ( ٥ : ٢٨٧ ) عن ابن سيده : « الدَّيْر خان النصارى والذي يسكنهُ ويعمرهُ ديَّار ودَيْرَانيّ » . وقال ابن الاعرابيّ : « يقال للرجل إذا رأس أصحابهُ : هو رأسُ الدير. وقد شاع استعمال الكلمة في الشعر القديم قال عديّ بن زيد ( معجم البلدان ٢ : ٦٨٠ ) :

نادمتُ في الدير بني عَلْقَما عاطيتـُهم مشمولةً عَنْدما
كأنَّ ريح المسكِ من كأسها إذا مزجناهما بماء السما

وقد عدَّد ياقوت والبكري وغيرهم في معاجم البلدان نيِّفًا ومئـَة دير مما ورد ذكرهُ في الشعر القديم. بل ذُكر لابي الفرج الاصفهانيّ كتاب في الديارات خصَّهُ بذكر الاديرة القديمة بين العرب

ومنها ( الرُّكْح ) قال في المخصَّص ( ١٣ : ١٠٢ ) : « من أبيات النصارى. ( قال ) ولستُ من هذه الكلمة على ثقة » . ( قلنا ) ولعلَّ الكلمة تصحيف ( الكِرْح ) الآتية

---

١) راجع المعرَّب للجواليقي ٣٧ ,ed. Sachau وكتاب فرنكل Fraenkel : *Aram. Fremdw.* in *arabischen*, p. 269.

ومنها ( الصَّرْح ) وهو في الأصل البناء العالي وقيل ان الصرح في النبطيَّة القصر. ولعلَّ الأصح انها حبشيَّة ومعناها الحُجرة والقلاَّية (١

ومنها ( الصَّومعة ) ومثلها الصومع بناءٌ للراهب محدَّد الطرف. قال في التاج ( ٧ : ٤١١ ) : « الصومعة كجوهرة بيت النصارى ومنار الراهب سُمّيت لدقَّة في رأسها » . وقال زين العابدين : « الصومعة المنارة وهي في الأصل مُتعبَّد للراهب. وقد مرَّ ذكرها في الفصول السابقة ( راجع الصفحة ١٧٥ ). وأصل الكلمة من الحبشيَّة ومعناها الدير والقلاَّية. وقد وردت بهذا المعنى في القرآن ( سورة الحجّ ع ٤١ ) ونطق بهذا الشعراءِ القدماء روى سيبويه لأحدهم :

اوصاك ربُّك بالتُّقى وأولو النُّهى اوصوا مَعَهْ
فاخترْ لنفسك مسجدًا تخلو بهِ أو صومعَهْ

ومنها ( الطِّرْبال ) وهو كل بناء عالٍ مرتفع وقال أبو عبيدة هو شبيه بالمنظرة من مناظر العجم كهيئة الصومعة وانشدوا لدُكَيْن ( راجع ياقوت ٣ : ٥٢٥ والتاج ٧ : ٤١٦ ) :

حتى اذا كان دُوَيْن الطربالْ رجَعْن منهُ بصهيلٍ صَلْصالْ
مطهَّر الصورة مثل التمثال

وقد وردت الكلمة بمعنى البيعة ومعبد النصارى ولعلَّها اعجميَّة

ومنها ( العُمْر ) قال في التاج ( ٣ : ٣٢٠ ) : « العُمر المسجد والبيعة والكنيسة سُمّيت باسم المصدر لأنهُ يُعْمَر » والصواب أنَّ الكلمة سريانيَّة ( ܥܡܪܐ ) وهي الدير. قال المتلمّس ( راجع معجم ما استعجم للبكريّ ص ٦٩٦ ) :

ألك السديرُ وبارقٌ ومبايضٌ ولك الخورنَقْ
والعُمْر ذو الاحساء واللَّذات من صاع وذَيسَقْ

( قالوا ) العُمر في شعر المتلمّس الدير أو البيعة والكنيسة

ومنها ( القلاَّية ) أصلها من السريانيَّة ܩܠܝܐ اشتقَّها السريان من اليونانيَّة κελλίον . وقال البكري ( في معجمهِ ص ٣٦٩ ) : « ان كانت القلاَّية مضافةً إلى المواضع فانَّما هو العُمْر والعمر عندهم اسم الدير قال الثرواني :

---

١) اطلب كتاب نولدك ( Neue Beitraege z. semit. Sprachwissenschaft )

وان انتما حيَّيتماني تحيَّة فلا تَعْدوَا رَيْحَان قلاَّية القسِّ ))

ومنها أيضًا ( القُوس ) وهو الدير وأصل الكلمة من الفارسيَّة قال صاحب اللسان (٨ : ٦٩) : (( القُوس الصومعة أو موضع الراهب. وقال ياقوت ( ٤ : ٢٠٠ ) : (( هو معبد الراهب )) وانشد في اللسان :

لا وَصْل إذ صُرفَت هندٌ ولو وقفَتْ لاَسْتفْتنتْني وذا المسحَيْن في القُوسِ ))

وانشد الاصمعي لذي الرمَّة :

على أَمْر منقدِّ العفاءِ كأَنَّهُ عصا قسّ قُوسٍ لينُها واعتدالُها

قال : القسّ القسّيس والقوس صومعتهُ

ومنها ( الكِرْح ) وهو مقام الراهب من السريانيَّة ܟܪܚܐ بمعناه وقد مرَّ مع الأُكَيْراح

ومنها ( المَنْهمة ) وهو مسكن النُّهَام أو النهاميّ أي الراهب قال ذو الجدن ( سيرة الرسول ٢٦ ـ ٢٧ ) :

وغَمْدانُ الذي حُدِّثتَ عنهُ بنَوْهُ مسمَّكًا في رأس نيقِ
بمَنْهمةٍ واسفلُهُ جروبٌ وحُرُّ اَلموْحَل اللّثقِ الزليقِ
بمَرمَرَةٍ واعلاهُ رُخام تحامٌ لا يغيّب في الشقوقِ
مصابيحُ السليط تلوح فيهِ إذا يُمْسي كتَوْماضِ البُرُوقِ

قال الشارح : المنهمة موضع الراهب

ومنها ( النَّاموس ) قال في اللسان (٩ : ١٣٠) : (( الناموس بيت الراهب ولعلَّهُ (( أراد الناووس من اليونانيَّة ναός وهو الهيكل. وجاء في التاج : (( الناؤوس مقبرة النصارى ))

## ٨ مفردات لنصارى الجاهليَّة في اعيادهم ومواسمهم السنويَّة

نذكر هنا الأعياد النصرانيَّة الثابتة والمنتقلة التي شاعت عند عرب النصارى كما عرفها غيرهم

أوَّلها عيد ( السُبَّار ) يريدون بهِ ما ندعوهُ عيد البشارة واللفظة سريانيَّة الأصل ( ܒܫܪܐ ) . قال البيروني في الآثار الباقية عن القرون الخالية ( ص ٢٩٤ ) : (( السُّبَّار دخول جبرائيل عليهِ السلام على مريم مبشّرًا بالمسيح )) . ولم نجد اللفظة في الشعر الجاهلي وانَّما وصف أميَّة بن أبي الصلت البشارة بآيات رويناها سابقًا

ومنها عيد ( الميلاد ) وقد سمَّاهُ البيروني ( ص ٢٩٣ ) عيد يَلْدا من السريانيَّة ܝܠܕܐ أي ميلاد المسيح

ومنها ( القَلَنْدس ) ذكَرْهُ المسعودي في مروج الذهب ( ٣ : ٤٠٦ ) ودعاه البيروني القلنداس ( ص ٢٩٢ ) قال وهو رأس السنة وتمام الاسبوع من ولادة مريم. واللفظة لاتينيَّة (Kalendæ) قال المسعودي :

يكون فيهِ بالشام لأهلهِ عيد يوقدون في ليلتهِ النيران ويظهرون ( الافراح ) لاسيَّما بمدينة انطاكية وما يكون في كنيسة القسيان بها من القداس عندهم وكذلك سائر الشام وبيت المقدس ومصر وارض النصرانيَّة كلها وما يظهر أهل دين النصرانيَّة بانطاكية من الفرح والسرور وايقاد النيران ويساعدهم على ذلك كثير من عوامّ الناس وكثير من خواصهم

ومنها (الدِنْح) ذكرهُ ابن سيده في المخصَّص (١٣ : ١٠٣) عن ابن دريد قال: « الدِنْح عيد من أعياد النصارى ولا أحسبها عربيَّة وقد تكلمت بها العرب » والكلمة سريانيَّة ܕܢܚ ومعناها الظهور أي ظهور السيّد المسيح لبني اسرائيل يوم معموديَّتهِ. قال البيروني (٢٩٣) :

« وفي السادس من كانون الآخر دِنْحا وهو عيد الدنح نفسهُ ويوم المعموديَّة الذي صبغ فيهِ يحيى بن زكريّا المسيحَ وغمسهُ في ماء المعموديَّة بنهر الاردن عند بلوغ ثلثين سنة من عمرهِ واتصل بهِ روح القدس شبه حمامة نزلت من السماء على ما ذُكر في الإنجيل »

ويعرف عيد الدنح بالغطاس أيضًا. وعلى هذا اللفظ وصفهُ المقريزيّ في الخطط (١ : ٤٤٩٤). ويسمَّى أيضًا بيوم العماد

ومنها ( السَّباسب ) قال في المخصَّص ( ١٣ : ١٠٢ ) وفي التاج ( ٤ : ٢٩٤ ) :

« يوم السباسب عيد للنصارى ويسمّونهُ يوم السعانين ويقال شعانين بالشين. والسباسب الأغصان يريدون بها سَعَف النخل الذي قطعهُ اليهود يوم استقبلوا المسيح في دخولهِ أورشليم. وقد دعوا أيضًا هذا العيد بعيد الزيتونة. أمَّا السعانين فمشتقَّة من العبرانيَّة הושענא (هوشعنا) التي كان يتهلَّل بها اليهود امام المسيح. وقد وردت لفظة سباسب في الشعر القديم قال النابغة يذكر عيد السعانين بين بني غسَّان :

رقاقُ النعالِ طيِّبٌ حُجُزاتُهم يحيَّون بالرَّيحان يوم السباسبِ

ومنها ( خميس العهد ) قال المقريزيّ : ( ١ : ٤٩٥ ) ويسمّيهِ أهل مصر من العامَّة خميس العدس ويعملهُ نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة أيَّام ويتهادون فيهِ. وقد

عرفهُ العرب أيضًا بخميس الفِصْح ورد على هذا اللفظ في ترجمة عديّ بن زيد الشاعر الجاهليّ في كتاب الأغاني ( ٣ : ٣٢ ) حيث ذكر دخول هند بنت النعمان كنيسة الحيرة قال : (( خرجتْ في خميس الفصح وهو بعد السعانين بثلاثة أيَّام تتقرَّب في البيعة ))

ومنها ( الفِصْح ) كانوا يقدّمون عليهِ الصوم الأربعينيّ وقد ذكرهُ العرب. انشد سيبويه لبعضهم ( في كتابهِ ٢ : ٢٧ ) :

صدَّت كما صدَّ عمًّا لا يحلُّ لهُ ساقي نصارى قُبَيْلَ الفِصْح صوَّامُ

ومن كلامهم في ذلك (( تنحَّس النصارى )) إذا تركوا أكل اللحم. وقال ابن دريد (( تنحَّس النصارى إذا تركوا أكل الحيوان. وهو كلام عربيّ صحيح ولا أدري ما أصلهُ (التاج ٤ : ٢٥٥). ولعلَّهُ من (( تنحَّس الرجل )) إذا جاع. ويقول البعض تنهَّس بالهاء وهو من تصحيف العامَّة. امَّا الفِصْح فمن السريانيَّة **ڦسحا** وأصلها פסח العبرانيَّة وتكرَّر ذكر الفصح في الشعر العربيّ الجاهليّ. قال الأعشى يمدح هوذة بن علي النصراني الذي كان أطلق أسرى بني تميم يوم عيد الفصح تقرُّبًا لله :

ففكَّ عن مئَة منهم إسارهمُ وأصبحوا كلُّهم من غُلِّهِ خُلِعَا
بهم تقرَّب يوم الفصح ضاحيةً يرجو الإلهَ بما أسدى وما صنعا

وكانوا في الفصح يوقدون المشاعل. قال اوس بن حجر يصف رمحهُ وقد شبَّهُ سنانهُ بمصباح يوقدهُ رئيس النصارى يوم الفصح ( شعراء النصرانيَّة ص ٤٩٤ ) :

عليهِ كمصباح العزيزِ يشبُّه لفصحٍ ويحشوهُ الذُّبالَ المفتَّلا

قال الشارح : (( أراد السنان الشديد الائتلاق وهو مثل مشعل الجليل العظيم الشأن من بطارقة الروم لاسيَّما إذا الهبَهُ في ليلة الفصح وإذا كان في مثل هذه الليلة كان انور وأكثر ضوءًا )) . وقال عدي بن زيد يشير إلى تعمير قنديل الفصح ( الأغاني ٩ : ٥٣ ) :

بكروا عليَّ بسحرةٍ فصبحتُهم باناءِ ذي كرم كقعب الحالبِ
بزجاجةٍ ملءِ اليدين كأنها قنديلُ فِصْح في كنيسة راهبِ

وممَّن أشاروا إلى أفراح النصارى في عيد الفصح عبد الله بن زبير قال (الأغاني ١٣: ٤٦) يهجو حجَّار بن أبجر امير بني عجل :

فكيف بعجل ان دنا الفصحُ واغتدت عليك بنو عجلٍ ومرجلُكم يغلي
وعندك قسّيسُ النصارى وصُلبُها وغانيةٌ صهباءُ مثل جنى النَّحْل

ويدعون أيضًا الفصح بالقيامة لتذكار قيامة السيّد المسيح من الموت يوم الفصح. ومن الألفاظ العربيَّة في ذلك ( الباعوث ) ودعاها في المخصَّص ( ١٣ : ١٠٢ ) الباغوت بالغين قال : اعجمي معرّب عيد النصارى. وفي تاج العروس ( ١ : ٦٠٢ ) : « الباعوث استسقاء النصارى وهو اسم سرياني. قيل هو بالغين المعجمة والتاء المنقوطة » . وهو بالسريانيَّة ܒܥܘܬܐ ومعناها الصلاة والدعاء. وقد خصُّوا بها رتبةً تُقام ثاني يوم عيد الفصح. وقد وردت اللفظة في حديث عُمر لمَّا صالح نصارى الشام شرط عليهم « ان لا يُحدثوا كنيسة ولا قلّيَّة ولا يخرجوا سعانين ولا باعوثًا »

ومنها ( السُلاَّق ) قال البيروني في الاثار الباقية ( ص ٣٠٨ ) : « وبعد الفطر ( يريد الفصح ) بأربعين عيد السُلاَّق ويتَّفق ابدًا يوم الخميس وفيهِ تسلَّق المسيح مصعدًا إلى السماء من طور زيتا وامر التلاميذ بلزوم الغرفة التي كان أَفْصَحَ فيها ببيت المقدس إلى أن يبعث لهم الفارقليط وهو روح القدس » وأصل الكلمة من السريانيَّة ܫܒܘܥܐ ومعناها الصعود وروى البكري (٣٧٠) لشاعر اسلاميّ :

بحرمة الفِصْح وسُلاَّقكم يا عاقد الزنَّار في الخَصْرِ

ومما ذكروا من أعياد النصارى ( الهِنزَمْن ) وروى ثَعْلب الهِنزَمْر. قالوا عيد للنصارى ( المخصَّص ١٣ : ١٠٢ ) ولم يزيدوا ايضاحًا. وقد وردت اللفظة في شعر الاعشى:

إذا كان هِترَمْنٌ ورُحتُ مُخشَّما

قال صاحب التاج ( ٩ : ٣٦٨ ) : « الهِنزمن الجماعة معرَّب هَنْجُمَن أو أَنْجُمَن عند الفرس ويَطلق على مجلس الشرب أو لمجمع الناس مطلقًا أو لعيد من أعياد النصارى » . وقد دخلت اللفظة في السريانيَّة ܗܢܓܡ ويراد بها الحفلة

ونضيف إلى ما سبق لفظة ( الشَّمْعَلة ) قالوا هي قراءَة النصارى واليهود في اعيادهم. وذكروا عن الخليفة المتوكل انهُ حرم على النصارى « ان يظهروا في شعانينهم صليبًا وان يُشَمْعِلوا في الطريق (١) » . وقال جحظة يصف دير العذارى ( ياقوت ٢ : ٦٩٧ ) :

---

١) اطلب المجلَّة الاسيويَّة الألمانيَّة ZDMG. XXIX, 639 et XLVI, 44

وقد نطق الناقوسُ بعد سكونهِوشَمْعَلَ قسّيسٌ ولاح فتيلُ

وقال مدرك الشيباني ( تزيين الاسواق ص ٣٣٠ ) :

بحقّ قومٍ حلقوا الرؤوسا وعالجوا طول الحياةِ بؤسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا مُشَمْعِلين يعبدون عيسى

## ٩ مفردات جاهلية لوصف ملابس النصارى

كان نصارى العرب يلبسون الثياب كغيرهم من أهل البادية لا يمتازون بها غالبًا عن سواهم. غير أنَّ في المعاجم وبعض العشر الجاهليّ مفرداتٍ وردت في وصفهم النصارى أو شرحوها بقولهم انها من ثياب النصارى. نذكر هنا ما عثرنا عليهِ منها في مطالعاتنا

فمنها ( الآخنيّ ) قال في التاج ( ٩ : ١١٩ ) : الآخنيّ الثوب المخطَّط. وقال أبو سعيد : الآخِنِيّ اكسية سود ليِّنة يلبسها النصارى. قال البعيث :

فكرَّ علينا ثمَّ ظلَّ يجرُّهُ كما جَرَّ الآخنِيّ المقدِّسُ

( يريد بالمقدّس الراهب الذي رحل إلى زيارة القدس ). وقال العجّاج ( ٦٧ ed. Ahlwardt, p ) :

كأنَّهُ متوَّجٌ روميُّ عليهِ كتَّانٌ وآخِنِيُّ
أو مِقْوَلٌ تُوِّجَ حِمْيَرِيُّ

وقال أبو الخراش :

كأنَّ المُلاءَ المَحْض خلفَ كُراعهِ إذا ما تمطَّى الآخنيُّ المخدَّمُ

ومنها ( الإِضْرِيج ) كساء أحمر من الخزّ ويقال أيضًا للخزّ الاصفر. وقيل بل هو كساء يُتَّخذ من المرعزّى من أجود صوفها. وقد ذكره النابغة في ديوانهِ (العقد الثمين ص ٤) حيث قال يصف أعياد النصارى الغسَّانيّين :

رقاقُ النعال طيِّبٌ حُجُزاتهم يُحيَّون بالرَّيْحان يوم السباسبِ
تُحيِّيهمُ بيضُ الولائدِ ببنَهم وأكْسيَةُ الإِضْرِيج فوق المشاجبِ

ومنها ( الأَرَنْدَج واليَرَنْدَج ) قال أبو عبيد في المخصَّص ( ٤ : ١٠٣ ) : « هو بالفارسيَّة رَنْدة. قالوا هو ضرب من الأَدَم اسود » . وجاء في اللسان ( ١٨ : ٣٠٤ )

والتاج ( ٢ : ٥٠ ) انَّ اليَرَنْدج جلد اسود تُعمل منهُ الخِفاف يحتذون بها : وقد خصَّها الشمَّاخ بالنصارى فقال يصف نعامًا في برّيَّة :

ودوّيَّةٍ قَفْرٍ تمشَّى نَعامُها كمشي النصارى في خفافٍ اليَرَنْدَجِ

ومنها ( الرَّيْط ) وهي الملاءة المنسوجة قطعةً واحدةً وقد ذكرها الراعي في وصف بطرك النصارى ( التاج ٧ : ١١١ ) فقال يصف ثورًا وحشيًّا :

يعلو الظواهر فردًا لا أَليفَ لهُ مَشْي البِطَرْكِ عليهِ رَيْطُ كَتَّانِ

ومنها ( الزُّنَّار ) قالوا هو ما على وَسْط النصارى. وقال في التهذيب : ما يلبسهُ الذميُّ يشدُّهُ على وسطهِ. وقد اشتقُّوا منهُ فعلاً فقالوا زَنَّرَهُ إذا البَسهُ الزُّنَّار. وقد جاء الزنَّار في الشعر الجاهليّ قال عديّ بن زيد وكان معاوية يُعجب بهِ :

يا لرَهْطي اوقدوا نارا انَّ الذي تهوون قد حارا
ربَّ نارٍ بتُّ ارمقُها تَقْضمُ الهنديَّ والغارا
ولها ظبيٌ يؤَجّجها عاقدٌ في الخَصْرِ زنَّارا

ويروى :

عندها خِلٌّ يُثوّرها عاقدٌ في الجيد تِقْصَارا

التِقْصار القلادة. ومثلهُ لابن الضحَّاك ( البكري ص ٣٧٠ ) :

بحُرمةِ الفِصْح وسُلاَّقكم يا عاقد الزنَّار بالخَصْرِ

ومنها ( الكتَّان ) كما رأيت في شعر الراعي والعجَّاج

ومنها ( المُوق ) جمعها أَمواق قال ابن سيده : (( هو ضرب من الخفاف وقيل خفٌّ غليظ يلبس فوق الخفّ وهو عربيّ صحيح )) . وكان العيادِيُّون ينتعلون بالامواق قال النمر بن تولب ( التاج ٧ : ٧٣ واللسان ١٢ : ٢٢٧ ) ويروى لسلامة بن جندل :

فترى النعاج بها تمشَّى خلفَهُ مَشْي العباديّين بالأمواقِ

وكانت هذه الخفاف تتَّخذ من الجلد المدبوغ بالقرظ فيدعونهُ السِّبْت وينتعل بهِ السادة قال عنتر في معلَّقتهِ :

بطلٌ كأَنَّ ثيابهُ في سَرْحةٍ يُحذى نعالَ السِّبْتِ ليس بتوأمِ

ومن لبس زُهَّادهم ( المِسْح ) وهو ثوب الرهبان من شعَر. قال جرير وسمَّى الراهب ذا المسحَيْن ( التاج ٨ : ٦٩ ) :

لا وَصْلَ إذ صرَمَتْ هند ولو وقفتْ لاَسْتفْتَنتْني وذا المِسْحَينِ في القُوسِ

هذه بعض ألفاظ نقلناها وقد صرَّحوا فيها بذكر النصارى. ولا شكّ أنَّ ألفاظًا أُخرى دخلت في العربيَّة بواسطة النصارى من الحبش والروم والسريان كما يدلّ عليها أصلها الأعجميّ كالبُرْجد والإكليل والتاج والبُرنس وابي قلمون والقَلَنْسوة والجلباب والسندس وغيرها وان لم يخصّها الكتبة بالنصارى وحدهم

## ١٠ الفاظهم في الكتابة وادواتها

رأيت في فصل سابق انّ الكتابة دخلت بين العرب بفضل النصرانيَّة. فلا عجب أن تكون الألفاظ الدالَّة على هذه الصناعة قد وردت خصوصًا في آثارهم ولذلك ترى ذكر ادوات الكتابة مقرونةً في اشعارهم بذكر الزبور وكتب الوحي التي كان الرهبان يتناقلونها في جزيرة العرب ويتأنَّقون في كتابتها

فأوَّل ما ذكروهُ ( القَلَم ) قال معاوية الجعفري ( معجم البكري ص ٥٨٢ ) يصف منازل دارسة :

فانَّ لها منازلَ خاوياتٍ على نَملى وقفتُ بها الركابا
من الاجزاع اسفلَ من نُمَيْلٍ كما رجَّعتَ بالقلَم الكتابا

ومثلهُ لكعب بن زُهير ( البكري ص ٤٤١ ) :

أَتعرف رسمًا بين زُهْمانَ فالرَّقمْ إلى ذي مراهيطٍ كما خُطَّ بالقَلَمْ

وقال لبيد في معلَّقتهِ :

وجلا السُّيولُ عن الطِلال كأَنَّها زُبُرٌ تـُجِدُّ متونَها اقلامُها

وكانوا يكتبون على الجلود وجريد النخل والعظام والواح الرصاص. ومن أشهر الفاظهم ( القِرْطاس ) وهي فارسيَّة كالكاعد ويقال قَرْطَسٌ أيضًا. وقد وردت في الشعر الجاهلي قال المِخَشّ العُقَيلي يصف رسوم دار شبَّهها بخطّ الزبور على القرطاس قال ( التاج ٤ : ٢١٥ ) :

كأَنَّ بحيث استُودع الدارُ اهلَها مَخَطَّ زَبُورٍ من دواة وقَرْطَسِ

ومنها ( الأَديم ) أي الجلد كانوا يصقلونهُ ويرقّقونهُ فيكتبون عليهِ. قال المرقّش :

الدار قفرٌ والرسومُ كما رقَّش في ظهر الاديم قَلَمْ

وكانوا يدعون الأَدَم الرقاق ( ورَقًا ) قبل أن يصطنعوهُ من القطن تشبيهًا بوَرق الشجر في تصفيحهِ قال جرير ( البكري ص ١٠٦ ) :

لمن الديار بعاقلٍ فالأَنعم كالوَحْي في ورَق المُعْجَمِ

وهو ( الرِقّ ) أيضًا جمعهُ الرقوق للجلد وللصحيفة البيضاء والكلمة حبشيَّة الاصل كما يُظنّ قال الخالد بن الوليد المخزومي ( الأغاني ٣ : ١١٢ ) :

هل تعرفُ الدارَ اضحت آيُها عجَبا كالرقّ اجرى عليها حاذقٌ قَلَما

وفي القرآن : « رقّ منشور » . وقد دعوا الاديم والصحيفة البيضاء والحصير المنسوج خيوطهُ سيور ( قضيمًا ) قال النابغة ( التاج ٩ : ٦٩ ) وفي وصف الرسوم :

كأن مجرَّ الرامساتِ ذيولُها عليهِ قضيمٌ نمَّقَتْهُ الصوانعُ

وقد دعوا القرطاس والصُحُف البيض ( بالمُهْرَق ) وهي لفظة فارسيَّة مُهْرَه. قال الصغاني : المهرق ثوب حرير أبيض يُسْقى الصِمْغ ويُصقل ثمَّ يكتب فيهِ والكلمة قديمة قال الحارث بن حِلّزَة في معلَّقتهِ :

واذكروا حِلْفَ ذي المجاز وما م قدّمَ فيهِ العهودُ والكفلاءُ
حذَرَ الجَوْر والتعدّي وهل م ينقض ما في المهارِق الاهواءُ

وقال أيضًا ( التاج ٧ : ٩٦ ) في الأَطلال شبَّهها بكتابة الحبش :

آياتُها كَمَهارقِ الحُبْشِ

وقال الأعشى يذكر الأَدعية المرقومة في المهارق ( اللسان ١٢ : ٢٤٧ ) :

ربّي كريمٌ لا يكدّر نعمةً فإذا تُنوشد في المهارِق أَنشدا

وكذلك كتبوا على ( العَسيب ) أي جريد النخل قال امرؤ القيس :

لمن طَلَل ابصرتُهُ فشجاني كخطّ زبور في عسيبٍ يماني

وفي الهذليَّات قولهُ :

او زُبُر حِمْيَرَ بينها احبارُها بالحِمْيريَّة في عَسيبٍ ذابلِ

وكتبوا أيضًا على الألواح ( واللَّوْحُ ) كلّ صفيحة عريضة من خشب أو عظم كالكتف كانوا يكتبون عليها. وقد ورد في القرآن : « في لوح محفوظ »

( والرَّقِيم ) اللوح من الرصاص. قال اميَّة بن أبي الصلت يذكر اللوح الذي

كان مع أصحاب الكهف حيث رُقم نسبهم واسماؤهم ودينهم (البيضاوي طبعة ليدن ص ٥٥٥):

ليس بها الاَّ الرَّقيمُ مُجاورًا وصِيدَهمُ والقومُ في الكَهْفِ هُجَّدُ

وسمَّوا مجموع الأوراق المكتوبة ( كتابًا ) قال زهير في معلَّقتهِ عمَّا يخفى في قلوب البشر فيدينهُ الله في الآخرة :

يؤخَّرْ فيوضع في كتابٍ فيُدَّخر ليوم الحساب أو يُعَجَّل فيُنْقَمِ

وقال عديّ بن زيد الشاعر النصراني في الإنجيل ( شعراء النصرانيَّة ) :

ناشدْتنا بكتاب الله حُرْمتنا ولم تكن بكتاب الله ترتفعُ

ودعوا الكتاب ( بالقطّ ) جمعهُ القُطوط وهو في الأصل الجلد الذي يكْتَب عليهِ وقال أميَّة يذكر قومهُ بني إياد ( التاج ٥ : ٢٠٩ ) :

قوم لهم ساحة العراق إذا ساروا جميعًا والقِطُّ والقَلَمُ

وقيل أراد بالقطّ هنا الإنجيل. وقال مثلهُ الأعشى :

ولا الملكُ النعمانُ يومَ لقيتهُ بغبطتهِ يُعطي القطوطَ ويأفقُ

أي يمنح الصكوك للجوائز. وكذلك ( الصحيفة ) فهي الكتاب أيضًا قال لقيط الإيادي (تاريخ ابن الاثير ١ : ١٥٧) :

سلامٌ في الصحيفة من لقيطٍ إلى مَنْ بالجزيرة من إياد

ويروى : « كتابٌ في الصحيفة » . وسمَّوا الصحيفة ( بالمُغَلْغَلة ) قالوا انَّها الرسالة المنقولة من بلد إلى بلد. قال صخر الغيّ في الهذليَّات ( ed. Kosegarten, p. 13 ) :

أبلغْ كبيرًا عني مغلغلةً تبرقُ فيها صحائفٌ جُدُدُ
فيها كتابٌ ذَبْر لمُقترئٍ يَعْرفهُ البُهْمُ ومَن حَشَدوا

ومن أسماء الكتاب عندهم ( المِصْحَف ) وردت في شعر امرئ القيس للدلالة على كتب الرهبان قال :

قفا نبكي من ذكري حبيبٍ وعرْفانِ ورسم عفت آياتهُ منذ أزمانِ
أتت حِجَجٌ بعدي عليها فأصبحتْ كخطّ زبورٍ في مصاحفِ رهبانِ

ومن أسماء الكتب ( المجلَّة ) قال ابن دريد في الاشتقاق ( ص ١٩٢ ) : « المجلَّة الصحيفة يُكتب فيها شيء من الحكمة » واللفظة آراميَّة. قال النابغة يذكر الكتب المقدَّسة التي كانت في أيدي بني غسَّان : ( التاج ٧ : ٢٦١ )

مجلَّتُهُمْ ذاتُ الإلـهِ ودينهُم قويمٌ فما يرجونَ غير العواقبِ

ومثلها ( السِّفْر ) للكتاب من التوراة والإنجيل وقد مرَّت. وكذلك سمَّوا الكتـاب (سِجلاًّ) كمـا ذكر فـي المخصَّـص ( ١٣ : ٨ ) وفـي التـاج ( ٧ : ٣٧ ) والكلمـة لاتينيَّـة ( sigillum ) بمعنى الخاتم والكتاب المختوم. وقد عرفوا ( القِمَطْر ) وهو ما يُصان فيهِ الكتاب فانشدوا (التـاج ٣ : ٥٠٦) :

ليس بعلمٍ ما يعي قِمَطْرُ ما العلمُ إلاَّ ما وعاهُ الصَّدْرُ

وكما ذكروا الكتاب كذلك ذكروا ( الخطّ ). قـال حسَّـان بـن ثابـت ( سيرة الرسـول ص ٤٥٤ e.d Wüstenfeld ) في رسوم الدار :

عرفتُ ديـار زينبَ بالكثيـبِ كخطِّ الوحيِ في الورق القشيبِ

وكذلك قالوا في ( السَّطْر ) انهُ الخط والكتابـة. واصـل الكلمـة مـن الآراميَّـة. وروى فـي تاج العروس لبعضهم ( ٣ : ٦٧٢ ) :

اني وأَسطـارٍ سُطِرْنَ سطرًا لَقائلٌ يا نصرٌ نصرًا نصرا

وقال الشمَّاخ ( اللسان ٥ : ٢٢٩ ) :

كما خطَّ عبرانيةً بيمينهِ بتيماءَ حبرٌ ثمَّ عرَّض أَسْطُرَا

وكانوا يتخذون للكتاب سمةً وديباجةً حسنة وهو ( العُنْوَان ) قال أبو دؤاد الايادي (التاج ٩ : ٢٧٢) :

« لمن طللٌ كعُنْوانِ الكتاب »

وكانوا يُعنَون بوشي الخطّ وتنميقهِ. قال علقمة بن عبَدة ( معجم ما استعجم للبكـري ص ٥٠٥ ) :

وذكَّرَنيها بعد ما قد نسيتُها ديارٌ علاها وابلٌ متبعّقُ
بأكناف شمَّاتٍ كأنَّ رسومَها قضيمُ صَنَاع في اديم منمَّقِ

وقال المرقّش الأكبر وبهِ لقّب مرقّشًا :

الدارُ قفرٌ والرسومُ كما رقَّش في ظهر الاديم قَلَمْ

وقال حاتم الطائي ( الأغاني ٧ : ١٣٢ ) :

أَتعْرفُ آثار الديار توهُّمَا كخطّك في رقٍّ كتابًا مُنَمْنَما

وخصَّ رؤبة الإنجيل بالتوشية فقال ( ed. Ahlwardt., p. 149 ) :

انجيلُ احبارٍ وحَى مُنَمْنِمُهُ ما خطَّ فيهِ بالمدادِ قلَمُهْ

واشاروا إلى بعض حروف الكتابة كقول مرَّار بن منقذ في وصف رسوم الدار يشبّه بحرف اللام ما مثَلَ منها :

وترى منها رسومًا قد عَلَتْ مثل خطِّ اللام في وَحْي الزُّبُرْ

وكان الكتبة يضاعفون العناية في كتابة صورة العنوان. قال الاخنس بن شهاب (المفضَّليَّات ed. Lyall, p. 410 ).

لابنةِ خطَّانَ بن عوفٍ منازلُكما رَقَّش العنوانَ في الرقِّ كاتبُ

وقال أبو الاسود على خلاف ذلك ( الأغاني ١١ : ١١١ ) :

نظرتُ إلى عُنوانهِ فنبذتهُ كنَبْذك نعلاً أُخْلِقت من نعالِكا

وممَّا ذكروهُ أيضًا من أدوات الكتابة ( الدَّوَاة ) قال سلامة بن جندل ( ديوانهُ ص ١٥ من طبعتنا ) :

لمن طَلَلٌ الكتاب المنمَّق خلا عهدُهُ بين الصَّلَيْب فمُطْرقِ
اكبَّ عليهِ كاتبٌ بدواتهِ وحادثُهُ في العين جدَّةُ مُهرَقِ

وكذلك صرَّحوا بذكر ( المداد ) أي الحبر. قال المتلمّس يذكر الكتاب الذي اعطاهُ عمرو بن هند لعاملهِ في البحرين يسرُّ إليهِ بقتلهِ ( ياقوت ٤ : ٢٢٨ ) :

والقيْتُهُ بالثِني من بطن كافرٍ كذلك أفني كلّ قطَ مضلّلِ
رضيتُ بها لمَّا رأيتُ مدادَها يجول بها التيَّار في كلّ جَدْوَلِ

ومثلهُ ( النِقَس ) جمعهُ أَنقاس قال زهير بن عاصم ( البكريّ ص ٥٢٤ ) :

انَّ بلادي لم تكن أملاسا بهنَّ خطّ القلَمُ الأَنْقاسَا
من السبيّ حيث أعطى الناسا فلم يدَعْ لُبسًا ولا التباسا

وفي الأصل : الانفاسا بالفاء. وهو تصحيف

## ١٢ بعض الفاظ أخرى متفرّقة لنصارى العرب

نذكر هنا بعض ألفاظ وردت في آثار الجاهليَّة بخصوص النصارى وأوَّلها اسم (النصرانيّ) وجمعها النصارى. قال العجَّاج في مفردها ( ديوانهُ ص ٦٩ ) :

كما يعودُ العيدَ نَصْرانيُّ وبيعةً لسُورها عِلِيُّ

وقال جابر بن حُنَيّ في جمعها ( شعراء النصرانيَّة ص ١٩٠ ) :
وقد زعمت بهراءُ انَّ رماحَنارماحُ نصارى لا تخوضُ إلى دمِ

وقال طُخَيم بن الطخمة الاسدي يمدح قومًا من أهل الحيرة من بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم رهط عديّ بن زيد ( ياقوت معجم البلدان ٢ : ٩٥٧ ) :
بنو السِّمْط والجدَّاء كلّ سَمَيْدَع لهُ في العروقِ الصالحاتِ عروقُ
واني وان كانوا نصارى أحبُّهم ويرتـاحُ قلبي نَحْوهم ويَتـوقُ

وقال القطاميّ يذكر نساء النصارى في صومهنَّ ( التاج ٨ : ٩٩ ) :
يَلْذَنَ بأعقار الحياضِ كأنَّها نساءُ النصارى أصبحت وهي كُفَّلُ

ومثلهُ لحسَّان ( ص ٢٤ من طبعة تونس ) :
فرحت نصارى يثربِ ويهودُها لمَّا توارى في الضريحِ المُلحَدُ

ولعبد الله بن الزبير في حجَّار بن ابجر العجليّ ( الأغانيّ ١٣ : ٤٦ ) :
سليلَ النصـارى سُدْتَ عِجْلاً ومن يكُنْ كذلك أهلٌ أن يَسود بني عجلٍ

وقال في التهذيب : وجاءَت أَنصار جمع نَصْران ( أي النصرانيّ ) وانشد :
لمَّا رأيتُ نبطًا أَنْصارا

يريد نصارى من النبط ( اللسان ٧ : ٦٨ والتاج ٣ : ٥٦٩ )

وكذلك قالوا في مؤنث نَصْرَان « نَصْرانة » قال أبو الاخزر يصف ناقتين طأْطأَتا رأسيهما من الاعياء فشبههما بالنصرانيَّة تطأْطئُ رأسها بصلاتها :
فكِلْتاهما خرَّتْ وأَسْجدَ رأسها كما أَسْجَدَتْ نَصْرانةُ لم تحنّفِ

وبنوا منهُ فعلاً فقالوا « تنصَّر » أي دخل في دين النصرانيَّة. قال حاتم الطائي يذكر ديار لحيان وكانوا نصارى ( الأغاني ١٦ : ١٠٤ ) :
وما زلتُ اسعى بين نابٍ ودارةٍ بِلِحْيانَ حتى خفتُ ان أَتنصَّرا

وقال جعفر بن سراقة أحد بني قرَّة يهجو جميل بن معمر وقومهُ (الأغاني ٦ : ١٥):

نحنُ منعنا ذا القرى من عدوّنا وعُذرةَ إذ نلقى يهودًا وبعثرا
منعناهُ من عليا معدٍّ وأنتمُ سفاسيفُ روح بين قرح وخيبرا
فريقانِ رهبانٌ بأسفل ذي القرى وبالشام عرَّافون فيمن تنصَّرا

وممَّا خصُّوهُ بالنصارى ( الإِرَان ) وهو سرير الميت أو تابوت من خشب كانوا يحملون عليهِ موتاهم. هكذا رواهُ شارح ديوان طرفة ( شعراء النصرانيَّة ٣٠٠ ) حيث قال في معلَّقتهِ يصف ناقتهُ :

أَمُونٌ كأَلواحِ الإِرَان نشأتُها على لاحبٍ كأَنَّهُ ظهرُ بُرْجُدِ

قال التبريزي في شرح المعلَّقات ( ed. Lyall, 33 ) : الإِران تابوت كانوا يحملون فيهِ ساداتهم وكبراءَهم دون غيرهم. وقال امرؤ القيس (٣٠ .ed. de Slane p ) :

وعَنْسٍ كأَلواح الإِران نَسأْتُهاعلى لاحبٍ كالبُرْدِ ذي الحِبَراتِ

قال الشارح ( id., p. 99 ) : الإِران سرير موتى النصارى

ومنها ( النـاؤوس ) جمعها نواويس. قال في التاج ( ٤ : ٢٥٦ ) النواويس مقابر النصارى. والمرجَّح أن أصل الكلمة من اليونانيَّة ( ναός ) ومعناها الهيكل والمدفن

وممَّا ذكروهُ للنصارى ( البُوق ) وهو النفير الذي يُنْفَخ فيهِ. انشد الاصمعي (التاج ٦ : ٣٠١) للعلبكم ( كذا ) الكنديّ :

« زَمْر النصارى زمَّرت في البوقِ »

يريد هنا الروم الذين كانوا ينفخون الأبواق في حفلاتهم

ونم غريب ما نسبوا إلى النصارى اكرام ( الوثن ) كما مرَّ سابقًا وقالوا « الوثن الصليب » . وكذلك دعوا الصليب والتماثيل التقويَّة عند النصارى ( اصنامًا ). كما دعاها جرير ( بالزُون ) بمعنى الصنم أيضًا. حيث قال ( تاج العروس ٩ : ٢٢٩ ) :

« مَشْي الهرابذِ حجُّوا بيعة الزُّونِ »

وفي هذه الأقوال غلطٌ فاحش لان النصارى لم يعبدوا قطّ الوثن أو الصنم أو الزُّون. فضلاً عن كون الهرابذة هم المجوس وانَّما يكرّمون الصليب والصور لما تمثّل لهم من شخص السيّد المسيح المصلوب وأولياء الله. وشتان بين هذا وعبادة الاصنام

———

## الفصل الثالث
## في الأَعلام النصرانيَّة

انَّ اعلام الأشخاص في الأُمم القديمة من اصدق الشواهد على معتقداتها فلذلك أردنا ان نفرد بابًا خاصًّا للاعلام النصرانيَّة التي نجد آثارها في جهات العرب قبل الاسلام فلعلَّها تزيدنا علمًا بما كان للدين المسيحي من النفوذ في الجزيرة العربيَّة

وممَّا ينبغي التنبيه إليهِ بادئ بدء انَّ الأَعلام التي ذكرها قدماء الكتبة قبل المسيح للعرب والتي ورد ذكرها لهم في آثار الاشوريين ثمَّ اليونان ثمَّ الرومان لا تفيدنا شيئًا بالاطلاق على توحيدهم. بل كثير منها على خلاف ذلك يُوقفنا على عبادتهم للأوثان وخصوصًا للشمس والقمر والكواكب كما اثبتنا ذلك في مقدَّمة القسم الأوَّل من كتابنا هذا. وكذلك يُستدلّ من تلك الأسماء أنَّ العرب كانوا يعظّمون مواليد الطبيعة من جماد ونبات وحيوان فكثرة الاعلام الدالَّة على هذه المواليد لا يمكن تعليلها الاَّ بالقول انَّ العرب أَلَّهوا الطبيعة في مظاهرها من القوّة والجمال والحياة فرأَوا فيها تجلّيات معبوداتهم

وممَّا يولي العجب انَّنا لا نجد بين هذه الاعلام القديمة السابقة لعهد المسيح اسمًا واحدًا يثبت لنا ما زعمهُ بعض كتبة العرب بعد الاسلام حيث قالوا بلا سند انَّ العرب كانوا موحّدين وانَّهم أخذوا التوحيد عن ابرهيم الخليل وعن اسماعيل ابنه ثم توارثوهُ بتوالي الاعصار. فالأَعلام الواردة في الآثار القديمة تنفي هذا الزعم حتى ان اسم اسماعيل ابي العرب عينهِ لم يُرْوَ لأحد منهم في تلك الكتابات وعلى خلاف ذلك انَّنا نجد في تلك الاعلام ما لا يدع شُبْهًا في شرك العرب كبقيَّة الامم

هذا إلى عهد المسيح. وليس الأمر كذلك بعد ظهور النصرانيَّة فاننا إذا استقرينا الاعلام العربية التي رواها اقدم كتبة العرب عن تاريخهم المتوسّط بين عهد السيّد المسيح إلى ظهور الإسلام أمكنَّا ان نبيَّن من تعدادها انّ النصرانيَّة كانت نفذت في بلاد العرب وانَّ تلك الاسماء انَّما دخلت بينهم بانتشار الدين المسيحي

ولعلَّ البعض يرون انَّ عدد هذه الاعلام قليلٌ بالنسبة إلى ما ذكرناهُ عن شيوع الدين النصراني بين العرب في الجاهلية فجوابنا على ذلك : أوَّلاً انَّ العرب النصارى

تبعوا غالبًا في اسمائهم عادات قبائلهم القديمة دون أن يمتازوا بأسماء جديدة لم يألفوها في سابق الاجيال

ثانيًا انَّ منهم من كان لهُ أكثر من اسم واحد كما هي عادة كثيرين من نصارى الشرق في بلادنا فكانوا بالمعموديَّة يسمُّون أولادهم باسم يدلّ على نصرانيتهم وامَّا في المعاملات العاديَّة فكانوا يطلقون عليهم اسمًا آخر مألوفًا كمالك وصالح وحبيب وسعد

ثالثًا لا بل نعرف من شهادة تاريخهم انَّ بعض النصارى في جزيرة العرب تسمَّوا باسماء وثنية كانت جرت في الاستعمال ونُسي معناها الأصلي كعبد المدان ومنهم بنو عبد المدان النصارى في نجران وكعبد القيس الذي ينتسب إليهِ بنو عبد القيس النصارى الذين ذكرناهم قبلاً. وهكذا جرى أيضًا لنصارى اليونان والرومان والسريان فانَّهم بعد تنصُّرهم تسمَّوا باسماء كان أصلها وثنيًّا مشيرًا إلى معبوداتهم كمركوريوس وديونوسيوس وباخوس ومرطيوس لكنَّ تلك الأسماء كانت فقدت بالاستعمال معانيها الوثنية

فإذا أدركت ما سبق فنقول انَّ الاعلام نصرانيَّة بين العرب على خمسة أشكال فمنها ما استعاروهُ من الاسفار المقدَّسة ومنها ما أشاروا فيهِ إلى الاسم الكريم ومنها ما خُصَّ بالنصارى دون غيرهم ومنها ما كان تعريبًا لأسماء نصرانيَّة ومنها أخيرًا ما دلّ على بعض الصفات الموافقة لاحوال النصارى

## ١ الاعلام النصرانيّة المستعارة من الاسفار المقدَّسة

هذه الاعلام مشتركة في بلاد العرب بين النصارى واليهود ونحن نضرب الصفح عن اسماء اليهود لخروج ذلك عن غرضنا فنذكر أسماءَ سواهم ممَّن ينتمون غالبًا إلى القبائل التي أثبتنا نصرانيَّتها وذلك على ترتيب حروف المعجم

( آدم ) تسمَّى بعضهم في الجاهليَّة باسم أبي البشر. منهم « آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطَّلب » قال ابن دريد في الاشتقاق ( ص ٤٤ ) : « قُتل في الجاهليَّة وهو الذي وضع النبيُّ صلعم دمهُ يوم فتح مكة » . ومنهم آدم مولى بَلْعَنْبر ذكرهُ

ابو تمَّام في الحماسة ولعلَّهُ آدم بن شَذْقم العنبري الذي روى لهُ ياقوت شعرًا في معجم البلدان ( ٣ : ٣٧٣ )

( ابراهيم ) قال التبريزي في شرح الحماسة ( ١ : ١٧٥ ed. Freytag ) : قال أبو العلاء : ابراهيم اسم قديم ليس بعربيّ وقد تكلَّمت بهِ العرب على وجوه فقالوا إبراهيم وهو المشهور وابراهام وقد قُرئ بهِ وإِبْراهَم على حذف الياء وإِبْرَهَم » وذكر هناك اسم شاعر قديم دعاهُ « ابراهيم بن كُنَيْف النَّبْهانيّ » . وممَّن تسمَّى بابراهيم ابراهيم بن أيُّوب بن محروف عمّ الشاعر النصرانيّ عديّ بن زيد ( التاج ١ : ١٥١ ). ومنهم قوْم من الصحابة ذكرهم ابن الاثير في أسد الغابة في معرفة الصحابة ( ج ١ ص ٤٠ ـ ٤٤ ) عُرفوا باسم ابراهيم تسمَّوا بهِ في الجاهليَّة كابراهيم الاشهليّ وابراهيم بن الحارث بن خالد التيميّ القرشيّ المهاجر وكابي رافع إبراهيم القبطيّ قال انهُ « كان مولى رسول الله صلعم » وابراهيم بن عبَّاد الاوسيّ الذي شهد موقعة أُحد وابراهيم بن قيس بن معدي كرب الكنديّ ممَّن وفدوا على نبيّ المسلمين. وابراهيم النجَّار قال « انهُ صنع المنبر لرسول الله » . وقد جاء اسم ابراهيم على صورة أخرى وهو اسم أَبْرهَة ذكرهُ العرب للحبشة وأَشهر من دُعي بهِ أَبْرَهة الذي حارب ذا نوَّاس وتملَّك على اليمن. وبهِ سمي قبلهُ ابرهة ذو المنار أحد ملوك اليمن ابن الرائش الذي أشار إليهِ الشاعر في وصف نوب الدهر ( حماسة البحتريّ ٨٣ ) :

وأَصَبْنَ ابرهةَ الذي سجدتْ لهُ صُمُّ الفيُولِ صوامتًا لم تنطقِ

( إِدْرِيس ) ليس هذا الاسم على لفظهِ في الاسفار المقدَّسة. والعرب يزعمون انهُ أحد الآباء الأَوَّلين قال في تاج العروس ( ٤ : ١٤٩ ) : « هو خنوخ أو احنوح المذكور في التوراة » . وقد تسمَّى بهِ أحد النصارى الوافدين على محمَّد رسول الإسلام كما رواهُ ابن الأثير في أسد الغابة ( ١ : ٤٤ و ٥٧ )

( ارميا ) راهب في طور سيناء مات شهيدًا قتلهُ البلاميُّون سنة ٤٧٣ وتذكارهُ في ١٤ كانون الأوَّل

( إِسْحاق ) دُعي باسم اسحاق أحد شعراء الحماسة في أبي تمَّام ( ص ١٤٠ ) وهو اسحاق بن خَلَف. وذكر ابن الأثير من الصحابيّين ( ١ : ٦٨ ) اسحاق الغنويّ. وممَّن اشتهر باسم اسحاق بين نصارى العرب راهب استشهد في طور سينا قُتل مع

رهبان آخرين في سنة ٤٧٣ وتذكارهُ واقع في السنكسارين الغربيّ والشرقيّ في ١٤ كانون الثاني ويدعونهُ اسحاق سلائيل

( اسْرائيل ) لم نجدهُ بين الاعلام السابقة للاسلام وسُمّي بهِ بعد الاسلام قليلون كاسرائيل بن يونس الراوي ذكرهُ الطبريّ غير مرَّة في تاريخهِ واسرائيل بن السَّمَيْدع ذكرهُ ياقوت في معجمهِ ( ١ : ٤٨٢ ) واسرائيل بن رَوْح ( فيه ٢ : ٣٣ )

( إسْمَعِيل ) اقدم ما نعرف ممَّن تسمَّوا بهذا الاسم شهيد نصرانيّ كان ارسلهُ ملك العجم سنة ٣٦٢ للمسيح سفيرًا إلى يليانوس الجاحد القيصر الروماني ليبرم معهُ عهد الصلح وكان اسمعيل هذا مع اثنين آخرَين نصرانيَّين مثلهُ اسمهما مانويل ( أو عمَّانويل ) وسابيل فعرض عليهم يليانوس جحود دينهم فأبوا فامر بقتلهم فماتوا شهداء إيمانهم. وعيدهم واقع في الكنيسة في ١٨ حزيران ( راجع أعمال البولنديين Acta Sanctorum, vol., IV Jun. pp. 231-246 ). وسُمّي بهذا الاسم أيضًا رجلان من الصحابة اسماعيل الزَّبدي ورجل آخر ذكرهما ابن الأثير في أُسد الغابة ( ج ١ ص ٧٩ ـ ٨٠ )

( اشعيا ) هو اسم أحد الرُّهبان العرب في طور سيناء المستشهدين سنة ٤٧٣

( الياس ) ورد هذا الاسم لأحد أجداد نبيّ المسلمين وهو الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. راجع كتاب الاشتقاق لابن دريد ( ص ٢٠ ) وقد زعموا انَّ الاسم مشتق من يئس والصواب انّ الاسم عبرانيّ الأصل وبهِ سُمّي النبي الياس الشهير وبهِ سُمّي بعد الإسلام الياس بن حبيب الفهري عامل افريقية ( اطلب تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٦٤ ). ومن المحتمل انَّ اسم « الياس » الشائع عند العرب هو صورة مختلفة لاسم الياس. وبهذا الاسم عُرف احد النصارى وهو الياس بن قبيصة النصراني وقد ذكرنا في شعراء النصرانية ( ص ٩٣ ) شيئًا من شعرهِ. وكان أحد سادة قومهِ وابنهُ الياس كان عاملاً لكسرى انوشروان على الحيرة. وممَّن عُرف بين عرب النصارى باسم الياس راهبٌ استشهد في طور سينا سنة ٣٨٠ تذكارُهُ في ٢٠ تشرين الثاني. وكذلك الياس بطريرك أورشليم ( ٤٨٠ ـ ٥١٨ ) القديس كان مولدهُ في جزيرة العرب

( ايُّوب ) هو اسم بعض العرب في الجاهليَّة منهم أيُّوب بن مَحروف وهو جدّ

الشاعر النصراني عديّ بن زيد. قال أبو الفرج الاصبهاني في الأغاني ( ٢ : ١٨ ) : « كان أيُّوب هذا فيما زعم ابن الاعرابيّ أوَّل من سُمّي من العرب أيُّوب » . وذكرهُ في تاج العروس (١ : ١٥١) مع ابنهِ ابرهيم عمّ الشاعر عديّ بن زيد وروى قول ابن الكلبيّ فيهما قال: « قال: ولا أعرف في الجاهليَّة من العرب أيُّوب وابرهيم غير هذين وانَّما سُمّيا بهذين الاسمين للنصرانيَّة » . وقد ذكر ابن الاثير في أُسد الغابة ( ١ : ١٦٢ ) رجلين من الانصار دُعيا بأيّوب ولا شكّ انَّ هذا الاسم كان اسمهما في الجاهليَّة وهما « أيُّوب بن بشير الانصاري وأيُّوب بن مكرز » . وقد ذكر البحتري في حماستهِ ( اطلب طبعتنا ص ٢٦٠ و ٢٦١ ) مقاطيع من الشعر لشاعر دعاهُ عُبَيْد بن أيُّوب. وكذلك ورد اسم أيّوب في شعر النابغة حيث قال ( شعراء النصرانيَّة ص ٦٥٥ ) :

مستشعرينَ قدَ اَلْفَوْا في ديارهم  دُعاءَ سُوعٍ ودعميٍّ وايُّوبِ

يريد انَّ بني قُعَيْن دعوا إلى الحرب هذه الاحياءَ الثلاثة قال الشارح : « وهم احياء من اليمن من غسَّان وهم نصارى وقيل هم رهبان »

( بَنْيَامين ) هو أحد شهداء طور سينا سنة ٤٧٣

( حنَّة ) هذا الاسم ورد للذكور والإناث فهو كحنَّان ويوحنَّا. امَّا للاناث فهو كاسم حنَّة امّ صموئيل. ومن الأوَّل حنَّة والد عمرو الصحابيّ الانصاريّ وأبو حنَّة البدري ذكرهما في تاج العروس ( ٩ : ١٨٥ ). وامَّا من الثاني فحنَّة بنت هاشم بن عبد مناف القرشيّ عم محمَّد ذكرها اليعقوبيّ في تاريخهِ ( ١ : ٢٨١ و ٢٨٣ )

( حَوَّاء ) ذكر ابن الأثير في أُسد الغابة ( ٥ : ٤٢٩ ) اربع نسوة من الانصاريَّات عُرِفن باسم حوَّاء فتسمَّين بهِ في عهد الجاهليَّة وهنَّ حوَّاء بنت السكن امّ بجيد الحارثيَّة زوجة قيس بن الخطيم الشاعر الذي قُتل قبل الهجرة. وحوَّاء بنت رافع بن امرئ القيس. وحوَّاء بنت زيد بن السكن وكلّهنَّ من بني عبد الاشهل. والرابعة حوَّاء بنت يزيد بن سنان زوجة قيس بن شمَّاس. وقد اختلفوا في نسبهنَّ وعددهنَّ

( حَيقار ) هو من الأسماء الكتابيَّة ورد في سفر طوبيَّا في الترجمة اليونانيَّة ( ١ : ٢٣ ). وفي تاريخ الطبريّ ( ١ : ٧٤٥ ) انَّ احد بني معدّ بن عدنان الذين خرجوا مع اليمنيين إلى الريف كان يدعى بالحَيْقار بن الحيق

( داؤُد ) هو أحد أعلام النصرانيَّة المتواترة في الجاهليَّة. وأقدم من عُرف بهِ أحد ملوك الضجاعمة الذين سبقوا غسَّان وتنصَّروا مع بني سليح واسمهُ « داود اللثق » قال ابن دريد في الاشتقاق ( ص ٣١٩ ) « هو الذي يُضاف إليهِ دير داؤُود بالشام وقد ملك زمانًا » . وقد روى الكلبي في الجمهرة نسبهُ فقال : « هو داود بن هبولة اخي هبالة بن عمرو بن عوف بن ضَجْعم » . ويروى اسم داؤود على صورة دؤاد قال الاسود بن يعفر ( حماسة البحتريّ ص ٨٣ ) يصف منازل آل محرّق :

ارضٌ تخيّرها أطيب مَقِيلها كعبُ بن مامةَ وابن امِّ دؤادِ

ومن مشاهير شعراء بني اياد النصارى في الجاهليَّة « أبو دؤاد الاياديّ » اطلب شعرهُ في حماسة البحتري ( ص ٨٧ ). وقد ذُكر هناك ( ص ١٤٤ ) شاعرٌ آخر دُعي داؤُد وهو داؤد بن حَمَل الهمذانيّ. ومن موالي الانصار داود بن بلال ( ذكرهُ في اسد الغابة ٢ : ١٢٩ )

( زكريَّا ) دُعي بهذا الاسم أحد بني خزاعة وهو زكريَّا بن علقمة الخزاعيّ ذكرهُ ابن الأثير في أُسد الغابة ( ٢ : ٢٠٥ ) وقال انهُ دُعي أيضًا كُرْزًا. وذكر في الأغاني (١٩ : ١٢) زكريَّا بن ثباة الثقيفي

( سُلَيْمان ) ذكر اليعقوبيّ في تاريخهِ ( ١ : ٢٩٩ ) بين حكَّام العرب في الجاهليَّة سليمان بن نوفل ممَّن حكَّموهم لشرفهم وصدقهم ورئاستهم. وذكر البحتريّ بين قدماء الشعراء ( في حماستهِ ص ٢٢٦ ) سليمان بنَ المُهاجر العدويّ. وروى أبو تمَّام ( ص ٤٣٥ ) شعرًا لسُليمان بن قَتَّة. وذكروا بين الأنصار عدَّة رجال دُعوا باسم سليمان كسُلَيْمان الليثي بن اكيمة و سُلَيْمان ابن أبي حثمة القرشي وسُلَيمان بن صُرَد الخزاعي وسُليمان بن عمرو بن حديدة الذي قُتل يوم أُحُد وسليمان بن مُسْهر وسليمان بن هاشم بن عُتبة القرشي ( اطلب أُسد الغابة ٢ : ٣٥٠ ـ ٣٥٢ ). ولعلَّ الذين تسمَّوا في الجاهليَّة بسُلَيم وسلاَّم وسَلْمان وسالم أشاروا بأسمائهم إلى سُلَيْمان. والدليل عليهِ ما ورد من الشعر في سُلَيْمان الحكيم بتغيير صورة اسمهِ فدعاهُ الأسود بن يعفر سلاَّمًا قال ( التاج ٨ : ٣٤٤ ) :

ودعا بمحكمةٍ أمينٌ سكَّها من نَسْج داودَ أبي سلاَّمِ

ومثلهُ للحطيئة :

فيهِ الرماحُ وفيهِ كل سابغةٍ جلاَّءَ مُحْكَمَةٍ من نسجِ سلاَّمِ

ودعاهُ النابغة سُلَيْمًا فقال ناسبًا إليهِ نسج الدروع ( ديوانهُ ص ٩٩ )

وكل صَموتٍ نَثلةٍ تبَّعَةٍ ونسجُ سُلَيْمٍ كلُّ قضَّاءَ ذائلِ

( سِمْعان ) من المحتمل أن يكون هذا الاسم كتابيًّا أو نصرانيًّا محضًا وقد دُعي بهِ قوم في الجاهليَّة منهم سِمْعان بن عمرو بن قريط سيّد بني كلاب الذي كتب إليهِ رسول المسلمين يدعوهُ إلى الإسلام فرقع دلوَهُ بالكتاب كما ذكر ابن سعد (ص ١٩ - ٢٠ ed. Wellhausen) ثمَّ خاف واسلم. وذكر أبو حاتم سهل السجستاني في كتاب المعمّرين (ص ٥٤ ed. Goldziher) سمعان بن هُبَيْرة قال : « وهو أبو السمَّال الاسديّ عاش ١٦٧ سنة » وقالوا انهُ في الردَّة. وفي أُسد الغابة لابن الأثير ( ٢ : ٣٥٥ ) صحابيَّان كان اسمهما سمعان وهما سمعان بن خالد الكلابي وسِمْعان بن عَمْرو بن حجر ولعلّ الأوَّل منهما هو الذي ذكرهُ ابن سعد. واسم سمعان ورد أيضًا على صورة شِمْعون كما سترى (راجع ياقوت معجم البلدان ٢ : ٦٧٢)

( السَّمَوْءَل ) وهو سموئيل وصَمُوئيل وشموئيل أيضًا. وقد أثبتنا في ديوان السموءَل ما يرجّح كون السموءَل بن عادياء نصرانيًّا وعليهِ يكون الاسم شاع أيضًا بين النصارى. وقد ذكر ابن هشام في سيرة الرسول حبرًا من اليهود يُدعى سَموئيل بن زيد ( ص ٣٥٢ و٣٩٨ ed. Wüstenfeld )

( عِمْرَان ) ومثلهُ ( عَمْرو ) اسمان شائعان بين عرب الجاهليَّة ولعلَّهم استعاروهما من عَمْرام وعُمري الواردين في التوراة فعَمرَام هو أبو موسى وهارون ومريم ( عدد ٣ : ١٧ ) ورُوي في القرآن عِمْران فجعلهُ كأبي العذراء مريم ( ٣ : ٣١ و ٦٦ : ١٢ ). وعُمْري اسم لأحد ملوك اسرائيل ولبعض أبناء اسرائيل. وممن شتهروا باسم عمرو في الجاهليَّة عمرو بن كلثوم التغلبيّ الشاعر النصراني الشهير وعمرو بن قميئَة وعمرو بن الاهتم التميمي وغيرهم. واشتهر باسم عِمْران عِمْران ابن مرَّة بن الحارث وعمران بن الحصين الصحابي

( مريم ) تعدَّدت نساء العرب المدعوَّات بمريم نذكرهنَّ في الباب الثالث

( موسى ) دُعي بهِ بعض العرب قبل الإسلام كموسى بن الحارث ( سيرة الرسول ص ٢١١ ) وابي موسى الاشعريّ ( ابن سعد ٧٠ ) وموسى بن جابر الحنفيّ أحد شعراء الحماسة قال في خزانة الأدب ولبّ لُباب لسان العرب ( ١ : ١٤٦ ) : « هو أحد شعراء

بني حنيفة المكثرين يقال لـهُ ابن الفريعة وهي امُّهُ ويقال كان نصرانيًّا )) . وكان اسم رسول الغسّانيين موسى وهو منصِّرْهم في القرن الرابع كما مرَّ في القسم الأوَّل. وكذلك أحد المستشهدين من نسَّاك العرب في جبل سينا سنة ٤٧٣ كان يُدعى موسى

( لوط ) ذكر ابن سعد في الوفادات ( ص ١٩ ed. Wellhausen ) في جملة الرواة المعاصرين لنبي المسلمين (( لوط بن يحيى الازديّ )) .

( النَّعْمان ) أقدم من ذكرهُ التاريخ بهذا الاسم النَّعْمان بن بنيامين بن يعقوب ( تكوين ٤٦ : ٢١ ) وبهِ عُرف قائد ملك سوريَّة الذي ابرأَهُ اليَّا النبيّ. وقد شاع بعد ذلك بين العرب ولعلَّهم استعاروهُ من الأسفار المقدَّسة

( نوح ) سُمّي باسم نوح أحد نصارى ربيعة وهو نوح بن مُجْلد ورد ذكرهُ في أُسد الغابة ( ٥ : ٤٥ ). وذكر في الأغاني ( ٢١ : ٩٠ ) رجلاً دعاهُ بابن نوح كان في أوائل الإسلام

( هارون ) لم يحضرنا. اسم أحد من الجاهليَّة دُعي بهارون. ولعلّ هارون بن النعمان بن الاسلت الأوسي ( الأغاني ١٥ : ١٦١ ) الذي كان في أوائل الإسلام سُمي بهِ قبل الإسلام

( يَعْقُوب ) كان من شهداء طور سينا سنة ٤٧٣ المسمَّى يعقوب. وذكر ابن الأثير (أسد الغابة ٥ : ١٢٧) بهذا الاسم من أهل الجاهليَّة الذين أسلموا يَعْقوب بن اوس ويَعقوب بن الحُصَين ويعقوب بن زَمَعة ويعقوب القبطي. وذكر في الأغاني ( ٤ : ٦٤ ) من جملة المغنّين في أوَّل عهد الإسلام يعقوب بن الهبَّار

( يُوسف ) عُرف بهذا الاسم أحد شهداء المدائن سنة ٣٥٠ (Acta Sanctorum, III Apr., p. 19) ومن المدعوّين بهِ يوسف بن الحكَم الثقفي وكان في أوَّل ظهور الاسلام. وذكر ابن الأثير ( ٥ : ١٣٢ ) يوسف الفهري من جملة الصحابة

( يونس ) هو اسم يونان النبيّ. وذكروا بين الأنصار يونس بن شدّاد الازديّ ويونس المظفرَّي الاوسي ( اسد الغابة ٥ : ١٣٢ ) فالاسم سبق الاسلام. والدليل عليهِ أيضًا اسماء رهبان كانوا في جزيرة العرب وعُرفوا باسم يونس ( Jonas ). ثمَّ انَّ هذا الاسم إذا شُدّدت النون يراد بهِ اسم يوحنَّا النصراني على لفظ اليونانيَّة ( Ἰωάννης ) كما سنبيّن

———

## ٢ الاعلام المتضمّنة للاسم الكريم أو لبعض صفاتهِ

هو الصنف الثاني من الاعلام النصرانيَّة وما تختصّ بهِ هذه الاعلام انها تحتوي على الاسم الكريم بلفظهِ أو ببعض صفاتهِ الإلهيَّة

فمن ذلك الاسماء التي تُختم بإيل. ورد في تاج العروس ( ٧ : ٢١٨ ) : « قال الاصمعي في معنى جبريل وميكائيل : معنى ايل الربوبيَّة فأضيف جَبْر وميكا إليهِ فكأن معناه عَبد إيل ورَجُل ايل. وقال الليث : هو بالعبرانيَّة وهو اسم من اسماء الله تعالى » وقد مرَّ في ذكرنا للملائكة ما ورد في الشعر الجاهلي من ذكر جبريل وميكائيل واسرافيل وما أشبهها. وامَّا هل دُعي أحدٌ في الجاهليَّة بهذه الأسماء فلم يحضرنا من ذلك شيء الاَّ جبرئيل بن ناشرة المَعَافري أحد رفقة عمرو بن العاص ( اطلب معجم البلدان لياقوت ٣ : ٨٩٦ )

ولا يبعد انَّ اسم « جَبر » الشائع في الجاهليَّة كان مقتصر عن « جبريل » كجَبر بن عتيك وجَبر بن عبد الله القبطيّ وجَبر الكندي كانوا في أوَّل الإسلام وقد سبقت اسماؤهم الاسلام ( اطلب أُسُد الغابة لابن الأثير ١ : ٢٦٥ ـ ٢٦٧ ). ويدخل في هذا الباب أسماء عبرانيَّة ورد ذكرها في الفصل السابق في جملة الاعلام المنقولة عن الاسفار المقدَّسة كإسرائيل واسمعيل

ومنها ( شَراحيل ) أحد الأسماء الشائعة في الجاهلية كشَرَاحيل بن مالك بن ذبيان من أشراف العرب وشراحيل بن مرَّة الهمداني وشراحيل بن زرعة الحضرميّ (تاج العروس ٧ : ٣٨٩) وشراحيل بن عبد قيس البلويّ ( حماسة البحتري ص ١٩٦ ) وبني شراحيل بن الشيطان بن حارث ( اشتقاق ابن دريد ص ٢٤٣ ) وغيرهم أيضًا والاسم آرامي معناه « أَطلق الإلهُ »

ومنها ( شُرَحْبيل ) شاع أيضًا في الجاهليَّة كشُرَحْبيل بن السِّمّط ( اشتقاق ابن دريد ص ٢١٨ ) وشُرحبيل ذي رُعين الحميري ( ص ٣٠٧ ) وشرحبيل بن حَسَنة وشرحبيل بن عبد الله من الصحابة المهاجرَيْن إلى الحبشة ( سيرة الرسول ص ٢١٣ ) وشُرَحْبيل بن غيلان ( ص ٩١٥ ) وغيرهم. ولعلَّ هذا الاسم هو كالاسم الآرامي

شربل ( **غَفْل** ) عُرف بهِ أحد شهداء النصرانيَّة في مدينة الرها ودُعي بهِ أحد جثالقة الكلدان

ومنها ( شَمُويل ) ولا نعرف نصرانيًّا دُعي بهِ في الجاهليَّة وقد ذكر ابن هشام من يهود قريظة الذين أسلموا ( ص ٣٥٢ ) شَمُويل بن زيد وعزَّال بن شمويل والاسم عبرانيّ معناهُ عَظم الله. وقد سبق ان اسم « السموءَل » هو كشموئيل أو صموئيل

ومنها ( شَمْعَلة ) وهو اسم بعض شعراء النصارى أخصُّهم شَمْعَلة بن فائد وشمعلة بن الاخضر الضبيّ ( تاج العروس ٧ : ٣٩٩ وحماسة ابي تمَّام ٢٨٢ و ٦٤٠ ). وذكر ابن سعد بين الوافدين على محمَّد المسمَّى شمعلة. وفي الأغاني ( ١٠ : ٩٩ ) شَمْعلة بن عامر شاعر نصراني حملهُ بعض خلفاء بني أميَّة على الإسلام فلم يُسلم « فغضب فامر بهِ فقُطعت بضعة من فخذهِ وشُويت بالنار وأطعمها » . ويقال شَمْعل أيضًا (كامل المبرّد ed. Wright, p. 524) وعلى رأينا انَّ هذا الاسم تعريب إِسْمعيل ومعناه « سمع الرب »

ومنها ( شَهْمِيل ) وقيل شِهْميل أبو بطن من العرب وهو أخو العتيك بن الاسد بن عمران بن عمرو مزيقيا. ولعلَّ معناه « عزَّ الرب وجلَّ »

ومن هذه الأسماء ما أُضيف إلى اسم الله وقد مرَّ الكلام في هذا الاسم الكريم واصلهِ. فمن ذلك ( أَحْمَس الله ) ورد في كتاب الوفادات لابن سعد (ص ٦٩ Wellhausen Skizzen,) « وأَنَس الله » (ص ٦٦ .Ibid وتاريخ الطبري ج ١ ص ٢٢١٩) « وأَوْس الله » بمعنى عطاءَ الله ( تاج العروس ٤ : ١٠٢ ـ ١٠٣ ) و « تيم الله » بطن من بني بكر بن وائل وبطن من النمر بن القاسط ( التاج ٨ : ٢١٦ ) و « وهب الله » في الكتابات الحورانيّة وغيرها ( Journ. As., 1882, p. 8-10 )

فهذه الأسماء باضافتها إلى الاسم الكريم تدلُّ على توحيدهِ تعالى الذي دخل كما سبق إلى بلاد العرب على يد دُعاة النصرانيّة خصوصًا

وأشهر منها اسم « عبد الله » الذي كان يعمّ كل أنحاء جزيرة العرب. وهذا الاسم ورد على صورتين امَّا باضمار الاسم الكريم وامَّا بالتصريح بهِ وكلاهما قد تسمَّى بهِ نصارى كثيرون في الجاهلية

فامَّا الصورة الأولى فقد جاء على صورة ( عَبْد ) كعبد بن حنيف أحد بني لِحْيان من لخم باني دير الأُكَيراح ( معجم المستعجم ص ٣٧٣ ) وكطرَفة بن العبد الشاعر الشهير وعلى صورة ( عَبْدَة وعَبَدَة ) كَعبْدة بن الطبيب ( الأغاني ١٨ : ١٦٣ ) وعلقمة بن عَبَدة وكلاهما من فحول الشعراء

وعلى صورة ( عَبْدان ) اسم رجل من أهل البحرين ( التاج ٢ : ٤١١ ) وعلى صورة ( عُبَيد وعَبِيد ) كعُبيد بن الأبرص الشاعر الشهير ( الأغاني ١٩ : ٨٤ ) وعُبيد بن عُوَيج القرشي ( الأغاني ٦ : ٦٠ ) وعُبيد بن اوس الظفري وعُبيد بن رفاعة الزرقيّ ( أُسد الغابة لابن الأثير ٣ : ٣٤٦ ـ ٣٤٨ ). وعلى صورة ( عُبَيْدَة ) كعُبَيْدة بن عبد المطلب (اشتقاق ابن دريد ص ٥٤). وعلى صورة ( عابد ) كعابد بن عبد الله بن مخزوم ( تاج العروس ٢ : ٤١٤ ). وقد مرَّ أن « العِبَاد قبائل شتى من العرب اجتمعوا بالحيرة على النصرانيَّة » ( ابن دريد ص ٧ ). وقد وردت أيضًا على صورة ( عُبادة ) كعُبادة بن عقيل (ابن دريد ص ١٨٢) وصورة ( عَبُّود ) روى في التاج ( ٢ : ٤١٣ ) اسم رجل يُدعى عبُّودًا آمن بالأنبياء. وعلى صورة ( عبَّاد ) كعبَّاد بن عمرو بن كلثوم الشاعر النصراني ( الأغاني ٩ : ١٨٣ ) وكالحارث بن عباد سيّد بني بكر في حرب البسوس ( شعراء النصرانيَّة ص ٢٧٠ ). وعلى صورة ( عُبَادى ) قال في التاج ( ٨ : ٤١٤ ) انهُ « اسم نصرانيّ » . وعلى صورة ( عَبدون ) المَنسوب إليهِ دَيْر عبدون ( مستعجم البكريّ ٤٧٤ )

اما المضاف إلى الاسم الكريم ( فعَبْد الله ) وهو اسم كثر مَن تسمَّى بهِ من أهل الجاهليَّة حتى بلغوا المئين كعبد الله بن جدعان سيد قريش وممدوح اميَّة بن أبي الصلت (الأغاني ٨ : ٢ ـ ٦) وعبد الله أبي رسول الإسلام. وكالشاعرَين عبد الله بن رواحة (الأغاني ٤ : ٤ ـ ٧) وعبد الله بن الزِبَعْريّ ( أُسد الغابة ٣ : ١٥٩ ) وعبد الله بن غَطفَان (التاج ٧ : ٢٣٩) الخ. وقد جاء على صورة التصغير ( عُبَيْد الله ) كعُبَيْد الله بن الحرّ الجعفيّ الفارس الشاعر ( ابن دريد ٢٤٣ وحماسة البحتري ص ١٠٣ ) وعُبَيد الله بن عبد المدان (حماسة البحتريّ ص ١٣٧). وكذلك اختصروه ( بعَبْدَل ) كعَبدل بن حارث العِجْلي وعبدل بن حنظلة أحد شرفاء العرب ( التاج ٢ : ٤١٤ )

وقد أضافوا العبد إلى الأسماء الحُسْنى الدالَّة على الإله الحقّ فقالوا ( عَبْد الواحد )

كعَبْد الواحد بن منيع السَّعْديّ ( حماسة أبي تمَّام ( ص ٣٠٣ ed. Freytag )

وقالوا ( عَبْد الرَّحْمان ) كعَبد الرحمان بن رَواحة من الصحابة ( ابن دُريد ٢٦٨ ) وعبد الرحمان بن كعب ( فيهِ ٢٧١ ) وعبد الرَّحمان بن رِبْعي ( حماسة البحتري ص ٣٣ ) وغيرهم كثيرين. روى ابن دريد في الاشتقاق عن أبي الكلبي ( ص ٣٦ ) انَّ « الرَّحْمان صفة منفردة لله تبارك وتعالى اسمهُ لا يوصف بها غيرُهُ ... وقال ابن الكلبي وقد سمَّت العرب في الجاهليَّة عبد الرحمان ... ورُوي للشنفرى في الرَّحمان :

لقد لطمَتْ تلك الفتـاةُ هَجينها أَلاَ بَتَرَ الرحمنُ ربّي يمينَها »

وأقدم الآثار التي ورد فيها اسم الرحمان الكتابة الحميريَّة التي رُقمت على سُدّ مأرب سنة ٥٤٢ ـ ٥٤٣ للمسيح بامر أَبرهة ملك الحبش ففي أوَّلها ما تعريبهُ « بقوَّة ونعمة ورحمة الرحمان ومسيحهِ وروحهِ القدُّوس » ( راجع الصفحة ٦٣ من الجزء الأوَّل ) وعليهِ قد ثبت انَّ اسم الرحمان اسم نصرانيّ وإليهِ انتسب الذين دُعوا باسم عبد الرحمان. ومثله ( الرحيم ) كعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ( حماسة أبي تمام ص ٤٩ و ٥٤ )

وقد أضافوا العَبْد إلى أسماء حُسنى غيرها كالأَعلى من صفاتهِ تعالى فقالوا ( عَبد الأَعلى ) كعبد الأعلى بن صامِت العَبْدى ( حماسة البحتري ص ٢٠٣ ). وكذلك أضافوا إلى الملك فقالوا ( عَبد الملك ) كعبد الملك المذكور آنفًا. وعبد الملك بن أُكَيْدر صاحب دومة الجندل النصراني السابق ذكرهُ وعبد الملك بن علقمة الثقفيّ ( أُسد الغابة ٣ : ٣٣٢ ). وأضافوا إلى المنَّان فقالوا ( عبد المنَّان ) منهم عبد المنَّان بن عبد المسيح المتلمّس الشاعر النصراني ( الأغاني ١١ : ١٨٧ ). وإلى الحَميد فقالوا ( عَبد الحَميد ) منهم عبد الحميد ابن حفص بن المغيرة المخزومي ( أُسد الغابة ٣ : ٢٧٦ )

فهذه الأسماء كلها تشير إلى توحيد أصحابها في الجاهليَّة وقد سبق القول انَّ اعتقاد الإله الواحد في الجاهليَّة دخل خصوصًا بواسطة الدين المسيحي

ويوجد اسماء أُخرى لنصارى من العرب يشير ظاهرها إلى الوثنيَّة وإنما سقطت عن معناها الأوَّل كما حدث عند اليونان والرومان بعد تنصُّرهم. فمن ذلك ( عبد قيس ) و ( امرؤ القيس ) تسمَّى بها النصارى كما مرَّ وان كان اسم قيس يدلّ على بعض أوثانهم القديمة. وكذلك ( المَدَان ) من أوثان حمير كما قالوا وكان بنو عبد المدان

في اليمن من اشراف نصارى نجران. ومثلهُ ( كِلاَل ) وإليه نُسب عبد كِلاَل أحد ملوك حمير المتنصرين كما سبق. ومثلهُ أيضًا ( العزيز ) كان من أصنام بعض قبائل العرب. وبه عُرف عَبد العزيز بن سيف بن ذي يزن الحميري. وذُكر في تاج العروس ( ٢ : ٤١٢ ) خمسة من نصارى الحيرة في جملتهم عبد عمرو وعبد ياليل. وقالوا ان ياليل اسم صنم (١

ومثلهُ ( يَغوث ) تسمَّى به عبد يغوث الحارثيّ سيَّد بني مذحج (الأغاني ١٢ : ١٥٣)

هذا ما حضر لنا من أسماء أهل الجاهليَّة الدالة على دين التوحيد والمحتوية لصفاته تعالى. ولا شكّ انها دخلت بينهم بتأثير النصرانيَّة

## ٣ الاعلام النصرانيَّة المحضة

هو الصنف الثالث من الاعلام النصرانيَّة التي شاعت بين عرب الجاهليَّة وهذه الأعلام يستدلّ من مجرَّد منطوقها انَّها لنصارى ليست لسواهم وها نحن نروي ما لقينا منها على ترتيب حروف المعجم :

( أَبْجَرْ ) قد دُعي بعض نصارى العرب بهذا الاسم كأَبْجر بن جابر سيد بني عجل النصارى ( الأغاني ١٠ : ٢٧ ) والعرب يشتقُّونهُ من « بَجَر » أي عظم بطنُهُ. ولعلَّ الاصحَ اشتقاقه من السريانيَّة ومعناهُ فيها الاعرج وبهِ عُرف ملوك الرُّها الاباجرة

( أَفريم ) هو اسم نصراني يُشار به إلى ملفان السريان القديس افرام الكبير. وقد عُرف بهِ أَفريم أُسقف الحيرة الذي ذكرتهُ هند الكبرى في كتابتها التي أوردناها في الجزء الأول ( ص ٩١ )

( إِيشوع ) و ( يَشوع ) ورد في الاسم الاضافيّ عبد يشوع كما سترى .. وجاء مفردًا أيضًا لبعض أساقفة العراق كايشوع بَرْنون ( كتاب المجدل لماري بن سليمان ص ٧٥ )

( ايليا ) هو اسم الياس الذي مرَّ ذكره ولعلَّهُ على هذه الصورة شاع بين

---

١) راجع كتاب ڤلهوزن ( Wellhausen : *Reste arabischen Heidentums*, 2 ed., p. 4 )

النصارى خصوصًا. وممَّن تسمَّى بهِ ايليا اسقف نجران الذي ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان ( ٢ : ٣٨ ) وايليا الكشكراني ( المجدل ٣٨ )

( بولس ) جاء في أعمال شهداء نجران انَّ ذا نوَاس لمَّا دخل نجران غيلةً وقتل أهلها نبش قبر اسقفها « بولس » المتوفّى قبل ذلك بسنتين فأَحرق رممهُ

( جرجس ) شهيد النصرانيَّة المعروف. وبهذا الاسم عُرف جرجس اسقف العرب الكاتب السريانيّ الشهير. وكان أسقفًا على بني طيّ في أواسط القرن السابع ( Duval : *Littérature Syriaque*, p. 377)

( جُرَيْج ) وقيل ( جَرِيج ) عُرف بهِ جُرَيْج الراهب ( الطبريّ ١ : ٣٨٣ وسيرة الرسول ٤٠٧ ) وعبد الملك بن جريج وشَبَث بن قيس بن جريج ( تاج العروس ٢ : ١٥ ) وورد جُرَيْج بين أعلام اليمنيين ( الاشتقاق لابن دريد ٣٢٩ ). والاسم على رأينا شبيه بجرجس أو مشتقّ منهُ ( اطلب الملحقات بتاريخ الطبري Add. DLXXXIII ) وقد ورد عند العرب على صورة جُرْجَه. قال في التاج ( ٢ : ١٥ ) : « بنو جُرْجه المكيُّون » ولعلّ بعض هذه الأسماء العربيَّة مشتقَّة عن اسم القديس جرجَنْسيوس رسول عرب اليمن واسقف الحميريين ( راجع القسم الأوَّل ص ٦٤ )

( رُومان ) عُرف بهذا الاسم عند العرب بنو رُومان بطن من بني طي ( ابن دريد في الاشتقاق ٢٢٨ ) وكان لنبي المسلمين مولى يُدعى رومان الرومي ذكرهُ في التاج (٨ : ٣٢٠). وذكر معهُ صحابيًّا يُدعى رومان بن نعجة من الصحابة. وامُّ رومان بنت عويمر الكنانية هي والدة عائشة زوجة نبي الاسلام. وكذلك ذكر ابنُ سعد ( ص ١٩ ) في كتاب الوفود يزيدَ بن رومان. ولا نشكّ في ان هذا الاسم تعريب رومانوس أحد مشاهير القديسين في حدود العرب. وقد جاء على لفظهِ الأعجميّ في تاريخ الطبري ( ١ : ٢٢٠٢ ) حيث ذكر حروب المسلمين لنصارى الانبار فقال ان قضاعة كان عليها رئيسًا « رومانوس بن وبَرَة » . وكذلك ياقوت في معجم البلدان ( ٢ : ٢٧٩ ) ذكر « ابن رومانوس الكلبيّ » وقال هناك انهُ « كان أخا النعمان »

( سَرْجِس ) اسم شهيد عظيم استشهد مع القديس بكُس اوباخوس على عهد مكسيميانوس المغتصب في أوائل القرن الرابع. وقد عرف العرب النصارى أمرهُ

وكان على اسمهِ عدَّة أديرة ( راجع معجم البلدان ٢ : ٦٦٧ ومعجم ما استعجم للبكري ص ٣٧٤ ). لا بل تسمَّى باسمهِ بعض نصارى العرب. فقد ذكر الطبري ( ١ : ١٨١٢ ) راويًا كان في بدء الإسلام دعاه موسى بن سَرْجس. وكذلك ذكر للزُبَير غلامًا باسم سَرجس ( ١ : ٣١٨٥ ). وقد روى عبد المسيح بن اسحاق الكندي في ردّهِ على الهاشميّ ( طبعة لندن سنة ١٨٨٠ ص ٧٢ ) انَّ الذي تردَّد على محمَّد نبيّ الإسلام كان اسمهُ سرجيوس. ولقبهُ بُحيرا معناهُ العالم وهو الذي أشار إليهِ في القرآن في سورة النحل ( عدد ١٠٥ ) حيث قال عن المكيين : « ولقد نَعْلم انهم يقولون انَّما يعلّمهُ بشرٌ » . ولعلَّ اسم سرجون صورة أُخرى من هذه العلَم. وقد عُرف في دمشق يوم فتح العرب « سرجون بن منصور الروميّ » الذي دعاهُ الطبري ( ٢ : ٢٠٥ و ٢٢٨ ) « كاتب معاوية وصاحب امرهِ » . وهو ابو القديس يوحنا الدمشقي الذي عُرف بابن سرجون او سُمّي بجدّهِ ابن منصور وعنده كان ينزل الاخطل (الأغاني ٧ : ١٧٤). وقد ذكر في الأغاني ( ١٤ : ٩٤ و ١٦ : ٢٢ ) كنديم النعمان بن المنذر المسمى « سرجون بن نوفل »

( سمعان ) و ( شمعون ) قلنا سابقًا ( راجع الصفحة ٢٣٣ ) انهُ من المحتمل ان يكون أيضًا هذا الاسم نصرانيًّا محضًا وذلك امَّا إشارةً إلى القديس سمعان بطرس ويقال شمعون الصفا هامة الرسل أو إلى سمعان العمودي الشهير بين العرب. وممَّن يضاف إلى من ذكرنا سابقًا « اوس بن سمعان » الصحابيّ ( أسد الغابة ٢ : ١٤٦ ) وأبو ريحانة شمعون بن يزيد الازدي ( التاج ٥ : ٤٠٣ وأُسد الغابة ٣ : ٤ ). وشمعون اسم لأساقفة وحبساء اشتهروا قبل الإسلام في العراق وجهات العرب كشمعون اسقف الانبار في أيام الملك انو شروان ( تاريخ ماري بن سليمان ed. Gismondi. 53 ) وشمعون اسقف الحيرة ( فيهِ ص ٥٦ ) وشمعون بن صباعي الشهيد اسقف المدائن ( ص ١٦ )

( شمَّاس ) قد كثر هذا الاسم في الجاهلية وبهِ عُرف بطن من تميم « بنو شمَّاس » ومنهم قيس بن شمَّاس ذكرهُ في الحماسة وشمَّاس بن عثمان بن الشريد الذي قُتل يوم أُحد (الاشتقاق لابن دريد ص ٦٤) وغيرهم أيضًا. والبعض يشتقُّون هذا

الاسم من شِماس الفرس أي جموحهِ. ومن المحتمل أن اصل هذا الاسم من السريانيَّة ( ܫܡܫܢܐ ) بمعنى خادم الدين. والله أعلم

( عبد المسيح ) هو أدلُّ الأسماء العربيَّة على نصرانيَّة الذين تسمَّوا بهِ وعددهم بين العرب ليس بقليل وأقدمهم عبد المسيح بن باقية بن جرهم سادس ملوك جرهم على مكَّة الذي ذكرناه في القسم الأوَّل من كتابنا ( ص ١١٦ ). ومنهم عبد المسيح بن عَسَلة الذي روينا شعرهُ في شعراء النصرانيَّة ( ص ٢٥٤ ) نقلاً عن المفضليات. ومنهم عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغسَّاني كان سيد أهل الحيرة وأحد المعمّرين. قال أبو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين ( ص ٣٨ : ed. Goldziher ) انهُ « ادرك الإسلام فلم يسلم وكان منزلهُ في الحيرة وكان شريفًا في الجاهليَّة » . وذكر لهُ ياقوت في معجم البلدان ( ٢ : ٦٧٧ ) ديرًا بناهُ عُرف باسمهُ كان بظاهر الحيرة وفيهِ وُجد قبره وكان عليهِ مكتوبًا :

حَلبْتُ الدهر أشْطَرَهُ حياتي ونلتُ من المُنى فوق المَزيدِ
فكافحتُ الأمور وكافحتني فلم اخضع لمُعْضِلةٍ كَؤُودِ
وكدتُ أنالُ في الشرفِ الثريَّا ولكن لا سبيلَ إلى الخلودِ

ولعبد المسيح هذا شعر رُوي في كتب الأدب سنجمعهُ ان شاء الله. وممَّن دُعوا باسم عبد المسيح الشاعرُ الجاهلي الشهير بالمتلمس واسمهُ عبد المسيح بن جرير ( راجع شعراء النصرانيَّة ص ٣٣٠ ). ومنهم عبد المسيح بن الديَّان من سادة نجران قال الأعشى يمدحهُ وآلهُ ( شعراء النصرانيَّة ٣٨٢ ) :

وكَعْبَةُ نجرانَ حتمٌ عليكِ حتى تُناخَيْ بأبوابها
نزور يزيدًا وعبدَ المسيح وقيسًا وهم خيرُ أربابها

وذكر ياقوت ( ٤ : ٧٥٦ ) بين سادة نجران عبد المسيح بن دارس بن عديّ بن معقل وقال هناك انَّ كعبة نجران كانت لهُ وهي قبَّة من أَدَم وثلثمائة جلد يؤمَّن فيها الخلق ويُرفَد المسترفد وتُقضى حاجة كل طالب ( قال ) وكانت على نهر بنجران. ومن وفود نجران على نبي المسلمين أحد أساقفتهم يُدعى العاقب قال ابن سعد في كتاب الوفود ( ص ٧٦ ) انهُ كان من كندة وان اسمهُ عبد المسيح. ومنهم أيضًا « عبد المسيح بن المؤهّب » الذي روى لهُ البحتري شعرًا في حماسته ( اطلب الصفحة ١٩٦ من طبعتنا ).

هذا فضلاً عن أساقفة بهذا الاسم تولَّوا رعية كنائس العراق ورد ذكرهم في تواريخ النصرانيّة وكان بينهم رجال من أصل عربي

( عبد ياسوع ) ذكر صاحب التاج ( ٢ : ٤١٢ ) هذا الاسم لأحد عرب الحيرة المعروفين بالعباد. وأشهر منهُ ( عبد يشوع ) أو ( عبد ايشوع ) على اللفظ السريانيّ. وبه عُرف في جهات العراق قبل الإسلام عدة أساقفة ورهبان كعبد ايشوع الحبيس ذكره ابن ماري في المجدل ( ص ٢١ ) وعبد ايشوع الميشاني صاحب العمر ( ص ٢٨ ) وعبد يشوع القناني رسول العرب ( فيه )

( عديّ ) هو اسم شاع في الجاهليَّة وتسمَّى بهِ كثير من النصارى العرب كعدي بن زيد الشاعر النصراني الشهير ( شعراء النصرانيَّة ص ٤٣٩ ) وعدي بن حنظلة ( تاريخ الطبري ٢ : ١٠١٦ ) وعدي بن أوس ابن مارينا ( فيهِ أيضًا ١ : ١٠١٨ ) وعديّ بن حاتم الطائي ( ١ : ١٧٠٦ ـ ١٧١٠ ). وعلى ظنِّنا ان هذا الاسم أعجمي أصلهُ ادّي أو عدّي كان أحد تلامذة المسيح ومبشرًا لإيمانهِ بين الكلدان والعرب وقد أفاض المؤرخون في ذكرهِ

( عيسى ) هو اسم السيد المسيح في القرآن. ومن العجب العجاب اننا لم نجد ذكرًا لهذا الاسم بين أعلام العرب في الجاهليَّة. ولعلّ رسول الإسلام أخذه على هذه الصورة من يهود يثرب الذين رووهُ كذلك بغضًا بالنصارى وإشارةً إلى عيسو

( فراسية ) ورد هذا العلَم في مروج الذهب للمسعودي ( ed, Barbier de Meynard, III, 200 ) فقال هناك انّ المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة كانت امُّهُ (( الفراسيَّة )) بنت مالك بن المنذر من آل نصر )) . وهذا الاسم نصراني بَحْت كما نبَّه إليهِ الطابع ( ص ٤٥٠ ) وهو تصحيف (( اوفراسية )) ( Euphrasie ) اسم عدَّة شهيدات نصرانيَّات

( فيليبُّس ) اسم أحد رسل السيد المسيح. وهو اسم فيليبُّس العربي أوَّل القياصرة المتنصِّرين ( راجع القسم الأوَّل ص ٣٢ )

( فيميون ) هو اسم الراهب السائح الذي دخل نجران ونصَّرها كما روينا في القسم الأوَّل ( ص ٥٩ ـ ٦٠ ) والاسم أعجميّ لا محالة لعلَّهُ معرَّب من اليونانيَّة Εὔφημος أي البليغ والحسن النطق

( قسّ ) اسم معرَّب من السريانيَّة وهو فيها ܩܫܝܫܐ أي الشيخ يدلُّ خصوصًا على الكاهن النصرانيّ وبهِ دُعي خطيب العرب اسقف نجران « قس بن ساعدة الايادي » ( اطلب شعراء النصرانيَّة ص ٢١١ ). ومن إياد أيضًا كان المسمَّى الخُسّ بن حابس أبو هند بنت الخس الاياديَّة » ( التاج ٤ : ١٣٧ ) الشهيرة بفصاحتها. وعلى ظنِّنَا انَّ « الخُسُّ » هنا كالقُسّ

( ماري ) هو اسم التلميذ الذي دعا إلى الإيمان بالمسيح في جهات العراق وانشأ على ما يقال كرسي المدائن. وبهذا الاسم عُرف قبل الإسلام ماري الفارسي اسقف بيت اردشير (اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني ج ٣ ص ١٧١)

( ماريـة ) هو اسم مريم على لفظـهِ اليونـاني واختصَّت بـهِ نساء النصـارى على هذه الصورة مشيرات بهِ إلى العذراء الطاهرة. منهنَّ « ماريـة بنت الحـارث » الكنديَّة قرينـة المنذر ملك الحيرة ووالدة ابنـهِ الأسود ( الأغـاني ٢ : ٣٢ ). ومنهن ماريـة بنت الارقم بن ثعلبـة من ملوك بني جفنة الغسَّانيين ( التاج ١٠ : ٣٤١ ) وابنها الحارث الأعرج الذي فيهِ قال حسَّان :

أولادُ جَفْنةَ حولَ قبر ابيهمِ قبرَ ابنِ مـاريةَ الكريم المُفضلِ

ومنهنَّ مارية بنت ظالم بن وهب اخت هند الهنود امرأَة حجر الكندي وامّ عمرو بن الحارث صاحبة القُرْطَيْن اللذين بحسنهما يُضرَب المثل « خذهُ ولو بقُرْطَي ماريـة » ( أمثال الميداني ١ : ٢٠٤ ). ومنهنَّ « مارية ابنة حنظلة » امّ جابر بن ابجر سيّد بني عجل النصارى ( الطبري ١ : ١٠٣٣ ) . و « مارية بنت الصَّباح الشيبانيَّة » من بني هند ( الأغاني ٦ : ١٧٨ - ١٧٩ ) وابنها قيس بن شراحيل الذي فيهِ قال الحارث بن حلّزة يشير إلى الصلح بين بكر وتغلب بعد حرب البسوس :

فهلاَّ سعيتَ لصلح الصديقِ كصلحِ ابن مارية الأَقْصمِ

ومنهنَّ « مارية أَمة هند ابنة النعمان » ( الأغاني ٢ : ٣٢ ) .. ومنهنَّ ايضًا « ماريـة القبطيَّة » ابنة شمعون التي أهداها صاحب مصر المقوقس إلى نبيّ المسلمين فولدت لهُ ابراهيم ( تهذيب الأسماء للنووي ص ٨٥٣ ) وذكر ابن عبد البرّ النمريّ القرطبي في كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب ( ج ٢ ص ٧٨٣ ) أَمتين لمحمَّد اسمهما « مارية »

( مَرْقُس ) هو اسم أحد الإنجيليين وتلميذ بطرس زعيم الرسل. وبهِ عُرف أحد شعراء الحماسة ( حماسة أبي تمّام ص ٢٩٧ ed. Freytag ) وقد ضُبط هناك بفتح القاف مَرْقَس. ( قال ) واسمهُ عبد الرحمان المعني أحد بني معن بن عَتُود

( مَرْيم ) هذه صورة أخرى لاسم مريم العذراء. وفيه إشارة أيضاً إلى مريم اخت موسى. وممَّن تسمَّى بمريم بين العرب مريم ابنة عثمان من زوجتهِ نائلة ابنة الفرافصة النصرانيَّة ( الطبري ١ : ٣٠٥٦ ) ولهُ ابنة أخرى بهذا الاسم من امّ عمرو ( فيهِ ). كذلك ذكروا « مريم ابنة اياس الانصاريَّة » ( الاستيعاب ٢ : ٧٨٢ ). وقد تكنَّى بابي مريم عدَّة من العرب منهم أحد بني حنيفة « أبو مريم الذي قتل زيد بن الخطَّاب » (الاشتقاق ٢٠٩) و « أبو مريم البَلْوي » ( تاريخ الطبريّ ١ : ٢٣٨٥ ) وقد ورد الاسم على صورة مريام كأبي مريام الاسقف ( الطبري ١ : ٢٥٨٤ ـ ٢٥٨٥ )

( مَرينة ) أو ( مَرينا ) اسم نصراني لإحدى الصالحات. وكان في الحيرة « قوم من أهل الحيرة يقال لهم بنو مرينا ينتسبون إلى لخم وكانوا أشرافًا » ( الأغاني ٢ : ١٢ ) وقد عدَّهم في محلّ آخر ( ٨ : ٦٤ ) من « العباديين »

( ميكَال ) هو اسم ميخائيل الملاك الذي مرَّ. وقد ورد في تاج العروس ( ٩ : ١١٩ ) اسم جدّ البيت الميكالي بنيسابور فدعاهُ « ميكال بن عبد الواحد » ورقَّى نسبَهُ إلى ملوك الفرس

( هِرْمز ) أو ( هرمزد ) أحد شهداء النصرانيَّة في العراق. وبهِ تسمَّى بعض نصارى العرب كهرمز أسقف مدينة عمَّان الذي حضر المجمع الخلقيدوني وأثبت أعمالهُ بامضائهِ

( هُود ) أحد الأنبياء على ما يقال أُرسل إلى العرب. ومن المحتمل انَّهُ اسم نصراني وانَّهُ صُحّف عن يَهُوذا أحد رسل السيد المسيح الذي يذكرهُ القدماء كداعي العرب إلى النصرانيَّة. ولعلّ اسم « هَوْذة » صورة أخرى لهذا الاسم عُرف بهِ هَوذة بن عليّ ذو التاج أحد بني حنيفة النصارى الذي ذكرناهُ سابقًا

( الهَيْجُمانة ) كذا دعاها المسعودي في مروج الذهب ( ٣ : ١٩٩ و ٤٥١ ) وسمَّاها الطبري ( ١ : ٨٨٢ ) الحَيْجُمانة وهي امّ ملك الحيرة النعمان بن امرئ القيس

وقال الطبريّ انَّها كانت ابنة عمرو بن أبي ربيعة بن ذُهل. واسمها أعجميّ يوافق اليونانيَّة H'γουμένη ومعناها الرئيسة والسيّدة

( يحنَّه ) اسم نصراني شهير. وقد اشتهر بهِ ملك أَيلة « يحنَّة بن رؤبة » الذي كتب إليهِ رسول الإسلام يدعوهُ إلى طاعتهِ (راجع كتاب الوفود لابن سعد ٢٧ : ١٧ ed. Wellhausen,) وكتبهُ الطبريّ ( ١ : ٢٣٧٤ ) « يوحنَّة بن رؤبة » . وورد في التاج ( ٩ : ١٨٥ ) اسم « حنَّة » كوالد عمرو الصحابي وهي صورة أخرى للاسم ذاتهِ

( يونس ) مرَّ بك انهُ تعريب اسم يونان النبيّ. ولا نشكّ في انَّهُ اسم يوحنَّا على لفظهِ اليوناني فشأنهُ أن يحرّك يُونِّس. Ιωάννης' لاسيَّما إذا كان المتسمَّون بهِ من النصارى وتجد في تاريخ نصارى العراق ممَّن دُعوا بهذا الاسم وهم يكتبونهُ يُوانّيس ( راجع تاريخ ماري بن سليمان ص ٧٦ و ٨٣ و ٩٩ ) وقد ذكر ياقوت ( ٢ : ٧١٠ ) بين أديار مصر « دير يُحَنِّس » وهو أقرب إلى الأصل

## ٤ الاعلام النصرانية الوصفيَّة والمعدول بها والمعرَّبة

هو الضرب الأخير من الأسماء التي تسمَّى بها بعض نصارى العرب في الجاهليَّة فمنها ما هو صفة محضة كصفات شائعة في زماننا مثل نجيب وانيس إلاَّ انها أدلّ على أحوال النصارى ومعتقداتهم. ومنها ما عُدل بهِ عن منعوت نصراني أو نُقل معناهُ إلى العربيَّة. ولا نطرق هذا الباب إلاَّ بكل حذر لئلاَّ ينسبنا القارئ إلى المبالغة ولعلَّ غيرنا يتَّسع فيهِ

( امرؤ القيس ) لا بدع انَّ بعض نصارى الجاهليَّة دُعوا بهذا الاسم ولعلَّ أقدمهم هو امرؤ القيس المعروف بالبدء الذي ذكر ابن الكلبي وابن خلدون (راجع الجزء الأوَّل ص ٧٧) انَّهُ أوَّل من تنصَّر من ملوك آل نصر في العراق. ومنهم امرؤ القيس الشاعر الكندي الذي أثبتنا نصرانيَّتهُ في مقالة سابقة ردًّا على حضرة الاب انستاس ( المشرق ٨ [١٩٠٥] : ٩٩ ـ ١٠٠٦ ). ولعلّ سائلاً يسأل وما أصل هذا الاسم ؟ قد أجاب الكاتب المتفنّن جرجي افندي زيدان في « كتاب العرب قبل الإسلام » ( ص ١٦٦ ) انَّ هذا العلَم أحد الأسماء « التي اقتبسها العرب من الأمم المجاورة لهم

كاليونـان والسـريان وقـد حرَّفوهـا » ( قـال ) : « فـامرؤ القـيس مـثلاً نظنُّـهُ تحريـف مـاركوس (مرقس) وربَّمـا تعمَّدوا تحريفهُ ليكون لـهُ صـبغة عربيَّـة ... ويؤيد ذلك انَّ هذا الاسم ( امرؤ القيس ) لـم يكـن معروفًـا عنـد العـرب قبـل النصـرانيَّة أو قبـل مجـاورتهم اليونـان » . هـذا رأي رصيفنا جرجي أفندي ويا ليتهُ صحيح لكنَّهُ لا يقنعنـا والمرجَّح مـا يقولـهُ المستشرقون انَّ الاسم مركَّب من « امرء » و « قيس » أي رجل قيس أو عابد قيس من معبودات العرب القديمـة وقد بقي الاسم مع سقوط معناه الوثني. والله أعلم

( بحير أو بَحيرا ) على رأينـا انَّ هذين الاسمين بمعنًـى واحد وانهمـا من السريانيَّة « حشـؤ » ومعنـاهُ الرجـل الحـاذق والعـالم والأغلـب انـهُ لقـب. وقـد عُـرف بهـذا الاسـم بحيـرا الراهب الذي اجتمع بمحمَّد صاحب الشريعة الإسلاميَّة وكان اسمهُ سرجيوس كما قلنا. وذكر في أُسد الغابة لابن الأثير ( ١ : ١٦٧ ) رجلاً آخر شآميًّا بهذا الاسم قدم علـى رسـول المسلمين مـع سبعة آخرين. وكذلك اسم بَحير كان شائعًا في الجاهليَّة ذكر في تاج العروس ( ٣ : ٢٩ ) أربعة من الصحابين بهذا الاسم أشهرهم بَحير بن أبي ربيعة المسمَّى عبد الله وبَحير الانماري

( بِشْر وبَشِير ) كـلا الاسـمين كـان شـائعًا فـي الجاهليَّـة وكثـر فـي القبائـل التـي مـرَّ بيـان نصـرانيتَّها كبشـر بـن الحـارث الصـحابي وبشـر بـن المعلَّـى سيّد بنـي عبـد القـيس النصـارى المعروف بجارود ( الاشتقاق لابن دريد ١٨٦ ) وبشر بن أبـي خـازم الاسدى الشـاعر. وبشـير الكعبي أحد بنـي الحـارث بـن كعب أصـحاب نجران النصـارى ( أُسْد الغابـة ١: ٢٩٣ ). وعلـى رأينا انَّ في هذا الاسم إشـارةً إلـى اسم البشـارة أوانَّـهُ استعير من الآراميَّـة بهذا المعنـى فاتَّخذهُ النصارى في الجاهليَّة كما يدعون اليوم باسم بشارة وبشير

( البَعيث ) هـو اسـم بعـض أهـل الجاهليَّـة النصـارى اخصُّـهم بعيـث بـن حُرَيـث الحَنَفـي وبعيث بن رزام التغلبي. واشهر منهما بعيث اليشكري الشاعر واسمهُ خداش بـن بشـير مـن بنـي مجاشع واسم امّهِ وردة. قالوا انهُ دُعي بعيثًا لقولهِ :

تبعَّث مني مـا تبعَّث بعد مـا أُمرَّت قوايَ واستمرَّ عزيمي

وعندنا انَّ لهذا الاسم علاقةً مع البَعْث أي المنبعث من الموت كما دعـا نصـارى الغـرب بهذا المعنى « Anastase » ونذكر انَّ الاب انستاس الكرملي اتحفنا في

المشرق بمقالة تحت امضاء « البعيث الخضري » وهو تعريب اسم حضرتهِ الكريم

( تَوْبة ) هو اسمٌ يُشعر بزهد النصارى تسمَّى بهِ في الجاهليَّة أو في أوائل الإسلام تَوْبة بن عمران الاسدي ( ياقوت ٣ : ١٠٥ ) وتوبة السَّلُولي واسمهُ عبد الملك ( فيهِ ١ : ٥٨٧ ) وتَوْبة بن الحُمير الخفاجي الشاعر ( الأغاني ١٠ : ٦٧ )

( ثابت ) شاع هذا الاسم في أواخر عهد الجاهليَّة ولاسيَّما بين القبائل المتنصّرة من تنوخ وعبد قيس وتميم وثعلبة وغيرها. ولعلّهُ أحد الأسماء المنقولة عن الاعلام النصرانيَّة الأجنبيَّة كمثل « Constans » اللاَّتينيَّة أو « Firmus »

( جابر ) ممَّا دُعي بهِ بعض النصارى في الجاهليَّة كالشاعر التغلبي جابر بن حُنَيّ (شعراء النصرانيَّة ص ١٨٨) وجابر بن شمعون اسقف الحيرة في أيَّام النعمان بن المنذر (الأغاني ٢ : ٢٦) لعلّهُ من الأسماء المستعارة من أوصاف اللاهوت كجَبْر وجبَّار وجبرئيل كما مرَّ

( الحارث ) أحد الاعلام التي استحبَّها النصارى في الجاهليَّة فتسمَّى بهِ ملوكهم الغسَّانيُّون وكثيرون من أساقفتهم الذين وقَّعوا على أعمال المجامع بهذا الاسم منقولاً إلى اللاتينيَّة ( Aretas ) ومن رؤساء قبائلهم كالحارث بن كعب الذي ذكرنا وصيَّتهُ إلى أبنائهِ (ص ١٢٨) أو كصاحب نجران المستشهد على عهد ذي نواس ( ص ٦٠ ) واشتهر أيضًا الحارث بن عبَّاد شاعر بني بكر وسيّدهم ( شعراء النصرانيَّة ص ٢٧٠ ). والحارث بن حلّزة البكري ( شعراء النصرانيّة ص ٤١٦ ) وأبو الحارث الأسقف أحد وفود اليمنيّين على محمَّد في السنة ٩ للهجرة ( الطبري ). امَّا أصل هذا الاسم فليس بثابت. وقد زعم الكاتب الأديب جرجي أفندي زيدان في كتابهِ العرب قبل الإسلام ( ص ١٦٦ ) انَّهُ معرَّب من اليونانيَّة (قال) « فالحارث يجوز أن يكون ترجمة جيورجيوس اليونانيَّة ومعناها العامل بالأرض » . وفي قولهِ نظرٌ لأنَّ هذا الاسم سبق عهد النصرانيَّة وبهِ عُرف ملوك من النبط

( حبيب ) هو عند النصارى لقب للرسول يوحنَّا بن زبدى لأنَّ السيّد المسيح خصَّهُ بمحبَّتهِ بين تلاميذهِ (١ . وعلى ظنِّنا أنَّ النصارى الذين سُمُّوا بهِ اشاروا إلى

---

١) وفي شرح المفسّرين للقرآن يدعونهُ « حبيبًا النجَّار » وقالوا ان ما ورد في سورة يس « إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذّبوهما فعزَّزنا بثالث » يراد بهم حبيب النجَّار ( أي يوحنا الحبيب ) ويعقوب وسمعان بطرس

ذاك الرسول. ومنهم من ذُكروا في جملة الصحابة ( راجع أُسد الغابة لابن الأثير ١ : ٣٦٨ ـ ٣٧٥ ). ومن شهداء النصارى في مدينة الرها على عهد ديوقلطيانوس المسمَّى بحبيب استشهد مع گورياس وشامونا ( BHO, p. 84 ) وعُرف بهِ شهيدان آخران في صور وفي العراق في أيَّام سابور. وبينهم واحد نُسب إليهِ دير حبيب ( ياقوت ٢ : ٦٥٣ )

( حكيم ) من المحتمل انَّ الذين دُعوا في الجاهليَّة باسم حكيم كحكيم بن حزام بن خويلد ( اشتقاق ابن دريد ٥٨ ) وحكيم بن قبيصة بن ضرار التغلبيّ ( حماسة أبي تمَّام ص ٧٩٢ وحماسة البحتري ص ٦١ ) وحكيم بن جَبَلة العبدي من بني القيس (أُسد الغابة ١ : ٣٩) وغيرهم انما أُشير بأسمائهم إلى سليمان الحكيم

( خالد ) هو أيضًا أحد الأسماء التي تشعر باعتقاد النصرانيَّة بالآخرة وخلودها فلا عجب أن يكون النصارى دعوا بهِ أولادهم في الجاهليَّة كخالد بن سنان العبسيّ النبيّ الذي كان يدعو قومهُ إلى النصرانيَّة ( راجع الصفحة ١٣٥ ) وخالد بن عمرو الشيبانيّ ( حماسة البحتري ص ٣٦ ) وخالد بن حِقّ الشيبانيّ ( سيرة الرسول ٤٦ ). ومن المحتمل أيضًا انَّهم عرَّبوا ذلك من اعلام نصرانيَّة يونانيَّة ( ἀίδιος ) أو رومانيَّة Perennis, Perpetuus. f. Perpetua ( ). ومثل خالد تسميتهم بخالدة وخُلدة وخُوَيلد وخليدة وخلاَّد ( أسد الغابة ١ : ١١٩ ـ ١٢٢ و ١٢٧ )

( الخِضْر ) هذا الاسم الذي اختلف فيهِ المسلمون أيَّ اختلاف فقالوا انَّهُ النبيّ الياس أو النبيّ اليشاع أو النبيّ ادريس أو القديس جرجس وجعلوهُ من غلمان موسى في شرحهم على سورة الكهف لم نجد لهُ أثرًا بين اعلام الجاهليَّة. ولو كان قديمًا لدُعي بهِ أحد النصارى أو اليهود قبل الإسلام وقد زعم البعض أنهُ تعريب « Horus »

( الخليل ) اسم إبراهيم أبي المؤمنين الذي اصطفاهُ الله واحبَّهُ. ورد هذا الاسم في شعر ورقة بن نوفل الراهب النصرانيّ ( اطلب شعراء النصرانيَّة ص ٦١٨ ) :

تُلاقي خليل الله فيها ولم تكن ... من الناس جبَّارًا إلى النار هاويا
فأصبحتَ في دارِ كريم مقامُها ... تُعَلَّلُ فيها بالكرامةِ لاهيا

وجاء في القرآن في سورة النساء ( ٤ : ١٢٤ ) : « واتَّخذ الله ابراهيمَ خليلاً » . وسبقهُ السموءَل فقال ( راجع ديوانهُ الذي طبعناهُ ص ٣٠ ) :

فهذا خليلٌ صيَّر الناس حولـهُ رياحين جنَّات الغصون الذوابلِ

( سَعْد وسَعِيد وأَسعَد ) دُعي بهذه الأسماء بعض نصارى العرب في الجاهليَّة كسَعْد بن مالك أبي المرقّش الذي دفع ابنهُ إلى أحد نصارى الحيرة ليعلِّمهُ الخطّ (الأغاني ٥ : ١٩١) وسعد بن الضباب صاحب امرئ القيس ( ٨ : ٧١ ) وسعد الذي نُسب إليه دير سَعْد ( ياقوت ٢ : ٦٦٩ ) وأَسعد بن زُرارة ( أُسد الغابة ١ : ٧١ ) فلا يبعد انَّ النصارى اتَّخذوا هذه الأسماء معرَّبة عن لغات الشعوب المجاورة كاسم الشهيد « Felix » مثلاً. وإلى هذا الباب يعود اسم سَعْدان وبهِ سُمّي « سَعْدان بن عبد يسوع » المذكور في الأغاني ( ٢٠ : ١٢٨ ) في حروب قيس وتغلب

( سالم ) نجد هذا الاسم لأحد أساقفة بلاد العرب الذي حضر المجمع الخلقيدوني ووقَّع على أعمالهِ في اليونانية « Σωλήμος » (راجع الشرق المسيحي *Oriens Christianus*, II, 866 : Lequien)

( صالح ) هذا الاسم سبق الاسلام. ومؤرخو العرب يزعمون أن نبيًّا بهذا الاسم أُرسل إلى قوم ثَمُود يدعوهم إلى الله وإلى نبذ عبادة الأصنام واجترح الآيات تأييدًا لدعوته فأَبى أكثرهم ان يرعووا عن غيّهم فضربهم ضربةً عظيمة وأهلكهم الاَّ الذين آمنوا فتوجَّه بهم إلى مكة. وليس بالمستبعد انَّ النبي المذكور أحد دُعاة النصرانيَّة الذين سبق لنا ذكرهم. وما يؤكدهُ كتبة العرب ( راجع سيرة الرسول لابن هشام ص ٢١ ed. Wüstenfeld ) انَّ فيميون الذي دعا أهل نجران إلى النصرانية صحبهُ في دعوتهِ ولزمهُ رجل اسمهُ صالح من عرب الشام وذكر في أُسد الغابة ( ٣ : ٩ ) مولًى لرسول المسلمين يُدعى صالحًا كان أصلهُ من نصارى الحبش. وكذلك ذكر ابن دريد في الاشتقاق ( ص ٥٨ ) صالح بن عبد الله قال « قُتل بقُدَيْد وكان صالحًا ديّنًا » . فهذا الاسم على ما نرى مستعار من اعتقاد نصراني أو هو معرَّب عن اسم اجنبي نحو « Justus » أو « Innocens » أو « Pius »

( صخر ) أحد أعلام الجاهليَّة المستفيضة فهو بمثابة كيفا ( ܟܹܐܦܵܐ ) السريانيَّة و Petrus اللاتينية والصفا العربيّة وهو الاسم الذي ميَّز بهِ السيد المسيح هامة رسلهِ إذ جعلهُ كصفاةٍ عليها تُبنى بيعتهُ. وليس لدينا برهان قاطع على أنَّ العرب أرادوا اسم صخر الإشارة إلى القديس بطرس كما زعم جرجي افندي زيدان ( في كتاب العرب قبل الإسلام ص ١٦٦ ) حيث قال ان العرب ترجموا الأسماء اليونانية فتسمَّوا بها

وضرب مثلاً على ذلك اسم الحارث كما مرَّ واسم « صخر » فقال انهُ « ترجمة بطرس »

( مالك ) نظنّ انَّ هذا الاسم بين نصارى الجاهلية امَّا معرَّب عن اليونانية وامَّا مشير إلى أحد أولياء النصارى. والدليل على الأوَّل ما رويناهُ سابقًا ( ص ٨١ ) عن أحد أمراء العرب الوافدين على القديس سمعان العمودي سمَّاهُ الكاتب ( Basilicus ) أي مالكًا. والدليل على الثاني اسم رجلين من نسَّاك النصارى اشتهر باسم Malchus في ما بين النهرين والعراق ( BHO, pp. 131-132 )

( محمَّد ) مرَّ في الفصول السابقة ( ص ١٢٦ و ١٤٨ ) انَّ اسم محمَّد من اعلام زمن الجاهليَّة. وانَّ النصارى عُرفوا بهِ كمحمَّد بن سفيان بن مجاشع أحد أساقفة تميم وكذلك محمد بن حمران من نصارى مذحج ومحمد بن خزاعي من ذكوان ومحمد أحد بني سليم (Sprenger I, 161). وهذا الاسم يشبه بمعناه عدَّة أسماء يونانيَّة لرجال اشتهروا في بلاد العرب أخصُّهم اوتيميوس رسول العرب واودو كسيوس أحد الشهداء الأوَّلين فمن المحتمل أن يكون عُرّب عن بعضها

( منصور ) نجد هذا الاسم بين اعلام الجاهليَّة. منهم في بني اياد النصارى منصور بن يقدم بن أفصى بن دعميّ بن إياد. ومن بني ربيعة منصور بن جَعْوَنة قال ابن دريد في الاشتقاق ( ص ١٨٠ ) : « كان شريفًا بالشام سيّدًا » . ومن قضاعة منصور ابن جُمهور من رجال كَلْب. واشتهر في دمشق ابن منصور في عهد بني أميَّة وهو القديس العلاَّمة يوحنَّا الدمشقي. وليس بالمستبعد أن يكون هذا الاسم معرَّب من اسم يوناني مثل ( Nicon, Nicolas ) أو لاتيني مثل ( Vincent, Victor )

## ٥ الاعلام النصرانيَّة الجغرافيَّة

نضيف إلى اعلام الأشخاص النصرانية الاعلام الجغرافية التي تدلُّ على معرفة العرب لمزارات النصارى واكرامهم لها

( أُوريشَلِم ) عاصمة اليهود قبل المسيح اضحت بعدهُ مدينة مقدَّسة يكرمها النصارى ويتبركون بزيارتها. والعرب لم يدعوها بعد الإسلام بهذا الاسم وانَّما جاءَت على هذا اللفظ القديم في شعر الأعشى قال ( معجم البلدان ١ : ٤٠٢ واللسان ٥ : ٩٦ ) :

وطوَّفتُ (١ للمال آفاقهُ  عُمانَ فحِمْصَ فأُرِيشَلِمْ

---

١) ويروى : وقد طفتُ

اتيتُ النجاشيَّ في دارهِ وارضَ النبيطِ وارضَ العَجَمْ

وروا : أُوريسَلم وأُوراسَلَمْ. وذكروا حديثًا لعطاء ( اللسان ٥ : ٩٦ ) : « أَبْشري أُورَى شَلَّم بَراكبِ الحمار » قالوا يريد بيت المقدس. وهذا الحديث منقول عن نبوّة زكريَّا في السيِّد المسيح ودخولهِ إلى أورشليم ( متى٢١ : ٥ ) : « قولوا لابنة صهيون هو ذا ملككِ يأتيكِ وديعًا راكبًا على اتان وجحش ابن اتان »

( إيلياء ) هو اسم آخر لبيت المقدس لكنهُ رومانيّ الأصل دعاهُ بهِ ادريانوس الملك بعد محاربتهِ لليهود في القرن الثاني للمسيح فخرب بقايا المدينة اليهودية وشيَّد هيكلاً للمشتري ودعى المدينة لذلك « Ælia Capitolina » وروى ياقوت انَّ معنى ايلياء بيت الله. والصواب انَّها مشتقَّة من اسم اسرة القيصر ادريانس المدعوَّة ايليا. وانشد في معجم البلدان (١ : ٤٢٤) لبعض الاعراب يصف بعيرهُ وسيرهُ الحثيث في جهات فلسطين :

فلو انَّ طيرًا كُلِّفتْ مثلَ سيرهِ إلى واسطٍ من إيليَّا لكَلَّتِ
سمّى بالمهارى من فلسطين بعد ما دنا الفيءُ من شمس النهار فولّتِ
فما غاب ذاك اليومُ حتى اناخها بمَيْسان قد حُلّت عُراها وكلَّتِ

وكذلك دعاها الفرزدق بهذا الاسم فقال ( ياقوت ١ : ٤٢٤ ) :

وبيتانِ بيت الله نحنُ وُلاتهُ وقصرٌ بأَعلى ايلياءَ مُشرِفُ

( سَدُوم ) مدينة ورد ذكرها في سفر التكوين عاقب الله أهلها لمآثمهم. وقد عرف العرب في الجاهليَّة امرها فقال عمرو بن درَّاك العبديّ ( في التاج ٨ : ٣٣٥ واللسان ١٥ : ١٧٧ ) :

واني وان قطعتُ حبالَ قيسٍ وخالفتُ المرونَ على تميم
لأعظمُ فجرةً من أبي رِغالٍ وأَجْوَر في الحكومةِ من سَدُوم (١

وقال أميَّة بن أبي الصلت ( صحاح الجوهري ٢ : ٢٩٧ ) :

كذلك قومُ لوطٍ حين أَمسوا (٢ كعَصْف في سَدُومِهمُ رميمِ

( سِيَنا ) قال ياقوت ( ٣ : ٢٢٠ ) : « موضع بالشام يضاف إليهِ الطور فيقال طُور سينا وهو الجبل الذي كلَّم الله تعالى عليهِ موسى بن عمران عم ونُودي فيهِ » .

---

١) يريد بابي رغال احد ملوك الطائف الذي دلّ الحبشة على الكعبة يوم اتوا ليخربوها. ويروى : لأعظم صفقةً من شيخ مَهْو

٢) وروى ياقوت ( ٣ : ٥٩ ) : حين أَضحوا

وورد هذا الاسم في القرآن قال في سورة المؤمنين ( ٢٣ : ٢٠ ) : « وشجرة تخرجُ من طور سيناء » . وربَّما دُعي بالطور دون إضافة كقولهِ ( في سورة مريم ١٩ : ٥٣ ) : « وناديناهُ (أي موسى) من جانب الطور الأيمن وقرَّبناهُ نجيًّا » . ومثلهُ قولهُ عن رؤيا موسى للعوسجة (سورة القصص ٢٨ : ٢٩) : « آنسَ من جانب الطور نارًا »

( صِهْيَون ) إحدى تلال القدس الشريف التي احتلَّها الملك داود ويراد بها مجازًا مدينة القدس أو إحدى كنائسها. وقد ورد الاسم في شعر الأعشى قال يمدح يزيد وعبد المسيح ابني الديَّان وقيل يمدح السيِّد والعاقب اسقفَيْ نجران ( ياقوت ٣ : ٤٣٨ ) :

ألاَ سيِّديْ نجرانَ لا يوصيَنْكما بنجرانَ فيما نابها واعتراكما
فان تفعلا خيرًا وتَرْتديا بهِ فانكما اهلٌ لذاك كلاكما
وان تكفيا نجران أمْرَ عظيمةٍ فقبلَكما ما سادها ابواكما
وان احلبَتْ صِهْيَوْنُ يومًا عليكما فانَّ رحا الحرب الدكوكِ رحاكما

( القُدْس والمَقْدس ويقال بيت المَقدس ) من اسماء مدينة القدس الشريف. قال مروان بن الحكم يتهدَّد الفرزدق ( الأغاني ٢١ : ١٩٧ ) :

قُل للفرزدق والسَّفاهةُ كاسمها ان كنتَ تارك ما نهيتُكَ فاجْلِسِ
ودَع المدينة انَّها مذمومةٌ واقصدْ لمكَّةَ او لبيت المقدسِ

روى في التاج ( ٤ : ٢١٣ ) لشاعر يخاطب ناقتهُ :

لا نومَ حتى تهبطي ارض العُدُسْ وتشربي من خيرِ ماءٍ بقُدُسْ

وورد في شعر العجَّاج ( ص ٨٠ ed. Ahlwardt ) :

ضراغمٌ تنفي بأخذ هَمْسِ عن باحة البطحاء كلَّ جَرْسِ
حتى تزول هَضَباتُ قُدْسِ

وقد مرَّ بك ( ص ١٩٨ ) انَّهم كانوا يدعون بالمُقدِّس الزائر لبيت المقدس ويتباركون بثوبهِ كما أشار إلى ذلك امرؤ القيس في وصف كلاب تنهش الثور :

فادرَكْنَهُ يأخذنَ بالساقِ والنّساكما شَبرَق الولدانُ ثوب المقدّسِ

———

## الفصل الرابع
الأحداث النصرانيّة بين عرب الجاهليَّة

ظهر من الفصول السابقة ما استمدَّهُ عرب الجاهليَّة من النصارى في مفرداتهم اللغويَّة واعلامهم الشخصيَّة. وفي هذا الفصل الجديد نبيّن ما أخذوهُ عنهم من معارفهم التاريخيَّة سواء جرت في العهد القديم من أوَّل العالم إلى السيّد المسيح أو من ميلاد المسيح إلى الهجرة. فنقسم الفصل قسمين وفقًا لهذين الطورَيْن

### ١ أحداث العهد العتيق

امكن العرب أن ينقلوا اخبار العهد العتيق عن اليهود أو عن المسيحيين الاَّ انَّنا نروي هنا ما قالهُ الشعراء النصارى أو من عاشوا في جهات الجزيرة التي ازدهرت فيها النصرانيَّة. واليهود كما لا يخفى قلَّما يختلطون بامم غريبة عنهم. وزد عليهِ انَّ الاسفار الإلهيَّة والأناجيل المقدَّسة كما يظهر من عدَّة شواهد تؤيّد ذلك كانت معرَّبة وإن كانت تلك الترجمة القديمة هي اليوم مفقودة. وها نحن نتتبَّع تلك الأحدث مع ما ينوَّه بها من أقوال العرب

١ ﴿ التكوين ﴾ هو أوَّل ما تُفتتَح بهِ توراة موسى حيث يذكر أوَّلاً خلق الله عزَّ وجلّ للسماء ثمَّ الأرض مباشرةً بالجماد ثمَّ النبات ثمَّ الحيوان. امَّا تكوين السماء فقد مرَّ ذكرهُ في ما أوردناهُ من الألفاظ الدالَّة على الخالق سبحانَهُ وتعالى ثمَّ السماء وزينتها وعلى الأرواح الساكنة فيها ( المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٢٢٩ و ٢٩٢ ). فبقي تكوين الأرض في سبعة أيَّام الخليقة. فمما جاء من ذلك ما رواهُ المقدّسي ( كتاب البدء ١ : ١٥٠ ـ ١٥١ ) فقال : « وقد ذكرت حكماء العرب ومن كان يدين الله ( كذا ) منهم بدين الأنبياء في أشعارها وخطبها كيف كان مبدأ الخلق. فمنهُ قول عديّ بن زيد وكان نصرانيًّا يقرأ الكتب :

اسمعْ حديثًا لكي يومًا عن ظهر غيبٍ إذا ما سائلٌ سألا
تجاوبهُ
أنْ كيف أبْدى إلهُ الخلق فينا وعرَّفنا آياتهِ الأوَلا
نعمتَهُ
كانت رياحًا وماءً ذا عُرَانيَةٍ وظلمةً لم يدَعْ فَتْقًا ولا خَللاَ

فآمر الظلمةَ السوداءَ فانكشفَتْ وعزّل الماءَ عمَّا كان قد شغلا
وبسَّط الأرض بسطًا ثمَّ قدَّرها تحتَ السماء سواءً مثل ما فعلا (١
وجعل الشمس مصرًا (٢ لا خفاءَ بين النهار وبين الليل قد فصلا (٣
بهِ
قضى لستَّة أيَّام خلائقَهُ وكان آخر شيء صوَّر الرَّجُلا ))

روى في تاج العروس ( ٣ : ٥٤٣ ) البيتين الخامس والسادس لاميَّة بن ابي الصلت وكذلك ابن سيده في المخصَّص ( ١٣ : ١٦٤ ) روى البيت السادس لاميَّة الأَ انَّ شهادة كتاب البدء وكتاب الحيوان للجاحظ ( ٤ : ٦٥ ) اقدم وأصحّ وكلاهما يروي الأبيات لعديّ بن زيد

وروى في كتاب البدء ( ١ : ٦٥ ) وفي سيرة الرسول ( ابن هشام ص ١٤٨ ) لزيد بن عمرو بن نوفل في تكوين الأرض قولهُ :

واسلمتُ وَجْهي لمن أسلمتْ لهُ الأرضُ تحملُ صخرًا ثقالا
دحاها فلمَّا رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا
واسلمتُ وجهي لمن أسْلمتْ لهُ المُزنُ تحملُ عذبًا زُلالا
إذا هي سِيقت (٤ إلى بلدةٍ اطاعت فصبَّت عليها سِجالا

ومثلهما لاميَّة بن أبي الصَّلت ( شعراء النصرانيَّة ص ٢٢٦ ) :

وشـــقَّ الأرضَ فانبجســـت وأنهارًا من العَذْب الزَّلالِ
عيونًا
وباركَ في نواحيها وزكَّى بها ما كان من حَرْثٍ ومالِ

وقال يذكر خلق الله للنيّرين الكبيرين (شعراء النصرانيَّة ٢٢٩ وسيرة الرسول ٤٠):

انَّ آياتِ ربّنا باقياتٌ ما يُماري فيهنَّ الأَ الكَفُورُ

---

١) رواهُ في تاج العروس ( ٣ : ٥٤٣ ) على صورة أخرى :
والأرض سوَّى بساطًا ثمَّ قدَّرها تحتَ السماءِ سواءً مثل ما نَّقلا

٢) روى الجوهري ( ١ : ٢٩٩ ) : وجاعل الشمس. وورد في الأصل : (( مصيرًا )) وهو غلط كما يظهر في كتاب المخصّص ( ١٣ : ١٦٤ ) وفي تاج العروس ( ٣ : ٥٤٤ ) : قالوا (( والمصْر )) الحاجز والحدّ بين الشيئين
٣) في الأصل (( فضلاً )) وهو تصحيف اصلحهُ في المخصَّص وفي تاج العروس
٤) وفي كتاب البدء روى : إذا هي سوقت. وهو غلط

خلقَ الليلَ والنهارَ فكلٌّ مستبينٌ (١ حسابُهُ مقدورُ
ثمّ يجلو النهارَ (٢ ربٌّ كريمٌ بمهاةٍ شعاعُها منشورُ

ولهُ أيضًا ( شعراء النصرانيَّة ٢٢٨ ) :

هو الله باري الخَلْق والخَلْقُ كلّهم إماءٌ لهُ طوعًا جميعًا وأعْبدُ
تسبّحه الطيرُ الجوانحُ في الخِفَى وإذ هي في جوّ السماء تصعّدُ
ومن خوفِ ربّي سبّح الرعدُ فوقنا وسبَّحهُ الأشجارُ والوحشُ أبَّدُ
وسبَّحهُ النيرانُ والبحرُ زاخرًا وما ضمَّ من شيء وما هو مُقْلِدُ (٣

وقال أميَّة يصف تكوين الحيوانات ( كتاب الحيوان للجاحظ Ms de Vienne, ff. 397 طبعة مصر ٢ : ١١٨ ) :

هو أبدًا (٤ كلَّ ما يأتُرُ النا سُ اماثيلَ باقياتٍ سُفورا
خلق النحلَ معصراتٍ تراها تقصف اليابسات والمخضورا (٥
والتماسيحَ والسنادل (٦ والايّلَ م شتّى والرئمَ واليعفورا
وصوارًا من النواشط عينًا ونعامًا صواحيًا (٧ وحميرا
واسودًا عواديًا وفيولاً وسباعًا والنملَ (٨ والخنزيرا
وديوكًا تدعو الغراب لصلح وإوَزّينَ اخرجت وصقورا

ثمَّ ذكروا تكوين جسم الإنسان من طين الأرض ونفسَهُ من نفخة خالقهِ. قال الجاحظ في كتاب الحيوان ( Ms de Veinne, ff. 213 وطبعة مصر ٣ : ٦٥ ) : « سانشدك لعديّ بن زيد وكان نصرانيًّا ديَّانًا وترجمانًا وصاحب كتاب ومن دهاة ذلك الدهر قال يذكر شأن آدم.. » :

---

١) ويروى : يخلق ... فكل مستنيرٌ ..
٢) ويروى : ثمَّ يجلو الظلام
٣) رواهُ في اللسان وفي أساس البلاغة والتاج في مادَّة « قلد » . قالوا أَقلد البحرُ على الخَلْق أي أَرْتج عليهم وغرَّقهم وجعلهم في جوفهِ. ويروى : والبحرُ زاخرٌ
٤) في طبعة مصر ( ٢ : ١١٨ ) : « هو أبدى » فيختلّ الوزن
٥) في طبعة مصر : خلق النخل مصعداتٍ ... والخُضورا
٦) السنادل طيور كبار. وفي طبعة مصر : « والتماثيل » وهو غلط
٧) في طبعة مصر : خواضبًا
٨) وفي طبعة مصر : وذيابًا والوحش

قضى لستّة أيّـام خلائـقهُ (١ وكان آخرُها أن صوَّر الرجـلا
دعاهُ آدمَ صوتًا فاستجاب (٢ لهُ بنفحة الروح في الجسم الذي جبلا

وقال أميَّة بن أبي الصلت ( حياة الحيوان ٢ : ١١٣ ) :

والأرضُ معقلُنا وكانت امَّنا فيها مقابرُنا وفيها نُولَدُ

وقال أيضًا في الأرض وخلقة الإنسان ( فيهِ ) :

منها خُلقنا وكانت أمَّنا خُلقت ونحنُ ابناؤها لو أنّنا شُكُرُ
والطّوطَ (٣ نزرعهُ فيها فنلبَسُهُ والصوفُ نجتزُّهُ ما أدفأ الوَبرُ
هي القرارُ فما نبغي لها بدلاً ما أرحمَ الأرضَ الاّ انّنا كُفُرُ

وقال أيضًا ( جمهرة شعراء العرب ص ١٨ ) :

كيف الجحودُ وانَّما خُلِقَ الفتى من طينِ صَلْصالٍ له فخَّارُ

٢ ﴿ سكنى آدم في الفردوس وخطيئتهُ ﴾ لعديّ بن زيد وصف حلول آدم في الجنَّة وتكوين حوَّاء من ضلعهِ وتجربة الشيطان لهما على صورة الحيَّة ثمَّ عقاب الأبوين الأوَّلين وطردهما من الفردوس فقال عن آدم ( طبعة مصر ٤ : ٦٦ = Ms de Vienne, ff. 213, )

ثَمَّتَ اورثَهُ (٤ الفردوسَ يعمرُها وزوجةً صنعةً من ضلعهِ جعلا
لم يَنْهَهُ ربُّهُ عن غير واحدةٍ من شجر طيّبٍ ان شمَّ أو اكلا
تعمَّدا (٥ للّتي من أكلها نُهيبًا بأمر حوّاءً لم تأخذ لهُ الدَّغَلا
كلاهما خاط اذ برٌّ (٦ لُبوسُهما من ورق التين ثوبًا لم يَكُن غُزِلا

---

١) وفي طبعة مصر : خليقة. والبيت مختلّ الوزن
٢) في طبعة مصر : اسجاب. غلط
٣) الطوط في القطن
٤) طبعة مصر بالغلط : اورثة
٥) فيها : فعمدا
٦) فيها : اذبرا ( كذا )

فكانت الحيَّة الرقشاءُ إذ خُلقت كما ترى ناقةَ في الخَلْق أو جَملا (١
فلاطها اللهُ إذ أغوت خليقتهُ (٢ طول الليالِيَ لم يجعل لها أجلا
تمشي على بطنها في الدهر ما عمرتْ والتربُ تأكُلُهُ حَزْنًا وان سَهَلا
فأتعبا (٣ ابوانا في حياتهما ووجدا (٤ الجوع والاوصابَ والعِللا

ولعديّ وصف آخر لتجربة ابليس لحوَّاء وعقاب الحيَّة رواهُ العصاميّ في تاريخهِ بسط النجوم العوالي في انباء الأوائل والتوالي ( نسخة مكتبتنا الشرقيَّة ص ١٩ ) قال :

سعى الرجيمُ إلى حوَّا بوَسْوَسة غوتْ بها وغوى معها أبو البشرِ
خلقانِ من مارج انشا خليقَتهُ وآخرَ من ترابِ الأرض والمَدَرِ
انشاهما ليطيعاهُ فخالَفهُ ابليسُ عن امرهِ للحَيْنِ والقدَرِ
فأبْلسَ الله إبليسًا واسكنهُ (٥ دارًا من الخُلْد بين الروضِ والشَّجَرِ
فاغتاظَ ابليسُ من بغي ومن حسدٍ فاحتال للحيَّة الرَّقطاءِ والطَيَر (٦
فأدخلاهُ بأيمانٍ مؤكَّدةٍ اعطاهما بيمينِ كاذبٍ غَدِرِ
هناك سار إلى حوَّا بوسوسةٍ أرْدت بغِرَّاتها معها ابا البشرِ
فأهبطوا من معاصيهم وكلُّهُمُ نَائِي المحلّ فقيدُ العينِ والأثَرِ
واهبط الله ابليسًا واوعدهُ نارًا تلهَّبُ بالإسْعار والشَّرَرِ
وانزل الله للطاووس رخمتهُ من صوتهِ ورمى رجليهِ بالنكَرِ
وأعقب الحيَّة الحسناءَ حين غفت سَحَ القوائم بعد السَّعْي كالبقرِ
وأعقب اللهُ حوَّا بالذي فعلتْ بالطمثِ والطَّلْقِ والأحزانِ والفِكَرِ

---

١) هذا البيت في طبعة مصر مقدَّم على الاثنين السابقتين. امَّا قولهُ انَّ الحيَّة كانت كالناقة أو الجمل فذلك من مزاعم العرب الذين ذهبوا إلى انها كانت مجنَّحةً ذات أربعة قوائم فعُوقبت بنقص جناحها وقطع أرجلها والمشي على بطنها وباعراء جلدها حتى يقال « اعرى من حيَّة » وبشقّ لسانها. ( راجع كتاب الحيوان للجاحظ ٤ : ٦٦ )

٢) في طبعة مصر : خليفتهُ بالفاء

٣) في طبعة مصر : فأُبقيا

٤) فيها : واوجدا

٥) الضمير إلى الإنسان أي اسكن الإنسان

٦) يريد بالطير الطاووس والعرب يزعمون انَّ ابليس استعان بهِ وبالحيَّة ليدخل الفردوس ويخدع الإنسان فمسخهُ الله بتغيير صوتهِ ودقَّة رجليهِ

وروى في كتاب البدء ( ١ : ٦١ ) وفي اللسان ( ١٣ : ٤٥٧ ) والتاج ( ٦ : ٦٥ ) عن الحيَّة قول أميَّة :

والحيَّة الحَتْفةُ الرَّقْشاءُ اخرجَها ... من بيتها أمِناتُ اللهِ والكلِمُ
اذا دعا باسمهِ الإنسانُ أو سمعتْ ... ذات الإلهِ يُرَى في سعيها زَرَمُ

ورواها الزمخشري في الأساس : « أخرجها من جُحْرها أَيْمُناتُ الله والقَسَمُ » ( قال ) « ويُقال حيَّة حَتْفَة أي قاتلة كما يقال امرأة عَدْلَة »

ونروي هنا أبياتًا من أرجوزة نقلها صاحب كتاب البدء ( ٢ : ٨٥ ) والمسعودي في مروج الذهب لعليّ بن جهم عن بدء الخليقة كما رواها لهُ النصارى وان تأخَّر زمانهُ عن الجاهليَّة :

يا سائلي عن ابتداء الخَلْقِ ... مسألةَ القاصدِ قَصْدَ الحقِّ
أخبرَني قومٌ من الثقاتِ ... أولو علوم وأولو هيئَاتِ
تضرَّعوا في طلَب الآثارِ ... وعرفوا مواردَ الاخبارِ
ودرسوا التوراةَ والإنجيلا ... واحكموا التأويلَ والتنزيلا
انَّ الذي يفعلُ ما يشاءُ ... ومَنْ لهُ القدرةُ والبقاءُ
انشأ خَلْقَ آدم إنشاءَ ... وقَدَّ منهُ زوجَهُ حوَّاءَ
مبتديًا وذاك يومَ الجُمْعَهْ ... حتى إذا أكْمل فيهِ الصُّنْعَهْ
اسكنهُ وزوجهُ الجِنانا ... فكان من أمرهما ما كانا
غرَّهما الشيطانُ واغترَّا بهِ ... كما ابانَ الله في كتابهِ
غرَّهما الشيطان في ما صنعا ... فأهبطا منها إلى الأرض معا
فوقع الشيخُ ابونا آدمُ ... بجبل الهند ويُدعى واسمُ
لبئس ما اعتاضَ من الجنانِ ... والضعفُ من جبلّة الإنسانِ
فشقيا وورَّثا الشقاءَ ... نَسْلَهما والكدّ والعناءَ
ولم يزل مفتقرًا (١ من ذنبهِ ... حتى تلقَّى كلماتِ ربّهِ
فأمن السُّخْطة والعذابا ... واللهُ توَّاب على من تابا

والعرب يضربون المثل بآدم في القِدَم قال الأخطل بن ربيعة ( الأغاني ١٢ : ١٦٥ ) يهجو بني منقر :

يا منقرَ بن عُبَيْدٍ انَّ لُؤمَكمُ ... مذ عهد آدمَ في الديوان مكتوبُ
للضيف حقٌّ على من كان ذا كرم ... والضيفُ في منقرٍ عُريانُ مسلوبُ

---

١) لعلَّ الصواب : مغتفرًا

٣ ﴿ بنو آدم ﴾ وقد عرف شعراء العرب في الجاهليَّة نَسْل آدم وقصَّة ولديهِ كما ورد في قصيدة ابن جهم حيث قال عن آدم وحوَّا :

ثمَّ تنسَّلا احَبَّا (١ النّسلا فحبلتْ حَوَّاءُ منهُ (٢ حَمْلا
واقتنيا الابن فسُمّي قاينا وعاينا من نَشئهِ (٣ ما عاينا
فشبَّ هابيلُ وشبَّ قاينُ ولم يكن بينهما تباينُ

ومن الشعر المتضمّن لاخبار بني آدم رثاء يرويهِ العرب على لسان آدم وحوَّاء عند قتل قاين ( ويقولون قابيل ) لأخيهِ هابيل وهو لا محالة مصنوع الاَّ انَّهُ قديم يُروى في أقدم كُتب المسلمين كتاريخ الطبرى ( ١ : ١٤٦ ) ومروج الذهب للمسعودي ( طبعة باريس ١ : ٦٥ ) وغيرهما كثيرين ( راجع المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٤٩٢ ) وهم ينسبون انشادَهُ إلى عليّ بن أبي طالب ما يدلُّ على أنَّ الشعر سبق الإسلام. قال آدم :

تغيَّرت البلادُ ومَن عليها فوجهُ الأرضِ مغبرٌّ قبيحُ
تغيَّر كلُّ ذي حسن ولونِ وقلَّ بشاشةَ وجهٌ صبيحُ (٤
وجاوَرَنا عدوٌّ ليس يفنى لعينٌ لا يموتُ فنستريحُ
وقابيلٌ أذاق الموت هابيلَ واَحزَنا لقد فُقد المليحُ (٥
فما لي لا أجودُ بسكب دَمْعي وهابيلٌ تضمَّنهُ الضَّريحُ
ارى طولَ الحياة عليَّ غمًّا وما أنا من حياتي مستريحُ

ونسبوا إلى حوَّاء قولها كجواب على قول آدم :

دع الشكوى فقد هلكا جميعًا بهَلْكٍ ليس بالثمن الربيح (٦
وما يُغْني البكاءُ عن البواكي إذا ما المرءُ غُيِّب في الضريح

---

١) في الأصل (( واحبّ )) وهو غلط
٢) في الأصل (( منهُ حوَّاء )) بكسر الوزن
٣) هكذا روى المسعودي ( ١ : ٦٣ ) وفي كتاب البدء : وولدت ابنًا ... من امرهِ ...
٤) والبيت يروى عادةً بالاقواء : بشاشةُ الوجهِ الصبيحِ. وروى المسعودي : كل ذي طعمٍ
٥) رواية المسعودي :
وقتَل قاينُ هابيل ظلمًا فوا اسفًا على الوجهِ المليحِ

٦) رواهُ الطبري ( ١ : ١٤٦ ) :
ابا هابيلَ قد قتلا جميعًا وصار الحيُّ كالميت الذبيحِ

فبكِّ النفسَ منكَ ودَعْ هواها فلستَ مخلَّدًا بعد الذبيحِ

وأضافوا إلى هذه الأبيات قولاً على لسان ابليس لآدم :

تنحَّ عن البلادِ وساكنيها ففي الجنَّات ضاقَ بك الفسيحُ
وكنتَ بها وزَوْجَك في رخاءٍ وقلبكَ من أذى الدنيا مُريحُ
فما زالت مكايدتي ومَكْري إلى أن فاتك الثمنُ الربيحُ
فلولا رحمةُ الجبَّار اضحى بكفِّك في جنان الخلدِ ريحُ

وممَّن أشاروا في الجاهليَّة إلى ولد آدم افنونُ الشاعر التغلبي ( المفضَّليات ص ٥٢٤ ed. Lyall ) قال :

قد كنتُ اسبقُ من جارَوْا على مَهَلٍ من ولد آدمَ ما لم يخلعوا رَسَني

٤ ﴿ نوح والطوفان ﴾ ليس في الكتاب الكريم بعد ذكر التكوين واقعٌ أخطر من الطوفان في عهد نوح. ولا شكَّ أنَّ عرب الجاهليَّة نقلوا الخبر عن أهل الكتاب ولاسيَّما النصارى. منهم الأعشى الكبير حيث قال يمدح اياسًا ويشبهه بنوح في صنع سفينتهِ ( شعراء النصرانيَّة ص ٣٨٩ ) :

جَزَى الإلهُ خيرَ نعمتهِ كما جزى المرءَ نوحًا بعد ما شابا
في فُلْكهِ إذ تبدَّاها ليصنعها وظلَّ يجمع ألواحًا وأبوابا

ومنهم أميَّة ابن أبي الصلت روى لهُ الجاحظ في كتاب الحيوان ( طبعة مصر ٢ : ١١٨ = Ms de Vienne, 212$^{v}$ ) والمقدّسي في كتاب البدء ( ٣ : ٢٤ ) أبياتًا منها قولهُ يذكر نجاة نوح وأهله وحلولهُ على جبل الجوديّ الذي فوقهُ نزلت سفينتهُ على زعم العرب :

إلى أن يفوتَ المرءُ رحمةَ ربِّهِ وإن كان تحت الأرض سبعون (١ واديا
كرحمةِ نوح يوم حلَّ سفينة (٢ لشيعتهِ كانوا جميعًا ثمانيا
فلمَّا استنارَ (٣ الله تنثُور أرضهِ ففارَ وكان الماء في الأرض ساحيا
ترفَّع في جَرْي كأنَّ اطيطَهُ صريفٌ مُحالٍ يستعيد الدواليا
على ظَهْرِ جَوْنٍ لم يُعَدَّ لراكبٍ سراهُ وغيم ألْبس الماءَ داجيا (٤

---

١) في كتاب البدء ( ٣ : ٢٤ ) : سبعين
٢) كذا في كتاب البدء ولعلَّ الصواب : سفينَهُ
٣) كذا فيهِ ولعلَّ الصواب : استثار أو استفار
٤) في طبعة مصر : « راجيًا » وهو تصحيف

فصارت بها أيَّامُها ثمَّ سبعةً وستَّ ليالٍ دائبات عواطيا
تشقَّ بهم تهوي بأحسن إمْرةٍ (١ كأنَّ عليها هاديًا ونوَاتيا
وكان لها الجوديُّ نَهْيًا وغايةً وأصبحَ عنها موجُهُ متراخيا

ومثلها قولهُ ( كتاب البدء ٣ : ٢٤ ) :

مُنْجي ذي الخَيْر من سفينة (٢ نوح يومَ بادت لبنان من أخراها
فار تنُّورُهُ وجاشَ بماءٍ طمَّ فوق الجبالِ حتى علاها
قِيل للعبد سِرْ فسار وباللّه على الهول سَيْرُها وسُراها
قِيلَ فاهبط فقط تناهَت بك الفلْكُ على رأسِ شاهقٍ مرساها

ولهُ أيضًا ( رواهُ صاحب خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب ٤ : ٤ ) :

عرفتُ أن لن يفوتَ اللهَ ذو قِدَم وانتَهُ من أمير السوء ينتقمُ
المُسْبحُ الخُشْب فوق الماء سخَّرها خِلالَ جرْيَتِها كأنَّها عُوَمُ (٣
تجري سفينةُ نوح في جوانبهِ بكلّ موج مع الأرواح تقتحمُ (٤
مشحونةً ودخانُ الموج يرفعُها ملأى وقد صُرعت من حَوْلها الأممُ (٥
حتى تسوَّت على الجوديّ راسيةً بكلّ ما استُودِعَتْ كأنها أطمُ (٦

وروي له أيضًا في كتاب الحيوان للجاحظ ( Ms de Vienne, ff 396[٧] ) بيتان في البهائم التي كانت في سفينة نوح :

تصرخُ الطيرُ والبريّةُ فيها مع قويّ السباع والافيالِ
مرَّ فيها من كل ما عاش زوجٌ بين ظَهْرَيْ غوارب كالجبالِ

---

١) في الأصل : امره
٢) لعل الصواب : من سفينه
٣) وفي الأصل عن شارح ديوان أميَّة ما نصَّهُ : « يُقال سَبَّح الرجلُ واسبَحَهُ الله . والعُوَم جمع العُومة كأنَّها حية تكون بعمَّان. والعَامةَ شبه الطَّوْف إلاَّ انَّها اصغر منهُ يركب فيهِ البحر » وروى في لسان ( ١٥ : ٢٣٨ ) : في اليمّ جريتُها
٤) في الأصل : في جوانبهِ أي جوانب الماء
٥) في الأصل : مشحونة أي مملوءة يقال : أشحنْ سفينتك أي املأها. وفي خزانة الأدب قبل هذا البيت بيت آخر أُقحم في القصيدة بالغلط وهو من بحر المنسرح كما نبَّهَ عليهِ في الهامش والأبيات كلها من البسيط وهو قولهُ :

نُودي قمْ واركبَنْ باهلك م انَّ الله موفٍ للناس ما زعموا

٦) الأُطُم والجمع آطام

ويحسن بنا أن نروي هنا ما قال القطاميّ الشاعر النصرانيّ في عهد بني أميّة عن نوح وسفينتهِ ( ديوانهُ ص ٨٤ ed. Barth ولسان العرب ٦ : ٣٣٤ ) :

وأنْذِرُكم مصايرَ قوم نوح وكانت امّـةً فيها انتشارُ
وكان يسبّح الرحمانَ شكرًا ولله المحامِدُ والوقارُ
فلمَّا ان أراد اللهُ أمرًا مضى والمشركون لهم جُؤَارُ (١
ونادى صاحبُ التنوُّر نوحًا وصبَّ عليهمُ منهُ البَوارُ (٢
وضجُّوا عند جيئَتهِ وفرُّوا (٣ ولا يُنجي من القَدر الحِذارُ
وجاش الماءُ منهمرًا إليهم كأنَّ غُثاءَهُ خِرَقٌ نِشَارُ (٤
وعامت وهي قاصدةٌ بإذنٍ ولولا اللهُ جار بها الجَوَارُ (٥
إلى الجوديّ حتى صار حِجْرًا وحان لِتالِكَ الغُمرِ انحسارُ (٦
فهذا فيهِ موعظةٌ وحكمٌ ولكني امرؤٌ فيَّ افتخارُ

وذكر اميَّة الجُوديّ في محلّ آخر مشيرًا إلى حلول سفينة نوح عليهِ (كتاب سيبويهِ ١ : ١٣٦ ed. Derenbourg) والبيت يُروى لورقة بن نوفل في جملة ابيات ( شعراء النصرانيَّة ص ٦١٧ ) :

سبحانَهُ ثمَّ سبحانًا يعودُ لهُ ومثلنا سبَّحَ الجوديُّ والجُمُدُ

ولاميَّة يذكر امر الغراب والحمامة اللذين ارسلهما نوح ففرَّ الغراب وعادت الحمامة بغض الزيتون فقال (كتاب الحيوان للجاحظ طبعة مصر ٤ : ٦٥ ثم Ms de Vienne, ff. 212v ثمَّ كتاب البدء ٣ : ٢٥) :

وإذ هم لا لُبوسَ لهم تقيهم وإذ صمُّ السِلام لهم رطابُ (٧

---

١) الجؤار الماء الكثير
٢) في لسان العرب : نوحٌ. وفي الديوان : الوَبَارُ. ونظنّها تصحيفًا
٣) رواية الديوان : جيئتهِ إليهم. وجيئَتهُ أي حين جاءِ الطوفان
٤) في الأصل : « يريد كأنَّ زَبَدَهُ ملاءَة منتشرة مبسوطة » . وفي اللسان : خِرَق قُسارُ
٥) شرحهُ في الديوان : عامت سبحت إلى الجوديّ. والجَوَار الجَوْر أي لولا الله لجار بالسفينة الحَيرة فكانت تجور ولا تهتدي
٦) قال في اللسان : الحِجْر الممنوع الذي لهُ حاجز. وفي الديوان أي منع الجودي السفينة أن تَبرح. الغمَر والغَمَرات الشيء الذي يُغْمَر ويغرق. والانحسار الانكشاف. وتالِك مثنَّى تلك كتَانِك
٧) رواهُ الألوسي في بلوغ الارب ( ٣ : ٢٢١ ) عن الثعالبي « لهمُ عراةٌ ... صمُّ الصلاب » . وفي كتاب البدء : « واذ صخْر السِّلاَم » وفي البيت إشارة إلى ما كان يزعمهُ العرب انَّ الحجارة كانت قبل الطوفان رطبةً والطيور ناطقة ومن أمثالهم « كان ذلك إذ كان كل شيء ينطق » و « كان ذلك والحجارة رطبة » ويدعون ذلك العهد « زمن الفِطْحَل »

عشيَّةَ أرْسل الطوفـانُ يجـري وطاف الماءُ ليس لـهُ جرابُ
على امـواج أخْضَرَ ذي حبيكٍ كأنَّ سُعَارَ زاخرِهِ الهضـابُ
بآيـةٍ قـام ينطـقُ كلُّ شيءٍ وخانَ امانةَ الـديكَ الغـرابُ (١
وأرْسلت الحمـامةُ بعد سبـع تدلُّ (٢ على المهالك لا تهابُ
تَلمَّسُ هل ترى في الأرضِ عينًا وعائِنَةً بها المـاءُ العُبَـابُ (٣
فجاءَت بعد ما ركضَتْ بِقَطْفٍ عليهِ الثَّأطَ والطينُ الكُبابُ (٤
فلمَّا فَرَّسوا الآيـاتِ صاغـوا لها طوقًا كما عُقد السِّخابُ (٥
إذا مـاتت تورّثُهُ بينهـا وإن تُقتَلْ فليس لها استِلابُ (٦
جزى (٧ الله الاجلُّ المرءَ نوحًا جزاءَ البَرِّ ليس لـهُ كـذابُ
بمـا حملَتْ سفينـتهُ وانجـت غداةَ اتاهمُ المـوتُ القُلابُ
وفيهـا مـن أرومتـهِ عيـالٌ لديهِ لا الظمـاءُ ولا السغابُ

وقال أيضًا في حمامة نوح وطوقها ( حياة الحيوان للجاحظ ٢ : ١١٩ ) :

وما كان أصحـاب الحمامة جيفة غداةَ غدت منهم تضمُّ الخوافيا
رسولاً لهم والله يحكم امرَهُ يبين لهم هل يؤنس الثوب باديا
فجـاءَت بقِطْفٍ آيـةً مستبينةً فأصبح منها موضعُ الطين جاريا
على خطمها واستوهبت ثمَّ طَوْقَها وقالت ألا لا تجعلِ الطوق حاليا
ولا ذهبًا اني أخـافُ نبالهم يخالـونهُ مـالي وليس بماليا
وزِدْني على طوقي من الحَلي زينةً تُصيب إذا أتْبعتُ طوقي خضابيا
وزدني لطَرْف العين منـك بنعمةٍ ووَرّثْ (٨ إذا ما متُّ طوقي حماميا
يكـونُ لأولادي جمـالاً وزينـةً ويهوين زيني زينةً أن يرانيا (٩

---

١) روى في كتاب البدء : « بأنَّهُ قام » . وروى الألوسيّ : « وكان أمانة الديك » وكلاهما تصحيف
٢) في كتاب البدء : تزلُّ
٣) في كتاب البدء : وعائنهُ. وفي كتاب البدء : « بهِ تيبُّس واضطراب » وهي رواية مصحَّفة
٤) القِطْف ما قُطف من الأغصان. والثَّأْطُ الحمأة. والكُبابُ الطين اللازب. وفي كتاب البدء : « عليهِ السُّلط والطين الكثاب » وهو تصحيف
٥) في كتاب البدءِ : فرَّشوا الآيات. ولعلَّ المعنى ميَّزوا وفصَّلوا. والسِّخاب القلادة. ويروى : السحاب وهو تصحيف
٦) في كتاب البدء : « تورّثها .. وان قُتلت » . وفي البيتين إشارة إلى زعم العرب بان الطوق الذي يحلّي عنق الحمامة انَّما هو جزاء امانتها لمَّا عادت إلى سفينة نوح
٧) في كتاب البدء : فجازى. والبيت مختلّ الوزن
٨) في الأصل : وأَرّث
٩) وللشاعر بعد هذا ابيات ذكر فيها قصَّةً يرويها العرب جرت على زعمهم بين الديك والغراب. يقولون انَّ الديك نادم الغراب وشربا الخمر ولم يعطيا الخمَّار حقَّهُ فرهنَ الغرابُ

وروى البحتري في حماستهِ ( راجع طبعتنا ص ١٢٤ ) لرجل الكنديّ في نوح وسفينتهِ فقال في تصرُّف الأيَّام :

وأَصبنَ نوحًا بعد ما بلغَتْ بهِ أُفْقَ البلاد سفينةٌ لم تغرَقِ

وممَّن ذكروا نوح وسفينتهِ في الجاهليَّة النابغة الجعديّ في ميميَّتهِ التي اولها :

الحمدُ لله لا شريك لهُ م من لم يَقلْها فنفسَهُ ظلَما

ثمَّ قال يذكر بامر الله إلى نوح ليُعدّ لهُ فلكًا ( خزانة الأدب ٤ : ٤ ) :

نُودِيَ قُمْ وارْكَبَنْ باهلك م انَّ الله موفٍ للناس ما زعما (١

وفيها زعم الجعديّ انَّ سفينة نوح كانت من خشب الجوز لصلابتهِ وجودتهِ قال (لسان العرب ٧ : ١٩٥) :

يرفع بالقار والحديدِ من م الجَوْر طوالاً جُذُوعُها عُمُمًا (٢

ويضربون المثل في نوح بطول العمر ورووا لرؤبة ( ديوانهُ ص ١٢٨ ) :

فقلتُ لو عُمّرتُ سنَّ الحسْلِ أو عُمْرَ نُوح زمنَ الفِطَحْلِ (٣
والصخرُ مبتلٌّ كطين الوَحْلِ صرتُ رهين هرَم أو قَتلِ

ومثلهُ لأبي العتاهية ( ديوانهُ ص ٦٧ ) :

نُحْ على نفسك يا م مسكينُ إن كنتَ تنوحُ
لستَ بالباقي ولو م عُمّرت ما عُمِّر نوحُ

٥ ﴿ أبناء نوح ﴾ لم نجد في شعر عرب الجاهليَّة ذكرًا لأبناء نوح الاَّ في قصيدة لصلاءَة بن عمرو الشهير بالافوه الاوديّ ( راجع شعراء النصرانيَّة ص ٧٠ ) ذكر فيها ملوك التبابعة والمثامنة وقد ورد منها أبيات في كتاب وصايا ملوك العرب ( ص ٢٠ ) فقال :

فلو دام البقاءُ إذَنْ جدودي وأسلافي بنو قَحْطانَ داموا
ودام لهم تبابِعُهم ملوكًا ولم تَمُتِ المَثامنةُ الكرامُ
وعاش المَلْك ذو الأذْعار عمروٌ وعمروٌ حولَهُ اللّجِبُ اللّهامُ
ملوك أدَّتِ الدنيا إليها إتاوَتَها ودان لها الانام

---

الديك على حجَّة ان يذهب ويأتي بالثمن فلمَّا ذهب خاس بالديك وسخر بهِ ولم يرجع فبقي الديك محبوسًا

١) وفي بعض الروايات : « ما رعموا » وهو غلط. وقد مرَّ انَّ هذا البيت قد رُوي سهوًا في جملة أبيات أخرى لأميَّة بن أبي الصلت من بحر البسيط

٢) العُمَم جَمع عَميم وهو المجتمع الكثير

٣) الحِسْل ولد الضب ويروى : عُمْر الحسلِ. والفِطَحْل السيل والطوفان. ( راجع الصفحة ٢٨٨ )

ولمَّا يَعْصِها سامٌ وحامٌ ويافثُ حيثما حَلَّت ولامُ (١

٦ ﴿ ذكر ابرهيم الخليل وابنهِ اسحاق ﴾ ورد اسم ابرهيم في الشعر الجاهلي ويقال ابراهِم وابارهَم. قال عبد المطَّلب ( المعرَّب للجواليقي ص ٩ واللسان ١٤ : ٣١٤ ) ينسب ابتناء الكعبة إلى ابراهيم :

عُذْتُ بما عاذَ بهِ ابراهِمُ مُستَقْبِلَ القبلةِ وهو قائمُ اني لك اللهمَّ عان راغمُ

ولهُ : نحنُ آلُ اللهِ في كعبتهِ لم يزل ذاك على عهد ابرَاهَمِ

ودعاهُ ورقة بن نوفل باسم الخليل فقال ( شعراء النصرانيَّة ٦١٨ ) يخاطب زيد بن عمرو :

فأصبحتَ في دارِ كريم مقامُها تُمَلَّلُ فيها بالكرامة لاهيا
تلاقي خليلَ الله فيها ولم تَكُنْ من الناس جبَّارًا إلى النار هاويا

وكذلك قال جرير ( الطبري ١ : ٤٣٣ ) :

أبونا خليلُ اللهِ واللهُ ربُّنا ضينا بما أَعطى الإلهُ وقَدَّرا

وفي شعرهم اشارة إلى اسحاق ويدعونهُ الذبيح لما ورد في التوراة من طاعة ابراهيم لمَّا امتحنهُ الله وامره بتقدمة ابنهِ. قال الأعشى يشبِّه لون الخمر بلون دم الذبيح :

ومُدَامةٍ ممَّا تُعَتِّقُ بابلٌ كدمِ الذبيح سَلَبْتَها جِرْيَالَها

وقد وصف اميَّة بن الصلت تقدمة ابراهيم كما رُويت في التوراة فقال ( تاريخ الطبري ١ : ٣٠٨ وكتاب البدء ٣ : ٦٥ وقصص الأنبياء ٩٣ وخزانة الأدب ٢ : ٥٤٣ ) :

سبّحوا للمليك كلَّ صباحٍ طلعتْ شمسُهُ وكلَّ هلالِ (٢
ولابراهيمَ الموفّيَ بالنَّذْ رِ (٣ احتسابًا وحاملِ الأَجْذَالِ (٤
بِكْرهِ لم يَكُن ليصبرَ عنهُ لو رآهُ في معشرٍ أقتالِ (٥

---

١) جاء في كتب العرب انَّ لام ابنٌ لنوح كسام وحام ويافث
٢) رُوي هذا البيت لابن صرمة الانصاري ( خزانة الأدب ٢ : ٥٤٣ )
٣) كذا روى الطبريّ. وروى صاحب كتاب البدء : الموفي بنذر. وروى في شواهد مغني اللبيب ( ص ٢٤١ ) : « لابراهيم الوافي بالنذر » والبيت مكسور
٤) الأَجذال جمع جَذْلَ وهو القطعة الكبيرة من الحطب. وروى الثعلبي في قصص الأنبياء ( ص ٨٣ ) : « حامد الاجزال » وهو غلط. وكذلك روى في كتاب البدء « الاجزال » بالزاي
٥) الأَقْتَال جمع قِتْل وهو القِرْنُ والنظير والمقاتل. وروى الطبري : أو يراهُ. ويروى في بعض نسخهِ: معشرٍ أَقيال

ولـهُ مُدْيَةٌ تَخـايَلُ فـي اللحـمِ حُـذَامٌ حنيَّةٌ كالهـلالِ (١
أبُنَي انـّي نذرتُكَ للـّهِ شَحيطًا فاصبرْ فدىً لكَ حالي (٢
فأجـاب الغلامُ أن قـال فيهِ كلُّ شيء لله غيـر انتحالِ (٣
ابتي انّـني جزيتُكَ باللـّهِ تقيًّا بـهِ على كل حالِ (٤
فاقضِ ما قد نذرتَ لله واكفُفْ عن دَمي أن يَمَسَّهُ سِرْبالي
واشْدُدِ الصَفْد لا أحيدَ عن السـكّين حَيْد الأسيرِ ذي الأغْلاَلِ (٥
انّني آلَمُ المحـزّ وانـّي لا أمَسُّ الأذْقَانَ ذات السِّبَالِ (٦
جعلَ الله جِيدهُ من نحـاسٍ إذ رآهُ زَوْلاً مـن الأزوالِ (٧
بينمـا يَخْلعُ السرابيلَ عنـهُ فكّـهُ ربّـهُ بكبشٍ جُـلال (٨
قال خُذْهُ وأرْسِلِ ابنـك اني للذي قد فعلتُما غيـرُ قـالِ (٩

---

١) مدية حُذام وحُذام أي قاطعة. وحنيَّة مستديرة. وتخايل أي تلوح. وروى في قصص الأنبياء : « تخايَلُ في اللحم غلامًا جبينهُ كالهلال » وهي راوية مصحَّفة. ورواهُ في خزانة الأدب :

ولـهُ مديةٌ تخيِّلُ في اللحم هُذَامٌ جليَّةٌ كالهلالِ

قال جامع ديوان أميَّة محمَّد بن حبيب : المدية السكين. تخيِّل في اللحم تمضي فيهِ من الخيلاء. وهُذام القاطعة السريعة من الهذم وهو القطع والأكل في سرعة. وجليَّة مجلوَّة

٢) الشحيط الذي يَشْحَط أي يضطرب في دمهِ يريد نذرتُ ان اضّحيك لله . وروى في كتاب البدء : سحيطًا. وفي قصص الأنبياء : فذلك حالي. وفي خزانة الأدب : فدًا لك حالي. ولعلَّها كلَّها مصحَّفة

٣) قال شارح الديوان : غير انتحال أي غير كذب وادّعاء بل هو حقّ

٤) ورد هذا البيت وما يليهِ في خزانة الأدب. قال : « جزيتُكَ بالله أَطَعْتُك بالله »

٥) قولهُ « لا أَحيدَ » أي لئلاَّ احيد. ويروى : « أَن احيد » قالوا معناها خشية ان احيد أي اميل عنهُ. ويروى : من السكين. والصفد الحبل الذي يُربط بهِ

٦) قال الشارح في خزانة الأدب : يقول لم أَمْسَس ذقني أي لا أجزع ولا أمنعك. وذقن الإنسان مجمع لحيَتهِ واصلهُ في الجمل يحمل الثقيل فلا يقدر على النهوض فيعتمد بذقنهِ على الأرض. والسِبال جمع سَبَلة وهي عند العرب مقدَّم اللحية

٧) الزَّوْل الشجاع والعجب. والجِيد العُنُق. ويروى : جعل الله حَيْدَهُ. والحيد المثل والنظير

٨) روى في قصص الأنبياء وشواهد المغني : « بينما يخلع السراويل ... بكبش حَلال » . والجُلال الجليل والعظيم

٩) روي في شرح شواهد المغني : فخُذَنْ ذا فداء ابنك انّي. وروى الطبري : فخذا ذا. وفي قصص الأَنْبياء : فخذن ذا فدًى لإبنك. ويروى : فأَرسل ابنك عنهُ انـي ما قد فعلتما. وقولهُ « غير قالِ » أي غير مبغضٍ لهُ أي راضٍ بهِ

والـدٌ يتّقي وآخَـرُ مولـودٌ فطارا عنهُ بسَمْع مُعالِ (١
رُبَّما تجزَعُ النفوس من الأمـر لهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ العِقالِ (٢

وقد اختصر ذلك السموءَل في ديوانهِ ( راجع طبعتنا ص ٣٠ ) فقال :

فهذا خليلٌ صيّر الناسَ حولهُ رياحينَ جنّات الغصونِ الذوابلِ
وهذا ذبيحٌ قد فداهُ بكَبْشه يراهُ بديهًا لا نِتـاجَ الثياتـلِ

٧ ﴿ ذكر لوط وعقاب سَدُوم ﴾ لوط أخو ابراهيم. ذكرهُ العرب ورووا ما جرى لسَدُوم من العقاب في عهده. ورد في المعاجم ( الصحاح والتاج واللسان في مادَّة سَدَمَ ) لشاعر لم يذكروا اسمهُ ولعلَّهُ هو الشاعر الآتي ذكرهُ :

كذلك قومُ لوطٍ حين أَمْسوا (٣ كعَصْف في سَدُومهمِ الرَّميمِ

وجاء في التاج واللسان لعمرو بن درَّاك العبدي يشير إلى مثل العرب : « أَجوَر من قاضي سدوم » فقال :

وانّي وان قطعتُ حبالَ قيسٍ وخالفتُ المُرونَ على تميم
لأعظمُ فجرةً مِنَ أبي رِغالٍ وأَجوَرُ في الحكومةِ من سَدُوم

وقال أميَّة بن أبي الصلت يذكر قصَّة سدوم وفجور أهلها وعقابهم ( سفر التكوين ف ١٩ ثم معجم البلدان لياقوت ٣ : ٥٩ وكتاب البدء ٣ : ٥٨ وآثار البلاد للقزويني ) :

ثمَّ لوطَ أخو (٤ سدوم اتاها إذ أتاها برُشْدها وهُداها
راودُوهُ عن ضيفهِ ثمَّ قالـوا قد نهيناك ان تُقيم قراها
عَرضَ الشيخُ عند ذاك بناتٍ كظباءٍ بأجْرَع ترعاهـا (٥

---

١) قال الشارحِ : أي ذهب سمعُهُ في الناس. والمُعَال المرتفع أي صار شرفًا يُذكَران بهِ. ويروى: « بسَمْع فعالِ » وهو تصحيف

٢) رُوي هـذا البيت لشعراء كثيرين والأرجح انـَّهُ من هـذه القصيدة لأميَّة. قال في خـزانة الأدب: « المشهور انهُ لأميَّة من قصيدة طويلة عدَّتُها تسعة وتسعون بيتًا ذكر فيها شيئًا من قصص الأنبياء داؤد وسليمان ونوح وموسى وذكر قصَّة إبراهيم واسحق وزعم أنه هو الذبيح وهو قول مشهور للعلماء » . وروي في كتاب البدء : « رُبَّما تكرهُ النفوس » . وفي الخزانة : « من الشرّ »

٣) وفي معجم البلدان لياقوت ( ٣ : ٥٩ ) : حين أَضْحوا

٤) في كتاب البدء : ثمَّ لوطًا اخا

٥) روى القزويني : « غرض الشيخ » وهو تصحيف. وفي كتاب البدء : فرعاها

غضبَ القوم عند ذاك وقالوا أيُّها الشيخ خطبةً نأباها
أجمعَ القومُ أمرهم وعجوزٌ خَيَّبَ اللهُ سَعْيها ولحَاها (١
أرْسلَ الله عند ذاك عذابًا جعَلَ الأرضَ سُفْلها أعلاها
ورماها بحاصبٍ ثمَّ طينِ ذي جروفٍ مُسَوَّم إذ رماها (٢

٨ ﴿ يعقوب وبنو إسرائيل ﴾ يعقوب أبو الأسباط الاثني عشر الذي دُعي اسرائيل ويقول العرب اسرائين. قال بعض القدماء ( اللسان ١٧ : ٣٥١ ) :

قد جَرَتِ الطيرُ أيامنينا قالت وكنتُ رجلاً فطينًا هذا لعمرُ اللهِ اسرائينا

رواهُ في القلب والابدال لابن سكّيت ( ص ٩ ed. Haffner ) : « هذا وربّ البيت اسرائينا » . وسمَّاهُ اميَّة بن أبي الصلت إسْرال ( نقد الشعر لقدامة ص ٨٣ ) :

ما أرى مَنْ يغيثني في حياتي غير نفسي الاَّ بني إسرالِ

وروى الجاحظ ( في البيان والتبيان ١ : ١٩٠ ) لبعض بني إياد النصارى قولهُ وفيهِ اشارة إلى رؤيا يعقوب عند مسيرهِ إلى ما بين النهرين إذ رأى سلَّمًا تصعد عليهِ ملائكة الله وتنحدر ( تكوين ٢٨ : ١٢ ) فقال :

ونحن إيادٌ عبيدُ الإلهِ رهطُ مناجيهِ في السُّلَّمِ

ونسبوا الأسباط إلى يعقوب. قال السموءَل ( اطلب طبعتنا لديوانهِ ص ١٢ ) :

وبقايا الأسباطِ اسباطَ يعقو بَ دراسِ التوراة والتابوتِ

وذكرهُ في محلّ آخر وخصَّ بالذكر يوسف ابنهُ وقصَّتَهُ في مصر ( ص ٣١ ) :

وهذا رئيسٌ مجتبىً ثمَّ صَفْوُهُ وسمَّاهُ اسرائيلَ بَكْرِ الأوائلِ
ومن نسلهِ السامي أبو الفضلِ يوسف م الذي اشبع الاسباط قَمْح السنابلِ
وصار بمصرٍ بعد فرعون امرُهُ بتعبير أحلام لحلّ المشاكلِ
ومن بعد أحقابٍ نَسُوا ما اتى لهم من الخير والنصر العظيم الفواضلِ

٩ ﴿ موسى الكليم ﴾ قد أكثر شعراء الجاهليَّة النصارى من ذكر موسى كليم الله ورووا ما جرى لهُ مع فرعون ونجاة بني إسرائيل على يدهِ من رقّ المصريين. فمن ذلك ما ورد في كتاب البدء ( ١ : ٧٥ ) وفي سيرة الرسول ( ابن هشام ص ١٤٥ ـ

١) لحاها أي لعنها. روى القزويني : « عزم القوم امرهم بعجوز ... ومحاها » . وفي ياقوت : سَعْيها ورجاها
٢) في معجم البلدان : ذي حروفٍ. والمسوَّم المكلَّف والمسخَّر

١٤٦ ) وفي خزانة الادب ( ١ : ١١٩ و ٤ : ٢٤٣ في الهامش ) لزيد بن عمرو ورُويت أيضًا لأُميَّة :

رضيتُ بكَ اللـهمَّ ربّـًا فلن أرَى أديـنُ الهـًا غيرَكَ الله ثانيًا (١
وانتَ الذي من فَضْل منٍّ (٢ ورحمةٍ بعثـتَ إلى موسى رسولاً مناديـا
وقُلْتَ لهُ فـاذهب وهـارونَ فادعُوَا إلى الله فِرْعَـوْنَ الـذي كان طاغيـا (٣
وقـولا لـهُ أأنْتَ سوَّيت هـذه بلا وتَدٍ حتى اطمـأنّت (٤ كما هيـا
وقـولا لـهُ أأنت رفـعتَ هـذه بِلا عَمَدٍ أرْفِقْ إذَا بك بانيـا (٥
وقـولا لـهُ أأنت سوَّيت وسطها مُنيرًا إذا ما جنّـهُ الليـلُ ساريـا
وقـولا لهُ من يُرْسلُ الشمس غدوةً فيُصبحُ (٦ مامسّت من الأرض صاحيا
وقـولا لهُ مَن أنْبت الحبَّ في الثرى فاصبح منهُ البقلُ يهتزَّ رابيـا (٧
ويخـرجُ منـهُ حبَّةً (٨ في رؤوسهِ وفي ذاك آيـاتٌ لمن كان واعيـا

وروى المقدسي في كتاب البدء ( ٣ : ٨٢ ) لأُميَّة بين أبي الصلت يذكر صَلَف فرعون وعقابهُ :

ولفرعونَ إذ تُسَاقُ لهُ المـا ءُ فهـلاَّ لله كان شَكُورا
قال اني أنا المُجيرُ على النا سِ ولا ربَّ لي عليَّ مُجيرا
فمحاهُ الإلـهُ من درجـاتٍ نامِيـاتٍ ولم يكن مقهـورا (٩
سُلب الذكرَ في الحياة جزاءً واراهُ العـذابَ والتغييرا
وتداعى عليهمُ البحرُ حتى صار موجًا وراءَهُ مستطيرا

---

١) وفي خزانة الأدب ( ٤ : ٢٤٣ ) : راضيا
٢) فيها ( ١ : ١١٩ ) : من فضل سَيْبٍ
٣) روى في كتاب البدء : فادعو. وهو مكسور الوزن. وروى في الخزانة : « وقلت لهارون اذهبا فتظاهرا على المرء ... » وهي رواية مغلوطة
٤) في كتاب البدء : أَنت سمَّكتَ هذه بلاد عمد حتى استقرّت. وفي بلوغ الارب لشكري افندي الألوسي (٢ : ٢٨٢) : « أأنت الذي سوَّيت » ووزنهُ مختلّ
٥) في سيرة الرسول : بك هاديا
٦) في كتاب الخزانة : « من أخرج الشمس بكرةً فاصبح »
٧) صحَّفهُ في كتاب البدء بروايتهِ : « من ينبت الحي والثرى فتصبح ... راسيا »
٨) في الخزانة : « فأَصبحَ منهُ حبُّهُ »
٩) كذا في الأصل. ولعلَّ في البيت تصحيفًا. والمقهور المغلوب

فدعا الله دعوةً لا تُهنـَّأُ بعد طغيانهِ فصار مُشيرا (١

وممَّن ذكروا موسى وفرعون السموءَل حيث قال ( راجع ديوانهُ ص ٣١ ) :

ألسنـا بني مصر المُنَكلّة التي لنا ضُربت مصرٌ بعَشْر مَناكلِ
أَلسنا بني البَحْر المغرِّق والتي لنا غُرق الفرعونُ يوم التحاملِ

ومثلهُ للقطامي في غرق فرعون ( ديوانهُ ص ٨٤ ed. Barth ) :

وشُقَّ البحرُ عن أصحاب موسى وغُرّقت الفراعنةُ الكِفَارُ

وقال الأعشى مشيرًا إلى أكل بني إسرائيل المنَّ والسلوى في البريّة ( سيرة الرسول لابن هشام ٣٦٨ ولسان العرب ١٩ : ١١ ) :

لو أُطعموا المنَّ والسلوى مكانَهُمُ ما أبصرَ الناس طُعْمًا فيهمِ نَجَعا

وللسموءَل يصف ما جرى في البرية لبني إسرائيل ( ديوانهُ ص ٣١ ) :

واخرجهُ الباري إلى الشعْبِ كي يرى أعاجيبَهُ مع جودهِ المتواصلِ
وكيما يفوزوا بالغنيمةِ أهلُها من الذهب الأبريزِ فوق الحمائلِ
أَلَسْنا بني القُدس الذي نُصب لهم غمامٌ يقيهم في جميع المراحلِ
من الشمس والامطار كانت صيانةً تجير نواديهم نزول الغوائلِ
أَلَسْنا بني السلوى مع المنّ والذي لهم فَجَرَ الصوَّان عذبَ المناهلِ
على عدد الاسباط تجري عيونُها فُراتًا زلالاً طعمُهُ غير حائلِ
وقد مكثوا في البرّ عمرًا محدَّدًا (٢ يغذّيهمُ العالي (٣ بخير المآكلِ
فلم يبلَ ثوبٌ من لباسٍ عليهم ولم يُحْوَجُوا المَنّعْل كلَّ المنازلِ
وارسل نورًا (٤ كالعمودِ أمامهم يُنير الدُّجَى كالصُّبح غيرَ مُزايلِ
ألسنا بني الطور المقدَّس والذي تَدَخْدَخَ (٥ للجبَّار يوم الزلازلِ
ومن هيبة الرحمان دُكَّ تذلُّلاً (٦ فشرَّفهُ الباري على كل طائلِ
وناجى عليهِ عبدَهُ وكليمهُ فقدَّسَنا للرب يوم التباهُلِ

١٠ ﴿ القضاة إلى داؤد ﴾ كان خلفُ موسى في قيادة شعب إسرائيل يشوعَ بن نون ولم نجد اسمهُ في الشعر الجاهليّ. وإنما ذكر الشريشي في شرح مقامات الحريري ( ١ : ٨٠ ) بيتين للرصافي الشاعر يخاطب وجيهًا اسمهُ موسى فيهما إشارة ايقاف يشوع للشمس فقال :

---

١) نظن انَّ الرواية مصحَّفة
٢) في الأصل : مجدَّدًا
٣) ويروى : البارئ
٤) ويروى : وانصب نورًا
٥) ويروى : تدكدك
٦) ويروى : أليس تطأْطأ بالجليلِ تذلُّلاً

وعشيَّ أنسىَ للسرور وقد بدا من دون قرص الشمس ما يتوقّعُ
سقطتْ ولم تَمْلِكْ يمينُكَ رِدَّها فوددتُ يا موسى لوَ أنَّك يوشعُ

وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب ( طبعة باريس ١ : ٩٨ ) أبياتًا لشاعر جاهليّ اسمهُ عوف بن سعد الجُرْهميّ يذكر فيها حرب يشوع للعمالقة وقتلهُ لملكهم ملك ايلة الذي دعاهُ السَّمَيْدع بن هوبر فقال :

ألَم تَرَ انَّ العِمْلقيَّ بن هَوْبَر بأيْلَةَ أمسى لَحْمُهُ قد تمزّعا
تداعت عليهِ من يهودٍ جحافلٌ ثمانين الفًا حاسرينَ وذُرَّعا
فأمست عدادٌ للعماليق بعدَهُ على الأرضِ مشيًا مُصْعِدين وفُرَّعَا (١
كأن لم يكونوا بين أجبال مكّةٍ ولم يَرَ راءٍ قبل ذاك سمَيْدعا

ثمَّ ذكروا أوَّل ملك بني إسرائيل المسمَّى شاؤُل وهم يدعونهُ طالوت قال السموءَل (ديوانهُ ص ١٢) :

وانفلاقُ الأمواجِ طُورَيْنِ عن مو سى وبَعْدُ المملَّكُ الطالوتُ

وذكرهُ صاحب القرآن في سورة البقرة (٢٤٨٤): « ان الله قد بعث لكم طالوتَ ملكًا »

١٢ ﴿ داؤود الملك ﴾ تكرَّر اسمهُ في الشعر الجاهلي. ولم يكد الشعراء يذكرون من أمرهِ غير وضعهِ للزَّبُور وسردهِ للدروع. إلاَّ أنَّ السموءَل اشار إلى قَتْلهِ جُلْيات وهو يدعوهُ جالوت قال ( ديوانهُ ص ١٣ ) :

ومُصاب الافْريس حين عَصَى الله وإذ صابَ حَيْنَهُ الجالوتُ

وفي القرآن ( ٢ : ٢٥٢ ) : « وقتل داؤد جالوت »

وقد ذكرهُ عبيد الابرص ( خزانة الأدب ١ : ٣٢٣ ) بيانًا لطول عمرهِ :

وطلبتُ ذا القرنَيْن حتى فاتنيركضًا وكدتُ ان ارى داؤودا

وقال الأعشى يذكر حوادث الدهر ( حماسة البحترى ص ٩٠ ) :

ومرَّ الليالي كلَّ وقتٍ وساعةٍ يُزَعْزعنَ ملكاً أو يباعدن دانيا
وردنَ على داؤُودَ حتى أبَدْنَهُ وكان يغادي العيشَ أخضر صافيا

وقد أكثروا من ذكر داؤُود ونسجهِ للدروع ولا نعلم على أيّ نصٍّ استندوا في اثبات ذلك قال طرفة ( شعراء النصرانية ٣٠٩ وديوانهُ ص ٥٨ ed. Seligson ) :

---

١) وفي طبعة مصر ( ١ : ٢٢ ) : « فزَّعا » بالزاي

وهُمُ ما هُمْ إذا ما لَبِسوا نَسْجَ داوُودَ لبأْسٍ مُحْتَضِرْ

وقال حُصَين بن الحُمَام المرّي ( حماسة أبي تمَّام ص ١٨٩ ) يصف كتائب كان يقودها عمرو بن هند ملك الحيرة الملقَّب بالمحرّق :

عليهنَّ فتيانٌ كساهم مُحَرِّقٌ وكان إذا يكسو أجادَ واكرما
صفائحَ بُصْرى أخلصَتْها قيونُها ومطْرَدًا من نسج داوُدَ مُبْهما (١

وكذلك جاء في حماسة أبي تمام ( ص ٢٨٤ ) لحُسَيل بن سُجَيْع الضبيّ في وصف الدرع :

وبيضاءَ من نسج ابن داوُدَ نَثْرةٍ تخيَّرها يوم اللقاءِ ملابسا

ومثلهُ للبيد ( حماسة البحتري ص ٨٤ وديوانهُ طبعة الخالدي ٨٣ ) في كوارث الزمان :

ونزَعْنَ من داوُدَ أحسن صُنْعهِ ولقد يكونُ بقوَّةٍ ونعيم
صنَعَ الحديدَ لحفظهِ اسرادَهُ لينال طول العيش غير مَرُوم

ومثلهم قال الأعشى ( شعراء النصرانية ٣٨٨ ) :

واعددتُ للحرب اوزَارَها رماحًا طوالاً وخيلاً ذَكُورا
ومن نسج داوودَ يُحْدَى بها على أثر العِيس عِيرًا فَعِيرا

وكذا لسلامة بن جندل ( الاصمعيات ص ٥١ ) وفي وصف درع :

مداخَلةٍ من نسجِ داوودَ شكُّهاكحبّ الجنا من أَبْلَمٍ متفرّقِ

ولهُ أيضًا ( راجع طبعتنا لديوانهِ ص ١٤ ) :

لبسوا من الماذيّ كلَّ مفاضةٍ كالنَهْي يوم رياحهِ الرَّقْرَاقِ
من نَسْج داوودَ وآل محرّقٍ غالٍ غرائبُهُنَّ في الآفاقِ

امَّا زبُور داوُود فقد مرَّ لنا ما ورد فيهِ من شعر العرب ( راجع ما سبق ص ١٨٤ ) :

﴿ سليمان الحكيم ﴾ اطنب شعراء الجاهليَّة في حكمة سليمان وسموّ سلطانهِ وابنيتهِ العجيبة التي ذكرها الكتاب الكريم في سفر الملوك الثالث واخبار الأيَّام الثاني ويزيد العرب انَّ سليمان كان يقهر الحيوان ويسخِّر الجنّ للقيام بأعمالهِ الجبَّاريَّة. فمن

---

١) وفي المعرّب للجواليقي ( ص ٢٥ ) : محكما

ذلك قول النابغة من قصيدة مدح فيها النعمان فجعلهُ مقتفيًا لآثار سليمان في تسخيره الجنّ لبناء تدمر ( ديوانهُ في العقد الثمين ص ٧ وشعراء النصرانيَّة ٦٦٣ ) :

ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهُهُ ولا أحاشي من الاقوام من أحَدِ (١
الاَّ سليمانَ إذ قال الإلـهُ لـهُ قُمْ في البريّةِ فاحْدُدْها عن الفندِ (٢
وخيِّس الجنَّ اني قد اذنتُ لهم يبنونَ تدمر بالصفَّاح والعمَدَ (٣
فمن أطاعك فانفَعْهُ بطاعتهِ (٤ كما اطاعكَ وادلُلْهُ على الرَّشدِ
ومَن عصاك فعاقِبْهُ معاقبةً تنهى الظَلُوم ولا تَقْعُدْ على ضَمَدِ (٥

وكذلك قد نسب أعشى قيس بناء قصر الأبلق الفرد إلى سليمان بن داؤود حيث قال (معجم البلدان ١ : ٩٣ وشعراء النصرانيَّة ص ٣٧٥) :

ولا عاديا لم يمنع الموتَ مالُهُ ووِرْدٌ بتَيماءَ اليهوديّ ابلقُ
بناهُ سليمانُ بن داوودَ حقبةً لهُ ازَجٌ عالٍ وطيٌّ موَثَّق
يوازي كُبَيْدَاءَ السماءِ ودونَهُ بلاطٌ وداراتٌ وكاس وخندقُ

وللأعشى أيضًا في سليمان وسعة ملكهِ وتسخيرهِ للجنّ ( كتاب البدء ٣ : ١٠٨ ) :

فلو كان حيًّا خالدًا ومعمّرًا لكان سليمانُ البريءُ من الدهرِ
براهُ الهي واصطفاهُ عبارةً وملّكهُ ما بين سرفى إلى مصرِ (٦
وسخَّر من جنّ الملائك شيعةً (٧ قيامًا لديهِ يعملون بلا أجرِ (٨

---

١) ويروى : « وما أرى ... وما احاشي »
٢) ويروى : ولا سليمان إذ قال المليكُ لهُ. ويروى : كُنْ في البريَّة .. عن العَندِ. ويروى : واردُدها عن الفندِ. ويروى : وازجرها عن الفَنَد. والفند الخطأ
٣) خيَّسَهُ ذلَّلهُ. وتدمر المدينة الشهيرة التي ذكر في سفر الملوك الثالث ( ٩ : ١٨ ) ان سليمان بانيها. والصفَّاح الحجارة العراض. وروى الثعلبي في قصص الأنبياء :

وجيِّش الجيش اني قد أَبحتُ لهم بناءً تدمر بالأحجار والعمَدِ

٤) ويروى : فاعقِبْهُ لطاعتهِ أي جازِهِ
٥) الضَّمَد الذلّ والظلم
٦) قولهُ « عبارةً » لعلَّهُ تصحيف « عبادُهُ. أمَّا سرفى فلم نجد لها ذكرًا في كتب البلدان وقد زعم المسيو هوارت ( Ch. Huart ) انها صرفند وانَّ الأعشى اشتقها من اليونانيَّة « Εαρεφθά »
٧) روى في لسان العرب ( ١٦ : ٢٥١ ) والتاج ( ٩ : ١٦٥ ) : تسعه
٨) روى في التاج ( ٩ : ١٦٥ ) : « يعملون محاربًا » بتغيير القافية غلطًا

وقال الأعشى ( حماسة البحتري ص ٩٠ ) في تسخير الجنّ لسليمان :

فذاك سليمانُ الذي سخَّرت لهُمع الانس والجنّ الرياحَ المَرَاخيا

ولاميَّة بن أبي الصلت في قهر سليمان للجنّ ( اللسان ١٩ : ٢١٥ ) :

ايُما شاطِنٍ عصاهُ عكاهُ ثمَّ يُلقَى في السجن والأَغلالِ

ومثلُهُ لشاعر حميري ( حماسة البحتري ص ٨٧ ) في صروف الدهر :

خطفنَ سليمانَ الذي سُخِّرت لهُ شياطينُ جنٍّ من بريءٍ وذي جُرْمِ

وكذا قال عدي بن زيد ( حماسة البحتري ص ٨٦ ) :

ومُلكَ سليمان بن داوُودَ زلزلَتْ ورَيْدانَ قد أَلْحَقتَهُ بالصعائدِ

وقد مرَّ سابقًا ان اسم سليمان ورد على صور أخرى كسالم وسلاَّم وسُلَيْم ( راجع الصفحة ٢٣٢ ) :

﴿ يونان النبي ﴾ لم نجد في الشعر الجاهليّ ذكرًا لأحد ملوك بني إسرائيل بعد سليمان. وكذلك الأنبياء الاَّ يونان النبيّ فانَّهم يدعونهُ يونس ويشيرون إلى قصَّتهِ وبعثتهِ إلى أهل نينوى فيذكرون ابتلاع الحوت لهُ. قال أميَّة بن أبي الصلت ( شعراء النصرانيّة ص ٢٣١ وسيرة الرسول لابن هشام ص ١٤٦ ) :

وانت بفضلٍ منك نجَّيتَ يونسًا وقد بات في أضعاف حوت ليالِيا
رسولاً لهم واللهُ يُحكم امرهُ يُبين لهم هل يؤنِسُ التربُ باديا

وقد ضربوا المثل في حوتهِ فقالوا : (( آكل من حوت يونس )) و (( أَنْهم من حوت يونس )) وكذلك ورد ذكرهُ في القرآن في سورة الصافات حيث قال ( ع ١٣٩ ـ ١٤٨: (( وانَّ يونس لمن المُرسَلين إذ ابق إلى الفُلك المشحون فساهَمَ فكان من المُدحَضين فالتقَمَهُ الحوت وهو مُليم. فلولا انهُ كان من المسبّحين للَبث في بطنهِ إلى يوم يُبعَثون فنبذناهُ بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليهِ شجرةً من يقطين وأرسلناهُ إلَى مائة الف أو يزيدون فآمنوا فمتَّعناهم إلى حين )) . وقد ورد للفرزدق ابيات في نجاة يونان من بطن الحوت فقال في ابن هبيرة حين ثقب سجن خالد بن عبد الله القسري وعبر الفرات ( محاضرات الادباء ٢ : ١١٤ والفرج بعد الشدَّة للتنوخي ١ : ١٢٨ ) :

ولمَّا رأيتَ الأرض قد سُدَّ ظهرُها ولم ترَ الاّ بطنَها لك مخرجا
دعوتَ الذي ناداهُ يونسُ بعد ما ثوى في ثلاثٍ مظلماتٍ ففُرِّجا

وروى في كتاب البدء ( ١ : ٧٣ ) بيتًا لصرمة بن انَس المعروف بالراهب فيهِ اشارة إلى قصّة يونس. ولعلَّ البيت مصحَّف :

ولهُ الراهبُ الحبيسُ تراهُ رَهْنَ يونس (١ وكان ناعمَ بالِ

وقد وجدنا في بعض مخطوطات باريس العربيَّة « كتاب تاريخ الحيوان والنبات والجماد » ( Ms 687 de Paris, ff. 65 ) بيتًا لاميَّة يذكر فيهِ اليقطينة التي أنبتها الله ليستظلّ تحتها وايبستها الشمس ( سفر يونان ٤ : ٣ ـ ٧ ) :

فأَنْبَت يقطينًا عليهِ برحمةٍ من الله لولا اللهُ أَبقِي (٢ صاحيا

ونضيف إلى ما سبق بيتًا رواهُ الجاحظ لاميَّة ( كتاب الحيوان ٧ : ١٧ ) ذكر فيهِ نبوَّة حزقيال التي رآها حيث ظهر لهُ رجل ثمَّ اسد ثم ثور ونسر وهي الحيوانات الرمزيَّة المشار بها إلى الأربعة الانجيليين اعني متَّى الذي بدأ انجيلهُ بذكر ناسوت السيد المسيح ونسبهِ ثمَّ مرقس الذي افتتح انجيلهُ ببشارة يوحنا المعمدان كزئير الأسد في البرية ثم لوقا الذي ذكر في بدء انجيلهِ ضحية زكريَّا في الهيكل واخيرًا يوحنَّا الذي ارتفع كالنسر بوصف مولد ابن الله الكلمة الأزلية. وهذا هو البيت :

رجلٌ (٣ وثورٌ تحت رِجْل يمينهِ والنَّسْرُ للأُخرى وليثٌ موصدُ (٤

وكذلك ورد في الشعر الجاهلي اسم حيقار أو حَيْقر المذكور في الترجمة اليونانيَّة من سفر طوبيَّا ( ١ : ٢٣ ) ولهُ قصَّة طويلة عند العرب نشرها حضرة الاب انطون صالحاني في ملحقات ألف ليلة وليلة. قال عدي بن زيد ( حماسة البحتري ص ٨٦ ) في بلايا الدهر :

عصَفنَ على الحيقارِ وسطَ جنودهِ وبيَّتن في لذَّاتهِ ربَّ مارِدِ

هذا ما وقفنا عليهِ في الشعر الجاهلي من منقولاتهم عن العهد القديم الاَّ انَّ في رواياتهم النثرية ما كان أوسع وادلّ لولا انَّ معظمها قد فُقد وانما حُفظ منها قسم في تاريخ المؤرخين الأقدمين كتاريخ الطبري أو كتبهم الأدبية ككتب الجاحظ وكثير

---

١) كذا في الأصل. ولعلّ الصواب : « رهن يونا » بدلاً من يونان ليستقيم الوزن
٢) كذا في الأصل ونظنّ الصواب : ما يقي صاحيا
٣) رواهُ الدميري في حياة الحيوان : « زحل » وهو تصحيف
٤) وفي عجائب المخلوقات للقزويني ( ص ٥٦ ) وليث ملبدُ

منها مدوَّن في القرآن. ومن هذه الروايات ما هو موافق لنصوص الكتب المقدسة منقول عنها بحرفها أو بمعناها. ومنها ما تجدهُ في كتب مصنوعة نُسبت زورًا إلى أنبياء أو رسل أو صالحين كبعض كتب الرُّؤَى ( Apocalypses ) أو الوحي المزعوم كوصيَّة آدم وكتاب إحنوخ وصعود اشعيا ومناجاة موسى وكتاب مغارة الكنوز المنسوب إلى مار افرام وكتب أُخرى عديدة دخلت في بلاد العرب بواسطة النصارى لاسيَّما الرهبان أو بواسطة أهل البدع واليهود فشاعت مضامينها الفريَّة ولم يميزوا بين صحيحها وكاذبها وربَّما استند إليها بعض اعداء النصرانيَّة في عهدنا لتخطئة الكتب المنزلة لكنَّ سهامهم طائشة لا تصيب هدفًا

## ٢ أَحداث العهد الجديد

كما عرف العرب في الجاهليَّة الاخبار المدوَّنة في أسفار العهد العتيق كذلك عرفوا أحداث العهد الجديد وأشاروا إليها نظمًا ونثرًا

ومعلوم انَّ مدار اخبار هذا العهد على ما رواهُ الإنجيليُّون الأربعة عن السيد المسيح وسيرة حياتهِ وتعليمهِ وموتهِ وقيامتهِ يُضاف إليها أمور ورد ذكرها في التقليد الراقي إلى قرون النصرانيَّة الأولى ودوَّنت في تآليف عديدة بعضها صحيحة صادقة كمصنَّفات الآباء والكتبة القدماء وبعضها امتزج فيها الغثُّ بالسمين واختلط الباطل باليقين كبعض أناجيل الزور التي سبق لنا وصفها في المشرق سنة ١٩٠٨ ( ١١ : ١٦٤ ـ ٢٠٥ ) وانتشر قسمٌ منها في بلاد العرب بين أهل الجاهليَّة

فممَّا عرفوهُ انَّ عيسى أي يسوع الناصري هو المسيح. قال السموءَل ( راجع طبعتنا لديوانهِ ص ٣٢ ) :

وفي آخر الأيَّام جاءَ مسيحُنا فأَهدي بني الدُنيا سلامَ التكامُلِ

والعرب لم يُطلقوا هذا الاسم على غيرهِ بل صرَّحوا انهُ هو اسمهُ الخاص به. وكذلك نسبوهُ إلى امه مريم كما مرَّ لعمرو بن عبد الحقّ :

وما سبَّح الرهبانُ في كلّ هيكلٍ ابيل الابيلين المسيح ابن مريما

يؤيدهُ قول القرآن في سورة آل عمران ( ع ٤٠ ) : « إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشِّرك بكلمةٍ منهُ اسمهُ المسيح عيسى ابنُ مريم »

وقد عرفوا من التقليد انَّ مريم العذراء مباركة بين النساء تفوق شرفًا على نساء

العالمين فطهَّرها الله مُنذ حُبل بها بالبطن وذلك بنعمة خاصَّة منهُ تعالى حتَّى انَّ الثعلبي روى في كتاب قصص الأنبياء المسمَّى بالعرائس ( ص ٣٣٧ من طبعة مصر ) حديثًا رفعهُ باسنادهِ إلى أبي هريرة عن نبي المسلمين وهو قولهُ : « ما من مولود إلاَّ والشيطان يَمَسُّهُ يولد فيستهلّ صارخًا من مسِّ الشيطان الاَّ مريم وابنها » ولعلّ القرآن اشار إلى هذه النعمة الجليلة حيث يقول ( سورة آل عمران ( ع ٣٧ ) : « يا مريم انَّ الله اصطفاك وطهَّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين »

وذكر الثعلبيّ أيضًا ( ص ٣٣٥ ـ ٣٣٨ ) وروى قبلَهُ المَقْدسيّ ابن طاهر في كتاب البدء والتاريخ ( ج ٣ : ١١٨ ـ ١٢٠ ed. Huart ) خبر مَوْلد مريم العجيب من حنَّة العاقر بعد نذر والدتها ثمَّ اعتزالها في هيكل اورشليم لخدمة الكهنة ثمَّ كفالة زكريَّا لها في الهيكل إلى حين اقترانها بالقديس يوسف وكل ذلك منقول عن التقليد المسيحي القديم وهو مرويّ في سورة آل عمران ( ع ٣١ ـ ٣٣ ) :

« إذ قالت امرأة عمران : ربِّ اني نذرت لك ما في بطني محرَّرًا فتقبَّل مني انك أنت السميع العليم فلما وضعَتها قالت : ربِّ اني وضعتُها أُنثى والله أعلم بما وضعَت وليس الذكر كالانثى واني سَمَّيتُها مريم واني اعيذُها بك وذرّيتَها من شيطان الرجيم فتقبَّلها ربُّها بقَبُول حسن وانبتها نباتًا حسنًا وكفَّلها زكرياء كلَّما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقًا قال يا مريم : انَّي لكِ هذا. قالت : من عند الله ان الله يرزُق من يشاء بغير حساب »

ولم يَفُتهم ذكر يوحنَّا المَعْمَدان السابق أَمام وجه المسيح فرووا ما ورد مسطَّرًا في انجيلي لوقا ومرقس عنهُ اعني ميلادهُ العجيب على كبر سنّ والديهِ وبيَّنوا مقامهُ بين الأنبياء وتقدُّمهُ أمام وجه المسيح وموتهُ على يد هيرودوس انتيباس اذ نهاهُ عن الزواج بامرأة أخيهِ كما ورد في تاريخ الطبري ( ج ١ ص ٧١١ ـ ٧٢٠ ) وفي كتاب البدء والتاريخ ( ٣ : ١١٦ ـ ١١٨ )

وممَّا رووهُ بتفصيلهِ بشارة الملاك للعذراء مريم بالمسيح وحَبَلها من الروح القدس وإنْ دخل في روايتهم منقولات ضعيفة عن كتب غير قانونيَّة كما رأيت في القصيدة التي اثبتناها سابقًا ( ص ١٨٧ ـ ١٨٨ ) عن اميَّة بن أبي الصلت التي أوَّلها :

وفي دينكم من ربِّ مريم آيـةٌمنبّـئَةٌ بالعبد عيسى بن مريما

ومثلها ما رووهُ من المعجزات عن يسوع الطفل كتكلّمهِ في المهد وكآياتهِ في هربهِ إلى مصر من وجه هيرودوس وفي حياتهِ في الناصرة كانحناء أغصان النخل أمام

امّهِ لتجني من تَمْرها وكنبات البلسان في المطَريَّة لمَّا سقَت ارضها بماء غسلهِ وكإفحام يسوع لأستاذهِ في الناصرة بما كان يعرضهُ عليهِ من المشاكل وكنفخهِ في طير يصطنعهُ من طين فيحيا ويطير واخبار كثيرة مثلها رُويت في الأناجيل الموضوعة التي شاعت في جزيرة العرب اخصُّها انجيل الطفوليَّة فتناقلها أهل الجاهليَّة ورُوي بعضها في القرآن في السُّوَر الموسومة بآل عمران والنساء والمائدة ومريم

وذكروا من حياة المسيح العلنيَّة جَمْعَهُ لرسلهِ وانصارهِ الحواريّين فنوَّهوا بهم في شعرهم ( راجع الصفحة ١٨٩ ـ ١٩٠ وكرَّر ذكرهم في القرآن. وذكروا ايضًا الآيات التي اجترحها ورُويت في الأناجيل كتطهير البرص وفتح عيون العميان وردّ النطق للبُكْم والسمع للصُّمّ واحياء الموتى حتى ضُرب المثل بطبّ عيسى وشفاء عيسى قال الثعالبي في كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ( طبعة مصر ص ٤٧ ) :

طبّ عيسى ـ يُضرَب بهِ المثل لأنهُ كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله . ومن أمثال العرب : فلان يتطبَّب على عيسى بن مريم قال المتنبّي :

فآجَرَك الإلهُ على عليلٍ بعثتَ إلى المسيح بهِ طبيبا

وكثيرًا ما ذكروا الإنجيل الذي بشَّر بهِ السيّد المسيح فأشاروا إلى ما فيهِ من الهدى والنور والموعظة للمتَّقين » ( سورة المائدة العدد ٥٠ ) قال عديّ بن زيد ( كتاب الحيوان للجاحظ ٤ : ٦٦ ) :

وأوتيا المُلكَ والإنجيلَ نقرأهُ نشفي بحكمتهِ احلامَنا عَلَلا
من غير ما حاجة الاّ ليجعَلَنا فوق البريَّة اربابًا كما فعَلا

ومثلهُ قول النابغة في بني غسَّان وقد دعا الإنجيل بالمجلَّة :

مجلَّتُهم ذاتُ الإلهِ ودينُهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وأَدْركوا اسرار حياة المسيح في ختامها كدخولهِ اورشليم يوم الشعانين ( راجع الصفحة ٢١٥ ) وكعشائهِ السرّي في خميس العهد ورسمهِ لسرّ القربان الأقدس وآلامهِ وصليبهِ وموتهِ وان اختلطت في أقوالهم شُبُهات نقلوها عن الكتب المزوَّرة التي رذلتها الكنيسة منذ ظهورها. وقد سبق لنا ( ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ ) ايراد أقوالهم في القربان. وتسميتهم لهُ بالشَّبَر. وقلنا هناك انَّهُ ليس بمستبعد انَّ القرآن في سورة المائدة ( ع ١١٢ ـ ١١٦ ) بذكرهِ للمائدة التي انزلها السيّد المسيح على الحواريين انما

اشار إلى المائدة السمويَّة أي القربان الأقدس ( راجع تاريخ الطبريّ ج ١ ص ٧٣٥ ) وكذلك عرفوا في عهد الجاهليَّة انَّ النصارى يعبدون المصلوب ( راجع الصفحة ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ) كقول حجَّار بن ابجر في بني عجل النصارى :

يهدّدني عجلٌ وما خلتُ انّني خلاةٌ لعجلٍ والصليبُ لها بَعْلُ

وكقول الأُقَيْشر :

« في فتيةٍ جعلوا الصليبَ إلهَهم »

وممَّا أَلمعوا إليهِ ذكر قيامة المسيح يوم الفصح وابتهاج النصارى فيهِ بعد الصوم الاربعيني ( راجع الصفحة ٢١٦ ) كما قال الأعشى في هوذة بن علي لمَّا فكّ اسارى تميم :

ففكَّ عن منَةٍ منهم إسارَهمُ واصبحوا كلُّهم من غُلّهِ خُلعا
بهم تقرَّب يوم الفصح ضاحيةً يرجو الإلهَ بما أسدى وما صنعا

وآخِر ما رووا من أعمال المسيح صعودهُ إلى السماء وهو عيد السُلاَّق ( راجع ص ٢١٧ ) وقد دعا القرآن ذلك برفع عيسى ( سورة آل عمران ع ٢٨ ) حيث قال : « قال الله يا عيسى انّي متوفّيك ورافعُك اليَّ »

ويضيفون إلى ذلك انَّ السيّد المسيح هو الذي يدين البشر في آخر العالم بعد انتصاره على المسيح الدجَّال كقول القائل « اذ المسيحُ يقتلُ المسيحا « ( لسان العرب ٣ : ٤٣٠ ) وكما قال اميَّة بن أبي الصلت ( راجع الصفحة ١٧٨ ) :

ايَّام يلقى نَصاراهم مسيحَهُمُ والكائنين لهُ ودًّا وقربانا

وهذا بلا شكّ اخذوهُ من قول السيد المسيح في إنجيل يوحنَّا ( ٥ : ٢٢ ) : « انَّ الآب لا يدين أحدًا بل أعطى الحكم كلّهُ للابن ليُكرم الابنَ جميعُ الناس » او من قولهِ في إنجيل متى ( ١٦ : ٢٧ ) : « ان ابن البشر مزمع ان يأتي في مجد أبيهِ مع ملائكتهِ ليجازي كل أحد بحسب أعمالهِ »

وكما وقف العرب في الجاهلية على كثير من اخبار السيد المسيح المدوَّنة في اسفار العهد الجديد اطّلعوا أيضًا على بعض الأحداث التي جرت للنصارى في الفترة التي كانت بين السيّد المسيح وظهور الإسلام. من ذلك بعثة رسل المسيح إلى أقطار العالم ليدعوا الأمم إلى دينهِ كما روى ذلك أقدم كتبة العرب كالطبري في تاريخهِ ( ج ١ ص

٧٣٧ ـ ٧٣٩ ) وابن طاهر المقدسيّ في كتاب البدء والتاريخ ( ج ٣ ص ١٢٧ ). ويقول مفسّرو القرآن انَّ ما ورد في سورة يس عن مُرسَلَيْن أُرسلا إلى قرية ليدعوَا أهلها إلى نفي عبادة الأصنام والإيمان بالله انَّما يشير إلى حواريَّيْن وهما شمعون الصفا هامة الرسل وبولس الرسول قدما إلى انطاكية ليردَّا أهلها فقبل دعوتهم رجلٌ يدعونهُ حبيبًا النجَّار قُتل شهيدًا عن إيمانه وعاقب الله قاتليهِ ( اطلب تاريخ الطبري ج ١ ص ٧٨٩ ـ ٧٩٣ )

وممَّا رووهُ من أخبار النصارى نقلاً عن كتبتهم قصَّة شهداء أَفسس السبعة الذين أراد الملك دقيوس في أواسط القرن الثالث للمسيح أن يضطرَّهم على عبادة الأصنام فهربوا من وجه الحكَّام واختفوا في مغارةٍ حيث قيل انَّ الله ضرب على آذانهم فناموا ولم يستيقظوا الاَّ بعد سنين طويلة مرَّت عليهم كليلةٍ فبعثهم الله ليكونوا آيةً لقيامة الموتى. فهذه القصَّة التي شاعت في عدَّة بلاد وروتها مجاميع أخبار القديسين تحت اسم « السبعة النوَّام » (les Sept Dormants) بلغت عرب الجاهليَّة فدعوهم أصحاب الكهف إشارةً إلى الكهف الذي رقدوا فيهِ. وقد ذكرهم أميَّة بن أبي الصلت في أبيات لم يُعْرَف منها غير بيت استشهد بهِ البيضاوي في تفسير القرآن ( طبعة ليدن ص ٥٥٥ ) :

وليس بها الاَّ الرقيمُ مجاورًا وصَيْدَهُمُ والقومُ في الكهف هُجَّدُ

وكذلك وردت اخبارهم في القرآن في سورة الكَهْف. وقد اتَّسع كتبة العرب في تفاصيلها كما نقلناها في كتابنا مجاني الأدب ( ٢ : ٢٣٦ ) ملخَّصةً عن الدميري وتجدها أيضًا مفصَّلة في تاريخ الطبري ( ج ١ : ٧٧٥ ـ ٧٨٢ )

وقد عرف العرب في الجاهليَّة شهيدًا آخر للنصرانيَّة وهو القديس جرجس المستشهد في عهد ديوقلسيانوس في أوائل القرن الرابع للمسيح نحو السنة ٣٠٢ وهم يدعونهُ بالخضر جعلوهُ من الأنبياء وزعم الطبري ( ج ٧ ص ٧٩٥ ) « انَّهُ ادرك بقايا من حواريّي عيسى ابن مريم » ورووا في استشهادهِ العجائب الغرائب (١ . وقد وجدوا بين الكنائس المشيَّدة لاكرامهِ كنيسةً ترقى إلى القرن الرابع للمسيح في

١) راجع في المشرق ( ٦ [١٩٠٣] : ٣٨٥ ـ ٣٩٥ ) مقالةً جمعنا فيها ما يُعرَف من آثار هذا الشّهيد ثمَّ أضفنا إليها أثرًا آخر اثبتناهُ في المجلَّة عينها ( ١٠ [١٩٠٧] : ٤١٤ ـ ٤٢٠ ) اطلب أيضًا تاريخ الطبري (١ ص ٧٩٥ ـ ٨١٢)

جهات العرب وهي أقدم الكنائس على اسم ذاك الشهيد العظيم بُنيت سنة ٣٦٧ في مدينة شقَّة من أعمال حوران (١

وقد سبق لنا ( اطلب الجزء الأول ص ١٠٣ ـ ١٠٤ ) انَّ عرب الجاهليَّة عرفوا أيضًا القديسَين الشهيدَين سرجيوس وباخوس وانَّ أقدم أَثر كُتب بالعربيَّة انَّما كان لتذكارهما. وقد رسمنا هناك صورة ذاك الأَثر الراقي إلى سنة ٥١٢ للمسيح وروينا ما أثبتهُ أحد مشاهير السريان عن تعبُّد العرب في الجاهلية للقديس سرجيوس كما انَّنا ذكرنا أقوال الشعراء في خروجهم إلى الحرب تحت راية الشهيد ( ص ٩٩ ـ ١٠٠ )

واشتهر بينهم شهداء نجران الذين ماتوا في سبيل دينهم في وسط العرب فعرفوهم بأصحاب الاخدود لأنَّ ذا نوَاس الطاغية الحميري اليهودي القاهم في أخاديد اضرم فيها النار فاستشهدوا لكرامة دين المسيح واليهم اشار القرآن في سورة البروج حيث قال ( ع ١ ـ ٩ ):

والسماءِ ذات البروج واليومِ الموعود وشاهدٍ ومشهود قُتل أصحاب الاخدود النار ذات الوَقُود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الاَّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي لهُ ملك السماوات والأرض والله على كل شيء شهيد

امَّا ذو نوَاس فحاربهُ الحبش وغلبوهُ وانتزعوا بلاد اليمن من يدهِ وفيهِ يقول عمرو بن معدي كرب ( كتاب العرائس للثعلبي ص ٣٨٦ وكتاب البدء والتاريخ ٣ : ١٨٣ ) :

أتتوهدُني كأنَّك ذو رُعينِ بأنعم عيشةٍ أو ذو نوَاسِ
وقدمًا كان قبلك في نعيم (٢ وملكٍ ثابت في الناس راسي
فقدتُم عهدهُ (٣ من عهد عادٍ عظيم قاهر الجبروت قاسي
فأمسى اهلهُ بادُوا وامسى يُنَقتَّل (٤ في أناسِ من أناسِ

ومما درى بهِ أيضًا عرب الجاهليَّة من أمور النصارى نظام كنيستهم من رئيس

---

١) راجع مجموع الكتابات اليونانيَّة ( CIG n° 8609 ) وكتابات وادنغتن ( Wadington, n^os 1981, 2038, 2092, etc )
٢) روى في كتاب البدء والتاريخ ( ٣ : ١٨٣ ) : وكائن كان قبلك من نعيم
٣) وفيهِ : قديمٌ عهدهُ
٤) وفيهِ : يحوَّلُ

ومرؤوس كالبطاركة والمطارنة والكهنة والمؤمنين مع ما لهم من الطقوس الدينيَّة والأسرار المقدَّسة والعادات التقويَّة وقد أثبتنا ذلك في الفصول السابقة بيانًا لانتشار النصرانيّة في جزيرة العرب فليُراجع

## الفصل الخامس

في الأمثال العربية المنقولة عن الأسفار المقدَّسة

يعرف القرَّاء ما كان للأمثال الدارجة من الشهرة والاعتبار بين عرب الجاهليَّة فانهم اودعوها اخبارهم وضمَّنوها حكمهم وكانوا يُحَلُّون بها صدور محافلهم ويُدرجونها في خطبهم وينظمونها في أسلاك قصائدهم وينقلونها في أنحاء جزيرتهم حتى ضُرب المثل في سيرها فقالوا : أَسْيَر من مثل وانما فضَّلوها لأربع فوائد وجدوها فيها كما قال أحدهم : اجتمع في المثل اربعة لا تجتمع في غيرهِ من الكلام ايجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية. وهذه الخواص تنطبق كلها مع غرائز العرب واطباعهم إذ عُرفوا بالرزانة والتروّي في الكلام وايراد الحكم البليغة باللفظ الوجيز. وقد أشار صاحب سفر الملوك الثالث إلى حكمة العرب هذه عند كلامهِ عن حكمة سُلَيمان وقد سماهم هناك بأهل المشرق فقال ( ٤ : ٣٠ ) : « ففاقت حكمة سليمان حكمة جميع أهل المشرق » ثمَّ ذكر بعض العرب المشهورين بذلك

ولمَّا ظهر الإسلام وأخذ اللغويُّون يجولون في احياء العرب ليجمعوا شعرهم ومآثرهم الأدبيَّة جعلوا لأمثالهم شأنًا عظيمًا. وكان أوَّل من أخذ بجمعها عبيد بن شريَّة وصُحار العبدي كانا في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ولكليهما كتاب في الأمثال واشتهر بعدهما المفضَّل الضبّي في أوائل الدولة العبَّاسيَّة وقد طُبعت امثالهُ في الاستانة ثمَّ تبعهُ أبو عُبيد القاسم بن سلام ولهُ كتاب الأمثال السائرة ثمَّ الاصمعي وابو زيد وابو عبيدة النحوي ثمَّ هشام الكلبي صاحب كتاب امثال حِمْير ثم ابن الاعرابي ولهُ تفسير الأمثال وابن قتيبة مؤلف حكم الأمثال ثم العسكري مؤلف جمهرة الأمثال حتى قام الميداني شهاب الدين احمد النيسابوري ( + ٥٣٩ - ١١٤٥ م ) فوضع كتابهُ مجمع الأمثال وضمَّنهُ نيّفًا وستَّة الاف مثل جمعها من أكثر من خمسين

كتابًا ورتَّبها على حروف المعجم ( ونحن نشير في كلامنا إلى طبعة بولاق سنة ١٢٨٤ )

وقد راجعنا ما تيسَّر لنا من هذه المجاميع لعلَّنا نقف على أصول تلك الأمثال فوجدنا عددًا منها نُقل بلفظهِ أو بمعناهُ عن أسفار العهدين القديم والحديث ما يدلُّ على أنَّ قائليها عرفوا كتب النصارى المنزلة وخالطوا النصارى ولعلَّ قومًا منهم كانوا نصارى فلم يصعب عليهم أن يضربوا الأمثال نقلاً عن كتب كانوا يسمعونها في مجتمعاتهم الدينيَّة

وها نحن نورد هنا هذه الأمثال اثباتًا لقولنا ونشير إلى الآيات الكتابيَّة المأخوذة عنها. ولم ننقل غير الأمثال الراقية إلى عهد الجاهليَّة أو أوائل الإسلام ما يدلُّ على هذا النفوذ النصراني بين العرب ونقسم هذا الفصل أربعة أقسام

١ انَّ بين الأمثال العربيَّة قسمًا كبيرًا ورد على صورة أَفْعَل التفضيل ذكرهُ الميداني في آخر كل باب من حروف المعجم. وهذه الأمثال مبنيَّة على ما خُصَّت بهِ المواليد الطبيعيَّة من الصفات اللازمة لها كنور الشمس وحلاوة العسل وشجاعة الأسد. فهذه الأمثال التي نُقلت عن العرب ليست خاصَّة بهم وقد سبقهم إلى استعمالها أصحاب الاسفار المنزلة في العهدين القديم والحديث سواء قيل انَّ العرب استعاروها من تلك الاسفار أو انَّهم أوردوها بمجرَّد نظرهم إلى الطبيعة

فمنها أمثال مبنيَّة على الطبيعة الجامدة كالفلك وظواهر الجوّ والمعادن نذكر هنا ما عثرنا عليهِ من ذلك. يقول العرب : أحسن من الشمس والقمر ( الميداني ١ : ٢٠١ ) وابهى من القمرين ( م ١ : ١٠١ ) واشهر من البدر ( م ١ : ٣٤٣ ) واثقب من النجوم وأرفع من السماء ( م ١ : ٢٧٨ ) وأَبْيَن من فلَق الصبح ( م ١ : ١٠٣ ) وأَنور من وضح النهار (م ٢ : ٢٦٢) فهذه الأمثال قد سبق إليها كلّها الكتاب الكريم مثال ذلك قول سفر الحكمة ( ٧ : ٢٩ ) عن الحكمة : « انَّها ابهى من الشمس واسمى من كل مركز للنجوم وإذا قيست بالنور تقدَّمت عليهِ » وكقول ابن سيراخ ( ١٧ : ٣٠ ) : « أيُّ شيء اضوأ من الشمس » وكقوله سفر الأناشيد ( ٦ : ٩ ) : « مَنْ هذه المُشْرفة كالصُّبْح الجميلة كالقمر المختارة كالشمس »

ويقول العرب آكَلُ من النار (م ١ : ٧٤) وقال اشعيا النبيّ قبلهم (٣٠ : ٢٧): « هوذا اسم الربُ يأتي من بعيد ... وشفتاهُ مملوءتان سخطًا ولسانهُ كنار

آكلة » . وضربوا المثل في سرعة البرق ( م ١ : ٣١٥ ) وقال الربُّ قبلاً في الإنجيل عن سقوط ابليس من السماء (لوقاء ١٠ : ١٨): « اني رأيتُ الشيطان ساقطًا من السماء كالبرق »

ومن أمثالهم في الحسن : « أحسن من الدُّمْية » ( م ١ : ٢٠٠ ) وكان داؤد قال في مزاميره ( ١٤٣ : ١٢ ) : « انَّ بَناتنا كأعمدة الزوايا مزيَّنات كدُمْية هيكل »

وقد ضربوا المثل بصلابة الصخر فقالوا : « أَقسى من صخرة ومن حجر » ( م ١ : ٦٢ ) وايبس من صخر ( م ٢ : ٣٢٢ ) وارسب من حجارة ( ١ : ٢٧٨ ) ومثلهُ في اشعيا (٥٠ : ٧) عن ثبات المسيح بازاء اعدائهِ : « السيد الرب ينصرني لذلك لم أخجل بل جعلتُ وجهي كالصوَّان » وقال: موسى في تثنية الاشتراع (٨ : ١٣) لبني اسرائيل عن الرب: « انهُ أخرج لك الماء من صخرة الصوَّان » وقد أشار السيد المسيح إلى ثبات بيعتهِ لمَّا دعا رسولهُ بطرس الهامة بالصخرة وأكَّد لهُ انهُ « يبني بيعتهُ على تلك الصخرة فلا تقوى عليها أبواب الجحيم » ( متَّى ١٦ : ١٨ ). ويشبههُ مثل العرب في ثقل الرصاص فقالوا : اثقل من الرصاص ( م ١ : ١٣٨ ) وارسى من الرصاص ( م ١ : ٢٧٨ ) وقد شبَّه موسى قبلهم غرق المصريين في البحر بالرصاص ( خروج ١٥ : ٥ و ١٠ ) : « غطَّتهم اللُّجَج فهبطوا في الأعماق كالحجارة ... وغرقوا كالرصاص في غمر المياه » وكذلك قولهم : « اثقل من طَوْد » ( م ١ : ١٣٨ ) وقد شبَّه الملك داود في الزبور ( ١٢٤ : ١ ) المتَّكلين على الرب « بجبل صهيون الغير المتزعزع الثابت إلى الأبد »

وممَّا ضربوا فيهِ الأمثال من الجمادات مُروق السهم ومضاء السيف وحدَّةُ الموسى وعدل الميزان وسحابة الصيف وحلاوة العسل وشهوة الخمر وحقارة الأرض فقالوا : « أَمْرَق من السَّهْم » ( م ٢ : ٢٣٣ ) وامضى من السيف ( م ٢ : ٢٣٦ ) وأَحدُّ من مُوسى ( م ١ : ٢١٢ ) واعدل من ميزان وأَخْلَف من سحابة صيف وأَحْلى من العسل ( م ١ : ٢٠١ ) واشهى من الخمر ( م ١ : ٣٤٢ ) واحقر من التراب ( م ١ : ٢٠٢ ). وكلّ ذلك قد شبَّهت بهِ الكتب المقدَّسة فقال أشعيا ( ٤٩ : ٢ ) « جعل ( الربّ ) فمي كسيفٍ ماضٍ .. وجعلني سهمًا مختارًا وفي جعبتهِ سترني » وقال بولس الرسول في رسالتهِ إلى العبرانيين ( ٤ : ١٢ ) : « انَّ كلمة الله هو حيّ عامل أَمْضى من كلّ سيفٍ ذي حدَّين » وقال داود النبيّ ( مز ٤٤ : ٦ ): « نِبالُك مسنونةٌ ... هي في

قلوب أعدائك » وقال أيضًا ( مز ٥١ : ٤ ) في الرجل الظالم : « لسانك يخترع الظلم عاملاً بالغش كالموسى المسنونة » وقال موسى في عدل الميزان ( أخبار ١٩ : ٣٥ ـ ٣٦ ) : « لا تجوروا في الوزن والكيل بل موازين عادلة وعيارات عادلة تكون لكم » وقد شبَّه القديس يهوذا في رسالتهِ ( ١ : ١٢ ) المنافقين بالسحابة المخلفة فقال : « هؤلاء سُحُب بلا ماء تحملُها الرياح » . امَّا حلاوة العسل فتكرَّر ذكرها في الكتاب المقدَّس قال ابن سيراخ عن لسان الحكمة ( ٢٤ : ٢٧ ) : « انَّ روحي أحلى من العسل وميراثي أَلَذُ من شَهد العسل » وقال صاحب المزامير ( ١٨ : ١١ ) : « خشية الربّ أشهى من الذهب والأبريز الكثير وأحلى من العسل وقَطْر الشِهاد » . وقال في سفر نشيد الأناشيد في شهوة الخمر ( ١ : ٣ ) : « نفرح ذاكرين حبَّك الذي هو أطيب من الخمر » . وقال في المزامير ( ١١٢ : ٧ ) في حقارة التراب : « انَّ الربّ يُنهض المسكين عن التراب ويقيم البائس من المزبلة ليجلسَهُ مع عظماء شعبهِ »

وكما سبقت الكتبُ المقدَّسة العربَ في أمثالهم المنقولة عن الجماد كذلك تقدَّمتهم في استعارة الأمثال عن الحيوان ومميّزاته. فمن ذلك ضربُهم المثل بشجاعة الأسد فقالوا : « اجرأ من قَسْوَرة ومن ذي لُبَد » ( م ١ : ١٦٤ ) واشجع من أُسامة واشدّ من أَسَد ( م ١ : ٣٤٣ ). وقال قبلهم بقرون عديدة صاحب سفر القضاة ( ١٤ : ١٨ ) : « أي شيء أحلى من العسل وأي شيء أشدّ من الأَسد » . وقال في سفر الأمثال ( ٢٨ : ١ ) : « الصدّيقون كشِبْل يطمئنُّون » . وقال يعقوب في نبوَتهِ على يهوذا ( تك ٤٩ : ٩ ) : « يهوذا شبلُ اسدٍ ... جَثمَ وربض كأَسد وكلبؤَة فمن ذا يقيمهُ »

وضربوا المثل في ظلم الذئب وعداوتهِ وفي خبث الثعلب فقالوا : « أَظلم من ذئب » (م ١ : ٣٩٢) وأعدى من ذئب ( م ١ : ٤٣٠ ) وأَسْلط من سِلْقَة وهي الذئبة ( م ١ : ٣١١ ) وأَرْوغ من ثُعَالة. قال طرفة : « كلهمُ أروغ من ثَعْلَب » ( م ١ : ٢٧٩ ). وتقدَّمهم الكتاب الكريم فقال يعقوب ( تك ٤٩ : ٢٧ ) : « بنيامين ذئبٌ يفترس » وقال السيّد المسيح لتلاميذهِ (لو ١٠ : ٣): « ها أنا مُرسلكم مثل خراف بين ذئاب » وقال أيضًا (متى ٧ : ١٥): « احذروا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بلباس الحُمْلان وهم في الباطن ذئاب خاطفةً » وقد شبَّه لذكره المجد هيرودوس بالثعلب لخبثهِ ( لو ١٣ : ٣٢ ). وقالوا على خلاف ذلك : « اذلُّ من النَّقَّد »

أي الغنم. وقال اشعيا يصف وداعة المسيح بإزاء أعدائهِ ( ٥٣ : ٧ ) : « كشاة سِيق إلى الذبح وكحَمَل صامت أمام الذين يجزُّونهُ »

وقد ضرب العرب الأمثال في الفرس وسرعتهِ وشدَّتهِ وكرم طباعهِ فقالوا : « أجود من الجواد المُبرّ » ( م ١ : ١٦٧ ) وأَسرع من فريق الخيل ( م ١ : ٣٠٧ ) وأَشأَى من فرس واشدّ من فرس ( م ١ : ٣٤١ ). وقد وصف الكتاب الكريم الفرس بكل هذه الصفات في آيات شتى ولاسيَّما في وصف سفر أيُّوب ( ٣٩ : ١٩ ـ ٢٥ ) : « أَأَنت الذي يوْتي الفرس قوَّة ويقلّد عنقهُ رعدًا ... »

وكذلك ضربوا الأمثال في الكلب وفي السوس وفي النملة فقالوا : « آلف من كلب ( م ١ : ٧٥ ) وأَطْوَع من كلب ( م ١ : ٣٨٧ ) وأَحرص من كلب على جيفة ( م ١ : ٢٠١ ) وقالوا : « آكل من السوس ( م ١ : ٧٤ ) ووصفوا النملة بالحرص فقالوا : أَجْمع من النملة (م ١ : ١٦٦) وأَكسب من نملة وذرَّة ( م ٢ : ٩٨ ) واحرص من نملة ( م ١ : ٢٠٢ ). وفي الكتب المنزلة أوصاف مثلها فجاء في سفر طوبيا ( ٦ و ١١ ) وصف أُلفة الكلب. وقال أشعيا يصف رقباء إسرائيل وطمعهم ( ٥٦ : ١١ ) : « كلاب نَهِمة النفوس لا تعرف الشَبع » . وقال في سفر الأمثال ( ٢٥ : ٢٠ ) عن السوس والعث : « كالعثّ في الثوب والسوس في الخشب هكذا الكآبة في قلب الرجل » . وقال الرب لتلاميذهِ ( متى ٦ : ١٩ ) : « لا تكنزوا لكم كنوزًا على الأرض حيث يفسد السوس والآكلة وينقب السارقون فيسرقون » وامَّا النملة وحرصها على جمع الطعام فقد ألمع اليها سفر الأمثال بقولهِ للكسلان ( ٦ : ٦ ) : « اذهب إلى النملة أيها الكسلان انظر طرقها وكن حكيمًا »

ومن أمثالهم في الطيور ما قالوهُ في منعة العقاب وسرعة طيرانهِ وحدَّة بصرهِ وفي عمر النسر وفي أُلفة الحمام ونهَم الجراد : « أعزّ من عقاب الجوّ » ( م ١ : ٤٣٧ ) وأَبصر من عقاب مَلاع ( م ١ : ١٠٠ ) وأَعَمرُ من نسر ( م ١ : ٤٣٤ ) وآلف من حمام ( م ١ : ٧٥ ) واجرد من الجراد ( م ١ : ١٦٧ ). وكذلك ورد في الكتب المنزلة عن منعة النسر قول أيوب ( ٣٩ : ٢٧ ) : « أَبأَمرك يحلّق النسر ويجعل وكره في العلاء مسكنهُ الصخر وفيهِ مبيتهُ وعلى انف الصخر معقلهُ من هناك يبحث عن قوتهِ وعيناهُ تنظران من بعيد » وقال داود في رثائهِ لشاول وليوناتان (٢ ملوك ١ :

٢٣ ) : « أَسرَع من النسور واشدّ من الأسود » . وقال السيِّد المسيح ممثِلاً بوداعة الحمام (متى ١٠ : ١٦) : « كونوا ودعاء كالحمام » . ثمَّ في تثنية الاشتراع ( ٢٨ : ٣٩ ) يتهدَّد الرب شعبهُ « بالجراد القارض »

وقد قالوا في الحيَّة والأفعى : « اظلم من حيَّة واظلم من أفعى » ( م ١ : ٣٩١ ) واعدى من الحيَّة ( م ٢ : ٤٢٩ ). ومثل هذا في سفر أيّوب يصف المنافق ( ٢٠ : ١٦ ): « يرضع سُمَّ الأصلال فتقتلهُ لسان الأفعى » وفي الكتب المقدَّسة آيات كثيرة تشير إلى خبث الحيَّة وسمّها القاتل. وفي الإنجيل الكريم ( متى ١٠ : ١٦ ) : « كونوا حكماء كالحيَّات » قال ذلك لأنَّ الحيَّة تحرص على رأسها لئَلاَّ تصاب بأذى فتصونهُ دون جسمها. ولعلَّ العرب أرادوا أيضًا ذلك بقولهم « أَعْدى من الحيَّة » يريدون العَدْو أي السرعة لتسرّعها إلى جحرها لتنجو من العدو. هكذا شرحها الدميري في حياة الحيوان ( ١ : ٣٢٠ ) بخلاف الميداني الذي اشتقَّها من العداوة والظلم. وقد روى ابن قتيبة هذا المثل في عيون الاخبار (ed. Brockelmann, p. 459) على صورة أخرى فقال : « احلم من الحيَّة » ثمَّ روى ( ص ٤٦٠ ) كلام الإنجيل هكذا : « انَّ المسيح ( عم ) قال للحواريين : كونوا حكماء كالحيَّات وبُلهًا كالحمام »

*

٢ ومن أمثال العرب الدالَّة على اختلاطهم بأهل الكتاب وعلى الأخصّ بالنصارى ما رووهُ منسوبًا إلى الأنبياء أو إلى مشاهير رجال العهد القديم والجديد وقد جاء أشياء كثيرة من ذلك في كتاب الأمثال للميداني ( م ) وقد صنَّف أبو منصور الثعالبي كتابًا جليلاً في هذا المعنى دعاهُ « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » في مكتبتنا الشرقيَّة منهُ نسخة حسنة وقد طُبع في مصر طبعًا سقيمًا سنة ١٣٢٦ نشير إليهِ بحرفي « مض » ونتَّبع زمن التاريخ مباشرةً بآدم

( آدم ) عرفوهُ بابي البشر وضربوا بهِ المثل بالشهرة ( مض ٢٩ ) وبالقِدَم ( اطلب الصفحة ٢٨٣ ) = ( أَنوش ) هو ابن شيث ويدعى احنوخ ينسب إليهِ العرب الآثار القديمة والخطّ فقالوا : « انَّما خَدَشَ الخدوشَ أَنُوشُ ( م ١ : ١٥ ) » = ( نوح ) ذكروا سَفينة نُوح وغراب نُوح وعُمْر نُوح ( مض ٢٩ ـ ٣١ اطلب ص ٢٨٥ ) = ( ابراهيم الخليل ) ذكروا (مض ٣١ ـ ٣٤) « مقام ابراهيم » فضربوا بهِ المثل

لكل مكان شريف. ونار ابراهيم زعموا أنَّهُ نجا منها باذن الله. وصُحُف ابراهيم لحِكَم قالوا انَّ الله أنزلها عليهِ. وضيف ابراهيم وتُحفة ابراهيم اشارة إلى الله تعالى الذي ترآءى لأبراهيم على صورة ثلثة رجال ( سفر التكوين ف ١٨ ) فاضافهم وقدَّم لهم خبزًا ولحمًا. ( اطلب القرآن سورة الحجر ٤٩ ). « ونبِّئْهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليهِ فقالوا سلامًا ... » = (اسماعيل) نسبوهُ إلى الصدق فقالوا : « صدق اسماعيل » ( مض ٣٣ ـ ٣٤ وسورة مريم ) = ( يعقوب ) قالوا « احزان يعقوب » مشيرين إلى حزنهِ على يوسف لمَّا اخبرهُ بنوهُ بموتهِ (مض ٤٤) = ( يوسف الصدّيق ) ضربوا المثل ( مض ٣٤ ـ ٣٨ ) برؤيا يوسف إشارة إلى الرؤيا الصادقة. وبذَنْب يوسف لُتُهْمة كاذبة. وبقميص يوسف المضرَّج بالدم. وبحُسن يوسف. وسني السبع المخصبة ثمَّ السبع المجدبة : ( راجع سفر التكوين ف ٣٧ وما يليهِ ثمَّ في القرآن سورة يوسف ) = ( موسى ) ممَّا يذكرون لهُ ( مض ٣٨ ) عصاة موسى التي فلق بها بحر القلزم. ونار موسى التي تجلَّى لهُ فيها الله. ويد موسى التي لاحت عليها آثار البرص. وصُحُف موسى المنزلة عليهِ ومناجاتهُ لله ( راجع سفر الخروج وبعض سور القرآن كالبقرة والاعراف ) = ( فرعون ) نسبوا إليهِ الصَلَف والنخوة فقالوا : « نخوة فرعون » (مض ٦٣) = ( قارون ) هو قورح أحد الذين خُسفت لهم الأرض لمعارضتهم موسى. وقد زعموا انهُ كان مثريًا فقالوا « كنوز قارون » ( مض ٦٤ والقرآن سورة القصص ٧٦ ) = ( بنو اسرائيل ) ضربوا بهم المثل في التيه فقالوا ( م ١ : ١٣١ ) : « أَنْتَه من قوم موسى عم » = ( أيُّوب ) ضربوا بهِ المثل في الصبر « صبر أيوب » ( مض ٤١ ) = ( داود ) ذكر العرب في أمثالهم مزامير داود ونغمَته في تلاوتها وزعموا انَّهُ برع في نسج الدروع (مض ٤٣ ـ ٤٤ واطلب فصولنا السابقة ص ٣٤٩) = (سليمان) ضربوا بهِ المثل في عزَّة الملك واتِّساعهِ فقالوا: « مُلك سليمان » ونسبوا إلى خاتمهِ المعجزات فقالوا : « خاتم سُليمان » كما قالوا : « جنّ سليمان وسَيْر سليمان » لزعمهم بانَّ الله سخَّر لخدمته الجنّ والشياطين وانَّهُ كان يعلم منطق الطير والحشرات ( راجع سورة النمل في القرآن ) ويسير على بساط الريح ( سورة سبأ في القرآن. اطلب مض ٤٤ ـ ٤٦ وفصولنا السابقة ص ٣٥٠ ) = ( الخُضْر ) قيل انَّهُ الياس النبيّ فقالوا: « فلان خليفةُ الخضر » أي جوَّاب في الآفاق ( مض ٤٢ ) = ( يونس ) هو النبيّ

يونان ضربوا المثل في الحوت الذي ابتلعَهُ فقالوا : « أَنْهَم من حوت يونس » ( مض ٤٣ ) = ( عُزَيْر ) هو عَزْرا صاحب السفرَيْن الواردَين باسمهِ في الكتاب المقدَّس. ضربوا بحمارهِ المثل فقالوا: « حمار عُزَيْر » لأنَّ الله على زعمهم أَمدَّهُ بهِ في نكبتهِ ( مض ٤٦ ) = (هامان) وزير الملك احشورش نسبوا إليهِ صَرْحًا فقالوا : « صَرْح هامان » زعموا انَّهُ بناهُ لفرعون (راجع القرآن سورة القصص ومض ٦٣) = ( عيسى ) أي السيّد المسيح ضربوا المثل في نطقهِ بالمهد ( مض ٤٠ ) ثمَّ في طبّهِ فقالوا : « طبّ عيسى » لكثرة معجزاتهِ في احياء الموتى وشفاء المرضى ( مض ٤٧ ) وفي حمارهِ الذي ركبهُ يوم دخولهِ اورشليم في أحد الشعانين ( مض ٤٦ ) ونسبوهُ إلى الله فقالوا « روح الله » و « كلمة الله » ( مض ١٥ ) = (مريم العذراء) ضربوا المثل بعفَّتها فقالوا « عفَّة مريم » ( مض ٤٤ وسورة آل عمران ) وقالوا « تُحْفة مريم » كما قالوا تحفة ابراهيم يريدون بها الرُّطَب أي التمر ( مض ٣٣ ) وكذلك قالوا « نخلة مريم » لأنَّهم زعموا انَّها كانت تنحني أمامها لتأكل من ثمرها ( مض ٢٤٤ ) = ( يحيى ) وهو يوحنَّا المعمدان فقالوا « دم يحيى ابن زكريَّا » ( مض ٤٧ ) لقتلهِ ظلمًا على يد هيرودوس = ( الحواريُّون ) وهم رسل السيّد المسيح ضربوا المثل في صفاء قلوبهم ( قصص الأنبياء للثعلبي ص ٣٤٣ ) = ومن أمثالهم النصرانيَّة ( كعبة نجران ) وهي كنيسة كان يحجّ إليها أهل اليمن لحسنها ( مض ٤١٢ ) و ( قسّ نجران ) وهو قسّ بن ساعدة المضروب بهِ المثل في الخطابة ( مض ١٨٥ ) و ( أَبْدَال اللُّكام ) و ( أبدال لبنان ) وهم قوم من النسَّاك الصالحين زهدوا في الدنيا وعبدوا الله في جبل اللُّكام وجبل لبنان ( مض ١٨٦ ـ ١٨٧ ) و ( نوم أصحاب الكهف ) وهم شهداء النصرانيَّة في افسس قيل انهم أووا إلى مغارة لينجوا من المغتصبين فباتوا فيها نائمين سنين عديدة ( مض ٦٥ وسورة الكهف في القرآن ) و ( كنيسة الرها ) قالوا انها من عجائب الدنيا ( مض ٤١٦ ) و ( دير هِرَقل ) كانوا يعالجون فيهِ المجاني ( مض ٤١٩ )

*

٣ وبين أمثال العرب في الجاهليَّة وأوَّل الإسلام ما هو منقول بحرفهِ أو بمعناه من الكتب المقدسة. فدونك ما أخذوهُ عن أسفار العهد القديم

بين الأمثال التيّ رواها الميداني في مجموعهِ ( طبعة بولاق ٢ : ٢٢٩ ) قولهم :

« المرأَة من المرء وكل ادماء من آدم » . واردف: « ويقال انَّ هذا أوَّل مثل جرى للعرب ». وهو منقول عن سفر التكوين ( ٢ : ٢٣ ) حيث روى موسى كيف خلق الله حوَّاء من ضلع آدم فقال : « هذه تسمَّى امرأَةً لأَنَّها من امرئ أُخِذتْ »

ومنها مثَلهم ( م ١ : ٤٣ ) : « ان لم يكن وِفاق ففراق » ينظر إلى قول ابراهيم إلى لوط في السفر المذكور بعد نزاع حصل بين رعاتهما ( ١٣ : ٨ ـ ٩ ) : « لا تكن خصومة بيني وبينك انَّما نحن رجلان اخوان .. اعتزل عني امَّا في الشمال فأَتَيا مَن عنك وامَّا إلى اليمين فأَتياسر »

ومنها قولهم ( م ١ : ٢١٣ ) : « خيرٌ قليل وفضحتُ نفسي » لا يبعد عن قول يوناتان لمَّا أراد أبوهُ شاؤل ان يقتلهُ لقليل من عسل ذاقهُ وقت الحرب ( ١ ملوك فقال ١٤ : ٤٣ ): « ذُقتُ ذوقًا برأس العصا قليلَ عسلٍ وهاءَنذا اموت »

ومن أمثالهم لمن يسهو عن الحديث ( م ١ : ٤٠ ) : إليك يُساقُ الحديث » فكأنهُ ترجمة قول ناتان النبي لداود ( ٢ مل ١٢ : ٧ ) بعد أن عرض عليهِ مثل الغنيّ المضحّي لشاة الفقير إشارةً إلى خطيئَتهِ مع امرأَة اوريَّا : « أنت هو الرجل »

ومنها أيضًا ( م ٢ : ٨٤ ) : « كلّ امرئ فيهِ ما يُرْمى بهِ » هو كآية سفر الملوك الثالث (٨ : ٤٦): « ليس انسانٌ لا يخطئ » وكذلك ورد في سفر الجامعة (٧ : ٢١): « ليس من صدّيق على الأرض يصنع الخير بغير أن يخطأ » . ويشبههُ قول السيّد المسيح في الإنجيل ( مرقس ١٠ : ١٨ ) : « لا صالح الاَّ الله وحدَهُ »

وممَّا رُوي بين أمثال عليّ (١ ( ص ٨ ): « جُدْ بما تَجدْ » فهو مثل قول طوبيَّا ( ٤ : ٨ ) يوصي ابنهُ : « تصدَّق من مالك. ان كان لك كثير فابذل كثيرًا وان كان لك قليل فابذَلْ عن نفس طيّبة »

ومن أمثال العرب في الميداني ( ٢ : ٢١٥ ) : « المنيَّة ولا الدنيَّة » نظمهُ الحريري فقال :

المنايا ولا الدنايا وخيرٌ  من رُكوب الخنى ركوبُ الجنازَهْ

وقد سبق العازر الشيخ فقال في سفر المكابيين الثاني ( ٦ : ٢٣ ـ ٢٧ ) : « اسبقُ

---

١) نشير إلى مجموع امثالهِ الذي طُبع في اوكسفرد سنة ١٨٠٦ : Corn. van Waenen *Sententiæ Ali ebn Abi Taleb*

إلى الجحيم ... ولا أجلب على شيخوختي الرجس والفضيحة »

وقالوا ( م ١ : ٩٢ ) : « البطنة تأْفنُ الفطنة » ومثلهُ قول علي : « البطنة تذهب بالفطنة » وقد قال النبيّ هوشع قبلاً ( ٤ : ١١ ) : « الزنى والخمر والسلاف تستهوي القلب »

وروى الميداني ( ١ : ٢٥ ) للعرب : « ان كنتَ ريحًا فقد لاقيت اعصارًا » . ومثلهُ لهوشع أيضًا ( ٨ : ٧ ) : « انَّهم يزرعون الريح ويحصدون الزوبعة »

ولهُ ( م ٢ : ٢٠٣ ) عن لسان أحد الاعراب لكلبهِ : « ما لك لا تنبح يا كلب الدَّوْم قد كُنْتَ نبَّاحًا » وجاء في نبوَّة اشعيا ( ٥٦ : ١٠ ) إلى رقباء بني اسرائيل : « انَّ رقباءَهُ كلّهم كلاب بُكْم لا يستطيعون النباح »

ومن أمثالهم في من لا يميّز الخير من الشرّ ( م ٢ : ١٨٦ ) : « ما يعرف قبيلاً من دبير » أو : « ما يعرف الحوَّ من اللوّ » وجاء قبلهُ عن لسانه عزَّ وجلّ في سفر يونان ( ٤ : ١١ ) : « افلا اشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي فيها أكثر من اثنتي عشرة ربوة من أناس لا يعرفون يمينهم من شمالهم »

وممَّا ورد بين أمثال علي ( ص ٨٦ ) : « طعنُ اللسان أمضى من جرح السنان » سبق إليهِ النبي داؤد في مزاميرهِ ( ٥٦ : ٥ ) عن المنافقين : « أَسنانهم لسنَّة وسهام والسنتهم سيوف حادَّة »

ومنها أيضًا قولهُ ( ص ١٦ ) : « زينة الباطن خير من زينة الظاهر » فكأَنهُ نظر إلى قول صاحب المزامير في وصفهِ للملكة السرّيَّة ( مز ٤٤ : ١٤ ) : « بنتُ الملك جميع مجدها في الداخل »

وللعرب عدَّة أمثال في الاخاء والصداقة فيقولون ( م ١ : ٦٣ ) : « انَّ اخاك من آساك » ويقولون (م ١ : ٤٢٢): « عند الامتحان يكرم المرء أو يهان » ويقولون أيضًا: « عند النازلة تعرف أخاك » ومثلهُ قول علي ( ص ٢ ) : « أخوك من واساك في الشدَّة » وقول اكثم بن صيفي ( العقد الفريد لابن عبد ربه ١ : ٣٢٨ ): « أخوك من صدقك » وقولهُ: « خيرُ اهلك من كفاك » وقول الشاعر :

فما أكثر الاصحاب حين تعدُّهم ولكنَّهم في النائبات قليلُ

فهذه كلّها كالآية الواردة في سفر أمثال سليمان ( ١٧ : ١٧ ) : « الخليل عند

الضيق يُضحي اخًا » وكقولهِ ( ١٨ : ٢٢ ) : « رُبَّ صديقٍ أقرب علاقةً من الأخ » وقولهِ (٢٧ : ١٠) : « جارٌ قريبٍ خيرٌ من أخ بعيد » وقول ابن سيراخ ( ١٢ : ٨ ) : « لا يُعرف الصديق في السرَّاء ولا يخفى العدوّ في الضرَّاء »

ومن أمثال العرب عن المشابهة بين الاقران والاخلاَّء قولهم ( م ٢ : ١٩١ ): « المرءُ بخليلهِ » أي مقيسٌ بخليلهِ قال الميداني : « يروى عن النبيّ صلعم » ومثلهُ لعليّ ( ص ٨ ) : « جليس المرء مثلهُ » ولهُ ( ص ١٠ ): « خليل المرء دليلُ عقلهِ » . ولهُ (ص ٣٠) : « قرين المرء دليل دينهِ » ولطرفة الشاعر في معلَّقتهِ :

عن المرء لا تسأَل وسل عن قرينهِ فكلُّ قرينٍ بالمقارَن يقتدي

وكلّ ذلك في معنى قول سليمان ( أمثال ١٣ : ٢٠ ) : « مُساير الحكماء يصير حكيمًا ومؤانس الجهلاء يصير شرّيرًا »

وممَّا قالوا في حفظ اللسان ( م ٢ : ٢١١ ): « مَن أَكثَرَ أَهْجَرَ » وقالوا (م ١ : ١٤): « انَّ البلاء موكّل بالمنطق » وقالوا ( م ٢ : ١٨١ ) : « مقتل الرجل بين فكَّيْه » وقول عليّ : « بلاء الإنسان من اللسان » وقولهُ : ( ص ٢٠ ) : « صلاح الإنسان في حفظ اللسان » وقد قال قبلهم سليمان في أمثالهِ ( ١٠ : ١٩ ) : « كثرة الكلام لا تخلو من زلَّة ومَنْ ضبط شفتَيْه فهو عاقل » وقال ( ١٣ : ٣ ) : « مَن ضبط فاهُ صان نفسَهُ ومن فتق شفتيهِ فحظُّهُ الدمار » وقال ( ١٨ : ٧ ) : « فم الجاهل دمارهُ وشفتاهُ شرَكٌ لنفسهِ » . وقال ( ٢١ : ٣٢ ) : « من يحفَظ فاهُ ولسانهُ يحفظ من المضايق نفسَهُ » وللقديس يعقوب في رسالتهِ ( ٣ : ٢ ) : « ان كان أحد لا يزلّ في الكلام فهو رجل كامل » فكأَنَّ الشاعر عقد هذه الأمثال فقال :

احفظ لسانك أيُّها الإنسانُ لا يلدغنَّك انَّهُ ثعبانُ
كم في المقابر من قتيل لسانهِ كانت تهابُ لقاءَهُ الشجعانُ

ومن أمثال عليّ ( ص ١٨ ) : « سموّ المرء التواضع » فهو على شبه قول سليمان أمثال ( ١٥ : ٣٣ ) « قبل المجد التواضع »

ومن أمثال العرب : « كل طير يأوي إلى جنسهِ وقد سبق ابن سيراخ ( ١٣ : ١٩ ) فقال : « كل إنسان يحب قريبهُ وكل حيوان يحب نظيرهُ »

وروي بين أمثال علي وغيره من العرب قولهم : « رأس الحكمة مخافة الله »

وأوَّل من قال ذلك بلفظه داود في مزاميرهِ ( ١١٠ : ١٠ ) وابن سيراخ ( ١ : ١٦ ). وروى سليمان في أمثالهِ ( ١ : ٧ ) : « مخافة الرب رأسُ العلم »

ومن أمثالهم ( م ١ : ٩ ) : « انَّ الحديد بالحديد يُفلَح » أو ( م ٢ : ١٥٢ ) : « لا يفلُّ الحديدَ إلاَّ الحديد » نظمهُ الشاعر فقال :

قومُنا بعضُهم يقتلُ بعضًا لا يفلْ الحديدَ إلاَّ الحديدُ

وكان سليمان قد قال ( أمثال ٢٧ : ١٧ ) : « الحديد يصقل الحديد »

ويقول العرب ( م ١ : ١٢٧ ) : « تضرَّع إلى الطبيب قبل أن تمرض » كانهم أخذوهُ من قول ابن سيراخ ( ٣٨ : ١ ) : « اعطِ الطبيب كرامتهُ لأجل فوائدهِ ( أي وقت المرض ) »

ومن أمثال العرب ( م ٢ : ٢٢ ) : « في التجارب علمٌ مستأنف » وكان ابن سيراخ قال ( ٣٤ : ١٠ ) : « الذي لم يختبر يعلم قليلاً »

وكذلك قالوا في النظر إلى العواقب ( م ٢ : ٢٢ ) : « في العواقب شافٍ أو مُريح » ومثلهُ قولهم ( م ٢ : ١٢٨ ) : ليس للأمور بصاحب من لم ينظر في العواقب » سبق أيضًا إليهِ ابن سيراخ قائلاً ( ٧ : ٤٠ ) : « في جميع أعمالك اذكر عواقبك فلن تخطأ إلى الأبد »

ومن أمثال العرب ( م ٢ : ٢٠٤ ) في الاستشارة : « ما هلك امرؤ عن مشورة » قالهُ ابن سيراخ ( ٣٢ : ٢٤ ) : « لا تعمل شيئًا من غير مشورة فلا تندمَ على عملك »

ويقول العرب في أمثالهم ( م ٢ : ٢١١ ) : « من حفر مغواة وقع فيها » ومثلهُ لحسّان بن ثابت ( حماسة البحتري ص ٧١ ) :

وكم حافرٍ حفرةً لامرئٍ سيصرعهُ البغيُ احتفرْ

وكان داؤد قال في مزاميرهِ ( ٧ : ١٦ ) يصف الشرير : « كرى بئرًا وحفرها فسقط في الهوَّة التي صنع » ولسليمان ابنهِ ( أمثال ٢٦ : ٢٧ ) : « من يحفر هوَّة يسقط فيها » راجع أيضًا سفر الجامعة ( ١٠ : ٨ ) وابن سيراخ ( ٢٧ : ٢٩ )

ولا يبعد أن يكون قول العرب في الخيبة ( م ٢ : ٨٠ ) : « كالقابض على الماء » منقولاً عن أمثال سليمان ( ٢٧ : ١٦ ) : « إنما يضبط على الريح ويقبض بيمينهِ على زيت »

ومن أمثال العرب ( أغاني ١٥ : ١٢١ ) : « التوبة تُذهب الحوبة » . وقد تكرَّر هذا مرارًا في الأسفار المقدَّسة على صور شتى ( راجع نبوة حزقيال ف ١٤ و ١٨ ). وفي أعمال الرسل ( ٣ : ١٩ ) « توبوا وارجعوا تُغفَر خطاياكم »

ومن أمثالهم أيضًا ( م ١ : ١٧ ) : « انَّ من لا يعرف الوحي أحمق » ومثلهُ ما ورد في سفر الحكمة ( ١٣ : ١ ) : « ان جميع الذين لم يعرفوا الله حُمْق »

٤ وكما أخذ العرب كثيرًا من أمثالهم عن أسفار العهد القديم كذلك رووا عدَّة أمثال عن أسفار العهد الجديد ولاسيَّما الإنجيل الطاهر

فمن ذلك مثل لعلي ( ص ٢ ) : « أَحسن إلى المسيء تَسُدْ » فهو صدًى ضعيف لقول الرب في متى ( ٥ : ٤٤ ): « أَحسنوا إلى من يبغضكم لتكونوا بني أبيكم الذي في السموات »

ومثلهُ المثل الذي رواهُ ابن قتيبة في عيون الاخبار ( ١ : ٣٣٢ ) : « احلُمْ تُسدْ » فانهُ كقول الإنجيل ( متى ٥ : ٤ ) : « طوبى للودعاء فانهم يرثون الأرض »

وروى الميداني في أمثالهِ ( م ١ : ٢٩٧ ) : « اسمَحْ يُسمَح لك » وكذلك روى ابن عبد ربه ( ١ : ٣٢٨ ) : بين أمثال اكثم بن صيفي : « أَحْسِنْ يُحسَن إليك » وكلاهما كقول الرب في لوقا ( ٦ : ٣٨ ) : « أَعطوا تُعطَوا » . ومثلهُ قول اكثم أيضًا : « إِرْحم تـُرحَم » وقولهُ : « من بَرَّ يومًا بُرَّبهِ » نُقل عن تطويبات الرب ( متى ٥ : ٧ ) : « طوبى للرحماء فانهم يُرحَمون » وكان سليمان قال في أمثالهِ ( ١١ : ١٧ ) : « ذو الرحمة يُحسن إلى نفسهِ »

ومن أقوال الرب الشهيرة ( متى ٧ : ٧ ـ ٨ ) : « اسأَلوا تُعطَوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يُفتَح لكم لأَنَّ كل من يسأَل يُعطَى ومن يطلب يجد ومن يقرع يُفتح لهُ » اخذهُ العرب فقالوا في أمثالهم ( م ١ : ٣٠٢ ) : « سائل الله لا يخيب » وقالوا ( م ١ : ٣٨٣ ) : « اطلب تظفُرْ » وقالوا ( م ٢ : ٢٢٦ ) : « من طلب شيئًا وجدهُ » وقالوا ( م ٢ : ٤٧ ) : « اقصدي تصيدي » وكذلك نظم صالح بن عبد القدوس هذا المثل فقال ( حماسة البحتري ص ١٣٤ ) :

مَنْ يَسَل يُعْطَ ومَنْ يستَفتح م الباب يَفتَحْهُ بطيءٌ أو سريع

ومن أقوال السيّد المسيح أيضًا ( متى ٧ : ١ ـ ٢ ولوقا ٦ : ٢٧ ) : « لا تدينوا لئلاَّ

تُدانوا فانكم بالدينونة التي بها تدينون تُدانون وبالكيل الذي بهِ تكيلون يكال لكم » . فقد أخذه العرب بلفظهِ « كما تدين تُدان » هكذا رواهُ الميداني ( ٢ : ٨٥ ) وقد رواهُ ابن عبد ربه ( ١ : ٣٢٨ ) للاكثم بن صيفي. وروى في التاج ( ٩ : ٢٠٧ ) لخويلد بن نوفل الكلابي يخاطب الحرث بن شمّر :

يا حارِ أَيقن انَّ مُلكك زائلٌ واعلم بأنَّ كما تَدينُ تُدانُ

ومثل الكيل رواهُ الميداني ( ١ : ١٤٨ ) على هذه الصورة : « جزيتُهُ كيلَ الصاعِ بالصاع »

وقال الرب ( متى ٧ : ٣ ولوقا ٦ : ٤١ ) لن يعيّر غيرَهُ داءً يكون في نفسهِ اعظم : « ما بالُك تنظر القذى الذي في عين اخيك ولا تفطن للخشبة التي في عينك » نقلَهُ العرب فقالوا ( م ٢ : ٨٥ ) : « كيف تبصر القذى الذي في عين اخيك وتدع الجِذْع المعترض في عينك »

وقال الرب أيضًا ( متى ٧ : ١٦ ولوقا ٦ : ٤٤ ) : « هل يُجتنى من الشوك عنب أو من العوسج تين » أخذهُ العرب فقالوا ( م ٢ : ١٥٢ ) « لا تجنِ من الشوك عنبًا » رُوي لاكثم بن صيفي. وقالوا ( م ١ : ٤٣٦ ) في العجز : « أَعجزُ من جاني العنب من الشوك » وقال الشاعر ( م ٢ : ١٥٢ ) :

اذا وترتَ امرءًا فاحْذَر عداوَتَهُ مَن يزرَعِ الشوك لا يحْصُدْ بهِ العنبا

ومن أقوالهِ تعالى ( متى ١٩ : ٢٤ ومر ١٠ : ٢٥ ) : انهُ لأَسهل ان يدخل الجمل في ثقب الابرة من أن يدخل غنيٌّ ملكوت الله » . فأخذه العرب وضربوهُ مثلاً للضيق فقالوا (م ١: ٣٧٤) : « اضيق من خَرْت الابرة وسمّ الخِيَاط » وضربوه مثلاً أيضًا لصعوبة الشيء فقالوا (م ٢ : ١٤٤) : « لا أفعل كذا حتى يلج الجمل في سمّ الخِيَاط » ومثلهُ في القرآن في سورة الاعراف ( ٧ : ٣٨ ) : « لا يدخلون الجنَّة حتى يلج الجمل في سمّ الخِيَاط »

وقال في الإنجيل ( لو ٦ : ٣٩ ) : « هل يستطيع اعمى ان يقود أعمى أَليس كلاهما يسقطان في حفرة » فرووهُ بين أمثال على ( ص ١٠٠ ) على هذه الصورة : « كيف يهدي غيرهُ من يُضلُّ نفسهُ »

وكذلك رووا لعلي (٦٦) : « خيرُ الصَّدْقة إِخفاؤها » وكان الربُّ اعلن في

انجيلهِ ( متى ٦ : ٣ ـ ٤ ) : « إذا عملت صدقةً فلا تعلم شمالُك ما تصنع يمينك لتكون صدقتك في خفيةٍ وابوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك »

ومن أمثال الميداني ( ١ : ٢٧٥ ) : « رُبَّ زارعٍ لنفسهِ حاصد سواهُ » قالهُ الرب في إنجيلهِ ( يوحنا ٤ : ٣٧ ) : ان واحدًا يزرع وآخر يحصد »

وللرب في الإنجيل أقوال كثيرة في الصبر كقولهِ تعالى ( لو ٢١ : ١٩ ) : بصبركم تَقْتنون أنفسكم » وقولهِ ( متى ١٠ : ٢٢ ) : « الذي يصبر إلى المنتهى فذلك يخلص » . وقال يعقوب في رسالتهِ ( ١ : ٤ ) « العملُ الكامل للصَّبر » . وإلى ذلك تنظر أقوال العرب ( م ١: ١٣٥ ) : « ثمرة الصبر نُجح الظفر » وقولهم وهم يروونهُ لاكثمٍ بن صيفي ( العقد الفريد ١ : ٣٢٩ ): « عواقب الصبر محمودة » وقول عليّ ( ص ٨ ): « بشِّر نفسك بالظفر بعد الصبر » وقولهُ ( ص ٢٠ ) « صبرك يورث الظفر »

وكذلك التواضع فقد وردت فيهِ آيات عديدة في الإنجيل كقولهِ ( لوقا ١٤ : ١١ و١٨ : ١٤ ) : « كل من رفع نفسَهُ اتَّضع » . وقال القديس بطرس في رسالتهِ الأولى ( ٥ : ٦ ): « اتَّضعوا تحت يد الله القادرة ليرفعكم » . فروى العرب لعليّ قولهُ ( ص ٥٨ ) وهو كالآيات السابقة : « تواضعْ لربّك يرفَعْك » . وقولهُ : « التواضع يرفع والتكبر يضع » وقولهُ ( ص ١٠٦ ) : « من توقَّر وُقِّر ومن تكبر حُقرَ » ويشبههُ قول سويد ابن أبي كاهل ( شعراء النصرانية ص ٤٣١ والمفضَّليَّات ص ٣٩٩ ) :

كتب الرحمانُ والحمدُ لهُ سعةَ الأخلاق فينا والضَلَعْ
وبناءً للمعالي انتَما يرفعُ اللهُ ومن شاءَ وضَعْ

وعلى شبه هذا قول العرب ( حماسة أبي تمَّام ١٢٢ ) : « سيِّد القوم خادُمهم » وهو عين ما قالهُ الرب لتلاميذهِ ( لوقا ٢٢ : ٢٦ ) : « ليكن الأكبر فيكم كالاصغر والذي يتقدَّم كالذي يخدم ... وانا في وسطكم كالذي يخدم »

وكذلك يُروى للعرب ( م ٢ : ١٨٨ ) : « ما جُعل العبدُ كربّهِ » وهو عين قول الرب ( متى ١٠ : ٢٤ ) : « ليس عبدٌ أفضل من سيِّدهِ » كما انَّ مثلهم ( م ٢ : ١٣٥ ) : « ليس عبدٌ باخٍ لك » هو مثل قولهِ ( يوحنَّا ١٥ : ١٥ ) : « لا اسمِّيكم عبيدًا بعد لأنَّ العبد لا يعلم ما يصنع سيِّدهُ ولكني سمَّيتكم احبَّائي »

وقال الرب لبطرس لمَّا سلَّ سيفَهُ فقطع اذن عبد رئيس الكهنة ( متى ٢٦ :

٥٢ ) : « اردُدْ سيفك إلى غمدهِ لأنَّ كلّ من يأخذ بالسيف بالسيف يَهْلَك » رُوي لعليّ في نهج البلاغة على صورة : « من سلَّ سيف البغي قُتل بهِ »

ومن الأمثال التي استشهد بها المخلِّص في الناصرة ( لو ٤ : ٢٣ ) : « أيُّها الطبيب اشفِ نفسك » وهو كمثل العرب ( م ٢ : ٢٠٧ ) : « يا طبيبُ طبَّ لنفسك »

ورووا بين أمثال عليّ بن أبي طالب قولهُ ( ص ١٠٦ ) : « من أَكرم نفسَهُ أهانَتهُ » وقولهُ ( ص ١٠٨ ) : « من أطاع نفسَهُ قتلَها » وهو من أقوال الربّ ( يوحنّا ١٢ : ٢٥ ) : « من احبَّ فانَّهُ يهلكها ومن أبغض نفسَهُ في هذا العالم فانَّهُ يحفظها للحياة الأبديَّة »

ومن أمثال العرب ( م ٢ : ٣٢١ ) : اليسير يجني الكثير » يروى لاكثم بن صيفي. وقريب منهُ قولهم ( م ١ : ٣٢١ ) : الشرُّ يبدُؤهُ صغارهُ » . وقد قال الرب في معناه ( لوقا ١٦ : ١٠ ) : « الأمين في القليل يكون امينًا في الكثير والظالم في القليل يكون ظالمًا في الكثير » وإلى هذا المعنى يعود قول ابن سيراخ ( ١٩ : ١ ) : الذي يحتقر اليسير يسقط شيئًا فشيئًا »

وقال الرب في عدم الاهتمام بالغد ( متى ٦ : ٣٤ ) : « فلا تهتمَّوا بشأن الغد فالغد يهتمُّ بشأنهِ يكفي كلَّ يوم شرُّهُ » اخذهُ العرب فقالوا ( م ١ : ٦١ ) : « انَّ غدًا لناظرهِ قريب » وهو يُروى لامرئ القيس الذي قال أيضًا ( م ٢ : ٣١٣ ) : « اليوم خمر وغدًا امر » وكذلك يقول العرب في أمثالهم ( م ٢ : ١٢٩ ). « لكل غد طعام »

وقال الرب أيضًا في شر الأقارب ( متى ١٠ : ٣٦ ) : اعداء الإنسان أهل بيتهِ (راجع نبوة ميخا ٧ : ٦). وهو شبه مثل العرب المروي لأكثم بن صيفي : « الأقارب عقارب »

وقال العرب في الشهرة ( م ١ : ٣٤٣ ) : « أشهر من علَم » و « وأشهر من نارٍ على علَم » وعلى ظننا انهُ مأخوذ من قول الرب ( متى ٥ : ١٤ ـ ١٥ ) : « لا يمكن أن تخفى مدينة مبنية على جبل ولا يوقد سراج ويوضع تحت مكيال ولكن على المنارة لينير على كل من في البيت » ( راجع أيضًا نبوة ميخا ٤ : ١ )

وكذلك في قول العرب ( م ١ : ٣٣ ) : « ان أردتَ المحاجزة فقبل المناجزة »

وفي قولهم ( م ٢ : ٢٣٧ ) : « من سئم الحرب اقتوى للسِّلْم » تنويهٌ إلى قول الرب في لوقا ( ١٤ : ٣١ ـ ٣٣ ) : « أيُّ ملك يخرج ليحارب ملكًا آخر ولا يجلس أولاً ويشاور نفسهُ هل يستطيع أن يلاقي بعشرة آلاف من يأتي إليهِ بعشرين ألفًا والاَّ فيرسل سفارةً وهو بعيد ويلتمس ما هو من أمر الصلح »

ومن أمثالهم في التقريع ( م ١ : ٢٣ ) : « انهُ لصِلٌّ أَصلال » وقد سبق يوحنا المعمدان ( لوقا ٣ : ٧ ) فقرَّع بني إسرائيل فدعاهم « بأولاد الأفاعي »

وقد روى العرب بعض الأمثال التي ضربها السيد المسيح دون الإشارة إلى أصلها. فمن ذلك مثل ربِّ البيت الذي شارط العمَلة على دينار واعطاهم أُجرتهم على اختلاف ساعات شغلهم ( متى ف ٢٠ ) فدونك هذا المثل كما رواه البخاري في صحيحهِ في كتاب الاجازة ونسبهُ إلى محمد ( طبعة ليدن ٢ : ٥٠ ) :

« حدَّثنا اسمعيل بن أبي اويس ... عن عمر بن الخطَّاب انَّ رسول الله صلعم قال : انَّما مَثلكم ومثل اليهود والنصارى كَرجل استعمل عمالاً فقال : من يعمل لي الى نصف نهار على قيراط قيراط ؟ فعملت اليهود على قيراط قيراط ثمَّ عملت النصارى على قيراط قيراط ثم أنتم الذين تعملون من صلاة العصر إلى مغارب الشمس على قيراطَيْن قيراطَيْن فغضبت اليهود والنصارى وقالوا : نحن أكثر عَمَلاً واقلّ عطاءً. قال : هل ظلمتكم من حقكم شيئًا. قالوا : لا. قال فذلك فَضْلي أُوتيهِ من اشاء »

وكذلك أبو الحسن عليّ بن هذيل ( ص ٨٨ ـ ٨٩ ) روى مثل السيِّد المسيح للزراع الذي وقع زرعهُ في الطريق وبين الأشواك وعلى الصخور وفي الأرض الجيِّدة ( لوقا ف ٨ ) ونسبَهُ إلى بعض الحكماء قال :

وقد ضرب بعضُ الحكماء مثل الحكمة والحكيم الذي يُلقيها إلى القلوب قال : انَّ الباذر خرج بِبَذْرهِ الطيّب ليبذرهُ فنثرهُ فوقع بعضهُ في أرضٍ محجرة بل في جَنَبات الطريق فلم يلبث ان اختطفهُ الطير فذهب بهِ. ووقع بعضهُ في أرضٍ مُحجرة الاَّ انَّ عليها ندًى وطينًا فرسخ البذر في ذلك الندى والطين ونبت شيئًا حتى إذا وصلت عروقُهُ إلى الحجر لم يجد مساغًا ينفذ فيهِ فتلف وفسد ويبس. ووقع بعضهُ في أرضٍ رخوة الاَّ ان فيها شوكًا نابتًا فنبت حتى إذا كان عند الإثمار خنقَهُ الشوك فلم يأتِ بثمَره. ووقع بعضهُ في أرضٍ طيّبة نقيَّة ليست على ظهر طريق ولا على حجر ولا فيها شوك فنما وطاب وزكا ونبت واثمر فجاءَت الحبَّة بأَضعافٍ مضاعفة. ثمَّ فسرهُ فقال : فالباذر هو الحكيم الزارع الحكمة في القلوب وبذرُهُ الطيّب هو حكمتهُ وموعظتُهُ الحسنة التي يلقيها إلى القلوب وهي في تلقاء ذلك منقسمة إلى الأقسام الأربعة المذكورة فمنها القاسي الذي إذا سمع الحكمة لم يعقد عليها لقساوتهِ فلم تلبث فيهِ. ومنها قلبٌ

ظاهرُهُ رقتَة وباطنُهُ قساوة فهو في أوَّل سماع الحكمة يرقّ لها ويلذّ بسماعها ويحنّ إلى ذلك بتلك الرقَّة الظاهرة على قلبهِ ولا يعقد عليها بعزم لقساوتهِ. ومنها قلب يسمع الحكمة ويحبُّها ويحبُّ العمل بها الاَّ انهُ قلبٌ قد امتُحن بلُصوقِ الشهوات بهِ حتى صارت لهُ طباعًا فإذا عزم على العمل بما سمع اعترضت لهُ تلك الشهوات فمنعَتْهُ من إقامة وظائفها وأفسدت عليهِ ما سمع فاختلط عليهِ امرهُ ولم يتمّ لهُ مرادُهُ. ومنها القلب النقي الصافي العالم بفضل الحكمة المؤثر لها الذي لا همَّة لهُ في غيرها ولا شغل لهُ الاَّ بها ولم تعلق بهِ شهوة تناقضها ولا داء يقطع عنها فهذا القلب الذي تنمي فيهِ الحكمة إيمانًا وفهمًا وحفظًا وعلمًا وقولاً وعملاً وتبلغ بهِ أفضل العواقب وأعلى المراتب ))

فهذه كله من الأناجيل يضاف إليها بعض أمثال من بقيَّة أسفار العهد الجديد كقولهم ( م ١ : ١٢٠ ): (( اتركْ الشرّ يتركك )) وقولهم ( م ٢ : ١١٩ ): (( ليس أخو الشرّ من توقتَّاه )) فمثلهُ قول القديس يعقوب في رسالتهِ ( ٤ : ٧ ) : (( قاوموا ابليس فيهرب منكم )) وكان ابن سيراخ قال قبلاً ( ٧ : ١ ) : (( لا تعمل الشرّ فلا يلحقك الشرّ ))

ويقول العرب ( م ٢ : ١٩٣ ) : (( كما تزرع تحصد )) فهو كما قال بولس في رسالتهِ إلى أهل غلاطية ( ٦ : ٨ ) : (( الإنسان انما يحصد ما يزرع )) وفي أمثال سليمان (٢٢ : ٨) (( مَنْ زرع الظلم حصد السوء ))

وجاءَ في أمثال علي ( ص ٨ ) : (( جلَّ من لا يموت )) وقال الرسول بولس في رسالتهِ الأولى إلى تيموناوس : (( لله وحده الخلود ... لهُ الكرامة والعزَّة المؤبدة ))

ويضرب العرب المثل بالسحابة الفارغة من المطر المخيِّبة لامال الزارع فقالوا (م ٢: ٢٠٢) : (( ما هو الاَّ سحابة ناصحة )) وقالوا ( م ١ : ٢٦٧ ) : (( أرى خالاً ولا أرى مطرًا )) وكان الرسول يهوذا سبق ووصف المنافقين بقولهِ ( ١ : ١٢ ) : (( هؤَلاء سحبٌ بلا ماء تحملها الرياح ))

ولعلّ مثلهم ( م ٢ : ١٩٧ ) : (( ما انت بخَلّ ولا خمر )) لهُ علاقة بقول صاحب الرؤيا ( ٣ : ١٦ ) : (( انك لستَ باردًا ولا حارًّا ... فقد أوشكتُ ان اتقيأك من فمي ))

# الجزءُ الثّاني مَع الفَهارسْ

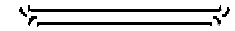

**الفصل السادس**

في ما ورد في الأسفار المقدَّسة من حكم العرب والحديث

كنَّا انتهينا في فصلنا السابق إلى ذكر الأمثال التي أخذها العرب في الجاهليَّة أو أوائل الإسلام عن الأسفار المقدَّسة من العهدين القديم والحديث. ويلحق بهذا الباب باب حكم العرب مع الحديث المرويّ عن نبي الإسلام أفردنا لذلك هذا الفصل بحيث يظهر من المقابلة ما كان للنصرانيَّة من النفوذ بين العرب في أواخر أيَّام الجاهليَّة وظهور الإسلام

## ١ الحكم

جاء في ديوان سلامة بن جندل ( ص ١٩ ) :

عجلتم علينا حجَّتينِ عليكمُ ومهما يشَا الرحمٰنُ يَعْقِد ويُطْلِقِ
هو الكاسرُ العظمِ الأمينُ وما من الأمر يَجْمَعْ بينَهُ ويفرِّقِ
يشا

ومثلهُ لسُوَيْد بن أبي كاهل ( شعراء النصرانيَّة ٤٣١ ) :

انَّما يرفعُ اللهُ ومن شاءَ وَضَعْ

فهو من قول الله عزَّ وجلّ ( ١ ملوك ٢ : ٦ ـ ٧ ) : « الربُّ يميت ويحيي يُحْدر إلى الجحيم ويُصْعد الربُّ يُفْقر ويغني يَحُطّ ويرفع »

وجاءَ في سفر الأمثال ( ١٣ : ٢٠ ) : « مُساير الحكماء يصير حكيمًا ومؤانس الجهَّال يصير شرّيرًا » . يشبهُ قول طرفة :

عن المرء لا تسأل وسَلْ عن قرينهِ فكلُّ قرينٍ بالمقارِنِ يقتدي

وقال عبد القيس بن خُفاف ( المفضَّليات ٧٥٠ ) :

اللهَ فاتَّقِيَنْ وأوفِ بنذرهِ وإذا حلفتَ مماريًا فتحلَّلِ

اقتبسه من سفر الجامعة ( ١٢ : ١٣ ) : « اتَّق الله واحفظ وصاياه » ومن المزامير (٤٩ : ١٤) : « أَوْفِ العليَّ نذورك » . ومن سفر الخروج ( ٢٠ : ٧ ) : « لا تحلف باسم الرب الهك باطلاً فان الربّ لا يزكّي من يحلف باسمهِ باطلاً »

وورد في شعر المرقّش الأكبر ( شعراء النصرانيَّة ص ٢٨٦ ) :

وكذاك لا خيرٌ ولا شرٌّ على أحد بدائِمْ
قد خطّ ذاك في الزَّبو رِ الأوَّليَّات القدائمْ

يشير إلى المزمور المئَة والواحد حيث يقول داود للربّ : « انَّ الأرض والسماوات تزول وانت تبقى وكلُّها تبلى كالثوب. وانت انت وسنوك لن تفنى » . ومثل هذا قول أميَّة بن أبي الصلت ( شعراء النصرانيَّة ٢٢٨ ) :

ونفنى ولا يبقى سوى الواحد الذي يُميت ويحيي دائبًا ليس يهمُدُ

وممَّا اقتبسهُ لبيد من سفر الجامعة قولهُ :

أَلاَ كلُّ شيء ما خلا اللهَ باطلُوكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلُ

ومن مقتبسات لبيد من الأسفار المقدَّسة ( دانيال ٤ : ٣٢ وخروج ٣٣ : ١٣ ) قولهُ :

انَّ تقوى ربّنا خيرُ نَفلْ وبإِذْنِ الله رَيْثى وعَجَلْ
احمدُ الله ولا نِدَّ لهُ بيدَيْهِ الخيرُ ما شاء فعَلْ
مَن هداهُ سُبل الخير اهتدى ناعِمَ البالِ ومن شاء أضَلْ

وقال أُفْنون ( شعراء النصرانيَّة ١٩٣ ) :

لعمرك ما يدري امروءٌ كيف يتَّقي إذا هو لم يجعل لهُ اللهَ واقيًا

وقال الآخر :

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فأوَّل ما يجني عليهِ اجتهادُهُ

وقال عليّ في المعنى ( ص ٤ ) : توكَّل على الله يَكْفِك. وهذا كثير في الأسفار المقدَّسة. قال في المزامير ( ٥٤ : ٢٣ ) : « أَلقِ على الربّ همَّك وهو يَعُولك » . وقال (١٢٦ : ١) : « وان لم يبنِ الربُّ البيت فباطلاً يتعب البنَّاؤون » . وقال بطرس في رسالتهِ الأولى ( ٥ : ٧ ) : « أَلقوا عليهِ همَّكم فهو يعتني بكم »

وفي ديوان حاتم الطائي قولهُ ( شعراء النصرانيَّة ص ١٢١ ) :

كُلُوا الآن من رِزْقِ الإِله وأَيْسِرُوا فانَّ على الرحمانِ رزقكمُ غدا

هو كقول المخلّص في إنجيل متَّى ( ٦ : ٣٤ ) : « لا تهتمُّوا بشأن الغد فالغد يهتمُّ بشأنهِ »

وقد اقتبس اميَّة بن أبي الصلت تسابيحهُ من تسبحة الثلثة الفتية ( دانيال ف ٣ ) فقال (شعراء النصرانيَّة ٢٢٧) :

تسبّحهُ الطيرُ الجوانحُ في الخفى وإذ هي في جوِّ السماء تُصعّدُ
ومن خوف ربّي سبَّح الرعد فوقنا وسبَّحهُ الاحجار والوحش أَبَدُ
وسبَّحهُ النيرانُ والبحرُ زاخرًا وما طمَّ من شيء وما هو مُقْلِدُ

واستمدَّ من سفر حزقيال ( ف ١٠ ) وصف الملئكة فقال :

ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيَّةٌ منهم ركوعٌ وسُجَّدُ
ومنهمٌ مُلِفٌّ في الجناحَيْنِ رأسَهُ يكادُ لذِكْرى ربِّهِ يتفصَّدُ

واقتبس الآخر قول اشعيا ( ٤٠ : ١٨ ) : « بمن تشبّهون الله وايّ شيء تعادلون بهِ » فقال :

وليس كمثل الله شيء ولا لهُ شبيهٌ تعالى ربُّنا أن يُحَدَّدا

وشبَّه داود في المزامير ( ٣٢ : ١٤ ) واشعيا في سفر نبوَّتهِ ( ٤٠ : ٢٤ ) زعماء الأرض بعصافة يتلاعب بها الريح فأخذ هذا التشبيه الحريث بن عنَّاب (الأغاني ١٤ : ١٠٢) فقال :

كأَنَّها ريشةٌ في أرضِ بلقعةٍ من حيثما وجَّهَتْها الريحُ تنصرفُ

وجاء في الأغاني ( ٢ : ٥٠ ) ان كعب الاحبار سمع رجلاً ينشد بيت الحطيئَة :

مَن يفعل الخير لم يعدم جوازِيهُ لا يذهبُ العرفُ بين اللهِ والناسِ

فقال : والذي نفسي بين يديهِ انَّ هذا البيت لمكتوب في التوراة. قال العمري والذي صحَّ عندنا في التوراة : (( لا يذهب العرف بين الله والعباد )) . والشطر الأوَّل ورد في رسالة القديس بولس إلى أهل افسس (٦ : ٨) : (( مهما عمل كلّ واحد من الخير فسينالُهُ من الربّ ))

واقتبس الحطيئَة أيضًا من الكتاب المقدَّس قولهُ :

ولستُ أرى السعادة جَمْعَ مالٍ ولكنَّ التقيَّ هو السَعيدُ
وتقوى الله خيرُ الزادِ ذخرًا وعند الله للأتقَى مزيدُ

ومثلهُ لامرئ القيس :

واللهُ أَنجَعُ ما طلبتَ بهِ والبرُّ خيرُ حقيبَةِ الرَّحْلِ

فهو في المزامير ( مز ١١١ : ١ ). وقال أيضًا بولس في رسالتهِ الأولى إلى تيموتاوس ( ٤ : ٧ ـ ٨ ) : (( روّض نفسك على التقوى فانَّ التقوى تنفع في كلّ شيء ))

وقد ذكر الربّ في إنجيل لوقا ( ٤ : ٢٢ ) المثل : أَيها الطبيب اشفِ نفسك )) وحذَّر عن المرائي الذي يرى القذى في عين أخيهِ ويغفل عن الخشبة التي في عينهِ ( متَّى ٧ : ٢ ـ ٤ ) فاخذهُ ابن معاوية الجعفريّ فقال :

ولا تقربنَّ الصَّنيعَ الذي تلومُ أخاك على مثلهِ

وقال الآخر ( الأغاني ٢٠ : ٥٧ ) :

وعاملٍ بالفجور يأمرُ بالبرّ م كهادٍ يخوضُ في الظَّلَم
أو طبيبٍ قد شفَّهُ سقَمٌ وهو م يداوي من ذلك السقم
يا واعظَ الناسِ غير متَّعظٍ نفسك طهّرْ أو لا فلا تَلُم

ومثلهُ لعليّ : من أَبصر عيب نفسهِ اشتغل عن عيب غيرهِ

وقد اقتبس يحيى بن زياد قول سليمان في أمثالهِ ( ١٠ : ١٢ ) : (( البغض يثير النزاع والحبّ يستر جميع المعاصي )) فقال :

وعين الرضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ كما انَّ عين السُّخط تبدي المساويا

يقول العرب ( الميداني ١ : ٢٩٥ ) : ربُما كان السكوت جوابًا. ومثلهُ قول الشاعر :

إذا نطقَ السفيهُ فلا تُجِبْه فخيرٌ من إجابتهِ السكوتُ

وهذا وقد ورد في أمثال سليمان الحكيم ( ٢٦ : ٤ ) : « لا تجاوب الجاهل بحسب سَفَهِهِ لئلاَّ تكون أنت نظيرهُ » . وقال (٢٩ : ٩): « الحكيم الذي يخاصم سَفيهًا لا يجد راحةً »

وقال الربّ ( في متى ١٠ : ٢٨ ) : « ليس خفيّ الاَّ سيُظهَر ولا مكتوم الاَّ سيُعلَن » . قال زهير بمعناهُ :

ومهما تكُنْ عند امرئ من خليقةٍ ولو خالَها تخفى على الناس تُعلَمِ

ومن حكم العرب : الصدقُ منجاة والكذبُ مهواة. ومثلهُ في سفر ابن سيراخ ( ٢٠ : ٢٦ ) : « الكذب عارٌ قبيح في الإنسان » . وقال ( ٢٠ : ٢٨ ) : « شأن الإنسانِ الكذوب الهوان وخزيُهُ معهُ على الدوام »

من أقوال العرب الشائعة : « العاقل لسانهُ في قلبهِ » وروي بين حكم عليّ بن أبي طالب ( ص ٩٨ ): قلب الأحمق في فيهِ ولسان العاقل في قلبهِ. قالهُ ابن سيراخ (٢١ : ٢٩): « قلوب الحمقى في أفواهم وأفواهُ الحكماء في قلوبهم » . وقال في امثال سليمان (١٦ : ٢٣): « قلب الحكيم يفقّهُ فمهُ ويزيد شفَتيْهِ فائدةً »

وروي أيضًا لعليّ قولهُ ( ص ٣٢ ) : لين الكلام قيد القلوب. ورد مثلهُ في ابن سيراخ ( ٦ : ٥ ) « الفم العذب يكثر الأصدقاء واللسان اللطيف يكثر المؤانسات »

وبين حكم عليّ أيضًا ( ص ٧٢ ) : ذكر الآخرة دواءٌ. وقال ابن سيراخ (٧ : ٤٠) : « في جميع أعمالك اذكر اواخرك فلن تخطأ إلى الأبد »

ومن حكم العرب ( ٢ : ٦٧ ) : كلام كالعَسَل وفعْل كالأَسَل. كأنهُ تعريب آية الزبور ( ٦١ : ٥ ): « يباركون بأفواههم وفي باطنهم يلعنون » . ولابن سيراخ (١٢ : ١٥): « العدوّ يظهر حلاوة من شفتيهِ وفي قلبهِ يأتمرُ أن يُسقطك في حفرة »

ومما رواهُ الميداني للعرب ( ٢ : ١٧٩ ) : ما على الأرض شيء أحقّ بطول سجن من لسان. قال القديس يعقوب في رسالتهِ ( ٣ : ٨ ) : « لا يستطيع أحد من الناس أن يقمع اللسان فهو شرٌّ لا يُضبط »

يقول العرب : ان شئتَ أن تُطاع فسَلْ ما يُستطاع. ومثلهُ في أمثال الميداني ( ٢ : ١٩٩ ) : المرءُ توَّاق إلى ما لم ينَلْ. وقد سبق ابن سيراخ فقال ( ٣ : ٢٢ ) : « لا تطلب ما يعييكَ نَيْلُهُ ولا تبحث عمَّا يتجاوز قدرتك »

وورد بين الحكم المنسوبة إلى عليّ ( ص ٦ ) : ثبات الملك بالعدل. وفي أمثال سليمان ( ١٤ : ٣٤ ) « العدل يُعلي الأُمَّة » :

وروي لهُ ( ص ١٠٨ ) : من أضاع نفسَهُ قتلها ومن عصى نفسَهُ وصلها. وهو منقول عن كلام الرب ( متى ١٦ : ٢٥ ) : « من أراد أن يخلّص نفسَهُ يُهلكها ومن أهلكَ نفسَهُ من أجلي يخلّصها »

وروي أيضًا بين حكم عليّ قولهُ ( ص ٧٠ ) : درهم الفقير أزكى عند الله من دينار الفقير. وهو كمثل قول الربّ عن فلس الأرملة ( مرقس ١٢ : ٤٣ ) : « انَّ هذه الأرملة الفقيرة أَلْقت أكثر من كلّ الذين القوا في الخزانة »

ومنها ( ص ٣٢ ) : كلام الله دواء القلوب : وقد سبق إليه من المزامير حيث قال (مز ١٨ : ٨) : « شريعة الربّ كاملة تردّ النفوس. أمر الرب مستقيم يفرّح القلب »

ومنها أيضًا ( ص ١٤ ). ذليل الخلق عزيز عند الله. ورد في رسائل بولس ( ١ كر ١ : ٢٥ ) : « مستجهَل الله أحكم من الناس ومستضعف الله أقوى من الناس »

## ٢ الحديث والتوراة

رأيت في الفصل السابق كم للعرب من حكم اقتبسوا معانيها في عهد الجاهلية وأوائل الإسلام من الأسفار المقدَّسة. على أنَّنا لم نرو منها إلاَّ النزر القليل لِما يستدعي جمعُها في الكتب القديمة من الزمن الطويل ولا شكَّ انَّ من ينتبه إلى ذلك ويحسن معرفة الكتب المقدَّسة لاسيَّما الأسفار الحكميَّة يجد مقتبسات عديدة غيرها ولنا على ذلك شاهد آخر في الأحاديث النبويَّة التي رواها أقدم المحدّثين عن نبيّ الإسلام ننقل بعض ما وقفنا عليهِ منها فيظهر للقرَّاء الكرام كم كانت شائعة في ذلك الوقت التعاليم النصرانيَّة. وفيهِ برهان جليّ على كون التوراة وأسفار العهدين القديم والجديد كانت منذ زمن الجاهليَّة وأوَّل الإسلام معرَّبة وان لم نعرف ماذا جرى لتلك التعريبات القديمة ( راجع في المشرق ٤ : ٩٩ ـ ١٠٨ ) مقالتنا المعنونة « نسخ عربيَّة قديمة في الشرق من الإنجيل الطاهر » . امَّا ما نرويه هنا من الحديث فقد وجدناهُ في مجاميع المحدّثين الإثبات كصحيح الإمام البخاري ( + ٢٥٦ هـ = ٨٦٩ م ) وصحيح مسلم بن الحجَّاج ( + ٢٠١ هـ = ٨٧١ م ) وفي

مجاميع أبي عبد الرحمان النسائي ( + ٣٠٣ هـ = ٩١٥ ) ومحمَّد بن ماجة القزويني ( + ٢٧٣ هـ = ٨٨٧ م ) وابن عيسى الترمذيّ ( + ٢٧٩ هـ = ٨٩٢ م ) وقد وفَّر علينا السيوطي في كتاب كنوز الحقائق وفي الجامع الصغير ( جس ) وشرحه للمناوي ( من ) ذكر كلّ محدِّث بفردهِ وأشار إليهم بحروف اصطلح عليها بعد كلّ حديث البخاري ( خ ) مسلم ( م ) الترمذي ( ت ) النسائي ( ن ) ابن ماجه ( ه ). ومن هذه الكتب نسخ مخطوطة في مكتبتنا الشرقية. ثم اننا سنذكر كلّ حديث كما رواهُ أصحاب الحديث ونرسم بازائهِ ما وافقهُ من آيات الكتب الكريمة مباشرةً بالعهد العتيق ثم الكتب التاريخيَّة ثمَّ الحكميَّة ثم النبوَّات ومن بعدها العهد الجديد أي الإنجيل والرسائل ورؤيا مار يوحنا

| سفر التكوين ( تك ) | الحديث |
|---|---|
| خلق الله الإنسان على صورتهِ. على صورة الله خلقهُ ( تك ١ : ٢٧ ) | خلق الله آدم على صورتهِ ( جس ٢٠٤ من نسختنا الخطّيَّة ) = لا تقبّحوا الوجه فانَّ الله خلقهُ على صورة الرحمان ( من ١٩٣ ) |
| انَّ الله جبل الإنسان ترابًا من الأرض (تك ٢ : ٧) | خلق الله آدم من تُراب ( جس ٧٢ ) |
| غرس الربّ الإله جنَّةً في عدَن ( تك ٢ : ٨ ) | انَّ الله بنى جنَّات عدَن بيدهِ (جس ٣٢ من ٣١) |
| رأَى الله انَّ جميع ما صنعهُ هو حسن جدًّا ( تك ١ : ٣١ ) | كل خَلْق الله حسَن ( جس ١١٣ ) |
| ولَدَ نوح سامًا وحامًا ويافث ( تك ٥ : ٣٢ ) | وُلْد نوح ثلاثة سام وحام ويافث ( جس ١٧٨ ) |
| رُوي في الفصل ١٨ من سفر التكوين ذكر اضافة ابرهيم للربّ المتجليّ لهُ على صورة ثلاثة رجال | كان أول من اضاف الضيف ابرهيم (جس ١١٢) |

| سفر الخروج ( خر ) | الحديث |
|---|---|
| أكرمْ اباك وامَّك لكي يطول عمرك في الأرض (خر ٢٠ : ١٠) = وفي تثنية الاشتراع (٥ : ١٦) : أكرمْ أباك وامَّك لكي | ان الله تعالى يزيد في عمر الرجل يبرُّ والديهِ (جس ١٠٠) = مَنْ برَّ والديهِ طوبى |

| | |
|---|---|
| تطول أيَّامك = وفي سفر الأمثال ( ٢٣ : ٢٢ ) اسمع لأبيك الذي ولدكَ | لهُ زاد الله في عمره ( جس ١٥٠ ) = أطِع أبَاك (جس ١٨) |
| مَن ضرب أباهُ أو أمَّه فليُقتَلْ قَتلاً ( خر ٢١ : ١٥ ) | مَنْ ضرب والدَيهِ فاقتلوهُ ( جس ١٥٤ ) |

| سفر الاحبار ( اح ) | الحديث |
|---|---|
| لا تبِتْ أجْرَةَ الأجير عندك إلى الغد ( ا ح ١٩ : ١٣ ). ومثله في طوبيًا ( ٤ : ١٥ ) : أُجْرةُ أجيرك لا تَبْقَ عندك أبدًا. كلّ من خدمك بشيء فأوْفهِ اجرتَهُ | أعطوا الأجير أجرتهُ قبل أن يجفَّ عَرَقهُ ( جس ٦١ من ١٩ ) = أَوْفُوا الأجير أَجْرَه ( من ٥٠ ) |
| إن غَشِيَ رجلٌ بهيمةً فليُقْتل قتلاً. والبهيمة أيضًا فاقتلوها ( اح ٢٠ : ١٥ ) | من أَتى بهيمة فاقتلوهُ واقتلوها معهُ ( جس ١٤٦ ) |

| سفر تثنية الاشتراع ( تث ) | الحديث |
|---|---|
| انَّ الربّ هو الإله ليس إله سواهُ ( تث ٤ : ٣٥ و٣٩ ) = ومثلهُ في الملوك الثالث ( ٨ : ٦١ ) الخ | لا إله إلاّ الله هي الموجبة ( جس ١٨٠ ) = السيّد هو الله ( من ٨٧ ) |
| ملعون من يُضِلُّ أعمى عن الطريق ( تث ٢٧ : ١٨ ) | لعن الله من أَكْمهَ الأعمى عن السَّبيل (جس ١٣٠) |
| ملعون المستخفّ بأبيهِ وامّهِ ( تث ٢٧ : ١٦ ) | ملعون مَنْ سبَّ اباهُ. ملعون من سب أمَّهُ (من ٤٠٤) |

| سفر يشوع ( يش ) | الحديث |
|---|---|
| قال يشوع : يا شمس قِفِي ... وقفت الشمس إلى أن انتقم الشعب من أعدائهم ( يش ١٠ : ١٢ ـ ١٣) | ما حُبست الشمسُ على البشر قطّ الاّ على يشوع بن نون ( من ٣٨٩ ) |

| سفر الملوك الأوَّل ( مل ) | الحديث |
|---|---|
| انَّ الإنسان إنّما ينظر إلى العينين وامَّا الربّ فانّهُ ينظر إلى القلب ( ١ مل ١٦ : ٧ ) | انَّ الله لا ينظر إلى صوركم واموالكم انّما ينظر إلى قلوبكم واعمالكم ( جس ٩٧ ) |

| سفر اخبار الأيَّام ( اخ ) | الحديث |
| --- | --- |
| انت وحدك تعرف قلوب بني البشر ( ٢ اخ ٦ : ٣٠ ) | علم الباطن سرّ من أسرارهِ عزَّ وجلّ وحكم من أحكامهِ ( من ٢٧٩ ) |
| انك تزكّي البارّ وتُعطيهِ بحسب برّهِ ( ٢ اخ ٦ : ٢٣ ) | انَّ الله لا يضيع أَجرْ المحسنين ( خ ٣ : ١٩٠ ) |

| سفر طوبيَّا ( طب ) | الحديث |
| --- | --- |
| الصَّدقة تنجّي من كل خطيئة ( طب ٤ : ١١ ). الصدقة تمحو الخطايا ( طب ١٢ : ٩ ) | الزكاة طَهور من الذَنوب ( جس ٨٣ ) |
| الذين يعملون المَعْصية والاثم هم أعداءٌ لأنفسهم (طب ١٢ : ١٠ ) | انَّما المجنون المقيم على معصية الله ( مز ٤٥ ) |

| سفر أيُّوب | الحديث |
| --- | --- |
| الذين يحرثون الاثم ويزرعون المشقَّة هم يحصدونها ( أيُّوب ٤ : ٨ ). ومثلهُ في سفر الأمثال ( ٢٢ : ٨ ) : من زرع الظلم يَحْصُد السوء. وفي ارميا ( ١٢ : ١٣ ) : زرعوا حنطةً فحصدوا شوكًا | قال داود يا زارع السيئات انت تحصد شوكها وحسَكها ( جس ١٠٧ ) ( قد نُسب هذا لداود وليس في مزامير داود آية كهذه ) |
| المنافق لا يقوم أمام الله ( أيُّوب ١٣ : ١٦ ) | ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهًا ( في البخاري ومسلم ) |

| سفر المزامير ( مز ) | الحديث |
| --- | --- |
| جانب الشرّ واصنع الخير ( مز ٣٣ : ١٥ و٣٦ : ٢٧ ) | إيتِ المعروف واجتنب المُنكر ( الجامع الصغير ) |
| علّمني يا ربّ طريقك ( مز ٨٥ : ١١ ) = أُدلُّني يا ربّ على طريق رسومك ... أَسْلكْني في سبيل وصاياك ( مز ١١٨ : ٣٣ ـ ٣٥ ) = أَسلكهم في سبيل مُستقيم ( مز ١٠٦ : ٧ ) | ربّ اغفر وارحم وأَهْدني للسبيل القويم ( من ٨ ) ومثلهُ في سورة الفاتحة : إِهْدنا إلى السراط المستقيم |

| | |
|---|---|
| تلذَذ بالربّ فيُعطيك سُؤُل قلبك ( مز ٣٦ : ٤ ) | اذكر الله فانّهُ عونٌ لك على ما تطلب ( جس ٤٨ من ١٤ ) |
| إن كُنت للآثام راصدًا يا ربّ فمَنْ يَقِفْ ( مز ١٢٩ : ٣ ) | مَن نُوقِش المحاسبةَ هلك ( جس ١٦١ ) |
| انَّ الف سنة في عينيك كيوم أمس الغابر ( مز ٨٩ : ٤ ). وفي رسالة بطرس الثانية ( ٣ : ٨ ) : انَّ يومًا واحدًا عند الربّ كألف سنة | انَّ يومًا عند ربّك كألف سنة ممَّا تعدُّون ( سورة الحجّ ٢٢ : ٤٦ ) |
| انَّ يومًا في ديارك خيرٌ لي من ألف ( مز ٨٣ : ١١ ) | رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من ألف يوم فيما سواهُ ( جس ٢٢٧ ) |
| رأس الحكمة مخافة الرب ( مز ١١٠ : ١٠ ) = وكذا في الأمثال ( ٩ : ١٠ ) وفي ابن سيراخ ( ١ : ١٦ ) | خشيةُ الله رأس كلّ حكمة ( جس ٢٠٣ ) = رأس الحكمة مخافة الله ( المسعودي ٤ : ١٦٨ ) = رأس الحكمة معرفة الله ( جس ٧٩ ) |
| الصدّيقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد (مز ٣٦ : ٢٩) | ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر انَّ الأرض يرثها عبَادي الصالحون ( سورة الأنبياء ١٠٥ ) |
| يا ربّ من يحلّ في مسكنك .. السالك بلا غيب وفاعل البرّ والمتكلّم بالحقّ في قلبهِ والذي لا يغتاب بلسانهِ ( مز ١٤ : ١ ـ ٣ ) | قد أفلح مَن أخلص قلبهُ الإيمان وجعل قلبَهُ سليمًا ولسانهُ صادقًا ونفسهُ مطمئنَّة ( جس ٣١١ ) |
| الربّ رؤوف كثير الرحمة لا على حسب خطايانا عاملنا ولا حسب آثامنا كافأنا (مز ١٠٢ : ٩ ـ ١٠) | عفو الله أكبر من ذنوبكم ( جس ٢٧٧ ) |
| أيَّام سنينا سبعون سنةً ومع القوَّة فثمانون سنة ورَغَدُها انَّما هو ضرَر ( مز ٨٩ : ١٠ ) | اعمار أمَّتي بين الستين والسبعين ( خ )<br>قال الشعبيّ : مكتوب في الزبور من بلغ السبعين اشتكى من غير علّة ( العقد الفريد ( ١ : ٣٢١ ) ومثلهُ قول التميميّ ( البيان للجاحظ ٢ : ١٠٨ ) : |

وانَّ امرءًا قد سار سبعين حجَّةً إلى منهلٍ من وردهِ لَقريبُ
إذا كانت السبعون سنّك لم يكن لدائك الأَّ أن تموتَ طبيبُ

| سفر الأمثال ( مث ) | الحديث |
|---|---|
| من يرحم الفقير يقرض الرب ( مث ١٩ : ١٧ ) | انَّ الصدقة تقع في يد الله ( جس ٣٧ ) |

| | |
|---|---|
| اذهب أيُّها الكسلان إلى النملة أنظر إلى طَرُقها وكن حكيمًا. تُعِدُّ في الصيف طعامها للشتاء (مث ٦ : ٨٠٦ ) | مثل المؤمن كمثل النملة تجمع في صيفها لشتائها (جس ١٤٣) |
| مُساير الحكماء يصير حكيمًا ومؤانس الجهَّال يصير شرّيرًا ( مث ١٣ : ٣٠ ) | المرءُ على دين خليلهِ فلينظر المرء من يُخالّ (مز ١٦٤) = ايَّاك وقرين السوء فانَّك بهِ تُعْرَف ( جس ١٥٢ ) |
| الذي يسودُ على روحه أَفضل ممَّن يأخذ المدن (مث ١٦ : ٣٢) | ليس الشديد بالصُّرَعة انَّما الشديد مَنْ يملك نفسَهُ (خ من) = أفضلُ الجهاد أن يجاهد الرجل نفسَهُ وهواهُ ( جس ٦٥ ) |
| الموت والحياة في حكم اللسان ( مث ١٨ : ٢١ ) | البلاء موكَّل بالمنطق ( جس ١٦٨ ) |
| الإنسان المُطيع يتكلَّم كلام المنتصر ( مث ٢١ : ٢٨ ) | من أطاع الله فاز ( من ١٤٨ ) |
| الاخ امنع من مدينة محصَّنة ( مث ١٨ : ١٩ ) | انَّ المرء كثير باخيهِ ( جس ١١٠ ) |
| ككلبٍ عائد على قيئهِ هكذا الجاهل المكرَّر سفهَهُ (مث ٢٦ : ١١) ومثلهُ في رسالة بطرس الثانية (٢ : ٢٢) | العائد في صدقتهِ كالكلب يعود إلى قيئهِ ( البخاري ٢ : ١٢٣ ) |
| من يجد المرأة الفاضلة. انَّ قيمتها فوق اللآلئ (مث ٣١ : ١٠) = من وجد زوجة صالحة وجد خيرًا ( مث ١٨ : ٢٢ ) | زوجة صالحة خيرُ ما كنز الناس ( جس ٣١٣ ) |

| سفر الجامعة ( جا ) | الحديث |
|---|---|
| انَّ البشر لا يعلمون احبًّا يستوجبون أم بغضًا ( جا ٩ : ١ ) | عجبتُ لطالب دنيا .. وهو لا يدرى أرُضي عنهُ أو سُخِطَ ( جس ٢٧٥ ) |
| انَّ الله سيُحْضِر كلّ عملٍ ليدين على كلّ خفيٍّ خيرًا كان او شرًّا ( جا ١٢ : ١٤ ) ومثلهُ في رسالة بولس الرسول على أهل أفسس ( ٦ : ٨ ) | من يعمل مثقالَ ذَرَّةٍ خيرًا يَرَهُ ومن يعمل مثقال ذرَّة شرًّا يَرَهُ ( خ ٣ : ١٩٩ ) |
| لكلّ امر أَوان ولكلّ غرضٍ تحت السماء وقت (جا ٣ : ١) | لكلّ شيء ميقاتهُ ( من ١٥٨ ). ومثلهُ للشاعر : |
| | وللأمور مواقيتٌ مقدَّرة وكلّ امرِ حدٌّ وميزانُ |
| وقال أيضًا : | فإذا الشيءُ اتى في وقتهِ زاد في العين جمالاً لجمال |

## سفر الحكمة ( حك )

| | الحديث |
|---|---|
| الربّ يفحص أعمالكم فأربابُ القوَّة بالقوَّة يُفحَصون وانَّ للأشدَّاء امتحانًا شديدًا ( حك ٦ : ٤ ـ ٧ ) | أشدُّ الناس عذابًا للناس في الدنيا أشدُّ الناس عذابًا عند الله يوم القيامة ( جس ٥٥ ) |
| نفوس الصدّيقين بيد الله لا يمسُّها عذاب وفي ظنّ الجهَّال انَّهم ماتوا .. امَّا هم ففي السلام ( حك ٣ : ١ ـ ٣ ) | في سورة آل عمران ( ٣ : ١٢٣ ) : لا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أَحياءً ... ولا هم يحزنون |
| محَص الله الصديقين كالذهب في البُودقة ... فهم في وقت افتقادهم يتلألأُون ( حك ٣ : ٦ ـ ٧ ) | مثَل المؤمن حين يصيبهُ البلاء كمثل الحديدة تُدخَل النار فيذهب النار فيذهب خبَثُها ويبقى طيبُها ( جس ١٣٥ ) |

## نشيد الأناشيد ( نش )

| | الحديث |
|---|---|
| انيّ نائمةٌ وقلبي مستيقظ ( نش ٥ : ٢ ) | تنام عيناي ولا ينام قلبي ( جس ١٧٥ ) = اننا معشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا ( جس ١٣٢ خ ٢ : ٤٤ ) |

## سفر يشوع بن سيراخ ( سخ )

| | الحديث |
|---|---|
| يا بُنيَّ اتَّخذ التأديب منذ شبابك ... تروَّ في أوامر الربّ فهو ينيلك ما تتمنَّاه ( سخ ٦ : ١٨ و ٣٢ ) | انَّ الله يحبُّ الشابّ الذي يفني شبابَهُ في طاعة الله ( جس ٩٨ ) |
| لا تسلِّم نفسك إلى المرأَة لئلاَّ تتسلَّط على قدرتك (سخ ٩ : ٢ ٩) | طاعة المرأة ندامة ( جس ٩٤ ) |
| لا تشمت بموت أحدٍ. اذكر انَّا بأجمعنا نموت (سخ ٨ : ٨) | لا تظهر الشماتة بأخيك فيرحمهُ الله ويبتليك ( جس ١٩١ ) |
| الماء يطفئ النار المُلتهبة والصدقة تكفّر الخطايا (سخ ٣ : ٣٣) = وفي لوقا ( ١١ : ٤١ ) : تصدَّقوا ممَّا في أيديكم فيظهر لكم كل شيء | الصدقة تُطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار (جس ٩٢) = تصدَّقوا فانَّ الصدقة فِكاكُكم من النار ( جس ٣٢ ) |

| | |
|---|---|
| في جميع أعمالك اذكُرْ أواخرك فلن تخطأ إلى الأبد ( سخ ٧ : ٤٠ ) | أكْثرْ ذكر الموت يُسلّك عمَّا سواه ( جس ٢١٣ ) = أكثروا ذكر الموت فانهُ يمحض الذنوب ويزهّد في الدنيا ( جس ٧١ ) |
| أوصاهم ( أي البشر ) كلّ واحدٍ في حقّ القريب (سخ ١٧ : ١٢) | كلُّكم راعٍ وكلّ راعٍ مسئول عن رعيَّتهِ ( من ١١٥ م ٦ : ٨ خ ١١٥ ) |
| كلّ رِجْسٍ مُبْغَض عند الرب ( سخ ١٥ : ١٣ ) | انَّ الله يُبْغض الفاحش البذيء ( من ٣٤ ) |
| الهدايا والرُّشَى تُعْمي أَعْين الحكماء وكلِجام في الفم تَحْجزُ توبيخاتهم ( سخ ٢٠ : ٣١ ) | الهديَّة تعوّر عين الحكيم = الهدايا للامراء غُلول = الهديةَ تذهب بالسمع والقلب والبصر (جس ١٧٦) |
| الإفراط من شرب الخمر خصومة ونزاع ومرارة للنفس ( سخ ٣١ : ٣٨ ) وفي رسالة القديس بولس إلى افسس ( ٥ : ١٤ ) : لا تسكروا من الخمر التي فيها الدعارة | اجتنبوا الخمر فانَّها مفتاح كلّ شرّ ( جس ١٤ ) = الخمر جماعُ الاثم ( جس ٧٥ ) |
| عجّل الزمان واذكر الأجل ( سخ ٣٦ : ١٠ ) | اغتنموا العمل وبادروا الأَجَل ( جس ٢٠ ) |
| الغُمَّة تأتي بالشيخوخة قبل الأوان (سخ ٢٦ : ٣) = كالعثّ في الثَّوب والسوس في الخشب هكذا الكآبة في قلب الرجل ( سخ ٢٥ : ٢٠ ) | الهمُّ نصفُ الهَرَم ( جس ١٧٦ ). وقال المتنبي في هذا المعنى :<br>والهمُّ يخترم الجسيمَ مخافةً<br>ويشيبُ ناصيةً الصبيّ فيهرمُ |

| سفر اشعيا ( شع ) | الحديث |
|---|---|
| إنطلقْ وقُلْ لهؤلاء الشعب اسمعوا سماعًا ولا تفهموا وانظروا نظرًا ولا تَعْرفوا ( شع ٦ : ٦ ) | يدعو الله المنافق فلا يسمع ينظر ولا يُبْصر ( من ٢٣٠ ) = وفي سورة الاعراف ( ٧ : ١٩٧ ) : وإن تدعوهم إلى الهُدى لا يَسْمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يُبْصرون |
| ان هذا الشعب يكرمني بشفتيهِ وامَّا قلبهُ فبعيد عني ( شع ٥٢ : ١٢ مت ١٥ : ٨ ) | ويل لمن يذكر الله بلسانهِ ويعصي الله في عملهِ ( جس ١٧٨ ) |
| أنا الربّ وهذا اسمي ولا أُعطي لآخر مجدي (شع ٤٢ : ٨) = ليس الربّ العزَّة وتمنطق بها (مز ٩٢ : ٢) | قال الله الكبْر ردائي والعظمة إزراري فمن نازعني واحدًا منهما قذفتهُ في النار ( جس ٣٠٦ ) |

## سفر ارميا ( ار )

ملعون الرجل الذي يتوكَّل على البشر وقلبهُ ينصرف عن الربّ ( ار ١٧ : ٥ )

الحديث

مَنْ سعى إلى الناس فهو لغير رُشدهِ (جس ١٥٥). ومثلهُ لعليّ بن أبي طالب ( ص ٢٢ ) : ضلّ سَعْي من رجا غير الله

## سفر حزقيال ( حز )

المنافق إذا تاب عن جميع خطاياه ... فانهُ يحيا حياةً ولا يموت ( حز ١٨ : ٢١ ) وفي سفر الحكمة ( ١١ : ٢٤ ) : انك تتغاضى عن خطايا الناس لكي يتوبوا

الحديث

التائب من الذنب كمن لا ذنب لهُ ( جس ١٧٧ ) وفي الإيجاز والإعجاز ( ص ٦ ) : من كلام النبي : التوبة تهدم الحَوْبة

## سفر دانيال ( دا )

يضيء العقلاء كضياءِ الجَلَد والذين هدوا إلى البرّ كثيرين كالكواكب إلى دهر الداهرين ( دا ١٢ : ٣ )

وفي دانيال تسبحة الثلاثة الفتية في اتون النار يدعون الخلائق إلى تسبحة خالقها

الحديث

انَّ مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يُهتدَى بها ( جس ١٢٧ )

ورد في الحديث وفي السور الصفّ ( ١٦١ : ١ ) والجمعة ( ١٦٢ : ٢ ) والتغابن ( ٦٤ : ١ ) والملك ( ٦٧ : ١ ) مثله معنًى ولفظًا

## سفر زكريَّا النبيّ ( زك )

ابتهجي جدًّا يا بنت صهيون واهتفي يا ابنت اورشليم هوذا ملككِ يأتيكِ مخلّصًا وديعًا راكبًا على اتان ( زك ١١ : ٩ )

الحديث

قال في لسان العرب ( ٥ : ٩٦ ) : في حديث عطاء : أَبْشِري أُورَى شَلَّم براكب الحمار ( قال يريد بيت الله المقدَّس )

## الانجيل الشريف

الانجيل الشريف (متّى : مت. لوقا : لو. مرقس : مر. يوحنَّا : يو)

الربُّ معكِ .. مباركةٌ انتِ بين النساء (لو ١ : ٢)

الحديث

كل بني آدم يمسُّهُ الشيطان يوم ولدتهُ أمُّهُ الاَّ مريم وابنها ( جس ٣١٩ ) = ما من بني آدم مولود الاَّ يمسهُ الشيطان غير مريم وابنها ( جس ٣٩٨ )

امتلأت اليصابات من روح القدس وارتكض الجنين في بطنها ( لو ١ : ٤١ )

خلق الله يحي بن زكريا في بطن امهِ مؤمنًا ( جس ٢٠٥ )

كان قد أُوحي إليهِ ( إلى سمعان الشيخ ) انهُ لا يرى الموت حتى يعاين مسيح الربّ ( لو ٢ : ٢٦ )

ان روح القدس نفثَ في رُوعي انَّ نفسًا لن تموت حتَّى تستكمل أَجَلها .. ( جس ١١٨ )

ليس امرٌ غير ممكن لدى الله ( لو ١ : ٣٧ ) = كلّ شيء عند الله مستطاع ( مر ١٠ : ٢٧ )

إذا أراد الله خَلْق شيء لم يمنعهُ شيء ( جس ٢٥)

كونوا كاملين كما أنَّ أباك،م السماوي كامل ( مت ٥ : ٤٨ )

انَّ الله تعالى مُحْسن فأَحْسن ( جس ٩٥ )

الذي يعمل ويعلّم فهذا يُدعى عظيمًا في ملكوت السماوات ( مت ٥ : ١٩ )

كلّ علم وبالٌ على صاحبهِ الاَّ ما عُمِل بهِ ( جس ١١٤ ) = تعلَّموا من العلم ما شئتم فوالله لا تـُؤْجَروا بجمع العلم حتَّى تعملوا بهِ ( جس ١٧٣ )

الويل لكم أيُّها الأغنياء ( لو ٦ : ٢٤ ) = طوبى للمساكين بالروح فانَّ لهم ملكوت السماوات (مت ٥ : ٢)

ويلٌ للأغنياء من الفقراء ( جس ٤٥٥ ) = نعم الشيء الفقر ( جس ١٦٦ ) = قمتُ على باب الجنَّة فإذا عامَّة من دخلها المساكين ( جس ٣١٤ ) = الفقر شَيْن عند الناس زين عند الله يوم القيامة (جس ٢٠٣)

أنتم نور العالم .. لا يوقد سراج ويوضع تحت المكيال لكن على المنارة .. فليضئ نوركم قدَّام الناس ( مت ٥ : ١٤ ـ ١٥ )

اتبعوا العلماء فانهم سُرُج الدنيا ومصابيح الآخرة ( جس ١٠ )

أنتم ملح الأرض فإذا فسد الملح فبماذا يُملَّح ( مت ٥ : ١٣ )

مثَل اصحابي كالمِلْح لا يُصلَح الطعام الاَّ بهِ (جس ٤٠٢ الايجاز والاعجاز للثعالبي ص ٦) = قـُرَيْش صلاح الناس ولا يُصلَح الناس الاَّ بهم كما انَّ الطعام لا يُصْلَح الاَّ بالملح ( جس ٣١٢ ). ومثلهُ للشاعر :
بالملح تُصْلح ما تخشى تغيُّرهُ
فكيف بالملح ان حلَّت بهِ الغِيَرُ

كونوا وُدعاء كالحمام ( مت ١٠ : ١٦ )

كونوا بُلْهًا كالحمام ( احياء علوم الدين للغزَّالي ) = دخلتُ الجنَّة فإذا أكثر اهلها البُلْه ( جس ٢١٧ )

لا تدينوا لئلاَّ تُدانوا فانكم بالدينونة التي بها تدينون تُدانون وبالكيل الذي بهِ تكيلون

مكتوب في الإنجيل كما تدين تُدان وبالكيل الذي تكيل تُكتال ( جس ٤٠٤ ) =

يُكال لكم ( مت ٧ : ١ ـ ٢ )

البرُّ لا يَبْلَى والذنبُ لا يُنْسى والديَّان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تُدان ( جس ١٦٦ )

طوبى للرُّحماء فانهم يُرْحَمون ( مت ٥ : ٧ ) = كونوا رُحماءً كما أنَّ أباكم هو رحيم ( لو ٦ : ٣٦ )

من يَرْحَم الناس يرحمهُ الله. ومن لا يرحم الناس لا يرحمهُ الله ( جس ١٦٢ ) = كونوا رحماء فانَّ الله رحيم يحبُّ كلّ رحيم ( من ١١٥ )

اغفروا يُغْفر لكم ( لو ٦ : ٣٧ ) = هكذا ابي السماوي يصنع بكم ان لم تغفروا من قلوبكم كلّ واحدٍ لاخيهِ ( مت ١٨ : ٣٥ )

اسمحوا يُسمح لكم ( جس ٥٥ ) ـ من لا يغفر لا يُغفَر لهُ. من لا يرحم مَنْ في الأرض لا يرحمهُ من في السماء ( جس ٤٣٦ )

قال يسوع : يا أبتِ اغفر لهم لأنهم لا يدرون ما يعملون ( لو ٢٣ : ٣٤ )

اللهمَّ اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ( من ٢٥ ) = ارحم يا ربّ امتي لأنَّهم لا يعلمون ما يصنعون (رواية احياء علوم الدين للغزالي)

لا يسقط عصفور على الأرض بدون ابيكم ... فلا تخافوا فإنكم افضل من عصافير كثيرة ( مت ١٠ : ٢٩ ـ ٣١ )

الله ارحم بعبادهِ من هذا العصفور بفرخهِ ( جس ٢٤ )

كلُّ ما تريدون أن يفعل الناس بكم فافعلوهُ أنتم بهم ( مت ٧ : ١٢ ؛ لو ٦ : ٣١ )؛ ومثلهُ في طوبيَّا ( ٤ : ١٦ ) : كلُّ ما تكرهُ ان يفعلهُ غيرك بك فايَّاك أن تفعلهُ أنت بغيرك

أَحبب للناس ما تحبُّهُ لنفسك ( جس ١٦ الأغاني ١٩ : ٥٥ ) = لا يؤمن أحدكم حتَّى يحبَّ لأخيهِ ما يحبُّهُ لنفسهِ ( من ١٨٦ ). ونظمهُ الشاعر فقال :
واصنع إلى الناس كمثل الذي
تختارُ ان يصنعهُ الناس بِكْ

انَّ ابن البشر لم يأتِ ليهلك نفوس الناس بل ليخلّصها ( لو ٩ : ٥٦ )

انَّما بُعثتُ رحمةً ولم أُبْعَثُ عذابًا ( جس ١٣٥ )

ما بالك تنظر القذى الذي في عين أخيك ولا تفطن للخشبة التي في عينك يا مرائي أَخرِج أَوّلاً الخشبة من عينك ( مت ٧ : ٣ لو ٦ : ٤٣ ) = أيُّها الطبيب اشفِ نفسك ( لو ٤ : ٢٣ )

إذا أردت أن تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوب نفسك ( جس ٢٦ ) = روى في الأغاني لسكينة بنت الحسين بن علي ( ١٤ : ١٧٠ ) : اني والله وإياك كالذي يرى الشعرة في عين صاحبهِ ولا يرى الخشبة في عينهِ = يُبصر أحدكم القذى في عين أخيهِ وينسى الجذع في عينهِ ( جس ٤٦٧ )

أنتم جميعًا أُخْوة ( مت ٢٣ : ٨ ). وفي رسالة بولس إلى أهل غلاطية ( ٣ : ٢٨ ) : ليس عبد ولا حرٌّ لأنَّكم جميعكم واحد في المسيح

المسلم أخو المسلم ( جس ٤٤٠ ) = العبيد اخوانكم فأَطعموهم ممَّا تأكلون ( خ ٣ : ١١٣ )

أَحبُّوا أَعداءَكم وأَحْسِنوا إلى من

صِلْ مَنْ قَطَعك وأَحْسن إلى مَن اساءَ

| | |
|---|---|
| يُبْغضكم ( م ٥ : ٤٤ ؛ ولو ٦ : ٢٧ ) = ان أحببتم من يحبكُّم فأيُّ أجرٌ لكم أليس العشَّارون يفعلون ذلك (مت ٥ : ٤٦) | اليك ( جس ٢٥٦ ) = الفَضْل في أن تَصِل مَنْ قطعك وتعفو عمَّن ظلمك = أفضلُ الفضل ان تَصِل مَن قطعك وتُعْطي من حرمك وتَصْفح عمَّن ظلمك ( جس ٦٦ و ٣٠٣ ) |
| أَعداءُ الإنسان أهلُ بيتهِ ( مت ١٠ : ٣٦ ) ومثلهُ في نبوّة ميخا ( ٧ : ٦ ) | اعدى عدوّك زوجتك وما ملكتْ يمينك (جس ٦٠) |
| كم مرَّة يَخْطأ إليَّ أخي فأَغفِرَ لهُ أَ إلى سبع مرَّات. قال لهُ يسوع ... بل إلى سبعين مرَّة سبع مرَّات (مت ١٨ : ٢١ ـ ٢٢) | أُعْفُ عن الخادم كلّ يوم سبعين مرَّةً ( من ١٩ ) = اني لأَتوب إلى الله في اليوم سبعين مرَّةً (من ٤٧) |
| ملكوت السماوات يُغْصَب والغاصبون يختطفونهُ (مت ١١ : ١٢) | حُفَّت الجنَّة بالمكاره ( الثعالبي المحاضرة والتمثيل ص ١٠ من نسختنا وفي الإيجاز والاعجاز لهُ ص ٦ ـ ٧ ؛ من ٦٩ ) = انَّ أبواب الجنَّة تحت أظلال السيوف ( خ ٣ : ١٩١ جس ١١٢ ) |
| من يُنكرني أمام الناس يُنْكَر أمام ملائكة الله ( لو ١٢ : ٩ ) وفي متَّى ( ١٠ : ٣٣ ) ... انكرهُ انا قدام أبي الذي في السماوات | إذا سُئِل أحدكم أَمؤْمن هو فلا يشكّ ( جس ٣٧ ) |
| لو كان لكم إيمان مثل حبَّة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هاهنا إلى هناك فينتقل ( مت ١٧ : ١٩ ) | لا يدخل النار من كان في قلبهِ حبَّة خردل من الإيمان ( رواهُ الغزَّالي في احياء علوم الدين ) = يدخل أهل الجنَّة الجنَّةَ وأهل النار النارَ ثمَّ يقول الله : أَخْرِجوا من كان في قلبهِ حبَّة خردل من الإيمان فيخرجون ( خ ١ : ١٠ ) |
| قال الرسل للربّ : زِدْنا إيمانًا ( لو ١٧ : ٥ ) | قُل : ربِّ زِدْني علمًا ( سورة طه ١١٣ ) |
| من أَحبَّ ابًا أو امًّا أكثر مني فلن يستحقَّتي ... ومن أهلك نفسهُ من أجلي يجدُها ( مت ١٠ : ٣٧ ـ ٣٩ ) | لا يؤمن أحدكم حتَّى أكون أحبَّ إليهِ من ولدهِ ووالدهِ والناس أجمعين ( خ ١ : ٩ ) = لا يؤمن أحدكم حتَّى أكون أحبَّ إليه من نفسهِ ( من ١٨٦. وفي إحياء علوم الدين للغزَّالي ) |
| طوبى لعيونكم لأَنها تنظر ولآذانكم لأَنها تسمع ... انَّ كثيرين من الأنبياء والصدّيقين اشتهوا أن يروا ما أنتم راؤون ولم يروا وان يسمعوا ما أنتم سامعون ولم يسمعوا ( مت ١٣ : ١٦ ـ ١٧ ) | انَّ أناسًا من أمَّتي يأتون بعدي يودُّ أحدهم لو اشترى رؤيتي بأهلهِ ومالهِ ( جس ١١٥ ) |
| قال يسوع : لأَنَّك رأيتني يا توما آمنت فطوبى للذين لم يروني وآمنوا ( يو ٢٠ : ٢٩ ) | طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن آمن بي ولم يَرَني ( جس ٢٧١ ). وفيهِ : طوبى ثمَّ طوبى ثمَّ طوبى لمن آمن بي ولم يَرَني = رحم الله |

| | |
|---|---|
| | اخواني الذين آمنوا بي ولم يَرَوْني ( من ٨٨ ) = طوبى لمن رآني أو رأى مَن رآني ( من ٩٥ ) |
| من سمع منكم فقد سمع منّي ومن احتقركم فقد احتقرني ومن احتقرني فقد احتقر الذي أرسلني ( لو ١٠ : ١٦ ) = مَن قبلكم فقد قبلني ومَن قبلني فقد قبل الذي أرسلني ( مت ١٠ : ٤٠ ) = الحقّ أقول لكم انَّ الذي يقبل مَن أُرسلُهُ يقبلني والذي يقبلني يقبل الذي أرسلني ( يو ١٣ : ٢٠ ) | تسمعون ويُسْمَع منكم ( جس ١٧١ ) = اكرموا العلماء ... فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسولهُ ( جس ٧٢ ) = من أحبَّ الانصار أحبَّهُ الله ومن أبغض الأنصار أبغضهُ الله ( جس ٤٠٨ ) = من أحبَّني فقد أحبَّ الله ومن أطاعني فقد أطاع الله ( من ١٤٦ ) = من أحبَّ العرب فقد أحبَّني حقًّا ( من ١٤٧ ) = من أحبَّ عليًّا فقد أحبَّني ومن أبغضهُ فقد أبغضني ( جس ٤٠٨ ) = من آذى عليًّا فقد آذاني ( من ٢٠٤ ) = من أحبَّ الحسَن والحسين فقد أحبَّني ومن أبغضهما فقد أبغضني ( جس ٤٠٨ ) |
| انَّ الكتبة والفريسيين جالسون على كرسيّ موسى فمهما قالوا لكم فاحفظوهُ واعملوا بهِ وامَّا بمثل أعمالهم فلا تعملوا ( مت ٢٣ : ٢ ـ ٣ ) | انظروا قُريشًا فخذوا من قولهم وذَرُوا فِعْلَهم (جس ١٤٣) |
| أَوْفوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ( مت ٢٢ : ٢ ـ ٣ ) | أَدُّوا للأُمراء حقَّهم واسألوا الله حقَّكم ( رواية احياء علوم الدين للغزالي ) |
| حينئذٍ يُضيءُ الصدّيقون مثل الشمس في ملكوت أبيهم ( مت ١٣ : ٤٣ ) | انَّ أهل علّيين يُشرف أحدهم على أهل الجنَّة فيُضيء وجههُ لأهل الجنَّة كما يضيء القمر ليلة البدر لأهل الدنيا ( جس ١١٦ ) |
| احذروا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بلباس الحُمْلان وهم في الباطن ذئاب خطَفة .. ( مت ٧ : ١٥ ) | انَّ بين يدي الساعة كذَّابين فاحذروهم ( صحيح مسلم ٦ : ٤ ) ـ ومثلهُ للشاعر :<br>وإذا الذئابُ استنعجَتْ لك مرَّةً<br>فحذارِ منها أن تعودَ ذئابًا<br>فالذئبُ أخبثُ ما يكون إذا بدا<br>متلبّسًا بين النعاج إهابا |
| صلُّوا في كلّ حين ( لو ٢١ : ٣٦ ) = الحقّ أقول لكم انَّ كلّ ما تسألون الآب باسمي يعطيكموهُ ( يو ١٦ : ٢٣ ) | الصلاة خير موضوع فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر ( جس ٢٦٥ ) = الصلاة مفتاح كلّ خير (من ١٩٣) = ما اذن الله لعبد في الدعاء حتّى أذن لهُ في الإجابة ( جس ٣٨٥ ) |

إذا صلّيت فادخل مخدعك وأغلق بابك وصلِّ إلى أبيك في الخفية ( مت ٦ : ٦ )

صلّوا أيها الناس في بيوتكم فأفضل صلاة المرء في بيتهِ الاَّ المكتوبة ( جس ٦٦ )

اسألوا فتُعطَوا اطلبوا فتجدوا اقرعوا فيفتح لكم (مت ٧ : ٧)

مَن طلب شيئًا وجَدَّ وجَدَ. مَن قرع الباب ولجَّ ولَجَ ( من ١٣٠ ) = سَلْ تُعْطَ ( جس ٨٥ )

انظروا إلى طيور السماء فانَّها لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن في الاهراء وأبوكم السماوي يقوتها ( مت ٦ : ٢٦ )

لو أنَّكم تتوكَّلون على الله حقَّ توكُّلِهِ لَرزقكم كما تُرْزق الطير تغدو خِماصًا وتروح بِطانًا (جس ٣٦٨)

وأنتم فصلُّوا هكذا أبانا الذي في السماوات ليتقدَّس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض ( متى ٦ : ٩ ـ ١٠ )

إذا تألَّم أحد أو تألَّم اخوهُ فليَقُل : ربَّنا أنت في السماء ليتقدَّس اسمك ليكن ملكوتك في السماء والأرض ( حديث أبي داؤد ١ : ١٠١ )

حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فأنا أكون هناك فيما بينهم ( مت ١٨ : ٢٠ )

عليكم بالجماعة فانَّ الله لن يجمع امَّتي الاَّ على هدًى ( جس ١٣ ) = يدُ الله مع الجماعة ( الثعالبي الاعجاز والإيجاز ٦ ـ ٧ )

إذا صنعتَ صدقةً لا تعلم شمالك ما تصنع يمينُك لتكون صدقتك في خفيةٍ وأبوكم الذي يرى في الخفية هو يجازيك ( مت ٦ : ٤ ـ ٥ ) = أرملة فقيرة أَلْقت فلسَيْن .. انَّ هذه قد ألقت أكثر من كلّ الذين ألقوا في الخزانة ( مر ١٢ : ٤٣ ـ ٤٤ )

في صحيح البخاري ( ١ : ٧١ ) يمدُّ الله يوم الدين مَن عمل الصدقة سرًّا بحيث لا تعلم يدهُ الشمال ما فعلتهُ يمينهُ = افضل الصدقة سرٌّ إلى فقير وجُهْد من مُقلّ ( جس ٦٥ ) = صدقة السرّ تطفئ غضب الله ( الاعجاز والايجاز للثعالبي ٦ ـ ٧ ) = من كنوز البرّ كتمان الصدقة ( جس ١٧٠ )

كلّ من ترك بيتًا واخوةً ... لأجل اسمي مئة ضعف ويرث الحياة الأبديَّة ( مت ١٩ : ٢٩ )

انَّ الله تعالى لا يظلم المؤمن حسنة يُعطى عليها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة ( جس ٩٦ )

من سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط... فالحقّ أقول لكم انهُ لا يضيع اجرهُ ( مت ١٠ : ٤٢ )

من سقى عطشانًا فأَرواهُ فُتح لهُ باب الجنَّة ( من ١٠٤ )

كلّ من رفع نفسَهُ اتَّضع ومن وضع نفسَهُ ارتفع (لو ١٤ : ١١) = حطّ المقتدرين عن الكراسي ورفع المتواضعين ( لو ١ : ٥٢ )

من تكبَّر وضعهُ الله ( من ١٥١ ) = من تواضع لله رفعهُ ومن تجبَّر قمعهُ ( جس ٤١٤ ) = التواضع لا يزيد العبد ( ويروى : العالم ) إلاَّ رفعةً فتواضعوا يرفعكم ( جس ١٧٧ )

إذا دُعيتَ فامضِ واتَّكئ في آخر موضع (لو ١٤ : ٧)

انَّ من التواضع الرضى بالدون من شرف المجالس ( جس ٤٢ )

من أراد أن يكون فيكم عظيمًا يكون

سيّد القوم خادمهم ( جس ٢٤٤ من ٨٦ )

| | |
|---|---|
| لكم خادمًا ومن أراد أن يصير فيكم الأوَّل يكون عبدًا للجميع ( مر ١٠ : ٤٣ ـ ٤٤ ) | |
| انـهُ لأسْـهل أن يدخل الجمل في ثقب الابرة من أن يدخل غنيٌّ ملكوت السماوات ( مت ١٩ : ٢٤ ) | في اصحابي اثنا عشر منافقًا منهم ثمانية لا يدخلون الجنَّة حتَّى يلج الجمل في سمّ الابرة ( جس ٣٠١ ) = وفي سورة الأعراف ٣٨ : لا يدخلون الجنَّـة حتـى يلـجّ الجمل من سمّ الخياط |
| إن لـم ترجعوا وتصيروا مثل الصبيان فلن تدخلوا ملكوت السماوات ( مت ١٨ : ٣ ) | لا يدخلنَّ الجنَّة الأَ مُرْد ( من ٧٨ ) |
| لا تُعْطـوا القدس للكلاب ولا تـلْقوا جـواهركم قُدَّام الخنازير ( مت ٧ : ٦ ) | لا تطرحوا الدرَّ في أفواه الكلاب ( جس ٤٦١ ) = لا تطرحوا الدرّ تحت أرجل الخنازير ( من ١٩٢ وفي التمثيل للثعالبيّ ) |
| من أحبَّ نفسهُ فهو يهلكها ومن أبغض نفسهُ في هذا العالم فانَّهُ يحفظها للحياة الأبديَّة ( يو ١٢ : ٢٥ ) | من أَحبَّ دنياهُ أضرَّ بآخرتهِ ومن أحبَّ آخرتَـهُ اضرَّ بدنياهُ فآثروا ما بقي على ما يفنى (جس ٤٠٨) |
| اكنزوا لكم كنوزًا في السماء ( مت ٦ : ٢٠ ) | من يتزوَّد في الدنيا ينفعهُ في الآخرة (جس ٤٣٦) |
| انَّما يتكلَّم الفم من فضل ما في القلب ( مت ١٢ : ٣٤ ) | من أحبَّ شيئًا أكثر من ذكرهِ ( جس ٤٠٨ من ١٤٦ ) |
| ذُكر في لوقا ( ١٥ : ٤ ـ ١٠ ) فرح واجد الخروف الضالّ والدرهم المفقود ثم قال الربّ : هكذا يكون في السماء فرح بخاطئ يتوب أكثر ممَّا يكون بتسعة وتسعين صديقًا لا يحتاجون إلى توبة | الله أفرَحُ بتوبة عبدهِ من العقيم الوالد ومن الضالّ الواجد ومن الظمآن الوارد ( جس ٣٥٧ ) |
| الويل لكم أيَّها الضاحكون الآن انكم ستتوحون وتبكون ( لو ٦ : ٢٥ ) | مَنْ أذنب وهو يضحك دخل النار وهو يبكي (جس ٤١٠) |
| بصبركم تقتنون انفسكم ( لو ١٢ : ١٩ ) = الذي يصبر إلى المنتهى فذلك يخلص ( مت ١٠ : ٢٢ ) | النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وانَّ من العسر يسرًا ( جس ٤٤٤ ) = الصبر مفتاح الفرج (من ٩٢) |
| الرجل الصالح من كنزهِ الصالح يُخرج الصالحات والرجل الشرّير من كنزهِ الشرّير يُخرج الشرور (مت ١٢ : ٣٥) | الرجل الصالح يأتي بالخبر الصالح والرجل السوء يأتي بالخبر السوء ( جس ٢٣٢ ) |
| قال لهم : انَّ موسى لأجل قساوة قلوبكم أَذن لكم أن تُطلّقوا نساءكم ( مت ١٩ : ٨ ) | ما أَحلَّ الله شيئًا أبغض إليهِ من الطلاق ( جس ٣٨٤ من ١٣٩ ) |

| | |
|---|---|
| انَّ كل من نظر إلى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبهِ ( مت ٥ : ٢٦ ) | زنا العينين النظر ( جس ٢٣٤ ) = ما من مسلم ينظر إلى امرأة أوَّل دفعة ثمَّ يغضُّ بصرهُ إلاَّ أحدث الله تعالى لهُ عبادةً يجد حلاوتها في قلبهِ (جس ٣٩٩) |
| الويل لكم أيُّها الكتبة والفرّيسيُّون المراءُون فانكم تشيّدون قبور الأنبياء وتزيّنون مدافن الصديقين ... تشهدون على أنفسكم انكم قتَلة الأنبياء ( مت ٢٣ : ٢٩ ) | لعن الله اليهود ... اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد (خ ٢ : ٨٣) = قاتل الله اليهود اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد ( جس ٣٠٤ ) |
| الويل لكم أيُّها الكتبة والفرّيسيون انكم تشبهون القبور المجصَّصة التي تُرى للناس من خارجها حسنةً وهي من داخلها مملوءَة عظامَ أموات وكلّ نجاسة (مت ٢٣ : ٢٧) | مثل الفاجر كمثل القبر المشرَّف المجصَّص يعجب من رآهُ وجوفهُ ممتلئ نتنًا ( جس ٤٠١ ) |
| اكبَّ يسوع يخطُّ باصبعهِ على الأرض .... فلمَّا سمعوا طفقوا يخرجون واحدًا واحدًا ( يو ٨ : ٦ ـ ٩ ) | قد كان نبيٌّ يخطُّ فمن وافق خطُّهُ ذلك الخطّ عَلم (من ١٠٨) |
| انَّ في انطلاقي خيرًا لكم ( يو ١٦ : ٧ ) | حياتي خير لكم ومماتي خير لكم ( من ٦٩ ) = حياتي خير لكم ... فإذا أنا متُّ كانت وفاتي خيرًا لكم ( جس ١٩٧ ) |
| أقول لكم انَّ الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادًا لابراهيم ( مت ٣ : ٨ ) | لو انَّ الماء الذي يكوَّن منهُ الولد اهرقتُهُ على صخرة لأَخرج الله منها ولدًا ( جس ٣٦٧ من ١٦٢ ) |
| أقول لكم إنَّ الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبرهيم ( مت ٣ : ٨ ) | من اشتاق إلى الجنَّة سابَقَ إلى الخيرات ( جس ١٤٨ ) |
| ان كنت تريد أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا (مت ١٩ : ١٧) | في صحيح البخاري عن أبي هُريرة : نحن الآخرون السابقون يوم القيامة |
| كثيرون من الأوَّلين يكونون آخرين ومن الآخرين يكونون أوَّلين ( مت ١٩ : ٣٠ ) | روى ذلك البخاري في صحيحهِ ( ١ : ١٢٩ و٣ : ٤٦ ـ ٤٧ ) ... أُوتي أهل التوراة فعملوا حتَّى نصف النهار فأُعطوا قيراطًا قيراطًا. ثمَّ أُوتي أهل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر فأُعطوا قيراطًا قيراطًا. ثمَّ أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين الخ |
| الفصل العشرون في متَّى ( ٢ ـ ١٦ ) يذكر الفعَلة الذين أخذوا جميعهم دينارًا مع اختلاف ساعات شغلهم | |
| واخرج يسوع الذي يبيعون ويشترون في الهيكل (مت ٢١ : ١٢) | نهى عن الشري والبيع في المسجد ( جس ٤٤٥ ) |

امَّا ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمها أحَد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الاَّ الآب ( مر ١٣ : ٣٢ )

أوتيتُ مفاتيح كلّ شيء الاّ الخمس انَّ الله عنده علم الساعة ... ( جس ١٤٤ ) = يسألك الناس عن الساعة قُل انَّما علمُها عند الله وما يدريك لعلّ الساعة تكون قريبًا ( سورة الأحزاب ٣٣ : ٦٣ )

انَّها ستأتي ساعة يسمع فيها جميع من في القبور صوت ابن الله فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيّئات إلى قيامة الدينونة ( يو ٥ : ٢٨ )

انَّ الساعة آتية لا ريب فيها وانَّ الله يبعث من في القبور ... المُلْكُ يومئذٍ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنَّات النعيم والذين كفروا ... فأولئك لهم عذاب مهين ( سورة الحجّ ٧ و ٥٥ )

انَّ الآب لا يدين أحدًا بل أعطى الحكم كلَّهُ للابن (يو ٥ : ٢٢) = وحينئذ يشاهدون ابن البشر آتيًا على سحابة بقوَّة وجلال عظيمين الخ ( لو ٢١ : ٢٧ ) = انّا جميعًا سنقف امام مِنبَر المسيح ( رو ١٤ : ١٠ )

ليهبطنَّ عيسى بن مريم حَكَمًا وإمامًا مُقْسطًا (جس ٣٨٢) = كيف أنتم إذا نزل ابنُ مريم فيكم وإمامكم منكم ( جس ٣٢٦ ) = ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ( ؟ جس ٤٦٨ )

ستقوم أُمَّة على أمة ومملكة على مملكة وتكون زلازل شديدة ... واوبئَة ومجاعات وتكون من السماء مخاوف وعلامات عظيمة الخ ( لو ٢١ : ١٠ ـ ١١ )

في صحيح البخاري ( ٢ : ٢١ ) : لا تقوم الساعة حتى يُقبَض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج ...

## أعمال الرسل ( عم )

أجاب الرسل وبطرس وقالوا انَّ الله أحقّ من الناس بأن يُطاع ( عم ٥ : ٢٩ )

الحديث

طاعة الامام حقٌّ ما لم يأمر بمعصية الله ( جس ٢٦٨ ) = مَن أمركم من الولاة بمعصية الله فلا تطيعوهُ ( جس ٤١٦ ) = لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ( من ١٨٤ )

## رسائل القديس بولس

اعلموا وافهموا انهُ ليس للزاني أو النجس أو البخيل الذي انَّما هو عابد وثن ميراثٌ في ملكوت السماوات ( افس ٥ : ٥ ) = أما تعلمون انّ الأثمة لا يرثون ملكوت الله ( ١ كور ٦ : ٩ )

الحديث

انَّ الجنّة لا تحلُّ لعاصٍ ( من ٣٦ ) = لا يدخل الجنَّة لا خبٌّ ولا خائن ولا منَّان ( جس ٤٦٦ )

انَّهُ بالقلب يؤمن الإنسان للبرّ ويعترف للخلاص (رو ١٠ : ١٠)

الإيمان اقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالأركان ( جس ١٦٣ ) = الإيمان معرفة

| | |
|---|---|
| | بالقلب واقرار باللسان وعمل بالأركان ( من ٥٥ ) |
| كل إنسان كاذب ( رو ٣ : ٤ ) وكذلك في المزامير ( ١١٥ : ١١ ). وفي الجامعة ( ٧ : ٢١ ): ليس من صدّيق على الأرض يصنع الخير بغير أن يخطأ | كلّ ابن آدم خطَّاء ( جس ١١٤ ) |
| روّض نفسك على التقوى ... انَّ التقوى تنفع في كلّ شيء ولها موعد الحياة الحاضرة والمستَقْبَلة ( ١ تيم ٤ : ٧ ـ ٨ ) | عليك بتقوى الله فانَّها جماع كلّ خير ( جس ٢٨٠ من ٩٨ ) = اوصيك بتقوى الله فانَّهُ رأس كلّ شيء ( جس ١٤٥ ) |
| لتخضع كلّ نفس للسلاطين العالية .. فمن يُقاوم السلطان يعاند ترتيب الله ( رو ١٣ : ٢ ) | السلطان ظل الله في الأرض فمن أكرمَهُ أكرمهُ الله ومن أهانهُ أهانهُ الله ( جس ٢٤٧ ) |
| ما لم ترَهُ عين ولا سمعت بهِ أُذن ولا خطر على قلب بشر ما اعدَّهُ الله للذين يحبُّونهُ ( ١ كور ٢ : ٩ ) | انَّ في الجنَّة ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد ( جس ١٢٠ ) = قال الله تعالى أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأَت الخ ( جس ٣٠٥ ) |
| ان بشَّرناكم نحن أو ملاك من السماء بخلاف ما بشَّرناكم بهِ فليكن مبسلاً ( غلاطية ١ : ٨ ) | لو نزل موسى فاتَّبعتموهُ وتركتموني لَضللتم (جس ٣٧١) |
| ذُكر ( في ١ كور ١١ : ٢٣ ـ ٣٠ ) اكرام الربّ للخبز إذ كرَّسهُ وجعلهُ قربانًا | أَكرموا الخبز فانَّ الله أكرمهُ فمن أكرم الخبز أكرمهُ الله = اكرموا الخبز فانَّ الله أنزلهُ من بركات السماء وأخرجهُ من بركات الأرض ( جس ٧٢ ) |
| هو ( الله ) يرحم من يشاء ويقسّي من يشاء ( رو ٩ : ١٨ ) | يضلُّ الله من يشاء ويهدي من يشاء ( سورة المدَّثر ٣٤ ) |
| الذي يأكل فللربّ يأكل لأنهُ يشكر الله والذي لا يأكل فللربّ لا يأكل ويشكر الله ( رو ١٤ : ٦ ) | الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر = الطاعم الشاكر لهُ مثل أجر الصائم الصابر ( جس ٢٧١ ) |
| إِعْرضْ عن الكلام العالميّ الملتبس بالبدَع ... الذي انتحلهُ قوم فزاغوا عن الإيمان ( ١ تيم ٦ : ٢٠ ـ ٢١ ) = رَجُل البدعة أَعرِضْ عنهُ ( تيطس ٣ : ١٠ ) | ايَّاكم ومحدثات الأمور فإنَّ كلّ محدثة بِدْعة وكل بدعة ضلال ( إرشاد الطالبين ص ٨ ) |
| لا بُدَّ أن يظهر إنسان الخطيئَة ابن الهلاك .. ويُرى من نفسهِ انهُ هو الله ... فيهلكُهُ الربّ يسوع بنفَس فمهِ ( تس ٢ : ٣ ـ ٨ ) | لم يسلَّط على الدجَّال الأَ عيسى بن مريم ( جس ٣٦٥ ) = ليقتلنَّ ابنُ مريم الدجَّال بباب لدّ ( جس ٣٨١ ) |

| | الحديث |
|---|---|
| **رسائل يعقوب الرسول ( يع )** | |
| الإيمان ان كان بغير أعمال فهو ميّت في ذاتهِ ( يع ٢ : ١٥ و ١٦) | الإيمان قول وعمل ( جس ٥٦ ) = الإيمان والعمل اخوان ... لا يقبل الله أحدهما الاَّ مع صاحبهِ ( جس ١٦٣ ) |
| اللسان نار وعالم من الاثم ... هو شرٌّ لا ينضبط مملوء سمّاً مُميتاً ( يع ٣ : ٦ ـ ٨ ) = ان كان أحد لا يزلُّ في الكلام فهو رجل كامل ( يع ٣ : ٢ ) | أكثر الناس ذنوبًا يوم القيامة أكثرهم كلامًا = أكثر خطايا ابن آدم في لسانهِ ( جس ٧٠ ) = احبُّ الأعمال إلى الله حفظ اللسان ( جس ١٥ من ٦ ) |
| انَّ محبَّة العالم عداوة لله فمن آثر ان يكون حبيبًا للعالم فقد صار عدوًّا لله ( يع ٤ : ٤ ) ـ حبّ المال أصل كل شرّ ١ تيم ٦ : ١٠ ) | حبُّ الدنيا رأس كلّ خطيئَة ( جس ١٩٢ من ٦٨ ) |
| صلاة الإيمان تخلّص المريض والربّ يَنهضهُ ( يع ٥ : ١٥ ) | قمْ فصلِّ انّ في الصلاة شفاءً ( جس ١١٠ ) |
| **رسائل بطرس الرسول ( بط )** | الحديث |
| في أيَّام نوح بُني التابوت الذي خَلَص فيهِ نفَرٌ قليل ( بط ٣ : ٢٠ ) | انّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخَّلف عنها هلك ( جس ١٢٧ و ٤٠٢ ) |
| اكرموا الملك .. اخضعوا لسادتكم ( ١ بط ٢ : ١٧ ـ ١٨ ) | يجّلوا المشايخ ( من ٥٦ ) |
| **رسائل يوحنا الرسول ( يو )** | الحديث |
| نحن أبناءُ الله ... نعلم انهُ إذا ظهر .. سنعاينهُ كما هو ( ١ يو ٣ : ٢ ) | انكم سترَون ربَّكم يوم القيامة عيانًا ( من ٤٥ ) |
| لا تكن محبَّتكم بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحقّ ( ١ يو ٣ : ٨ ) = وفي انجيلهِ (١٧ : ٢٣) : مَن أحبَّني يحفظ كلمتي | من أحبّ الله حفظ وصيَّتهُ ـ قال الشاعر :<br>إذا نَدبوا للقول قالوا فأَحْسنوا<br>ولكنَّ حُسْن القول خالفهُ الفعلُ |
| من يعمل الخطيئَة فهو من إبليس ... ولهذا ظهر ابنُ لينقض أعمال إبليس ( ١ يو ٣ : ٨ ) | كلّ بني آدم يطعنهُ الشيطان في جنبَيْهِ باصبعهِ حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب ليطعَنهُ فطُعن في الحجاب ( جس ٣١٩ ) |

| كتاب رؤيا يوحنَّا الرسول | الحديث |
| --- | --- |
| انـي كلّ من أحبُّهُ أوبّخهُ واؤدّبهُ ( رؤيا ٣ : ١٩ ) ومثلهُ في الرسالة إلى العبرانيين ( ١٢ : ٦ ) وفي سفر الأمثال ( ٣ : ١٢ ) : انّ الذي يحبُّهُ الربّ يؤدبهُ | إذا أحبَّ الله عبدًا ابتلاهُ ( جس ٢٣ ) = إذا أراد الله بقوم خيرًا ابتلاهم ( من ٨ ) = انَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء وانَّ الله إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم ( جس ١١٩ ) |
| طوبى للأموات الذين يموتون في الربّ ... لأَن أعمالهم تابعة لهم ( رؤيا ١٤ : ١٣ ) | انَّ ممَّا يلحق المؤمن من عملهِ وحسناتهِ من بعد موتهِ علمًا نشرَهُ وولدًا صالحًا تركهُ .. وحياتهُ تلحقُهُ من بعد موتهِ ( جس ٢١٥ ) |
| ( السماء ) لا يدخلها شيء نجس ولا فاعل الرجس ( رؤيا ١٢ : ٢٦ ) | تنظَّفوا فانهُ لا يدخل الجنَّة الاَّ نظيف ( جس ١٠٢ و ١٦٢ ) |
| انا الأوَّل والآخر كنتُ ميتًا وها أنا حيّ ... ولي مفاتيح الموت والجحيم ( رؤيا ١ : ١٨ ) = أنا الألف والياء والبداءَة والنهاية ( ١ : ٨ ) | انَّما بُعثتُ فاتحًا وخاتمًا ( جس ١٣٤ ) = أُعطيتُ فواتح الكلام وجوامعهُ وخواتمَهُ ( جس ٦١ ) = كنتُ أوَّل الناس في الخَلْق وآخرهم في البَعْث (من ١١٥) : انيّ أُعطيتُ مفاتيح خزائن الأرض (بخاري ٢ : ٨٦) |

**الفصل السابع**

في الخطابة النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة

بعد كلامنا عن المفردات النصرانيَّة في لغة عرب الجاهليَّة واعلامها وأمثالها وحكمها يقتضي أن نبيّن نفوذ هذا الدين بينهم بما هو أدلّ على آدابهم. وليس أكثر دلالةً على ذلك من فنّ الخطابة

قد افتخر العرب في كلّ أجيالهم بمقدرتهم على البلاغة والتبسُّط في الكلام وقوَّة العارضة حتَّى أنَّهم لجهلهم آداب ما سواهم من الشعوب كاليونان والرومان نسبوا إلى قومهم الامتياز بفنّ الخطابة دون سواهم. ومهما كان من الصحَّة في هذا الادّعاء لا مراء في انَّهم عُرفوا في كلّ آن بذلاقة اللسان وطلاقة الكلام

فيا تُرى ماذا كان مبلغ نصارى العرب في هذا الفنّ وهل بقي شيء من آثارهم المنبئ ببلاغتهم الخطابيَّة بين أهل جلدتهم

فقبل الجواب على هذا السؤال لا بدَّ من تقديم ملحوظَين : الأوَّل انَّ ما بلغَنا من خُطَب عرب الجاهليَّة لم يُجْمَع الاَّ بعد الهجرة بمدَّة مديدة فدوَّنهُ الرواة في القرن الثاني للإسلام. فمن البديهي أنَّ كثيرًا من تلك الآثار الخطابيَّة قد ضاع بطول الزمان وآفة النسيان أو لم يبلغنا منهُ الاَّ نُتَف قليلة لا تكفي لأن نبني عليها الحكم الصواب في مقدرة نصارى العرب على القاء الخطب

الملحوظ الاخر انَّ الرواة الذين رووا تلك المقاطيع كانوا من أهل الإسلام لا يهمُّهم كثيرًا الإشارة إلى دين خطباء العرب في الجاهليَّة وكلُّهم في مظنَّتهم من أهل الشرك لا يختلف في عرفهم النصرانيّ عن اليهودي أو الوثني

فلم يبقَ لكشف القناع عن الحقيقة الاَّ أن نجري على الاستقراء والدلائل التي سبق لنا جمعُها في الفصول السابقة للتمييز بين النصارى والمشركين واثبات ما يمكن استخلاصهُ لبيان علمهم بالخطابة فنقول :

معلوم انَّ الخطابة على اختلاف أغراضها من تثبيت ومشورة ومشاجرة على قسمين كبيرين دينيَّة ومدنيَّة. وفي كليهما آثار باقية تدلُّ على امتياز النصارى فيهما على عهد الجاهليَّة وأَوَّل ظهور الإسلام

## ١ الخطابة الدينيّة بين نصارى عرب الجاهليّة

بيَّنا في فصول مطوَّلة سبقت لنا في القسم الأوَّل من هذا الكتاب كم كانت النصرانيَّة منتشرة في أنحاء العرب فتتبَّعنا كلّ جهات جزيرتهم وأثبتنا قولنا استنادًا إلى المؤرخين القدماء من يونان ورومان وسريان معاصرين ثم عرب كتبوا بعد الإسلام بقليل. هذا فضلاً عن الآثار الحجريَّة في الحميريَّة والآثار الفنيَّة المختلفة. فان كان الأمر كذلك يلزم القول بأنَّ الخطابة الدينيَّة كانت شائعة بين تبَعَتها لأنَّ الديانة النصرانيَّة تنتشر عادةً بالتعليم الشفاهي إذ قال السيّد المسيح لرسله ( متى ٢٨ : ١٩ ـ ٢٠ ) : « اذهبوا وتلمذوا كلّ الأمم ... وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتُكم بهِ » فلا يجوز استثناء المبشرين بالنصرانيَّة بين العرب من هذا الحكم. ولاسيَّما أنَّهم كانوا شيَّدوا بينهم كنائس عديدة وأقاموا لهم أساقفة وكهنة وشمامسة كما قرَّرنا ذلك بالشواهد. وهؤلاء كلّهم في مقدَّمة واجباتهم الارشاد والخطابة في عقائد الدين

ليرسخوها في عقول رعاياهم ويثبتوها للخوارج وللطالبين التدُّين بالنصرانيَّة. فليت شعري ماذا بقي من تلك الآثار الطيّبة والخطب أو الميامر. ولا ننكر أنَّ اللغة الكنسيَّة كانت في بعض جهات العرب الكلدانيَّة أو اليونانيَّة الاَّ أنَّهُ كان للغة العربيَّة حصَّتها أيضًا في النواحي التي كان أهلها من أصل عربي محض كاليمن والحجاز وبين عرب المدر الساكنين في الخيم حيث كان يسكن بينهم أساقفة يتنقَّلون معهم في مناجعهم كما صرَّحتْ الآثار الكنسيَّة والمجامع الدينيَّة بذلك ودوَّنا أقوالهم

وممَّا عرَّض إلى الفقدان تلك البقايا الجليلة انَّ الخطّ العربي الذي علَّمهُ النصارى لاخوانهم العرب كما أيَّدنا ذلك بالشواهد لم يكن بعد انتشر انتشارًا كافيًا ليحفظ ذلك القلمُ الحديث كنوزَهم الأدبيَّة. ولمَّا جاءَ الإسلام اتَّجهت الأفكار إلى الدين الجديد وجعلوا القرآن الكلّ في الكلّ لفوز ذويهِ بقبائل العرب

هذا مجمَل ما يقال عن الخطابة الدينيَّة النصرانيَّة ولكنَّنا لم نيأس من التقاط بعض الحبوب من تلك السنابل المحصودة وبعض الفتات في تلك الموائد الفاخرة. فمن ذلك خطيبٌ دينيّ شاع اسمهُ في بطون بلاد العرب وانجادها اجمع كلُّ أهل البادية من حضر ومدر على انهُ كان آيةً في البلاغة الخطابيَّة نريد بهِ قسّ بن ساعدة الذي يدلُّ مجرَّد اسمهِ على نصرانيَّتهِ وضُرب بهِ المثل في أساليب البيان. ولو لم يكن في جزيرة العرب غير قسّ اشتهر في البلاغة والخطابة لكفى النصارى بهِ فخرًا. اما ما يُروى عنهُ تأييدًا لهذه السمعة العظيمة فأسطُر قليلة نقلناها في كتابنا شعراء النصرانيَّة ( ص ٢١٢ ـ ٢١٣ ) وهناك اخبار رويناها على علاَّتها تثبت رفعة مقامهِ بين العرب لكنها لا تشفى عليلاً ولا تروي غليلاً. وكذلك اخبارهُ المرويَّة عن كتَبة العرب فانَّها أقربُ إلى أساطير الأوَّلين وخرافات الأقدمين فيقول الرواة هناك انهُ ادرك زمن بقايا الحواريّين ورأسهم سمعان الصفا وانهُ عاش ستمائة بل سبعمائة سنة ( ص ٢١٦ ) وانَّهُ بشَّر بمجيء نبي المسلمين وانَّ محمَّداً رآهُ في سوق عكاظ يخطب على جمَل لهُ أورَق (راجع الشرشي ٢ : ٢٧٥) واشياء أُخرى أقرب إلى الترَّهات منها إلى صحيح الروايات. ولعلَّهم أصابوا بقولهم انَّهُ « كان أسقفًا على نجران وانهُ كان زاهدًا في الدنيا يلبس المسوح ويتبع السيَّاح على منهاج المسيح » وكذلك قولهم انهُ « كان يتَّكئ على عصا في خطبهِ » ( لا سيفًا كما روى البعض ). فان أساقفة النصارى

يمسكون في أيديهم عكَّازًا وهم يخطبون. وخلاصة الكلام انَّ قسًّا كان خطيبًا مصقعًا أثَّر كلامهُ البليغ في قلوب العرب حتَّى نسبوا إليه من الأقوال والأعمال ما يردُّه النقد الصحيح ولا يقبلهُ الذوق السليم. وها نحن نروي ثلث خطب من خطبه فاتَنا ذكرُها في شعراء النصرانيَّة لا تأييدًا لصحَّتها بل اعلانًا بما تناقلَهُ العرب عن قسّ غثًّا كان أو سمينًا وهذه الخطب وجدناها في التذكرة الحمدونيَّة ( نسخة باريس الخطيَّة ص 84[٧] )

أيُّها الناس الحِلْم شرف والصبر ظفر والجود سرور والمعرفة كنز والجهل سفَه والعجزُ ذلَّة والحرب خُدعَة والظفر دُوَل والأيَّام عِبَر والمرء منسوب إلى فعلهِ مأخوذ بعملهِ فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد واستشعروا الجدّ تفوزوا بهِ ودَعُوا الفضول يجاريكم السفهاء وأكرموا الجلوس يعمر ناديكم وحاموا عن الحقيقة يُرغَب في جواركم وأنصفوا مَن آنفكم يرفق بكم وعليكم بمحاسن الأخلاق فانها رفعة وايَّاكم والأخلاق الدنيَّة فانها تضع الشرف وتهدم المجد

( خطبة ) ايها الناس شارفوا بأبصاركم في كرّ الجديدين ثم أَرجعوها كليلةً عن بلوغ الأمل فإن الماضي عظة للباقي ولا تجعلوا الغرور سبيل العجز فتنقطع حجتكم في موقف الله سائلكم فيه ومحاسبكم على ما اسلفتم. أيها الناس امس شاهد فاحذروهُ واليوم مؤدب فاعرفوهُ وغدًا رسول فاكرموهُ وكونوا على حَذَر من هجوم القدَر فان أعمالكم تطلق أبدانكم والصراط ميدان يكثر فيهِ العثار فالسالم ناجٍ والغبرُ في النار

( خطبة ) اتقوا عباد الله وأنتم في مَهل بادروا الأَجل ولا يغرَّنَّكمُ الأمل فكأَن بالموت وقد نزل فشغلت المرءَ شواغلُهُ وتركت عنهُ بواطلَهُ وهيَّأت اكفانهُ وبكاهُ جيرانهُ وصار إلى المنزل الخالي بجسده البالي قد فارق الرفاهية وعاين الداهية فوجهُهُ في التراب عفير وهو إلى ما قدَّم فقير

هذه كما ترى حكمٌ أكثر منها خطب. والعجب انَّ الكتبة السريان المǎاصرين الذين استفدنا من تواريخهم عدَّة أخبار عن العرب لم يأتوا بذكر قسّ بن ساعدة

على انَّهم ذكروا خطيبًا آخر وكاتبًا بليغًا اشتهر بالكوفة في القرن الأوَّل من الإسلام وكان أسقفًا على نصارى الكوفة وعاقولاء يُدعى جرجس اسقف العرب. فهذا كان متعمّقًا في درس كتب اليونان ونقل قسمًا منها كاورغنون ارسطوطاليس وكتب شروحًا على الأسفار المقدَّسة ولهُ عدَّة خطب وميامر لم تزل بين مخطوطات عواصم أوربَّة كلندن وباريس ورومية يتَّضح منها ما اتَّصف بهِ جرجس اسقف العرب من العلم والبلاغة في الخطب الدينيَّة. بيد أنَّ هذه الآثار كلَّها لم تبلغ إلينا الاَّ بالسريانيَّة. ومن المحتمل أنَّ عربيَّتها ضاعت فبقيت ترجمتها السريانيَّة. كانت وفاة

جرجس المذكور في أواخر القرن الأوَّل للهجرة

وممَّن يجب نَظْمهم في سلك خطباء النصرانيَّة أولئك السيَّاح والرهبان الذين تكرَّر ذكرهم في الشعر العربيّ المرويّ سابقًا فانَّهم لم ينقطعوا فقط إلى الصلاة والزهد بل كثيرًا ما كانوا يختلطون بالعرب ويدعونهم إلى نبذ أديانهم الباطلة ويرشدونهم إلى الصلاح بالخطب والمواعظ. كما ورد في تراجم البعض منهم كالقديس هيلاريون والقديس افتيموس بين عرب الشام والقديس جرجنسيوس رسول عرب اليمن وموسى رسول الغسَّانيين وغيرهم كثيرين سبق ذكرهم. فينبغي اذن القول بأن الخطابة النصرانيَّة الدينيَّة قد ازهرت بين العرب كما ازهرت بين غيرهم من الأمم وان لم تبلغ إلينا صورتها بسبب آفات الزمان وكوارث الحدثان

## ٢ الخطابة المدنية بين نصارى الجاهلية

إن كانت الآثار الدينيَّة من خطب نصارى الجاهليَّة الباقية إلى عهدنا نزرةً قليلة فكان أَملُنا في جمع مآثرهم المدنيَّة أعظم لكلَف الرواة بما هو أقرب إلى أخلاقهم وأفكارهم. الاَّ أنَّهم ما رووهُ منها لا يكاد يستحقُّ الذكر أو هو فصول حكميَّة ليست خطبًا وُضعت للإِقناع والإِقناع كما لا يُخفى هو غاية الخطيب ومحور الخطابة

ولكن إذا كانت الخطب المرويَّة لا يكادُ يُعبأ بها إنَّما نجد في مآثر العرب ما يثبت شيوع الخطابة بين القبائل النصرانيَّة. وأوَّل هذه القبائل وأقدمها قبيلة اياد التي روينا اخبارها واثبتنا تنصُّرها ( ص ٧٥ ـ ٧٦ و ١٢٤ ) عن عدَّة كَتَبة. ومنها كان قس بن ساعدة الأياديّ المارّ ذكرهُ. فاياد هذه نسب إليها قدماءُ العرب البراعة في الخطابة لنا على ذلك شاهد حسن في مديح الشعراء لاياد وذكرهم لخطبائها منها قول الشاعر في وصف خطبهم :

يَرْمون بالخطب الطوال وتارةً وَحْيَ الملاحظ خيفةَ الرُّقباءِ

وصفَهم بتطبيق خطبهم على مقتضى الحال تارةً بالطول والتصريح وتارة بالوجازة والكناية والإشارة. وقال أحدهم يرثي أبا دؤَاد بن جرير الأياديّ :

نعى ابنَ جريرٍ جاهلٌ بمُصابهِ فعمَّ نزارًا بالبُكا والتحوُّبِ
نعاهُ لنا كالليث يحمي عرينَهُ وكالبدر يُعْشي ضوُءُهُ كلَّ كوكَبِ

واضرَبُ من حدّ السنان لسانُهُ وامضى من السيف الحُسام المشطّبِ
زعيمُ نزارٍ كلّها وخطيبُها إذا قال طأطا رأسَهُ كلُّ مُشغبِ
سليل قروم سادةٍ ثم قالةٍ يبزّون يوم الجمع أهلَ المُحَطّبِ
كقسّ أيادٍ أو لقيط بن معبدٍ وعذرةَ والمِنطي زيدِ بن جُندُبِ

فأثنى الشاعر على أبي دؤَاد الأيادي واطرأَ بلاغتهُ في الخطابة ثمَّ ذكر أربعةً غيرهُ كلُّهم خُطباء وكلهم من اياد. ذكر لقيطَ بن يَعْمُر الأيادي الذي انذر قومهُ غزْوَ كسرى لهم وأرسل إليهم قصيدتهُ العينيَّة التي هي خطبةٌ بليغة حاكت في صدورهم فنجوا من عدوّهم. ومنها قولهُ :

أبلِغ ايادًا وخَلِّلْ في سُرَاتهم انيّ أرى الرأيَ إن لم أعْصَ قد نَصَعا
يا لَهْف نفسيَ ان كانت أموركمُ شتّى وأحْكَمَ امرُ الناسِ فاجتمعا
الاَ تخافونَ قومًا لا اَبَا لكمُ امسوا إليكم كأمثالِ الدَّبى سُرُعا
ما لي اراكم نيامًا في بُلَهْنيَة وقد ترَوْنَ شهاب الحربِ قد سطعا
صونوا جيادَكُمُ واجلوا سيوفكمُ وحدّدوا للقسيّ النَّبْل والشَّرُعا
يا قومُ لا تأمنوا ان كنتم غُبُرًا على نسائكمُ كِسْرى وما جمعا
وقلّدوا امركم للهِ درّكمُ رحبَ الذراع بأمر الحرب مُضطلعا
لقد بذلتُ لكم نُصْحي بلا دَخَل فاستيقظوا انَّ خير العلم ما نَفَعا
هذا كتابي اليكم والنذيرُ لكم لمن رأى رَأيَهُ منكم ومَن سَمعا

وهي طويلة بليغة. وفيها كما ترى كلّ صفات الخطابة الحماسيَّة. وقد ذكر في مطلعها بيَع قومهِ النصارى

امّا الخطيب الثاني المذكور فهو عُذْرة بن حجرة الخطيب الاياديّ الذي وصفهُ الشاعر وشبَّههُ بقس بن ساعدة بقولهِ :

فانَّك ضحَّاكٌ إلى كل صاحبٍ وانطقُ من قسٍ غداةَ عُكَاظها

لكنَّ آثارهُ الخطابيَّة مجهولة. ومثلهُ زيد بن جُنْدب المنعوت بالمِنْطيق أي الخطيب المفوَّه البليغ فانَّ خطبهُ لم تبلغ إلى يدنا. ويروى عنهُ انهُ كان خطيبًا وشاعرًا معًا

وكما اشتهرت اياد في الخطابة بين قبائل العرب كذلك قرنوا بها قبيلة تميم وهي أيضًا من القبائل التي غلبت عليها النصرانيَّة كما دلَّت إليهِ كتبة العرب ( راجع الصفحة ١٢٦ من كتابنا ). فمن خُطبائهم اكثم بن صيفي بن رباح التميمي. قال ابن نباتة في كتابهِ سَرْح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ( ص ١٢ ) انهُ « أشهر حكَّام

العرب في الجاهليَّة وحكمائهم وخطبائهم )) وقد جمعوا من كلامهِ حكمًا وامثالاً ووصايا لقومهِ منها قولهُ :

يا بني تميم لا يفوتنَّكم وعظي ان فاتكم الدهرُ بي. يا بني تميم ان مَصارع الالباب تحت ظلال الطمع ومَن سلك الجدّ أمن العثار. ولن يعدم الحسود ان يُتعب فكرهُ ولا يجاوز ضرُّهُ نفسهُ والسكوت عن الأحمق جوابهُ ....

وممَّا رُوي لأَكثم خطابهُ لكسرى لمَّا أوفدهُ إليهِ النعمان بن المنذر ( اطلب عقد الفريد لابن عبد ربّهِ ١ : ١٢٧ ) قال :

(( انَّ أفضل الأشياء أَعاليها وأفضل الخطباء أصدقها. الصدق منجاة والكذبُ مَهْواة. والشرَّ لجاجة والحزمُ مركبٌ صعب والعجز مركبٌ وطيء. آفةُ الرأي الهوى والعجزُ مفتاح الفقر وخير الأمور الصبر. حسنُ الظنّ ورطة وسوء الظنّ عصمة. اصلاح فساد الرعيَّة خير من اصلاح فساد الراعي. مَنْ فسدت بطانتهُ كان كالغاصّ بالماء. شرُّ البلاد بلاد لا أمير بها. شرُّ الملوك من خافهُ البريء ... خير الأعوان من لم يُرَاءِ بالنصيحة. أحقُّ الجنود بالنصر من حَسُنت سريرتُهُ. حسبُك من شرّ سماعهُ ))

ومن أقوالهِ ما أوصى بهِ أولادهُ ليبقوا متحدين وضرب لهم مثل السهام المجتمعة :

كونوا جميعًا يا بنيّ إذا اعترى خَطْبٌ ولا تتفرَّقوا آحادا
تأبى القداحُ إذا اجتمعنَ تكسُّرًا وإذا افترقنَ تكسَّرت افرادا

ومن خطباء تميم النصارى حاجب بن زرارة اثنى العرب على بلاغتهِ واوفدهُ النعمان أيضًا إلى كسرى فخطب أمامهُ مدافعًا عن العرب مستعطفًا لرضاهُ عليهم ( العقد الفريد ١ : ١٢٧ ) :

(( رَوى زندُكَ وعلت يدُك وهيبَ سلطانُكَ. انَّ العرب امَّةٌ قد غلظت اكبادُها واستحصدت مرَّتُها ومُنعت دَرَّتُها. وهي لك وامقةٌ ما تألَّفتَها مسترسلةٌ ما لايَنْتَها سامعةٌ ما سامَحْتَها وهي العلقمُ مرارةً وهي الصابُ غضاضةً والعسلُ حلاوةً والماءُ الزلالُ سلامةً. نحنُ وفودها إليك وألْسِنتُها لديك ذمَّتُنا محفوظة واحسابُنا ممنوعةٌ وعشائرنا فينا سامعة مطيعة. أَن نَؤُوب لك حامدين خيرًا فلكَ بذلك عموم محمدتنا وأَنْ نُذَمَ لم نخص بالذمّ دونها ))

ومن خطباء تميم الذين ذكرهم أيضًا العرب في أواخر الجاهليَّة وأوائل الإسلام الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم وعدُّهما مع عطارد بن حاجب من أكابر السادات وبلغاء الخطباء وذكروا دخولهم على نبي الإسلام وكلامهم بحضرتهِ ( اطلب الأغاني ٤ :

١٠ ـ ١٢ ) وهو لا يدلُّ على كبير امرٍ لا لفظًا ولا معنىٍ إذ لم يدوّنهُ كاتبٌ وقت القائهِ وانَّما روي بعد نيّف ومئة سنة. ويصحّ هذا في أساقفة نجران الوافدين على محمَّد كما ذكرهم ابن سعد وصاحب الأغاني وغيرهما. فلا يمكنَّا أن نبدي حكمًا في عارضتهم نظرًا للقليل المصنوع المروي عنهم. وكذا قُل أيضًا عن بقيَّة خطباء العرب الذين اشتهروا بالخطابة فبقيت أسماؤهم وضاع كلامهم. وانَّما ثبت قولنا انَّ الخطابة النصرانيَّة دينيَّة كانت أو مدنيَّةً بلغت في الجاهليَّة مَقامًا رفيعًا شهد لهُ التاريخ وان فُقد معظم آثارها

## الفصل الثامن
في التاريخ النصرانيّ بين عرب الجاهليَّة

انَّ ما قيل في آثار الخطابة بين نصارى العرب في عهد الجاهليَّة يصحُّ في آثارهم التاريخيَّة فانَّها قليلة جدًا كأن العرب ظلُّوا في جزيرتهم معتزلين عن بقيَّة الشعوب المسيحيَّة لم يعرفوا منها شيئًا. وليس الأمر كذلك كما سترى وانَّما سبب ندرة هذه المآثر انَّ أهل الجاهليَّة لم يدوّنوا معارفهم في بطون الدفاتر لقلَّة انتشار علم الخطّ بينهم فصحَّ فيهم قول المثل « كلُّ علم ليس في القرطاس ضاع »

ويُضاف إلى هذا السبب سببٌ آخر وهو قلَّة اكتراث الرواة المسلمين لتدوينها حين باشروا بجمع آثار الجاهليَّة في القرن الثاني للهجرة. فكان حينئذٍ معظمُ همّتهم أن يرووا ما يسمعونهُ من عرب الحضَر والمدَر من الشعر الجاهليّ والمفردات اللغويَّة والأمثال والحكم وما أشبه ذلك. امَّا ما عرفهُ أجدادهم من تاريخ النصرانيَّة فلم يعيروهُ بالاً

على انَّنا لو نقَّبنا في الأمر ودقَّقنا النظر في تلك المرويَّات السالمة من تيَّار الحروب الإسلاميَّة لوجدنا انَّ عرب الجاهليَّة عرفوا أشياء كثيرة من تاريخ النصرانيَّة واثبتوا بذلك شيوعها في ظهرانيهم

١ وأوَّل دليل إلى قولنا معرفتهم بالأسفار المقدَّسة من العهد القديم ليست

الأوليَّة فقط الشائعة عند اليهود بل الثانويَّة أيضًا التي وردت في النسخة السَّبعينيَّة وكان النصارى يعتبرونها كمُنْزلةٍ بالوحي الإلهيّ مثل الأوَّليَّة. فمن راجع ما نقلناهُ سابقًا في الفصلين الثاني والرابع من هذا الجزء وما ورد فيهما من اخبار العهد العتيق في شعر أميَّة بن أبي الصلت وعديّ بن زيد وزيد بن عمرو بن نوفل وغيرهم تحقَّق أنَّ عرب الجاهليَّة اطَّلعوا بفضل النصرانيَّة على كلّ أخبار التاريخ المقدَّس قبل المسيح

٢ وفي ذينك الفصلين بابٌ آخر يثبت معرفة أهل الجاهليَّة بتاريخ العهد الجديد أيضًا اعني اخبار السيّد المسيح وأعمالهُ وانجيلهُ ومجيئهُ في آخر الأزمان ليدين العالم. وورد مثل ذلك في القرآن والحديث كما روينا سابقًا. وكلُّهُ يشهد على معرفة العرب بزبدة تاريخي العهد القديم والعهد الجديد معًا

٣ وممَّا يُستفاد من فصولنا السابقة ولاسيَّما ما أوردناهُ من الشعر الجاهليّ انَّ العرب قبل الإسلام عرفوا أيضًا حقّ المعرفة :ً١ رُسُلَ المسيح وحواريّيهِ وامَّهُ مريم البتول الطاهرة ويوحنَّا المعمدان السابق أمام وجههِ وبعض المبشّرين بهِ في بلادهم من تلاميذهِ.ً٢ كنيسةَ المسيح ونظامها من بطاركة وأساقفة وكهنة وشمامسة.ً٣ رُهْبانَ النصارى وأديرتهم وصوامعهم وقلاَّيهم ومناسكهم في أعلى الجبال وسُرُجهم المتَّقدة ليلاً وعيشتهم الشظفة.ً٤ بِيَع النصارى ومعابدهم وما تمتاز بهِ من هياكل ومحاريب ومنابر ومنارات ومصابيح وصلبان وصُوَر ودُمَى ونواقيس.ً٥ أسرار النصارى وخصوصًا المعموديَّة والقربان الأقدس والذبيحة الإلهيَّة المقدَّسة تحت شكلَي الخبز والخمر.ً٦ اعياد النصارى كالدنح ( الغطاس ) والسباسب (الشعانين) وخميس العهد والفصح والسلاَّق ( الصعود ).ً٧ عادات النصارى في صومهم وصلواتهم وطوافهم حول الكنائس وحجّهم إلى القدس الشريف وملابسهم الخاصَّة.ً٨ امتياز احبارهم وعلمائهم بعلم الكتابة وبنقل المصاحف الدينيَّة من توراة وزبور وانجيل مع تنميقها ووَشْيها بالرسوم وضروب النقوش الملوَّنة. فكلّ هذه المعلومات تقوم مقام سِفْر جليل ينبئنا بشيوع التاريخ المسيحيّ بين عرب الجاهليَّة

٤ وقد أورثنا نصارى العرب فوائد تاريخيَّة جمَّة منها ما نُقل عنهم بالتقليد في أقدم التواريخ الإسلاميَّة كالطَّبَري يؤخذ منها خبر دخول النصرانيَّة بين عرب العراق والشام وانتشار الدين المسيحيّ في جهات اليمن قبل وبعد استيلاء الحبش

عليها. ومنها كتابات حجريَّة رُقمت على الصخور بالقلم المسند الحميريّ فاكتشفها السيَّاح في أيَّامنا واشرنا إليها في مقالاتنا السابقة وممَّا ورد في مضامينها ذكر سدّ مأرب والسيل العرم. ومنها عاديَّات خلَّفتها الأمم السالفة كبعض القصور التي ينسبها العرب إلى قدماء النصارى وبعض البِيَع مثل كنيسة صنعاء المعروفة قديمًا بالقُلَّيْس التي صبرت بعض آثارها على آفات الدهر أو كمثل كعبة نجران وغير ذلك ممَّا يُتَّخذ حجَّةً لنسبة المعارف التاريخيَّة وغيرها إليهم

٥ وممَّا وقف عليهِ العرب من اخبار الكنيسة ذكر بعض شهدائها كالقديس جرجس الشهيد الذي شاع بين العرب اسمهُ ومنهم مَن دعاهُ بالخضر. ويشهد على انتشار اكرامهِ في جهاتهم أن أقدم الكنائس النصرانيَّة التي بُنيت على اسمهِ انما شُيّدت سنة ٣٦٧ في مدينة شقَّة من أعمال حوران ( راجع المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٣٨٧ ) وقد تكرَّر اسمهُ في الكتابات اليونانيَّة المكتشفة هناك. ومثلهُ القديسان الشهيدان سرجيوس وباخوس المكرّمان بين العرب في الرصافة والرقَّة وجهات الفرات. وكان بنو تغلب اتَّخذوا صورة الأوَّل كرايةٍ تتقدَّمهم في الحرب ( ديوان الاخطل ص ٣٠٩ ) قال :

لمَّا رأونا والصليبَ طالعَا ومار سرجيسَ وسمَّا ناقعَا
وابصروا راياتِنا لوامعا خلَّوْا لنا راذانَ والمزارعا

وقد ذكرنا سابقًا انَّ أوَّل أثر من الخطّ العربيّ قد كُتب سنة ٥١٢ للمسيح أي ١١٠ سنوات قبل الهجرة على مشهد القديس سرجيوس في زَبد وصوَّرنا هناك صورتهُ ( الجزء الأوَّل ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ). والأثر الثاني من الخطّ العربي يرقى إلى السنة ٥٦٨ م وُجد في حران من أعمال حوران كُتب على مَشْهد أُقيم تذكارًا للقديس يوحنَّا المعمدان المكرَّم هناك

وكذلك أصحاب الكهف وهم شهداء أَفَسس الذين رُوي عنهم أنَّهم هربوا من وجه المغتصب في عهد دقيوس قيصر فالتجأوا إلى كَهْف أي مغارة وظلُّوا فيها نائمين السنين الطوال حتَّى أفاقوا من سُباتهم بإذن الله وصاروا آيةً للقيامة. وقد ورد ذكرهم في القرآن وفي شعر أميَّة بن أبي الصلت كما ورد ذكر أصحاب الاخدود أي شهداء نجران الذين ألقاهم ملك اليمن اليهودي ذو نوَاس في اتُّون النار ( راجع سورة البروج في القرآن ) ـ وذكروا تاريخ حبيب النجَّار زعموا أنهُ رافق تلاميذ المسيح

إلى انطاكية وساعدهم في نشر دينهِ بين أهلها

٦ امّا التاريخ المَدَني فقد عرف منهُ نصارى العرب نُتَفًا لاسيَّما تاريخ الأمم المجاورة للعرب من فرس وحبش ورومان. فمن ذلك ما أنشدهُ أميَّة بن أبي الصَّلْت في محاربة سيف بن ذي يزن للحبش بمساعدة الفرس وطردهم من جزيرة العرب ( راجع في شعراء النصرانيَّة لاميَّته ص ٢٣١ ) التي أوَّلها :

ليطلب الوِتْرَ أمثالُ ابْنِ ذي يَزَن في البحر خيّم للأعداء أحوالا

وربَّما ذكروا ملوك الروم باسمهم العام « قيصر » كقول امرئ القيس عند رحلتهِ إلى حاضرة ملوك الروم يستنجدهم على قَتَلة أبيهِ :

بكى صاحبي لمَّا رأى الدرب دونهُ وأيقَنَ انّا لاحقانِ بقيصرا
فقلتُ لهُ لا تبكِ عينُك انَّما نحاول ملكًا أو نموتَ فنُعْذَرا

وخصُّوا بالذكر بعضهم كمُورِق أي موريقيوس قيصر. قال الكندي يذكر بعض مَن فتك بهم الدهر ( حماسة البحتري ع ٣٨٣ ):

وأصَبْن أبْرهَةَ الذي سجدَتْ لهُ صُمُّ الغيول صوامتًا لم تَنطِق
وأجبَنْ كسرى وابن كسرى بعدَهُ والمرءَ قيصرَ وانتَحَيْنَ لمُورِقِ

وكذلك ذكروا منهم هِرَقْل أو هِرْقَل. قال لَبيد ( ديوانهُ ص ٣٥ ) :

غلب الليالي مُلْكَ آلِ محرِّقٍ وكما فَعَلْنَ بتبَّعٍ وَبِهِرْقَلِ

أمَّا ملوك العجم فقد ذكروا معظم أسماء سلالتهم الساسانيَّة مثل كسرى وسابور وازدشير وهرمز

٧ ومن المرويَّات العديدة التي نقلها أوَّل كتبة الإسلام على علاَّتها فاثبتوها باسانيدها إلى بعض أهل الكتاب من نصارى ويهود ممَّا لا يخلو منهُ تأليف واحد من تآليفهم القديمة وربَّما أشار إليها القرآن أو نقل عنها الحديث يظهر أنَّهُ شاعت في جزيرة العرب مصنَّفات شتَّى معظمُها لبعض المبتدعين أو لكتَبة مجهولين لا صفة لهم رسميَّة في الكنيسة. وقد بقي منها أشياء في قصص الأنبياء للثعلبيّ وغيرهِ. وفيها الغثّ والسمين. ومن هذه التآليف ما ورد ذكرهُ في الشعر القديم ولا نعلم من أمرهِ شيئًا كقول بشر بن أبي خازم وقيل الطرمَّاح في كتاب بني تميم ( المفضَّليات ص ٦٧٦ ) :

وجدنا في كتاب بني تميمِ أحقُّ الخَيْلِ بالرَّكْض المُعارُ

وكانت بعض هذه التآليف مكتوبة بالسريانيَّة أو الحبشيَّة فوقف على مضامينها

العرب ونقلوا أشياءً منها خصوصًا من كتاب (( مغارة الكنوز )) المنسوب زورًا إلى القديس افرام. وكان في هذه الكتب الصحيح والسخيف فلم يفرز العرب العليل من السالم

هذا ما استطعنا استخلاصهُ من الآثار الباقية فهو مع قلَّتهِ شاهد صادق على ما توخَّينا اثباتهُ عن شيوع التاريخ المسيحيّ عند قدماء العرب

## الفصل التاسع
التعاليم الفلسفيَّة واللاهوتيَّة بين نصارى الجاهليَّة

أثبتنا في مقدَّمة أبحاثنا عن النصرانيَّة وآدابها في عهد الجاهليَّة أنَّ العرب كانوا مشركين كبقيَّة الأمم ما خلا الشعب الإسرائيليّ وانَّهم عبدوا الأصنام قبل التاريخ المسيحي وفي القرون الأولى بعدَهُ وان اختلف شركُهم بعض الاختلاف في جنوب جزيرتهم وشمالها وغربها

امَّا الآثار المتأخرة الباقية في القرن السادس وأوائل السابع للممسيح فعلى خلاف ذلك فانَّها إلى التوحيد أقربُ منها إلى الشرك بلا لا تكاد تجد في الشعر الجاهليّ المجموع في ذلك العهد أثرًا للشرك اللهمَّ الاَّ بقايا قليلة لا يُعبأ بها

وعندنا انَّ هذا الانقلاب انَّما كان سببُهُ شيوع النصرانيَّة في ظهراني العرب كما بيَّنَّا ذلك بالشواهد المتعدّدة في القسم الأوَّل من كتابنا. وان تقصَّينا البحث في ما خلَّفوهُ من الآثار وجدنا فيها من المبادئ الفلسفيَّة والتعاليم اللاهوتيَّة ما هو دليل لامع على قولنا

### ١ الفلسفة النصرانية في عرب الجاهلية

ليس أحدٌ من قرَّائنا ينتظر منَّا أن نعدّد لهُ ما وضعهُ نصارى العرب في الجاهليَّة من التآليف الفلسفيَّة فانَّ أهل الجزيرة قبل الإسلام وبعدهُ لم يشتهروا مطلقًا في النظريَّات إذ كان همُّهم الأعظم أن يعيشوا في مواطنهم عيشةً فطريَّة لا يزعجها ضنك الفكر ولا يخالطها التعمُّق في غوامض الكون. وان قيل لنا أَلا تُحصي بين كبار فلاسفة العرب الرئيس ابن سينا والفارابيّ وابن رشد اجبنا انَّهم اعاجم ليسوا عربًا. وان وُجد

بينهم أفراد احرزوا لهم ذكرًا في ذلك كالكندي فانَّهُ من باب الشذوذ

لكنَّ الفلسفة لا تظهر فقط في المؤلّفات النظريَّة بل ربَّما ظهرت في مطاوي الكلام نثرهِ ونظمهِ حيث تلوح المبادئ التي يجري المرء بموجبها ويرتشد بنورها وذلك خصوصًا في فروعها الثلثة اعني بها علم الإله ثمَّ علم النفس ثمَّ علم الآداب والحقوق وكل ذلك متوفّر في آثار الجاهليَّة كما سترى

﴿ ١ علم الإله الحقّ ﴾ يُثبت الفيلسوف بالبراهين العقليَّة وجود الله ووحدانيَّتهُ وخلقهُ للعالم وصفاته الحسنى من قداسة وحكمة وعلم وقدرة وعدل وعناية بالمخلوقات وهذا كلُّهُ تجدهُ في شعراء الجاهليَّة الذين روينا أقوالهم في القسم الثاني ( ص ١٥٨ ـ ١٦٢ ) كقول زيد بن عمرو :

إلى الله أهدي مدحتي وثنائيا وقولاً رصينًا لا يني الدهرَ باقيا
إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقهُ إلـهٌ ولا ربٌّ يكون مدانيا
رضيتُ بك اللهمَّ ربًّا فلن أرَى ادينُ إلهًا غيرك الله ثانيا

وكقول قس بن ساعدة خطيب العرب :

الحمدُ لله الذي لم يخلقِ الخَلْقَ عَبَثْ

وكقول ورقة بن نوفل :

ادينُ لربٍّ يستجيبُ ولا أرى اديـنُ لمـن لا يسـمع الـدهرَ واعيا
أقول إذا صلّيتُ في كل بيعة تباركـتَ قـد اكثـرتُ باسـمكَ داعيا

وكقول عبد القيس بن الخُفاف ( المفضّليات ص ٧٥٠ ed. Lyall ) :

اللهَ فاتقهِ وأَوْفِ بنَذرهِ وإذا حلفتَ مماريًا فتجلَّلِ

وكقول طرفة ( شعراء النصرانيَّة ٣١٩ ) :

لتنَقِبَنْ عنّي المنيَّة انَّ م الله ليس لحكمهِ حكمُ

وكقول سويد بن أبي كاهل :

انَّما يرفع اللهُ ومن شاء وضَعْ

وكقول حاتم الطائي :

كلُوا اليوم رزق الإلهِ وأَيْسروا فانَّ على الرحمَن رزقَكُم غدا

وأقوال كثيرة لاميَّة بن أبي الصلت ولاسيَّما داليَّتهُ العجيبة التي أوَّلها :

لك الحمدُ والنعماءُ والفضلُ ربَّنا فلا شيء اعلى منك حمدًا وامجدُ

وفيها يقول :

هو الله باري الخلقِ والخلقُ كلّهُ إماءٌ لهُ طوعًا جميعًا واعبدُ

أُعجب بها نبيُّ الإسلام فقال لمَّا سمعها من الشريد بن سويد : لقد كاد اميَّة أن يُسْلِم بشعرهِ ( اطلب حياة الحيوان للدميري ٢ : ١٩٥ )

فهذه وأقوال غيرها كثيرة تثبت أنَّ العرب في الجاهليَّة عرفوا الإله الحقيقيّ ولا شكَّ بأنَّ هذه المعرفة اتتهم من مبشّرين نصارى سبق لنا ذكرهم في تاريخ النصرانيَّة بين العرب (اطلب القسم الأوَّل)

﴿ ٢ علم النفس ﴾ كان لقدماء العرب قبل أن يستنيروا بنور الإنجيل اراء باطلة في النفس واصلها ومصيرها فيهيمون بمزاعمهم في كل وادٍ. فلمَّا هداهم الله إلى الحقّ عدلوا إلى ما هو أقرب إلى الصواب فأَقرُّوا بخلود النفس وحرَّضوا على تُقَى الله وممارسة الأعمال الصالحة وأشاروا إلى ما ينتظر النفسَ من الحساب يوم الدين فتُجازى عن أعمالها ثوابًا أو عقابًا. وهذا كلُّهُ مجمل ما يُستفاد من التعاليم الفلسفيَّة. فدونك بعض الشواهد على قولنا. أوردنا في شعر عديّ بن زيد ( ص ٢٥٢ ) ما قال في تصوير الله للإنسان ونفخهِ فيهِ من روحهِ. ولطرَفة قولهُ في عقل الإنسان ( شعراء النصرانيَّة ص ٣١٧ ) وما خُصَّ بهِ من الادراك :

للفتى عقلٌ يعيشُ بهِحيث تَهدي ساقَهُ قدمُهُ

وقد ميَّزوا بين الروح الخالدة والجسد الفاني كقول ذي الرمَّة مستغيثًا :

يا نازعَ الروحِ من جسمي إذا قُبضَتْ وفارج الكَرْب أَنْقذني من النارِ

وأشاروا إلى وقوف النفس أمام الديَّان وأدائها الحساب عن أعمالها وإلى جزائها خيرًا أو شرًّا على موجب سلوكها. قال الحارث بن عِبَّاد ( شعراء النصرانيَّة ٣٧٠ ) :

كلُّ شيء مصيرُهُ للزوالِ غيرَ ربّي وصالحِ الأعمالِ

وقال مرَّة بن ذُهْلْ في مراقبة الله لأعمال البشر ( فيهِ ص ٢٤٨ ) :

اللهُ للأَقوام بالمرصادِ

وقال طرفة ( فيهِ ٣١٧ ) :

وكيف يرجّي المرءُ دهرًا مخلّدًا وأعمالهُ عمًّا قليلٍ تحاسبُهْ

وقال أميَّة بن أبي الصلت ( القسم الأوَّل ص ١٦٨ ) :

يوقف الناس للحساب جميعًا فشقيٌّ معذَّبٌ وسعيدُ

وقال عديّ بن زيد :

أَعاذِل من تُكْتَبْ لهُ النارُ يَلْقَها كفاحًا ومَنْ يكْتَب لهُ الفوزُ يَسْعَدِ

ومثلهُ لزهير في معلقتهِ :

فلا تكتمُنَّ الله ما في صدوركم لِيَخفَى ومَهما يُكتَم اللهَ يَعْلَم
يؤخّر فيوضع في كتابٍ فيُدَّخَرْ ليوم الحساب أو يعجَّل فيُنْقَم

وللبيد أيضًا :

وكلّ امرئ يومًا سيُعلَمُ سعيهُإذا كُشفَت عند الإلهِ المحاصلُ

وكأَنَّ حاتمًا الطائي ( شعراء النصرانيَّة ١٢١ ) نظم آية الكتاب « من يُعْطِ الفقير يقرض الربّ » بقولهِ :

ولكنَّما يبغي بهِ اللهَ وحدَهُ فأَعطِ فقد أُربحتَ في البَيْعة الكَسْبا

وأقوال عديدة مثلها تنطق بمعرفتهم لاحوال النفس والمعاد. وقد ذكرنا سابقًا (ص ٣٢) كيف ردَّ العلاَّمة اوريجانس بعض المبتدعين من العرب عن ضلالٍ سقطوا بهِ في أمر النفس إذ زعموا انها تفنى كالجسد ثمَّ تُبْعَث معهُ في الدينونة

﴿ ٣ علم الآداب والحقوق ﴾ مرجع هذا العلم أَن يُعطى كلُّ ذي حقٍّ حقَّهُ مع مراعاة الأحوال والمقامات من رؤساء ومرؤوسين وافراد وجماعات الخ. وبديهيّ ان أحوال أهل البادية تختلف عن أحوال سكَّان المدن وسُنَنَهم عن سُنَنِهم. ولشعراء الجاهليَّة تأييدًا لهذه المبادئ الصحيحة أقوال لا تُحْصى جمعها القدماء فنحيل إليها. منها حماسة البحتري الذي نشرناه منذ عهد قريب. قسمهُ جامعهُ على ١٧٤ بابًا تتناول معظم الآداب والأخلاق التي يتباحث بها الفلاسفة فيثبتون وجوبها وقوانينها وفقًا لتعاليم العقل وأحكامهِ المصيبة. انظر مثلاً ما يقولهُ الافوهُ الاوديّ في النظام السياسي وحكم أرباب الامر ( شعراء النصرانيَّة ص ٧٠ ) :

لا يصلح النـاس فَوْضى لا سَرَاةَ لهم ولا سراة إذا جُهَّالُهُم سـادوا
تـُهدى الأمورُ بأهل الرأي ما صَلَحَتْ فان تَوَّلـت فبالأشرارِ تَنقادُ
إذا تولـَّى سراةُ النـاسِ امرَهـمُ نما على ذاك امرُ القوم فازدادوا

وهذا النابغـة الذبياني يعزو إلـى الله سلطة الملوك حيث يقول للملك النعمـان ( شـعراء النصرانيَّة ٦٥٦ ) :

أَلَم ترَ انَّ الله أَعْطـاك سُورةً ترى كل مَلْكٍ دونها يتذبذبُ

وكلُّ أديبٍ يعرف خاتمة معلَّقة زُهيرٍ وما في أبياتها الأخيرة من الحكم المبنيَّة علـى علم الأخلاق والآداب الاجتماعية. ومثلها في معلَّقة الحارث بن الحلّزة. ولطرفـة يطالـب بحقوق امّـهِ وردة ( شعراء النصرانيّة ٢٩٨ ) :

مـا تنظرون بحقِ وردةَ فيكـمُ صَغُر البنونَ ورهطَ وردَةَ غُيَّبُ
قـد يبعثُ الأمر العظيمَ صغيرُهُ حتّى تظلَّ لـهُ الـدماء تَصَبَّبُ
قد يوردُ الظلمُ المبين آجنًا مِلْحًا يُخالَطَ بالـذعافِ ويُشْشَبُ
والاثـمُ داءٌ ليس يُرْجى بُـرْؤهُ والبـرُّ بُرْءُ ليس فيهِ معطَـبُ
أدُّوا الحقوقَ تـفِرْ لكم أعراضُكم انَّ الكريم إذا يُحـرَّبُ يغضَبُ

فهذه كلُّها أقوال من الفلسفة العقليَّة أبرزها عرب الجاهليَّة في صورةٍ شعريَّة

## ٢ التعاليم اللاهوتية بين نصارى الجاهلية

اللاهوت كما هو معلوم أساسـهُ الـوحي سواءٌ كـان مدوَّنًا فـي الأسفار المقدَّسـة أم شـائعًا بتَعليم الكنيسة. وقد عرف نصارى العرب الوحي وكتبهُ وائمَّتـهُ الأنبيـاء والرسـل كمـا أثبتنـا ذلك في الفصول السابقة ( ص ١٧٩ ـ ١٩٠ ). مثل قول الراهب وَرَقة بن نوفل :

وجبريلُ يأتيهِ وميكالُ معهمـا من اللهِ وحيٌ يشرَحُ الصدرَ مُنْزلُ

وقد ورد هناك ذكر التوراة والزبـور والإنجيل وبعض الأنبيـاء والرسل كموسـى وداود وسليمان ويونان. وممَّا اخذوهُ عن الوحي معلومات عديدة عن الله جلّ جلالـهُ كتوحيـدهِ وصـفاتهِ العلويَّـة. فـانَّ منهـا مـا يُستدَلُّ عليـهِ بـالوحي أكثـر مـن القيـاس النظـريّ والبرهـان العقلـيّ. فـايُّ فيلسوف مثلاً وصفهُ تعالى كما فعل أميَّة بن أبي الصلت حيث قال :

لك الحمدُ والنَّعْماء والملكُ ربَّنا فلا شيء أعلى منك مجدًا وامجدُ

مليكٌ على عرشِ السماءِ مُهَيْمَنٌ لعزّتـهِ تعنو الوجـوهَ وتسجُدُ
عليهِ حجابُ النور والنورُ حولهُ وانهـارُ نـورٍ حولَـهُ نتوقدُ
مليك السماوات الشدادِ وارضها وليس لشيءٍ عن قضاه تَأوُّد الخ

وهو الوحي قد أنبأهم بوجود الملائكة وأوقفهم على مقامهم وجوهرهم وخدمتهم أمام الله وطبقاتهم فذكروا منهم بأسمائهم جبرائيل وميكائيل ومن طبقاتهم السرافيل ( الساروفيم ) والكروبيَّة ( الكروبيم ) والملائكة الحرَّاس ( راجع الصفحة ١٦٤ ـ ١٦٧ )

وقد أفادهم الوحي تكوين الله للعالم من العدم وإبداعهُ للكائنات جمادها ونباتها وحيوانها ثمَّ خَلْقهُ للأبوين الأوَّلين ووضعهُ لهما في جنَّة عدَن ثم سقوطهما بتجربة ابليس ونفيهما من الفردوس ثم ما جرى لهما ولنسلهما ولاسيَّما بوقوع الطوفان. فكلّ هذه الأمور التي أثبتناها بالنصوص المتعدّدة لم يعرفها العرب الأَّ بواسطة الوحي ( راجع الصفحة ٢٥٤ ـ ٢٦٦ )

ومن الوحي استفاد العرب أيضًا معرفة أمور الآخرة كالنعيم في السماء للأبرار والجحيم في جهنَّم للأشرار وبَعْث الأجساد في آخر العالم. وقد أتينا على كلّ ذلك بشواهد متعدّدة لا تبقي في الأمر ريبًا ( اطلب الصفحة ١٦٣ ـ ١٦٤ و ١٦٧ ـ ١٧٠ )

وممَّا توفَّق العرب إلى معرفتهِ بفضل الوحي سرُّ بشارة الملاك جبرئيل لمريم العذراء وبقاء مريم على بتوليَّتها مع ولادة ابنها. وعرفوا السيِّد المسيح ورسالتهُ إلى العالم وما اتاهُ من المعجزات واختيارهُ لرسلهِ الحواريين ودعوهُ (( بأَبيل الأَبيلينَ المسيح بن مريما )) وانهُ هو الذي سيدين الاحياء والأموات ( ص ١٨٦ ـ ١٩٠ ) وذكروا السابق أمام وجههِ يوحنَّا المعمدان ودعوهُ يحيى

وقد عظَّم عرب الجاهليَّة تعليم المسيح ونعتوا دينهُ بالدين القويم كما قال النابغة عن نصارى غسَّان :

مجلتّهم ذاتُ الإلـه ودينهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وقد عرف العرب كنيسةَ المسيح وما فيها من رؤساء كالبطاركة والأساقفة والقسوس والشمامسة ولاسيَّما الرهبان والنسَّاك ( ص ١٩٠ ـ ٢٠١ )

وكذلك اطَّلعوا على أسرار الكنيسة المعموديَّة والقربان والقدَّاس وعلى أعيادها

كالسبَّار ( البشارة ) والدنح ( الغطاس ) والسباسب ( الشعانين ) والفصح والسلاَّق (الصعود) ( ص ٢٠٨ ـ ٢١٠ ـ ثمَّ ٢١٤ ـ ٢١٨ )

وعرفوا مناسك النصرانيَّة وكنائسها وهياكلها وما تزان بهِ من النقوش والصور وخصوصًا الصليب فخلفوا بهِ كقول عديّ بن زيد :

سعى الأعداءُ لا يألون شرًّا عليك وربِّ مكَّةَ والصليب

وقد حلف الآخر بالقربان ودعاهُ الشَّبَر

الحمد لله الذي أَعطى الشَّبَرْ

ومثلهُ عديّ :

إذ أَتاني خبرٌ من مُنْعمٍ لم أَخُنْهُ والذي أَعطى الشبرْ

وحلف الأعشى بالرهبان الساجدين وبالناقوس فقال :

اني وربّ الساجدين عشيَّة وما صكَّ ناقوسَ النصارى ايلُها
أَصالحكم حتَّى تبؤوا بمثلها كصرخة حُبلى اسلمتها قبيلُها

فهذه كلُّها أدلَّة أوضح من النور تبيّن ما كان للتعاليم اللاهوتيَّة من النفوذ بين نصارى العرب استخلصناها من الشعر الجاهليّ فقط وهي أحسن برهان على نفوذ الآداب النصرانيَّة بينهم

## الفصل العاشر
### الفنون الجميلة بين نصارى العرب

ليس شيء يدلّ على رقيّ الأمم كشيوع الفنون الجميلة بينهم. لأنَّ الجمال كما لا يُخْفى يسبي قلب الإنسان ويجرّدهُ عن الأمور السافلة الدنيَّة ليسمو بهِ إلى عالم العقل فيقرّبهُ إلى مصدر الجمال سبحانهُ وتعالى. ولذلك قد قيل أنَّ الفنون الجميلة هي أثمن درَّة في تاج الحضارة والمدنيَّة

على أنَّ العرب من هذا القبيل قد تخلَّفوا عن بقيَّة الشعوب المتمدّنة كالكلدان والاشوريين والفرس والمصريين واليونان والرومان فلا تكاد تجد لهم أثرًا يذكر في القرون السابقة لتاريخ الميلاد. والسبب في ذلك عيشتهم الفطريَّة البعيدة من الحضارة

وانتقالهم في البوادي انتجاعًا لمراعي الابل والمواشي واشتغالهم بالغزوات والحروب

أما القرون التابعة للسيد المسيح فانَّها لا تخلو من بعض آثار هذه الفنون الجميلة ولا جَرَم أنَّ النصرانيَّة بدخولها في جزيرة العرب ادخلت معها عنايتها الدائمة بترقية دعائم الحضارة ولاسيَّما في الأزمنة التي سبقت قليلاً عهد الإسلام وفي أوائل ظهورهِ كما سترى

وبيانًا لذلك قد عوَّلنا على كتابة فصل في ما نعرفهُ من تأثير النصرانيَّة في ترقية الجمال ونشر أصحابها لأخصّ فنونهِ بين العرب. وأشهر هذه الفنون أربعة : هندسة البناء والتصوير والحفر والموسيقى نفرد لكلّ منها بابًا

## ١ هندسة البناء

البناء أوَّل صنائع العمران البشريْ لأنَّ الإنسان في حاجة إليهِ لاتّقاء عوامل الطبيعة وأَذى العدوّ. على أن البناء لا يُعَدّ من الفنون الجميلة إلاَّ إذا كانت المباني شاهقة البنيان واسعة الارجاء ذات أوضاع هندسيَّة ونقوش فنّيَّة وفقًا لقواعد راهنة تجعلها من الأبنية المعتبرة فمنها قصور الملوك والمعاقل والحصون والهياكل والكنائس وغيرها من الأبنية الدينيَّة والمدنيَّة. وها نحن ندوّن هنا ما يعود فضلهُ إلى النصرانيَّة مباشرةً بالمباني الدينيَّة ثم المدنيَّة

﴿ المباني الدينيَّة ﴾ انَّ ما قدَّمناهُ من الشواهد العديدة في انتشار النصرانيَّة في كلّ أنحاء جزيرة العرب في عهد الجاهليَّة يستلزم توفير الأبنية الدينيَّة والكنائس والأديرة حيثما وُجد النصارى. وربما صرَّح المؤرخون بذكرها دون وصفها فلا يسعنا أن نقطع بهندامها وحسن هندستها. ولا مراءَ انهُ كان بينها الأبنية الفخيمة والهياكل البديعة

فممَّا جاء ذكرهُ من ذلك في اليمن ما رواهُ المؤرخ فليسترجيوس في مطاوي كلامهِ عن قسطنسيوس بن قسطنطين الكبير حيث قال انَّ تاوفيل الهندي الذي كان أوفدهُ هذا الملك إلى الحميريين نحو السنة ٣٥٦ م شيَّد في اليمن ثلاث كنائس في ظفار حاضرة اليمن ثمَّ في عدن وفي هرمز ( راجع الصفحة ٥٦ ـ ٥٧ )

وقد ذكر كنائس اليمن قُرْما الرحَّالة الكاتب اليوناني نحو السنة ٥٣٥ م فقال :

« حيثما سرت تجد كنائس للنصارى وأساقفة وشهداء وسيَّاحًا حتى بين أهل عربيَّة السعيدة الذين يُدْعَوْن بالحميريين كما في كلّ العرب أيضًا » ( راجع الصفحة ٦٥ )

وقد خصَّ كتبة العرب فصولاً من تواريخهم في وصف كنيسة صنعاء اليمن التي شيَّدها أَبْرهة بعد فتح الحبش لليمن وهم يدعونها بالقُلَّيْس اشتقُّوها من لفظة Εκκλησία اليونانيَّة وتعريبها الكنيسة. وقد روينا في مجاني الأدب ( ٣ : ٣٠٢ ) بعض أوصافهم. راجع معجم البلدان لياقوت ( في مادَّة قليس ٤ : ١٧٠ ) وتاريخ الطبري ( ١ : ٩٣٤ ـ ٩٣٥ ) وتاريخ الشيخ صالح الأرمني ( طبعة اوكسفرد ص ١٣٩ ). وأقدمُ من كلّ هؤلاء صاحب « أخبار مكَّة » أبو الوليد محمَّد بن عبد الله الأزرقي من كتبة القرن الثالث للهجرة والعاشر للمسيح ( طبعة ليبسيك ٨٨ ـ ٩٠ ) وهذا بعض ما رواهُ قال :

« كان القُليس مربَّعًا مستوي التربيع جعل ( ابرهة ) طولهُ في السماء ٦٠ ذراعًا وكَبْسهُ من داخلهِ ١٠ اذرع في السماء وكان يُصعَد إليهِ بدرج الرخام وحولهُ سورٌ بينهُ وبين القليس مائتا ذراع يطيف بهِ من كلّ جانب وجعل بين ذلك كلّهِ حجارة يسمّيها أهل اليمن الجروب منقوشة مطابقة لا يدخل بين أطباقها الابرة مطبَّقة بهِ. وجعل طول ما بنى بهِ من الجروب ٢٠ ذراعًا في السماء ثمَّ فصل ما بين حجارة الجروب بحجارة مثلَّثة تشبه الشُّرَف مداخَلة بعضها ببعض حجرًا أخضر وحجرًا أحمر وحجرًا أبيض وحجرًا أصفر وحجرًا أسود وفيما بين كلّ سافيْن خشب سَاسَم مدوَّر الرأس غِلَظُ الخشبة حَضَنُ الرجل ناتئَة على البناء ... ثمَّ فصل بافْريز من رخام منقوش طولهُ في السماء ذراعان وكان الرخام ناتئًا على البناء ذراعًا. ثمَّ فصل فوق الرخام بحجارة سود لها بَريق من حجارة نُقِّم جبل صنعاء المشرف عليها ثمَّ وضع فوقها حجارة صفر ثم حجارة بيض لهما بريق. فكان هذا ظاهرَ حائط القليس وكان عرض حائط القليس ستة أَذرع ... وكان لهُ باب من نحاس ١٠ أذرع طولاً في ٤ عرضًا وكان المدخل منهُ إلى بيت في جوفهِ طولهُ ٨٠ ذراعًا في ٤٠ ذراعًا معلق ( ؟ ) العمل بالساج المنقوش ومسامير الذهب والفضَّة. ثمَّ يُدخل من البيت إلى ايوان طولهُ ٤٠ ذراعًا عن يمينهِ وعن يسارهِ وعقودُهُ مضروبة بالفسيفساء مشجَّرة بين أضعافها كواكبُ الذهب ظاهرة. ثمَّ يُدخل من الايوان إلى قبَّة ٣٠ ذراعًا في ٣٠ ذراعًا جُدُرُها بالفسيفساء وفيها صلُب منقوشة بالفسيفساء والذهب والفضَّة وفيها رخامة ممَّا يلي مطلع الشمس من البَلَق مربَّعة ١٠ أذرع في ١٠ تُغشى عينُ مَن نظر إليها من بطن القبَّة تؤدي ضوءَ الشمس والقمر إلى داخل القبَّة. وكان تحت الرخامة منبر من خشب اللَّبْخ وهو عندهم الابنوس مفصَّل بالعاج الأبيض ودرج المنبر من خشب الساج ملبَّسة ذهبًا وفضَّة وكان في القبَّة سلاسل فضَّة .... »

ثمَّ ذكر ما حلّ بهذه الكنيسة بعد الهجرة وكيف هدمها أبو جعفر المنصور ثاني

خلفاء بني عبَّاس باغراء أحد أبناء الوهب بن المنبّه وبعض يهود صنعاء

وقد ذكر أبو صالح الأرمنيّ في تاريخهِ ( ص ١٤٠ من طبعة اوكسفرد ) كنيسةً أُخرى في بلاد اليمن دعاها « مَرُور الدير » قال انهُ كان عليها حصن منيع وتسمى في زمانهِ بمقبرة الحكماء

وممَّا رواهُ السيَّاح المحدثون انَّ جامع صنعاء الباقي إلى اليوم كان في سابق الزمان كنيسةً حوَّلها المسلمون إلى جامعٍ. وكذلك روى الرحَّالة الألماني الشهير غلازر (Glaser : *Skizze*, I : 15.37) انهُ دخل سنة ١٨٨٦ مسجدًا يدعى مسجد نُجَيْم بريم قريبًا من ظفار حاضرة اليمن سابقًا فوجد في أبنيتهِ وعمدهِ وجدرانهِ آثارًا نصرانيَّة ونقوشًا تدلُّ على أنهُ كان سابقًا كنيسة مسيحيَّة

وقد اشتهرت في تاريخ النصرانيَّة مدينة نجران التي استشهد أهلها في عهد ذي نواس ( راجع ص ٥٩ ـ ٦١ ) فلمَّا عاد إليها السلام ورجعت النصرانيَّة إلى رونقها بُني فيها كنيسة كبيرة عرفها العرب بكعبة نجران فورد ذكرها في شعر الأعشى حيث انشد يخاطب ناقتهُ :

فكعبةُ نجرانَ حتمٌ عليكِ حتَّى تُناخَي بابوابها
نزور يزيد وعبد المسيح وقيسًا همو خيرُ أربابها

فمدح الأعشى هنا بني عبد المدان الحارثيين سادة نجران النصارى. قال أبو الفرج الاصفهاني ( الأغاني ١٠ : ١٤٢ ) : « والكعبة التي عناها الأعشى ها هنا يقال انّها بيعةٌ بناها بنو عبد المدان على بناء الكعبة وعظموها مضاهاةً للكعبة وسمَّوها كعبة نجران وكان اذا نزل بها مستجير أُجير أو خائف أُمن أو طالب حاجة قُضيت أو مسترفد أُعطي ما يريدهُ »

***

وان عدلنا بالنظر عن اليمن إلى العراق وجدنا هندسة البناء الدينيَّة رائجة فيهِ أيّ رواج لنمو النصرانيَّة بين أهلهِ واتساع نطاقها في كلّ انحائه. فهناك شاعت الطرائق الرهبانيَّة شيوعها في أرض الصعيد. هناك توفَّرت المناسك والأديرة التي بلغ عدد المترهّبين في بعضها المئات بل بضعة الوف. وقد عدَّدنا في ما سبق اسماء كثير من هذه الأديرة التي عُني بتشييدها الملوك وأعيان الدولة كدير اللجّ الذي بناهُ

النعمان بن المنذر أبو قابوس. قال ياقوت : « ولم يكن في ديارات الحيرة أحسن بناءً منهُ » ودير الأعور المنسوب إلى النعام الذي تنصَّر وزهد بالدنيا. ودير الجَرَعة المنسوب إلى عبد المسيح بن بُقَيِّلة الغساني. ودير هند الكبرى بنَتْهُ أمّ عمرو بن هند « أَمة المسيح وامّ عبدهِ وبنت عبيدهِ » ( ياقوت ٢ : ٧٠٩ ) ودير هند الصغرى. ودير حنظلة. وغيرها كثير ( راجع القسم الأوَّل ص ٨٢ ـ ٨٦ ). ولا شكّ أنَّ بُناة هذه الأديرة لم يدّخروا وسعًا في حسن بنائها واتقان هندستها إذ كانوا من أصحاب الثروة والتقى معًا. وفي بعض بقاياها إلى اليوم ما يدلُّ على عظم شأنها. وهكذا يقال عن الكنائس فانَّها كانت غالبًا هياكل واسعة الأرجاء شاهقة البنيان ذات أسواقٍ متعدّدة جامعة بين متانة البنيان وحسن الشكل وقد بقي في الشعر القديم عدَّة أقوال لفحولِ الشعراء وصفوا فيها كنائس النصارى وهياكلها ومحاربيها وصلبانها وما تزان بهِ من النقوش ( راجع الصفحة ٢٠١ ـ ٢١٠ ) وقد خصّ الهَمْدانيّ بالذكر في كتابهِ جزيرة العرب « كنيسة الباعونة في الحيرة » . وبعض هذه الكنائس في العراق باقية إلى اليوم فأخذ الأثريُّون يدرسون هندستها ويبيّنون خواصَّها منهم تلك الآنسة الشهيرة الانكليزية المسّ بل ( Miss Bell ) التي وضعت كتابًا ضخمًا في وصف كنائس ما بين النهرين التي سبق عهد البعض منها عهد الإسلام فترتقي إلى القرن الرابع والخامس والسادس للمسيح وأثبتت صور كثيرٍ منها

وإن اقتربنا في جزيرة العرب إلى بادية الشام ومملكة بني غسَّان وجدنا فيها من المباني الدينيَّة ما يُقضى منهُ العجب. وقد أثبتنا في الصفحات السابقة ( راجع الصفحة ٣٠ ) ما رواهُ مؤرخو العرب عن ملوك غسَّان الأوَّلين وما بنوهُ من الأديرة كدير أيُّوب ودير حالي ودير هند ودير ضخم ودير النبعة ودير بصرى ودير سعد. ومن هذه الأديرة ما بقي عامرًا بعد الإسلام والى اليوم يُطلق اسم الدير على بعض جهات الصفا وحوران كدير الكهف ودير قنّ

وقد اختلط بنو غسَّان في منازلهم شرقي الشام وفي جنوبها الشرقيّ بالرومان واليونان النصارى فجاروهم في حضارتهم وتعلَّموا منهم هندسة البناء فشيَّدوا مثلهم البيعة والكنائس التي يُرى بعضها حتَّى اليوم في جهات حوران والصفا واللجا وجولان وفي عبر الاردن وبلقاء ( راجع الصفحة ٣٣ ) وهي من البنايات الفخيمة وعليها الرموز

النصرانيَّة والكتابات اليونانيَّة واللاتينيَّة. وعلى أثرٍ منها كتابةٌ عربيَّة وجدت في حرَّان سبقت الهجرة بأربع وخمسين سنة كُتبت على « مرتول » أي مشهد القديس يوحنَّا المعمدان الذي شيَّدهُ أحد شيوخ القبائل العربيَّة المدعوّ شراحيل ( ص ٣٤ )

وترى مثل هذه الأبنية الدينيَّة في الجزيرة وديار ربيعة وديار بكر وشمالي سوريَّة قد أشرنا إليها سابقًا ( ص ٩٣ ـ ١٠٦ ) فان كتبة العرب وشعراء الجاهليَّة قد ذكروا نحو خمسين ديرًا منها نعتوا بعضها بأجمل النعوت كقول ياقوت في معجم البلدان عن دير الرصافة ( ٢ : ٥٦٠ ) انهُ « من عجائب الدنيا حسنًا وعمارة » . وفي زَبَد شمالي سوريَّة أُقيم سنة ٥١٢ للمسيح مشهدٌ لذكر القديس الشهيد سرجيوس عليهِ أوَّل أثر من الخطّ العربيّ في تلك السنة ( ص ١٠٣ ـ ١٠٤ )

ولم تخلُ أواسط جزيرة العرب كنجد والحجاز واليمامة من الأبنيةُ النصرانيَّة كالأديرة والبيع والصوامع ( اطلب الفصل العاشر من القسم الأوَّل ص ١٠٦ ـ ١٢٣ ) وهناك كانت قبائل نصرانيَّة كطيء وتميم التي افتخر خطباؤها لمَّا وفدوا على نبيّ الإسلاَّم بتشييدهم للكنائس فقال الزبرقان :

نحن الكرامُ ولا حيٌّ يعادلنا  منَّا الملوك وفينا تُنْصَبُ البيَعُ

ثمَّ ورد في كتاب الوفادات لابن سعد ذكر كنيسة بني حنيفة وراهبها ( ص ١٢٩ ـ ١٣٠ ). وقد وُجد أيضًا في الحجاز ونجد أديرة للنصارى في الجاهليَّة كدير خِنْدف ودير غطفان وغير ذلك ممَّا مرَّ وصفهُ وقد ذكر الطبري في تاريخهِ ( ١ : ٣٠٤٧ ) دير سَلْع قُرب المدينة المنوَّرة يثرب وفيهِ دُفن الخليفة الثالث عثمان بن عفَّان.

وما قولنا بالأبنية الجليلة التي امر ببنائها الملك يستنيان في طور سينا ذكرًا لتجلّي الرب فيهِ لبني إسرائيل واكرامًا للقديسة كاترينا الشهيدة وهذه الأبنية تشهد إلى اليوم على براعة مهندسيها

***

وممَّا يدخل في هذا الباب ما بناهُ النصارى من الأبنية الدينيَّة لغير ملَّتهم فمن ذلك بناء الكعبة نحو السنة ٦٠٥ للميلاد تولَّى بناءَها روميٌّ اسمهُ باقوم مع رَجُل قبطيّ كما روى النهروانيّ في كتاب إِعلام الأَعلام ببيت الله الحرام ( ص ٤٩ ـ ٥٠ ) قال :

« انَّ امرأَة جمَّرت الكعبة بالبَخُور فطارت شرارة من مجمرتها في ثياب الكعبة فاحترق أكثر اخشابها ودخلها سيْل عظيم فصدع جدرانها بعد توهينها فأَرادوا أن يشدُّوا بنيانها ويرفعوا

بابها حتَّى لا يدخلها الاَّ مَن شاؤوا وكان البحر قد رمى بسفينةٍ إلى ساحل جُدَّة لتاجر رومي اسمهُ باقوم وكان بنَّاءً نجَّارًا فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش إلى جُدَّة فابتاعوا خشب السفينة وكلَّموا باقوم الروميّ أن يقدم معهم إلى مكة فقدم إليها وأخذوا أخشاب السفينة أَعدُّوها لسقف الكعبة المشرفة. قال الأموي : كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم يحمل فيها الرخام والخشب والحديد مع باقوم إلى الكنيسة التي أحرقها الفرس بالحبشة. فلمَّا بلغت قريب مرسى جُدَّة بعث الله عليها ريحاً فحطَّمتها... قال ابن اسحاق وكان بمكة قبطيّ يعرف نَجْر الخشب وتسويتهُ فوافقهم أن يعمل لهم سقف الكعبة ويساعدهُ باقوم (١ ))

وليست هذه المرَّة الوحيدة التي عمَّر النصارى ما خرب من الكعبة. اخبر الازقي في اخبار مكَّة ( ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦ ) انهُ وقع سيل جُحاف في سنة ثمانين ( ٧٠٠ م ) في خلافة عبد الملك بن مروان دخل المسجد واحاط بالكعبة فكُتِب في ذلك إلى عبد الملك فبعث بمال عظيم وكتب إلى عاملهِ على مكَّة لاصلاح ما خرب قال : (( وبعث رجلاً نصرانيًّا مهندسًا في عمل ضفاير المسجد الحرام وضفاير الدور في جنبتي الوادي فامر بالصخر العظام فنُقلت على العجل وحفر الأرباض دون دور الناس فبناها واحكمها من المال الذي بعث بهِ ))

وكذلك جرى في عهد الولي بن الملك فانَّهُ أراد توسيع المسجد الحرام وزخرفتهُ فاستقدم لذلك مهندسين نصارى. قال ياقوت في معجم البلدان ( ٤ : ٤٦٦ ) : (( في أيَّام الوليد استقدم من ملك الروم أربعين روميًّا وأربعين قبطيًّا ليعمروا المسجد فعمَّروه سنة ٨٧ ـ ٨٨ (٧٠٩ ـ ٧١٠ م) مائتي ذراع )) . قال الأزرقي ( ص ٢٠٩ ) : (( وهو ( أي الوليد ) أوَّل من نقل إلى المسجد الحرام أساطين الرخام .. وسقَّفهُ بالساج المزخرف وجعل على رؤوس الأساطين الذهب على صفائح الشَّبَه من الصفر وازَّر المسجد بالرخام من داخلهِ وجعل في وجه الطيقان في أعلاها الفسيفساء )) . فكل هذه الأعمال قام بها عملة النصارى

وما صنعهُ النصارى في الكعبة والمسجد الحرام في مكَّة قاموا بهِ أيضًا في المدينة في مسجد النبيّ لمَّا أراد الوليد أن يجدّد بناءَهُ. قال الطبريّ ( ٢ : ١١٩٤ ) في تاريخ سنة ٨٨ هـ ( ٧٠٩ م ) :

(( بعث الوليد بن عبد الملك إلى صاحب الروم يعلمهُ بانهُ امر بهدم مسجد رسول الله صلعم وان

---

١) راجع أيضًا كتاب اخبار مكَّة للزرقي ( ص ١٠٤ ـ ١١٠ )

يعينَهُ فيهِ فبعث إليهِ بمائة ألف مثقال ذهب وبعث إليهِ بمائة عامل وبعث إليهِ من الفسيفساء بأربعين حملاً وامر بأن يتتبَّع الفسيفساء في المدائن التي خربت فبعث بها إلى الوليد فبعث الوليد بذلك إلى عمر بن عبد العزيز.. وفيه ابتدأ عمر بن عبد العزيز ببناء المسجد »

ومثلهُ أيضًا مسجد دمشق المعروف بالجامع الأمويّ الذي خلف كنيسة مار يوحنَّا بعد الفتح الإسلاميّ. فانَّ الوليد إذا أراد تجديد عمارته التجأ أيضًا إلى ملك الروم ليوجّه إليهِ مائة صانع كما روى ابن عساكر في تاريخ دمشق ( ١ : ٢٠٢ ). فاجتهدوا في بنيانهِ وتزويقهِ وزخرفتهِ حتَّى عُدَّ مع كنيسة الرها ومنارة الاسكندريَّة من جملة عجائب الدنيا. وقد ذكرنا في المشرق ( ١٤ [١٩١١] : ٦٣٩ ) أعمال الفسيفساء الراقية إلى عهد بنائها التي ظهرت قبل بضع سنين في مصلَّب الجامع وقناطره وكواه بعد تنظيفها من سخام حريق تيمورلنك ومن الملاط والكلس فلاحت بزهو ألوانها العجيبة ومحاسنها الباهرة وتفنُّن مهندسيها النصاري في النقش وتصوير مجالي الطبيعة من زهور وأشجار واثمار وصروح وقصور. وكلّ يعلِّم أن ترميم الجامع الأموي وتجديد زخارفهِ القديمة تولاَّها في الحقبة الأخيرة المهندس أَبيري النصراني

ومن رأى المسجد الأقصى في بيت المقدس ودرس هندستهُ لا يلبث ان ينسب أيضًا بناءَهُ إلى صَنَعة من الروم الذين انتدبهم إلى تشييدهِ الخليفة عبد الملك بن مروان. وبأَمرهِ قُلعت قبَّة كانت للنصارى في كنيسة مدينة بعلبك وهي من نحاس مطليّ بالذهب فنصبها على صخرة هيكل سليمان ( تاريخ ابن البطريق ٢ : ٤٢ ). وقال ابن خلدون في مقدَّمتهِ « انَّ عُمَر لمَّا حضر لفتح بيت المقدس وكشف عن الصخرة بنى عليها مسجدًا على طريق البداوة ثم احتفل الوليد بن عبد الملك في تشييد مسجدهِ على سنن مساجد الإسلام ... والزم ملك الروم أن يبعث الفعلة والمال لبناء هذه المساجد وان ينمّقوها بالفسيفساء فاطاع لذلك وتمَّ بناؤها على ما اقترحهُ »

ولما ابتنى عمرو في جهات منف جامع الفسطاط وكلَ بتشييدهِ إلى النصارى وروى المقريزي في الخطط ( ٤ : ١٢٤ من الطبعة الجديدة ) « انَّ بعض عمدهِ أو أكثرها ورخامه من كنائس الاسكندريَّة وأرياف مصر » وكذا قال عن جامع الجيزة

فيثبت من هذه الشواهد كلّها شيوع الهندسة النصرانيَّة في كلّ انحاء جزيرة العرب قبل الإسلام ونسبة كل الأبنية الإسلاميَّة الأولى إليها

وقد استبان علماء المستشرقين في عهدنا تأثير الهندسة النصرانيَّة في أبنية الإسلام الدينيَّة. فانَّ المسلمين عند الفتح العربيّ لم يحوّلوا فقط كنائس النصارى إلى جوامع ومساجد كما يتَّفق عليهِ المؤرخون لكنَّهم تقلَّدوا أيضًا هندسة البيع المسيحيَّة فانهم إذ كانوا يجهلون فنَّ البناء كما قال ابن خلدون التجأُوا في الشام والعراق ومصر والأندلس إلى مهندسين وطنيّين مسيحيين كان البعض منهم دانوا بالإسلام فهؤلاء جروا في تشييد مقامات الإسلام الدينيَّة على ما اعتادوهُ في أوطانهم وقد درس الاختصاصيُّون بقايا تلك الأبنية فقابلوا بين كلّ أقسامها وأقسام الكنائس الوطنيَّة فاثبتوا العلاقة التامَّة بينهما حتَّى في أخصّ مميِّزات الجوامع كالقبلة والمحراب والمنبر والمأذنة والحرم فانَّ كلّ ذلك منقول دون فرقٍ يُذكر عن المباني النصرانيَّة التي وجدها العرب في فتوحاتهم. وقد بيّن ذلك العلاَّمة جيرو دي پرانجه (Giraud de Prangey) في كتابين ممتِّعين خصَّهما بأبنية العرب في الأندلس وصقلّية ومرَّاكش ( اطلب الجرنال الاسيوي J.As. 1842[a], 336 – 357 ) والمستشرق الاختصاصي ڤان بركم (Max Van Berchem) في مقالة بديعة نشرها هناك ( J. As. 1891[a], 411 – 495; ) وفي كتاب الصناعة العربيَّة للمهندس غايهْ ( A. Gayet *: L'Art arabe* ) وغيرهم فكلُّهم لسان واحد في إثبات شبه مباني الإسلام الدينيَّة بالكنائس النصرانيَّة في ذلك العهد. فمنها ما يشبه الطرز القبطيّ ومنها ما هو أشبه بالطرز البوزنطي أو الطرز السوريّ على اختلاف الصَّنعة والبنَّائين النصارى الذين كانوا ملتزمين العمل بحيث لا يجوز انَّ يُدعى بناؤها بهندسة عربيَّة البتَّة (١ . فشتَّان بين قولهم ورأي بعض المتهوّسين كالمسيو سيديليو والمسيو غوستاف لوبون الذين بخسوا حقوق اليقين ونسبوا إلى العرب ما كان للذمّيّين

---

١) ودونك ما كتبهُ المسيو غابه في فاتحة كتابهِ L'Art arabe

C'est à regret qu'en tête de ce livre je me suis vu contraint d'inscrire ce titre consacré par l'usage « *l'Art arabe* » … si jamais titre fut vide sens, voire même en opposition absolue avec la chose qu'il définit, c'est assurément celui-là. L'Arabe n'a jamais été artiste…

﴿ الهندسة المدنيَّة ﴾ قد اتّسعنا في ذكر الهندسة النصرانيَّة الدينيَّة في عهد الجاهليَّة وأوائل الإسلام بين العرب. وفي جزيرتهم أيضًا أبنية غيرها مدنيَّة كالقصور والحصون وغير ذلك ممَّا يشيّدهُ الملوك والذوات لاغراضهم الخاصَّة أو لشؤون مملكتهم. وهذه الآثار كثيرة في كلّ أنحاء العرب ولاسيَّما في ممالكها الثلث أي التبابعة في اليمن والمناذرة في العراق والغساسنة في الشام وردَ شيء من ذكرها في الشعر الجاهليّ والتقليد القديم وكشف على بعضها أصحاب الرحل إلى جزيرة العرب في الحقبة الأخيرة. فهذه المباني لا يُعْرَف لها غالبًا تاريخ ولم تُذكر أسماء بُناتها ولا جرم انَّ للنصارى في قسم منها نصيبًا صالحًا

وان باشرنا بالعراق وشمالي الجزيرة وجدنا في شعر الأسود بن يَعْفر بعض قصور لآل محرّق ولبني إياد فقال :

ماذا اؤمل بعد آل محرّقِ تركوا منازلهم وبعد إيادِ
أهل الخَوَرْنق والسدير وبارقِ والقصر ذي الشُّرفات من سِنمارِ

فهذه القصور بُنيت لملوك نصارى وقد تولَّى بناءَها مهندسون نصارى ذكروا أحدهم وهو رجل روميّ يقال لهُ سِنِمَّار بنى الخورنق للنعمان الكبير ( ياقوت ٢ : ٤٩١ )

وقد اطرأ العرب محاسن الخَوَرْنق دون أن يدقّقوا في وصف بنائهِ. ولعلَّهُ هو القصر الذي زارهُ المستشرق البارع لويس ماسينيون سنة ١٩٠٨ المعروف بقصر الأُخَيْضر وأَلْفتَ إليهِ نظر العلماء في جمعيَّة الكتابات والفنون سنة ١٩٠٩ ثمَّ زارتهُ الآنسة الانكليزيَّة مسْ بَلْ سنة ١٩١٠ واحسنت وصفهُ في كتابها المدعو ( Amurath to Amurath ) واثبتت صورهُ ( ص ١٤٧ ـ ١٥٨ ) وهو بناء عظيم ذو طابقين تدلُّ بقاياهُ الجليلة على عظم شأنهِ امَّا اسمهُ الاخَيْضر فقد اختلفوا في أصلهِ ولعلّ أصحَّ ما قيل في ذلك انهُ تصحيف الأُكَيْدِر صاحب دومة الجَنْدَل النصرانيّ الذي مرَّ لنا ذكرهُ ( ج ١ ص ١٠٨ ). وقد جاء هناك عن البلاذريّ ان عمر بن الخطَّاب نفاهُ من وطنهِ لمخالفتهِ دين الإسلام فنزل موضعًا قرب عين تمر في جهات العراق وبنى بهِ منازل سمَّاها دومة باسم حصنهِ ( راجع مجلَّة لغة العرب ٢ : ٤٧ )

وممَّا ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان ( ٤ : ١١٦ ) من الأبنية النصرانيَّة المدنيَّة قصر العَدَسيِّين قال « انهُ في طرف الحيرة لبني عمَّار بن عبد المسيح نُسبوا إلى جدتهم

عدَسة بنت مالك بن عوف الكلبيّ ))

ولا نشكُّ في أنَّ النصارى هم الذين شيَّدوا للخلفاء وامراء العراق مبانيهم. فانَّ الألمانيين ارباب الحفريَّات في سامرَّا وجدوا بين أنقاضها صورًا وتماثيل أشخاصٍ بألوانها مع رسوم هندسيَّة متنوعة وصلبان كثيرة موقعة باسم شمَّاس نسطوريّ بارع بالتصوير ورد اسمهُ على صورة الاسم الكلدانيّ (( مسمس )) ( ﻣﻌﻤﻌﻨﻪ )

وقد أفادنا ياقوت الروميّ ( ٤ : ٤١٣ ) انَّ قصر الخليفة المتوكل المعروف بالجعفري الجامع لكل محاسن البناء كان بانيهِ دليل بن يعقوب النصرانيّ كاتب بغا الشرابيّ

وممَّا وقف عليهِ الأثريُّون والسيَّاح في أيَّامنا من الأبنية الجليلة والآثار البديعة في جهات العرب في أنحاء مؤاب غربيّ وادي سرحان عدّة قصور فخيمة ومعاقل جليلة سبق لنا ذكرها في المشرق غير مرَّة ( ١ [١٨٩٨] : ٤٨١ و ٦٣١ ثم ٤ [١٩٠١] : ٧٦٥ ـ ٧٦٦ الخ ) كالمُشتَّى وقُصَيْر عَمْرة وطوبة وفيها من الآثار الهندسيَّة ومن التصاوير وتمثيل أحوال البادية كالصيد والغزوات والمآدب والصنائع ما انذهل العلماء لوجودهِ في البراري. واتَّسعت مذ ذاك الحين مجلاَّت العلماء ولاسيَّما تاليف المستشرقين في وصفها والبحث عن بُناتها ومصوّريها. واليوم قد رجَّح العلماء انَّ هذه الأبنية من عهد الوليد بن يزيد الخليفة الأمويّ. وكان يفضِّل العيش في البادية على المدن. فصرف القناطير المقنطرة لبناء تلك الآثار لسكناهُ وسكنى جنودهِ وحاشيتهِ. امَّا مهندسو هذه القصور فكانوا أيضًا من نصارى الشام ومصر والجزيرة وقد نسبها العلماء أوَّلاً إلى بعض ملوك العجم ثمَّ إلى بني غسَّان أو إلى بني لخم حتَّى رجَّحوا آخرًا كونها للوليد بناها لهُ النصارى الوطنيُّون. وفي هندسة هذه القصور ما استدلُّوا بهِ على بلادهم المختلفة فكأن كلّ فريقٍ منهم تتبَّع طريقتهُ الهندسيَّة التي اعتادها في موطنهِ. وقد وقف حضرة الاب هنري لامنس في تاريخ بطاركة مصر لساويروس بن المقفَّع على ما يؤيّد نسبة هذه البنايات في بَوادي العرب للوليد. قال ابن المقفع ما حرفُهُ :

(( وضبط المُلك ( بعد هشام ) الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان جنسهُ يبغضهُ فبدأ يبني مدينة على اسمهِ في البرّيَّة وجعل انسانًا عليها وكان الماء بعيدًا منها خمسة عشر ميلاً وجمع الناس من كلّ موضع وبنى فيها بيد قويَّة ومن كثرة الناس كان يموت كلّ يوم فيها جماعة من قلَّة الماء

وكان يحمل لها الماء الف ومائتا جمل وما يكفيهم كلّ يوم وكانوا الجمال فرقتين ٦٠٠ تحمل يومًا و ٦٠٠ تحمل يومًا فوثب عليهِ رجل اسمهُ ابراهيم ( ١ فقتلهُ واخذ الملك منهُ واطلق الاسارى فمضى كلّ منهم إلى موضعهِ »

ولو تتبَّعنا بعد هذا المآثر البنائيَّة العربيَّة في شمالي الشام وفي باديتها وما وراء الاردن وفي الحجاز واليمن وفي مصر لوجدنا آثار الهندسة المدنيَّة النصرانيَّة في كثير منها غير أن هذه الفنون الهندسيَّة لم يُحْكم العلماء درسها ليتحقَّقوا أصلها ودقائق صُنْعها وفي القليل ممَّا ذكرناهُ دَليل كافٍ لإثبات قولنا بانَّ للنصارى أكبر فضل في البناء العربيّ الدينيّ والمدني معًا

## ٢ و ٣ التصوير والنحت

يظهر الجمال في البناء بحسن رسمهِ وبراعة هندستهِ وانتقاء موادّهِ ووحدة أَقسامهِ واتقان نظامه. أمَّا في فنَّي التصوير والنَّحت فانّ الجمال يلوح بتمثيلهما لمواليد الطبيعة الثلثة جمادها ونباتها وحيوانها فيخرجها المصوّر بهيئَاتها وألوانها وملامحها وعواطفها فيكاد يحييها بقلمهِ الساحر. ويجسّمها النحّات فيظهرها بنتؤاتها وتداويرها الطبيعيَّة فيُحكم صورة وجدانها كأنها لا ينقصها سوى الحركة والنطق

وكما شاع بين نصارى العرب في الجاهليَّة فنّ هندسة البناء كذلك استخدموا فنَّي التصوير والنَّحت. وأوَّل شاهد يمكن الاستدلال بهِ ما ورد في الشعر الجاهليّ من ذكر الصور والدُّمى والتماثيل في بيَع النصارى واديرتهم فأُعجبوا بجمالها ونقوشها البديعة حتَّى ضربوا به المثل في الجمال فقالوا ( الميداني ١ : ٣٠٠ ) : « أحسن من دمية » . وقال عديّ بن زيد (شعراء النصرانيَّة ص ٤٥٥) :

كَدُمى العاجِ في المَحاريبِ أَو كَال م بَيضِ في الرَوضِ زَهرُهُ مُستَنيرُ

وقال عبد الله بن عَجْلان ( الأغاني ١٩ : ١٠٢ )

غرَّاءُ مثل الهلال صورتُها ومثلُ تمثالِ بيعة الذَّهبِ

وقال الأحوص ( الأغاني ٤ : ٤٩ والشريشي ١ : ٢٩١ ) :

---

١) والصواب ان الوليد قُتل في محاربة يزيد الثالث ابن عمهِ قتلهُ بعد انتصارهِ عليهِ ولم يطل زمن ملك يزيد ثم ملك بعده ابراهيم المذكور هنا

كأنَّ لِبْنَى صبيرُ غاديةٍ أو دُمْيةٌ زُيِّنت بها البيَعُ

ومثلهُ للأخطل ( ديوانهُ ص ١٢ ) :
حُلْيٌ يشبُّ بياضَ النَّحْر واقذُهُكما تُصَوَّرُ في الدَّير التماثيلُ

وقال عُمَر بن أبي ربيعة ( الكامل للمبرد ص ٣٧٠ ) :
دميةٌ عند راهبٍ ذي اجتهادٍ صوَّروها في جانب المحرابِ

وقال أميَّة بن أبي عائذ ( ديوان الهذيليّين ص ١٧٧ ) :
أو دُمْيةُ المِحْراب قد لعَبتْ بها أيدي البُناةِ بزُخْرفِ الإِتْراصِ

وقال الأعشى ( لسان العرب ٦ : ١٤٤ ) وبنَى فعلَيْن من لفظ الصلبان والصُّوَر :
وما أَبْيُلِيٌّ على هيكلٍ بناهُ وصلَّب فيهِ وصارا

ومن العجب انَّ بعض الشعراء إذ رأوا هذه التماثيل في كنائس النصارى دعوها أصنامًا وأوثانًا. قال أبو قطيفة ( معجم البلدان لياقوت ٣ : ٦٦١ ) :
ولَحَيٌّ بين العُرَيْضِ وسَلْع حيث أرْسى اوتـادَهُ الإِسلامُ
كان أشهى إليّ قربُ جَوارٍ من نصارى في دورها الأصنامُ

وروى في المفضليَّات ( ed. Lyall ص ٥٤٩ ) :
يطوفُ العُفاةُ بأبوابهِ كطَوْف النصارى ببيت الوَثَن

قالوا : أراد بالوثن الصليب. وكانوا ينصبونهُ في وسط الكنائس. وقال بشر بن أبي خازم يمدح بني الحدَّاء النصارى ( البيان للجاحظ ٢ : ٧١ ) :
لله درُّ بني حدَّاءَ من نَفَرٍ وكلُّ جارٍ على جيرانهِ كَلِبُ
إذا غدوْا وعِصيُّ الطلح أرجلهم كما تُنَصَّبُ وَسْط البيعةِ الصُّلُبُ

فهذه الشواهد وغيرها مثلها تدلُّ كلُّها على شيوع فنّ التصوير ونحت التماثيل بين نصارى العرب. قال صاحب تاج العروس ( ٨ : ١١١ ) : « التمثال الشيء المصنوع مشبّهًا بخَلْق من خلق الله عزَّ وجلّ ... والتماثيل هي صور الأنبياء وكان التمثيل مباحًا في ذلك الوقت .. »

وممَّا تكرَّر ذكرهُ في الشعر الجاهليّ نقش النصارى لكتبهم الدينيَّة كقول رؤبة ( ديوانهُ ص ١٤٩ ) :

انجيلُ أَحبارٍ وحَى مُنَمْنِمُهْ ما خطّ فيهِ بالمداد قَلَمُهْ

وكقول المرقّش يصف رسوم الدار :

الدارُ قفرٌ والرسومُ كما رقَّش في ظهر الأديم قَلَمْ

وقال في المفضَّليات ( ص ٦٩٨ ) :

كتابُ مُحبِّرٍ هاجٍ بصيرٍ يُنَمِّقُهُ وحَاذرَ أن يُباعَا

وقد ورد في تواريخ العرب القديمة ذكر آثار دينيَّة من النحت والتصوير عُني بها النصارى في أنحاء الجزيرة. فمن ذلك ما رويناهُ سابقًا ( ص ٣٣٤ ) عن نقوش وتصاوير القُلَيس التي زان بها أبرهة تلك الكنيسة الشهيرة. وقد ذكر بعضهم تماثيلها فعدَّها لجهله أصنامًا ( اطلب في معجم البلدان وصف القُليس وما قال هناك عن كُعَيْت ٤ : ١٧٢ )

وما قيل عن كنيسة صنعاء يصحّ عن بيعة نجران المعروفة بكعبة نجران التي عُني ببنائها بنو عبد المدان فإن قدماء الكتبة يشيدون بمحاسنها ولعلّ صورها أتى بها الحبشة بعد محاربتهم لذي نوَاس وفتحهم نجران فانَّ الحبش كانوا يحسنون التصوير. وفي الحديث الاسلامي انَّ بعض نساء محمَّد اللواتي كنَّ هاجَرْنَ إلى أرض الحبشة ذكرنَ أمامهُ حسن كنيسة مارية هناك وتصاويرها. فقال لهنَّ محمَّد وهو في مرض الموت : « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبرهِ مسجدًا ثمَّ صوَّروا فيهِ تلك الصور » ( اطلب البخاريّ في باب المساجد )

وقد ورد في معجم البلدان لياقوت ( ٢ : ٧٠٢ ) ذكر كعبة نجران وصورها مع شهادةٍ لعموم نصارى العرب باتّخاذ الصور في كنائسهم. قال في وصف دير نجران :

« موضع باليمن لآل عبد المدان بن الديَّان من بني الحارث بن كعب ... بنَوهُ مربَّعًا مستوي الأضلاع والأقطار مرتفعًا عن الأرضُ يُصْعَد إليهِ بدرجة على مثال بناء الكعبة فكانوا يحجُّونهُ وهم طوائف من العرب ممَّن يحلُّ الأشهُرَ الحُرُم ولا يحجُّ الكعبة. ويحجُّهُ خثعم قاطبةً وكان أهل ثلاث بيوتات يتبارون في البيَع وربُّها أهل المنذر بالحيرة وغسَّان بالشام وبنو الحارث بن كعب بنجران وبنوا دياراتهم في المواضع النزهة الكثيرة الشجر والرياض والغدران ويجعلون في حيطانها الفسافس وفي سقوفها الذهب والصور. كان بنو الحارث بن كعب على ذلك إلى أن جاء الإسلام »

ومن التصاوير التي لا تزال آثارها إلى يومنا في جزيرة العرب ما تزدان به كنيسة طورسينا

الراقية إلى القرن السادس للمسيح فانَّ فيها من النقوش والفسيفساء والصور المختلفة أشياء كثيرة اتّسع في وصفها زوّار ذلك المقام الجليل وهي لمصوّرين وصنَعة بوزنطيين أرسلهم يوستنيانوس الملك لتشييد تلك المقامات وتزيينها بضروب النقوش

وكذلك مكَّة كان للمصوّرين والنحَّاتين النصارى فيها آثار ذكرها أقدم مؤَرخ لتلك المدينة وهو أبو الوليد الأزرقي في كتاب أخبار مكَّة ( ص ١١٠ ـ ١١١ طبعة ليبسيك ) قال يذكر بناء قريش للكعبة في الجاهليَّة :

« وزوَّقوا سَقْفها وجدرانها من بطنها ودعائمها وجعلوا في دعائمها صور الأنبياء وصور الشجر وصور الملائكة فكان فيها صورة ابراهيم خليل الرحمن (١ ... وصورة عيسى بن مريم وامّهِ وصور الملائكة عليه السلام أجمعين فلمَّا كان يوم فتح مكَّة دخل رسول الله صلعم البيت ... وأمر بطمس تلك الصور فطُمست ووضع كفَّيْهِ على صورة عيسى بن مريم وأُمّه عليهما السلام وقال : امحوا جميع الصور الاَّ ما تحت يدي. فرفع يديهِ عن عيسى بن مريم وامّهِ ... »

ثمَّ روى عن عطاء بن أبي رياح « انهُ ادرك في البيت تمثال مريم مزوَّقًا في حجرها عيسى قاعدًا مزوَّقًا » وذلك « في العمود الذي يلي الباب » وانَّهُ « هلك في الحريق في عصر ابن الزبير » . وروى عن ابن شهاب ( ص ١١٣ ) « انَّ امرأة من غسَّان حجَّتْ في حاجّ العرب فلمَّا رأت صورة مريم في الكعبة قالت : بأَبي وامّي انكِ لَعربيَّة. فامر رسول الله صلعم ان يمحوا تلك الصور الاَّ ما كان من صورة عيسى ومريم » .

وذكر الأزرقيّ أيضًا ( ص ٤٥٠ ) انَّ في مكَّة « دارًا لسعد القصير غلام معاوية بناها سعد بالحجارة المنقوشة فيها التماثيل مصوَّرة في الحجارة » . فلا شكّ انَّ هذه التماثيل والصور اصطنعها النصارى في عهد الجاهليَّة. كما عُهد اليهم في زمن المهدي بناء مسجد مكَّة وتزويقهُ. قال المقدّسي في كتابهِ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ( ص ٧٣ ) يذكر المهدي : « المسجد اليوم من بنائهِ وقد أُلْبست حيطان الأَرْوقة من الظاهر بالفسيفساء حُمل إليها صنَّاع الشام ومصر ألا ترى أسماءَهم عليهِ »

---

١) ذكر المسعودي في مروج الذهب ( ٤ : ١٢٦ ) : « انهُ لما انهدمت الكعبة بالسيل سُرق منها غزال من الذهب وحُلى وجواهر فنقضتها قريش وكان في حيطانها صُور كثيرة بأنواع من الأصباغ عجيبة منها صورة ابراهيم الخليل في يدهِ الآزلام ويقابلها صورة اسمعيل ابنهِ يجير بالناس مفيضًا والفاروق قائم على وفد الناس يقسّم فيهم. وبعد هذه الصورة صور كثيرة من أولادهم إلى قُصَيّ بن كلاب وغيرهم في نحو ٦٠ صورة مع كلّ واحدةٍ من تلك الصور إلهُ صاحبها وكيفيَّة عبادتهِ وما اشتهر من فعلهِ »

وإلى هؤلاء الصَّنعة النصارى تُعْزى أيضًا النقوش والتصاوير المختلفة بالفسيفساء التي مرَّ لنا ذكرها في الكلام عن الجامع الأمويّ في دمشق وفي الأقصى في القدس الشريف وفي جامع النبيّ في المدينة. وكذلك النقوش والتصاوير التي أشرنا إليها في الهندسة المدنيَّة في قصور المشتَّى وقُصَيْر عمرة والأُخَيْضِر فانَّها كلَّها أعمال صنَعة يُدعون في الغالب رومًا وهم من نصارى الشام ومصر والعراق

وممَّا وقف عليه أرباب العاديَّات والسياح في الحقبة الأخيرة كنائس قديمة بعضها مطمور في الأرض يرتقي عهدها إلى القرون الثلثة قبل الإسلام في العراق وما بين النهرين وجهات الأناضول والأرمن على جدرانها تصاوير شتَّى يدلُّ بعضها على براعة أصحابها في الفنّ ونُقلت رسومها في المجلاَّت الأثريَّة أو في تآليف مستقلَّة

وكان صَنَعة الحياكة ينسجون الأقمشة ويزينونها بالصلبان فشاعت بين العرب وقد ورد ذكرها غير مرَّة في أخبار نبيّ الإسلام وفي الحديث ( اطلب مجلَّة المنار في مجلدها العشرين ص ٢٢٠ ـ ٢٣٠ ) فمن ذلك ما رواهُ عن مسلم أنَّ عائشة « سترت جانب بيتها بقِرام ( أي سِتْر احمر ) عليه تصاوير وتماثيل » وانها « اشترت نِمْرقةً عليها تصاوير » وانَّها « سترت بابها بدرنوك ( أي طنفسة ) فيهِ الخيل ذات الأجنحة » . وكانت هذه الأنسجة يحيكها أهل اليمن النصارى كما سترى فيزينون نقشها بالتصاوير

وكانوا يصوّرون على بعضها الصليب وصور القديسين ويتَّخذونها كأَلوية كما ذكرنا سابقًا ( ص ٣٣٤ ) عن راية بني تغلب الممثّلة لمار سرجيس. ومن هذا القبيل راية العُقاب التي اتَّخذها خالد بن الوليد في أوَّل عهد الإسلام ( اطلب ياقوت ٣ : ٦٩٠ ـ ٦٩١ ) دُعيت بذلك لصورة عُقاب كان منسوجًا فيها

ومما يدخل في هذا الباب نقود نصرانيَّة عليها صور ملوك وقديسين اتَّخذها أولياء الأمور والخلفاء في أوَّل الإسلام فطبعوا عليها شعارهم أو عبارة قرآنيَّة يوجد منها شيء في المتاحف الكبرى. وقد ذكرنا في مجلَّة المشرق ( ١٨ [١٩٢٠] : ٧٩٩ ) نقودًا للسلجوقيين وللأُرْتقيين مصوَّرة فيها صور ملوك الروم أو أوليائهم وبعضها يمثّل شخص السيّد المسيح وامّه الطاهرة

وبالاجمال يمكنَّا القول بانَّ فنّ التصوير لولا الصَّنَعةُ النصارى في أنحاء الشرق كان فُقد بعد ظهور الإسلام لأنَّ أصحابهُ استنكفوا من صناعة التصوير لما وجدوا فيها من

العثرة وخطر الشرك واستنادًا إلى ما رُوي في الحديث : « ان الملائكة لا تدخلُ بيتًا فيهِ كلبٌ أو تصاوير » وانهُ « أشدّ الناس عذابًا عند الله المصوّرون » وانَّ « كلّ مصوّر في النار » فكسد لذلك فنّ التصوير بين المسلمين الاَّ العجم منهم إلى أن عادوا فاتَّخذوهُ زينةً وفرقوا بين صور العبادة وغيرها. ولا شكّ انَّهم التجأُوا إلى النصارى فتعلَّموهُ منهم. وبرع فيهِ بعض المسلمين كالكتاميّ والنازوك والقصير وابن العزيز الذين ذكرهم المقريزي في كتاب الخطط (٢ : ٣١٨) في وصف جامع القرافة وذكر شيئًا من أعمالهم. وقد قال العلاَّمة غايهْ (Al. Gayet) في كتابهِ الصناعة العربيَّة ( ص ٢٥٠ ـ ٢٥٢ ) « انَّ ما يوجد في مصر من آثار التصوير والحفر والإشغال الخشبيَّة ونقوش الأنسجة والزجاج كلها مأخوذة عن الصَّنَعة الاقباط الذين علَّموا هذه الفنون المسلمين في مصر كما يقرُّ بهِ المسلمون أنفسهم »

## ٤ فنّ الموسيقى والغناء

الموسيقى من أجلّ الفنون الجميلة غايتها تأليف الألحان وتناسب النغمات وتنظيم الأوزان المحرّكة للنفس تحريكًا ملذّاً. فمنها الموسيقى الطبيعيَّةُ لتلحين الأصوات البشريَّة والآليَّة المتَّخذة من آلات الطرب كالعود والارغن. وكلتاهما امَّا دينيَّة لتمجيد الله وتحريك القلوب على خدمته وامَّا مدنيَّة ليسلو بها الإنسان عن أشجانهِ وتطرب بنغماتها الصدور وتتشنَّف بألحانها الآذان فتهيّج في سامعيها مختلف العواطف الليّنة أو الشديدة المحزنة أو المبهجة على حسب ايقاعها. ولذلك قال بعضهم : انَّ الغناء غذاء الأرواح كما انَّ الشراب غذاء الأشباح

ولم يكن العرب ليجهلوا هذا الفنّ وبعض أصولهِ في الجاهليَّة كما يؤخذ من روايات شتَّى أثبتها أبو الفرج الأصفهاني في كتابهِ الشهير بالأغاني وربَّما دلّ على بعض أوزانهِ ونغماتهِ بمفردات كان اصطلح عليها قدماء المغنّين فكشف بعض المحدثين شيئًا من أسرارها (١

---

١) اطلب مقالات حضرة الاب كولنجت عن الموسيقى العربيَّة في المجلَّة الاسيويَّة الفرنساويّة ( Journal Asiatique, 1905. IV. 365 et VIII. 149 )

هذا في غناء أهل الحضر امَّا عرب البادية فلم يعرفوا الاَّ القليل من هذا الفنّ كالحداء لسَوْق ابلهم وكالبسيط من التلاحين يسمُّونها بالترنُّم والتهليل والسناد والهزج. قال ابن خلدون في المقدَّمة ( ٢ : ٣٥٩ من طبعة باريس ) : « وهذا كلهُ من أوائل التلاحين لا يبعِد ان تتفطَّن لهُ الطباعة من غير تعليم شأن البسائط كلها من الصنائع ولم يزل هذا شأن العرب في بداوتهم وجاهليَّتهم »

ولا نشكّ أنَّ نصارى العرب في الجاهليَّة احرزوا لهم فخرًا في هذا الفنّ كما أصابوهُ بالفنون الجميلة السابق ذكرها وذلك في قسمَي الموسيقى الدينيَّة والمدنيَّة معًا

﴿ الموسيقى الدينيَّة ﴾ اثبتنا في ما سبق لنا من الكلام كما كان لنصارى العرب من كنائس واديار وصوامع ومقاما دينيَّة شتَّى في كلّ انحاء الجزيرة في شمالها وجنوبها وأواسطها كانت تقام فيها الحفلات الدينيَّة. ومن المعلوم انَّ الرتب النصرانيَّة تُباشر غالبًا بالغناء والترتيل سواء أُنشدت التسابيح التقويَّة أو تُليت المزامير والصلوات الفرضيَّة وذلك منذ أوائل النصرانيَّة كما ورد في رسائل القديس بولس حيث قال لأهل افسس (٥ : ١٨ ـ ١٩): « امتلئُوا من الروح متحاورين فيما بينكم بمزامير وتسابيح واغانيّ روحيَّة ومرنّمين ومرتّلين في قلوبكم للرب » . ومثلهُ قولهُ لأهل كولسيّ ( ٣ : ١٦ )

وقد ورد في كتب العرب انَّ الرهبان كانوا إذا خافوا الملالة والفتور على ابدانهم ترنّموا بالألحان واستراحت إليهِ أنفسهم. وقال الابشيهيّ في المستطرف في كلّ فنّ مستظرف ( ٢ : ١٧٧ ) : « لأهل الرهبانيَّة نغمات والحان شجيَّة يمجّدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم ويتذكَّرون نعيم الآخرة » . وقد قيل في مغنٍّ منهم ( ياقوت ٢ : ٦٩١ )

إذا رجَّع الإنجيلَ واهتزّ مائدًا تذكَّر محزونٌ وحَنَّ غريبُ
وهاج لِقَليي عند ترجيع بلابلُ اسقامٍ بهِ ووجيبُ
صوتهِ

وقيل في غيرهم ( ٢ : ٦٩٥ ) :

انّي طَرِبْتُ لرُهْبان مُجاوبة بالقدْس بعد هدوّ الليلِ رُهبانا

وفي الشعر الجاهلي ألفاظ أطلقوها على غناء القسوس والرهبان. فيقولون « هَيْنَمَ القسّ » إذا نغَّم بخفوت الصوت. قال أيمن بن خُرَيْمْ يشير إلى تقديس الكأس عند النصارى (الأغاني ١٦ : ٤٥) :

ولم يشهد القسُّ المُهَيْنِم نارَهاطروقًا ولا صلَّى على طبخها حَبْرُ

ومثلُهُ « زَمْزَم » أي طرَّب في صوتهِ خفيًّا. قال الأعشى في المعنى ( شعراء النصرانيَّة ص ٣٧٨ ) :

لها حارسٌ لا يبرحُ الدهرَ بينها وإن ذُبحت صلَّى عليها وزَمْزما

وإذا رفع صوتهُ بالدعاء قالوا « سبَّح » وانشدوا :

وما سَبَّحَ الرهبانُ في كلّ بيعةٍ ابيلُ الابيلين المسبحُ بن مَرْيمَا

وإذا تغنَّى القسَّ بقراءَتهِ قيل شَمْعل. وإذا أطلق صوتهُ بالدعاء قيل جأر. قال ربيعة بن مقروم في وصفهِ راهبًا ( الأغاني ١٩ : ٩٢ ) :

جَئتَار ساعات النيام لربّهِ حتَّى تخدَّد لحمُهُ مُتَشَمْعِلِ

( قال ) المُتَشعمل المتغني في تلاوة الزبور. وقال عديّ بن زيد النصرانيّ يقسم برئيس دينهِ :

انّني واللهِ فاقبلْ حَلفتي بأَبيلٍ كلّما صلَّى جَأَرْ

وقولهم « رجَّع الإنجيل » إذا ردَّد نغماتهِ في حلقهِ. وقد مرَّ. ومثلهُ التلحين في قراءَة الإنجيل. وجاء في الحديث ( ارشاد الانام للشيخ عليّ سالم ص ١٩ وفي الجامع الاصغر ): « ايَّاكم ولحون أهل الكتابين. أي التوراة والإنجيل وهم اليهود والنصارى فانهم كانوا يُراعون حُسْن الصوت ولا يلتفتون إلى تدبُّر المعنى » ( كذا ). فمن هذا كلِّه ترى ما كان من المقام السنيّ للغناء الديني بين نصارى العرب

ولمَّا ظهر الإسلام وشاع القرآن بين أهلهِ أخذوا قراءَتهُ وتلحينهُ من قراءَة وتلحين نصارى العرب. روى الفاكهي في كتاب اخبار امّ القرى ( ص ٩ ) عن عائشة قالت : سمع النبي صلعم قراءَةَ أبي موسى الأشعريّ فقال : لقد أُوتي هذا من مزامير داوُد. وجاء في الحديث في الجامع الأصغر ( اطلب ارشاد الأنام للشيخ عليّ سالم ص ١٧ و ١٩ ): « سيجيء بعدي قوم يرجّعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانيَّة والنَّوح لا يجاوز حناجرهم مفتونةٌ قلوبهم بقلوب من يعجبهم شأنهم » . وروى أيضًا في الحديث : « اقرأوا القرآن بلحون العرب وايَّاكم لحون أهل الكتابين »

﴿ الموسيقى المدنيَّة ﴾ راجت في الجاهليَّة في دور الملوك من تبابعة وغساسنة

ومناذرة. وقد عرف القرَّاء من فصولنا السابقة نفوذ النصرانيَّة بين هؤلاء الملوك الذين تقلَّدوا في أفراحهم عادات الشعوب المجاورة لهم لاسيَّما اليونان والفرس والروم والدليل على ذلك ما قالهُ المسعودي في مروج الذهب ( ٨ : ٩٩ ) : « انَّ العودَ عند أكثر الأمم وُجلِّ الحكماء يونانيٌّ صنَعهُ أصحاب الهندسة على هيئَة طبائع الإنسان » . ثمَّ انَّ كثيرًا من الألفاظ الدالَّة على أدوات الغناء دخيلة فممَّا استعاروهُ من الروم الارغن ( ἄργανον ) والبَرْبط ( βάρβιτος ) والسَّنْطور ( ψαλτήριον ) والقانون ( κανών ) والقيثار ( κιθάρα ). وكانوا يأتون بالقيان الروميَّات وغيرهنَّ كما روى حسَّان بن ثابت في وصفهِ لبعض الحفلات التي احتفل بها ملك غسَّان جبلة بن الايهم قال (أغاني ١٦ : ١٥): « لقد رأيتُ عشر قيان خمس روميات يغنّين بالروميَّة بالبرابط وخمس يغنين غناء أهل الحيرة » اهداهنَّ إليهِ اياس بن قبيصة

ومنهُ يتَّضح أنَّ الغناء والأدوات الموسيقيَّة استعارها العرب من الأمم المجاورة لاسيَّما النصرانيَّة. امَّا أهل البادية فبقي هذا الفنّ بينهم في بساطتهِ على موجب معرفتهم الفطريَّة. وقد شهد على ذلك أبو الفرج في كتابهِ الأغاني قال يذكر عمر بن الخطَّاب أوَّلَ الخلفاء الراشدين ومفنّدًا قول ابن خرداذبه ( ٨ : ١٣٩ ) :

« ولا كان الغناء العربي أيضًا عُرف في زمانهِ الأَ ما كانت العرب تستعملهُ من النَّصْب والحِداء وذلك جارٍ مجرى الإنشاد الأَ انهُ يقع بتطريب وترجيع يسير ورَفْع للصوت ... وأوَّل من دُوّنت لهُ صنعتهُ منهم ( أي من الخلفاء ) عُمر بن عبد العزيز فانّهُ ذُكر عنهُ انهُ صنع في أيَّام امارتهِ على الحجاز سبعة ألحان... ومن الناس من ينكر ان تكون لعمر بن عبد العزيز هذه الصنعة ... ولم يوجد في وقت من الأوقات ولا حالٍ من الحالات اشتهر بالغناء ولا عُرف بهِ ولا بمعاشرة أهلهِ ... ومخالفوهم قد أيَّدتهم اخبار رويت »

وفي أيَّام بني اميّة اشتهر أوَّل المغنِّين من العرب وهم : أبو يحيى عبيد الله بن سريج المتوفّى بالجذام في زمن هشام بن عبد الملك. ثمَّ أبو الخطَّاب مسلم بن محرز وكان أصلهُ من الفرس. ثم سعيد بن وهب كان أبوه أسود وكان هو خلاسيًّا مات في أيَّام الوليد بن يزيد في دمشق. ثمَّ الغريض واسمهُ أبو يزيد وقيل أبو مروان عبد الملك. وأبو الوليد مالك بن أبي السمح. وسبقهم أبو عثمان سعيد بن مُسحج وكان في أيَّام معاوية

ولا شكّ أنَّ نصارى العراق والروم مع أهل فارس هم الذين علَّموا هؤلاء فنّ

الغناء. قال أبو الفرج في كتاب الأغاني ( ص ٣ : ٨٤ ) وقولهُ حجَّة في هذا الباب في ترجمة ابن مُسْحج انهُ :

« مكّي أسود مغنٍّ متقدّم من فحول المغنّين وأكابرهم وأوَّل من صنع الغناء منهم ونقل غناء الفرس إلى عناء العرب ثمَّ رحل إلى الشام وأخذ ألحان الروم والبربطيَّة والاسطوخوسيَّة ( أي تنظيم الأوزان ( στοιχείωσις ) وانقلب إلى فارس فأخذ بها غناءً كثيرًا وتعلَّم الضرب. ثمَّ قدم إلى الحجاز وقد أخذ محاسن تلك النغم وألقى منها ما استقبحهُ من النبرات والنغم التي هي موجودة في نغم غناء الفرس والروم خارجة عن غناء العرب وغنَّى على هذا المذهب فكان أوَّل من أثبت ذلك ولحَّنهُ وتبعهُ الناس بعد ... وهو الذي علّم ابن سريج والغريض »

وجاء لهُ في محلّ آخر عن الغريض ( ٢ : ١٤٦ ) :

« قال هارون بن محمَّد الزيَّات حدَّثني حمَّاد بن اسحاق عن أبيهِ انَّ الغريض سمع أصوات رهبان بالليل في دير لهم فاستحسنها فقال لهُ مَنْ معهُ : يا أبا يزيد صُغْ على مثل هذا الصوت لحنًا فصاغ مثلَهُ في لحنهِ : « يا أمَّ بكرٍ ... » فما سُمع بأحسن منهُ »

فترى تأثير غناء النصارى والرهبان في الغناء العربيّ في الإسلام. ولنا ما هو أشهر من ذلك نريد بهِ ترجمة بعض المغنّين من الذين ذكرهم أبو الفرج وغيرهُ من كتبة العرب. فمنهم حُنَيْن الحيري من فحول المغنّين روى أبو الفرج ترجمتهُ (١ في الأغاني ( ٢ : ١٢٠ ـ ١٢٧ ) وقال هناك انَّهُ من العباديين واخوالهُ من بني الحرث بن كعب النصارى كان في أيَّام بني أميَّة وهو من أهل الحيرة وكان مغرمًا بالغناء فاتَّصل إلى أن نبغ فيهِ وفي صناعة العود وكان نسيج وحدهِ في العراق فبلغ خبرهُ المغنين في الحجاز ابن سريج والغريض ومعبد فكتبوا إليهِ ووجَّهوا إليهِ نفقةً ليشخص إليهم فخرج إلى الحجاز وسكن في بيت سكينة بنت الحسين بن علي أبي طالب فمات عندها وذلك لأن الناس ازدحموا على سطح بيتها ليسمعوا غناءَهُ فسقط الرواق ومات حنين تحت الردم. وجاء في الفهرست لابن النديم ( ص ١٤١ ) انَّ لاسحاق الموصليّ كتابًا في اخبار حُنَيْن الحيريّ

واشتهر في الغناء في أوائل الإسلام من النصارى غير حنين. منهم عَوْن الحيريّ وكان عباديًّا أيضًا ذكرهُ صاحب الأغانيّ ( ٢ : ١٢٥ و ١٠ : ١٣٥ ). وذكر برصوما المزمّر ( ٥ : ٣٤ و ٤٦ الخ ) وذكر أيضًا الحيريّين وبهِ يثبت قولنا انَّ للنصرانيَّة

---

١) اطلب مجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة ( Journ. As. , 1873[b], 425 – 4333 )

في عهد الجاهليَّة وأوائل الإسلام فضلاً في إشاعة الغناء والموسيقى العاميَّة والمدنيَّة كما أشاعوا بين العَرب الغناء والموسيقى الدينيَّة. وكانت طريقتهم في الغناء على النمط القديم المستحسن إلى أن اشتهر في أيَّام الرشيد أخوه ابراهيم بن المهديّ الذي قال عنهُ أبو الفرج في الأغاني ( ٩ : ٣٥ ) انهُ « هو أوَّل من أفسد الغناء القديم وجعل للناس طريقًا إلى الجسارة على تغييره »

## الفصل الحادي عشر

العلوم والصنائع بين نصارى العرب

بديهيّ انَّ عيشة العرب الساذجة في البوادي تحت الخيم بين الشاء والنوق لا تحتاج إلى علوم واسعة وصنائع راقية. وأحسن ما قيل في ذلك ما ورد في كتاب طبقات الأمم للقاضي أبي قاسم صاعد الأندلسيّ (١ حيث بيَّن إجمالاً ما كان عليهِ العرب من البداوة وقلَّة الاكتراث بالعلوم سواء كانوا من أهل المدَر أو أهل الوبر حتَّى قال انهم « لم يكن فيهم عالم مذكور ولا حكيم مشهور » على انَّهُ استثنى منهم أهل اليمن وبني حمْير فسلَّم لهم بالمعارف الدالَّة عليها الآثار الباقية من عهدهم وخصّ منها علم النجوم وعلم الهندسة. وكذلك لم ينكر انَّ لبقيَّة العرب في عهد الجاهليَّة وأوَّل ظهور الإسلام المامًا في مرئيًا الفلك والمواقيت والطبّ. ومعرفة ببعض الصنائع. وها نحن نذكر هنا ما يثبت قولنا في نفوذ النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة من جهة بعض العلوم والصنائع

### ١ العلوم بين عرب الجاهلية

ذكرنا منها في فصل الفنون الجميلة ﴿ علم الهندسة ﴾ وما كان للنصارى من الفضل

---

١) راجع طبعتنا ( ص ٤١ ـ ٤٧ ) التي سعينا بنشرها مع شروح وفهارس سنة ١٩١٢ فاختلسها عبد الرؤوف افندي الدبَّاغ ونشرها في مصر بعد تجريدها عن فوائدها

في الآثار البنائيَّة الدينيَّة والمدنيَّة قبل الهجرة وفي أوَّل الإسلام فليراجَع. ونضيف إلى قولنا هناك انَّ النصارى أوَّل من نقل إلى العربيَّة كتب اوقليدوس في الهندسة وذلك في صدر الدولة العبَّاسيَّة نقلهُ أوَّلاً الحجَّاج بن يوسف بن مطر ثمَّ ثابت بن قرَّة. فبقي علينا أن نثبت ما أدَّاهُ النصارى للعرب من الخدم في علوم الطب والنبات والنجوم والفقه. امَّا الشعر والعلوم اللغويَّة فسنفرد لها بابًا آخر

﴿ الطبّ ﴾ قال صاعد ( ص ٤٧ ) : « انّ صناعة الطبّ كانت موجودة عند جماهير العرب لحاجة الناس طرًّا إليها » . لكنَّ هذا العلم قد اقتبسوهُ من الأمم النصرانيَّة المجاورة ولاسيَّما من الكلدان والسريان واليونان. وكان للسريان مدارس طبيَّة ومستشفيات في العراق وفارس في جنديسابور وكذلك اليونان اشتهرت مدرستهم الطبيَّة في الاسكندريَّة. فانِ تصفَّحنا التواريخ القديمة وجدنا أن الطبّ شاع بين العرب بواسطة حكماء نصارى أو متطبّبين من تلامذتهم

فممَّن سبقوا الإسلام وجاء ذكرهم في تواريخ الأطباء تيادروس. قال ابن النديم في الفهرست ( ص ٣٠٣ ) ونقلهُ عنهُ ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء في طبقات الأطبَّاء ( ١ : ٣٠٧ ) : « تيادروس كان نصرانيًّا ولهُ معرفة جيدة بصناعة الطبّ ومحاولة لأعمالها وبنى لهُ سابور ذو الأكتاف البيَع في بلَدهِ ويُقال انَّ الذي بنى لهُ البيَع بهرام جور ولتيادروس من الكتب كنَّاش ( أي مجموعة طبّي ) »

وقد سبق عهد الإسلام أيضًا أطبَّاء سريان أو روم شاعوا عند العرب كاهرن بن أعين المعروف بالقسْ الذي وضع كنَّاشًا بالسريانيَّة في ٣٠ مقالة قال ابن جلجل انَّ عمر بن عبد العزيز وجدهُ في خزائن الكتب فأمر ماسر جويه اليهودي باخراجهِ فوضعهُ في مصلاَّهُ واستخار الله في اخراجهِ إلى المسلمين للانتفاع بهِ » ( ابن أبي أصيبعة ١ : ١٦٣ ). وكشمعون الراهب المعروف بطيبويه ( ١ : ١٠٩ ) وكسرجيس الراسعينيّ أوَّل ناقل كتب اليونان الى السريانيّة. وكسرابيون ويوحنَّا ابنهِ من أهل باجرمي. فليوحنَّا كتاب كنَّاش كبير في سبع مقالات. وذكر ابن بختيشوع في تاريخهِ من الأطبَّاء الروميين اصطفن الحرّاني واقرن الروميّ ( تاريخ الحكماء للقفطي ص ٥٦ ). وذكروا طبيبًا آخر روميًّا يدعونهُ انسطاس ولم يعرّفوا زمانهُ ضربوا بهِ المثل في الحذق بالطبّ. وقيل من اسمهِ اشتقُّوا اللفظة العربيَّة النَّطِس أو النطاسيّ ( تاج العروس ٤ : ٢٥٨ ).

قال اوس بن حَجَر يذكر رجلاً من تَيْم الرباب اسمهُ حِذْيَم ضُرب المثل بحذقهِ في الطبّ :

فهل لكمُ فيها إليَّ فانني طبيبٌ بها أعيا النِّطاسيَّ حِذْيَما

وأشهر من هؤلاء الحارث بن كلّدة الثقَّفيّ المعروف بطبيب العرب كان من نصارى النساطرة. وقد اتّسع في ترجمتهِ وذكر مآثرهِ الطبيَّة كثيرون من كتبة العرب كالقفطيّ في تاريخ الحكماء ( ص ١٦١ ) وابن ابي اصيبعة ( ١ : ١٠٩ ) وابن قتيبة في المعارف ( ص ٩٨ ) وذكر لهُ ابن عبد ربّه شعرًا ( في العقد الفريد ٣ : ١١٤ ) قالوا انهُ كان من الطائف وسافر إلى بلاد فارس وأخذ الطبّ من نصارى جنديسابور وغيرها وبرَّز في صناعة الطبّ وطبَّب في فارس وعالج بعض اجلاّئهم فبرئوا وحصل لهُ بذلك مال كثير ثمَّ رجع إلى بلدهِ الطائف وأدرك الإسلام فاتَّخذهُ صاحبهُ كطبيب. وكان محمَّد يأمر من بهِ علَّة أن يأتيهُ وبقي إلى أيام معاوية. قال أبو زيد : « وكانت للحارث معالجات كثيرة ومعرفة بما كانت العرب تعتادهُ وتحتاج إليهِ » . وقد ذكروا لهُ حكمًا وأقاويل عديدة تدلُّ على ثقوب عقلهِ وكثرة علمهِ. وقالوا انهُ أَسلم لكنَّ اسلامهُ لم يصحّ

وتبع الحارثَ ابنُهُ النضرُ بن الحارث بن كلَدة وهو ابن خالة نبيّ المسلمين قال ابن أبي اصيبعة ( ١ : ١١٣ ) : « وكان النضر قد سافر البلاد أيضًا كأبيهِ واجتمع مع الأفاضل والعلماء بمكَّة وغيرها وعاشر الاحبار والكهنة واشتغل وحصل من العلوم القديمة أشياء جليلة القدر واطَّلع على علوم الفلسفة واجزاء الحكمة وتعلَّم من أبيهِ أيضًا ما كان يعلمهُ من الطبّ وغيرهِ » ثم ذكر معاداتَهُ لمحمَّد وسعيهُ بأذاهُ إلى أن كان يوم بدر فانتصر محمَّد وأنصارهُ على أعدائهم وكان النَضْر من جملة المأسورين فأمر بقتلهِ ( سنة ٦٢٤ م ). وقد روينا سابقًا رثاء أختهِ قتيلة لهُ ( اطلب الأغاني ١ : ١٠ ) وقول محمَّد عندما سمع ابياتها : « لو سمعتُ هذا قبل أن أقتلهُ ما قتلهُ »

وقد ذُكر من الأطباء النصارى في صدر الإسلام عبدُ الملك بن أبجر الكنانيّ. قال فيهِ ابن أبي أصيبعة ( ١ : ١١٦ ) : « كان طبيبًا عالمًا ماهرًا وكان مقيمًا في أوَّل امرهِ في الاسكندريَّة لأنّهُ كان متولّي التدريس بها من بعد الاسكندرانيّين وذلك عندما كانت البلاد في ذلك الوقت لملوك النصارى. ثمَّ ان المسلمين لمَّا استولوا على البلاد وملكوا الاسكندريَّة أَسلم ابنُ ابجر على يد عمر بن عبد العزيز وكان

حينئذٍ اميرًا قبل أن تصل إليهِ الخلافة وصحبهُ. فلمَّا افضت الخلافة إلى عمر وذلك في صفر سنة ٩٩ للهجرة نقل التدريس إلى انطاكية وحرَّان وتفرَّق في البلاد وكان عمر بن عبد العزيز يستطبّ ابنَ ابجر ويعتمد عليهِ في صناعة الطبّ »

واشتهر في الطبّ غير هؤلاء من نصارى العرب في أوائل الإسلام ذكر منهم القفطيّ وابن أبي اصيبعة الطبيبَ ابن الأثَّال. قال في طبقات الأطبَّاء ( ١ : ١١٦ ) : « كان طبيبًا متقدّمًا من الأطبَّاء المتميّزين في دمشق نصرانيَّ المذهب ولمَّا ملك معاوية ابن أبي سفيان دمشق اصطفاهُ لنفسهِ واحسن إليهِ وكان كثير الافتقاد لهُ والاعتقاد فيهِ والمحادثة معهُ ليلاً ونهارًا وكان خبيرًا بالأدوية المفردة والمركَّبة » . وقد روى في الأغاني ( ١٥ : ١٣ ) كيف قتلهُ خالد بن المهاجر لأنهُ سقى بأمر معاوية سمًّا عمَّهُ عبد الرحمان بن خالد

واشتهر أيضًا في أيَّام معاوية الطبيب النصرانيّ أبو الحكَم الدمشقيّ. قال ابن أبي أصيبعة ( ١ : ١١٩ ) : « كان طبيبًا نصرانيًّا عالمًا بأنواع العلاج والأدوية ولهُ أعمال مذكورة وصفات مشهورة وكان يستطبُّهُ معاوية ويعتمد عليهِ في تركيبات أدوية لأغراض قصدها منهُ. وعُمّر أبو الحكم عمرًا طويلاً حتى تجاوز المئَة سنة » . ثم ذكر ابنهُ الحكم وحفيدهُ عيسى بن الحكَم وجرى كلاهما على خطَّتهِ متطبّبَين وماتا في عهد الدولة العبَّاسيَّة

ومن مشاهير الأطبَّاء المسيحيين في أوائل الدولة الأمويَّة تياذوق وثاودون « كان تياذوق طبيبًا فاضلاً ولهُ نوادر وألفاظ مستحسنة في صناعة الطبّ وكان في أوَّل دولة بني أميَّة ومشهورًا عندهم بالطبّ. وصحب أيضًا الحجَّاج بن يوسف الثقفي المتولَّى من جهة عبد الملك بن مروان وخدمهُ بصناعة الطبّ وكان يعتمد عليهِ ويثق بمداواتهِ وكان لهُ منهُ الجامكيَّة الوافرة والافتقاد الكثير .. ومات تياذوق بعد ما أسنَّ وكبر وكانت وفاتهُ في واسط في نحو سنة ٩٠ للهجرة. ولهُ من الكتب كنَّاش كبير ألَّفهُ لابنهِ وكتاب ابدال الأدوية وكيفيَّة دقّها وايقاعها واذابتها » ( ابن ابي أصيبعة ١ : ١٢١ ). امَّا ثاودون فذكرهُ ابن العبري في تاريخهِ ( ص ١٩٤ ) وذكر لهُ أيضًا كنَّاشًا ولم نجد لهُ ذكرًا في غيرهِ

فترى صدق قولنا في فضل النصارى العرب في فنّ الطبّ والمعالجات. امّا فنّ

الجراحة فزاولها رجل نصراني من تميم على عهد رسول الإسلام اسمهُ ابن أبي رِمْثة ذكرهُ ابن أبـي أصـيبعة ( ١ : ١١٦ ) قـال انـه كـان مـزاولاً لأعمـال اليـد وصـناعة الجراحـة وقـد صـحَّفهُ المرحوم جرجي زيدان في كتاب التمدُّن الإسلامي ( ٣ : ٢١ ) بابن أبي رومية

﴿ علم النبات ﴾ يُلحق العرب علمَ النبات بعلم الطبّ الذي يستمدُّ منهُ موادَّهُ وأدويتهُ وذلك ما يدعونهُ بالمفردات ومنها يستحضر الاطبَّاء أَدويتهم فيعدُّون المركّبات. ولا جرم انَّ العرب في الجاهليَّة عرفوا كثيرًا من النباتات التي تنمو في جزيرتهم وعلموا بالتجربة فوائدها الغذائيَّة والعلاجيَّة. والدليل عليهِ ما ورد في معاجمهم من أسماء النباتات التي جمع منها الأصمعيّ كتابًا دعاهُ كتاب النبات والشجر نشرهُ الدكتور هفنر في مجموعنا الموسوم بالبلغة في شذور اللغة ( ص ١٧ ـ ٦٢ ) ونشر أيضًا للأصمعي كتاب النخل والكرم ( ٦٣ ـ ٩٨ )

غير أن هذه اللغويات لا يحصل منها علمٌ مفيد الاَّ بمعرفة خواصّ تلك المفردات ومنافع كل صنف من النبات. وقد أصبح النصارى في هذا العلم كما في علم الطب قومًا وسَطًا بين القدماء والعرب. فانَّ الأطباء الذين مرَّ ذكرهم إذ درسوا في مدارس الاسكندرية وجنديسابور اقتبسوا منها أيضًا علم النبات الصالح للطب والغذاء. والدليل عليهِ فصول أوردها ابن أبي أصيبعة وغيرهُ من الكتبة للحارث بن كَلَدة فيها عدَّة أوصاف للأدوية النباتيَّة وللأشجار والأثمار والحشائش ذكرها في محاورة جرت لهُ بينهُ وبين كسرى انوشروان

وكذلك تآليفهم التي دعوها بالكنَّاشات وهي لفظة سريانيَّة يراد بها المجاميع الطبيَّة وأوصاف الأدوية المتَّخذة عمومًا من النبات

ولعلّ هؤلاء الأطبَّاء درسوا كتاب ديسقوريدس العين زربيّ اليوناني في النبات والحشائش والأدوية المفردة في أصلهِ اليونانيّ وعليهِ كان المعوَّل في الطب القديم. امَّا ترجمتهُ العربية فكان النصارى أيضًا أوَّل المُقدمين عليها. قال ابن جُلْجل ( في طبقات الأطبَّاء ٢ : ٤٦ ـ ٤٨ ) : « انَّ كتاب ديسقوريدس تُرجم بمدينة السلام في الدولة العبَّاسيَّة في أيَّام جعفر المتوكل وكان المترجم لهُ اصطفن بن بسيل الترجمان من اللسان اليونانيّ إلى اللسان العربيّ وتصفَّح ذلك حنين بن اسحاق المترجم فصحَّح الترجمة واجازها » . ثمَّ قال ما خلاصتهُ انَّ اصطفن كان أبقى أسماءً كثيرة من النباتات على

لفظها اليونانيّ لجهلهِ ما يوافقها في اللسان العربيّ. وبقي الأمر كذلك إلى أن أرسل ملك الروم إلى صاحب الأندلس الملك الناصر عبد الرحمان نسخةً من كتاب ديسقوريدس مع صور الحشائش بألوانها ثمَّ ارسل إليهِ راهبًا يدعى نيقولا جاء إلى قرطبة سنة ٣٤٠ هـ ( ٩٥١ م ) وأعاد النظر في ترجمة اصطفن فصحَّحها ووضع للنباتات أسماءً عربيَّة موافقة لها وذلك بصحبة أطبَّاء وجدهم هناك ذوي معرفة بالنباتات والعقاقير فصارت هذه الترجمة هي المعوَّل عليها واستفاد منها ابن جلجل وابن البَيْطار في تآليفهما عن المفردات. ثمَّ كان لجالينوس أيضًا تأليف في النبات عرَّبهُ حنين بن اسحاق

﴿ علم النجوم ﴾ انَّ صفاء اديم السماء في أنحاء جزيرة العرب في معظم ليالي السنة لممَّا أَلفَتَ أنظار أهلها إلى ما زيَّن بهِ الله الأفلاك من النجوم والكواكب والسيَّارات فعرفوها منذ سالف الاعصار ودلُّوا إليها بأسماء شاعت بعدئذٍ بين الأمم الغربيَّة وهي لا تزال إلى اليوم جاريةً على لفظها العربي بين أرباب الفلك. وكان ممَّا يبعث همَّتهم إلى رصد الفلك ومراقبة النجوم حاجتهم إليها ليهتدوا بها في أسفارهم وهم قوم رُحَّل يقطعون البراري والاقفار. ومنهم القوافل التي كان عليها المعتمد في المواصلات بين الهند وفارس وسواحل الشام. وكانوا استفادوا شيئًا كثيرًا من ذلك بمجاورتهم للكلدان اللذين سبقوا جميع الأمم في علم الفلك. فأخذوا عنهم علم الأنواء الجويَّة وحركات السيَّارات ومنازل القمر ومنطقة البروج. وفي الشعر القديم آثار من ذلك

ولنا شاهد في سفر أيوب على معرفة العرب لأسماء النجوم وحركاتها في الفلك إذ كان أيوب النبيّ عربيّ الأصل عاش في غربيّ الجزيرة حيث امتحن الله صبره. وكذلك في المجوس الذين اهتدوا بالنجم إلى مذود السيِّد المسيح شاهد آخر على قولنا والمجوس على رأي كثيرين من الآباء من شيوخ العرب. على انَّ هذا العلم كبقيَّة العلوم كان عند العرب عمليًّا ليس نظريًّا. ريثما قام بينهم وفي جيرتهم مَن يبحث فيهِ بحثًا مدقَّقًا. وكان السريان أوَّل من فعلوا ذلك منهم بردَيْصان المبتدع ( راجع ترجمتهُ في المشرق ١٨ : ٩٧٧ ). ومنهم سرجيوس الراس عيني ويعقوب الرهاوي وجرجس المعروف باسقف العرب وساويرس سِبوكت وغيرهم. وتآليفهم باقية إلى يومنا

في خزائن كتب اوربَّة الكبرى. منها ترجمتهم لعدَّة مصنَّفات يونانيَّة لجالينوس ولاسيَّما لبطلميوس القلوذي فانَّهم نقلوا كتابهُ المجسطيّ وهو أفضل وامتع كتاب وضعهُ اليونان في علم الهيئة. ثمَّ تولَّى بعدهم تعريبهُ وتفسيرهُ علماء النصارى أوَّلهم حنين بن اسحاق ثمَّ الحجَّاج بن يوسف بن مطر الكوفي وثابت بن قرَّة في عهد المأمون ثمَّ عبد المسيح بن ناعمة الحمصيّ فأصبح منذ ذاك علم النجوم زاهرًا في الإسلام

﴿ الفقه ﴾ هو علم الاحكام الشرعيَّة العمليَّة. ولم يكن للعرب أن يستغنوا عنهُ وهو امَّا دينيّ وامَّا مدنيّ. وللنصارى في كليهما بعض الآثار بين عرب الجاهليَّة

فامَّا الفقه الديني فكان نصارى العرب يتَّبعون أحكامهُ المنصوصة في المجامع الكنسيَّة العموميَّة والخصوصيَّة التي كان يُعلن بها اساقفتهم في أنحاء الجزيرة. وكانت هذه الأحكام مكتوبة امَّا باللغة السريانيَّة كما ترى في المجامع النسطوريَّة التي نُشرت بالطبع ( راجع القسم الأوَّل ص ٧١ ) وامَّا باللغة اليونانيَّة كالحقوق القانونيَّة التي وضعها القديس جرجنسيوس رسول الحِمْيريين بعد موت شهداء نجران ( القسم الأوَّل ص ٦٤ )

وامَّا الفقه المدني فغلب على المتنصرين من بني غسَّان والقبائل المجاورة للفرات وما بين النهرين الفقهُ الرومانيّ كما نظَّمهُ الملك يوستنيان. ولمَّا جاء الإسلام ادخلوا كثيرًا من أحكامهِ في الفقه الإسلاميّ كما بيَّن ذلك العلماء الاوربيّون

وكان لقبائل العرب قضاةٌ نجد بينهم بعضًا من الدائنين بالنصرانيَّة نخصّ منهم بالذكر قسّ بن ساعدة اسقف نجران المدعو بحكيم العرب وحَكَمهم. وزهير بن جناب القضاعي وذو الاصبع العَدْواني ( راجع تراجمهم في شعراء النصرانيَّة )

وقد اشتهر في الجاهليَّة قضاة بني تميم وأغلبهم نصارى بينهم اسقف نصرانيّ مرَّ لنا ذكرهُ ( ص ١٢٦ و ٢٥١ ) وهو محمَّد بن سفيان بن مجاشع بن دارم ( نقائض جرير والفرزدق ص ٤٥٣ ). وقد ورد هناك عن حكام تميم ما حرفهُ ( ص ١٣٩ ) : « كان حكَّام بني تميم في الجاهليَّة ستَّةٌ : ربيعة بن محاسن أحد بني أُسَيّد بن عمرو بن تميم. وزُرَارة بن عُدس بن زيد بن عبد الله بن دارم. وضَمْرة بن ضَمْرَة النَّهْشَليّ. وأكثم بن صيفيّ. وابوه صيفيّ من بني أُسَيّد بن عمرو. والأَقْرع بن حابس حتَّى بَعَث الله نبيَّهُ محمَّدًا صلعم وهو الأقرع بن حابس بن عقال بن محمَّد بن سُفين بن

مجاشع )) . وقال في تفسير قول جرير ( ص ٤٣٨ ) : (( ونحنُ الحاكمون في عكاظٍ )) : انَّ الحكَّام والأئمّة في الموسم ( أي عكاظ ) كانوا بعد عامر بن ظَرِب في بني تميم فكان الرجل يلي الموسم منهم ويلي غيرهُ القضاء. فكان من اجتمع لهُ الموسم والقضاء جميعًا سَعْدُ بن زيد مناة بن تميم. ثمّ وليّ ذلك حنظلة بن مالك بن زيد مناة ووَلِيَهُ ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم. ثمَّ وليَهُ مازن بن مالك بن عمرو بن تميم. ثمَّ الأَضْبط بن قُريع بن عوف بن كعب بن سعد. ثمَّ صَلْصل بن أوس بن مخاشن بن معاوية بن شُرَيف بن جُرْوة. وكان آخر تميميّ اجتمع لهُ القضاء والموسم سُفيان بن مجاشع فمات حتَّى جاء الإسلام وكان محمَّد بن سفين بن مجاشع يقضي بعكاظ فصار ميراثًا لهم فكان آخر من قضى منهم الذي وصل إلى الإسلام الأقرع بن حابس ))

## ٢ الصنائع بين عرب الجاهلية

ان كان العرب في الجاهليَّة قد استغنوا عن كثير من العلوم لعدم حاجتهم إليها ليس الأمر كذلك في الصنائع. فانهم كانوا مع سذاجة عيشهم يحتاجون إلى كثير من المصنوعات التي الاَّ تُنال الاَّ بالحِرَف والصناعات كالمأكول والملبوس والأسلحة والمعاملات التجاريَّة. وقد كان للنصارى من العرب اليد الطولى في كلّ ذلك كما سترى

﴿ صناعة النسيج والحياكة ﴾ هذه الصناعة من مذاهب الحضارة. فكان عرب البادية يجهلونها وانَّما شاعت بني عرب الحَضَر. وأكثر ما نرى شيوعها بين نصارى العرب في جهات اليمن والبحرين والشام وفي بلاد قضاعة وكانوا يبيعون بعضها من اقباط مصر. وهذه بعض الشواهد على إثبات قولنا

قال الثعالبيّ في لطائف المعارف ( طبعة ليدن ص ٢٨ ) انَّ أهل اليمن (( كانوا يعيَّرون بالحياكة )) . وكان المثل يضرب برِياط اليَمَن وبُرود اليمن وربَّما كانوا يخطِّطونها. قال اوس بن حَجَر :

فاني رأَيتُ العِرْضَ احوجَ ساعةً إلى الصَّوْن من رَيْطٍ يَمانٍ مُسهَّمِ

وكانت البرود اليمانيَّة غالية الثَّمن ( التاج ٢ : ٣٠٠ ) ومنها ما كان يُصطنع في نجران. جاء في صحيح البخاريّ في باب البرود انَّ صاحب الإسلام كان يلبس (( بُرْدًا

نجرانيًّا غليظ الحاشية )) . وقد وصفوا أنواعًا من برود اليمن ذكرها ابن سيده في المخصَّص (٤ : ٧٢) كالعَصْب قال (( هو ضرب من الثياب يُعْصَب غزلهُ ويُدْرَج ثم يُصْبَغ ويُحاك يقال بُرْدُ عَصْبٍ )) . وكالمَرَاجل يقال ثوب مُمَرْجَل أي على صنعة المِرْجَل وهو ضَرْب من الوشي. وكالخَال وهو الثوب الناعم. وكالحِبْرَة والحَبَرَة وكلُّها من برود اليَمَن

وممَّا نُسب من الثياب إلى مخاليف اليمن الوشيُ العَبْقري المنسوب إلى عَبْقَر من أرض اليمن والطنافس العبقريَّة. قال ياقوت ( في مادَّة عبقر ) : (( بنو يزيد ينسجون الصوف فعملوا منهُ الزرابيّ العبقريّة وعملوا البرود اليزيديَّة )) . وممَّا نُسب على شرْعب المخلاف باليمن البرود الشرعبيَّة. ونُسب إلى مخلاف جَيشان الخُمُرُ الجيشانيَّة. وإلى سَحُول ورَيْدة قريتين في اليمن الثياب السَّحُولية المصنوعة من القطن الأبيض قال طرفة ( ديوانهُ ٧٦ ) :

وبالسَّفْح آياتٌ كأَنَّ رسومها يَمَانٍ وشَنْهُ رَيدَةٌ وسَحُولُ

وإلى السَّدير من أرض اليمن نسبوا البرود السَّديريَّة قال الأعشى :

وبيداءُ قفر كبُرْد السديرِ مشاربُها دائراتٌ أُجُنْ

وكان اليمنيُّون يعملون الرحال وينقشونها ويحسنون صنعها قال جرير (نقائض ٧٥٦) يصف رحالاً :

ومنقوشةٍ نقشَ الدنانير عوليَتْ على عجَلٍ فوق العتاق العياهمِ

ومن ثياب اليَمَن الرَّقْمُ والعَقْلُ وهما أَحمران كانوا يسدلونهما على هوادج النساء (المفضَّليات ص ٥٧٨). ومثلهما الغزل اليماني ذكرهُ أبو الفرج في الأغاني ( ١ : ٣٢ ). وما يدل على أنَّ هذه المنسوجات كانت من صنع النصارى ما ذكرهُ ابن سعد في طبقاتهِ في باب الوفود قال عن وفد نجران وكلُّهم من النصارى انّ رسول الإسلام صالحهم (( على ألف حُلَّة في رجَب وألف في صَفَر اوقيَّةُ كلّ حلَّةٍ من الأواق وعلى عاريَّة ثلثين درعًا وثلثين رمحًا وثلثين فرسًا )) . وقد تكرَّر في كتب الحديث ذكر الحلل والأنسجة والحرائر النجرانيَّة

وكان العرب قبل الهجرة وفي أوائل الإسلام يقتنون أيضًا ملابسهم عند نصارى منبج وإليها نسبوا الاكسية المنبجانيَّة ويقال الانبجانيّة

وقد اشتهرت بين العرب المنسوجات القبطيَّة. فان بعض مدنها كالاسكندريَّة ودمياط وتنّيس والفرما كانت تحتوي على معامل شائعة الذكر قال ياقوت ( ٢ : ٦٠٣ ) : « ان دمياط كان يُعمل فيها القَصَب البلخيّ من كلّ فنّ والثياب البيض الغالية الثمن والفرش القلَموني من كلّ لون المعلّم والمطرَّز » . وإلى القبط نُسبت القباطيَّات وكانت ثيابًا معروفة بالرقَّة والدقَّة والبياض. قال الكميت يصف ثورًا :

لَياحٌ كأَنْ بالأَتْحميَّة مُسْبِغٌ ازارًا وفي قبطيَّةٍ متجلببُ

وفي الحديث انَّ محمدًا كان يجلّل بدنَهُ القباطيُّ والأنماط. والنَّمط ضرب من الثياب المصبغة. وقد ذكر المقريزي في الخطط ( ١ : ١٨١ ) انَّهم في الإسلام كانوا يأخذون كسوة الكعبة من تنّيس وذُكر عن الفاكهيّ انهُ رأى لهارون الرشيد كسوة من قباطيّ تاريخُها سنة ١٩٠ هـ ( ٨٦٠ م ). وذكر أيضًا الثياب القيسيَّة والثياب الدبيقيَّة إلى دَبيق مدينة بين الفرما وتنيس وكانت من أدقّ الثياب المنسوجة بالذهب

وكان أكثر الحرير يأتي بهِ العرب من بلاد الروم. قال الأخطل ( راجع ديوانهُ ص ٣٨٧ ) :

بناتُ الروم في سرَقِ الحرير

والسَّرَق واحدتُهُ سَرَقة وهي شقائق الحرير أو أجودهُ وقال في ذلك :

يَرْفُلْن في سَرَقِ الفِرِنْدِ وقَزّهِ يَسْحَبْن من هُدَّابهِ أَذْيالا

ومن الأنسجة الثمينة التي كان يتزاحم عليها امراء العرب الدَّفْني من مصنوعات اليمن. قال الأعشى يصف بعض الأعيان ( شرح المفضَّليات ص ٥٢٨ ,éd. Lyall ) :

يَمْشون في الدَّفْنيّ والأَبرادِ

ومثلها السَّيْراء من برود اليمن الموشَّاة المخطَّطة التي يخالطها الحرير كالسُّيور كان يحيكها نصارى نجران ودومة الجندل. وفي الحديث أنَّ أُكَيْدِر بن عبد الملك النصراني صاحب دومة أهدى إلى محمَّد حُلَّةً سَيْراء ( التاج ٣ : ٢٨٧ ). وكذلك عرف أهل مكَّة الارجوان من مصنوعات سواحل الشام ورد ذكرهُ في تاريخ اليعقوبي

( ٢ : ٢٣ ) في وصف زينة نبيّ الإسلام وفي حديث الخليفة عثمان بن عفَّان ( النهاية لابن الأثير ٢ : ٧١ ). وقد ورد في صحيح مسلم ( ٢ : ١٥٢ ) وصحيح الترمذي ( ١ : ٣٣١ ) وفي انساب البلاذري (٣٣٢) وغيرها ذكر حلل الديباج والثياب المُعَصْفَرة والحِبَر المفوَّفة أي الرقيقة الوشاة والطيالسة التي كان يهديها الوفود من أهل اليمن ومن الرهبان إلى صاحب الشريعة الإسلاميَّة وأكثرها من صنع نصارى اليمن أو الشام. قال ابن الأثير في أُسْد الغابة في أخبار الصحابة ( ٢ : ٤١١ ) انَّ عطارد بن حاجب الذي وفد على نبيّ الإسلام مع وجوه تميم النصارى وكان سيّدًا في قومهِ أهدى محمَّدًا ثوب ديباج. وروى المسعودي في مروج الذهب (٤ : ١٧٨) انّ ملوك اليمن قدموا إلى أبي بكر وعليهم الحُلَل والحبرَ وبرود الوشي. وذكر أيضًا ( ١ : ٢٢١ ) الساج والطيلسان فيما فرضهُ خالد بن الوليد على النصارى العباديّين وزعيمهم عبد المسيح بن بقيلة من أهل الحيرة. وكذلك صاحب بانِقْيا بُصْبُهْر بن صَلوبا ذكر البلاذريّ في فتح البلدان ( ص ٢٤٤ ) انَّهُ « صولح على ألف درهم وطيلسان »

وكان اليمنيُّون يحسنون عمل الرحال وينقشونها قال جرير ( النقائض ص ٧٥٦ ) :

ومنقوشةٍ نقش الدنانير عُولِيَتْ  على عَجَلٍ فوق الغِتاقِ العياهِمِ

ومن منسوجاتهم أيضًا الطنافس والبُسُط والأَنْطاع. اتَّخذوا بعضها لكسوة الكعبة قال البلاذريّ في الفتوح ( ص ٤٧ ) : « وكانت كسوة الكعبة في الجاهليَّة الانطاع والمغافر (والصواب المَعَافر وهي منسوجات يمنيَّة) فكساها الرسول صلعم الثياب اليمنيَّة ثمّ كساها عُمر وعثمان القباطيَّ ثمَّ كساها يزيد بن معاوية الديباج ... وكساها بنو أميَّة في بعض أيَّامهم الحلل التي كان أهل نجران يؤدُّونها » . ومن الطنافس الشهيرة الطنافس العبقرية التي كان يصطنعها نصارى تنوخ وقضاعة. قال ابن خلدون في تاريخهِ ( ٢ : ٢٤١ ) : « انَّ التنوخيين نزلوا عَبْقَرة من أرض الجزيرة ونسَج نساؤهم البرود العبقريّة » . وقال ياقوت في معجم البلدان ( ٣ : ٩٠٧ ) ان عبقرة كان يوشى فيها البسط وغيرُها فنُسب كل شيء جيد إلى عبقرة. وقال الفرَّاء هي الطنافس الثخان. وقال مجاهد : العبقريّ الديباج. وقد ذكر المقريزي في الخطط مصانع البُسط في صعيد مصر ممَّا كان يشتغله نصارى الأقباط في البهنساء ودمياط وتنِّيس ودابق. ذكر انَّ بعض البسط كان يبلغ طولهُ ٣٠ ذراعًا وكان يباع الزوج منها

مائتي مثقال ذهب. وروى أنّ فسطاطًا صنعوهُ في تنيس منسوجًا بالذهب بيع بقيمة ١٤,٠٠٠ دينار ما يساوي اليوم من نقودنا نحو ٢٠٠,٠٠٠ فرنك وكانوا ينقشون على هذه البُسط صورًا شتَّى من الرجال والسباع والخيل والطيور. وفي متاحف اوربَّة منها بقايا (Gayet : l'Art Arabe, 248 – 252) وكان البعض منها مصلَّبًا أي منقوشًا عليها الصلبان (١ . وروى في التاج في حديث جرير ( ١ : ٣٣٨ ) قولهُ : « رأَيتُ على الحُسَين ثوبًا مصلَّبًا أي فيهِ نقش أمثال صلبان »

﴿ النجارة ﴾ هي أيضًا إحدى الصنائع التي شاعت بين النصارى فاستفاد منها العرب في الجاهليَّة وأوائل الإسلام وذلك لندورة الخشب في أنحاء كثيرة من جزيرة العرب الأَّ اطرافَها ولبُعد العرب عن العمران الحضَري. قال ابن خلدون في المقدَّمة ( ٢ : ٣١٣ طبعة باريس ) : « انَّ العرب أبعد الناس من الصنائع والسبب في ذلك انهم أَعرق في البدو وأَبعد من العمران الحَضَري. والعجم من أهل الشرق وأمم النصرانيَّة عدوة البحر الرومي أقوم الناس عليها لأنهم أعرق في العمران الحَضَري وأبعد عن البدو » ثم ذكر كيف أن العرب استجلبوا صنائعهم من عند تلك الأمم

وقد مرَّ لنا شيء من أعمال النصارى الخشبيَّة في جزيرة العرب منها ما سبق في ذكر القليس ( المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٥٢٥ ) وما دخل فيهِ من الأخشاب الثمينة كالسَّاسم والساج والابنوس اشتغلها النصارى فزيَّنوا بها كنائسهم قبل الإسلام

ومثل ذلك ما رواهُ أبو الوليد محمَّد الأزرقيّ في كتاب أخبار مكَّة ( ص ١٠٥، ١٠٧، ١١٤ ) عن باقوم الروميّ النجَّار والبنَّاء الذي وكلت إليهِ قُرَيش بناء الكعبة بعد حريقها وتصدُّع جدرانها فبناها بما اشتراهُ القريشيُّون من الخشب الذي أقبلت بهِ سفينةٌ للروم إلى جُدَّة. وهم نصارى الأقباط والروم أيضًا الذين سقَّفوا بالساج المزخرف المسجد الحرام في مكَّة في أيَّام الوليد بن عبد الملك ( الأزرقيّ ص ٢٠٩ )

وممَّا صنَعَهُ النصارى في أوَّل الإسلام لخدمة نبيّه وخلفائهِ الراشدين المنبر اصطنعهُ أَولاً روميٌّ نجَّار كما روى أبو سعيد وقيل « انَّ اسمهُ باقوم أو ياقول الروميّ غلام سعيد بن العاص » وقيل انَّ اسمهُ ابرهيم النجَّار ( أسد الغابة في معرفة الصحابة

---

١) اطلب أيضًا H. LAMMENS, Fâtima, 70-71

لابن الأثير ١ : ٤٣ ) كان يجلس عليهِ محمَّد للجمعة

وكان في خدمة نبيّ الإسلام صانعٌ نصراني آخر اسمهُ تميم بن أوس الداري من نصارى لخم أسلم سنة ٩ للهجرة وخدم محمَّدًا وكان يسكن معهُ المدينة ويدعونه راهب الأمَّة (١ ثم اقطعهُ قرية عينون عند بيت المقدس ( أسد الغابة ١ : ٢١٥ )

ثمَّ أضافوا إلى المنبر عرشًا كان يجلس عليهِ محمَّد إذا خطب كما جاءَ في طبقات ابن سعد ( ج ٢ ق ٢ ص ١١ ) وكان أيضًا من عمل النصارى. وبعد موت نبيّ المسلمين تردّد الخلفاء الراشدون في رقيّ المنبر وقد أخبر المقريزيّ ( الخطط ٢ : ٢٤٧ ) ان عَمْرو بن العاص اتَّخذ منبرًا فكتب إليهِ عمر بن الخطَّاب يعزم عليهِ في كسرهِ ويقول « أَمَا حسبُك أن تقوم قائمًا والمسلمون جلوس تحت عقَبَيْك » فكسرهُ. لكنَّهم ما لبثوا أن أقاموا المنابر في المساجد. روى المقريزيّ ( ٢ : ٢٤٨ ) عن والي مصر قُرَّة بن شريك العبسيَّ انَّهُ نصب منبرًا جديدًا في السنة ٩٤ هـ (٧١٣ م ). ( قال ) « وذُكر انهُ حُمل إليهِ من بعض كنائس مصر وقيل انَّ زكريَّا بن برقنى ملك النوبة النصرانيّ أهداهُ إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرج وبعث معهُ نجَّارًا حتَّى ركَّبهُ واسم هذا النجَّار بقطر من أهل دندرة ولم يزل هذا المنبر في المسجد حتَّى زاد قرَّة بن شريك في الجامع فنصب منبرًا سواهُ »

وكان العرب يلتجئون أيضًا إلى أهل الأرياف من الشام واليمن والعراق فيتَّخذون من نجَّاريهم العَمَد والأوتاد لخيامهم والحدوج لظعائنهم والرماح والقسيّ والسهام لسلاحهم لأنَّ الخشب مادَّةٌ لكلّ هذه كما بيّن ابن خلدون في مقدَّمتهِ ( ٢ : ٣٢٤ ) ولا تصير إلى الصورة الخاصَّة بها الاَّ بالصناعة والقائم على هذه الصناعة هو النجَّار. وقد بقي من أعمال النصارى الدالَّة على براعتهم في هذه الحرفة عدَّة آثار تُرى في كنائس وأديرة أقباط الصعيد وطور سيناء والجزيرة ومنها ما تحوَّل إلى جوامع ومنها المقاصير القديمة والشعارى والمشارب كان النصارى يهندسونها قديمًا وصبر بعضها على آفات الدهر

﴿ الحدادة ﴾ كما النجارة كذلك الحدادة خدم بها نصارى اليمن والشام والبحرين قبائلَ عرب البادية. وكان الحدّاد يُدعى في الجاهليَّة قَيْنًا. والقيون عند العرب بنو

---

١) اطلب مجلَّة تاريخ الأديان Revue de l'Hist. des Religions, 1920. p. 250 – 252

أسد قيل انَّ أوَّل من عمل الحديد منهم كان الهالك بن عمرو بن اسد بن خزيمة فدُعي أيضًا الحدَّاد هالكيًّا. وممَّن ورد ذكرهم في أوائل الإسلام من أرباب الحدادة خُباب بن الارت من نصارى بني تميم سُبي من وطنهِ وبيع في مكَّة فحصل في خدمة نبي المسلمين والخلفاء الراشدين من بعدهِ توفّي سنة ٧ هـ ( ٦٥٨ م )

وكان أكثر اتّخاذ العرب للحديد لتهيئَة آلات حربهم أعني السيوف والدروع ونصال الرماح والسهام والخُوَذ. امَّا السيوف فمن اكرمها وأشهرها المَشرفيَّات المنسوبة إلى المشارف من قُرى الشام. ومنها السيوف الحاريَّة وهي التي كان يصنعها نصارى الحيرة في العراق. ومنها السُّريجيَّات وكانت سيوفًا منسوبة الى قيْن يُدْعى سُرَيْجًا مصغَّر سرجيس. وفيها يقول العجَّاج :

وبالسُّرَيجيَّات يَخْطِفْنَ القَصَرْ

وقد ذكروا سبعة من مشاهير السيوف زعموا أنَّ بلقيس ملكة سبأ اهدَتْها إلى سليمان الحكيم وفي ذلك دلالة على أهلها اليمن وهي ذو الفِقار كان لمنبّه بن حجَّاج فصار إلى نبيّ الإسلام ثم ذو النون والصمصامة كانا لعمرو بن معدي كرب ثمَّ مِخْدم ورَسُوب كانا للحارث بن جبلة ملك غسَّان النصرانيّ ثم ضِرْس الحمار وقيل ضرس العِير أو ضرس البعير كان لعلقمة بن ذي قيفان الحميريّ ثم الكَشُوح ولم يذكروا صاحبَهُ

امَّا الدُّروع فممَّا يدلُّ على علاقتها بالنصارى وأهل الكتاب أن العرب ينسبون نسجها إلى داود وسليمان كما رويناهُ سابقًا ( راجع الصفحة ٢٣٣ و ٢٧٢ ـ ٢٧٣ ). وكل يعرف خبر الدروع التي أودعها امرؤ القيس الكندي الشاعر النصراني عند السمؤَال ( اطلب ديون السمؤَال الذي نشرناهُ آنفًا ص ٨ ). وقد عُرف أيضًا أهل نجران بصناعة الدروع والدليل عليه أنَّ محمَّدًا صالحهم على ثلثين درعًا كما سبق. ومن دروع البحرين والرُّدَيْنيَّات نُسبت إلى امرأة تدعى رُدَينة كانت تبيعها أو تصنعها. ومنها ما كان يُنسج حلقتَين حلقتَين وهي المضاعفة قالت الخنساء تصف لأمة أخيها صخر :

إذا تـلأم في زَعْفٍ مضاعَفَةٍ وصارمٍ مثل لون المِلْح جرَّادِ

امَّا نصال الرماح والسهام فزعم الثعالبي في لطائف المعارف (ص ٧,éd. de Jong)

« انَّ أوَّل من عُمل لهُ سنان من حديد سيف ذو يزن الحميري وإليهِ نُسبت الرماح اليَزَنيَّة وانَّما كانت أسنَّة العرب صياصئ البقر » والله أعلم وانَّما يُرجَّح الرأي بأنَّ أصل النصال من اليمن ومن الأمم النصرانيَّة المجاورة للعرب. وقد امتازت بين الرماح العربيَّة السَّمهَريَّات نسبةً إلى سَمْهَر اسم رجل قيل انهُ زوج رُدَيْنة ورفيقها في الحدادة. ومنها الخطّيَّات وهي رماحٌ كانوا يستجلبونها من الخطّ وهو مرفأ للسفن في البحرين وعمان. وكذلك السهام الصاعديَّة منسوبة إلى قريةٍ صَعْدة في اليمن على غير قياس

واتَّخذوا أيضًا من الحديد الجواشن ومثلها الخوَذ يقنِّعون بها رؤوسهم تعلَّموها من الروم والفرس وهي البَيْض. ثم انتشر استعمالها في بلاد الإسلام حتَّى انَّهم أَحْصوا ما في خزانة السفَّاح أوَّل خلفاء بني عبَّاس فوجدوا خمسين ألف درع وخمسين ألف سيف وثِلثين ألف جوشن ومائة ألف رمح. وزادت على ذلك في أيَّام هارون الرشيد فأحصاها الفضل بن الربيع فوجد عشرة آلاف سيف محلاَّة بالذهب وخمسين ألفًا للشاكريَّة والغلمان ومائة وخمسين ألف رمح ومائة ألف قوس وألف درع خاصَّة محلاَّة وألف درع عامَّة وعشرين ألف بيضة وعشرين ألف جوشن ومائة وخمسين ألف ترس وأربعة آلاف سرج محلاَّة خاصَّة وثلثين ألف سرج عامَّة ( مطالع البدور للغزولي ٢ : ١٦٢ )

وممَّا يدلّ على اتساع فنّ الحِدادة بين نصارى العرب وَفْرة أسلحة ملوك الحيرة. فقد ذكر أبو الفرج في الأغاني ( ٢٠ : ١٣٢ ) انَّ النعمان بن المنذر لمَّا خاف كسرى وحاول الفرار من وجههِ استودع مالهُ هانئَ بن مسعود الشيباني وكان في جملة وديعتهِ « ألف شِكَّة ويقال أربعة آلاف شكَّة. والشكَّة السلاح كلُّه » . وكان للنعمان بن المنذر كتائب مدجَّجة بالأسلحة الحِيريَّة اخصَّها كتيبتاهُ الشهباء والدَّوْسر. وقد ذكر ابن خلدون في تاريخهِ ( ٢ : ١٨٠ ) : « الباهوت مَسْلحة كسرى في الحيرة »

وكانت في بُصْرى أيضًا في حوران مصانع أسلحة مشهورة. قال الحصين بن الحُمام يذكر عمرو بن هند ملك الحيرة المعروف بالمحرِّق ( شرح المفضَّليات ص ١٠٨ éd. Lyall, ) :

عليهنَّ فتيانٌ كساهُمْ محرِّقٌ وكان إذا يكسو أَجاد وأَكْرما

صفائحَ بُصْرى أخْلصَتْها قيونُها ومُطَرِدًا من نَسْج داوودَ مُبْهما
يهزَّون سُمْرًا من رِماحِ رُدَيْنةٍ إذا حُرِّكت بَضَّت عَواملُها دَما

وكانوا يطبعون أسلحتهم ويرسمون عليها النقوش والتماثيل فكان على سيف الحارث بن ظالم صورة حيَّتين وانشد ( شرح المفضَّليَّات ص ٦١٦ ) :

علَوْتُ بذي الحيَّات مَفْرِقَ رأسهِ وهل يَركبُ المكروهَ الأَّ الأكارِمُ

أراد بذي الحيَّات سيفهُ لِما كان عليهِ من تمثال الحيَّات. وذكر الآخر سيفًا عليهِ صورة سمكة فعُرف بذي النون ومرَّ ذكرهُ :

ويُخْبِرهُ مكانُ النُّونِ مني وما اعطَيتُهُ عَرَقَ الخِلاَلِ

﴿ التجارة ﴾ قد اشتهر العرب منذ القديم بالتجارة كما ورد ذلك في سفر التكوين ( ٣٧ : ٢٥ ) في قصّة يوسف الحسن الذي باعهُ اخوتهُ للأسمعيليين المنحدرين بتجارتهم إلى مصر. على أنَّ هذه التجارة راجت أسواقها بعد المسيح بهمَّة الأمم النصرانيَّة المجاورة للعرب لاسيَّما الرومان والحبش. وقد سبق لنا ( ص ٥٧ ) ذكر الوفد الذي أرسلهُ إلى الحميريين الملك قسطنسيوس ابن قسطنطين الكبير لعقد معاهدة تجاريَّة مع ملكهم. وذكرنا هناك أيضًا ما ورد في الدستور التيودوسيّ لثاودوسيوس الكبير بخصوص متاجرة الرومان والحبشة مع العرب

وقد اشتهر نصارى الحيرة بالتجارة. وقد ذكر أبو الفرج الاصبهاني ( الأغاني ٢٠ : ١٣٤ ) لَطِيمتَهم قال : « وهي عِيرٌ كانت تخرج من العراق فيها البزّ والعطر والألطاف يرسلونها إلى اليمن » . وقال في التاج ( ٩ : ٦٠ ) : « اللَّطيمة وعاء المسك أو سوقَهُ وقيل كلّ سوق يُجْلَب إليها غير ما يؤكل من حرّ الطيب والمتاع غير المِيرة »

وكانت قريش في الجاهليَّة ترتزق بالتجارة وربَّما رحلوا إلى الحيرة. وقد ذكر في الأغاني ( ٨ : ٤٨ ـ ٤٩ ) خروج مسافر بن أبي عمرو بن أميَّة من سادة قُريش وأبي سفيان بn حرب إلى الحيرة لأمورهم التجاريَّة. وقال الثعالبيّ في لطائف المعارف ( ص ٧ ـ ٨ éd. de Jong ) ان هاشمًا وهو عمرو بن عبد مناف كان « أوّل من سنِ الرحلتين في التجارة رحلة الشتاء والصيف وهو أوَّل من خرج إلى الشام من قُريش ووفد على الملوك وأبْعد في السَّفر ومرّ بالأعداء وأخذ منهم الإيلاف الذي ذكره الله تعالى » يُشير إلى سورة قُريش ( ١٠٦ : ١ ـ ٢ ) حيث يقول : « لإِيلافِ قُرَيْش

إِيلافِهم رِحْلةَ الشتاء والصيف » . قالوا الإيلاف العهد والذمام قال الفيروزابادي : « الإيلاف شبه الإجازة بالخفارة وأوَّل من أخذها هاشم من ملك الشام » . وورد في تفاسير القرآن انَّ أصحاب الإيلاف كانوا أربعة اخوة وهم بنو عبد مناف أوَّلهم هاشم وكان يؤَالف ملك الشام باع منهُ خيلاً فسمح لهُ ان يتاجر في الشام. والثاني عبد شمس وكان يؤَالف إلى الحبشة. والثالث المطَّلب وكان يرحل إلى اليمن. والرابع نوفل وكان يرحل إلى فارس وكان هؤلاء يسمَّون المتَجرين. وفيهم قال الشاعر :

يا أيُّها الرجلُ المحوّلَ رحلهُ هلاّ نزلتَ بآلِ عبد منافِ
الآخذون العهدَ من آفاقها والراحلون لرِحْلةِ الايلافِ
والرائشون وليس يوجد رائش والقائلون هلمَّ للأضيافِ
والخالطون غنيَّهم بفقيرهم حتّى يصير غنيُّهم كالكافي

وقال الثعالبي في ثمار القلوب ( ص ٩ ) : « انَّ قريش زهدوا في الغُصوب فلم يبقَ لهم مكسبةٌ سوى التجارة فضربوا في البلاد إلى قيصر بالروم والنجاشي بالحبشة والمقوقس بمصر وصاروا بأجمعهم تجارًا خلطاء » وقال في الأغاني ( ٨ : ٥٢ ) : « وكانت أرض الحبشة لقريش متجرًا » . وذكر هناك عمارة بن الوليد المخزوميّ وعمرو بن العاصي بن وائل السهميّ وخروجهما إلى النجاشي في الجاهليَّة للاتّجار

وكان للعرب عدَّة أسواق يجتمعون فيها للمقايضات وضروب المبايعات قد ذكرها في المشرق ( ١ [١٨٩٨] : ٨٦٧ ) جناب الأديب محمود شكري أفندي الألوسيّ. وكان معظم هذه الأسواق في جهات الجزيرة العربيَّة التي يغلب فيها عدد النصارى في الجاهليَّة وأكثرهم من الحضَر يرتزقون بالتجارة كأَسواق البحرين في عمان وهَجَر والمشقَّر وصُحار وكأَسواق حَضْرَمَوْت والشِّحرْ وكأَسواق اليمن مثل سوق صنعاء وكسوق دَوْمة الجندل وكسوق عُكاظ في الحجاز التي كان يقوم فيها قسّ بن ساعدة واعظًا وخطيبًا مصقعًا

وممَّا لم يذكرهُ هناك من الأسواق العربيَّة النصرانيَّة سوق الحيرة وقد ذكرهُ أبو الفرج في الأغاني قال ( ١٦ : ٩٩ ) قال : « وكان بالحيرة سوقٌ يجتمع إليهِ الناس كلّ سنةٍ » وروى هناك خروج الحكم بن أبي العاصي إليهِ ومعهُ عطرٌ يريد بيعهُ وأخذ حسَّان بن جَبَلة الخير على نفسهِ ان يقدّم للقوم « كلَّ خمر أو لحم أو طعام ما أقاموا

في سوق الحيرة )) . وقصد حاتم الطائي هذه السوق أيضًا وأظهر فيها شيئًا من كرمهِ الذي ضُرب بهِ المثل بنحرهِ الجزور وإطعام الناس

وما لا يُنكر انَّ أهل اليمن وعمان والبحرين وهَجَر والحيرة كانت تجارتهم واسعةً رابحة ومعائشها رغدة والخصبُ والرخاء غالبين على أطرافهم مع ما فيها من وفرة الغلاَّت والذخائر وصنوف المعادن والارفاق بخلاف عرب نجد والحجاز فكان بلادهم مجدبة قاحلة كثيرة الرمال والصحارى. وقد جاء في سيرة نبيّ الإسلام انهُ تعاطى التجارة في شبابهِ استأجرتهُ خديجة بنت خويلد في مالها فكان يخرج بهِ إلى الشام تاجرًا فرأى أهلها النصارى ودخل صوامع رهبانها وكان محظوظًا في تجارتهِ فدعا ذلك خديجة إلى أن تقترن بهِ

وكما كان العرب يخرجون إلى بلاد النصارى المجاورة لبلادهم كذلك كان النصارى يقدمون إلى الحجاز ويبيعون أهلها محصولات أوطانهم. ولنا على ذلك عدَّة شواهد. منها (( موقف النصارى )) في مكَّة قال في التاج في مادَّة حسر ( ٣ : ١٤٠ ) : (( بطن مُحَسِّر وادٍ قرب مُزدلفة بين عرَفات ومِنَى. وفي كتب المناسك هو وادي النار لأنهُ موقف النصارى. وأنشد عُمر رض حين أفاض من عَرَفة إلى مزدلفة وكان في بطن مُحسَر :

إليكَ يعدو قَلِقًا وضينَا مخالفًا دين النصارى دينا ))

وكذلك (( مقبرة النصارى )) في مكّة أيضًا ذكرها الأزرقي في أخبار مكّة (ص ٥٠١) وقال انها دُبر المِقْلع أي الجبل الذي بأسفل مكّة على يمين الخارج إلى المدينة على طريق بئر عَنْبسة

وكان بعض هؤلاء التجار ينشرون النصرانيَّة في مكَّة. جاء في أُسد الغابة لابن الأثير ( ٥ : ١٧٢ ) انَّ ولدين لأبي حصين الانصاري تنصَّرا على يد تجَّار من الشام اتوا إلى مكَّة وانهما لحقا معهم بالشام

ومن سِلَع تجار النصارى في الجاهليَّة وبعدها الخمرُ كانوا يعصرونها ويبيعونها ويشربونها في مجالس الانس. وقد وصفها شاعرهم الأعشى بقولهِ :

وكأسٍ شربتُ على لذَّةٍ وأخرى تداويتُ منها بها
ليعلمَ مَنْ لام انّي امروٌ أتيتُ المروءَة من بابها

وقد اعتادوا عَصْر المدامة لدخولها في مشاعرهم الدينيَّة في القربان. كما مرَّ سابقًا. وتغنَّوا في معانيها الرمزيَّة كما فعل ابن الفارض في ميميَّتهِ

وممَّا تاجر بهِ نصارى اليمن والعراق والبحرين الجواهر والحجارة الكريمة كالجَزْع والياقوت واللآلئ وقد اشتهر الجَزْع اليماني وقد عُرف أيضًا بالخرز اليمانيّ ( conque de Vénus) وكان يتاجر بهِ أهل ظَفار فنُسب إليهم. قال المرقِّش الأصغر يصف ظعائن يقطَعْنَ القفار :

تجلبْنَ ياقوتًا وشَذْرًا وصِيغَةًوجَزْعًا ظَفاريّا ودُرًّا تَوَائمًا

وقد ذكر في الأغاني ( ١١ : ١٦٣ ) دَرْجًا لطلحة الطلَحات كان فيه حجارة ياقوت يساوي ثمنُ كلّ حجرٍ منها أربعين ألف درهم

وروى البكري في مُعجَم ما استَعْجم يصف ركوب ملك الحيرة إلى دير اللجّ ( ص ٣٦٦ ) : « وكان النعمان يركبُ في كلّ أحوالهِ وفي كلّ عيدٍ ومعهُ أهلُ بيتهِ خاصَّةً من آل المُنْذِر مَن يُنادمُهُ عليهم حُلَلُ الديباج المذهَّبة وعلى رؤُوسهم اكاليل الذهب وفي اواسطهم الزنانير المفضَّضة بالجوهر وبين أيديهم أعلامٌ فوقها صُلْبان الذهب فإذا قضوْا صلاتهم انصرفوا إلى مستشرفة على النجف »

أما اللآلئ والدُور الثمينة فكان يغوص عليها أهل البحرين منذ زمن الجاهليَّة. قال النابغة الذبيانيّ :

أو دُرَّة صَدَفيّةٍ غوَّاصُها بَهِجٌ متى يَرَها يُهِلَّ ويَسْجُدِ

وقد أحسن المسيِّب بن علَس في وصفهِ الغائص على اللآلئ وانتخابهِ الثمين بينها واستخراجها من البحر قال ( شعراء النصرانيَّة ٣٥٦ وخزانة الأدب ١ : ٥٤٤ )

كجُمانة البَحْريّ جاءَ بها غوَّاصُها من لُجَّة البَحْرِ
صَلْبُ الفؤاد رئيسُ أربعةٍ متخالفي الألوان والنَّجرِ
فتنازعوا حتَّى إذا اجتمعوا ألقَوا إليهِ مقالدَ الأمرِ
وعلَتْ بهم سَجْحاءُ خادمةَ (١ تهوي بهم في لُجَّة الغَمرِ
حتَّى إذا ما ساءَ ظنُّهُمُ ومضى بهم شهرٌ إلى شهرِ
ألقى مراسيَهُ بتَهْلكةٍ ثبتَ مراسيها فما تَجْري

١) أراد بالسَّجْحاء السفينة الطويلة الظهر

فانصبَّ أسْقَفُ رأسهِ لَبِدٌ نُزعت ربًا عيناهُ للصَّبْرِ (١
أشْفى يَمُجُّ الزيتَ (٢ ملتمسٌ ظمآنُ ملتهبٌ من القَفْرِ
قَتلتْ اباهُ فقال أتبعُهُ أو استفيدَ رغيبَة الدهرِ (٣
نصفَ النهار الماءُ غامِرُهُ وشريكُهُ بالغَيْب ما يدري
فأصاب مُنْيتَهُ فجاءَ بها صدفيَّة كمُضيئَة الجَمْرِ
يُعطَى بها ثَمنًا فيمنعُها ويقول صاحبُهُ ألا تشري
وترى الصواري (٤ يسجدون لها ويضمُّها بيديهِ للنَّحْرِ
فَلَتلك شبهُ المالكيَّة اذ طلعت ببهجتها من الخَدْرِ

( الملاحة ) كما اشتهر نصارى العرب بالتجارة البرّيّة كذلك أصابوا في التجارة البحريَّة سهمًا فائزًا. وقد بيّنا سابقًا انتشار النصرانيَّة في سواحل جزيرة العرب في اليمن وعمان والبحرين فوجدوا في مجاورة البحار وسائلَ جديدة لتنمية ثروتهم وزيادة أرباحهم. فكان الحميريُّون وأهل البحرين يحسنون اصطناع السفن وعمارتها فيقطعون بها خليج العرب إلى الحبشة وبحر عمان إلى الهند وخليج فارس إلى جهات العجم. وقد أشاروا إلى ذلك في شعرهم قال عمرو بن كلثوم التغلبيّ في معلّقتهِ يفتخر بكثرة سفن قبيلتهِ تغلب النصرانيَّة :

ملأْنا البرَّ حتَّى ضاق عنَّا وظَهْر البحْرِ نَمْلأُهُ سَفينا

وقد أحسن طرفة في وصفهِ لسُفن قومهِ في البحرين فذكر بعض أشكالها العظيمة وهي الخلايا والعَدَوْليَّة من سفن البحرين وذكر أحد رؤساء البحر المدعو ابن يامن ومَخْر سفينتهِ غمرَ المياه فقال :

كأنَّ حُدوجَ المالكيَّة غُدْوَةً خَلايا سَفِينٍ بالنواصف من دَدِ
عَدَوْليَّةٍ أو من سَفينِ ابن يامنِ يجورُ بها الملاّحُ طورًا ويهتدي
يَشُقُّ حَبَابَ الماء حيزومُها بها كما قَسَم التُّرْبَ المُفائلُ باليَدِ

وذكر الأَعشى النوتيَّ السائر بسفنهِ على الفرات عند طغيانهِ :

---

١) أي رمى بنفسهِ في البحر وغاص لإخراج الدُّرّر. والأَسقفُ الطويل المنحني ليغوص. واللَّبَد أي المتلبّد
٢) اراد بالزيت الماءِ أي اشرَف يقذف الماء من فيهِ كعادة الغائص
٣) يريد أنَّ ابا هذا الغائص هلك في تحصيل هذه الدرَّة غرقًا فقال ابنهُ أَتبعهُ أو انالها
٤) الصواري جمع صارٍ وهو الملاَّح والبحري. ويُروى : الشواري جمع شارٍ أي المشتري. وسجودهم لفخر الدرَّة ونفاستها

مثل الفُراتيّ إذا ما طما يَقْذِفُ بالبوصيّ والماهرِ

وأشار امرؤ القيس إلى طَلْي السُّفن بالقيرِ :

فشبَّهتُم في الآلِ حين زَهاهُمُ عصائبَ دَوم أو سفينًا مُقَيَّرا

وقال الشمَّاخ يذكر سُفن البحرين وغَواربها الكبيرة :

رِماحُ رُدَيْنةٍ وبِحارِ لُجٍّ غَواربُها تُقاذِفُ بالسَّفينِ

وكانوا يدعون النوتيَّ ملاَّحًا وصراريًّا جمعهُ صراريّ أيضًا وصُرَّاء قال ربيعة بن مقروم :

واعرضَ واسطٌ فعَدَلتَ عنهُ كما عَدلَ الصرارِيُّ السفينا

وقال الممزّق العبديْ :

الا ابنَ المُعلَّى خِلْتَنَا وحَسِبْتَنا صراريَّ نُعْطِي الماكسينا مُكُوسا

على أنَّ فنّ الملاحة الذي كان يعرفهُ ويزاولهُ عرب الحضَر في سواحل الجزيرة كان في الغالب مجهولاً لدى عرب الحجاز ونجد. بل كانوا يعدُّون ركوب البحر كالطامَّة العظمى فبعد انتشار الإسلام وثبوت قدمهِ إذ رأووا في سواحل الشام ومصر سفن الروم أرادوا أن يعبروا البحر ليغزوا الجزائر كقبرس أو سواحل اليونان وآسية الصغرى فالتجأوا إلى من كان في حوزتهم من الروم في الشام والاقباط في مصر ومن نصارى العرب في جهات البحرين فتعلَّموا منهم صناعة السفن كما أخذوا صناعة التجارة لأنَّ انشاء السُفن يحتاج إليها لما يدخلها من الألواح والدُّسُر والصواري والمجاذيف مع هندسة أجزائها فعمَّروا لهم السُّفن وجهَّزوها لحروبهم في أيّام معاوية ودولة بني أميَّة

وفي اللغة ما يدلُّ على أصل فنّ الملاحة الأجنبيّ فترى فيها ألفاظًا متعدِّدة امَّا رومية وامَّا آراميَّة أو حبشيَّة تثبت حدوث الملاحة في الحقبة الأولى من الإسلام وقد تقلَّدوا في صنعها صورة مراكب الروم واليونان في هيئاتها المختلفة واجرامها المتباينة. فممَّا استعاروه من اليونانيَّة : اسطول ( στόλος ) أَنْجر ( ἄγκυρα ) نوتي ( ναύτης ) . ومن السريانيَّة أو الآراميَّة : سفينة. قارب. قُرْقور. دَقل. ربَّان. ملاَّح. سُكَّان. قِلْع. مجذاف. صارٍ. ومن الحبشيَّة: بَحر. شِراع. مرسى

( النُّقود ) انَّ التجارة والمفايضات في البيع والشراء لا تجري عادةً الاَّ بمسكُوكات ونقود تُدفع بدلاً من السِّلَع والبضائع. وكان للدول النبطيَّة ولملوك ميشان وخراسان

في العراق ولملوك الجزيرة في جهات الرها وحضَر. ولملوك تدمر نقود ضربوها باسمهم ذهبيَّة وفضيَّة ونحاسيَّة منها أمثالٌ حسنة في متاحف أوربَّة وعند بعض الخاصّة فوصفوها ورسموا صورها وفنَّدوا بذلك ما كتبهُ المقريزيّ في كتابهِ النقود القديمة الإسلاميَّة حيث قال :

« كانت نقود العرب في الجاهليَّة التي تدور بينها الذهب والفضَّة لا غير ترد إليها من الممالك دنانير الذهب قيصريَّة من قبل الروم ودراهم فضَّة على نوعين سوداء وافية وطبريَّة عتقًا وكان وزن الدراهم والدنانير في الجاهليَّة مثل وزنها في الإسلام مرَّتين ويسمَّى المثقال من الفضَّة درهمًا ومن الذهب دينارًا ولم يكن شيءٌ من ذلك يتعامل بهِ أهل مكَّة في الجاهليَّة وكانوا يتعاملون بأوزان اصطلحوا عليها فيما بينهم »

فانَّ علماء النقود العربيَّة كالمسيو ڤكتور لَنْغلوا ( V. Langlois ) في كتابهِ عن نقود العرب قبل الإسلام ( Numismatique des Arabes avant l'Islamisme ) والمسيو هنري لاڤوا ( H. Lavoix ) في كتابهِ عن النقود الإسلاميَّة المصونة في مكتبة باريس العموميَّة والمسيو دي تيسِنْهَوْزن ( de Tiesenhausen ) وغيرهم اثتبوا استعمال عرب الجاهليَّة للنقود النحاسيَّة واستغربوا قول المقريزي عن الدراهم السوداء والطبريّة واستنتجوا من كلامهِ جهلهُ بالنقود القديمة

وما لا يُنْكر أنَّ العرب قبل الإسلام تداولوا في بلادهم ومع الأمم المجاورة لهم النقود النصرانيَّة فراجت بينهم أيَّ رواجٍ على اختلافها ذهبيَّة كانت أم فضيَّة أو نحاسيَّة وأغلب ما عرفهُ العرب من النقود ممَّا كانوا يتعاملون بهِ نقودٌ قيصريَّة روميَّة ذات رسوم دينيَّة. وقد اشتهرت بينهم نقود هِرقَل قال المسعودي في مروج الذهب ( ٢ : ٣٣٣ ) : « وهو الذي ضرب الدنانير والدراهم الهرقليَّة » وقال البلاذري في فتح البلدان ( ص ٤٩٦ ) : « وكانت دنانير هرقل تَرِد على أهل مكَّة في الجاهليَّة » وروى في الأغاني ( ١١ : ٥٢ ) لكُثَيِّر عزَّة قولهُ :

يروقُ عيونَ الناظراتِ كأَنَّهُ هِرَقْلِيُّ وزنٍ أحمرُ التِبْر راجحُ

وروى الانباري في شرح معلَّقة عنترة ( éd. Rescher, 61 ) :

دنانيرُ ممَّا شِيفَ في أرضِ قيصرِ

أراد الدنانير الجليّة المُعْلَمة الموسومة بالكتابة. وقد ذركر أُحيحة بن الجلاح

دنانير مدينة أَيلة التي كان صاحبها الأمير النصرانيّ يوحنَّا بن رؤبة قال يرثي ابنهُ ( ياقوت : معجم البلدان ١ : ٤٢٢ ) :

ألا انَّ عيني بالبكاء تهلّلُ جزوعٌ صيورٌ كلَّ ذلك نفعلُ
فما هِبْرِزِيٌّ من دنانير أيلةٍ بأيدي الوشاةِ ناصعٌ يتأكّلُ
بأحسنَ منهُ يومَ أصبح ونفّسني فيهِ الحِمامُ المعجّلُ
غاديًا

( قال ) « يتاكّل أي يأكُل بعضهُ بعضًا لحسنهِ. والوشاة الضرَّابون » . وقد وصفوا كذلك الدراهم الروميَّة. قال عنترة يصف روضةً أصابها المطر الجَوْد فأَنعشها :

جادت عليهِ كلَّ بِكْر ثرَّةٍ فتركنَ كلَّ حديقةٍ كالدرهمِ

ومثلهُ الأسود بن يَعْفُر ( شعراء النصرانيَّة ص ٤٨٢ ) :

من خَمْرِ ذي نَطَفٍ اغنَّ مُنْطَقٍ وافى بها كدراهم الأَسجادِ

( قال ) أراد بالاسجاد اليهود والنصارى. وكانوا يدعون النقود الخفيفة النحاسيَّة نُمّيًّا وفلوسًا. قال اوس بن حَجَر ( ديوانهُ éd. Haffner ) :

وفارقَتْ وهي لم تَجْرَبْ وباع لها من الفصافِص بالنُّمّيّ سِفْسِيرُ

وقال جرير يهجو الأخطل ( الأغاني ٧ : ١٧٨ ) :

والتغلبيَّةُ مُهْرها فَلْسانِ

ومن الأدلَّة التي تشهد على رواج النقود الروميَّة بين عرب الجاهليَّة انَّ معظم الألفاظ الدالَّة عليها يونانيَّة أو لاتينيَّة الأصل كدينار ( δηνάριον ) ودرهم ( δράχμη ) وقيراط ( κεράτιον ) ونُمّي ( νοῦμμος ) وفلس ( φόλλις ) وقِنْطار ( centenarium )

ثمَّ ظهر الإسلام والمسلمون لم يعهدوا ضرب النقود فتعاملوا بمسكوكات الروم التي كانوا يربحونها بمتاجرتهم مع بلاد الشام ومصر والعراق أو وجدوها في فتح البلدان فأخذوها غنيمةً واقتسمها جنودهم. ولجهلم لغة البلاد التي استولوا عليها أقاموا لهم عمَّالاً من نصارى الوطنيين ولَّوهم على دواوينهم الماليَّة لجباية الخراج والضرائب المختلفة. وكان من جملتهم في دمشق سرجيوس أو سرجون جدّ القديس يوحنَّا الدمشقيّ المعروف بابن منصور

ففي أيَّام الخلفاء الراشدين ولاسيَّما عمر بن الخطَّاب وعثمان بن عفَّان وفي

أوائل الدولة الأمويَّة ضُربت نقود العرب على هيئتها النصرانيَّة السابقة. ففي متاحف اوربَّة عشرات من النقود التي ضُربت في دمشق وحمص وبعلبك وطبريَّة في أيَّام عمر في السنة ١٧ للهجرة وما بعدها وكلُّها عليها رسم هرقل ملك الروم مع صورتهِ وسائر أَشْعرة النصرانيَّة كأوَّل حروف اسم السيّد المسيح وكصليبهِ المقدَّس وصورة النَّسر. وعلى بعضها شعار قسطنطين الكبير : بهذه العلامة انتصر ( ἐν τούτῳ νίκᾳ ) ثمّ سمة النقود M مع اسم المدينة باليونانيَّة أو بالعربيَّة هكذا : « ضرب. دمشق ( حمص. طبريَّة. بعلبك. ايليا. انطاكية ). جايز » . ومعظم هذه النقود فلوس من نحاس. وقد وُجد على بعضها اسم عمر بالاختصار ( عمر بن الخط ) واسم خالد بن الوليد واسم يزيد بن أبي سفيان واسم أبي عبيدة (١

وترى البَسْملة « باسم الله » مرقومة على عدَّة نقود من ذلك العهد كلمة وقال ياقوت في معجم البلدان ( ٤ : ٨٨١ ) انَّ الحجَّاج بن يوسف أوَّل من ضرب درهمًا عليهِ شعار الإسلام « لا إله إلاَّ الله ومحمَّد رسول الله » . وليس قوله بسديد لأنهُ تُعْرف نقود لعليّ بن أبي طالب ضُربت في البصرة سنة ٤٠ هـ عليها هذا الشعار « لا إله إلاَّ الله وحدهُ لا شريك لهُ » وعلى الوجه الآخر « محمَّد رسول الله أرسلهُ بالهدى ودين الحقّ يظهرهُ على الدين كله ولو كره المشركون (٢ »

ومن هذا ترى غلط معظم مؤرخي العرب الذين زعموا انَّ أوَّل من كتب على النقود الإسلاميَّة بالعربيَّة هو الخليفة عبد الملك بن مروان. قال الثعالبيّ في لطائف المعارف ( ص ١٣ ) : « أوَّل من نقش على الدراهم والدنانير بالعربيَّة عبد الملك بن مروان فانَّهُ عُني بذلك وكتب إلى الحجَّاج في إقامة رسمهِ »

وقد اخبر المقريزي في كتاب النقود الإسلاميَّة (ص ٥ طبعة الجوائب) ان معاوية بن أبي سفيان كان قبل ذلك ضرب دنانير عليها تمثالهُ متقلِّدًا سيفًا. ومثل هذه الدنانير لم يجدها بعد الأثريُّون لكنَّهم وجدوا فلوسًا تمثِّل معاوية واقفًا وشعرُ رأسهِ مفروق على

---

١) اطلب مقالةً في نقود الإسلاميَّة الأولى للبارون دي سلان في المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة ( J. A., $1871^2$, 199 – 211 )

٢) اطلب المجلَّة الاسيويَّة الألمانيَّة ( ZDMG. XVII, 39 )

جبهتهِ وفي يمناهُ وفي ظهر الفلس اسمُ ايليا وفلسطين مع صليب على هذه الهيئة ⊕ . فلمَّا ملك الخليفة عبد الملك جرى أوَّلاً على مثال اسلافهِ وأبقى الصليب مع صورتهِ واسمهِ في الدنانير والفلوس إلى السنة العاشرة من ملكهِ ويوجد من هذه النقود بعض الأمثلة في المتاحف وهي مضروبة في حمص ودمشق وعمان وقِنّسرين ومنبج وسرمين وغيرها

وها نحن ننقل هنا صور ثلثة نقود عربيَّة ترتقي إلى أوائل الإسلام وعليها صور ملوك الروم ورموزهم المسيحيَّة

A دينار عربيٌّ على وجههِ صورة هرقل ملك الروم وفي يمناهُ الصليب وفي يسراهُ كرة يعلوها صليب صغير. مع اسم طبريّة باليونانيَّة. وعلى ظهر الدينار سمة النقود M مع اسم خالد ( بن الوليد ) باليونانيّة

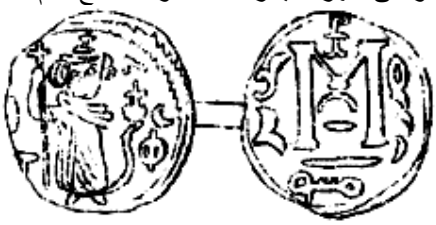

B فلس عربيّ على وجهه صورة هرقل الموصوفة. وعلى ظهرهِ مع سمة النقود هذه الألفاظ بالعربيَّة : صدر. دمشق. جائز

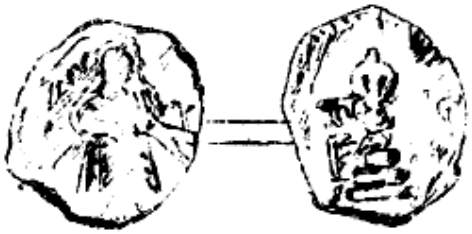

C فلس عربي على وجههِ صورة الخلفية « عبد الملك أمير المؤَمنين » وعلى ظهرهِ صورة الصليب المرتكز على سارية مع اسم سيرين حيث ضُرب. وهذا الفلس ممسوح أكثرهُ وانَّما وجدت منهُ نقود أخرى أجلى صورة مع كتابتهِ العربيَّة
وهذه النقود في متحف باريس

ففي السنة العاشرة من خلافتهِ عدل عن النقود السابقة واتَّخذ نقودًا جديدة خالية من الرسوم النصرانيَّة ولذلك عدَّهُ كتبة كأَوَّل خليفة نقش الدنانير قال

الطبري في تاريخهِ ( ٢ : ٩٣٩ ـ ٩٤٠ ) : (( أوَّل نقش الدنانير والدراهم على عهد عبد الملك بن مروان سنة ٧٦ هـ )) . والصواب انهُ ضرب أوَّلاً النقود القديمة ونقش فيها صورًا أنكرها عليهِ بقايا من الصحابة كما يقرّ بذلك المقريزي في كتاب النقود الإسلاميَّة ( ص ٦ ). وفي السنة ٧٦ هـ ( ٦٩٦ م ) ضرب نقودًا اسلاميَّة محضة وازال منها الصور والرسوم النصرانيَّة. لكنَّهُ بقي شيء منها لعلَّهُ ضُرب بدون علمهِ ففي متحف باريس دينار ضُرب سنة ٧٧ هـ عليهِ صورة عبد الملك مع ساريةٍ نصرانيَّة. وفيهِ أيضًا نقود نحاسيَّة ضُربت في السنة ٨٠ عليها رسم صليب

أمّا سبب اتّخاذه السكَّة الإسلاميَّة فنفورهُ مما كانت الروم ترسمهُ على سكَّتهم من تعظيم الصليب والإعلان بلاهوت المسيح. وهذا أيضًا ما دفعهُ إلى أن يُحدث كتابات الطوامير والقراطيس التي كان في صدرها مثل هذه الأَشْعرة النصرانيَّة. وقد أخبر بذلك البلاذريّ في فتوح البلدان ( ص ٢٤٠ ) :

(( قالوا كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض مصر ويأْتي العربَ من قبَل الروم الدنانير فكان عبد الملك بن مروان أوَّل من أَحدث الكتاب الذي يُكتَب في رؤُوس الطوامير من (( قُلْ هو الله أحد )) وغيرها من ذكر الله . فكتب إليهِ ملك الروم : انكم أحدثتم في قراطيسكم كتابًا ننكرهُ فان تركتموهُ والاَّ أتاكم في الدنانير من ذكر نبيِّكم ما تكرهونهُ. ( قال ) فكبر ذلك في صدر عبد الملك فكره أن يدع سنَّةً حسنة سنَّها فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية فقال لهُ : (( يا ابا هشام إحدى بنات طبَق )) واخبره الخبر فقال : أَفْرخ رَوْعك يا أمير المؤمنين حرّم دنانيرهم فلا يُتعامَل بها واضرب للناس سككًا ولاَ تُعف هؤُلاء الكَفرة ممَّا كرهوا في الطوامير )) . فقال عبد الملك : (( فرَّجتَها عني فرَّج الله عنك )) وضرب الدنانير. قال عوانة بن الحَكم وكانت الأقباط تذكر المسيح في رؤُوس الطوامير وتنسبُهُ إلى الربوبيَّة تعالى علوًّا كبيرًا وتجعل الصليب مكان بسم الله الرحمن الرحيم فلذلك كره ملك الروم ما كره واشتدّ عليهِ تغيير عبد الملك ما غيَّرهُ ))

وقد أتى هذا الخبر مفصَّلاً في كتاب المحاسن والمساوئ للبيهقيّ ( éd. Schwally, p. 498 – 502 ) ( نقتطف منهُ ما يأتي :

قال الكسائي : دخلتُ على الرشيد ذات يوم وهو في ايوانهِ وبين يديهِ مال كثير قد شقَّ عنهُ البدَرَ شقًّا وامر بتفريقهِ في خدَم الخاصَّة وبيدهِ درهم تلوَّح كتابَتُهُ وهو يتأَمَّلهُ وكان كثيرًا ما يحدّثني فقال : هل علمت مَن أوّل مَنْ سنَّ هذه الكتابة في الذهب والفضَّة ؟ قلت : يا سيّدي هذا عبد الملك بن مروان. قال : فما كان السبب في ذلك ؟ قُلتُ :لا عِلمَ لي غير انهُ أوّل من أَحدث هذه الكتابة. فقال : سأُخبرك. كانت القراطيس للروم وكان أكثرُ مَنْ

بمصر نصرانيًّا على دين ملك الروم وكانت تُطرَّز بالروميَّة وطرازها « آبا وابنا وروحا قدّيشا » ( ܐܒܐ ܘܒܪܐ ܘܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ ) فلم يزل كذلك صدر الإسلام كلُّه يمضي على ما كان عليهِ إلى أن ملك عبد الملك فتنبَّه عليهِ وكان فطينًا فبينما هو ذات يوم إذ مرَّ بهِ قرطاس فنظر إلى طرازهِ فأمر أن يُترجم بالعربيَّة ففُعل ذلك فأنكرهُ... فأمر بالكتاب إلى عبد العزيز بن مروان وكان عاملهُ بإبطال ذلك الطراز .... وأن يأخذ صنَّاع القراطيس بتطريزها بسورة التوحيد ...

ثم أخبر استياء ملك الروم من هذه الكتابة وتهديدهُ بنقش شتم نبيّ الإسلام وكيف استقدم عبد الملك من المدينة محمَّد بن علي بن الحسين ليستشيرهُ في ذلك فدلَّهُ على ضرب سكك الدراهم والدنانير كما روى البلاذري عن خالد بن يزيد بن معاوية فأُبطلت مذ ذاك السكك الروميّة والطراز الروميّ

وقد ضرب امراء المسلمين في افريقية والأندلس بعد فتحهما نقودًا عليها أيضًا شارات النصرانيَّة كالصليب واسم السيّد المسيح باللاتينيَّة مع أسماء الأمراء المسلمين

وقد سبق لنا القول انَّ السلجوقيين في بلاد الروم والارتقيين في ما بين النهرين ضربوا أيضًا نقودًا عليها صور ملوك النصارى مع علامات النصرانيَّة بينها صورة السيّد المسيح والبتول مريم والدتهِ الطاهرة ( اطلب مجلَّة المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٧٩٩ )

﴿ التعليم ﴾ ومن الصنائع الشريفة التي دخلت بين العرب بفضل النصرانيَّة صناعة التعليم. وكان شيوع المدارس أوَّلاً بين الأمم المجاورة للعرب كالكلدان والسريان في العراق وما بين النهرين وكالروم في جهات الشام وفلسطين فلمَّا تنصَّر العرب أخذ أحداثهم يتردَّدون على المعلِّمين المنصوبين للتعليم في الجهات المجاورة لمساكن قبائلهم في مدارس كانوا يدعونها بالاسكولات وهي كلمة دخيلة استعارها السريان من اليونان ( σχολή ) اشتهر منها مدارس الرها ونصيبين والمدائن والحيرة ودمشق. ومع انَّ التعليم في هذه المدارس كان في السريانيَّة أو اليونانيَّة لم يعدم العرب فيها وسائل لدرس لغتهم

وممَّا يؤيّد الأمر اخبار بعض شعراء العرب. فمن ذلك ما ورد في كتاب الأغاني (٥ : ١٩١) عن المرقّش الأكبر حيث قال : « وكان مرقّش يكتب وكان أبوهُ دفعهُ وأخاهُ حرملة وكانا أحبَّ ولدهِ إليهِ إلى نصراني من أهل الحيرة فعلَّمهما الخطّ » . ورُوي عن عديّ بن زيد ( الأغاني ٢ : ٢٠ ) انَّ اباهُ زيد طرحهُ في الكتَّابُ مُذ نشأ ثمَّ أرسلهُ

مع شاهان مُرْد إلى كتَّاب الفارسيَّة حيث « تعلَّم الكتابة والكلام بالفارسيَّة حتَّى خرج من أفهم الناس بها وأفصحهم بالعربيَّة » إلى أن صار كاتبًا للملك النعمان. وجاء أيضًا في أخبار طرفة والمتلمّس ( الأغاني ٢١ : ١٩٣ ـ ١٩٥ ) انَّ المتلمّس لمَّا أراد أن يطَّلع على ما كتبهُ في حقهما عمرو بن هند إلى المُكَعْبر عاملهِ في البحرين عدل إلى غلام عباديّ من غلمان الحيرة فأعطاهُ الصحيفة ليقرأها لهُ ففعل ووقف على مضمونها إذ أوصى بقتلهما فألقى المتلمّس الصحيفة في النهر وفرَّ سالمًا بنفسهِ وقُتل طرفة. فيتَّضح من ذلك انَّ العباديين وكانوا من نصارى العرب كانوا يواظبون على المدارس. وقد ذكر في محلّ آخر ( أغاني ١٨ : ٧٨ ) فَضْل معلّم نصرانيّ على سواهُ في البصرة في عهد بني أميَّة وولاية الحجَّاج. وفي طبقات ابن سعد ( ٣ : ٢٥٨ ) انَّ في عهد عُمر بن الخطَّاب كان جُفَيْنة النصرانيّ من أهل الحيرة يعلّم الكتاب في المدينة وذلك بعد أَن أمر عُمر بخروج النصارى من جزيرة العرب. وفيهِ دليل على حاجة المسلمين في أوائل الإسلام إلى المعلّمين. وفي قائمة المعلّمين التي سردها قدماء الكتبة كالجاحظ في البيان والتبيين ( ١ : ١٠١ ) وابن قتيبة في كتاب المعارف ( ص ١٨٥ ) وابن رسته في الاعلاق النفيسة ( ص ٢١٦ ) أسماء ذمّيين ومَوالٍ من نصارى ويهود كانوا يتعاطون مهنة التعليم

هذا فضلاً عمَّن كانوا يختلفون إلى الرهبان والكهنة النصارى في صوامعهم وأديرتهم ليتعلَّموا القراءَة والكتابة. كما ذُكر عن أبي نصر البرَّاق بن رَوْحان ( شعراء النصرانيَّة ص ١٤١ ) انَّهُ كان يتردَّد إلى راهب فيتعلَّم منهُ تلاوة الإنجيل. وكما قال في الأغاني ( ٣ : ١٤ ) عن ورقة بن نوفل انهُ « كان يكتب بالعبرانيَّة ( يريد السريانيَّة ) من الإنجيل ما شاءَ أن يكتب » . ولعلَّ الراهب الذي أشار القريشيُّون إليهِ بقولهم عن محمَّد ( سورة النحل ) « انَّما يعلِّمهُ بَشَرٌ » كان أحد معلّمي النصارى في مكَّة. كما تعلَّم أهلُها الكتابة من بشر بن عبد الملك النصراني أخي اكيدر الكندي صاحب دومة الجندل ( السيوطيّ في المزهر ١ : ٣٩٠ ) وكانوا يسمُّون هذه الكتابة بالجَزْم أي الفصل سواء فصلوها عن خطّ حمير المعروف بالمُسْند كما ارتأى أبو حاتم ( التاج ٨ : ٢٢٨ ) أو بالحري لفصلها عن الحروف الكلدانيَّة وهي أقرب إليها. وفي فضل بشر على قريش قال أحد شعراء كندة منشدًا :

لا تجحدوا نَعْماءَ بِشْرٍ عليكمُ فقد كان ميمونَ النقيبةِ أَزهرا

أتاكُمْ بخطَ الجَزْم حتّى حَفِظْتُم من المال ما قد كان شَتّى مُبَعثْرَا
وأبقيتـمُ ما كان بالمالِ مُهْمَلا وطأمنتمُ ما كان منـهُ مُبـقرَّا
فأجْرَيْتمُ الأقلامَ عَوْدًا وبـَدْأةً وضاهَيْتُم كُتـَّاب كسرى وقيصرا
وأغنيتمُ عن مُسْنَدِ الحيّ حِمْيرا وما زبرَت في الصُحف أقلامُ حميرا

وممَّا نسبوهُ إلى قسّ بن ساعدة أسقف نجران في كتاباتهِ انهُ أوَّل من كتب في رسائلهِ (( من فلان الى فلان بن فلان )) ونسبوا إليهِ فصل الخطاب بأن قال بعد حمد الله والدعاء. (( أما بعد )) افتتاحًا للخطاب. ومثلها قولهم (( باسمك اللهمَّ )) زعموا أنَّ أوَّل من كتبها الشاعر النصرانيّ أميَّة بن أبي الصلت الثقفي

فكلّ هذه الشواهد تدلُّ على شيوع صناعة التعليم بين نصارى العرب واجتهادهم في تعميمها. وقد سبق لنا بين القبائل المتنصّرة ( ص ١٢٤ ) ذكر قبيلة اياد وقد روينا انَّهم اشتهروا بمعرفة الكتابة فقال فيهم أميَّة شاعرهم ( سيرة بن هشام ص ٣٢ ) :

قومي أيادٌ انّهم أمَمُ أو لو أقاموا فتهزَلُ النـَّعَمُ
قومٌ لهم ساحةُ العراقِ إذا ساروا جميعًا والقطّ والقَلَمُ

ومثلهم الحميريُّون ولاسيَّما نصارى نجران وانَّما كانوا يكتبون الخطّ المعروف بالمسند. قال ابن خلدون في مقدَّمتهِ : (( ومن حمير تعلَّمت مُضَر الكتابَةَ العربيَّة )) . وإلى حذاقة حمير في الكتابة يشير أبو ذؤَيب بقولهِ ( لسان العرب ١٨ : ٣٠٦ ) :

عرفتُ الديار كخطِّ الذُوِيِّ م حَبّرَهُ الكاتبُ الحِمْيرَي

وممَّن سعى في نَشر التعليم من أساقفة النصارى في عهد بني أميَّة فثيون أحد جثالقة الكلدان قال عنهُ ابن ماري في تاريخ بطاركة كرسيّ المشرق من كتابهِ المجدل ( ص ٦٦ ) انهُ (( نصب في كرسيهِ اسكولاً فتشبَّه به الأساقفة في عمارة البيَع والاسكولات )) . أمَّا المسلمون فانَّهم لم ينشئوا المدارس الاَّ بعد هذا العهد بزمن طويل. قال المقريزيّ في الخطط (٢ : ٣٦٣) : (( المدارس ممَّا حدث في الإسلام ولم تَكُن تُعْرف في زمن الصحابة ولا التابعين وانَّما حدث عملُها بعد الأربعمائة من سني الهجرة ( كذا ) وأوَّل من حُفظ عنهُ انهُ بنى مدرسةً في الإسلام أهل نَيْسابور فبُنيت بها المدرسة البيهقيَّة ... وأوَّل مدرسة أُحدثت في ديار مصر المدرسة الناصريَّة نسبة إلى السلطان الناصر صلاح الدين يوسف ))

## الفصل الثاني عشر
العادات النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة وفي أوَّل الإسلام

قد شاعت في جزيرة العرب في عهد الجاهليَّة وأوائل الإسلام عادات لا يمكن تعليلُها الاّ بنفوذ النصرانيَّة واندماجها في القبائل العربيَّة. فمن هذه العادات ما هو دينيّ بَحْت. ومنها ما هو شرعيّ. وبعضها مدني واجتماعيّ. فها نحن نتتبَّع هذه الأقسام الثلثة بالتوالي

### ١ العادات الدينيّة

﴿ الصلاة ﴾ هي في مقدَّمة الواجبات الدينيَّة بها يرتفع الإنسان عن حضيض عالمِهِ هذا الهيوليّ إلى ربّهِ وخالقهِ ليسجد لهُ ويشكرهُ ويستغفرهُ من ذنوبهِ ويلتمس نعمهُ. على أنَّ أهل البادية كانوا في كلّ أطوار تاريخهم قلَّما يكترثون لهذه الفريضة كأَنَّ لسان حالهم يقول مع أحدهم (١ :

لا لصلّي ( نصلّي ) ولا لصوم ( نصوم ) ولا لذكر ( نذكر ) ربَّنا حمًّا ( لمًّا ) لقوم ( نقوم )

فلمَّا دخلت النصرانيَّة بينهم أَلِفت القبائل المتنصّرة الصلاة والدعاء إلى الله كما يلوح من عدد الكنائس التي كان النصارى أقاموها في جهات العرب وكما بيَّنَّا في القسم الأوَّل من كتابنا بشواهد مختلفة رويناها عن كلّ ناحية من جزيرة العرب

ولمَّا ظهر الإسلام فرض صاحبهُ على تَبَعتهِ خمس صلوات في النهار فاستعار ذلك ممَّا وجدهُ شائعًا بين الرهبان الذين كانوا يقيمون صلواتهم السبع في خمس قومات من النهار والليل. جاء في نقائض جرير والفرزدق ( ص ٥٢٥ ) عن صلوات النصارى : « وكانت أخصُّ صلواتهم خمسًا قال الفرزدق يذكر عجوزًا من بني جعفر عاذت بابيه غالب :

عجوزٌ تصلّي الخمس عاذت بغالبٍ فلا والذي عاذت بهِ لا أَضيرُها »

واخصّ صلوات المسلمين في طرفي النهار حين يصبحون وحين يُمسون ( سورة هود ع ١١٦ وسورة الروم ع ١٧ ) وهكذا كان رهبان جزيرة العرب يبكِّرون إلى الصلاة ويواظبون عليها في ليلهم. قال مجنون ليلى

---

١) اطلب كتاب الكولت لندبرغ Landberg : *Dialectes de l'Arabie Méridionale*

كأَنَّهُ راهبٌ في رأْس صومعةٍ يتلو الزَّبُور ونجمُ الصبحِ ما طلعا

وقال الآخر ( اللسان ١٤ : ٨٩ ) :

عن راهبٍ متبتّلٍ متقهّلٍ صادي النهارَ لِلَيْلِهِ متهجّدِ

ومن سُنَن الإسلام ( الوضوء ) والاغتسال قبل الصلاة. وهي عادة كان سبق إليها نصارى الشرق فتجدها في قوانينهم القديمة. ففي كتاب الايثيقون أي الآداب لأبي الفرج ابن العبري بابٌ وهو الثالث من مقالتهِ الثالثة قسمَهُ إلى عشرة فصول بحث فيها عن طهارة الجسد وأحكامها وشروطها كما كانت شائعةً في كنائس ملّتهِ اليعقوبيَّة. وذكر الأحواض التي كانت في ساحات الكنائس لإتمام فريضة الوضوء. وقد وصف حضرة الخوري ابراهيم حرفوش في المشرق ( ٦ [١٩٠٣] : ١١٦ ـ ١٢٣ ) أحد مخطوطات دير مار شليطا القديمة وفيهِ قوانين جارية في الاعصار السالفة في ٥١ بابًا ورد في إحدى صفحاته ( ص ١٠٨ ) شروط الصلاة وحدودها على هذه الصورة :

« فامَّا حدودها ( أي الصلاة ) وشروطها فانَّها تحتاج في أوَّل شيء إلى الطهارة وهو الاغتسال بالماء في إثر الحدث. فان لم يجد الماء فليتجمَّر بثلاثة حجار وما زاد عليها حتَّى ينفي أثر النجوى. ثم غَسْل اليدين بالتسمية وغسل الوجه برسم الصليب المحيي ويستحبُّ أيضًا غسلُ الرجلين في كلّ غداة. فأمَّا مَن لم يُحدث فلا يحتاج إلى الاستنجاء بل يستحبُّ منهُ غسل اليدين والوجه وغاية الغسل أن يعمَّ الماءُ العضو الذي يغسلهُ وعومًا كاملاً الخ. ( ثمَّ يليه فصلٌ في الاغتسال من الجنابة غسلاً عامًّا .. مع الاعتراف إلى الكاهن وقبول صلاة الاستغفار ) »

ومن شروط الصلاة في الإسلام الاتجاه إلى ( القِبْلة ) وهي أيضًا عادة مستعارة من قدماء النصارى الذين كانوا يتَّجهون في صلاتهم إلى الشرق إذ يتَّخذون الشمس الشارقة رمزًا عن السيِّد المسيح المعروف بشمس العدل والموصوف بالشرق. قال صرمة بن أنس قبل الإسلام ( كتاب البدء ١ : ٧٦ ) يصف صلاة النصارى إلى مطلع الشمس :

ولـهُ شمَّس النصارى وقاموا كلَّ عيدٍ لهم وكلَّ احتفالِ

فاتَّخذ محمَّد على مثالهم للصلاة كانت أوَّلاً أورشليم ثمَّ حوَّلها إلى الكعبة في مكَّة

وفي الصلاة الإسلاميَّة ( القيام والسُجود والركوع ورفع الأيدي ) وكلّ ذلك سبق إليهِ النصارى ووصفهُ شعراء العرب. وقد وصف البعيث رهبان النصارى عند وقوفهم في الصلاة ( اطلب الصفحة ١٧٧ من الجزء السابق ) :

رجالٌ يُتَلُّون الصلاةَ قيامُ

وقال المضرّس الاسدي في سجودهم :

وسِخال ساجيةِ العيونِ خواذلٍبجماد لِينَةَ كالنصارى السُّجَّدِ

وقال النابغة الذبياني في الراهب الراكع ( تاج العروس ٥ : ٣٦٣ ) :

سيبلغُ عُذْرًا أو نجاحًا من امرئٍ إلى ربّهِ ربِّ البريَّةِ رَاكعِ

وقال آخر في رفع اكفّهم في الصلاة :

فذا فضلُ أيدي المستغيث المُسبِّحِ

وإذا تلا المسلمون القرآن لحَّنوا فيهِ ( بالتجويد ) ولعلَّهم أخذوهُ عن تلحين الرهبان بالزبور والتسابيح. قال ابن قتيبة في المعارف ( ص ١٨٠ ) :

كان أوَّل من قرأ بالألحان عبيد الله بن أبي بكرة وكانت قراءَتهُ حزنًا ليست على شيء من ألحان الغناء ولا الحِداء فورث ذلك عنهُ ابن ابنهِ عبد الله بن عمر بن عبيد الله فهو الذي يقال لهُ قراءَة ابن عُمَر وأخذ ذلك عنهُ الأباضيّ وأخذ سعيد العلاَّف وأخوهُ عن الأباضيّ قراءَة ابن عمَر وكان هرون الرشيد معجبًا بقراءَة سعيد العلاَّف ... وكان القرَّاء كلهم الهيثم وابن أعين وغيرهم يُدخلون في القراءَة من ألحان الغناء والحداء والرهبانيَّة فمنهم من كان يدسُّ الشيء من ذلك دسًّا رفيقًا ومنهم من كان يجهر بذلك ))

فلا مراء أنَّ القراءَة المُحزنة وألحان الرهبانيَّة تدلُّ هنا صريحًا إلى نفوذ الغناء الرهباني في التجويد

ويجوز أن نضيف إلى هذا الباب ( السُّبحة ) التي يدعوها النصارى المسبحة يتلون عليها صلوات معلومة اختلفت مع الأزمنة وقد وُجد منها في مقابر سيَّاح الأقباط في الصعيد. وهي قديمة في الإسلام لورود ذكرها في كتاب العين للخليل قال (١ : (( السبحة خرزات يُسَبَّح بعددها )) وجاء في مجلَّة المنار المصريَّة لمنشئها محمَّد رشيد رضا ( ١٥ : ٨٢٣ ) فصل في السبحة واصلها في الإسلام قال :

(( كنَّا نرى هذه السُّبَح في أيدي القسّسين من النصارى والرهبان والراهبات ونسمع انّها مأخوذة عن البراهمة ... والظاهر أنَّ المسلمين أخذوها أوَّلاً عن النصارى فكانوا في مهد الإسلام عند ظهوره في جزيرة العرب وفي البلاد المجاورة لها كالشام ومصر فلا بُدَّ أن يكونوا

---

١) اطلب مجلَّة لغة العرب ( ٢ : ٣٤٥ )

قد أخذوا السُّبحة عنهم فيما أخذوهُ من اللباس والعادات. والأمر في السبحة ينبغي أن يكون أشدّ من أخذ غيرها عنهم لأنَّها تدخل في العبادة وتُعَدّ شعارًا ... فالسبحة من البدع الداخلة في العبادة ( كذا ) »

﴿ الصوم ﴾ أحد أركان الإسلام لم يعرفهُ المشركون من العرب في الجاهليَّة وانَّما كان المتنصِّرون منهم يقومون بهِ على مقتضى نواميسهم ولعلَّهم كانوا يصومونهُ في رجَب وهو وقتئذٍ من أشهُرهم الثابتة يوافق شهرنا نيسان قال المقريزي في الخطط ( ١ : ٢٨٢ ) :

« رَجبٌ شهر حرام ويقولون لهُ الأصمّ لأنهم كانوا يكفُّون فيهِ عن القتال فلا يُسمع فيه صوت سلاح... ورجب الاصمّ هو شهرُ مُضَر وكانت العرب تصومُهُ في الجاهليَّة وكانت تمتار فيه وتمير أهلها وكان يأمن بعضُهم بعضًا فيهِ ويخرجون إلى الأسفار ولا يخافون »

قال أميَّة ابن أبي الصلت يذكر جزاء الصائمين في دار النعيم :

إذا بلغوا التي أَجْرَوا إليها تقبَّلَهم وحُلَّل مَن يَصُومُ

وكان أخصُّ أصوامهم صوم الفِصح قال نمر بن تولب :

صدَّت كما صدَّ عمَّا لا يحلُّ لهُ ساقي نصارى قُبَيْل الفِصح صوَّامُ

ومن صوم النصارى اقتبس محمَّد صومَ رمضان ثلثين يومًا وكان صوم الفصح لا يزيد على ذلك في بعض الكنائس (١ . ومنهم أيضًا أخذ عادةَ الإفطار بعد غروب الشمس الاَّ أنَّ النصارى لم يأكلوا حينئذٍ الاَّ مرَّة واحدة على خلاف المسلمين الذين حلَّل لهم الأكل طول الليل. وكذلك كان النصارى لا يأكلون الاَّ الأعشاب والبقول والاثمار دون اللحم والبياض وكلاهما مسموح بهِ للمسلمين. قال العلاَّمة توماس پتريك هيوس ( U. Patrik Hughes ) في معجم الإسلام ( ص ٥٣٤ ) ( Dictionary of Islam ) : « انَّ الأرجح عندنا أنَّ محمَّدًا أخذ عن النصارى ناموس الصوم ثلاثين يومًا. وكان صوم النصارى في الشرق غاية في الشدَّة يمتدُّ إلى النهار والليل معًا فخفَّف محمّد هذه السُّنَّة وحصرها في النهار دون الليل تلطيفًا لشدَّتهِ كما قال ( سورة البقرة ع ١٧١ ) : « يريد اللهُ بكم اليُسْر ولا يريد بكم العُسْر »

أمَّا الخيط الأبيض والخيط الأسود اللذان ذكرهما هناك ( ع ١٨٣ ) فانَّ اميَّة بن

---

١) اطلب معجم العاديَّات النصرانيَّة Dict. d'Archéologie et de Liturgie. art. CARÊME

أبي الصلت كان سبق إلى الإشارة إليهما بقولهِ ( تاج العروس ٥ : ١٣٧ ) :

الخيطُ الأبْيضُ ضوءُ الصُّبْح منفلقٌ والخيطُ الأسْودُ لونُ الليلِ مركومُ

﴿ الزَّكاة ﴾ هي أيضًا من أركان الإسلام المفروضة على ذويهِ بقولهِ (سورة البقرة ٢ : ٧٧) : « أقيموا الصلاة واتُوا الزكاة » أي الصدقة وما يُرْصَد من الأموال لوجه الله وإعانة الفقراء. وعندنا انَّ صاحب الشريعة الإسلاميَّة تقلَّد فيهِ أهل الكتاب أي اليهود والنصارى فإن موسى في كتاب التثنية الاشتراع وسفر اللاويين يفرضُ على بني إسرائيل تعشير مالهم لخدمة الكهنة والهيكل .. امَّا النصارى فمن وصايا كنيستهم الراقية إلى قرون النصرانيَّة الأولى الوصاة بوفاء العُشْر

ولمَّا دخل النصارى في طاعة المسلمين من العرب وُضعت عليهم العشور والمكوس. قال المقريزي في الخطط ( ٢ : ١٢٢ ) :

« قال زياد بن جرير : أوَّل من بعث عمر بن الخطَّاب رضَ منئا على العشور انا فامرني أن لا افتش أحدًا وما مرَّ عليَّ من شيء أخذتُ من حساب أربعين درهمًا درهمًا من المسلمين وأخذتُ من أهل الذمَّة من عشرين واحدًا وممَّن لا ذمَّة لهُ العُشر. وامرني ان أغلّظ على نصارى بني تغلب ... فلعلّهم يسلمون »

﴿ الحجّ ﴾ هو أيضًا من أركان الإسلام ومعلوم أنَّ الحجّ إلى مكَّة سبق الإسلام. وكان نصارى العرب يحجُّون في الجاهليَّة لمزارات مختلفة ولاسيَّما للقدس الشريف فانَّ القديس ايرونيموس في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس ذكر في رسائلهِ (Migne, P. L:, XXII, 489, 870) بين زوَّار الأراضي المقدَّسة الذين كان يشاهدهم في بيت لحم عرب اليمن وهو يدعوهم على موجب اصطلاح ذلك العهد بأهل الهند. وقد وصف امرؤ القيس تزاحُم الأولاد على الراهب المقدِّس أي العائد من زيارة القدس الشريف بقوله ( اللسان ٨ : ٥٠ ) :

كما شَبرَق الولدانُ ثوبَ المقدّسِ

وفي ذلك القرن الخامس كان عَرَب حمير والعراق يحجُّون زرافات إلى مقام القديس سمعان العموديّ كما روى ذلك في تاريخهِ تاودوريطس الذي عاينهم هناك (Migne, P. G., LXXIV. 104)

ومن مزارات العرب التي كانوا يحجُّون إليها مشهد القديسين سرجيوس

وباخوس في الرصافة وقد مرّ لنا ذكر الكتابة العربيَّة السابقة للإِسلام التي وَردت هناك

وكانوا يحجُّون في جزيرة العرب إلى كنيسة القُلَّيس التي شيّدها ابرهة في صنعاء بعد فتح اليمن ( راجع الجزء السابق ص ٦٤ و ٣٣٤ ) ومثلها كنيسة ظفار

ومن المحاجّ التي كان يقصدها أيضًا النصارى العرب في الجاهليَّة طور سينا ومعابدهُ الشهيرة المقامة في مشارف ذاك الجبل حيث يروي التقليد مناجاة الله عزَّ وجلَّ لموسى النبيّ وأوحى إليه بشريعتهِ

بل كان نصارى العرب واليهود في الجاهليَّة يحجُّون إلى مكَّة كما روى ذلك ياقوت في معجم البلدان لأنَّهم كانوا يرون في الكعبَة تذكارًا لما ورد في سفر التكوين ( ف ٢١ ) عن هاجر واسمعيل بن ابرهيم الخليل متَّفقين في ذلك مع تقليد عرب الحجاز. وقد ذكر في الأغاني ( ٢١ : ١٦٤ ) خروج هدبة بن خشرم إلى الحجّ وكان نصرانيًّا كما ذكر التبريزي في شرح الحماسة ( ص ٢٣٥ )

وقد مرَّ لنا ( ص ٦٤ و ١٧٤ ) انَّ النصارى كانوا يدعون بعض بيَعهم بالكَعَبات مثل كعبة نجران الوراد ذكرها في شعر الأعشى وكعبة اليمن. وقال عبَدة بن الطبيب ( المفضَّليات ٢٩١ ) :

في كعبةٍ شادها بانٍ وزيَّنها فيها ذُبالٌ مُضِيءُ الليلَ مَفْتولُ

وكان لكعبة مكَّة منذ عهد الجاهليَّة حَرَمٌ أي حدود تُحدق بها لا يجوز انتهاكها. ووضع محمَّد حَرَمًا لمسجد النبيّ في المدينة. وانَّما الحَرَم شاع قبلاً عند اليهود حول هيكل أورشليم واتَّخذهُ النصارى لبعض كنائسهم الكبرى لامتيازها وهو الحِمَى كان الداخلون فيهِ في أمان. وقد ورد في المشرق ( ١٣ [١٩١٠] : ٧١ ) اكتشاف المسيو نويل جيرون لنُصْب أي عمودٍ ضخم من الحجر المانع في دمشق كان دالاً على حِمَى كنيسة دمشق قبل الفتح الإسلاميّ كما تُبيّنهُ كتابةٌ يونانيَّة أثبتناها هناك. وكان للنصارى قرب بعض الكنائس بروجٌ للأطيار لا يجوز صيدها كحمام مكَّة التي يضرب المثل في أمانها فيقال آلف من حمام مكَّة

وكان العرب يطوفون حول الكعبة. وكانت تلك عادةً جاريةً بين النصارى العرب أن يطوفوا حول الكنائس. قال الشاعر الجاهليّ يذكر طواف النصارى حول الصليب فدعاهُ زُورًا بالوثن ( لسان العرب ١٧ : ٣٣٤ ) :

يطوفُ العُفَاةُ بأَبوابهِ كطَوْف النصارى بِبَيْت الوَثَنْ

وممَّا رواهُ في الأغاني ( ٧ : ١٤٨ ) لعنترة وقيل بل لعبد قيس بن حَفاف البُرْجمي قولهُ :

تمشي النَّعامُ بهِ خَلاءً حولهُ مَشْيَ النصارى حول بيت الهيكلِ

وقال الحارث بن خالد يصف بشرة أَمَة عائشة بنت طلحة ( أغاني ١٥ : ١٣٣ ) :

وبشرةُ خَوْذٌ مثلُ تمثالِ بيعةٍ تَظَلُّ النصارى حولَه يومَ عيدها

﴿ استلام الحجر الأسود ﴾ ومن المعلوم أنَّ المسلمين إذا حجُّوا إلى الكعبة وطافوا حولها استلموا الحجر الأسود الذي فيها ولعلَّهم يفعلون ذلك احتذاءً بنبيّهم. قال البخاري في الصحيح ( ٢ : ١٤٧ ) : « جاء عُمر إلى الحجر الأسود فقبَّلهُ فقال : اني اعلم انك حجر لا تضرُّ ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلعم يقبّلك ما قبَّلتُك » . قلنا ولا يبعد أن العرب أخذوا ذلك عن النصارى الذي يقبّلون حجارة كنائسهم تعبُّدًا أو كحجَّاجهم إلى القدس الشريف حيث يقبلون قبر السيّد المسيح أو الحجر الذي صعد من فوقهِ إلى السماء في جبل الزيتون وعليه رسمُ أَثر قدمهِ المبارك

وقد سبق لنا ذكر حمام مكَّة ومأمنها من الصيد. ودونك ما رُوي عن حمام الكنائس. روى الطبري في تاريخهِ ( ٢ : ٨٦١ ) لرجل من بكر بن وائل ونسبهُ في الأغاني (٢ : ٧٢) لعبد الرحمان بن الحكم :

أَتتْك العيسُ تنفخُ في بُراها تُكشَّفُ عن مَناكِبِها القُطَوعُ
كأَنَّ مواقعَ الأكْرار منها حمامُ كنائسِ بُقَعٌ وقُوعُ

﴿ النذور ﴾ يروى عن عرب الجاهليَّة انهم كانوا ينذرون مواليدهم للكعبة. ذكر أبو الوليد الأزرقيّ في أخبار مكَّة ( ص ١٢٨ ـ ١٢٩ ) عن امرأة اخزم بن العاص الجرهميَّة انَّها كانت عاقرًا فنذرت إن ولدت غلامًا أن تتصدَّق بهِ على الكعبة عبدًا لها يخدمُها ويقوم عليها فولدت من اخزم الغَوْثَ فتصدَّقت بهِ عليها فكان يخدمها مع أخوالهِ من جُرْهم. ( قلنا ) انَّ هذه العادة اعني نذر المولود إلى الله كان سبق العربَ إليها أصحابُ الكتاب من يهود ونصارى. وكلّ يعرف كيف نذرت حنَّة العاقر ان ولدت غلامًا تجعلهُ في خدمة الله فولدت صموئيل فوفت بنذرها. وقد ورد في

القرآن في سورة آل عمران نذر امرأَة عِمْران ( يعني القديسة حنَّة ) بابنتها مريم العذراء فخدمَتْهُ تعالى بالمحراب تحت كفالة زكريَّا الكاهن

﴿ المساجد وبناؤها على شكل الكنائس ﴾ لا مراء في أن المسلمين أوَّل ما شيَّدوا المساجد لصلاتهم بنوها على صورة الكنائس فضلاً عمَّا حوَّلوهُ منها إلى جوامع عند فتحهم البلاد النصرانيَّة كالجامع الأمويّ في دمشق والجامع الأقصى في القدس الشريف وجوامع حمص وحماة وحلب فكل من يدخل هذه الجوامع من المهندسين يحتم لأوَّل وهلة انَّها من هندسة النصارى الأقدمين كما أثبتنا ذلك في فصل الفنون الجميلة ( ص ٣٤٣ ـ ٣٥٠ ). فلمَّا حاول المسلمون تشييد مساجد جديدة تقلَّدوا فيها الكنائس النصرانيَّة وكان بُناتُها في الغالب نصارى من الروم والقبط وأهل الشام لا يعرفون الاَّ هندستهم الدينيَّة

وقد قابل المرحوم ڤان بركم ( M. van Berchem ) بين كل أقسام الجوامع كصحنها ورواقها وأركانها وعواميدها وسقفها وقِبْلتها ومحرابها ومنبرها ومقصورتها ومنارتها وبين الكنائس النصرانيَّة وأقسامها المختلفة عند ظهور الإسلام وختم بقولهِ « انّ وَضْع الجوامع يُشبه شبهًا تامًّا واضحًا بناء الكنائس القديمة (١ » يريد الكنائس المعروفة بالكنائس الملكيَّة (Basiliques)

وما نقولهُ هنا إجمالاً عن هندسة الجوامع نستطيع أن نثبتهُ أيضًا لكل قسم منها مفردًا كالمآذن والمنارات التي تقلَّدوا فيها الصوامع النصرانيَّة وكالمنبر الذي مرَّ لنا ذكرهُ في باب النجارة وهلمَّ جرًّا

﴿ الخطابة في المساجد ﴾ وممَّا استحدثهُ الإسلام الخطب الدينيَّة في المجامع. يروى لصاحب الشريعة الإسلاميَّة بعض الخطب التي ألقاها في قومهِ يذكّرهم ويحضُّهم على الأعمال الصالحة وانَّما تقلَّد في ذلك ما وجدهُ من العادات الجارية بين النصارى

---

١) راجع Encyclopédie de l'Islam, art. ARCHITECTURE, p. 428[b] اطلب أيضًا كتاب سَلادين في الفنون الإسلاميَّة H. Saladin : Manuel d'Art Musulman, I, 7-10 وكتاب تواريخ الإسلام للبرنس كاتيئتاني L. Caetani : Annali dell' Islam, I, 432 ومجلَّة الإسلام لبكّر Becker, Islam, III, 392 وكتاب الصناعة العربيَّة لغايه Gayet : l'Art arabe, p. 27-58

المجاورين لهُ الذين كان أربابهم وكهنتهم يرشدون في الكنائس رعاياهم. وقد مرَّ لنا فصل في الخطابة بين نصارى العرب في الجاهليَّة مع ذكر إمامهم المضروب فيهِ المثل قسّ بن ساعدة

وكان منبر الخطابة بين النصارى رمزًا عن الرئاسة والسلطة الدينيَّة. وكذلك اعتبرهُ محمَّد والمسلمون بعده. فكان الخلفاء يرقونهُ ايَّام الأعياد والصلوات العموميَّة فيلقون منهُ الخطب كما كان يفعل أساقفة النصارى في كنائسهم. وقد سبق لنا ( ص ٣٧٥ ) ذكر العرش الذي أضافوهُ إلى المنبر وكان يجلس عليهِ محمَّد كما روى ابن الأثير في أسد الغابة وابن سعد في طبقاتهِ. وكان ذلك على مثال العرش الذي يجلس عليهِ رؤساء الدين النصرانيّ في كنائسهم

وكذلك اعتاد الأساقفة إذا خطبوا أو صلَّوا صلاةً عموميَّة أن يمسكوا بيدهم العصاة الرعويَّة المعروفة بالعكَّاز. وقد مرَّ في خبر قسّ بن ساعدة انهُ كان إذا خطب يتكئ على عصًا ( وقيل على سيفٍ ) وممَّا رواهُ البخاريّ في صحيحهِ في كتاب الصلاة ( ١ : ١٣٥ ) « انَّ النبيّ أمر بحربةٍ فتوضع بين يديه فيصلّي إليها »

وللجوامع مآذن أو منارات يؤذنون منها بالصلاة. وهي أيضًا ممَّا تقلَّد فيهِ المسلمون النصارى. فانَّ المسلمين كانوا يؤذنون أوَّلاً بالصلاة على باب مساجدهم ثمَّ علوا سطوحها للأذان أو أذَّنوا فوق أسوار المدن كما ورد في شعر الفرزدق قال ( تاج العروس ٩ : ١٢٠ ):

وحتَّى علا في سُور كلّ مدينةٍ مناذٍ ينادي فوقها بأَذان

ثمَّ تقلَّدوا أخيرًا صوامع الرهبان وهي قلاليّ محدَّدة الطرف أو أَبراج كان يسكنها الراهب لعبادتهِ ويقرع منها الناقوس. فصارت المأذنة مرادفة للصومعة. ورد ذلك في كتب الأدباء كأبي الفرج الأصبهاني في الأغاني ( ٢٠ : ٨٥ ) اذ ذكر مأذنة المدينة فدعاها أيضًا هناك بالصومعة (١ . وروى عن بعض الموسوسين انهم « كانوا يصفعون المشايخ في الصوامع إذا أذَّنوا » . وفي خطط المقريزيّ ( ٢ : ٢٤٨ ) انّ معاوية أمر مسلمة بن مخلد ببناء الصوامع للأَذان في جامع فسطاط العتيق المعروف بجامع همرو

---

١) اطلب مجلَّة الجمعيَّة الشرقيَّة الأميركانيَّة JAOS. XXX, 132-154, art. COTTHEIL

قال « وجعل مسلمة للمسجد الجامع أربع صوامع في أركانهِ الأربع ... وأمر أن لا يُضرب بناقوس عند الأذان يعني الفجر » . وكذلك ورد في تاريخ الشيخ أبي صلح الأرمني ( ص ٥٤ éd,. Evetts ) « وكان فتوح مصر في المحرَّم سنة ٢٠ للهجرة ومن الصوامع ما هو باقٍ إلى الآن جعلهم المسلمين مواذن ( كذا ) »

﴿ المجامر في المساجد والجنازات ﴾ معلوم أنَّ النصارى في مناسكهم الدينيَّة في الكنائس وفي جنازات موتاهم يضرمون المجامر ويحرقون البخور ويوقدون الشمع والمشاعل. قال الحسين بن الضحَّاك يصف كنيسة ( البكري ٣٦٩ ) :

عجَّت أساقفُها في بيت مَذْبحها اذكى مجامرها بالعودِ والنارِ

وقد روى الترمذي في صحيحهِ ( ١ : ١١٦ ) عن محمَّد انَّهُ كان يجمِّر المسجد قبل وفود الجماعة. وذكر ابن الأثير في النهاية ( ١ : ١٧٥ ) نعميًا المجمّر الصحابيّ قال « وهو الذي كان يلي إجمار مسجد رسول الله صلعم » وهكذا فعل الخلفاء الراشدون بعدهُ ثم معاوية وبعض خلفاء بني أميَّة

وممَّا ورد في كتاب تحقيق النصرة لأبي بكر المراغي أنَّ عُمر بن الخطَّاب عند رجوعهِ من غزوة الشام أتى « بمجمرة من الفضَّة فيها تماثيل وكان يجمِّر بها المسجد ثمّ تُوضع بين يدي عمر بن الخطَّاب » . وممَّا ورد في تجمير المسلمين للموتى ما ذكرهُ ابن الأثير في أُسد الغابة في معرفة الصحابة ( ٥ : ٥٤٥ ) وابن حجر العسقلاني في الإصابة في تمييز الصحابة ( ٨ : ١٨٧ ) عن مرضية الصحابيَّة قالت : « أراكم تنكرون شيئًا رأيتُهُ يُصْنَع على عهد رسول الله صلعم رأيت الميت على عهد رسول الله صلعم يُتْبَع بالمِجْمَر » . وكذلك روى ابن سعد في طبقاتهِ ( ٨ : ٥٣ ـ ٥٤ ) عن عائشة زوج نبيّ الإسلام انهُ حُملت في دفنها المشاعل من الجريد الملفوف بالخرق والمغموس بالزيت. ثمَّ أفتوا بتحريم التجمير وفي صحيح ابن ماجة « انهُ لا يجوز اتباع الجنائز بالمجامر وما يشابهها لأن ذلك من فعل الجاهليَّة » يعني النصرانيَّة (١

﴿ اكرام القبور ﴾ يروى في الحديث ( جامع السيوطي ص ٣٥٧ ) : « قاتل الله اليهود والنصارى اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد » كأن صاحب الشريعة الإسلاميَّة

---

١) اطلب المجلَّة الأسيويَّة الألمانيَّة ( ZDMG. 1905, 403-404 ) : وتاريخ معاوية للاب لامنس **Lammens :** Moʿâwia ( 367,436 )

حرم بذلك اكرام الموتى وزيارة قبورهم. الاَّ أنَّ المسلمين لم يعيروا بالاً الحديث المذكور كما يثبت ذلك مألوف عاداتهم في اكرام قبر نبيّهم في المدينة وقبور الخلفاء الراشدين هنالك مع ما يزين تلك القبور من الحليّ ويُوقد فوقها من السُّرج ويقدّمون إليها من الهدايا. ومن ذلك يتَّضح أنَّ العادة النصرانيَّة غلبت عليهم الاَّ بعض المتطرّفين منهم كالوهابيين الذين ينكرون كلّ اكرام للأولياء. وممَّا يستند إليهِ أهل السنَّة في اكرام الأولياء ما رواهُ ابن سعد في كتاب الطبقات الكبير ( ج ٢ ق ٢ ص ٩ ـ ١٠ ) « انَّ رسول الله صلعم صلَّى على أهل البقيع أي قتلى أُحُد ثماني سنين » وقد أخبر الواقدي عن فاطمة الزهراء ابنتهِ انَّها كانت تخرج إلى أُحُد لزيارة قبر حمزة عمّ محمَّد (١

﴿ الاستشهاد ﴾ وأخصّ من يكرمهم النصارى شهداء دينهم الذين بموجب وصاة السيّد المسيح فضَّلوا الموت في سبيل إيمانهم على الحياة والغنى والشهوات. وليس للنصارى شهداء غيرهم. فرأى صاحب الشريعة الإسلاميَّة ما في هذه الميتة الشريفة من المجد فعظَّم الاستشهاد ورغَّب فيه بالمواعيد الجليلة في الآخرة. لكنَّ بين هذا الاستشهاد والاستشهاد النصرانيّ بونًا عظيمًا. فبينما النصارى لا يعدّون شهيدًا الاَّ من مات لأجل الدين المستقيم ترى المسلمين يكرمون كشهداء كلّ من مات في الحرب والجهاد بل يعتبرون كشهداء غيرهم أيضًا. جاء في الحديث ( جامع السيوطي ص ٢٩٣ ) : « الغريق شهيد والحريق شهيد والغريب شهيد والملدوغ شهيد » . وروى حديثًا آخر ( ص ٢٧٢ ) : « الطاعون والغرق والبَطَن والحرق والنفساء شهادة لأُمَّتي » وفي صحيح البخاري ( ٣ : ١٩٣ ) : « الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغَريق وصاحب الهدَم والشهيد في سبيل الله »

## ٢ العادات الشرعية والاجتماعية

﴿ أصول الشرع الإسلاميّ ﴾ لمَّا ظهر الإسلام كان معظم العرب لا يعرفون من الشرع الاَّ ما يفي بأمورهم ويكفي لمعاملاتهم في حياتهم الساذجة. فلمَّا فتحوا البلاد الراقية في التمدُّن كالشام ومصر والعراق والعجم احتاجوا إلى شرائع أوسع وأدقّ

---

١) اطلب كتاب الأستاذ غولتسيهر **Goldziher :**Culte des Saints chez les Musulmans. *Paris*, 1880

وكان نصارى تلك البلاد يتبعون الشرائع الرومانيَّة التي نقَّحها ونظَّمها يوستنيان الملك فعليها جرى العرب أوَّلاً بمساعدة عمَّال من نصارى الروم والسريان والأقباط وانَّما ثبتوا على بعض نواميسهم الأصليَّة في عيشتهم الفطريَّة مع ما استخلصهُ الفقهاء من القرآن أو الحديث. وبقوا على ذلك إلى أوساط القرن الثاني للهجرة إذ ظهر كبار الأئمَّة كالشافعي وأبي حنيفة ومالك وابن حنبل فوضعوا الفقه الإسلامي أصولاً ثابتة يرجع إليها المسلمون حتَّى يومنا هذا. على أنَّ الذين يدرسون هذا الفقه لا يزالون يقابلون بينهُ وبين الشرع الرومانيّ ويلحظون أشياء كثيرة مصدرها الحقوق الرومانيَّة

﴿ الدواوين ﴾ لا قيام لدولة كبيرة الاَّ بإنشاء دواوين مختلفة يُعهد إلى كلّ منها تدبير بعض أمورها كبيت المال وتدبير الجُند وديوان الإنشاء وديوان التوقيع وديوان الأعمال وديوان الجباية وديوان الخاتم. ولم يكن للعرب الفاتحين دُرْبة في كلّ ذلك ومن ثمَّ أقرُّوا الدواوين على ما كانت عليهِ قبل فتحهم في أيدي عمَّال من نصارى البلاد. وجاء في كتاب لطائف المعارف للثعالبي ( ص ١٠ ) « انَّ أوَّل من دوَّن الدواوين عمر بن الخطَّاب عملاً بما قال لهُ رجلٌ : رأَيتُ الأعاجم يدوّنون ديوانًا لهم فدوِّنْ لنا أنت ديوانًا فأمر بوضع الديوان » على أنَّ هذه الدواوين تولاَّها أوَّلاً النصارى لعلمهم بتدبيرها. لنا على ذلك مثال جليل في أُسرة ابن منصور الدمشقيَّة التي اشتهر منها سرجه أو سرجون بن منصور من ندماء يزيد بن معاوية ( الأغاني ١٦ : ٧ ) وكاتب معاوية بن يزيد وعبد الملك بن مروان على ديوان الخراج والجند ( الطبري ٢ : ٨٣٧ ابن عبد ربّهِ ٢ : ٣٢٢ ) وابنهُ يوحنَّا هو ملفان الكنيسة اليونانيَّة العظيم المعروف بالقديس يوحنا الدمشقي. وكان هؤلاء العمَّال يكتبون في الروميَّة أو القبطيَّة أو الفارسيَّة إلى أن تمكَّن العرب من نظارة تلك الدواوين فنقلوها إلى العربيَّة وذلك في عهد عبد الملك بن مروان ثمّ الوليد بن عبد الملك

﴿ التاريخ ﴾ كان للأمم المجاورة للعرب تواريخ للأعوام والشهور يعرّفون بها أزمنة الوقائع والحوادث المهمَّة فكان اليونان يؤرخون بسني الخليفة وبتاريخ الإسكندر ذي القرنين وبمولد السيد المسيح. وكان الفرس يؤرخون بيزدجرد بن شهريار أو أحد ملوكهم. وأرَّخ العرب قبل الإسلام بعام الفيل أو ببعض أيَّامهم المشتهرة كيوم جَبَلة ويوم الكُلاب ويوم ذي قار. أمَّا المسلمون فقيل انَّ عمر أوَّل

من ارَّخ منهم في السنة ١٩ أو ٢٠ هجريَّة تعلَّموا ذلك من جيرتهم. جاء في كتاب الشماريخ في علم التاريخ للسيوطيّ ( ص ٩ éd. Seybold ) « انَّ رجلاً من المسلمين قدم من أرض اليمن فقال لعُمر : رأيتُ باليَمَن شيئًا يسمُّونهُ التاريخ يكتبون من عام كذا وشهر كذا. فقال عُمر: انَّ هذا لَحَسن فارّخوا » ثمَّ اختلفوا في بدء التاريخ إلى أن اصطلحوا على سنة هجرة محمَّد من مكَّة إلى المدينة وجعلوا أوَّل العام شهر المحرّم شهر حرام ومصرَف الناس من الحجّ. قالوا انهُ يوافق يوم الخميس الثامن من شهر أيَّار لأنهُ سنة ٩٣٣ للإسكندر

﴿ الحَلَف ﴾ قد اعتاد العرب على القسَم بالله وبما يقرب إليهِ كالملائكة والأولياء. قال عبيد بن الأبرص ( ديوانهُ éd. Lyall ص ٦٧ ) :

حلفتُ بالله أنَّ الله ذو نعَمٍ لِمن يشاء وذو عفوٍ وتَصْفاحِ

وقال الآخر ( أمالي القالي ٣ : ٢٩ ) :

امّا والذي لا يعلمُ الغيبَ غيرُهُ ومن هو يحيى العظم وهو رميمُ
لقد كنتُ أطوي البطنَ والزادُ يُشتهى محافظةً من أن يقالَ لئمُ

وكانوا في الجاهليَّة يحلفون بأصنامهم كاللات والعزَّى ونَسْر. ثمَّ شاع ذلك بينهم حتَّى النصارى واليهود دون إشارة إلى معتقدهم بها كما يقال باللاتينيَّة حتَّى في عهدنا بحق هِرْقل (mehercle) أو بالإيطاليَّة بحق بخُوس ( per Bacco ) فكذلك نصارى العرب حلفوا بأصنام الجاهليَّة وبالأنصاب على سبيل العادة ليس عن اعتقاد دينيّ. فمن ذلك قول عبد المسيح المتلمّس يهجو عَمْر بن المنذر :

أَطرَدتني حَذَرَ الهِجاء ولا واللاتِ والأنصاب لا تئِلُ

ويروى : واللهِ والأنصاب. ومثلهُ مهلهل التغلبيّ حلف بالأنصاب :

كلاَّ وانصابٍ لنا عاديَّة معبودةٍ قد قُطّعَتْ تَقطيعا

وحلف اوس بن حَجَر باللات والعزَّى فقال :

وباللات والعُزَّى ومَن دان دينَها وبالله انَّ الله منهنَّ أعظمُ

وحلف الأخطل بالعزَّى وبنَسْر وما يُضَحَّى عليهما من الضحايا :

أَما ودماءٍ ماثراتٍ تخالُها على قِنَّةِ العزَّى وبالنَّسْر عَنْدَما

وذكر لهُ في الأغاني ( ٧ : ١٧٣ ) حلفًا قالهُ افتخارًا على جرير والفرزدق : « أنا واللاَّتِ أشعرُ منهما » فأردف الراوي قائلاً : « حلف باللات هزؤًا واستخفافًا بدينهِ » ( قلنا ) بل حلف بها جريًا على عادة العرب دون حملهِ ذاك الحلف على الدين مع ما نعلمهُ من تشبُّث الأخطل بدينهِ حتَّى في مجالس الخلفاء. وممّا حلف بهِ مشيرًا إلى دينهِ ما رواهُ أيضًا أبو الفرج في الأغاني ( في الصفحة المذكورة ): « وحقِّ الصليب » . « وحقّ الصليب والقربان » وروى لهُ في محلّ آخر ( ٨ : ٨٥ ) : « قدُّوس قدُّوس .. وحقّ الصليب » وقد ذكر لهُ في نقائض جرير والفرزدق حلفًا بالمسيح

وكذلك لم يأنف النصارى عن الحلف بمكَّة ومناسك الحجّ قال الأخطل ( اطلب ديوانهُ ص ١١٩ وشرح مغني اللبيب للشيخ محمَّد الأمير ( ١ : ٢١٠ ) :

اني حلفتُ بربّ الراقصات وما أضحى بمكَّة من حُجبٍ وأستارِ
وبالهدايا التي احمرَّت مذارعُها في يوم نسك وتشريقٍ وتَنْحارِ
وما بزِمْزمَ من شُمطٍ محلّقةٍ وما بيثربَ من عُونٍ وأبْكارِ
لألجاتني قريشٌ خائفًا وَجِلاً ومَوَّلتني قريشٌ بعد إعْسارِ

وحلف الآخر بالكعبة وإله إسرائيل ( أمالي القالي ٢ : ٤٦ ) :

قُلْت وكنتُ رجلاً فطينا هذا وربّ البيت إسرائينا

وقد جمع عديّ بن زيد الشاعر النصرانيّ الشهير في حلفهِ بين مكة والصليب (الأغاني ٢ : ٢٤) :

سعى الأعداءُ لا يألون شرًّا عليك وربِّ مكَّة والصليبِ

ومثلهُ الأعشى حلف باسكيم الرهبان وبالكعبة :

حلفتُ بثوبَي راهبِ الدير والتي بناها قُصيٌّ والمضاض بن جُرهمِ

وورد في الأغاني ( ١٢ : ٧٥ ) لعبد الرحمان بن الحكم بن أبي العاص :

حلفتُ بربّ مكَّةَ والمصلَّى وبالتوراة احلفُ والقِرَانِ

وهو القائل أيضًا ( إصلاح المنطق ص ٢٢٤ ) :

واني وربّ الساجدين عشيَّةً وما صكَّ ناقوس النصارى ابيلُها

أُصالحكم حتى تبوُّوا بمثلها كصرخة حُبلى اسلمَتْها قبيلُها

وممّا لا شبهة فيهِ عن إيمانهم بالمسيح قول عمر بن عبد الحقّ :

وما قدَّس الرهبان في كل بيعةٍ ابيل الابيلين المسيح بن مريما

قال في اللسان ( ١٣ : ٦ ) : وكانوا يعظّون الابيل ويحلفون بـه. وحلف عديّ بن زيد بالقربان ودعاهُ الشَّبر ( إصلاح المنطق ١٦٩ ) :

إذ أتاني خبرٌ من مُنْعمِ لم أَخُنهُ والذي أعطى الشبَرْ

﴿ الختانة ﴾ معلومٌ انَّـهُ لا ذكر للختانـة مطلقًا فـي القرآن وانَّمـا يجـري عليهـا المسلمون بموجب السنَّة والتقليد. والشائع بين الكتبة المحدَثين انَّ العرب قبل الإسلام كانوا يختتنون. وفي زعمهم هذا نظر فانَّ لنا عدَّةُ شواهد تثبت أن كثيرين من العرب لم يـألفوا الختانـة ومن المحتمل أنَّ النصرانيَّة أبطلَتْها بينهم. روى صاحب الأغاني لحاجب يزيد بن المهلَّب أبياتًا في هجو اليمن وممَّا ينسبهُ إليهم انهم غُرْل غير مختتنين قال ( ١٣ : ٥١ ) :

فلَّلزنجُ خيرٌ حين تنسب والـدَّامن أبْناءِ قحطان العفاشلةِ الغُرْلِ

وجاء في التاج ( ٢ : ٣٢٤ ) بيت للفرزدق عن آل حوران غير المختتنين. وكذلك هجـا حريث بن عنَّاب بني ثَعَل ودعاهم بالغُلْف ( أغاني ١٣ : ١٠٣ ). ومما ورد في نقائض جرير والفرزدق ( ص ٦٦٩ ) انَّ بني عامر يوم شِعب جبَلـة قتلوا ثمانين غلامًا أَغْرل. وفي أمالي القالي ( ٣ : ٤٦ ) ما يثبت رأينا قال : « روى الأصمعيّ عن سَلْم بن قتيبة قال : كانت إياد تردُ المياه فيُرَى منها مائتا شاب على مائتي فرس بشيّةٍ واحدة وكانوا أَعَدَّ العرب وانهم استقلُّوا بعشرين ألف غلام أَغْرل فاوغلوا حتَّى وقعوا ببلاد الروم »

وقد ذكر ابن الأثير في تاريخهِ في وصف أيَّام العرب انَّه كان ٦٠,٠٠٠ منهم غُلْفًا دون ختانة. فلا شكَّ أنَّ النصرانيَّة بانتشارها في جزيرة العرب قبل الإسلام كانت أبطلت تلك السنَّة بين كثير من القبائل

﴿ الحجاب ﴾ قد فرض الشرع الإسلاميّ التحجُّب على نساء المسلمين. وليس المسلمون أوَّل من سبقوا إلى الأمر بهِ. فانَّ الأمم القديمة كانت تحجب الفتيات إلى

عهد زواجهنَّ فإذا تزوَّجنَ أَسفرنَ عن وجوهنَّ. ولنا على ذلك شواهد في سفر التكوين ( ٢٤ : ٦٥ و ٣٨ : ١٤ ). وقد ورد مثل هذا في الآثار الأشوريَّة والرومانيَّة وغيرها. وكذلك الكنيسة لم تزل توصي النساء بالحشمة وتغطية رؤوسهن ولاسيَّما وقت الصلاة في الكنيسة ( ١ كور ١١ : ٣ ـ ١٧ )

على انَّ صاحب الشريعة الاسلاميَّة عمَّم ذلك وفرض بهِ على جميع النساء مطلقًا ناهيًا عن سفور وجوههنَّ الاَّ بازاء أقاربهنَّ الادنين. وهذه سنَّتـُهم إلى يومنا الاَّ من تقلَّدوا الآداب العصريَّة وتمثَّلوا بأمم الغرب فيعتبرون الحجاب مضرًّا بتربية الاناث مانعًا لترقية جنسهنَّ باخسًا من قدرهنَّ

وما لا شكَّ فيهِ انَّ عرب البادية لا يحجبون نساءَهم. تلك عادةٌ جروا عليها منذ القديم. وما القناع والنصيف والخمار الاَّ اكسية كانت نساؤهم يسترنَ بها رؤوسهنَّ دون الوجوه وعلى الأقلّ دون العيون كما ترى في وصاوص المصريَّات. وفي الشعر الجاهليّ ما يؤَيّد زعمنا قال المثقّب العبديّ ( المفضَّليات ص ٥٧٩ ) :

أَرَيْنَ محاسنًا وكَنَنَّ أُخرى  من الأجياد والبَشَرِ المصونِ

وورد هناك بين الشروح عن منجول البراقع : (( لا يلبس منجولَ البراقع الاّ الحسانُ لأنهنّ يحبُبْنَ أَن تُرى وجوههنَّ منها لحسنها والقباحُ تلبس الوصاوص لضيقها حتَّى لا تُرى وجوههن لقبحها. وقال عمر بن أبي ربيعة ( المفضَّليات ص ٢٥٩ ) :

ولمَّا تَوَاقَفْنا وسلَّمْتُ اقبلَتْ  وجوهٌ زَهاها الحسنُ ان تتقنَّعا

وروى في الحماسة (ص ٥٥٣): (( ولما تفاوضنا الحديث وأسفرت )) . قال: (( وهكذا كانت نساء العرب تفعل إذا كانت جميلةً )) بل نبذت كثير من نساء الإسلام الحجاب كما روى المؤرخون. أخبر الصفدي في شرح لاميَّة العجم ( ١ : ٦٨ ) : (( كانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله لا تستر وجهها بشيء فلمَّا دخل بها مُصعب بن الزبير كلَّمها في ذلك فقالت : انَّ الله عزَّ وجلَّ قد وسَمني بوَسْم جمال فأَحببتُ ان يراهُ الناس واللهِ ما فيَّ وصمةٌ استترُ لها ))

وقد ذكر صاحب الأغاني ( ١٠ : ١٢٨ ) انَّ الخليفة المأمون كان يخرج إلى الشمَّاسيَّة ليتنزَّه بعد قدومهِ من خراسان. ثمَّ اخبر أن ابراهيم الموصلي دخل إليهِ (( وهو يشرب مع الجواري وما كانوا يحجبون جواريهم في ذلك الوقت ما لم يلْدَنَ ))

﴿ الردافة ﴾ هي من العادات التي اتخذها العرب من الأمم النصرانيَّة المجاورة لهم وهي كالوزارة شاعت عند ملوك الحيرة وملوك غسَّان النصارى. ( قال في التاج ٦ : ١١٥ ) كانت الردافة في الجاهليَّة لبني يربوع لأنهُ لم يكن في العرب أحد أكثر غارةً على ملوك الحيرة من بني يربوع فصالحوهم على أن جعلوا لهم الردافة ويكفُّوا عن أهل العراق الغارةَ... قال جرير وهو من بني يربوع :

ربَعْنا وأردَفنا الملوكَ فظلّلوا وطاب الأجاليب الثمامَ المنزَّعا

وقال المبرّد ( الكامل ٧٦٣ ) : « للردافة موضعان أحدهما أن يردفهُ الملوك دوابّهم في صيد والآخر أن يخلف الملكَ إذا قام عن مجلسهِ فينظر في أمر الناس. ( قال ) كان الملك يردف خلفهُ رجلاً شريفًا وكانوا يركبون الابل وأرداف الملوك هم الذين يخلفونهم في القيام بأمر المملكة بمنزلة الوزراء في الإسلام وأحدُهم رِدْف والاسم الردافة كالوزارة » . وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان ( ٣ : ٥١٨ ) في مادَّة طِخْفَة اليوم المنسوب إلى هذا المكان بين بني يربوع وجيش ملك الحيرة لمّا أراد بعد موت ردفهِ عتّاب بن هرمي بن رياح بن يربوع أن ينقل الردافة إلى غيرهم فأبت بنو يربوع ذلك ورحلت فنزلت طخفة وبعث الملك إليهم جيشًا فيهِ قابوس ابنهُ وابن لهُ آخر وحَسّان أخوهُ فانتصر عليهم بنو يربوع وبقيت الردافة فيهم

﴿ العمامة ﴾ تُنْعَت العمامة عند العرب بتاجهم. وقد وصفها أبو الأسود الدولي بقولهِ : العمامة جُنَّة في الحرب ومكنةٌ من الحرّ ومدفأةٌ من القرّ ووقار في النوادي وزيارة في القامة وهي تُعَدّ من ميزة سادة العرب : قالت الخنساء في أخيها :

فارسُ الحرب والمعمَّم فيها مدرهُ الحرب حين تلقى نطاحا

وقد شاعت العمامة خصوصًا بين نصارى اليمن والعراق : وممَّا يروي صاحب الأغاني في خبر اساقفة نجران مع نبيّ الإسلام انهم كانوا « من السادة المعمَّمين » وترى إلى يومنا العمامة من مميّزات كهنة وأساقفة وبطاركة الكلدان في العراق وجهات ما بين النهرين

## الفصل الثالث عشر

الشعر النصراني وشعراء النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة وأوَّل الإسلام

هذا آخر فصل من كتابنا « النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة » نختم بهِ القسم

الثاني منهُ المختصّ بآداب النصرانيَّة. وقد أجَّلناهُ إلى آخر الكتاب لنجعل كلّ ما سبق كتوطئة لهُ إذ كان غرضنا أن نبيّن نصرانيَّة معظم الشعراء الذين سبقوا الإسلام

## ١ أصل الشعر العربي

زعم بعض الثَّرْثارين المُتَفيهِقين انَّ الشعر العربي سبق الإسلام بميئين من السنين بل سبق ميلاد السيّد المسيح بأجيال عديدة حتَّى نسبوا منهُ نُتَفًا إلى زمن نبيّ يدعونهُ هودًا يزعمون انهُ عاش قبل ابرهيم الخليل في الألف الثالث قبل المسيح. وتوغَّل غيرهم في غلوّهم وأوهامهم فرووا لآدم أبي البشر أبياتًا رثى بها على رأيهم ابنهُ هابيل القتيل فعارضهُ فيها ابليس الرجيم (١

تلك مزاعم يضحك منها العلماء ويضرب بها عرضَ الحائط كلُّ من لهُ أدنى إلمام بتاريخ اللغات عمومًا واللغة العربيَّة خصوصًا

وقد ارتأى البعض انَّ سِفر أيُّوب المورود في التوراة عربيُّ الأصل عربيُّ اللهجة والتصوُّرات شعريُّ الصورة وقد استوطن أيُّوب صاحبهُ غَرْبيَّ جزيرة العربيَّة في البَثَنيَّة وضمَّن آياتهِ كثيرًا من التشابيه والأوصاف الشائعة بين العرب كذكر النجوم ووصف الخيل وغير ذلك. نجيب على هؤلاء انَّ في هذا الرأي نظرًا لأسبابٍ منها أنّ سفر أيُّوب لا يعرف منهُ منذ نحو ثلاثة آلاف سنة غير ترجمتهِ العبرانيَّة ثم ليس لدينا حجَّة قاطعة يُمكننا أن نستند إليها لنثبت كتابتهُ في لغة أخرى فانَّ مضامين هذا السفر والتقليد اليهودي القديم لا يذكرانِ شيئًا من ذلك. وعلى كلّ حال إذا صحّ قول العلماء بأن سفر أيُّوب كُتب بالأصل في العربيَّة فلا شكَّ أن تلك العربيَّة كانت مختلفة عن عربيّتنا التي هي لهجة بعض قبائل الحجاز لهجة قريش التي لم تشِعْ الاَّ بعد قرون عديدة. ولعلَّها النبطيَّة أو لغة أُخرى أقرب إلى الآراميَّة منها إلى العربيَّة. ومن ثمَّ ليس من الممكن الاستناد إلى هذهِ اللغة المزعومة لنجعلها أصل شعرنا العربي في الوقت الحاضر

وان تتبَّعنا بعد ذلك سياق الأجيال منحدرين إلى أوائل النصرانيَّة لا نجد ذكرًا للغة العربيَّة الاَّ بعض تقاليد مستحدثة رواها الرواة بعد الإسلام لا يوثق بها. ولسنا

---

١) اطلب مجلَّة المشرق ( ٦ [١٩٠٣] : ٤٨٩ ـ ٤٩٣ )

لننكر أنَّ العرب في تلك الأثناء تكلَّموا بلغةٍ خاصَّة لكنَّ تلك اللغة كانت تختلف اختلافًا عظيمًا في كل قبيلة على اختلاف مواقعها في أنحاء الجزيرة وتأثير اللغات المجاورة لها وحالة المتكلمين بها من أهل حضَر أو أهل المدَر فيطلقون على كلّ هذه اللهجات اسم اللغة العربيَّة كما يطلقون اسم العرب على أهل الجزيرة مع اختلاف عناصرهم القحطانيَّة والعدنانيَّة والاسمعيليَّة

ولعلَّ بعض رجال تلك القبائل بعد أن بسط الرومان سيطرتهم على نواحي العرب فقلَّدوهم بعض أعمالها ودوَّنوا شيئًا من مآثر لغتهم فأَخذتها أيدي الضياع. ومن الشواهد الحسنة التي يمكننا أن نثبت بها قولنا كتابةٌ حجريَّة وُجدت في رومية سنة ١٧٧٣ (١ راقية إلى أوائل القرن الثاني للمسيح في عهد تراجانوس القيصر. وهذه الكتابة لاتينيّة كتبها ورَّاق عربيّ اسمهُ مرقس اولپيوس كستوراس كان رافق حملتي الرومانيين في غالية وفي سوريَّة فجعلها على ضريح رجل اسمهُ مرقس اولپيوس سيمفورس كان معهُ في الحملتين :

M. ULPIUS SYMPHORUS VIXIT ANNIS XXIV… ULPIUS CASTORAS LIBRARIUS ARABICUS BENE MERENTI QUOD IS EXPEDITIONIBUS DUABUS GALLIÆ ET SYRIÆ SECUM FUERAT

فذكُر ورَّاقٍ أو كاتب عربي في ذلك العصر من الأمور الغريبة التي تثبت ما كان للعربيَّة من الشأن في تلك الأيَّام. ولكن ما هي تلك العربيَّة التي يُشار إليها أَهي عربيَّة قريش؟ أو النبطيَّة أو الحميريَّة أو لغة قبائل الشام الخاضعة للرومان ؟ كلّ ذلك محتمل ولا يمكن بتُّ الحكم بهِ. وما لا شكَّ فيهِ أنّ ذلك الكاتب لم يخطّ كتاباتهِ بالقلم العربيّ الذي برز للوجود في أواسط القرن السادس للمسيح فقط. وانَّما كانوا يكتبون قبل ذلك بأقلام لغات أُخرى اخصُّها في جنوبي جزيرة العرب الحميريَّة والمينويَّة وفي الشمال بالنبطيَّة والثموديَّة واللحيانيَّة والصفويَّة وقد وُجدت من كلّ هذه الخطوط أمثال مختلفة في جهات العرب يرقى بعضها إلى ما قبل المسيح

وقد سبق لنا القول أنَّ أقدم كتابة تقربُ لهجتها من عربية قريش هي الكتابة الضريحيَّة التي وُجدت في جهات الصفا على قبر ملك العرب امرئ القيس بن عمرو

---

١) اطلب المجلَّة الأسيويَّة الفرنسويَّة (J. As. 1840, p. 199) وكتاب لينورمان في الكتابة الفينيقيَّة Essai sur la propagation de l'Alphabet Phénicien. II, 145

وتاريخها في ٧ من شهر كانون الأوَّل سنة ٣٢٨ للمسيح. وهي مكتوبة بالحرف النبطي الجميل أوردنا سابقًا رسمَها. أمَّا لغتُها فمع قربها من لغة قريش أي لغتنا الفصحى لا تزال مضطربة مشوَّشة مختلطة بألفاظ غريبة

فإن كان المنثور في القرن الرابع للمسيح على هذه الصورة فما قولنا بالموزون ؟ ولنا هنا أيضًا شاهد صادق على أنّ العرب في ذلك الجيل لم يجهلوا الشعر. وهو لأحد المعاصرين المؤرخ اليوناني سوزمان (١ فانّهُ في تاريخهِ الكنسي في الفصل الثامن والثلثين منهُ يذكر محاربة ماويَّة ملكة عرب الشام للرومانيين وانتصارها على جيوشهم ثمَّ تنصُّرَها وتنصُّر قومها على يد أحد السيَّاح المدعو موسى. فهناك يصرّح المؤرخ بما شاع من الأغاني الحماسيَّة بين رعايا ماوية يعدّدون فيها مآثرهم وغاراتهم على الرومان وهذا نصُّهُ (١ :

Hæc ita gesta multi ex earum regionum incolis etiamnum commemorant et apud Saracenos vulgo cantibus celebrantur.

وما يقولهُ المؤرخ سوزومان عن الأغاني الحماسيَّة يجوز أن نطلقهُ على بقيَّة أمورهم كالأفراح والأحزان والمديح والغزل والفخر لأنّ الغناء غريزة في الإنسان. ولكن يا تُرى ماذا كانت أوزان تلك الأغاني ؟ كم كانت أجزاؤها ؟ كيف كان إيقاعها ؟ وهل كانت لغتها فصيحةً كلغتنا أو بالأحرى كانت لهجة خاصَّة لتلك القبائل ؟ انَّنا نجهل كلّ ذلك

فلكي نستطيع أن نبني كلامنا على أساسٍ متين لا بُدَّ ان نتقرَّب إلى زماننا بزهاء مائتي سنة أعني إلى أوائل القرن السادس للمسيح فإن الشعر العربي الموزون ذا الأبحر المتعدّدة والإيقاع الثابت لا تُرى آثارُهُ قبل ذلك

ويؤيد قولنا اتّفاق كتبة العرب الأقدمين. قال الجاحظ في كتاب الحيوان ( ١ : ٢٧ ) : (( امّا الشعر فحديث الميلاد صغير السنّ أوّل من نهج سبيلهُ وسهَّل الطرق إليهِ امرؤ القيس بن حُجْر ومهلهل بن ربيعة ... فإذا استظهرنا الشعر وجدنا لهُ إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام ))

وذكر السيوطي في المزهر ( ٢ : ٢٣٨ ) لعمر بن شبَّة في طبقات الشعراء قولهُ :

---

**1) Sozom. : H.E**, *L.VI, ch. 38,; Migne, pp. GG, LXVII, col.* 1410

« وهؤلاء النفر المدّعى لهم التقدُّم في الشعر متقاربون لعلّ أقدمهم لا يسبق الهجرة بمائة سنة أو نحوها »

على أنَّ هذا القول يصحّ في القصائد المطوَّلة ليس في الأبيات القليلة التي لعلّ بعضها يرتقى إلى أواسط القرن الخامس. قال محمَّد بن سلاَّم الجمحيّ في طبقات الشعراء (ص ١٨): « لم يكن لأوائل العرب من الشعر الاَّ الأبيات يقولها الرجل في حادثةٍ وانَّما قُصدت القصائد وطُوّل الشعر على عهد عبد المطّلب وهاشم بن عبد مناف »

فيبقى البحث عن تلك الأبيات المفردة والقليلة فكيف اهتدى إلى نظمها العرب ؟ هل ابتكروها دون علم سابق ؟ أو حذوا فيها حذو غيرهم من الأمم المجاورة لهم كالحبش والروم والسريان ؟

قلنا إنَّ الغناء غريزة في الإنسان والغناء يحتاج إلى بعض الوزن والإيقاع فلمَّا أراد الناطقون بالعربيَّة المحضة وهي عربيَّتنا التي أخذت بالثبات في القرن الخامس للمسيح ابتدأوا بالتعبير عن عواطفهم واحساساتهم في الحبّ والتحمُّس والغضب والوصف بما يقرب من الشعر الموزون أعني بالكلام المسجَّع الذي روى منهُ الرواة الأقدمون بعض المقاطيع كان يرتجلها الكهَّان والعرَّافون وبعض القوَّالين. فمن أقدم ما رووا من ذلك قول ظريفةَ الخير الكاهنة تنذر زوجها الملك عمرًا بسيل العرم ( المسعودي في مروج الذهب ٣ : ٣٧٩ ) :

« ما رأيتُ اليوم. قد ذهب عني النوم. رأَيتُ غيمًا أَبرق. وأرعد طويلاً ثم أَصْعق. فما وقع على شيء الاَّ احترق. فما بعد هذا الاَّ الغرق » . ( وقالت ص ٣٨٢ ) : « هي داهيةٌ ركيمة. ومصيبةٌ عظمية. بأمر جسيمة ... انَّ لي فيها الويل. ممَّا يجيءُ بهِ السَّيْل ... خطبٌ جليل. وحزن طويل. وخلفٌ قليل. وعدٌ من الله نزلْ. وباطلٌ بطَلْ. ونكالٌ بنا نكلْ. فبغيرك يا عمرو فليكن الشَّكل »

فترى في هذه الأقوال أسجاعًا متتالية بينها شيء من الموازنة فانتقلوا منها إلى أبسط البحور وهو الرجز فلزموا التقفية كلزومهم الأسجاع في المنثور ورعوا فيهِ عدد الأجزاء والوزن مع جوازات كثيرة. وكانت أبياتهُ قليلة. قيل انَّ من أقدم ما ورد منهُ قول دُوَيد بن زيد بن نهد حين حضرهُ الموت :

اليوم يُبْنَى لـدُوَيدٍ بَيْتهُ لو كان للدهر بلىً أبْليتهُ
أو كــان قرْنــي واحــدًا يــا رُبَّ نهْــبٍ صــالحٍ كفِيتُهُ حويتُهُ
وربَّ غيلٍ حسنِ لويتُهُ

وقول امرئ القيس إذ بلغهُ خبر قتل أبيهِ بدمُّون في نواحي اليمن :

تطاولَ الليل علينا دمُّونْ دمُّون انَّا معشرٌ يَمانونْ
وانّنا لقومنا محبُّونْ

ومثلهُ لكُلَيْب اخي المهلهل وتروى لطرفة ارتجز بها إذ رأَى قنابر تلتقط حبًّا يُنثر لها :

يـا لكِ من قبـُرةٍ بمَعْمـَرِ خَلاَ لكِ الجوُّ فبيضي واصفري
قد رُفـع الفخَّ فمـاذا تحذري ونقـّري ما شئتِ أن تنقـّري
قد ذهب الصيَّادُ عنكِ فابْشري لا بُدَّ يومًا أن تُصادي فاصبري

فإن كان السجع والرَّجز المذكوران هما كما يظهر أصل الشعر العربيّ ترتقي آثارهما إلى أوائل القرن السادس أو أواخر الخامس فيجب البحث عن أمَّة مجاورة للعرب أمكنهم أن يتقلَّدوها في سجعهم ورجزهم السابقين. وانَّنا نرى أن تلك الأمَّة كانت الأمَّة الأراميَّة أي الكلدان والسريان الذين كانوا منذ أواسط القرن الرابع بعد تنصُّرهم زيَّنوا كلامهم المنثور بالسَّجْع والفواصل ونظموا شعرًا يقرب من أراجيز العرب. ولمَّا كان الأراميُّون يستوطنون حدود العرب وكثيرًا ما امتزجوا بهم امتزاج الماء بالراح وبنوا في جزيرتهم العدد العديد من الأديرة والمناسك حيث كان الرهبان يتغنَّون بالتسابيح ويحيون لياليهم بالأناشيد الروحيَّة فيسمعهم أهل البادية ويردّدون نغماتهم فتبعثهم على الاقتداء بهم كما فعلوا بعد ذلك في تجويد القرآن على ما أثبتنا سابقًا. فلا نشكّ أن العرب أخذوا أيضًا عن نصارى السريان والكلدان تسجيع الكلام وموازينهُ الشعريَّة البسيطة كما ترى في الأراجيز العربيَّة. ولعلّ القبائل القريبة من الروم وجدت أيضًا في تلحينهم وغنائهم وشعرهم ما دفعهم إلى التشبُّه بهم في آدابهم

ويؤيّد قولنا هذا ان كثيرًا من القبائل العربيَّة المتنصِّرة كانت تحضر ما يقيمهُ في وسطها من الرتب الدينيَّة الأساقفة والكهنة خصوصًا في جهات الشمال والشمال الغربيّ حيث توفَّرت الكنائس النصرانيَّة الكلدانيَّة والسريانيَّة وفي جهات الشام شرقيّ دمشق وفي نواحي الاردن حيث انتشرت اليونانيَّة وأُقيمت الطقوس الكنسيَّة

في تلك اللغة. أمَّا القبائل المتنقّلة فكان يرافقها أساقفة أو كهنة يُدْعَون بأساقفة المضارب كما شرحنا ذلك كلّهُ في القسم التاريخيّ. فلا غرو أن العرب الذين كانوا يعاينون تلك المحافل الدينيَّة ويسمعون أَلحانها تأثروا منها فاستفزَّتهم قريحتهم إلى أن يجروا عليها نوعًا سواءً كان في غنائهم أو في شعرهم

ولنا في ما رويناهُ عن سوزومان المؤرخ شاهد آخر على رأينا إذ ينسب إلى بني غسَّان تلك الأغاني العربيَّة التي كانوا ينشدونها بعد محاربتهم للرومان. وهو في الفصل عينهِ يذكر تنصُّرهم وفي ذلك دليل على أصل كلامهم الموزون وعلاقتهِ مع دينهم النصرانيّ سواء كانت تلك الأغاني اسجاعًا مرصوفةً أو اراجيز موزونة

## ٢ في ترقي الشعر العربي وتقصيد القصائد

كان بحر الرجز كأساس أوَّل للشعر العربيّ. على أنَّ تفاعليهُ بما فيها من الجوازات الشعريَّة العديدة ما لبثت أن برزت على صور شتَّى تفنَّن بها الشعراء بتركيب الأسباب والأوتاد فأخرجوها على أوزان مختلفة جروا عليها بفطرتهم دون أن يدوّنوها بكتاب مكتوب فبقيت سماعيَّةً تقليديَّة إلى أن قام الخليل في القرن الثاني للهجرة وأمعن النظر في صورها وأوزانها واستخرج أعاريضها وأثبتها على قواعد صحيحة. وإلى ذلك أشار ابن الرشيق في العمدة ( ص ٥ ) بقولهِ في أصل الشعر العربيّ : (( كان الكلام كلُّهُ منثورًا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها. وطيب أَعْراقها. وذكر أَيَّامها الصالحة. وأوطانها النازحة. وفرسانها الانجاد. وسُمَحائها الأَجْواد. لتهزّ نفوسها إلى الكرم. وتدلّ أبناءها على حسن الشيم. فتوهَّموا أعاريض جعلوها موازين الكلام. فلمَّا تمَّ وزنهُ سمَّوهُ شعرًا لأنهم قد شعروا بهِ أي فطنوا لهُ ))

وهنا لا نتردَّد في القول بأنَّ الذين قاموا بذلك فوضعوا هذه الأوزان انَّما كانوا من العرب المتنصِّرين من قبائل غلبت عليها النصرانيَّة بشهادة قدماء المؤرخين لاسيَّما المسلمين كقبائل ربيعة التي منها بكر وتغلب ويشكر وحنيفة وكقبائل قضاعة ومنها كلب وتنوخ وكقبائل اليمن ومنها كندة ولخم وغسَّان وبعض قبائل قيس كذبيان وعبس. نُحيل القرّاء لإثبات نصرانيَّتهم إلى قسمنا الأوَّل في تاريخ النصرانيَّة في عهد الجاهليَّة

وعلى رأينا أنَّ شعراء الجاهليَّة الأوّلين إذ اكتحلوا بنور النصرانيّة واحتكُّوا بأهلها من الأمم المجاورة كالسريان واليونان والحبش ودخلوا على ملوكها العرب الغساسنة والمناذرة وبني الحارث وكان تمدُّن اليونان والروم والفرس غلب عليهم تأدَّبوا بآدابهم وجارَوْا أولئك الطوائف في بلاغتهم وتأنَّقوا بالنظم على مثالهم

وساعد الشعراءَ في تقصيد قصائدهم ما جرى في القرن السادس للمسيح من الوقائع والحروب التي اشتهر فيها العرب سواءٌ كانت تلك الحروب أهليَّة بين القبائل كحرب البسوس أو جرت لهم مع الأجانب كحرب ذي قار بين العرب والفرس. فانَّ الشعراءِ وجدوا فيها ما استفزَّ قريحتهم وهيَّج احساساتهم فوصفوها بقصائدهم وللنصارى منهم فيها حظٌّ وفيّ كما سترى

## ٣ الشعر النصرانيّ

رأَيت في ما سبق أنَّ النهضة الشعريَّة كانت خصوصًا في القرن السادس للمسيح أي القرن السابق لظهور الإسلام. وفي تأخُّر تلك النهضة سرٌّ غامضٌ ارتاب في فكّهِ الباحثون عن اخبار الجاهليَّة. فهذه أمَّة عظيمة منتشرة في بلاد تكاد مساحتها تساوي مساحة أوربَّة على أطرافها الممالكُ الوطنيَّة ذات الجاه والشرف والسلطان سبقت الإسلام بعدَّة قرون لا ينقصها شيء من أسباب الحضارة والعمران بينها أرباب العقول الراجحة والأذهان المتَّقدة لسانُها من أغنى الألسنة وأشرفها وأقدرها على التعبير عن كلّ العواطف البشريَّة وهي مع ذلك لم تنتج شاعرًا مفلقًا قبل أوائل القرن السادس وذلك بإِقرار أقدم الكتبة من العرب. فكيف يا تُرى يمكن تعليل ذلك الخمول ؟

إنَّنا طالما أمعنَّا النظر في هذا الأمر واستقصينا البحث فيهِ فلم نجد لهُ شرحًا مقبولاً الاَّ بأن نقول أن النصرانيَّة كانت أصل تلك النهضة ولأنَّها لم تبلغ في جزيرة العرب نفوذها وعزّها الاَّ في القرن السادس وان كان دخولها إلى الجزيرة سبق ذلك العهد فكذلك بلغت النهضة الأدبيَّة معها إلى أوج عزّها في ذلك الجيل

١ً وكان من نتائج توغُّل النصرانيَّة في جهات العرب انَّها سوَّلت لهم طرقًا للكتابة التي لا تستطيع الآداب أن تنتشر وتترقَّى دونها. فاستمدَّ العرب فنَّ الكتابة من نصارى العراق والنبط والحبش. تلك المصادر الثلثة للأقلام العربيَّة الأولى أعني

القلم النسخي والمسند الكوفيّ. وقد أثبتنا ذلك في باب خاصّ عليك بمراجعتهِ ( ص ١٥٢ ـ ١٥٨ ). وناهيك بهِ على ما كان للنصرانيَّة من السهم الأفوز في حفظ المآثر الأدبيَّة ونشرها. وقد وقع ذلك في القرن السادس

٢ وكان للنصرانيَّة فضلٌ آخر على ترقية الآداب بين العرب انَّ أربابها مع نشر الكتابة نشروا أيضًا التعليم امَّا بفتح المدارس للناشئة وامَّا بالتعليم الخاصّ وقد جمعنا في فصل سابق ( ص ٣٨٩ ـ ٣٩١ ) بعض الشواهد المثبتة لقولنا منها المدارس المتعدّدة المنشأة في العراق في أديرة الرهبان وغيرها كان يحضرها أحداث العرب كما ذكرنا هناك عن المرقّشَيْن الأكبر والأصغر وعن عديّ بن زيد وعن ورقة بن نوفل والبرَّاق بن روحان. ونوَّهنا أيضًا بذكر معلمين نصارى في مكَّة والمدينة وغيرهما. فليت شعري أيُحتاج إلى برهان أعظم لبيان تأثير النصرانيَّة في آداب الجاهليَّة وشعرائها المبرّزين في ذلك القرن السادس ؟

٣ ومن الأَدلَّة المقنعة على انَّ النصرانيَّة هي التي بعثت الشعر العربيّ واخرجتهُ من مهدهِ في القرن السادس انَّ ذاك الشعر كان ظهورهُ أوَّلاً بين القبائل النصرانيَّة. فان استفتينا على ذلك أقدم الكتبة كابن قتيبة في كتابَيْه المعارف وفي الشعر والشعراء وابن سلاَّم الجمحي في طبقات الشعراء ( ص ٢٢ ) وابن الرشيق القيرواني في العمدة ( ص ٥٤ ) ثمَّ السيوطي في المزهر ( ٢ : ٢٣٨ ) أَجابونا باتّفاق الأصوات انَّ الشعر العربي كان أوّلاً في ربيعة. وقد أثبتنا شيوع النصرانيَّة في ربيعة كما أجمع عليهِ الرواة كابن قتيبة ( في المعارف ص ٣٠٥ ) وابن رُسْته في الاعلاق النفيسة ( ص ٢١٧ ) وغيرهما ( راجع الصفحة ١٣٠ ). ومن ربيعة كانت تلك القبائل العظيمة التي كادت تستولي على جزيرة العرب كبكر وتغلب ابنَي وائل وكبني امرئ القيس وشيبان وعجل وحنيفة وقد تحقَّقنا نصرانيَّتها كلّها استنادًا إلى معظم الكتبة. فالنتيجة بعد ذلك ظاهرة وهي نصرانيَّة الشعراء المنتمين إليها الذين سبقوا غيرهم زمنًا كما سبقوهم إلى تقصيد القصائد. قال الفرزدق يذكر المهلهل التغلبيّ :

ومهلهلُ الشعراءِ ذاك الأَوَّلُ

٤ ولنا بيِّنة أُخرى على نصرانيَّة هؤلاء الشعراء الأَوَّلين نعني بها منازلهم التي كانوا يسكنونها مع قبائلهم فانَّ قبائل ربيعة كانت تحتلُّ مفاوز ما بين النهرين من الفرات

شرقيّ حلب وجنوبها إلى جهات الموصل والعراق ولا يزالُ يُطلق على قسم كبير منها اسم ديار بكر وديار ربيعة. وكانت هناك النصرانيَّة راسخة القدم منذ القرن الرابع للمسيح فتنسَّك فيها الحبساء بعدد وافر كصعيد مصر وتشيَّدت فيها أديرةٌ ذكر منها كتبة السريان والعرب ما ينيف على المئة عدًّا. فما لبثت تلك القبائل العربيَّة أن جحدت الشرك ودانت بدين المسيح وقد روينا في القسم التاريخيّ كثيرًا من اخبارها والشواهد على تنصُّرها نقلناها عن أصدق الرواة من يونان ولاتين وسريان بينهم كتبة كانوا معاصرين للأمور التي يخبرون بها وشهود عيانيُّون لِما يدوّنونهُ في بطون التواريخ فتارةً يذكرون كنائسهم وتارةً أساقفتهم الساكنين بينهم في الحضَر والمدَر وتحت الخيم وحينًا مزاراتهم الدينيَّة الى غير ذلك من الدلائل الصريحة على إيمانهم

فلمَّا ظهر الإسلام أقرَّ كتبتهم بما تحقَّقوهُ من تنصُّر تلك القبائل وقد دوَّنا ما أعلنوا بهِ حيث قالوا « انَّ من قبائل العرب المتنصِّرة بكر وتغلب ولخم وبهراء وتنوخ وجذام » وكلهم من ربيعة أو من القبائل اليمنيَّة المحالفة لها

وممَّا يجدر بالاعتبار أنَّ بين هؤلاء الشعراء قرابةً يستدلُّ بها أيضًا على وحدة دينهم فانَّ كليبًا والمهلهل كانا خالي امرئ القيس بن حجر الكندي وامَّهُ فاطمة اختهما. وكان المرقّش الأكبر عوف بن سعد عمّ المرقّش الأصغر عمرو بن حرملة وكان هذا عمّ طرفة بن العبد وكانت أمّ طرفة وردة وهي أخت المتلمّس جرير بن عبد المسيح

٥ ويؤيد قولنا في نصرانيَّة هؤلاء الشعراء انَّ من يراجع دواوينهم أو ما رُوي عنهم من القصائد لا تجد فيها أثرًا للشرك وعبادة الأصنام اللهم الاَّ في بعض الأقسام التي بيَّنَّا انَّها كانت ألفاظًا جارية على ألسنتهم كما ترى من أشكالها في أَلسِنة كلّ الشعوب دون إشارة إلى معتقد البتَّة ( اطلب الصفحة ٤٠٤ )

٦ وعلى خلاف ذلك تجد في شعرهم آثارًا بيّنة لاعتقادهم بالإله الواحد وبخلود النفس مع اقتباسات وإشارات واضحة إلى الأَسفار المقدَّسة وإلى الأنبياء وإلى العادات النصرانيَّة وقد جمعنا منها فصولاً واسعة مرَّ ذكرها في كتابنا هذا فلتُراجع. وهذا يصحُّ أيضًا في معظم الشعراء الذين جمعنا قصائدهم في كتاب شعراء النصرانيَّة سواء كانوا من إياد أو مضر أو قضاعة أو طيء أو من القبائل اليمنيَّة

ولا شكَّ أنَّنا كنَّا وجدنا في منظوماتهم ما هو أدلّ على دينهم لو لم يُفْقَد كثير

منها. وزد على ذلك انَّ اهل اللغة الذين حاولوا جمع تلك الآثار لم يباشروا بتدوينها الاَّ في أواسط القرن الثاني للهجرة إذ كان قسم كبير منها فد أخذتهُ يد الضياع أو تلف بالنسيان. وكان هؤلاء الرواة مُسْلمين لا يهمُّهم غير الفرائد الأدبيَّة والنوادر اللغويَّة فيضربون الصفح عمَّا يعزّز دينًا غير الدين الإسلامي. ويثبت ذلك ما تجد في المعاجم من أبيات متفرّقة دُوّنت في مظانّها يُستفاد منها أشياء كثيرة عن نصرانيَّة أهل الجاهليَّة رويناها في ما سبق كلآلئ فريدة من قلائد منفرطة

وان قيل ما لهم لم يصرّحوا بنصرانيَّة هؤلاء الشعراء فيزيلوا بذلك الشكّ والريب ؟

السبب ( الأوَّل ) لذلك كما قلنا انَّ الرواة السابق ذكرهم قلَّما سعوا في البحث عن أديان أولئك الشعراء وإذا تصفَّحت ما نقلوهُ من اخبار شعراء الجاهليَّة لا تكاد تجد تنويهًا بأحوالهم الدينيَّة. وان ذكروا شيئًا من ذلك رووهُ استطرادًا لا تعمُّدًا. ولولا اشارات خفيفة عن البعض الذين لا شبهة في نصرانيَّتهم لمَا تحقَّقنا دينهم كقسّ بن ساعدة وعديّ بن زيد وجابر بن حني والبرَّاق بن روحان وبسطام بن قيس

السبب ( الثاني ) لسكوت الرواة عن نصرانيَّة أولئك الشعراء انَّهم كانوا من قبائل عصاميَّة صحيحة النَّسب فما كانوا يرون داعياً إلى ذكر دينها وكلّها متساوية في شرف جنسها العربي من قحطان أو من عدنان على خلاف القبائل اليهوديَّة فانَّ الكتبة الأقدمين يميّزونها عن القبائل العربيَّة ويصرّحون بيهوديَّتها نسبًا ودينًا كَقُرَيْظة والنضير

والسبب ( الثالث ) الذي قضى على الرواة المذكورين الإضراب عن ذكر أديان الشعراء ما وجودهُ من الاختلاف في نصرانيَّتهم. فانَّ دعاة النصرانيَّة الذين دخلوا في جهات العربيَّة لم يكونوا على معتقد واحد فكان بينهم الصحيح الإيمان كالقديس پنتانوس ( $S^t$ Pantène) واوريجانوس وموسى رسول الغسَّانيين والقديسين هيلاريون ونيلوس وافتيموس ثم عقبهم النساطرة في العراق وفي سواحل البحرين وعُمان واليمن واليعاقبة في جهات الفرات وما بين النهرين وبادية الشام. وكان فرَّ إلى جزيرة العرب كثيرون من المبتدعين لينجوا من نقمة ملوك الروم وغيرهم كاللاأدريين والمندائيّين ومتنصِّري اليهود المدعوّين بالإبْيونيين والكسائيّين وهلمَّ جرًّا حتَّى أنَّ القديس ابيفانيوس منذ القرن الرابع كان يصف جزيرة العرب بكثرة بدعها وأضاليلها

ومن ثمَّ إذا تكلَّمنا عن شيوع النصرانيَّة في جزيرة العرب لسنا نقصد بها الديانة الكاثوليكيَّة الخالية من كلّ ضلال بل الدين المسيحيّ عمومًا مع ما اختلط بهِ من أراء الهراطقة الباطلة. والحقّ يقال انَّ توفُّر هذه الشيع وتعاليمها المتناقضة هي التي سوَّلت للإسلام الفوز بالنصرانيَّة في جزيرة العرب وفي البلاد الخارجة عنها. وقد ظهر بعد ذلك في نفس الإسلام شيء كثير من تلك البدع كما ترى في كتاب الملل والنحل للشهرستاني ولابن حزم وغيرهما فكانت كنار تحت رماد شبَّت بمساعي الخوارج والملحدين في أيَّام الخلفاء

واراؤنا هذه عن شيوع النصرانيَّة في كلّ أنحاء العرب ونفوذها في آدابهم وشعرهم قد تحقَّقها غيرنا من كبار المستشرقين كدي ساسي ولونورمان في فرنسة وپلغراف (Palgrave) وليَّال في انكلترَّة (١ ووِلْهَوْزن في ألمانية فيرون في معظم الشعر الجاهلي من عواطف وتصوير أفكار ومعرفة حقائق عقليَّة وأدبيَّة ما لا يمكن نسبتهُ إلى غير النصرانيَّة ممَّا يخالف المعلومات التي سبق كتبة السريان واليونان والرومان فرووها عن العرب قبل ذلك العهد وذلك وفقًا لما نعلم عن تنصُّر المناذرة والغساسنة وملوك كندة وبعض التبابعة فأثَّرت نصرانيَّتهم في شعراء ذاك القرن السادس ندماء أولئك الملوك فقصدوهم متديّنين بدينهم. وقلَّما تجد شعراء نبغوا حينئذٍ في نواحي أخرى من العرب كنجد والحجاز وان وُجد بعضهم فآثار النصرانيَّة فيهم ظاهرة كورقة بن نوفل وزيد بن عمرو وشعراء طيء

## ٤ شعراء النصرانيَّة

إذا ما تخطَّينا الآن من هذه البيّنات والأدلَّة العموميَّة عن الشعر النصرانيّ ونفوذه بين عرب الجاهليَّة واعتبرنا أفراد الشعراء الذين أثبتنا أسماءَهم وقصائدهم في كتابنا « شعراء النصرانيَّة » تمهَّد لنا الطريق للحكم بنصرانيَّتهم امَّا بتاتًا وامَّا ترجيحًا فها نحن نستقري ذكرهم على سياق قبائلهم التي انتسبوا إليها

### أوَّلاً قبائل ربيعة

قبائل ربيعة كثيرة العدد كانت تسكن في الجهات الممتدَّة بين الفرات والخابور

---

١) اطلب كتاب ليَّال في مقدَّمة ترجمتهِ الإنكليزية **G. Lyall** : Translation of ancient Arabian Poetry

إلى أنحاء العراق. وبنو ربيعة على اختلاف قبائلهم يتصلون بربيعة بن نزار جدّهم الأَعلى. وفي ربيعة خصوصًا انتشر الدين النصراني كما روى كثيرون من كتبة المسلمين كابن قتيبة وابن رسته والقاضي صاعد الأندلسي والفيروزابادي ( راجع أقوالهم في الصفحة ١٣ ). ولا تجد في ما يُروى من شعرهم أثرًا للشرك وعبادة الأصنام وفيهِ على خلاف ذلك من الأقوال في التوحيد وتُقى الله ومدح الفضيلة ما يدلُّ على تأثير التعاليم النصرانيَّة في قلوبهم إذ كانوا محاطين في أنحائهم بالسيَّاح وأديرة الرهبان والكنائس. ويتردَّد أكثرهم على ملوك الحيرة المتنصِّرين ويمدحونهم. وثبتت النصرانيَّة في ربيعة مدَّة بعد الإسلام وقد ذكر في الأغاني (٢٠ : ١٢٧) : « نصارى بعض احياء ربيعة في عهد بني أميَّة »

١ شعراء تغلب

لا نظنّ أنَّ أحدًا ينكر علينا نصرانيَّة تَغْلب مع اتّفاق الكتبة القدماء على اعتصامها بالدين المسيحي وذلك قبل الهجرة بزمن طويل يمكن ترقيتهُ إلى ما وراء القرن الخامس للميلاد إلى عهد السيَّاح والرهبان الذين ازهروا في الجزيرة في القرن الرابع للمسيح. وقد مرَّت لنا الشواهد على ذلك في القسم الأوَّل. ومن ثمَّ لا حاجة إلى إثبات نصرانيَّة شعراء تغلب الذين نظمناهم في سلك كتابنا شعراء النصرانيَّة وهم ثمانية هذه أسماؤهم على ترتيب ذكرهم في الكتاب مع الإشارة إلى الصفحات التي وردت فيها اخبارهم :

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١ | كليب وائل | ( شعراء النصرانيَّة ص | ١٥١ ـ ١٥٩ ) |
| ٢ | المهلهل أخو كليب | // | ١٦٠ ـ ١٨١ |
| ٣ | السفّاح التغلبي | // | ١٨٢ ـ ١٨٣ |
| ٤ | الاخنس بن شهاب | // | ١٨٤ ـ ١٨٧ |
| ٥ | جابر بن حُنَيّ | // | ١٨٨ ـ ١٩١ |
| ٦ | أفنون صريم بن مَعْشر | // | ١٩٢ ـ ١٩٤ |
| ٧ | عُمَيْرَة بن جُعَيْل | // | ١٩٥ ـ ١٩٦ |
| ٨ | عمرو بن كلثوم | // | ١٩٧ ـ ٢٠٤ |

فهؤلاء كلهم سواء صرَّحوا بدينهم النصرانيّ كما ترى في ترجمة جابر بن حُني أم سكتوا عنها فلا شكّ بنصرانيَّتهم

٢ شعراء بكر

انَّ نصرانيَّة بني بكر ثابتة كنصرانيَّة تغلب وكانت كلتا القبيلتين ساكنة في الجزيرة متجاورةً في ديار بكر وديار ربيعة وهما ترتقيان إلى أصل واحد إلى وائل ومنهُ إلى ربيعة بن نزار وتدينان بدين واحد وكلّ من ذكر نصرانيَّة تغلب أضاف إليها بكرًا كما روينا سابقًا. هذا مع ما حصل بين القبيلتين من النزاعات والحروب أخصُّها حرب البسوس كما يجري غالبًا من المنافسات والضغائن بين الأقارب. وبكر قبيلة كبيرة كتغلب تتفرَّع إلى فروع عديدة كضُبَيْعَة وشيبان ومرَّة ويشكر وعجل وقد أتينا في باب القبائل المتنصِّرة بذكر هذه الفروع

١ ﴿ بنو ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ﴾ ذكرنا منهم في شعراء النصرانيَّة هؤلاء الثمانية الآتين :

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١ | سعد بن مالك بن ضبيعة | ( شعراء النصرانيَّة ص | ٢٦٤ ـ ٢٦٧ ) |
| ٢ | جحدر بن ضبيعة | // | ٢٦٨ ـ ٢٦٩ |
| ٣ | عمرو بن سعد بن مالك ( المرقش الأكبر ) | // | ٢٨٢ ـ ٢٩٢ |
| ٤ | ربيعة بن سفيان بن سعد ( المرقش الأصغر ) | // | ٣٢٨ ـ ٣٢٩ |
| ٥ | طرفة بن العبد بن سفيان بن حرملة بن سعد | // | ٢٩٨ ـ ٣٢٠ |
| ٦ | الخرنق أخت طرفة | // | ٣٢١ ـ ٣٢٧ |
| ٧ | عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد | // | ٢٩٣ ـ ٢٩٧ |
| ٨ | المسيِّب بن علس ... بن مالك بن ضبيعة | // | ٣٥٠ ـ ٣٥٦ |

فكلّ هؤلاء متقاربو العهد بينهم واشجةٌ رحم من سلالة واحدة. وقد صرَّح في كتاب الأغاني ( ٥ : ١٩١ ) تخرُّج المرقّش الأكبر على نصارى الحيرة وذكرنا في شعراء النصرانيَّة استشهادهُ بزبور داود :

وكذاك لا خيرٌ ولا شـرٌّ علـى أحـدٍ
قد خُطّ ذلك في الزبو بدائم
رِ الأوَّليَّات القدائمْ

وطَرَفة بن العَبْد كان ابن حفيد المرقّش الأكبر وابن أخي المرقش الأصغر. ووردة امُّ طرفة كانت أخت جرير بن عبد المسيح المعروف بالمتلمّس فكفى بهذه القرابة دليلاً على نصرانيَّة طرفة. وعيشة طرفة والمتلمّس في الحيرة بين النصارى ودخولهما على ملكها النصراني عمرو بن هند ممَّا يؤيد ذلك. وفي شعر طرفة تنويهٌ بخلود النفس والحساب كقولهِ :

فكيف يرجّي المرءُ دهرًا مخلَّدًا وأعمالهُ عمَّا قليلٍ تحاسبُهْ

وتصريح بحكم الله المطلق على الانام :
انَّ الله ليس لحكمهِ حكمُ

وبكمال أعمالهِ تعالى :
وما قد بناهُ الله تمَّ تمامُهُ وما قد بناهُ اللهُ فالله ماحِقُهْ

وهو القائل في الحضّ على الخير والحياد عن الشرّ :
الخيرُ خيرٌ وان طال الزمان بهِ والشرُّ أخبثُ ما أَوعيتَ من زادِ

ولهُ في مودّتهِ لأهل الدين :
سأصرفُ نفسي عن هوى كلّ غادِرٍ وأعرضُ عن أخلاقهِ وأخارقُهْ
واجعلُ أهل الدين أهل مودَّتي ليعلم أهل الفضل مَن أنا واثِقُهْ

وكان عمرو بن قميئة من قرابة المرقّشين الأكبر والأصغر وطرفة وهو الذي رافق امرء القيس في سفرهِ إلى القيصر ملك القسطنطينيَّة. وفي اخبارهِ ما يدلُّ على ابتعادهِ عن الدناءَة والاثم كيوسف الحسن والتجائهِ إلى نصارى الحيرة فرارًا من التهمة الباطلة. وهذا كلُّهُ ممَّا لا يدع شبهةً في نصرانيَّته

وكذلك المسيّب بن علس من ندماء ملك الحيرة عمرو بن هند كطرفة والمتلمّس وكان خال الأعشي الكبير. وهو القائل بدعو بني عامر إلى تُقى الله :
أَلاَ تتّقون الله يا آل عامرٍ وهل يتَّقي اللهَ الأَبَلُّ المصمَّمُ

٢ ﴿ شعراء شيبان ﴾ شيبان أحد بطون بني ثعلبة بن عكابة المذكورين في تواريخ الروم والسريان كنصارى العرب يدعونهم ( ܬܠܒܢܝܐ Thalabenses ) ويذكرون لهم أساقفةً (راجع المكتبة الشرقيَّة للسمعانيّ ١ : ٢٦٥ ومقدَّمتهُ في الجزء الثاني CXI ) وقد ذكرنا من شعرائهم أربعةً وهم :

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١ | جسَّاس بن مرَّة بن ذهل بن شيبان | ( شعراء النصرانية | ٢٤٦ ـ ٢٥١ |
| ٢ | جليلة اختهُ | // | ٢٥٢ ـ ٢٥٣ |
| ٣ | عبد المسيح بن عسلة | // | ٢٥٤ ـ ٢٥٥ |
| ٤ | بسطام بن قيس .. بن ذهل بن شيبان | // | ٢٥٦ ـ ٢٦٣ |

جسَّاس هو قاتل كُلَيْب وائل صهرهِ زوج أختهِ جليلة وكان طليعة قومهِ في حرب البسوس. ونصرانيَّتهُ ثابتة من عدَّة وجوه :١ من انتسابهِ إلى شيبان.٢ من قرابتهِ إلى بني تغلب.٣ من اعترافهِ بالإله الحقّ وبالبعث في حلَفهِ حيث يقول :

اني وربّ الشاعرِ الغرورِ وباعثِ الموتى من القبورِ

ولهمَّام أخي جسَّاس شعر في المفضَّليَّات. ولا حاجة لبيان نصرانيَّة عبد المسيح بن عسلة فانَّ اسمهُ يشهد لهُ. وقصيدتهُ المرويَّة هنا قد طُبعت مؤخّرًا في جملة المفضَّليات ( ٥٥٦ ed. Lyall, p. ) ولم يُذكر هناك عن نسب قائلها الاَّ كونهُ (( اخا بني مرَّة ابن همَّام بن مرَّة بن ذهل بن شيبان ))

امَّا بسطام بن قيس بن مسعود فهو أحد فرسان بني شيبان المعدودين في الجاهليَّة. قال ابن قيم الجوزيَّة في اخبار النساء ( ص ٩٨ ) كان بسطام فارسًا جوادًا عفيفًا. وقال ابن عبد ربّهِ في العقد الفريد ( ٢ : ٦٧ ) : قد رَبَع الذهليّين واللهازم اثني عشر مرباعًا. أمَّا نصرانيَّة بسطام بن قيس فقد جاهر بها ابن دريد في الكامل ( ص ١٣٠ ) وابن عبد ربّهِ أيضًا في العقد ( ٣ : ٨٨ ) في اخبار يوم الغَبيط وقد ورد هنالك اسم الحنيف مع اسم النصراني حيث قال : (( ونادى القوم نجَّادًا اخا بسطام كُرَّ على أخيك وهم يرجون أن يأسروهُ فناداهُ بسطام : ان كررتَ فأنا حنيف وكان بسطام نصرانيًّا فلحق نجاد بقومهِ )) . وقد جاء في الأغاني ( ١٩ : ١٨ ) ذكر زيق بن بسطام فقال عنهُ انهُ كان نصرانيّا وذكر ابنتهُ حدراء ( ١٩ : ١٢ ) قال (( تزوَّجها الفرزدق وكانت نصرانيَّةً ))

٣ ﴿ قيس بن ثعلبة ﴾ أخو شيبان بن ثعلبة. إليهِ ينتسب الحارث بن عبَّاد بن ضبيعة رئيس بني بكر في حرب البسوس بعد اعتزالهِ الحرب مدَّةً إلى أن قُتل ابنهُ بجير. ونصرانيَّتهُ تثبت بنصرانيَّة شيبان لأنّ شيبان وقيسًا كليهما ابنا ثعلبة بن عكابة

راجع اخبار الحارث في شعراء النصرانيَّة ( ص ٢٧٠ ـ ٢٨١ )

٤ ﴿ يشكر بن بكر ﴾ حيّ كبير من بكر بن وائل يدين بدينها ذكرنا منهُ ثلثة شعراء مُجيدين :

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١ | الحارث بن حِلِّزة | ( شعراء النصرانيّة | ٤١٦ ـ ٤٢٠ ) |
| ٢ | المنخل اليشكري | // | ٤٢١ ـ ٤٢٤ |
| ٣ | سويد بن أبي كاهل | // | ٤٢٥ ـ ٤٣٦ |

الحارث بن حلّزة هو الذي دافع عن قومهِ عند عمرو بن هند ملك الحيرة بمعلّقتهِ الهمزيَّة المشهورة مناقضًا لمعلّقة عمرو بن كلثوم. وبهما وقع الصلح بين بكر وتَغْلب

وكان المنخِّل اليشكري من ندماء ملك الحيرة النصرانيّ النعمان بن منذر. امَّا

سُوَيْد بن أبي كاهل فادرك الإسلام ولم يذكر أحد أسلامهُ ومن شعرهِ الدالّ على دينهِ قولهُ من عينيَّتهِ الشهيرة

كتب الرَّحْمَانُ والحمدُ لهُ سعةَ الأخلاقِ فينا والضَّلَعْ
وإباءً للدنيَّات إذا أعطيَ المكثورُ ضيمًا فكَنَعْ
وبناءً للمعالي انّما يرفعُ اللهُ ومن شاءَ وضعْ
نعَمٌ لله فينا رَبُّها وصنيعُ الله واللهُ صنعْ

٥ ﴿ علي بن بكر ﴾ ذكرنا شاعرين من بني عليّ بن بكر بن وائل وهما :

١ فند الزمَّاني ( شعراء النصرانيَّة ص ٢٤١ ـ ٢٤٥ )
٢ أعشى قيس بن ثعلبة // ٣٥٧ ـ ٣٩٩

كان فِنْد الزمَّاني سيّد بكر في زمانهِ وشهد حرب البسوس وحارب مع بني بكر ورئيسهم الحارث بن عبَّاد وهو من نصارى اليمامة. وقد روينا شعرهُ في تلك الأيَّام

وأشهر منهُ ميمون بن قيس وهو الأعشى الكبير. وقد نظمناهُ بين الشعراء النصارى ليس فقط لانتمائهِ إلى بني بكر النصارى بل لأسباب أخرى منها.[١] تخرُّجهُ على العباديين ورأيهُ بآرائهم. قال في الأغاني ( ٨ : ٧٩ ) : « كان الأعشى قَدْريًّا ( أي يقول بحرّيَّة الإنسان في أعمالهِ ) ... أخذ مذهبهُ من قبل العباديين نصارى الحيرة كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقَّنوهُ ذلك ».[٢] وكان راوية الأعشى يحيى بن متَّى النصرانيّ العباديّ.[٣] زيارة الأعشى لنجران وكنيستها المعروفة بكعبة نجران ولأساقفتها وامرائها النصارى. قال يكلم ناقتهُ :

وكعبةُ نجرانَ حتمٌ عليكِ م حتَّى تُناخَيْ بأبوابها
نزورُ يزيدًا وعبد المسيح وقيسًا همُ أربابها

[٤] تجوُّلهُ في البلاد النصرانيَّة كحمص وأورشليم قال :

وقد طَفت للمالِ آفاقهُ عُمانَ فحمصَ فاوريشلِمْ
فنجرانَ فالسَّرْو من حميرِ فاني مُرام لهُ لم ارمْ

[٥] ايمانهُ بالبعث والحساب كقولهِ :

إذا أنتَ لم ترحَلْ بزادٍ من التَّقَى ولاقيتَ بعد الموت مَنْ قد تزوَّدا
ندمتَ على أن تكون كمثلهِ فتُرْصد للأمر الذي كان ارصدا

[٦] اقتباساتهُ الشعريَّة من العادات النصرانيَّة كحلَفهِ باسكيم الرهبان :

فاني وثوبَيْ راهب اللُجّ والتي بناها قُصَيّ والمضاضُ بن جرهمِ

قال البكري في معجم ما استعجم (٤٨٩) : اللجُّ غدير عند دير هند وقيل انهُ أراد المسيح عليهِ السلام ... ويروى : « وثوبي راهب الطور » . والتي بناها قُصَيّ يعني مكَّة » . وهذا كما حلف عديّ بن زيد « بربّ مكَّةَ والصليب » وحلف الأعشى أيضًا بمثل ذلك فقال :

واني وربّ الساجدين عشيَّةً وما صكَّ ناقوسَ النصارى ابيلُها

وللأعشى في وصف هياكل النصارى وصلبانها وصورها :

فما مُعتلٍ بي على هيكلٍ بناهُ وصلّب فيهِ وصارا

٧ ذكرهُ للأنبياء وأحداث الأسفار المقدَّسة كقولهِ في نوح وفلكهِ :

جزء الإله اياسًا خير نعمتهِ كما جزى المرءَ نوحًا بعد ما شابَا
في فَلْكهِ إذ تبدَّاها ليصنَعَها وظلَّ يجمع ألواحًا وأبوابا

وقد روينا لهُ أبياتًا في داود النبي وفي سليمان الحكيم وفي المنّ والسلوى وغير ذلك ممَّا يدلُّ على معرفتهِ للأسفار الكريمة

٨ ويؤيد ذلك ذكرهُ لفصح النصارى ومدحهُ لهوذة بن علي الذي فكَّ أسرى تميم في ذلك العيد فقال :

بهم يقرّبُ يوم الفِصْح ضاحيةً يرجو الإلهَ بما أسدى وما صنعا

وكلّ هذه الشواهد لا يمكن تعليلُها الاَّ بأن يقال انهُ كان يدين بالنصرانيَّة. وقد ذهب إلى هذا القول المستشرق وِلْهَوْزن حيث قال Wellhausen: *Reste arab. Heidentums*, p. 233 « يظهر انَّ أحد شعراء الجاهليَّة المدرسيّين الأعشى قد كان نصرانيًّا » (Einer der klassischen Dichter der Gâhilija, al- A'cha, soll Christ gewesen sein)

## ٣ ربيعيُّون آخرون

أربعة شعراء من ربيعة من غير قبائل بكر وتغلب روينا شعرهم وهم :

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١ | البرَّاق بن روحان | ( شعراء النصرانيَّة ص | ١٤١ ـ ١٤٧ ) |
| ٢ | ليلى العفيفة زوجتهُ | // | ١٤٨ ـ ١٥٠ |
| ٣ | جرير بن عبد المسيح ( المتلمّس ) | // | ٣٢٠ ـ ٣٤٩ |
| ٤ | المثقب العبديّ | // | ٤٠٠ ـ ٤١٥ |

هم من احياء مختلفة لا شكّ في نصرانيَّتهم. فالبرَّاق كما ورد في جمهرة أنساب العرب للكلبيّ كان من قرابة المهلهل التغلبيّ وتخرَّج على راهب فتعلّم منهُ تلاوة

الإنجيل ولعلّ دير ابن برَّاق الذي ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان إليه ينتسب. والمتلمّس ينتمي إلى ضُبيعة بن ربيعة بن نزار وكفى باسمهِ « جرير بن عبد المسيح » دليلاً على دينهِ. نادَم مدَّةً عمرو بن الهند ثم هرب منهُ إلى الشام واجتمع بأهلها النصارى وفي ذلك يقول :

حنَّت قلوصي بها والليلُ مطرَّقٌ بعد الهدوء وشاقَتْها النواقيسُ

وهو القائل عن تقى الله :

وأعلمُ علمَ حقٍّ غير ظنّ وتقوى الله من خير العَتادِ

أمَّا المثقّب العبدي فكان من أسد بن ربيعة يرتقى إليها بعبد القيس بن أفصى التي سبق لنا ذكر شيوع النصرانيَّة بينها. كان أبوه محصن بن ثعلبة سيّدًا خطيرًا واحد السُّعاة بالصلح بين بكر وتغلب كما قال المثقّب :

ابي أصْلح الحيَّيْنِ بكرًا وتغلبًاوقد أُرْعشتْ بكرٌ وخفَّ حلومُها

والمثقب دخل على ملوك الحيرة فمدح منهم عمرو بن هند والنعمان بن قابوس

## ثانيًا شعراء اياد

اياد بن نزار أخو ربيعة. تشعَّبت منهُ احياء وفروع متعدّدة شاركوا ربيعة في نصرانيَّتهم كما شهد على ذلك كتبة مسلمون فضلاء كأبي نصر الفارابيّ والبكري وابن دريد (اطلب نصوصهم في الصفحة ٢٤) وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان أديرةً بناها بنو اياد كدير السَّوا ودير قرَّة. وفي اخبار البلد الحرام للفاسيّ ( ص ١٣٧ ) انَّ كاهنًا من اياد اسمهُ وكيع بن سلمة ابتنى صرحًا ليناجي فيهِ الله. قال بشر بن الحجر ( البيان والتبيين للجاحظ ١ : ١٩٠ ):

ونحنُ إيادٌ عبادُ الإلهِ ورهطُ مُناجيهِ في السُّلَّم

وأشهر من عُرف من شعرائهم شاعران ذكرناهما في كتابنا :

١ قس بن ساعدة ( شعراء النصرانيَّة ص ٢١١ ـ ٢١٨ )
٢ أميَّة بن أبي الصَّلْت // ٢١٩ ـ ٢٣٧

قس بن ساعدة هو خطيب العرب الشهير وأسقف نجران لا حاجة إلى إثبات نصرانيَّتهِ. وصفهُ الجارود النصرانيّ العبقسيّ لمحمَّد بما رويناهُ هناك ( ص ٢١١ ). هذا مع ما دخل في اخبارهِ من الأقاصيص الفريَّة التي رويناها على علاَّتها

أمَّا أميَّة بن أبي الصَّلْت وهو من ثقيف بها يرتقي إلى أياد فيمكنَّا بيان نصرانيَّته

بالأدلَّة الآتية :ً١ كونهُ من إياد التي أثبتنا نصرانيَّتها وافتخارهُ بمعارف قومهِ لاسيَّما الكتابة وفنّ الكتابة كما سبق تعلَّمهُ العرب من النصارى :

قومي إيادٌ لو أنَّهم اَمَمُ ولو أقاموا فتُهْزَلَ النَّعَمُ
قومٌ لهم ساحةُ العراق إذا ساروا جميعًا والقطّ والقَلَمُ

ً٢ كان أميَّة من الحنفاء وقد سبق ( ص ١١٨ ـ ١١٩ ) انَّ الحنيفيَّة في الجاهليَّة يُرَاد بها النصرانيَّة أو شيعة من شيعها واتينا على ذلك بشواهد اسلاميَّة.ً٣ اطلاعهُ على الأسفار المقدَّسة والإنجيل ودرسهُ لها ( الأغاني ٣ : ١٨٧ ).ً٤ دخولهُ كنائس النصارى واجتماعهُ برهبانها ( ص ١٨٨ ).ً٥ معرفتهُ للُّغة السريانيَّة لغة نصارى العراق. قال ابن دريد في تاج العروس ( ٣ : ٢٨٦ ) : (( كان أميَّة يستعمل السريانيَّة كثيرًا لأنهُ كان قد قرأ الكتب )) .ً٦ في شعرهِ من مقتبسات الكتب المقدَّسة ما تفرَّد به كعدّي بن زيد. فانَّ لهُ أوصافًا عديدة للأحداث الكتابيَّة وللعقائد الدينيَّة كوصفهِ الجميل للعزَّة الإلهيَّة والملائكة والدينونة والجحيم والنعميم وبشارة العذراء ومولد المسيح العجيب ما يدلُّ صريحًا على تنصُّرهِ. على انَّنا نقرُّ بأنَّ في اخبارهِ اضطرابًا لبُعْد عهد الرواة عن زمانهِ

## ثالثًا شعراء مضر

لم تنتشر النصرانيَّة في مضر بن نزار وقبائلهِ انتشارها في قبائل اخوَيْهِ ربيعة واياد على انَّنا وجدنا أيضًا عدَّة آثار تنبئ بدخول النصرانيَّة في احياء كثيرة منها كبني عُقَيْل الذين غلبت عليهم النصرانيَّة وبنى تميم وعبس وذبيان وقيس عيلان وناجية. وقد أوردنا على ذلك شواهد في ما سبق في باب القبائل المتنصّرة وذكرنا بعض الأديرة المشيَّدة بينها

١ بنو تميم

روينا اخبار واشعار خمسة منهم اعني :

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١ | عدي بن زيد | ( شعراء النصرانيَّة ص | ٤٣٩ ـ ٤٧٤ ) |
| ٢ | الأسود بن يعفر | // | ٤٧٥ ـ ٤٨٥ |
| ٣ | سلامة بن جندل | // | ٤٨٦ ـ ٤٩١ |
| ٤ | اوس بن حجر | // | ٤٩٢ ـ ٤٩٧ |
| ٥ | علقمة الفحل | // | ٤٩٨ ـ ٥٠٩ |

عديّ بن زيد باقرار كلّ الكتبة كان نصرانيًّا من أسرة نصرانيَّة في خدمة ملك نصراني من ملوك الحيرة. وفي شعرهِ من الآثار الدينيَّة ما لم يُرْوَ عن غيرهِ الاَّ عن أميَّة بن أبي الصلت. ففيهِ روايات من الأسفار المقدَّسة .. وقد حلف بالشبَر أي القربان وبالصليب. وفي اخباره ذكر دخولهِ الكنائس إلى غير ذلك

وكان الأسود بن يعفر التميمي من سادة قومهِ ونادم النعمان كعدي بن زيد وعاش بين نصارى الحيرة وكانت بنو عجل النصارى أخوالَهُ

وكذلك سلامة بن جندل الذي نشرنا ديوانهُ سنة ١٩١٠ فانهُ كالأسود بن يعفر عاش في جهات الحيرة التي كانت عمَّت النصرانيَّة كلّ أنحائها وعاشر قومًا من النصارى كتغلب والعباديّين وفي شعرهِ تلميحٌ إليهم. ولا أثر لكليهما في قصائدهما إلى شيء من الشرك وعلى خلاف ذلك. وردت في شعر سلامة تشابيه واشارات نصرانيَّة كذكرهِ لداود النبي وتنويه بمخطوطات النصارى المنمَّقة وبملابس العباديّين

وقد جعلنا أيضًا اوس بن حجَر في جملة النصارى وهو أحد الذين أطلقَهم من الاسر بسطام بن قيس رئيس شيبان النصراني بعد ظفرهِ بتميم فمدحهُ اوس لكرمه. ومن تشابيهه النصرانيَّة قولهُ يشبّه لميع رمحهِ بمصباح رئيس النصارى يوم عيد الفِصْح :

عليهِ كمصباح العزيز يشبُّهُ لِفِصحٍ ويحشوهُ الذُّبال المُفَتَّلا

وعلقمة بن عبدة التميميّ كان مدَّاحًا لملوك غسَّان النصارى ولهُ محاضرات مع امرئ القيس والزبرقان بن بدر الشاعرين النصرانيَّين. وفي شعرهِ اشارة إلى كأس قربان النصارى ومفعولها الصالح دون الأذى بشاربها قال في وصفها :

كأسُ عزيزٍ من الأعنابِ عتَّقها لبعض احيانها حانيّةٌ حومُ
تشفي الصداع لا يؤذيك صالبُها ولا يخالطَها في الرأس تدويمُ

قال الشارح : « العزيز كبير النصارى وقولهُ « لبعض أحيانها » أي أعدَّها لفصح أو لعيدٍ »

٢ عبس وذبيان

عبس وذبيان أبوهما بغيض بن غطفان يتَّصلان بهِ إلى الياس بن مضر بن نزار وقد

وقعت بينهما حروب كما جرت بين بكر وتغلب وقد نوَّهنا بولوج النصرانيَّة في أحيائهما (ص ١٣٤) وقد ذكرنا من عبس أربعة شعراء :

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١ | الربيع بن زياد | ( شعراء النصرانيَّة ص | ٧٨٧ ـ ٧٩٣ ) |
| ٢ | عنترة بن شدّاد | // | ٧٩٤ ـ ٨٨٢ |
| ٣ | عُرْوة بن الورد | // | ٨٨٣ ـ ٩١٦ |
| ٤ | قيس بن زُهَيْر | // | ٩١٧ ـ ٩٣٢ |

ومن ذبيان أوردنا ترجمتي وقصائد شاعرَين وهما :

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١ | النابغة الذبياني | // | ٦٤٠ ـ ٧٣٢ |
| ٢ | الحصين بن الحمام | // | ٧٣٣ ـ ٧٤٥ |

الربيع بن زياد أحد أعيان بني عبس كان من ندماء النعمان بن المنذر ملك الحيرة مع سرجون بن توفيل وغيرهِ من النصارى كما روى صاحب الأغاني وفي ذلك دليل على انه يدين بدينهم وفي اخبارهِ أدلَّة على توحيدهِ وكرم أَخلاقهِ

امَّا عنترة فكانت امُّهُ حبشيَّة والحبش نصارى كما هو معلوم. وفي شعرهِ الصحيح والمصنوع آثار عديدة دالَّة على توحيدهِ وآدابهِ ودينهِ. وفي ذلك ما يدلُّ على نصرانيَّتهِ لأنَّ التوحيد قبل محمَّد لم يشع في جزيرة العرب الاَّ بفضل النصرانيَّة. وزد على ذلك أنهُ كان في خدمة الملك زهير وابنهِ قيس النصرانيَّين

وكذلك عروة بن الورد موحّدٌ في شعرهِ ولهُ في اخبارهِ من أعمال الرحمة على الفقراء والمبؤوسين ما لا يُعْهد مثلهُ الاَّ عند من رَبُوا على التعاليم النصرانيَّة فدُعي لذلك عروة الصعاليك وشعرهُ أيضًا خالٍ من كل شرك

امَّا قيس بن زهير فكان أبوهُ حليف ملوك الحيرة صاهرهُ النعمان فتزوَّج ابنتهُ لشرفهِ وسؤودهِ. وقد روى ابن الأثير في تاريخهِ ( ١ : ٢٤٢ ) انهُ بعد حرب داحس والغبراء « تاب إلى ربّه فتنصَّر وساح في الأرض حتَّى انتهى إلى عُمان فترهَّب »

وفي شعراء النابغة عدَّة آثار منبئة بتوحيده وتديُّنهِ وتقاهُ. وقد مدح ملوك غسَّان والمناذرة النصارى وفي ملوك غسَّان يقول :

مجلَّتهم ذات الإله ودينُهم  قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وهو مديحٌ لا يقولهُ شاعر ما لم يدِنْ بدينهم. وقد ذكر صليب الزوراء في مدحهِ للنعمان ملك الحيرة النصرانيّ :

ظلَّت تقاطيع أَنعام مؤبَّلةٍ لدى صليبٍ على الزوراء منصوبِ

وقال يذكر المصلّين من الرهبان الذين شيَّعوا جنازة الملك الغسَّاني بن الحارث ابن أبـي شمّر :

فآبٌ مصلُّوهُ بعَيْنٍ جليَّةٍ وغودر بالجَوْلان حزمٌ ونائلُ

ومن آثار عفَّتهِ الشاهدة لهُ على دينهِ النصراني وايمانهِ بالآخرة قوله :

حيَّاك ربّي فانتَا لا يَحِلُّ لنا لَهْوُ النساءِ وانَّ الـدينَ قد عَزما
مشمّرين على خُوصٍ مزمَّعةٍ نرجو الاله ونرجو البرَّ والطُعُمَا

وفي اعتقادهِ لعزَّة الله وجلالهِ يقول :

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً وليس وراءَ الله للمرءِ مذهبُ

وقد ذكر في شعرهِ الأنبياء كداود وسليمان. كقولهِ في داليَّتهِ التي مدح بها النعمان :

الآ سليمان إذ قال الإلهُ لهُ قم في البريَّةِ فازجُرْها عن الفَنَدِ
فمـــن أطاعـــك فانْفعـــهُ بطاعتهِ كمـا أطاعك وادلُلْهُ على الرشدِ

وكان الحصين بن الحُمام ذُبيانيًّا أيضًـا. وفـي ترجمتـهِ انـهُ كـان يـؤمن بـالله ويقرُّ بالبعث وبعواقب الإنسان من نعيم وجحيم فقال من أبيات وهو نعم القول ( أغاني ١٢ : ١٢٨ ):

فلم يبقَ من ذاك الآ التُقى ونفسٌ تعـالج آجالَهـا
امورٌ من الله فـوقَ السماءِ مقـاديرُ تُنزِلُ إنزالهـا
أعوذ بربّي من المُخْزيـا تِ يومَ ترى النفسُ أعمالها
وخفَّ الموازينُ بالكافرين وزُلْزِلتِ الأرضُ زَلْزَالَها
ونادى منادٍ بأهل البـورِ فهبُّوا لتبرزَ أثقالَهـا
وسُعّرت النارُ فيها العذابُ وكان السلاسلُ أغلالَهـا

ومن بني قيس عيلان من غير عبس وذبيان ذو الإصبع العَدْواني ينتمي إلى عدوان بـن عمـرو بـن سـعد بـن عـيلان. وقد أَنِسـنا فـي شـعره مـن الآداب والحكم مـا حملنـا علـى التـرجيح بنصرانيَّتهِ مع خلوّهِ من كل أثر للشرك. فهو يذكر الله وقدرتـهُ علـى كلّ مـا يشـاء. وفـي قومـهِ عدوان قد أُحْصي سبعون ألف غلام أَغْرل كما روى

صاحب الأغاني عن الأصمعي ( ٣ : ٢ ) وقد رأينا في اهمالهم للختانة اثرًا لنصرانيَّتهم

٣ شعراء هوازن

هوازن يرتقي نسبُها إلى خصَفة بن قيس عيلان بن الياس بن مضر ادرجنا اثنين من شعرائها في جملة شعراء النصرانية وهما :

١ كعب بن سعد الغنوي ( شعراء النصرانيَّة ص ٧٤٦ ـ ٧٥١ )
٢ دريد بن الصمَّة // ٧٥٢ ـ ٧٨٣

في شعر كعب بن سعد من الحكم والعواطف الليّنة والحنان ما دفعنا إلى ضمّهِ إلى شعراء النصرانيَّة. ثم انَّ أخاهُ ابا المغوار قُتل في حرب ذي قار التي كان أكثر محاربيها من القبائل النصرانيَّة

امَّا دريد بن الصمَّة فانهُ كان سيّد قومهِ بني جُشم وفارسهم أدرك الإسلام وحارب محمَّدًا وأنصارهُ يوم حنين. وفي شعرهِ من الإيمان بالله وذكر الأنبياء ما ينفي عنهُ الشرك ويدلُّ على انهُ أخذ ذلك عن النصارى. وكان أخوهُ يدعى عبد الله وفي اسمهِ شاهد على دينهِ. وقد مدح في شعرهِ بني الديَّان نصارى نجران

٤ مُضَريُّون آخرون

هم أربعة نظمناهم في سلك كتابنا يرتقي نسبهم إلى الياس بن مضر بن نزار :

١ زُهَير بن أبي سُلَمى ( شعراء النصرانيَّة ص ٥١٠ ـ ٥٩٥ )
٢ عَبيد بن الابرص // ٥٩٦ ـ ٦١٥
٣ ورَقة بن نوفل // ٦١٦ ـ ٦١٨
٤ زيد بن عمرو بن نُفَيل // ٦١٩ ـ ٦٢٢

زهير صاحب المعلَّقة الميميَّة الشهيرة ومادح السيّدين الحارث بن عوف وهرم بن سنان اللذين سعيا بإصلاح قبيلتي عبس وذبيان بعد حرب داحس والغبراء. كان مؤمنًا بالله وبيوم الدين والحساب ومن أقوالهِ في ذلك قولهُ للمتحاربين ليتركوا كلّ ضغينة :

فلا تكتُمنَّ الله ما في صدوركم ليخفى ومهما يُكْتَم الله يَعْلَم
يؤخَّرْ فيوضعْ في كتاب فيُدَّخر ليوم الحساب أو يُعجَّل فيُنتقم

وقال أيضًا :

بدا لِيَ أنَّ الله حقٌّ فزادني إلى الحق تقوى الله ما كان باديَا

وهو القائل :

تزوَّدْ إلى يوم الممات فانَّهُ ولو كرهَتْهُ النفسُ آخرُ مَوْعِدِ

وقدَّمنا أنَّ الإيمان بالله وبالحساب قبل الإسلام يُشعر بنصرانيَّة قائلهِ. وهو ينسب إلى الله في شعرهِ الحُكم في خلائقهِ مع وجودهِ إلى الأبد. وكذلك أشار في قصائدهِ إلى أمور من الكتاب المقدَّس كذكرهِ لفرعون وداود

عَبيد بن الأبرص أحد الشعراء الوافدين على ملوك غسَّان وكندة النصارى وقد مدحهم بشعرهِ. وفي ديوانهِ ما ينبئ بتوحيدهِ وتقاهُ واعتقادهِ للآخرة. كقولهِ في بائيَّتهِ الشهيرة :

مَنْ يسألِ الناسَ يحرموهُ وسائلُ الله لا يخيبُ
بالله يُدْرَكُ كلّ خيرٍ والقول في بعضه تلغيبُ
واللهُ ليس لهُ شريكٌ علاَّمُ ما أخفتِ القلوبُ

وكثيرًا ما ينسب إليهِ تعالى القدرة والبقاء والعلم. فمن قولهِ :

ولَيَفْنَيَنْ هذا وذاك كلاهُما الاَّ الإلهَ ووجهَهُ المعبودا

وذكر أيضًا في شعرهِ النبيّ داود

امَّا ورقة بن نوفل فلا خلاف في نصرانيَّتهِ فانَّ عامَّة الكتبة المسلمين يقرُّون بذلك كابن قتيبة في المعارف وابن هشام في سيرة الرسول وقد روينا ما قالهُ أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني. ومثلهُ ابن الأثير في أسد الغابة ( ٥ : ٤٣٦ ) قال « انَّ ورقة كان امرءًا تنصَّر في الجاهليَّة يكتب الكتاب العبرانيّ ويكتب من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب » . وكان ورقة ابن عمّ خديجة زوجة رسول الإسلام. وفي شعرهِ ما يثبت صحَّة دينهِ

امَّا زيد بن عمرو بن نُفَيْل فيقال عنهُ انهُ خلع عبادة الأوثان واجتمع بالاحبار والرهبان وضرب في البلاد يطلب الحنيفيَّة دين ابرهيم. وعندنا انَّ هذه الحنيفيَّة هي إحدى شيع النصارى. لو قابلتَ بين شعرهِ وشعر ورقة وجدت بينهما شبهًا تامًّا في كلّ معانيهما وزهدهما وإيمانهما بالإله الواحد وبالبعث والخلود للأبرار في دار النعيم وللكفّار في نار الجحيم

## رابعًا شعراء اليمن من بني كهلان

في القسم الأوَّل من كتابنا خصصنا عدَّة صفحات لبيان نفوذ النصرانيَّة في اليمن منذ القرون الأولى للنصرانيَّة ولاسيَّما بعد انفجار سدّ مأرب بين القبائل المنتقلة إلى شمالي جزيرة العرب وغربيّها وجنوبها الشرقي فلا حاجة إلى تكرار ما أثبتناهُ عن تنصُّر كندة وقضاعة وغسَّان والمناذرة. وقد روينا اخبار بعض الشعراء من قبائل يمنيَّة أعني كندة ومذحج وطيء

١ شعراء كندة

أشعر شعراء كندة بل رأسهم وزعيمهم امرؤ القيس الكندي. روينا اخباره بعد أن قدَمنا عليها اخبار أعمامهِ

١ اعمام امرئ القيس ( شعراء النصرانيَّة ص ١ ـ ٥ )
٢ امرؤ القيس بن حجر // ٦ ـ ٦٧

قد سبق لنا في المشرق مقالةٌ مطوَّلة رددنا فيها على مزاعم الاب انستاس الكرملي الذي ادعى ان امرء القيس كان مزدكيًّا فكتب عن ذلك فصلين أثبتناهما في المشرق ( ٨ [١٩٠٥] : ٨٨٦ و ٩٤٩ ) فابطلنا زعمهُ وأثبتنا نصرانيَّة امرئ القيس بعشرة براهين ( ٨ : ٩٩٨ ـ ١٠٠٦ ) :ً١ تفنيدنا لمن زعم انهُ كان وثنيًّا أو مزدكيًّا ( ٩٩٩ ـ ١٠٠٢ ).ً٢ خلوّ شعرهِ من آثار الشرك وعبادة الأصنام.ً٣ عدَّة أبيات من قصائدهِ تصرّح بتوحيدهِ واقرارهِ بالبعث والنشور.ً٤ اشارات واضحة إلى شؤون النصارى وعاداتهم ورهبانهم وزبورهم سبق ذكرها.ً٥ انتشار النصرانيَّة في كندة قبيلة امرئ القيس كما أعلن ذلك عبد المسيح الكنديّ في معارضتهِ للهاشميّ حيث يذكر شرف كندة ويفتخر بدينها المسيحيّ.ً٦ خروج امرئ القيس إلى قيصر الروم يستنجدهُ على قتَلة والدهِ حُجر. وما كان امرؤ القيس ليفكّر في ذلك لولا رابطةُ الدين بينهُ وبين ملك الروم الذي كان في ذلك الوقت يُدعى يوستنيان العريق في دينهِ النصرانيّ.ً٧ كانت عمَّة امرئ القيس هندَ بنت الحارث المعروفة بهند الكبرى وهي زوجة المنذر بن ماء السماء ووالدة عمرو بن هند التي عمَّرت الدير المنسوب إليها في الحيرة وعلّقت عليها كتابة تدعو فيها نفسها « أَمَة المسيح وامّ عبدهِ

وبنت عبيدهِ » وبذلك تثبت أيضًا نصرانيَّة أعمام امرئ القيس الذين ذكرناهم.ً٨ وكذلك امّ امرئ القيس هي فاطمة أخت المهلهل وكليب من قبيلة تغلب النصارى.ً٩ وقد روينا في المشرق ( ٨ [١٩٠٥] : ١٠٠٥ ) ما نقَلهُ فوطيوس في مكتبتهِ عن الأصل اليوناني للمؤرخ نِنُّوز الذي أرسلهُ يوستنيان الملك سفيرًا إلى الحبشة وإلى امرئ القيس الكندي ليولّيهُ على مقاطعات فلسطين (١ . وفيهِ من الشواهد على نصرانيَّة امرئ القيس ما لا يُنكر.ً١٠ وشفعنا اخبار تلك السفارة بذكر سفارة أخرى رواها المؤرخ پروكوپ الشهير في كتابهِ عن الحرب الفارسيَّة .B **Procope,** ( P., L. 20 ) قال انها عُهدت إلى يُلْيان من قبل ملك الروم إلى الحبشة والحميريين ليجعلوا الملك على قبائل معدّ في يد امرئ القيس الذي كان في ذلك الوقت شاردًا بين القبائل ويقول عنهُ پروكوپ « انهُ كان أحد رؤَساء القبائل من نسل كريم وذا بطش في الحرب » وقد أثبتنا كلامهُ بالحرف في الأصل اليونانيّ

## ٢ً شعراء مَذْحِج

مذحج قبيلة يمنيَّة كبيرة كانت تسكن جنوبي العرب في جهات نجران وفيها انتشرت النصرانيَّة على يد أحد دُعاتها الذي يدعوهُ العرب فيمون. ومنها كان شهداء نجران في عهد ذي نوَاس. وإليها ينتمي بنو الحارث بن كعب سادة نجران النصارى بُناة الكنائس وكعبة نجران ( راجع الصفحة ١٣٩ ). وقد اخترنا من شعراء مذحج ثلثة وهم :

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١ | الافوه الاودي | ( شعراء النصرانيَّة ص | ٧٠ ـ ٧٤ ) |
| ٢ | عبد يغوث | // | ٧٥ ـ ٧٩ |
| ٣ | يزيد بن عبد المدان | // | ٨٠ ـ ٨٨ |

كان الافوه الاودي سيّد قومهِ وفي شعرهِ من الحكم ما يدلُّ على حصافة رأيهِ وحسن نظرهِ وآدابهِ. ومثلهُ عبد يغوث كان فارسًا مغوارًا. امَّا يزيد بن عبد المدان فكان من أشراف اليمن وسيّد مذحج من بني الديَّان الذين مدحهم الأعشى لجودهم وعزّهم. ولا حاجة لإثبات نصرانيَّتهم مع شهرتها

---

١) اطلب أعمال الآباءِ اليونان ( Migne, PP. GG., CIII, col. 46-48 )

٣ شعراء بني طيء

طيء إحدى القبائل اليمنيَّة التي صرَّح كتبة العرب بنصرانيَّتها قال ابن واضح اليعقوبي في تاريخهِ ( ١ : ٢٩٨ ) : « تنصَّر من احياء العرب من اليمن طيّ ومذحج » راجع أدلَّة أخرى أثبتناها في ما سبق ( ص ١٣٢ ) وقد اخترنا من شعراء طيء الأربعة الآتي ذكرهم :

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١ | حنظلة الطائي | ( شعراء النصرانيَّة ص | ٨٩ ـ ٩٢ ) |
| ٢ | قَبيصة بن النصراني | // | ٩٣ ـ ٩٧ |
| ٣ | حاتم الطائي | // | ٩٨ ـ ١٣٤ |
| ٤ | اياس بن قبيصة | // | ١٣٥ ـ ١٣٨ |

حنظلة الطائي هو ذاك الوافد على النعمان يوم بؤسهِ وفاءً بوعدهِ إذ رجع ليُقْتَل بعد غيبتهِ. وكان قيامهُ بوعدهِ لأجل دينهِ النصراني داعيًا لتنصُّر النعمان. ومات بعد ان ترهَّب في الدير الذي ابتناهُ على نفقتهِ

قبيصة بن النصراني أحد بني جَرْم المشهورين بنصرانيَّتهم في طيء. ذكرهُ مرارًا أبو تمّام في حماستهِ. ويدلُّ اسمهُ على دينهِ

وكذلك حاتم الطائي نصراني لا شكَّ فيهِ. فانَّ ايمانهُ بالإله الواحد وبالبعث والنشور وإشاراتهُ إلى بعض أمور النصرانيَّة تثبت أمر دينهِ. وفي سيرتهِ من آثار العفَّة والكرم ما هو موافق للروح النصرانيّ ولعلَّهُ اقتبس من الإنجيل قولهُ :

كُلوا اليوم من رزق الإله وأَيْسروا  وانَّ على الرحمانِ رِزقكمُ غدا

وقد صرَّح الكتبة بنصرانيَّة ابنهِ عدي الذي وفد على محمَّد وقيل انهُ أَسلم. وذكر صاحب دائرة العلوم الإسلاميَّة ( Encyclopédie de l'Islam, p. 138 ) في ترجمة عديّ بن حاتم انَّ الأَب والابن كانا نصرانيّين. وسبقهُ إلى ذلك غانيار ( Gagnier ) في سيرة محمَّد الافرنسيَّة

امَّا اياس بن قبيصة فهو ابن أخي حنظلة الذي كان وفاؤهُ داعيًا لتنصُّر النعمان. وكانت امُّهُ اخت هانئ بن مسعود رئيس بني شيبان النصارى. وكان اياس من أشراف الحيرة. ولم يعدلوا عن دينهم لمَّا ظهر الإسلام فانَّ الطبريّ يخبر في تاريخهِ ( ١ : ٢٠١٨ ) انَّهم فضَّلوا دفع الجزية مع البقاء على دين المسيح

٤ شعراء كلب

انَّ نصرانيَّة كلب المنتميّة إلى قضاعة ممّا لا يختلف فيهِ اثنان ( راجع الصفحة ١٣٧ و ١٣٨ من كتابنا ) ولم نذكر من هذه القبيلة غير زهير بن جناب الكَلْبي القضاعيّ ( ص ٢٠٥ - ٢١٠ من شعراء النصرانيَّة ). ولأَّهُ ابرهة على بكر وتغلب ( ص ٢٠٦ وذلك بسبب نصرانيَّتهِ ونصرانيَّة بكر وتغلب. وكذا يقال عن دخولهِ على ملوك غسَّان وبني لخم. وجاء في تذكرة ابن حمدون ( نسخة برلين ص ٢١٥ ) « انَّ زهير بن جناب كان سيّدًا مطاعًا شريفًا في قومهِ ويقال كانت فيهِ عشر خصال لم تجتمع في غيرهِ من أهل زمانهِ كان سيّد قومهِ وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم وقائدهم ووافدهم إلى الملوك وطبيبهم ( والطبّ في ذلك الزمان شرفٌ ) وجارى قومهُ إلى كاهنهم وكان فارس قومهِ ولهُ البيتُ فيهم والعدد منهم » ثم يورد وصاتهُ لبنيهِ يحرّضهم فيها على الثقة بالله

وبزهير بن جناب ختام فصلنا هذا الذي قدَّمنا فيهِ الدلائل على نصرانيَّة الشعراء المذكورين في كتابنا وبهِ أيضًا نجاز كتاب « تاريخ النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة » . ونكرّر ما قلنا سابقًا انَّنا ( أوَّلاً ) ذكرنا من شعراء الجاهليَّة الذين صرَّح الكتبة بدينهم النصرانيّ. ( ثانيًا ) حقَّقنا نصرانيَّة كثيرين منهم بنصرانيَّة قبائلهم وبخلو شعرهم من آثار الشرك وبتوحيدهم لله واعتقادهم بخلود النفس والثواب والعقاب وبإشاراتهم إلى دين النصارى وكلّ ذلك لا يمكن تعليلهُ بين عرب الجاهليَّة الاَّ بنفوذ النصرانيَّة. ( ثالثًا ) أخذنا اسم النصرانيَّة بمعناه الواسع سواء كان الشعراء من تَبَعَتهِ المستقيمي الإيمان أو من شيعهِ الضالَّة كالاريوسيَّة والنسطوريَّة واليعقوبيَّة. ( رابعًا ) لسنا لندَّعي انَّ هؤلاء النصارى جروا في سيرتهم بكل حرص على نواميس النصرانيَّة لاسيَّما في امر الطلاق وفي غزواتهم وأخذهم بالثأر على خلاف التعاليم النصرانيَّة. وانَّما تبعوا في ذلك سُنن عرب البادية واقتفوا آثارهم. وتقلَّدوا عاداتهم. والعادة كما يُعْرف طبيعة ثانية يصعب استئصالها وقهرها. ( خامسًا ) وان وجد أحد في بعض أقوالنا شططًا فمعاذ الله أن نكابر الحقّ ان بيَّنهُ لنا أرباب الفضل والعلم. وليس الكمال الاَّ الله

# ملحوظات شتَّى

على كتاب

## النصرانية وادابها بين عرب الجاهلية

( الصفحة ٣ السطر ٣ « قبل عشرين السنة » ) ظهر كتاب شعراء النصرانيَّة سنة ١٨٩٠

( ص ٢٩ س ١٨ ) ومن أَعلام الأمكنة الدالَّة على نفوذ الرومان بين العرب ما دعاهُ ياقوت ( ١ : ٩٣٥ ) بثَمَد الروم بين الشام والمدينة

( ص ٣٢ س ٢٥ نصرانيَّة فيلبُّوس العربيّ ) يُضاف إلى ما ورد هناك في نصرانيَّتهِ نقودٌ طُبعت باسمهِ مع رموز نصرانيَّة كصورة الطوفان وفلك نوح والحمامة والغراب. وكذلك يشهد على نصرانيَّتهِ القديس ايرونيموس ( De Viris IIIustribus, n° 54 )

(ص ٣٤ س ١ الكتابات النصرانيَّة في حوران ) يتراوح زمن هذه الكتابات بين القرن الثاني للمسيح والقرن الرابع

( ص ٣٦ س ١ ملوك غسَّان النصارى ). النابغة في لاميَّتهِ يرثي النعمان بن الحارث بن أبي شمّر بقولهِ :

فآب مصلُّوهُ بعينٍ جليَّةٍ وغُودر بالجولانِ حزمٌ ونائِلُ

قال أبو عبيدة « مصلُّوهُ » يعني أصحاب الصلاة وهم الرهبان وأهل الدين منهم

( ـ س ١١ . دير بصرى ) قال ياقوت في معجم البلدان ( ٢ : ٦٤٧ ) « بهذا الدير كان بُحيرا الراهب الذي بشَّر بالنبيّ صلعم » . وقال سابقًا ( ص ٦٤٥ ) انَّ « دير بحيرا هو دير الباعِقَى قبليّ بصرى من أرض حوران » . وبقيت النصرانيَّة في هذا الدير بعد الإسلام. وذكر ياقوت ان المازنيّ وجد في دير بصرى رهبانًا من العرب المتنصِّرين من بني صادر قال عنهم « وهم أفصح من رأيت » وذكر منهم أَمَةً شاعرة

( ـ س ١٢ الرهبان في بادية الشام ). ذكر سوزومان في تاريخهِ ( ك ١ ف ١٣ )

انــه كـان بـين تلامــذة القـديس انطونيــوس الكبــير كثــيرون مـن أهـل سوريـَّة وعربيَّـة » plurimos auditors habuit ex Syria et Arabia «

( ص ٣٧ س ٢١ نصارى العرب المحاربون مع الرومان ضد المسلمين ) قـال يـاقوت ( ١ : ٩٢٨ ) انَّ غسَّان وتنوخ لحقوا بهرقل فحاربهم ميسَرة بن مسروق. وقـال فـي مـادَّة معـان من نواحي بلقاء : « بعث النبي جيشًا إلى موتة فيهِ زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة ... وقيل قد اجتمع من الروم والعرب نحو مائتي الف »

**de Goeje** : *Mém. d'Hist. : et de Géorgr.* 2e éd. 1910 : Trois Chefs musulmans furent tués et la victoire resta aux Chrétiens

( ص ٣٨ : ١٦ الحـارث الأكبـر ... الملقَّب بـالأعرج ) **Mr G. Dugat**, *J. As.* 1855 Avril, 5e Série 371 : « Harith el A'radj roi des Arabes Chrétiens de Syrie et patrice romain »

وممَّا صرَّح بهِ العرب أنَّ جبلة آخر ملوك غسَّان مات نصرانيًّا في القسطنطينيَّة (تاريخ دمشق لابن عساكر ٣ : ٣٥٨. وغيرهُ كثيرون)

( ص ٤٠ س ١٢ نصـارى أورشـليم فـي عبـر الاردن ) خرجـوا بـوحي الله إلـى مدينـة فهيل ( Pella ) فاستوطنوها. ومنها كان ارستون نحو السنة ١٤٠ م الذي ألَّف كتابًا جدليًّا يُدعى مباحثة ياسون وپاپسكوس وكلاهما يهودي الأَّ أن ارستون ارتدَّ وردَّ بمباحثتـهِ الجداليَّـة خصـمهُ إلى الإيمان : وذكر العلاَّمـة غيـرين ( Guérin : *Galilée*, I, 290 ) انـهُ وجد فـي فهيل آثـار كنيسة ذات ثلث أسواق يرجَّح أنَّ عهدهـا راقٍ إلى قرون النصرانيَّة الأولى. وكذلك ( I, 300 ) وجد فـي امّ قيس وهـي جَدَر ( Gadara ) هياكل رومانيَّـة حوَّلهـا النصـارى إلـى كنـائس بعد الاضـطهادات. وكانـت جـدر كرسـيّ أسـاقفة منـذ القـرون الأولـى ( سـنة ٣٠٧ ). وكـذلك خربـة السمرة ( Hippias ) كانت كرسيّ اسقفي : حضر أسقفها المسمّى بطرس مجمعَي سلوقية سنة ٣٥٩ وانطاكية سنة ٣٦٣ ثم تاودوروس حضر مجمع أورشليم ٥٣٦ ـ ووجد غيرين ( I, 313 ) ( كنيستين في فيقه ( Apheka ) وكنيسة في كفر حـازب واكتشـف فـي خربـة قلعـة الحصـن ( Gamalas ) باسيليقة راقية إلى القرون الأولى ( I, 319 )

( ص ٤١ س ١٥ النبيط أو النبط ) للعلاَّمة كاتِرْمار المستشرق الكبير مقالة

واسعة في النبط نشرها في المجلَّة الاسيويَّة (J. As., 2[8] Série, XX, 1835) يذكر هناك منازلهم في بادية الشام وبين الشام والحجاز ويتَّسع في لغتهم السريانيَّة ودينهم النصرانيّ وفوائد أخرى عديدة. وقد جاء عن النبط في شعر قديم ( امالي المرتضي ٣ : ٩٣ ) :

لمَّا رأيتُ نبطًا أنصارا شمَّرتُ عن ركبتيَ الإزارا
كنتُ لها من النصارى جارا

وقال متمم بن نويرة يذكر طواف النبط حول كنيستهم وقد دعاها بالفَدَن وهو البنا المَشيد والقصر ( المفضّليات ص ٦٩ ) :

بمحدَّةٍ عنَسٍ كأَنَّ سَراتَها فَدَنٌ تُطيف بهِ النبيطُ مُرفتَعُ

( ص ٥٤ س ٣ برتلماوس رسول اليمن ) يؤيد هذا الرأي فوتيوس في مكتبتهِ (PP. Gr., Migne, LXV, 459 seqq 1) حيث روى تبشير الرسول برتلماوس للهند فيصرّح بأنَّ الهند المقصودة هنا هي اليمن وانَّ الذين بشَّرهم هم العرب المعروفون قديمًا بأهل سبأ ثم عُرفوا بالحميريين. وقد جنح البولنديُّون إلى هذا الرأي في ترجمة القديس برتلماوس. وهكذا ارتأوا أيضًا في ما أخبرهُ اوسابيوس عن رحلة پنتانوس إلى الهند قالوا يراد بالهند جنوبيّ العرب أي اليمن حيث كان بشَّر برتلماوس الرسول. وكانت هذه الرحلة سنة ١٨٩ للميلاد وتوفّي پنتانوس نحو السنة ٢١٥

(ص ٥٥ س ١٨ نصرانيَّة عبد كلال). قال ابن قتيبة في المعارف (ص ٢١٢) « كان عبد كلال بن مثوب مؤمنًا على دين عيسى عم ويُسرٌ ايمانهُ وكان ملكهُ ٧٤ سنة » ( اطلب أيضًا تاريخ الطبري ١ : ٨٨١ )

( ص ٦٠ س ٧ ذو نوَاس واضطهادهُ لنصارى نجران ) راجع أيضًا اخبارهُ في تاريخ مكَّة للأزرقي ( ص ٨٦ ) وقد ورد الخبر في القصيدة الحميريَّة على هذه الصورة :

او ذو نوَاسٍ حافر الاخدود في نجرانَ لم يخشَ احتمالَ جُناح
ألقى النصارى في جحيم أجّجت بوَقودِ جَمْرٍ مُضرم لفتَّاح
فدعا لهُ ذو ثعلبانَ أحابشًا منهم بقاعُ الأرض غير وضاح
فتقحَّم البحرَ العميق بنفسهِ وسلاحهِ وجوادهِ السبَّاح
فغدا طعامًا بعد عزٍّ باذخ للحوتِ من نونٍ ومن تمساح

ص ـ س ١٤ ( أبرهة الأشرم ) قال الأزرقي في تاريخ مكَّة ( ص ٩٣ ) : كان أبرهة رجلاً حليمًا ورعًا ذا دين في النصرانيَّة »

ص ٦٤ س ١٤ ( القُلَيس ) تجد وصف عجائبها في تاريخ مكَّة للأزرقي ( ص ٨٦، ٨٨ ـ ٩٣ ) ويُذكر هناك أنَّ تلك الكنيسة بقيت إلى أيَّام أبي جعفر المنصور فأخربها باغراء بعض اليهود الذي وعدهُ إذا هدمها بأن يملك ٤٠ سنةً. قال (( وقد أصاب المنصور بهدمها مالاً كثيرًا )) . وذكرها أيضًا ابن الأثير في تاريخهِ ( ١ : ١٧٨ ) قال عنها : (( وهي كنيسة لم يُرَ مثلها في زمانها بشيء من الأرض )) . راجع أيضًا وصفها في محاضرات ابن العربي ( ١ : ١٣١ ) وفي معجم البلدان لياقوت ( ٤ : ١٧٠ ) وجاء في تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمني (طبعة اوكسفرد ص ١٣٩) في وصفها قولهُ :

صنعاء اليمن بها الكنيسة المعروفة بالقليس أنشأها ابرهيم ملك اليمن من قبل النجاشي ملك الحبش وهو أبرهة الأشرم. وهذا في الحرب شُرمت أنفهُ فسُمي الاشرم. بنى هذه الكنيسة المذكورة وزخرفها بالذهب والأصباغ الحسنة الملوَّنة وبسط أرضها بالرخام الملوَّن وعمد الرخام فيها قائمًا ونائمًا وجلاها بأحسن الجلاء من الذهب والفضَّة وسمَّر الصفائح الذهب بمسامير الفضَّة والفضَّة بمسامير الذهب الملوَّحة وجعل على أبواب المذابح بها صفحات ذهب عراض ورصَّع فيها الجواهر من الأحجار الكريمة وجعل في وسط كلّ صفحة من ذلك صليب ذهب وفي وسطهِ ياقوتة بهرمان أحمر شفَّاف ينبسط جرم تلك الجواهر حولهم بأنوار تشفّ مختلفة الألوان تذهل الناظرين إليها. وأمر الناس بالحج إليها فتواردوا إليها من كل الجهات وجعل لها حجابًا محكوم الصنعة من خشب الابنوس والساسم مطعَّم بالعاج الأبيض النقيّ المنقوش بحسن الصنعة. وشاع خبرها في تلك البلاد وسمع بها من لم يَرَها وحجّ إليها كثيرون من الناس وحملوا لها النذور. وكثير من الناس جاوروا هناك ولازموا المقام فيها والمبيت وكان الملك يهتمّ بالمجاورين بها وبنى بيوتًا يسكنونها وبنى لها أملاكًا كثيرة وحبسها عليها. وكان هذا الملك ( ص ١٤٠ ) رجلاً حكيمًا كبير العلوم محبًا لله محسنًا للناس عادلاً في أحكامهِ حسن السيرة مكرمًا من جميع الملوك ليس لهُ عدوّ يخشاه لحسن سيرهِ وسيرتهِ كما شهد بذلك تاريخ الطبري

وأيضًا مَرور الدير وهي كنيسة عليها حصن منيع وهي الآن تسمَّى مقبرة الحكماء وبهذه الناحية أمير اليمن من جهة كسرى أبو شروان ( انو شروان )

وروى ياقوت عن السكَّري ( ٤ : ١٧١ ) انَّ أبرهة كتب بالمُسند على باب القليس: (( بنيتُ هذا لك من مالك ليُذكر فيهِ اسمك وأنا عبدك ))

( س ٦ الحارث بن كعب ) قال في الأغاني ( ١٠ : ١٤٤ ) : (( أوَّل من نزل نجران من بني الحارث بن كعب كان عبد المسيح بن دارس بن عربي بن معيفر من أهل نجران وكانت لهُ قبَّة من ٣٠٠ جلد اديم وكان على ( ص ١٤٥ ) نهر نجران يقال لهُ البجيروان (قال) ولم يأتِ القبَّة خائف الاَّ امن ولا جائع الاَّ شبع وكان يستغلّ من

ذلك النهر عشرة آلاف دينار. وكان أوَّل من نزل نجران من بني الحرث بن كعب ابن يزيد بن عبد المدان ابنتَهُ رُهَيمة فولدت لهُ عبد الله بن يزيد فهم بالكوفة ومات عبد المسيح فانتقل مالهُ إلى يزيد فكان أوَّل حارثي حلّ في نجران » ( وروى ١٠ : ١٥٠ ) نسب بني عبد المدان فقال : عبد المدان هو عمران وكنيتهُ أبو يزيد وهو ابن الديَّان بن قطرن بن زياد بن الحرث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن عمرو

( ص ٦٤ س ١٨ كنيسة ظفار ) ذكر الرحَّالة غلازر في كتاب رحلتهِ (Skizze I, 15,37) انهُ وجد سنة ١٨٨٦ في بريم قريبًا من ظفار آثار مسجد تُرى في بقاياهُ نقوشٌ نصرانيَّة. وأعمدتهُ وكواهُ من الطرز الغوتي مع صلبان منقوشة عليها ويدعو هذا المسجد بمسجد نجيم

( ص ٦٦ س ٨ سيف بن ذي يزن ) وقال ابن الأثير في تاريخهِ (١ : ٧٤): « تزوَّج ابرهة ابنة ذي جَدَن ريحانة وكانت زوجة أبي مرَّة ذي يزن فولدت لهُ مسروقًا وكانت ولدت لذي يزن ابنًا اسمهُ معدي كرب وهو سيف فقدم ذو يزن الحيرة إلى عمرو بن هند وسألهُ إن يكتب إلى كسرى ليستنصرهُ على الحبشة فأرسلهُ إليهِ وأوصاهُ بهِ فبقي عندهُ حتَّى هلك ونشأ ابنهُ سيف في حجر ابرهة وهو يحسب انهُ أبوهُ إلى أن صدقَتْهُ امُّهُ ومات أبرهة وابنهُ يكسوم »

( ص ٦٧ : ٩ ـ ١٠ النصارى في اليمن بعد الإسلام ) ورد في معجم ما استعجم للبكري ( ص ٤١٩ ) عن أهل رُعَاش من أرض نجران انهم ارتدُّوا إلى النصرانيَّة فجعل عُمر بن الخطاب ذمَّتهُ منهم بريئةً إن أَبوا الاَّ النصرانيَّة. وعلى نصرانيَّة نجران يدلُّ قول أبي زيد العبشميّ يذكر ابنهُ زيدًا وكان هاجر إلى اليمن :

فما زال يسعى بين نابٍ ودارُهُ بنجران حتَّى خفتُ أن يتنصَّرا

( ص ٦٩ : ٨ ـ ١٥ النصرانيَّة في جزيرة سُقُطْرى ) قال ياقوت في معجم البلدان (٣ : ١٠١ ـ ١٠٢) : « سقطرى اسم جزيرة عظيمة فيها عدَّة مدن وقرى تناوح عدَن جنوبيَّها عنها وهي إلى برّ العرب أقرب منها إلى برّ الهند ... وأكثر أهلها نصارى عرب » . ثمَّ ذكر من سكنها أوَّلاً من الروم حتَّى قال : « ثمَّ نزلتْ بهم قبائل من مَهرة فساكنوهم وتنصَّر معهم بعضهم » وفي تواريخ النساطرة انَّ جثالقتهم أرسلوا أساقفة إلى سقطرى بين القرن التاسع إلى الثالث عشر

( ص ٦٩ س ٣ جزائر اليمن ) من جزائرها جزيرة فَرَسان. ورد في معجم البلدان لياقوت ( ٣ : ٨٧٤ ) وفي تاج العروس ( ٤ : ٢٠٦ ) : انها جزيرة مأهولة ببحر اليمن وسُمّيت ببني فَرَسان وهي قبائل منهم من ينتسب إلى كنانة ومنهم من ينتسب إلى تغلب. قال ابن الحائك : وفَرَسان قبيلة من تغلب كانوا قديمًا نصارى ولهم في جزائر فَرَسان كنائس قد خربت وفيهم بأْس ))

( ص ٧٠ س ١١ سابور ذو الأكتاف في البحرين ) قال ابن الأثير في تاريخهِ ( ١ : ١٥٦ ) : (( سابور ذو الأكتاف ابن هرمز بن نرسي ... قطع البحر إلى الخطّ فقتل مَن بالبحرين وسار إلى هَجَر وبها ناس من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس فقتل منهم حتى سالت دماؤهم وأباد عبد القيس. وقصد اليمامة وأكثر في أهلها القتل وغوَّر مياه العرب. وقصد اياد وتغلَّب فيما بين مناظر الشام والعراق فقتل وسبى ... وانتقلت اياد حينئذٍ إلى الجزيرة .. فأبادهم قتلاً الاَّ من لحق بأرض الروم ))

( ـ س ١٣ نصرانيَّة البحرين ) ذكر في الأغاني ( ١٤ : ٤٩ ) ارتداد أهل البحرين بعد وفاة محمَّد .. وفي بعض مجاميع مكتبتنا الشرقيّة (( رسالة من انبا حبيب اسقف تكريت ويعرف بابن رائطة إلى مَن بالبحرَيْن من نصارى العرب )) وفي قولهِ هذا دليل على أنَّ النصرانيَّة ثبتت في البحرين إلى القرن الثاني عشر

( ـ س ٢٠ ـ ٢٥ المنذر بن ساوى ) قال ياقوت في معجم البلدان ( ١ : ٢٣٧ ): (( أَسْبذ صاحبُها المنذر بن ساوى وهو صاحب هَجَر الذي كاتبَهُ النبي صلعم. والأَسْبذيُّون ولد عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم )) . (قال) : (( والغالب على البحرين عبد القيس وهم أصحاب المشقَّر والصفا حصنين هنالك ))

( ص ٧١ : س ٣ قَطَر ) ورد ذكر قَطَرَ في شعر المثقّب العبدي ( شعراء النصرانيَّة ٤٠٤ ) قال يذكر يوم الحِنْو :

كلَّ يومٍ كان عنَّا حلَلاً غير يوم الحِنْو من جَنْبَي قَطَرْ

( قال ) قطَر قصبة عُمان

( ص ٧٢ س ٣ عبد يشوع السائح ) قال ابن ماري في تاريخ بطاركة المشرق ( ص ٢٨ ـ ٢٩ ) : في أيَّام البطريرك تومرصا في أواخر القرن الرابع للمسيح ترهَّب

عبد يشوع من ميشان في اسكول مار عبدا ثم انهُ « خرج إلى جزيرة اليمامة فأقام منفردًا وعمَّد أهلها وبنى ديرًا فيها »

( ص ٧٢ س ٥ بنو حنيفة ) في تواريخ العرب أن بني حنيفة نزلوا بلاد حَجْر وهي مدينة اليمامة في البحرين وكان أوَّلهم عبيد بن ثعلبة. وقد ردّ عبد يشوع السائح بني ثعلبة إلى النصرانيَّة كما روى ابن ماري في تاريخهِ ( ص ٢٩ )

( ـ س : ٦ هوذة بن عليّ سيّد بني حنيفة ) قال في الأغاني ( ١٦ : ٧٨ ) وفي تاريخ ابن الأثير ( ١ : ٢٦٠ ) انَّ هوذة كان نصرانيًّا أمرهُ كسرى أن يغزو بني تميم هو والمكعبر مع عساكر كسرى ... فبعد انتصارهم عليهم وفتح هجر وحصن المشقَّر أمر المكعبر بغلق الأبواب وقتل كلّ من كان بالمدينة وكان يوم الفصح فاستوهب هوذة منهُ مائة رجل فكساهم وأطلقهم يوم الفصح .. وذكر ابن الأثير وصاحب الأغاني أنَّ كسرى ابرويز ألبسهُ تاجًا وقيل قلنسوةً فيها جوهر فسُمّي هوذة ذا التاج. ولهوذة أحاديث وشرف ووفادة إلى الملوك من الأعاجم

( ص ٧٥ س : ١٤ أرض بابل ) وممَّا يؤيّد انتشار النصرانيَّة هناك استشهاد القديس پوليخرون أسقف بابل في عهد الملك دقيوس قيصر في أواسط القرن الثالث للمسيح. يذكرهُ السنكسار الروماني في ١٧ شباط

( ص ٧٦ س ٣ ـ ٤ ايَّاد ... دخلوا الروم فتنصَّروا ) ورد في تواريخ الروم ما يؤيد ذلك قالوا انَّ عشرين ألفًا من نصارى العجم احتلُّوا جبال كردستان قبل الهجرة

( ص ٧٨ س ١٧ دير الجماجم ) ورد في نقائض جرير والفرزدق ( ص ٤١٢ ): « انَّما سُمّي ذلك الموضع دير الجماجم لأنهُ كانت تُعْمَل فيه الأقداح فلذلك سُمّي دير الجماجم »

( ص ٨٠ س : ١٣ الشهيدان عبدون وسنان ) في ديناميس رومية صورة هذين الشهيدين العربيَّين رسمها البولنديُّون في أعمالهم في اليوم الثلثين من تمُّوز

( ص ٨٢ س : ٣ النعمان الأعور ). ذكر قزما الكاهن أنَّ نعمان هذا شفاه القديس سمعان من داءٍ أصابهُ فتنصَّر وزهد بالدنيا (اطلب المكتبة الشرقيّة للسمعاني ج ١ ص ٢٤٧)

( ص ٨٣ س ٢٦ بغداد ) قال ابن رسته في كتاب الاعلاق النفيسة (ص ٢٣٥): « لم تكن بغداد في الأيام المتقدمة أعني في أيام الأكاسرة والأعاجم وانَّما كانت قريةً من قرى طسُّوج بادوريا ... ولم يكن ببغداد الاَّ دير على مصبّ الصراة إلى دجلة وهو الدير الذي يُسمّى الدير العتيق وهو قائم بحالهِ إلى هذا الوقت ينزلهُ الجاثليق رئيس النصارى النسطوريَّة..

( ـ ١١ ـ ١٧ نسطور والنسطوريَّة ) قال ابن رسته في الاعلاق النفيسة ( ص ١١٥ ) : أضافت الملكيَّة العبَّادَ من النصارى وهم المشارقة إلى نسطور تقريبًا لهم بذلك فسُمُّوا النسطوريَّة وكانت رئاسة البطاركة للمشارقة في ذلك الوقت بالمدائن في أرض العراق لِداد يشوع يعدُّ بلادها في ملك فارس. والعبَّاد تذكر انَّ أوَّل البطاركة السريانيين الذين نزلوا كرسيّ المشرق على قديم الأيَّام بعد صعود المسيح إلى السماء بنحو ٣٠ سنة فبعث توما أحد الاثني عشر ادّي السلّيح هو ادّي برماري من السبعين وهو نصَّر أهل المدائن ودير قنَّى وكسكر وغيرها من السواد وبنى بيعتين احداهما بالمدائن دار مملكة فارس يومئذٍ وجعلها كرسيًّا لمن يأتي بعدهُ من البطاركة والأخرى بدير قنَّى ... فيما سلف من كتبنا خير المشارقة من النصارى مع سابور ملك فارس حين أخذهم التحمُّس وامتناعهم من ذلك وقتلُهُ منهم نحوًا من مائتي ألف وغير ذلك من أعيادهم »

( ـ ١٢ ـ ١٣ مجمع المدائن ) اطلب أعمال هذا المجمع في كتاب المجامع النسطوريَّة الذي عُني بنشرهِ الاب شابو **Chabot :** Synodes Nestoriens, *Notices et Extraits des Mss. de la Bibl. Nat.*, XXXVII وهناك جداول أساقفة كانوا في جهات بلاد العرب في العراق والبحرين واليمن

( ـ س ٢٤ . ديارات الأساقف بالنَّجف ) روى ياقوت في معجم البلدان في كلامهِ عن قصر أبي الخطيب أبياتًا تبيّن انتشار النصرانيَّة في الحيرة وفي نجف وهي لبعضهم قال :

يا دارُ غيَّر رَسْمَها مرُّ الشمال مع الجنوبِ
بين الخورنق والسَّديسر م وقصر أبي الخصيب
فالمدير فالنجف الأشمُّ م جبال أرباب الصليب

( ص ٨٣ ـ س ١٩ أديرة العراق ) يُضاف إلى ما ورد هناك من أسماء الأديار : دير الجاثليق دير قديم البناء قرب بغداد غربيّ دجلة. ودير الجبّ شرقيّ الموصل بينها وبين اربل يقصدهُ الناس لأجل الصرَع فيبرأ منه بذلك كثير ( ياقوت ٢ : ٦٥١ ). دير الجَرَعة وهو دير عبد المسيح الحيري ذكرهُ سليمان بن ماري وقال انهُ فيه دُفن ( ص ٢٦ ). دير الدِهْدار قال ياقوت انهُ دير ازليّ كثير الرهبان وبناؤهُ قبل الإسلام. ودير سَرْجس وبكُّوس بين الكوفة والقادسيَّة. ودير اللجّ بالحيرة قال ياقوت ( ٢ : ٦٩١ ) « بناهُ النعمان بن المنذر أبو قابوس في أيَّام مملكتهِ. ولم يكن في ديارات الحيرة أحسن بناءً منهُ ولا أنزه موضعًا »

( ص ٨٤ س ٧ تكريت ) قال ياقوت ( ١ : ٣٨١ ) : « تكريت أصلُ بنائها بعد تنصُّر مرزبانٍ مجوسيّ خطَبَ لنصرانيَّةٍ » قال : « وكان هناك حيّ للنصارى »

( ص ٨٥ س ١٦ الكنائس والبيع ) يضَاف إلى ما ذكرنا هناك بيعة خالد بن عبد الله القسري أمير الكوفة قال ياقوت ( ١ : ٦٩٦ ) « بناها لامّهِ وكانت نصرانيَّة » . ثمَّ « بيعة عديّ بن الرُّمَيك اللخمي بالكوفة ذات أشجار ونخل كثير »

( ص ٨٦ س ٣ ـ ٤ أساقفة العراق العربيّ ) نشر هذا الجدول المستشرق الإيطالي الشهير اغناسيو غويدي في المجلَّة الاسيويَّة الألمانيَّة ( ZDMG. XLIII, pp. 393-411 )

( ـ س ١٠ البيعة الشرقيَّة ) أي النسطوريَّة. قال المسعودي في مروج الذهب ( ٢ : ٣٢٨ ) : « المشارقة هم العِباد الملقَّبون بالنسطوريَّة » وقال عن عديّ بن زيد « انهُ كان عِباديَّ المذهب وهم النسطوريَّة من النصارى »

( ص ٨٧ س ١٦ بهرام عدوّ النصارى ) قد روى ثاودوريطس مُعاصرهُ في تاريخهِ الكنسي ( Théodoret : H. E. I. v., c. 38 ) الاضطهاد الذي أحدثهُ ضدّ النصارى

( ـ س ٢٢ نعمان الثاني ابن شقيقة ) قيل انه صاحب الخورنق بناه لهُ سِنّمار لابن يزدجرد بهرام جور. غزا الشام مرارًا وفتك بأهلها. وشقيقة امُّهُ ابنة أبي ربيعة ابن ذهل بن شيبان ( راجع ابن الأثير ١ : ١٥٦ )

( ص ٨٩ س ١٥ تنصُّر المنذر ) قال أبو الفداء في تقويم البلدان ( ص ٢٩٩ ) :

كانت ( الحيرة ) منازل آل النعمان بن المنذر وبها تنصَّر المنذر بن امرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة »

( ص ٩١ س ٩ وفاة المنذر بن ماء السماء في يوم حليمة ) ويقال انَّ المنذر بن ماء السماء قُتل قبل ذلك في يوم عين أُباغ في وادٍ وراء الانبار على طريق الفرات إلى الشام قتلهُ الحارث الأعرج بن أبي شمّر الغسَّاني. وامَّا المقتول في يوم حليمة فهو ابنهُ المدعوّ مثلهُ أيضًا بالمنذر قُتل بمرج حليمة قتلهُ الحارث أيضًا. وحليمة هذه هي ابنتهُ

( ـ س ١٤ هند الكبرى ) جاء في نقائض جرير والفرزدق ( ص ٢٦٧ ) افادات عنها فيُروى هناك أن سفيان بن مجاشع بن دارم أحد أجداد الفرزدق سعى بتوطيد السلام بين الحارث بن عمرو الكندي والمنذر بن ماء السماء وذلك بأن خطب ابنة الحارث هندًا فزوّجها المنذر فتهادن الملكان وطُفئت النائرة بينهما. وهند هي امّ الملك عمرو بن هند

( ص ٩٢ س ١ . هند بنت النعمان بن المنذر ) هند هذه المعروفة بالحُرَقة هي غير هند الكبرى. ولهما سميَّة ثالثة هي هند بنت المنذر بن ماء السماء. قال ابن الأثير يذكر يوم عين أُباغ بينهُ وبين الحارث الأعرج الغسَّاني ( ١ : ٢٢٢ ) انّ سبب هذه الحرب انَّ الحارث خطب إلى المنذر ابنتهُ هندًا فوعدهُ بها وكانت هند لا تريد الرجال وصنعت بجلدها شبه البرص فندم على تزويجها وردَّها عن ملك غسَّان فصارت الحرب بسبب ذلك. فترى أنَّ في روايات المؤرخين عن الهُنود بعض الاضطراب والتناقض

( ـ س ٤ وتنصَّر النعمان ) فيه يقول النابغة :

ظلَّت أقاطيعُ أَنعامٍ مؤبَّلَةٍ لدى صليب على الزوراءِ منصوبِ

أراد بالزوراء الرَّصافة وكانت للنعمان. قال ياقوت في معجم البلدان ( ٢ : ٩٥٥ ) : « وكان عليها صليب لأنهُ كان نصرانيًّا » قال النابغة ( البيت ) ولعلَّه النعمان الذي أشار إليهِ خداش بن زهير العامري بقولهِ ( خزانة الأدب ١ : ٩٢ ) :

وبالمَرْوة البيضاءِ يومُ تبالةٍ ومحبسةُ النعمان حيث تنصَّرا

وقد ذكر البكري أبا قابوس النعمان بن منذر في معجم ما استعجم في وصفهِ لدير اللجّ ( ص ٣٦٦ ) وكان النعمان بناه في جهات الحيرة قال : « وكان النعمان يركب في

كلّ عيد ومعه أهل بيتهِ ... عليهم حلل الديباج المذهّبة وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب وفي أوساطهم الزنانير المفضَّضة بالجوهر وبين أيديهم اعلام فوقها صلبان الذهب فإذا قضوا صلاتهم انصرفوا إلى مستشرفهِ ... »

( ص ٩٥ س ٦ القبائل المتنصّرة ) قال الجاحظ في كتاب الحيوان (٧ : ٦٦): « من العرب ممَّن كان لا يرى للحرَم ولا لشهر الحرام حرمة ( وهم المطبقون على عداوة النبي صلعم والكفر بهِ والمُحلُّون ) طيء كلّها وخثعم كلها وكثير من احياء قضاعة ويشكر والحارث بن كعب هؤلاء كلُّهم أعداء الدين والنسب هذا إلى ما كان في العرب والنصارى والذين يخالفون دين مشركي العرب كلّ الخلاف كتغلب وشيبان وعبد القيس وقضاعة وغسَّان وسُلَيم والعِباد وتنوخ وعاملة ولخم وجذام وكثير من بلحارث بن كعب وهم خلطاء وأعداء .... »

( ص ٩٩ س ١٩. سرجيوس ). وكان على اسم مار سرجيوس أو ماسرجيوس (ويقال ماسرجيس) ديرٌ ذكرهُ عبد الله بن العبَّاس الربعي في الأغاني ( ١٧ : ١٢٩ ) :

بين وردٍ وبين آسٍ جنيٍّ وَسْط بستان ديرِ ماسرجيسِ

( ـ س ٢٠ الرُّصافة ) هي التي تعرف برصافة هشام غربيّ مدينة الرقَّة. وكان أهلها العرب عريقين بالنصرانيَّة وبقوا على دينهم بعد الإسلام بزمن طويل كما يشهد على ذلك ابن بطلان في رحلتهِ سنة ٤٤٠ هـ ( ١٠٤٨ م ) حيث قال ( معجم البلدان ٢ : ٧٨٥ ) يصف قصر الرصافة : « وهذا القصر حصنٌ دون دار الخلافة ببغداد مبنيّ بالحجارة وفيه بيعة عظيمة ظاهرُها بالفصّ المذهَّب أَنشأها قسطنطين بن هيلانة. وسكّان هذا الحصن بادية أكثرهم نصارى ... » أمَّا الدير فيقول عنهُ ياقوت انهُ « من عجائب الدنيا حسنًا وعمارةً »

( ص ١٠٢ س ٥ . السماوة ) هي البادية الواقعة بني الكوفة والشام كان يسكنها بنو كلب

( ص ١٠٣ س ٤ النصرانيَّة في تدمر ) روى السمعاني في المكتبة الشرقيَّة ( ٤ : XIV ) لعمرو بن متَّى أنَّ يهوذا بن يعقوب الملقَّب لبّي ذهب إلى تدمر ليبشر فيها بالمسيح

( ـ س ٢١ كتابة زبَد ) هذه الكتابة أوسع باليونانيَّة وخطُّها العربيّ قليل

الوضوح لم يتَّفق المستشرقون في تفسيره. ويؤخذ من اليونانيَّة أنَّ الذين أقاموا هذا الأثر لذكرى القديس سرجيوس البرديوت يوحنَّا بن بركة وسركيس بن سركيس وغيرهما وانَّ الذي عُني بهندستهِ سمعان بن عمرو ولانديوس. وفي صدر الكتابة السريانيَّة البسملة النصرانيَّة « المجد للآب وللابن وللروح القدس »

( ص ١٠٨ س ٣ ـ ٦ . أَيْلة وصاحبها ) ايلة اليوم خراب وقامت عَقَبة مقامها على بعد كيلومترين منها. وكانت قبل الهجرة فرضةً حافلة تقصدها سفن اليمن والهند والصين وتأتيها من البرّ قوافل الشام ( Cfr. Itinerarium Antonini, pp. 42 et 44 ) وامَّا صاحبُها يوحنَّا أو يحنَّة بن رؤبة فقد دعاهُ المسعودي في كتاب التنبيه والاشراف (ص ٢٧٢) أسقف أَيْلة. وقد جاء في أحد كتب المجامع الدينيَّة ذكر « أسقف أيلة والشراة »

وقد ذكر البلاذري في فتوح البلدان ( ص ٥٩ ) قبل أَيْلة تبالَةَ وجُرَشَ ثمَّ ذكر معها أَذْرع ومَقْنا والجَرْباء وكلها كانت حافلة بالنصارى

( ـ س ١٦ ـ ١٩ دومة الجندل وصاحبها اكيدر ). جاء في معجم البلدان لياقوت ( ٢ : ٦٢٦ ) انَّ بني كنانة من كلب كانوا في دومة الجندل وانّ فيها « كان حصن مارد وهو حصن أُكَيْدر » . وفي تهذيب الأسماء للنووي ( ص ١٦٢ ) « قال الخطيب في كتابهِ الأسماء المبهمة « كان أكيدر نصرانيًّا ثمَّ أسلم وقيل بل مات نصرانيًّا. هذا كلام الخطيب وقال أبو عبد الله بن منده وأبو نعيم الاصبهاني في كتابهما في معرفة الصحابة انَّ اكيدر هذا اسلم وأهدى إلى رسول الله صلعم حُلَّة سِيَراء فوهبها لعمر بن الخطَّاب رض. قال ابن الأثير : امَّا الهدية والمصالحة فصحيحان وامَّا الإسلام فغلطا فيهِ فانهُ يُسْلم بلا خلاف بين أهل السِيَر ومن قال انهُ أسلم فقد أخطأ خطأً فاحشًا. ( قال ) وكان اكيدر نصرانيًّا فلمَّا صالحهُ رسول الله صلعم عاد إلى وطنهِ وبقي فيهِ ثمَّ انَّ خالدًا حاصرهُ في زمن أبي بكر الصديق وقتلهُ مشركًا نصرانيًّا. وكان قبلهُ على ايلة اصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيًّا »

( ص ١١٤ س ٢١ . أبو عامر الراهب ) هو أبو عامر بن صيفي خرج في أُحُدّ لمقاتلة محمّد رسول الإسلام ومعهُ الأحابيش وعبدان أهل مكَّة ( اطلب الأغاني ١٤ : ١٧ وسيره الرسول لابن هشام ٥٦١ ). وجاء في مواسم الأدب للسيِّد جعفر البيتي

( ٢ : ٢٠٢ ) : « أبو عامر الاوسي ( وابنهُ هو حنظلة غسيل الملائكة ) ترهب في الجاهليَّة ولبس المسوح فلمَّا قدم صلعم المدينة كان لهُ معهُ خطب وخرج في ٥٠ غلامًا إلى الشام ومات على النصرانيَّة

ومن الاوس النصارى أبو قيس صيفيّ بن الاسلت ( أسد الغابة لابن الأثير ( ٥ : ٢٧٨ ) : « وهو أحد بني وائل بن زيد هرب إلى مكة وكان فيها مع قريش وقيل انَّ اسمهُ الحارث وقيل عبد الله ... والصحيح انهُ لم يُسلم. وقد كان قبل الهجرة يتألَّه »

( ص ١١٥ س ٤ . النصارى في المدينة قبل الإسلام وفي أوائل ظهورهِ ). وممَّا يدلُّ على ذلك ما ذكرهُ البخاري في صحيحهِ ( ٣ : ٤١ ـ ٤٢ ) حيث روى انَّ نبيط الشام كانوا يأتون إلى المدينة ويتاجرون مع محمَّد بالحنطة والشعير والزيت والزبيب. وذكر عبد القادر البغدادي في خزانة الأدب ( ٢ : ١٥٥ ) ان عمر بن الخطّاب استعمل ابا زُبَيد الشاعر النصرانيّ على صدقات قومهِ وان عثمان بن عفَّان كان يقرّبهُ ويُدني مجلسهُ وكلّ ذلك في المدينة. ولمَّا ماتت في المدينة أم الحارث بن عبد الله أحد سادات قريش وكانت نصرانيَّة وجدوا الصليب في عنقها بعد موتها ( الأغاني ١ : ٣٢ وتاريخ ابن عساكر ٣ : ٤٤٨ ) فوكلوا إلى أهل دينها القيام بجنازتها. ففعلوا

( ـ س ١٧ ـ ١٨ الحديث لأُخرجنَّ النصارى واليهود من جزيرة العرب ). هو حديث مصنوع كما ترى ممَّا تقدَّم وممَّا أثبتناهُ في هذا الفصل عن النصرانيَّة في المدينة. وما لا شكَّ فيهِ أنَّ النصارى في أيَّام بني أميَّة كانوا يسكنون المدينة ومكَّة. وجاءَ في الأغاني (٤ : ١٥٦) ان مروان بن الحكم اتَّخذ كشُرَط لأهل المدينة مائتين من أهل أَيلة النصارى. وروى أيضًا ( ٢ : ١٢١ و١٢٧ ) دخول حنين الحيري المغنّي النصرانيّ إلى مكَّة والمدينة وغناءَهُ فيهما. وقد جاء في كتاب المقدّسي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ( ص ٩٥ ) قولهُ عن جزيرة العرب « انَّ اليهود بها أكثر من النصارى » وفيهِ دليل على وجود الملَّتين فيها حتَّى القرن الرابع للهجرة والعاشر للمسيح

( ص ١١٦ س ١٨ ـ ٢٣ النصرانيَّة في جرهم الثانية ) في بعض روايات العرب ما يشير إلى ذلك كقول هشام في معجم البلدان لياقوت ( ٣ : ٦٥٣ ) : « جرهم بن فائج وبنوهُ أنطقهم الله بالزَّبور فهم الثاني ممَّن تكلَّم بالعربيَّة ولسانهم الزبور وكتابهم الزبور » وروى الأزرقي في تاريخ مكَّة ( ص ٣٦٦ ) عن ابن عبّاس ما يشير إلى

التبشير بالنصرانيَّة في مكَّة منذ عهد رسل المسيح بقولهِ « حجَّ الحواريُّون فلمَّا دخلوا الحَرَم مشوا تعظيمًا للحرم » . وفي التاريخ المذكور ( ص ٤٢ ـ ٤٣ ) انهُ « لمَّا هدموا الكعبة وجدوا في ركنها كتابةً سريانيَّة فسألوا عنها رجلاً من أهل اليمن وآخر من الرهبان. ثمَّ روى مضمونها بروايات مختلفة منها ما هو حرفهُ : « من يزرع خيرًا يحصدُ غبطةً ومن يزرع شرًّا يحصد ندامةً تعملون السيّئات فلا تُجزون الحسنات أجَل كما لا يجتنى من الشوك العنب » وهذا كما ترى مأخوذ من كلام الإنجيل. وجاء هناك « انَّ هذه الكتابة وُجدت أربعين عامًا قبل مبعث النبي في عام الفيل »

( ص ١١٨ س ٢ . تنصَّر قسم من قريش ) منهم الخِرّيت بن راشد الناجي. قال المسعودي في مروج الذهب ( ٤ : ٤١٨ ) يذكر محاربة الخرّيت لعليّ بن أبي طالب سنة ٣٨ للهجرة : ومضى الحارث ( والصواب الخرِّيت ) بن راشد الناجي في ثلثمائة من الناس فارتدُّوا إلى دين النصرانيَّة وهم من ولد سامة بن لؤَي بن غالب عند أنفسهم » فقولهُ ارتدُّوا إلى دين النصرانيَّة يدلّ على انَّهم كانوا سابقًا نصارى ( اطلب في الكتاب الصفحة ١٤٠ ما قال الطبري في ناجية وهو ينسبهم إلى تميم لكن أبا سعيد السمعاني في الانساب ص ٢ : ٥٥٠ والسيوطي في لب الألباب ( ص ٢٥٨ ) وغيرهم يجعلونهم من بني سامة القريشيين

( ـ س ١٥ ـ ١٦ . تعظيم اليهود والنصارى للكعبة ) زدْ على ما روينا ما ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان في وصف مكَّة قال : « من سائر البلدان تحجُّ إليها ملوك حمير وكندة وغسَّان ولخم » وذكر ابن فقيه في مختصر كتاب البلدان ( ص ١٩ ) انَّ أحد ملوك الحيرة بعد تنصُّرهِ حجَّ إلى الكعبة

( ـ س ١٧ . موقف النصرانيّ ) قالهُ في التاج ( ٣ : ١٤٠ ) في كلامهِ عن بطن مَحْسر قال « هو وادٍ قرب مزدلفة بين عرفات ومِنَى وفي كتب المناسك هو وادي النار وقيل لأنهُ موقف النصارى. وأنشد عُمر رض حين أفاض من عرّفة إلى مزدلفة وكان في بطن محسر :

إليك يعدو قلقًا وضينا مُخالفًا دين النصارى دينا

امَّا « مقبرة النصارى » المذكورة هناك فهي التي دعاها عبد الله بن الزبير ( الأغاني

١٣ : ٤٠ ) « بمقابر المشركين » . وقرب مكَّة أيضًا « ذات حَبِيس » اسم مكان جاء ذكرهُ في الحديث ( تاج العروس ٤ : ١٣٥ ) ولعلَّهُ سُمي بذلك لحبيسٍ من رهبان النصارى نسك هناك

( ص ١١٩ س ١ ـ ٢ الحنيفيَّة شيعة نصرانيَّة ) ورد في شعر جرير ما يؤيد ذلك حيث يهجو بني دِرْهم اصهارَ الفرزدق ( اطلب نقائض جرير والفرزدق ص ٥٩٥ )

وحالفتُمُ لِئُؤْمِ يا آلَ درهمٍ حِلاَفَ النصارى دين من يتحنَّفا

( ـ س ٦ . الأيمن بن خُرَيْم ) هو من الصحابيين ذكرهُ ابن عساكر في تاريخ دمشق ( ٣ : ١٨٦ ـ ١٨٩ ) وروى بيتَهُ الأوَّل مصحّفًا « لم يَطْف بها جنيفٌ ولم يسفر بها ساعدٌ قدرُ »

( ـ س ٢٠ عبيد الله بن جحش ) قال الطبري في تاريخهِ ( ٣ : ٢٤٤٥ ) « وكان عبيد الله بن جحش هاجر بامّ حبيبة معهُ ( وهي ابنة ابي سفيان ) إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية فتنصَّر وارتدَّ عن الإسلام » وابنتهُ زينب بنت جحش كانت زوجة زيد بن حارثة مولى محمَّد نبي الإسلام وكان نصرانيًّا ثمّ تزوَّجها محمَّد في حياة زوجها

( ص ١٢٠ س ٦ عثمان بن الحويرث ) كان من قريش وذكر الفاكهيّ في كتابهِ المنتقى في اخبار امّ القرى ( ص ١٤٣ ـ ١٤٤ ) انَّ قيصرًا ملك الروم ملَّكهُ على قريش بمكَّة بكتاب مختوم في أسفلهِ بالذهب » . وقال ياقوت في معجم البلدان ( ١ : ١٢٨ ) وكان عثمان بن الحويرث هجَّاءً لقريش عالمًا بمثالبها »

( ـ س ١٣ . أبو قيس صرمة بن أبي أنس ) كان من بني النجَّار اختلفوا في اسمهِ فقالوا صرمة بن أنس وصرمة بن قيس وصرمة بن أبي أنس. ومن أقوالهِ الدالَّة على نصرانيَّتهِ

أقولُ إذا صلَّيتُ في كلّ بيعةٍ حنانَيْك لا تُظْهر عليَّ الأعاديا

ومن حكمهِ قولهُ :

يقولُ أبو قيسٍ واصبحَ ناصحًا ألاَ ما استطعتم من وَصاتيُ فافعلوا
أوصّيكم بالله والبرّ والتقى وأعراضِكم والبرُّ بالله أوَّلُ
وانْ قومكم سادوا فلا تحسدُنّهم وان كنتم أهل الرئاسة فاعدلوا

وقال في نصرانيَّتهِ عنهُ تعالى :

ولهُ شمَّس النصارى وقاموا كلَّ عيدٍ لهُ وكلّ احتفالِ

( ص ١٢٠ س ١٦ . زيد بن حارثة ) كان هذا نصرانيًّا من بني كلب أسرَهُ غُزاةٌ من العرب فباعوهُ في عُكاظ واشترتهُ خديجة وأهدتهُ زوجها محمَّدًا رسول الإسلام فأخذ زوجتهُ زينب

ومن موالي محمَّد النصارى شقران وكان عبدًا حبشيًّا لعبد الرحمان بن عوف فأهداهُ نبيّ المسلمين ( أسد الغابة لابن الأثير ٣ : ٢ ) حضَر موت محمَّد ومات بالمدينة

ومنهم عَدَّاس. قال ابن الأثير ( ٣ : ٢٨٩ ) : « كان مولى شبيبة بن ربيعة بن عبد شمس من أهل نينوى الموصل كان نصرانيًّا »

ومن موالي محمّد النصارى أيضًا أبو لقيط قال ابن الأثير ( ٥ : ٢٨٦ ) : « كان حبشيًّا وقيل كان نوبيًّا من موالي النبي صلعم بقي إلى أيَّام عمر بن الخطّاب »

( ـ س ١٧ . عُتْبة بن أبي لهب ) قال أبو الفرج في الأغاني ( ١٥ : ٢ ) : « كان النبي صلعم زوَّج عتبةَ إحدى بناتهِ فلمَّا بعثَهُ الله تعالى نبيًّا أقسمَتْ عليهِ امُّ جميل ان يطلّقها فجاء إلى النبي صلعم فوقف عليهِ فقال : يا محمّد أشهد أني نصرانيّ قد كفرت بربّك وطلَّقت ابنتك فدعا عليهِ رسول الله صلعم ... فبعث الله عزَّ وجلَّ عليهِ اسدًا فافترسهُ » ( كذا )

وذكر السيّد جعفر البيتي في مواسم الأدب ( ٢ : ٢٠٢ ) عُتْبة آخر نصرانيًّا وهو عتبة بن أبي ربيعة قال « لقي النبي صلعم بالطائف لمَّا خرج يدعوهم قُتل يوم بدر على النصرانيَّة »

ومن نصارى قريش النضر بن الحارث بن كَلَدة الذي أمر بقتلهِ محمّد وكان النضر ابنَ خالتهِ معاديًا لهُ ثمَّ ندم على قتلهِ بعد أن سمع عِتاب أختهِ قتيلة ( راجع الأغاني ١ : ١٠ ). وأبوهُ الحارث هو المعروف بطبيب العرب وكان كلاهما نصرانيًّا. وكان في مكَّة في عهدهِ طبيب نصرانيّ آخر وهو أبو داود عبد الرحمان مات نصرانيًّا

( ص ١٢١ س ٤ كتاب الخراج ) هو كتاب الامام أبي يوسف يعقوب وضعهُ لهارون الرشيد

( ص ١٢٤ س ٢ قبائل العرب المتنصِّرة ) ممَّا لا ينكر انَّ النصرانيَّة كانت

غلبت على الحيرة حاضرة ملوك المناذرة منذ القرن الرابع. وقد اثَّرت نصرانيَّتها في كثير من قبائل العرب التي كانت تسكنها أو تتردَّد إليها. قال ياقوت في معجم البلدان ( ٢ : ٢٧٨ ): (( صار في الحيرة من جميع القبائل من مَذْحج وحِمْيَر وطيء وكلب وتميم ونزل كثيرٌ من تنوخ الانبارَ والحيرةَ إلى طَفّ الفرات وغربيّهِ ... ثمَّ كره كثيرٌ من تنوخ المقام في العراق وان يَدينوا لأَردشير فلحقوا بالشام وانضمُّوا إلى ما هناك من قضاعة. وأهل الحيرة ثلثة أصناف : فثُلثٌ تنوخ وهم أصحاب المظالّ ينزلون غربي الفرات فيما بين الحيرة والانبار فما فوقه. والثلث الثاني العباد وهم الذين سكنوا الحيرة وتعبَّدوا لملكها. والثلث الثالث الأحلاف الذين لحقوا بالحيرة ))

( ص ١٢٤ س ١٤ . الاوس ) من زعماء بني اوس النصارى عبد الحرث بن عبد المسيح الاوسي الذي قُتل يوم مرج راهط ( الأغاني ٢٠ : ١٢٨ ). وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان ( ٤ : ٤٦٣ ) الاوس والخزرج وحلولهم المدينة بعد مقاتلتهم لليهود فيها بمساعدة مالك بن عجلان وأبي جبَلة الغسَّاني. وفي هذا الخبر ما يشعر بنصرانيَّة القبيلتين ولولا دينهما لما قدمَ أبو جبلة للدفاع عنهما

( ـ س ١٧ . اياد ) ممَّا يثبت أيضًا نصرانيَّة اياد عدَّة أديرة بنوها في ديارهم وذكرها ياقوت في معجم البلدان كدير السَّوَا ( ٢ : ٦٧٢ ) ودير قُرَّة ( ٢ : ٦٧٥ ) وغيرهما. وقد ذكر الفاسيّ في شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ( ص ١٣٤ و١٣٧ éd. Wüstenfeld ) ولاية اياد بن نزار للكعبة بعد جرهم وقبل قريش. وذكر هناك أحد أُمرائهم دعاهُ وكيع بن سلمة ( قال ) كان من الصالحين بنى صرحًا وجعل فيهِ سلَّمًا كان يرقاهُ ليناجي الله تبارك وتعالى وإليهِ أشار شاعر من بني اياد بِشْر بن الحجر قال :

ونحن أيادٌ عبادُ الإله ورهطَ مُناجيهِ في السُلَّم
ونحنُ ولاةُ حجابِ العتيق زمان النخاع على جُرهم

( قال ) وقامت نائحة وكيع على أبي قبيس فقالت :

لا هلك الوكيع اخو أياد سلامُ المرسَلين على وكيع
مناجي الله مات فلا خلودٌ وكلُّ شريفِ قوم في وضوع

ففي هذا الخبر ما يُشْعر بنصرانيَّة اياد ولعلَّ وكيعًا أحد الرهبان المتنسكين في الصوامع. ومن ظريف ما رواه ياقوت في معجم البلدان ( ١ : ٨٦٩ ) عن أحد بني اياد

الذي وقع أسيرًا في أيدي المسلمين فعرض عليهِ هشام الخليفة الأموي أن يجحد النصرانيَّة فأبى قائلاً : ما كنتُ لأَرجع عن ديني. فأَقبلَ به هشام وأَدبرَ وهو يأبى فأمر بضرب عنقهِ وكان في طريقهِ دخل كنيستَيْ الرها فصلَّى فيهما

( ص ١٢٥ س ٧ . بَهْراء ) اطلب ما ورد عن نصرانيَّة قبيلة بهراء في مجموعة مكتبتنا الشرقي ج ١ ص ٢٧٢ ( MFO, I, 272 ) وكتاب العلاَّمة رينه دوسُّو عن النُّصيريين ( Dussaud: *Hist. et Religion des Nosairis*, p. 68, 95 etc ) وممَّا ورد في المسالك والممالك لابن حوقل ( ص ١٨ ) : « وبعض العرب تنصَّر ودان بدين النصرانيَّة مثل تغلب في ربيعة بارض الجزيرة وغسَّان وبهراء وتنوخ بأرض الشام »

( ـ س ١٧ تغلب ) قال ابن خلدون في تاريخهِ ( ٢ : ٣٠١ ) : « وبنو وائل بطن عظيم متَّسع أشهرهُم بنو تغلب وبنو بكر بن وائل ... فلبني تغلب شهرةٌ وكثرة وكانت بلادهم بالجزيرة الفراتيَّة بجهات سنجار ونصيبين وتُعرف بديار ربيعة وكانت النصرانيَّة غالبة عليهم لمجاورة الروم » . وممَّا روى في الأغاني ( ١٦ : ٥٣ ) قَتْلُ محمَّد نبي الإسلام لأحد رؤساء تغلب لثباتهِ على دينهِ. جاء هناك : « قال أبو عمرو : وكان لتغلب رئيس يقال لهُ الجرَّار وادرك النبيّ صلعم وأبى الإسلام وامتنع منهُ فيقال انّ رسول الله صلعم بعث إليهِ زيد الخيل وامرهُ بقتالهِ فمضى زيد فقاتلهُ فقتلهُ لمَّا أبى الإسلام » وممّا أنشد الفرزدق في مديح تغلب قولهُ ( النقائض ص ٨٨٨ ) :

لولا فوارسُ تغلبَ ابنةِ وائلٍ نزل العدوُّ عليك كلّ مكانِ
حبسوا ابن قيصرَ وابتنوا برماحهم يوم الكُلاب كأكرم البنيانِ
قوم إذا وُزنوا بقوم فُضّلوا مِثْلَيْ موازنهم على الميزانِ

ويدلّ على ثبات تغلب في نصرانيَّتها انَّهم تقرَّبوا إلى الفرنج في زَحفاتهم على الأراضي المقدَّسة وقد ذكر المقريزي في الخطط انَّهم كانوا مع جذام سنة ٥٧٧ هـ يرسلون لهم الغلاَّت

( ص ١٢٦ س ١٠ تميم ) جاء في الأغاني ( ٨ : ١٨٩ ) عن تميم ما حرفُهُ : « انَّ بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة فاستلبوهُ وأجمعت العرب عليها لِما انتهكت ما لم ينتهكهُ أحد قطّ فأَجْلَتْها من أرض تهامة » . وقد افتخر جرير

في شعرهِ بأَنَّ تميمًا أجدادهُ كانوا ينتسبون إلى اسحاق بن ابرهيم الخليل وليس لاسمعيل (نقائض جرير ص ٩٩٤) قال :

أبونا أبو اسحاقَ يجمعُ بيننا ابٌ كان مَهديًّا نبيًّا مطهَّرا
فيجمعُنا والغُرَّ أبناءَ سارةٍ ابٌ لا نبالي بعدهِ من تغدَّرا

( ص ١٢٦ س ٢٣ من سُمّي بمحمَّد في الجاهليَّة ) قد أحصى ابن بريّ منهم كما ترى سبعةً. وقد جعلهم غيرهُ ثلثة فقط كابن قتيبة في المعارف وابن خلكان في تراجم الأعيان والسهيلي في الروض وابن فورك في الأصول ( مواسم الأدب للبيتي ٢ : ١٠٨ ) وهم محمّد بن سفيان جدّ الفرزدق التميميّ ومحمّد بن أُحَيْحة بن الجلاج أخو عبد المطلب بن هاشم لامّهِ ومحمَّد بن عمران بن ربيعة. وجاءَ في كتاب انساب الاشراف للبلاذري (Ms de Gotha, ff. 355, ZDMG, 1884, p. 389) انهم ستَّة : « محمَّد بن سفيان ومحمَّد بن الحرماز ومحمَّد الشويعر بن حمران الجعفي ومحمَّد بن عقبة بن احيحة بن جلاح الاوسي ومحمَّد بن مالك التميميّ ومحمّد بن مسلمة الانصاري » . امَّا سپرنغر في سيرة محمّد (A. Sprenger I, 161) فانَّهُ بلَّغ عدد المسمَّين بمحمَّد في الجاهليَّة عشرة أولهم محمَّد الخزاعي السلمي الذي رحل إلى أبرهة ملك الحبشة في اليمن وتنصَّر ثمَّ محمَّد بن سفيان اسقف بني تميم. ثم محمَّد الهمداني ومحمَّد الأُسَيْدي ومحمد العكيمي ومحمَّد بن أسامة السعدي ومحمَّد بن لَجْلج ومحمَّد بن حارث ومحمَّد بن عمر بن مغفل ومحمَّد بن أُحيحة بن الجلاح

( ص ١٢٧ س ١ تنوخ ) اطلب أيضًا لنصرانيَّة تنوخ مجلّة الإسلام الألمانيّة ( Der Islam. IV, p. 387 ) ومن تنوخ كان حيّ بني ساطع. ذكرهم البكري في معجم ما استعجم (ص ٣٧٢) ونسب إليهم مستندًا إلى أبي الفرج بناءَ دير قديم في الحيرة يعرف بدير حنَّة قال : « تُحاذيه منارة عالية كالمرقب تسمى القائمة لبني أوس بن عمرو »

( ـ س ١٥ نصرانيَّة جذام ) ذكرها أيضًا الجاحظ في كتاب الحيوان ( ٧ : ٦٦ ) اطلب كذلك مجموعة مكتبتنا الشرقي ( MFO, $v^2$. 588-619 )

( ـ س ٢١ نصرانيَّة جَرْم ) ابتنى سنة ٣٢٠ م يوحنَّا الكشكرانيّ ديرًا في

ديار بني جرم ( اطلب اخبار فطاركة كرسيّ المشرق لماري بن سليمان ص ٣٦ ). وقد بقيت آثار النصرانيَّة في جرم بعد الإسلام. وممَّا أخبرهُ المقريزيّ انَّ بني طيء وجرم وثعلبة حالفوا الفرنج لمَّا قدموا إلى الشام وفتحوا القدس وسواحل الشام (Mémoires de Quatremère II, 190-1)

( ص ١٢٨ س ٨ بنو السمط والحدَّاء ) روى البيتين في معجم البلدان في وصف زورة مع غيرهما ( ٢ : ٩٥٧ ) ونسبهما الجاحظ في كتاب الحيوان ( ٥ : ٥٢ ) لأبي الطمحان الأسدي وهو يروي : « بنو الصلب والحدَّاء » . وفي كتاب البيان للجاحظ (٢ : ٧١) ويروى لبشر بن أبي الخازم في مدح بني حدَّاء قولهُ :

لله درُّ بني حدَّاءَ من نَفَرٍ وكلُّ جارٍ على جيرانهِ كَلِبُ
إذا غدوا وعصيّ الطَّلْح أرجلهم كما تُنَصَّبُ وسط البيعةِ الصُّلُبُ

( ص ١٢٩ س ١٧ حنيفة ) هو حنيفة بن لُجَيْم بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل وحنيفة اخو عِجْل بن لُجَيْم. وإليهم أشار الاخنس بن شهاب بقولهِ عن بني بكر :

وبكرٌ لها ظهرُ العراق وان تشأْ يَحُلْ دونَها من اليمامة حاجبُ

راجع المفضَّليَّات ( ص ٤١٥ ). وكانت حنيفة تسكن أيضًا الرصافة وكانوا أقاموا عليها صليبًا في أيَّام النعمان لأنهُ كان نصرانيًّا ( معجم البلدان ٢ : ١٥٥ ) ولمَّا ظهر الإسلام ردُّوا دعوة رسولهِ وقد جاء في سيرة النبي لابن هشام ( ص ٢٨٣ ) : « قال ابن اسحاق وحدَّثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك انَّ رسول الله صلعم أتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسهُ فلم يكن أحد من العرب أقبَحَ ردًّا عليهِ منهم »

( ص ١٣١ س ٣ سليح ) ذكر ياقوت في معجم البلدان ( ٢ : ١٨٥ ) حاضِرَ قِنّسرين ومن يقيم بهِ من العرب قال : « قال أحمد بن يحيى بن جابر كان حاضرُ قِنّسرين لتنوخ منذ أوَّل ما تَنَخُوا بالشام ونزلوهُ وهم في خِيَم الشعر ثمَّ ابتنوا بهِ المنازل. ولمَّا فتح أبو عبيدة قنّسرين دعا أهل حاضرها إلى الإسلام فأسلم بعضهم وأقام بعضهم على النصرانيَّة فصالحهم على الجزية وكان أكثر من أقام على النصرانيَّة بني سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. وأسلم من أهل ذلك الحاضر جماعة في خلافة المهدي »

( ص ١٣١ س ١٨ . شيبان ) من نصاراها الاشراف عُمَيْر بن السليل ابن أخي بسطام بن قيس. ومنهم مفروق وكان من رجالهم لسانًا وبيانًا ( ابن دريد في الاشتقاق )

( ص ١٣٢ س ٧ ـ ٨ هانئ بن قبيصة ) تجد شيئًا من اخبارهِ في معجم البلدان لياقوت في مادَّة « الغبيطان » ( ٣ : ٧٧٤ ) وفي مادَّة « قار » ( ٤ : ١٠ )

( ـ س ١٠ ضُبَيْعَة ) ذكر الطبري في تاريخهِ ( ١ : ٢٠٣٢ ) ضُبَيْعة في جملة نصارى العرب مع بني عجل وتيم اللات

( ـ س ١٣ طيء ) كانت طيء تسكن في نجد شرقيّ مدائن صالح في جبلَيْ اجأ وسلمى. ومن جبالهم مَلَكان كان يقال لهُ ملكان الروم. قال ياقوت ( ٤ : ٢٧٢ ) : « دُعي بذلك لأَن الروم كانت تسكنهُ في الجاهليَّة » وكان قسم من بني طيء يسكنون الحيرة ذكرهم في الاعلاق النفيسة لابن رُسْته مع نصارى تميم وسُلَيْم قال ( ص ٣٠٩ ) : « وعِلْية أهل الحيرة نصارى فمنهم من قبائل العرب على دين النصرانيَّة من بني تميم آل عديّ بن زيد العبادي الشاعر ومن سُلَيْم ومن طيء ومن غيرهم »

( ص ١٣٤ س ٩ تسمية نصارى الحيرة بالعباد ) ذكر البكري في معجم ما استعجم ( ص ١٨ ) سببًا آخر لتسميتهم بالعباد قال : « قال أحمد بن أبي يعقوب انَّما سُمِّي نصارى الحيرة العباد لأنه وقد على كسرى خمسة منهم فقال لأحدهم: ما اسمك. قال عبد المسيح. وقال للثاني : ما اسمك. قال : عبد ياليل. وقال للثالث : ما اسمك. قال : عبد يسوع. وقال للرابع : ما اسمك. قال : عبد الله. وقال للخامس : ما اسمك. قال : عبد عمرو. فقال كسرى أنتم عباد كلكم فسُمُّوا العباد »

( ـ س ١٤ عبد القيس ) راجع ما كتبهُ عنهم ركندورف في دائرة علوم الإسلام (Encycl. de l'Islam I, 46-47)

( ـ س ١٧ بحيرا الراهب ) ذكرهُ الطبري في تاريخهِ ( ١ : ١١٢٤ ـ ١١٢٥ ) وروى ما يتناقلهُ المسلمون عنهُ وعن اجتماع نبيّ المسلمين بهِ عند رحلتهِ إلى الشام إذ كان ابن اثنتي عشرة سنة. وقال السيّد أبو جعفر البيتي في مواسم الأدب ( ٢ : ٢٠٢ ) انَّهُ كان يُسمَّى جرجس. وامَّا النصارى فيدعونهُ نسطوريوس ويروون قصَّتهُ مع نبيّ المسلمين على خلاف ما يذكرها مؤرخو الإسلام. راجع الرسالة عبد المسيح الكندي إلى الهاشمي طبعة لُنْدن سنة ١٨٨٥ ( ص ١٢٨ ـ ١٣٠ )

( ص ١٣٤ س ٢٠ الرئاب الشنيّ ) اطلب كتاب الأغاني ( ١٥ : ٧٦ )

( ص ١٣٥ س ١٠ ـ ١١ خالد بن سنان ) قرأنا في أحد مخطوطات باريس ( Ms, 2455, ff. 2 ) انهُ كان من ولد اسمعيل وعاش بعد المسيح بثلثمائة سنة. وفي هذا نظرٌ فانَّ ابن العربيّ في محاضراتهِ ( ١ : ٩٥ ) يزعم انَّ ابنتهُ جاءت محمَّدًا فقال لها : « مرحبًا بابنة نبيٍّ أضاعهُ قومهُ »

( ص ١٣٦ س ١٧ هجو بني عجل ) يُضاف إلى ما أوردنا قول الابَيْرد الشاعر ممَّا يثبت نصرانيَّة بني عجل ( الأغاني ١٢ : ١٣ ) :

تُحيّا االمسلمون إذا تلاقَوْا وعجل ما تحيَّا بالسلامِ

ومثلهُ تعييرهُ لهم شرب الخمر :

ولكنَّها هانت وحُرِّم شربها فمالت بنو عجلٍ لما هو اكفرا

راجع أيضًا كتاب معاوية ( Lammens: *Mo'awia*, p. 436-438 )

( ـ س ٢٦ غسَّان ) يُضاف إلى شواهدنا عن نصرانيَّة غسَّان قول ابنُ رُسْتَه في كتاب الاعلاق النفيسة ( ص ١٢٧ ). وقد ذكر النابغة الذبياني في شعرهِ ( شعراء النصرانيَّة ص ٦٥٥ ) ثلثة احياء من غسَّان فقال :

مُستشعرين قد ألْفَوْا في ديارهمُ دُعاءَ سُوعٍ ودُعْميٍّ وأَيُّوبِ

قال الشارح « هم احياء من اليمن من غسَّان وهم نصارى وقيل هم رهبان. راجع أيضًا في نصرانيَّة غسَّان ( Duchesne: *Églises séparées*, p. 340-342 )

( ص ١٣٧ س ١٧ قضاعة ) كانت من أعظم قبائل العرب عددًا وأكثرها بطونًا وفروعًا. وجاء في مُعجم ما استعجم للبكري ( ص ١٧ ) ان شعارهم يوم حاربهم سابور كان « يا لِعباد الله فسُمُّوا العباد » . والنصرانيَّة المنسوبة لقضاعة اجمالاً رُبَّما نُسبت أيضًا إلى فروعها. كبني عامر بن ثعلبة بطن من قضاعة وهم رهط هدبة بن الخشرم الشاعر النصرانيّ. وكبني رقاش بطن آخر من قضاعة يدعوهم هُدْية ( راجع حماسة أبي تمَّام ص ٢٣٤ ) بأُمَّة المسيح. وكبني تميم اللات الذين عدَّهم الطبري في تاريخهِ ( ١ : ٢٠٣٢ ) في جملة نصارى العرب مع بني عجل وضُبَيْعة

( ص ١٣٨ س ٤ ) فاتنا أن نذكر هنا قيس عيلان والمتنصّرين منها. ومن الشواهد على ذلك ما ورد في نقائض جرير الأخطل ( éd. Salhani, p. 17 ) لأبي ثُمامة الكلبيّ يذكر مرج راهط :

وعهدي بهم في المرج حين تنصَّرتْ مشايخُ قيسٍ غير شيخٍ محاربِ

وقال جوَّاس الكلبيّ من بني عدي بن جناب في ذلك اليوم :

فلو كنتُ من قيس بن عيلان لم أَجِد فخارًا ولم أَعدل بأن اتنصَّرا

وقد روى في الحماسة أبياتًا من هذا الشعر ونسبها ( ص ٦٥٦ ) إلى عمرو بن مِخْلاة الحمار الكلبي

ومن قيس عيلان كانت بنو سُلَيم بن منصور بن عكرمة وقد سبق أنَّ ابن رُسْته في الاعلاق النفيسة ( ص ٣٠٩ ) ينظمهم بين نصارى العرب مع طيء وتميم. ومثلهم بنو عامر بن صعصعة ( Cfr. Journ. As., 5e S., v. 1855 [1], p. 371 )

( ـ س ٩ كَلْب ) كان بنو كلب قبل تنصّرهم يعبدون صنمًا اسمهُ وَدّ ثم دانوا بالنصرانيَّة ورسخ قدمهم فيها. وقد ورد في سيرة الرسول لابن هشام ( ص ٢٨٢ ) « انَّ محمَّدًا أَتى كلبًا في منازلهم إلى بطنٍ منهم يقال لهم بنو عبد الله فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسهُ ... فلم يقبلوا منهُ ما عرض عليهم » وممّا رواهُ ابن خلدون في تاريخهِ عن ابن سعيد ( ٢ : ٢٤٩ ) :

« وكان لقضاعة ملك آخر في كلب بن وَبَرة يتداولونهُ مع السكون من كندة فكانت لكلب دومة الجندل وتبوك ودخلوا في دين النصرانيَّة وجاء الإسلام والدولة في دومة الجندل لأُكيدر بن عبد الملك بن السكون ويقال انهُ كندي من ذرية الملوك الذين ولأَهم التبابعة على كلب فاسرهُ خالد بن الوليد ... وبقيت بنو كلب الآن في خلقٍ عظيم على خليج القسطنطينيَّة منهم مسلمون ومنهم متنصّرون

ومن نصارى كلب امرؤ بن اصبغ كان زعيم قومهِ عند ظهور الاسلام وثَبَتَ على دينهِ عند دعوة محمّد ( اطلب اسد الغابة لابن الأثير ١ : ١١٥ )

( ص ١٣٩ س ٣ كندة ) اطلب أيضًا شاهدًا على نصرانيَّتها : Max Muller *Sacred Books of East*, p. XVI

( ص ١٣٩ س ٢١ ) كان حقُّنا أن نذكر في جملة القبائل المتنصرة قبل الإسلام قبيلة « لحيان بن هُذَيْل بن مدركة بن الياس بن مضر وإلى نصرانيَّتها أشار حاتم الطائي في قولهِ :

وما زلتُ أسعى بين نابٍ ودارةٍ بلِحْيان حتَّى خفتُ أن اتنصَّرا

( ـ س ٢٥ مذحج ) كان سيّد مَذْحج يزيد بن عبد المدان من أشراف النصارى في نجران ( الأغاني ١٠ : ١٤٩ )

( ص ١٤٠ س ٢٥ النبط ) ومن الدلائل على نصرانيَّة النبط انهم لم يختتنوا قال الشاعر ( تاج العروس ٣ : ٥٦٥ )

كأَنَّ على أَكتافهم نَشْرَ غَرْقَدٍ وقد جاوَزوا نَيَّانَ كالنَّبَطِ الغُلْفِ

وقد جاء في كتب السريان عن عبد يشوع السائح انَّهُ بشَّر النبط في المدينة وفي جهات عمان كما بشَّر عبد يشوع الجاثليق بعضًا من بلادهم ( J. As, 1835[1], p. 129 )

( ص ١٤٦ س سُقُطرى ) ذكرها الناخُذاة أبو زيد في كتاب سلسلة التواريخ. (éd. Reinaud, 133-135) من آثار القرن العاشر للمسيح قال عن سُقُطرى : « بها منابت الصبر وهو الدواء الأعظم ... حتى بعث الله عيسى عليهِ السلام فبلغ مَن بهذه الجزيرة امرهُ فدخلوا في جملة ما دخلت فيهِ الروم من التنصُّر وبقاياهم بها إلى هذا الوقت مع سائر من سكنها من غيرهم » . وأخبر السائح الإيطالي مركو باولو « انه مرَّ بها في القرن الرابع عشر فوجد أهلها نصارى يرعاهم رئيس أساقفة يرسلهُ إليهم جاثليق النساطرة من بغداد ... » ولمَّا استولى عليها المسلمون وأخذوها من البرتغاليين أكرهوا أهلها على أن يدينوا بالإسلام »

**تمت الملحوظات على الجزء الأول من الكتاب**

## الجزء الثاني

( ص ١٥٢ س ٧ كتابة المسند في بني حمير ) إلى هذه الكتابة يشير أبو ذؤيب بقوله ( لسان العرب ١٨ : ٣٠٦ )

عرفتُ الديار كخطِّ الدويّ م حبَّرهُ الكاتب الحميري

( ص ١٥٣ س ٣ أوَّل من كتب بالعربيَّة ). لا يعرف تمامًا أوَّل من كتب بالعربيَّة. وأَقدمُ خطٍّ عربي يُعرف اليوم كتابةُ زَبَد النصرانيَّة الراقية إلى ١١٠ سنوات قبل الهجرة. يليها كتابة حرَّان في بلاد حوران تقدَّمت ٥٤ سنة على الهجرة وهي أيضًا كتابة نصرانية. ثمَّ نرى الكتابة العربيَّة شائعة في العراق ولاسيَّما في الحيرة. وممَّن يُذكر انَّهم عرفوا الكتابة العربيَّة عدي بن زيد. ورد في الأغاني ( ٢ : ١٩ ) انّ عديّ بن زيد وزير النعمان أبي قابوس كان تعلم مع أولاد المرازبة الكتابة الفارسيَّة ثمَّ كتب لكسرى بالعربيَّة قال أبو الفرج « كان عدي أوَّل من كتب بالعربيَّة في ديوان كسرى » ولعلَّهُ تعلَّم ذلك من جدّهِ حمَّار وأبيهِ زيد. وقد روى صاحب الأغاني عن حمّار ( ٢ : ١٩ ) انهُ « خرج من اكتب الناس وصار كاتب النعمان الكبير » وقال عن زيد انهُ « حذق الكتابة والعربيَّة » . وممَّن تعلَّم الخطّ من قريش بعد ذلك بزمان أبو سفيان بن أميَّة وأخوهُ حرب بن أميَّة. قال الطبريّ في تاريخهِ ( ٢ : ٨٣٦ ) أوَّل من كتب بالعربيَّة من العرب حرب بن أميَّة. وجاء في شرح العقيلة وفي الاشتقاق لابن دُرَيْد وفي أماليه انَّ بشر بن عبد الملك الكندي تعلَّم الخطّ العربي وهو الجزم في الانبار من مرامِر واسلمَ الطائيَّين وخرج إلى مكَّة فتزوَّج الصهباء ابنة حرب بن أميَّة وقيل الصفيَّة بن الحارث فعلَّم الخطّ سفيان بن حرب وتعلَّمهُ معاوية من عمهِ سفيان وكثر من يكتب بمكَّة من قريش

وقال في كتاب لطائف المعارف للثعالبي ( Ms de Leide p. 39 ) : كتَّاب الإسلام : جاء الإسلام وفيهم ( أي العرب ) بضعة عشر رجلاً يكتبون بالعربيَّة : عُمَر وعثمان وعلي وطلحة وعثمان وإبان ابنا سعيد حُذيفة بن عُتبة بن ربيعة وأبو سفين بن حرب وابناهُ يزيد ومعاوية وحاطب بن عمرو بن عبد شمس والعلاء بن الحضرميّ وأبو سلَمة بن عبد الاشهل وعبد الله بن أبي سرح وحويطب بن عبد العزَّى « وكان عبد الله

ابن أبي سَرْح يكتب للنبي صلعم ثمَّ ارتدَّ ولحق بالمشركين وقال : انَّ محمَّدًا يكتب ما شئتُ. فلمَّا كان يوم فتح مكة جاء بهِ عثمان وكان بينهما رضاع فاستوهبهُ النبيّ فوهبهُ لهُ »

وممَّا يدخل في هذا الباب ما رواهُ ياقوت في باب نُقَيْرة ( ٤ : ٨٠٧ ) : « قال انَّ خالد بن الوليد لمَّا خرج إلى عين تمر وجدوا في كنيسةٍ صبيانًا يتعلَّمون الكتابة في قرية يقال لها عين تمر وكان فيهم حمران مولى عثمان بن عفَّان رض »

( ص ١٥٤ س ٦ ) « مَسْنَد » الصواب « مُسْنَد » وهو خطّ بني حِمْير. ويروى الشطر الثاني من البيت : « وما زبَّرَتْ في الصُّحف أقلامُ حميرا »

( ص ١٦٠ س ١٨ لك الحمدُ ) وردت هذه الأبيات في كتاب الحيوان للدميري ( ٢ : ١٩٥ ) وروى هناك : « والنعماءُ والفضلُ .. حمدًا وامجدُ » وذكر أيضًا قول محمد نبيّ الإسلام لمَّا سمع هذه الأبيات

( ص ١٦١ س ٨ سمَّاهُ اميَّة مقدَّسًا ) وكذلك دعوهُ قدُّوسًا قال العجَّاج ( لسان العرب ٨ : ٥١ ) : « عَلِم القدُّوس مولى القُدسِ » ومثلهُ للأخطل ( أغاني ٨ : ٨٥ ) : « قدُّوس قدُّوس »

( ص ١٦٥ س ٢٥ ـ ٢٩ علقمة بن العبد ) والصواب ابن عَبَدة ويُعرف بالفحل. وروى في المفضَّليات ( ص ٧٨٠ ) قولهُ فلستَ لإِنْسيّ : « فلستَ بجنيّ »

( ص ١٦٧ س ٧ و٢٠ جهنَّم ) ورد في تاريخ دمشق لابن عساكر ( ٣ : ١٢٤ ) : قال عبد الله بن مسلم الدينوري : سُئلتُ هل وجدتُ لجهنم ذكرًا في الشعر القديم نقلتُ : هذا يحتاج إلى تتبُّع وطلبٍ وقد اتذكَّر فلم اذكر الاَّ شيئًا وجدتهُ في شعر اميَّة بن أبي الصلت فانهُ قال :

فلا تدنو جهنّمُ من بريءٍ ولا عَدْنٌ يُطالعها أثيمُ
إذا شبَّت جهنَّم ثمَّ وارتْ وأعرض عن قوانسها الجحيمُ

وروى البيت في المخصّص ( ٩ : ٦ ):

جهنَّم تلك لا تُبقي بغيّا وعَدْنٌ لا يطالعها رجيمُ

وذكر للعُدَيل بن الفرج ( ياقوت ٤ : ١٠١٧ ) قولهُ في نار جهنم وجنَّة الخُلْد :

أَما ترهبان النار ابنَيْ ابيكما ولا ترجوانِ الله في جنَّة الخُلْدِ

وقد ورد اسم جهنَّام في شعر الأعشى قال ( التاج ٧ : ٣٧٢ ) :

دعوت خُليليِ مِسْحَلاً ودعوا لهم جهنَّامَ جدعًا للهجينِ المذمَّمِ

( قال ) مِسْحَل شيطان الأعشى. وكذلك قال الفرزدق ( نقائض جرير والفرزدق ٧٦٨ ـ ٧٦٩ ) :

لقد قلَّدتُ حِلْف بني كُلَيْبٍ قلائد في السوالف باقياتِ
قلائد ليس من ذهبٍ ولكن مواسم من جهنّم مُنْضجاتِ

( ص ١٧١ س ٢٧ اسمهُ تعالى الديَّان ) جاء في حماسة البحتري لعَتاهية بن سفيان الكلبيّ ( ع ٣٩١ ) :

فاضحَوْا أحاديثًا لغادٍ ورائحٍ يدينُهُمُ بالخيرِ والشرِّ ديَّانُ

( ص ١٧٣ س ١١ النذر ) ويروى لثعلبة بن عمرو ( المفضَّليات ٥١٣ ) :

أَقسمَ ينذرُ نذرًا دمي وأَقسمت أن نِلْتُهُ لا يؤوبُ

( ص ١٧٨ س ٢٢ التسبيح ) قال جرير ( نقائض جرير والفرزدق ) :

أَنَخْنا فسبَّحنا ونوَّرتِ السُّرىبأَعرافِ ورد اللون بُلْقٍ شواكلُهْ

قال الشارح : فسبَّحنا يريد فصلَّينا الغداة والسُّبْحة الصلاة ويقال السبحة النافلة

( ص ١٨٠ س ٦ الوحي ) وممَّا قيل في الوحي قول أبي قُصاقص لاحق النصري في وصف دار ( ياقوت ٢ : ١٤٣ ) :

عفَتْ وخلَتْ حتَّى كأنَّ رسومَها وُحِيُّ كتابٍ في صحائف مُصحَحُ

وقال جرير ( ياقوت ٣ : ٦٦٨ ) :

بين المحصَّر والعزَّاف منزلةٌ كالوحي من عهد موسى في القراطيسِ

( ص ١٨٢ س ٢٠ السورة ) وردت السُورة أيضًا في كتاب الشجر والنبات ( البلغة ٢٢ : ٢٣ ) لجندل بن المثنَّى :

يا ربُّ ربَّ المُرْسَلين بالسُّوَرْ بحِكَمِ الفُرْقانِ يُتْلى والزُبُرْ

وقال جرير يهجو البعيث الشاعر وكان كالفرزدق من بني مجاشع النصارى ( نقائض جرير والفرزدق ) :

انَّ البعيث وعبدَ آلِ مقاعسٍ لا يقرأون سُورة الاحبارِ

( قال ) : عبد آل مقاعس هو الفرزدق. واراد بسورة الاحبار ما ورد فيها : « أَوْفُوا بالعقود »

( ص ١٨٤ س ١٣ الزبور ) وممَّن ذكروا الزَّبورَ منصور النمري من شعراء ربيعة ( أغاني ١٢ : ١٨ )

وما لبني بناتٍ من تُراثٍ مع الاعمام في وَرَقِ الزَّبُورِ

وقال مجنون ليلى يصف صلاة الراهب بالزبور :
كأنهُ راهبٌ في رأس صومعةٍ يتلو الزبور ونجمُ الصبحِ ما طلعا

ومثلهُ الفرزدق ( نقائض جرير والفرزدق ٧٨٧ ) :
عرفتُ المنازَل من مَهْدَدٍ كوحي الزَّبور في الغَرْقدِ

وكذلك جرير ( ياقوت ١ : ٣٩٠ ) :

حيّ الديار بعاقلٍ والأَنْعُمِ كالوحيِ في رَقّ الزبور المُعجمِ

وقال أيضًا في رثاء أمّ حرزة بجُلاجل ( نقائض ٨٥٠ ) :
وكأَنَّ منزلةً لها بجُلاجلٍ وحيُ الزّبور تخطّهُ الأحبارُ

وروى البكري لحسين بن الضحَّاك ( ص ٣٧٩ ) :
لمَّا حكاها زنامٌ في تفنّنها فافتنّ يتبعُ مزمورًا بمزمارِ

( ص ١٨٥ س ٢٣ مجلَّتهم ذات الإله .. ) قال في خزانة الأدب في شرح هذا البيت ( ٢ : ١١ ) : المجلّة الكتاب لأنَّهُ يُجَلّ ويُعظَّم وأراد بهِ الإنجيل لأنهم كانوا نصارى. ويروى: محلَّتهم. امَّا رواية الأصمعي فبالجيم وهو كتاب النصارى

( ص ١٨٦ س ١٠ يَسُوع ) لعلّ اسم « سوع » في شعر النابغة ( اطلب الصفحة ٢٣١ ) هو مرادف ليسوع. ويؤيّد فكرنا ما جاء في تاج العروس ( ٥ : ٣٩٠ ) الذي ذكر البيت ثم قال « ويروى : دعوى يسوع »

( ـ س ٢٥ المسيح بن مريما ) ومثلهُ لجرير يهجو بني مجاشع وفي قولهِ ما يثبت محبَّة النصارى للمسيح قال ( النقائض ص ٨٣ ) :
لقد وَجدَتْ بالقين خُود مُجاشع كوَجْد النصارى بالمسيح بن مريما

( ص ١٨٩ س ٤ يوحنَّا المعمدان ... يحيى ) قال فيهِ حسَّان بن ثابت وفي أبيهِ زكريَّا ( الأغاني ٤ : ١١ ) :

وانَّ ابا يحيى ويحيى كلاهمـالهُ عملٌ في دينهِ مُتَقَبَّلُ

( ص ١٩٠ س ١٤ ـ ١٥ ابن عبد الجن ) كذا ورد في لسان العرب وهو تصحيف صوابهُ « عمرو بن عبد الحقّ » كما ذكرنا في الصفحة ١٨٧

( ص ١٩١ س ٢٢ ـ ٢٥ الحبر ) ورد اسم الحبَرْ في ارجاز رؤبة ( Ahlwardt, 149 ) :

انجيلُ احبـارٍ وَحَى مُنَمْنَمُهُ ما خَطَّ فيهِ بالمدادِ قلمُهُ

وقد روى القالي في اماليهِ بيت أيمن بن خُرَيْم : « ولم يحضر القسُّ .. ولم يَشهد على طبخها الحبرُ »

( ص ١٩٢ س ١٩ القسّ ) كان العرب يعرفون القسوس بالعبادة والورع والدليل عليهِ ما قال الزبير بن بكّار عن عبد الرحمان بن أبي عمّار « انهُ كان من عبَّاد أهل مكّة فسُمّي القسّ من عبادتهِ ( اخبار النساء لابن الجوزيَّة ص ١٨ ـ ١٩ ). وقد ورد اسم القسّ في رثاء حاجب بن ذبيان لأخيهِ معاوية قال :

تطاوَلَ بالبيضـاء ليلي فلم أَنَمْ وقد نام قسَّاها وصاح رجالُها

أراد بيضاء بني عُقَيْل ثمَّ بني معاوية بن عقيل وهو المنتفق (معجم البلدان ١ : ٧٩٤)

( ص ١٩٣ س ٦ وجمعوهُ على قساقسة ) وجُمع أيضًا على قَساقِس وقَساوِسة وعلى قسِّيسون

( ـ س ١٤ شمَّاس ) وذكرهُ أيضًا عبد الله بن العبَّاس الربعيّ ( أغاني ١٧ : ١٢٩ ) قال :

رُبَّ صَهْباءَ من شراب المجوس قهـوةٍ بابليَّةٍ خنـدريسِ
قد تَحلَّيْتُها بنـأي وعـودٍ قبل ضربِ الشمَّاس بالناقوسِ

( ص ١٩٤ س ٩ الابيل ) قد بنوا من هذه اللفظة فعلاً قال في التاج ( ٧ : ٢٠١ ) : « أَبِلَ الرجلُ إذا ترهَّب وتنسَّك » . وفي شروح الشنتمريّ على أبيات الايضاح ( من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة ص ١٦٦ ) : « التأبُّل التعزّب عن المرأة »

( ص ١٩٧ س ٥ كأَنَّهم قَصْرًا ... ) ورد قبلهُ في اللسان ١٧ : ٣٤٠ :
بالخَيْر ابلجُ من سِقايةٍ راهبٍ تجْلى بِمَوْزَنَ مشرقًا تمثالُها

( ـ س ٩ صوَّران وزبَد ) جاء في التاج ( ٣ : ٣٤٤ ) انَّ صوَّران كورة بحمص. وقال ياقوت ( ٢ : ٩١٤ ) : زُبد قرية بقِنِّسرين

( ـ س ٢٢ الربيط ) ومثلهُ المربوط أي الراهب وفي التاج ( ٤ : ١٤٢ ) انَّ الربيط لقب الغوث بن مرّ من مُضَر

( ص ١٩٨ س ١٤ الأشعث ) ولعلَّ الرهبان كانوا يربُّون شعرهم على مثال النذير عند بني إسرائيل كما جاء في شعر عديّ بن زيد في وصف راهب ( أغاني ٢ : ٢٥ )
مُرْعدًا أحشاؤهُ في هيكلٍ حسنٌ لُمَّتهُ وافي الشَّعَرْ

( ـ س ٢٦ المتعبّد ) ومثلهُ العابد يجمعونهُ العبَّاد والأعابد. قال أبو دؤَاد الأيادي يصف مصابيح الرهبان ( التاج ٢ : ٤١٠ ) :
لهنَّ كنارِ الرأس في م العَلْياءِ تُذْكيها الاعابدْ

( ص ٢٠٠ س ١٣ الحازي ) وردت في شعر أفنون ( المفضَّليَّات ٥٢٣ ) قال :
أَلا لستُ في شيء فَروحًا مُعاديا ولا المُشفقاتُ إذ تَبِعْنَ الحوازيا

( قال ) الحوازي الكواهن. وقد جمع الطبري ( ١ : ١٠١ ) الحازي حُزاة قال : الحُزاة العلماء

( ص ٢٠١ س ١٣ الكنيسة ) قال عدي بن زيد يشبّه تشعشع زجاجة الخمر بقنديل راهب في كنيستهِ ( أغاني ٢ : ١٧٢ ) :
بزجاجةٍ مِلء اليدين كأَنَّها قنديلُ صُبْحٍ في كنيسة راهبِ

وقال عبَّاس بن مرداس ( الأغاني ١٣ : ٦٤ ) :
يدورونَ بي في ظلّ كلّ كنيسةٍ فيُنْسونني قومي واهوى الكنائسا

( ـ س ١٩ البيعة ) جاءَت أيضًا في شعر عُمَر بن أبي ربيعة ( أغاني ٣ : ٨٧ ) :
فقلتُ أَشمسٌ ام مصابيحُ بيعةٍ بدَتْ لك خلفَ السُّجْف أم أنت حالمُ

وجاء في نقائض جرير والفرزدق ( ص ٥٨ ) وكانوا يدعون كنائسهم بيت الصلاة. قال الفرزدق يمدح جُبَيْرَة بنت أبي بَذَّال من بني قَطَن من نَهْشل اسمهُ بِشْر بن صُبَيْح :

تَهادى إلى بيت الصلاة كأَنَّها على الوَعْثْ ذو ساقٍ مهَيضٍ كُسُورُها

( ص ٢٠٢ س ٢٢ قال عنترة ) يروى هذا البيت لعبد قيس بن خُطاف البرجمي (أغاني ٧ : ١٤٨)

( ص ٢٠٣ س ١٥ ) الصليب وممَّن ذكر الصليب بشر بن أبي خازم في مدحهِ لبني الحِداء النصارى ( البيان للجاحظ ٢ : ٧١ )

إذا غدَوْا وعصيُّ الطَّلْح أرجُلهم كما تُنَصَّب وسط البيعةِ الصُّلبُ

وكانوا يلثمون الصليب ويمسحون أيديهم بهِ قال جرير ( النقائض ص ٤٠٢ ) في بني تغلب :

رُوَيْدكمُ مَسْحَ الصليب إذا دناهلالُ الجِزَى واستعمِلوا بالدراهمِ

يشير إلى ما وُضع عليهم من الجزية والخراج. وذكر أيضًا في محلّ آخر العابدين للصليب ( نقائض ٥٠٦ ). وجاء للخالدي ( ياقوت ٢ : ٦٤٤ ) بيت في لثم النصارى للصليب. وقال جرير أيضًا ( نقائض ص ٥١٠ ) في تغلب :

ولم تمسَح البيتَ العتيق اكفُّهاولكن بقربان الصليب تَمَسَّحُ

وكذلك كانوا يزينون صدورهم بالصليب قال عبد الله بن العبَّاس الربعي في فتاةٍ (الأغاني ١٧ : ١٢٩) :

كم لثمتُ الصليب في الجِيدِ منها كهلالٍ مكلَّلٍ بشموسِ

( ص ٢٠٤ س ٢٣ عبد الله بن العجلان ) يروى بيتهُ في الأغاني ( ٧ : ١٣٨ ) مع بعض اختلاف في الرواية

( ص ٢٠٧ س ١ الناقوس ) راجع ما جاء في ذكر النواقيس في ليتورجيَّة ديونيسيوس برصليبي ( Bo. II, 178-179 )

( ص ٢٠٨ س ١٧ السُّرج والمصابيح ) ومن ذلك قول عديّ بن زيد المذكور آنفًا. ومثلهُ لجرير ( نقائض ٩٥٦ ) :

قناديلُ صُبْحٍ في كنيسة راهبِ

وقال جوَّاس بن حياض وهو القعطل بن الحارث الكلبيّ ولهُ شعر في وقائع مرج راهط قال ( تاريخ ابن عساكر ٣ : ٤١٤ ) :

واعرضتُ للشِعْري العبور كأنَّها معلَّق قنديلٍ بوسط الكنائسِ

وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق عن زِيَنَ الكنائس ما نصُّهُ ( ٣ : ٢٣٤ ) :

« وكانوا يزينون الكنائس بالرخام والفسيفساء. قال الحارث بن النمر وشهد يوم اليرموك » :

وتعطَّلتْ منهم كنائس زُخْرِفَت بالشام ذاتُ فسافسٍ ورخامِ

وقال في ارشاد الطالبين ( ص ٣ ) : « وكانوا يعلّقون في كنائسهم بَيض النعام كما روى ميمون بن مهران عن نصارى نجران » قلنا وهي عادة جارية في كنائس الشرق إلى يومنا يشيرون بالبيضة إلى موت المسيح ودفنهِ في القبر وقيامتهِ وبالنَّعام إلى عناية الكنيسة بأبنائها ( راجع المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٣٤٥ )

( ص ٢٠٩ س ١ القربان ) قال تميم بن مقبل العامري يصف كنيسة النبط النصارى ( جمهرة اشعار العرب ١٦١ ) :

من مُشرفٍ لـيَطَ أنْياط البلاط كانت لِسَاستهِ تـهْدى القرابينا بهِ
صوتُ النواقيس فيهِ ما يفرَطـُهُ أبدي الجُلاّذي وجونٌ ما يغضّينا

راجع أيضًا معجم البكري ( ص ٣٧١ ). وعلى رأينا انَّ ما يروى في كتب الحديث عن اكرام الخبز انَّما أُريد بهِ سابقًا القربان. فمن ذلك في صحيحَيْ مُسلم والبخاري وفي جامع الصغير للسيوطي : ١ً اكرموا الخبز فانَّ الله اكرَمهُ فمن أكرم الخبز أكرمهُ الله. ٢ً اكرموا الخبز فإنَّ الله أنزلهُ في بركات السماء وأخرجهُ من بركات الأرض. ٣ً اكرموا الخبز فانهُ من بركات السماء والأرض. مَن أكل ما يسقط غُفر لهُ

( ـ س ٢٤ أبيات أيمن بن خُرَيْم ) قال ياقوت في معجم البلدان ( ٢ : ٥١١ ) انَّ هذه الأبيات تروى للأُقَيْشر اليَرْبوعيّ

( ص ٢١ س ١١ كأس عزيز ) قال شارح ديوان علقمة ( وهو يروي : عتَّقها لبعض أحيانها حاشيةٌ حُومُ ) « أي أعدَّها لفصح أو عيد يريد خمر القربان »

( ص ٢١١ س ٣ المِنْبَر ) روى الجاحظ في البيان والتبيين ( ٢ : ٧٢ ) لوائلة السدوسيّ قولهُ :

لقد صبرَتْ للذِلِّ أعوادُ مِنْبرٍ تَقومُ عليها في يديك قضيبُ

( ص ٢١٤ س ١٨ الناموس ) لعلَّهم أرادوا بهِ مقام الراهب تحت ظلّة الشجر كما قال الراعي ( ياقوت ٤ : ٥٠١ ) :

وسِرْبِ نساءٍ لو رآهنَّ راهبٌ لهُ ظُلَّةٌ في قُلَّةٍ ظلَّ رانيا

( ص ٢١٥ س ٢٠ يوم السعانين ) وممَّن ذكر السعانين ابن رامين يصف سكارى متفكهًا ( أغاني ١٣ : ١٣٠ )

إذا ذكرنا صلاةً بعد ما فُرضتْ قمنا إليها بلا عقلٍ ولا دينِ
نمشي إليها بطاءً لا حِراك بنا كأن أرجلنا تقلعنَ من طينِ
نمشي وأرجلُنا عوجٌ مطارحُها مشيّ الاوزِّ التي تأتي من الصينِ
أو مشي عميانِ دير لا دليل لهم الاّ العصيّ إلى عيد السعانينِ

( ص ٢١٦ س ٥ ) وقد أَجاد حسَّان بن ثابت بمدحهِ ملوك غسَّان النصارى وبوصفهِ حفلات فصحهم قال ( الأغاني ١٣ : ١٧٠ ) :

قد دنا الفِصحُ فالولائدُ ينظمنَ م سِراعًا اكلّة المَرْجانِ
يتبارَيْن في الدعاء إلى الله م وكلُّ الدعاء للشيطانِ
ذاك مغنى لآل جفنة في الدير م وحقٌّ تطرُّف الأزمانِ
صلوات المسيح في ذلك الدير م دعاءُ القسّيس والرهبانِ
قد أراني هناك حقٌّ مكين عند ذي التاج مقعدي ومكاني

( ـ س ٨ ـ ١١ ) وفي فصيح ثعلب ( ص ١٠٥ ) « تنهَّس النصرانيّ وتنحَّس »

( ص ٢١٧ س ١٠ السلاَّق ) وممَّا ورد أيضًا من أسماء أعياد النصارى في كتب اللغة ( اللسان ٣ : ١٢٥ ) السِمِلاَّج قالوا انهُ عيد من أعياد النصارى ولم يزيدوا. وذكر في الأغاني ( ١٧ : ١٣٤ ) لعبد الله بن العبَّاس الربعيّ أبياتًا ورد فيها ذكر عدَّة اسماء لأعياد النصارى :

يا ليلةً ليسَ لها صُبْحُ وموعدًا ليس لهُ نجحُ
من شادنٍ مرَّ على وعدهِ الميلادُ والسُلاّقُ والدنحُ
وفي السعانينِ لو حماني وكان أقصى الموعدِ الفصحُ
بهِ

( ـ س ٢٣ الشَّمْعلة ) قال في التاج في مادَّة « شمعل » الشَّمْعلة قراءَة اليهود في فِهْرهم إذا اجتمعوا والمرجَّح انَّ أصل هذه اللفظة من السريانيَّة سَمْعِل ( ܫܡܥܠ ) بمعنى زهد وتنسَّك. فيكون المشمعلَ الراهب في قوله أميَّة بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن العجلان (ياقوت ٢ : ٥٢٦) :

لهُ داعٍ بمكَّة مُشْمعلٌ وآخر فوق دارتهِ ينادي

(ص ٢١٨ س ٥ ملابس النصارى) من ملابسهم البُرْنُس قال في تاج العروس ( ٤ : ١٠٨ ) : « البُرْنُس قلَنْسوة طويلة أو هو كلّ ثوب رأسهُ منهُ ملتزق بهِ درَّاعةً

كان أو جبَّةً أو منظرًا وكان رهبانهم يلبسون البُرْنس )) . قال جرير في نقائضهِ يهجو الأخطل ( ص ٩٠٣ ) :

لعنَ الإلـهُ مَن الصليبُ إلهُـهُ واللابسين بَرَانِسَ الرهبـانِ

وقال الفرزدق يهجو جريرًا ( ص ٢٧٧ ) :

وابنُ المراغةِ قد تحوَّل راهبًا مُتَبَرنْسًا بتَمَسْكُنٍ وسؤَالِ

أي صار يلبس البرنس كما يلبسهُ الرهبان أي قد تنصَّر ليأخذ منهم شيئًا

( ص ٢٢٠ س ٢٠ القرطاس ) ومنهُ قولُ جرير ( نقائض ٥٣٧ ) :

كأَنَّ ديارَ الحيّ من قِدَم البِلَىقراطيسُ رُهبانٍ أحالت سطورها

أحالت أي أتى عليها حَوْل فتغيَّرت. وقال المرَّار الفقعسيّ ( المفضَّليَّات ص ٧٤٣ ) :

عَفَتِ الديـارُ غَيْر مثلِ الأَنْفُسِ بعد الزمان عرفتُهُ بالقَرْطسِ

( ص ٢٢١ س ١ الوَرَق ) وورد في شعر جرير ( نقائض ١٠٣ ) :

أَجِدَّك ما تذكَّرُ أهلَ وادٍ كأَنَّ رسومها ورقُ الكتابِ

( ـ س ٤ الرقّ ) روى ياقوت ( ٤ : ٤٢٢ ) : لعبَّاد بن عوف المالكي قولهُ :

لمن ديارٌ عفتْ بالجزع من رِقمٍ كما يُخَطُّ بياضُ الرِقِّ بالقَلَمِ

( ص ٢٢٣ س ١٨ وشي الخط وتنميقه ) من هذا الباب ما روى في المفضَّليَّات (ص ٦٩٨) :

كتـابُ محبِّرٍ هـاجٍ بصيرٍ ينمّقُهُ وجـاذَر ان يُباعا

وروى ياقوت للقتَّال الكلابي ( ٢ : ٣٦٤ ) :

تنيرُ ونُسْدي الريحُ في عَرَصاتها كما نَمْنَمَ القرطاسُ بالقَلَمِ الحَبْرُ

( ص ٢٢٤ س ١٠ الدواة ) جمعُها دَوًى ودويّ قال أبو ذؤيب (اللسان ١٨ : ٣٠٦):

عرفتُ الديار كخطّ الدويّ م حبَّرَهُ الكاتبُ الحميري

( ـ س ١٤ المداد ) منهُ قول عبد الله بن غنَمَة ( المفضَّليَّات ٧٤٣ ) :

فلم يبقَ الاَّ دِمْنةٌ ومنازلٌ كما رُدَّ في خطِّ الدواة مدادُها

وروى هناك لعديّ بن الرقـّاع قولهُ يصف ثورًا :

تُزْجي أَغنَّ كأَن ابـرَةَ رَوْقـهِ قلمٌ أصاب من الـدواة مدادَها

( ـ س ١٨ النِقْش ) روى ياقوت لمنظور بن فروة في وصف آثار دارٍ :

كأَنَّها بعد سنين خمسِ خطُّ كتـاب مُعْجَمٍ بنقْسِ

( ص ٢٢٦ س ١ الاران ) هذه اللفظة أصلها من العبراني ( אראן ) معناها الصندوق ( J. As. 1836[b], p. 282 )

( ـ س ١٠ الناوؤس ) وقد مرَّ معها ذكر الناموس ( ص ٢١٤ ) وهي يونانيَّة ( νομός ) ومعناها الشرع وقد ورد ذكرها في الشعر العربي بمعنى الشرع المسيحي. جاء في حديث ورقة بن نوفل ( في الأغاني ٣ : ١٥ ) : « ليأتيه الناموس الأكبر ناموس عيسى بن مريم »

ومن الألفاظ القرآنية التي سبقت الإسلام لفظة الأبابيل جاء في سورة الرسول لابن هشام ( ص ٥٩٨ ) لأُميَّة بن أبي الصلْت :

حول شياطينهم ابابيل ربّيون شدُّوا سنَّورًا مدسورا ( كذا )

( ـ س ١٢ البوق ) جاء في نقائض جرير والفرزدق ( ص ١٠٤١ ) في رثاء جرير للأخطل :

وتبكي بَناتُ أبي مالكٍ ببوق النصارى ومزمارِها

( ص ٢٢٧ س ٢ الأعلام النصرانيَّة ) وممَّن صرَّحوا بذكر الأعلام النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة المستشرق رينان في المجلَّة الاسيويَّة قال « L'Arabie antéislamique offre aussi beaucoup de noms chrétiens » ( *Journ As., 1850*[2]*, p. 248* )

( ص ٢٢٨ س ٢٢ آدم ) وفي البيات والتبيين للجاحظ ( ١ : ٧٥ ) رجزٌ لآدم مولى العنبر وكان اسم امرأتهِ أمُّ أيُّوب

( ص ٢٢٩ س ٧ ابراهيم بن ايُّوب بن محروف ). ويروى ابن مجروف. قال ابن الكلبيّ ( ياقوت ٤ : ٢٢٢ ) « لا أعرف في العرب الجاهليَّة مَن اسمهُ ابرهيم بن ايُّوب غيرهما وانَّما سُمّيا بذلك للنصرانيَّة » فقولهُ « للنصرانيَّة » فصوابٌ امَّا قولهُ « انهُ لم يعرف غيرهما » فيردُّهُ ذكر الذين عدَّدناهم هنا. وابرهيم بن أيُّوب هذا ينتهي

نسبهُ إلى تميم ومن نسله مُقاتل بن حسَّان الذي يُنسب إليهِ قصر مقاتل الذي كان بين عين تمر والشام

( ص ٢٣١ س ١٥ حنَّة ) وذكر في نقائض جرير (ص ٩٤٣) « حنَّة بنت نهشل بن دارم كانت امُّها ماويَّة بنت حُوَيّ بن سفيان بن مجاشع وامُّ قيس بن حسَّان بن عمرو بن مرثد »

( ص ٢٣٢ س ١ داؤد ) وممَّن عُرف باسم داؤد في الجاهليَّة داؤد بن عروة بن مسعود الذي تزوَّج حبيبة ابنة عبيد الله بن جحش الذي ارتدَّ عن الإسلام وتنصَّر (الطبريّ ٢ : ٢٤٤٥). وورد في نقائض جرير في حديث يوم تياس ( ص ١٠٢١ ) ذكر داؤد أحد بني ذؤيب. امَّا داؤد بن هبُّولة فهو الذي قتلهُ ثعلبة بن عامر الأكبر المعروف بالفاتك قتلهُ يوم القرنتَين فقال :

نحنُ الأُلى أَوْدت ظُباتُ سيوفنا داوُدَ بين القرنتيْن بحاربِ

ثمَّ راجع أخبار أبي دؤَاد الايادي في الأغاني ( ١٥ : ٩٦ )

( ـ س ٢٢ سَلْمان ) اشتهر بهذا الاسم في الجاهليَّة وفي أوَّل الإسلام سَلْمان الفارسيّ قال الشيخ أبو الحَسَن النيسابوري في كتاب أسباب النزول « انَّ سلْمان كان من أهل جنديسابور ومن رهبان النساطرة وانَّ في أصحابهِ نزلت الآية « انَّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى ... فلهم اجرُهم عند الله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ( سورة البقرة عدد ٥٩ ) » . وكذلك سَلْمان العِجلي من نصارى عِجل ( أغاني ١٢ : ١٢ )

وممَّا فاتنا من الاعلام الكتابيَّة اسم « سارة » وهي زوجة ابرهيم الخليل. دُعيت باسمها سارة مولاة قريش ( الفاسي : اخبار البلد الحرام ص ١٤٦ ). وقد جاء اسم سارة في شعر جرير كما سبق ( النقائض ص ٩٩٤ )

وممّا ورد من الأسماء الكتابيَّة عند العرب اسم أَليشَع راهب عربيّ الأصل ذكرهُ ابن ماري في المجدل ( ص ٤٩ )

( ص ٢٣٥ س ١٦ شراحيل ) ومن النصارى الذين دُعوا بهذا الاسم شراحيل شيخ حرَّان الذي أقام في تلك المدينة مشهدًا لاكرام القديس يوحنَّا المعمدان ( راجع المتن ص ٣٤ )

( ص ٢٣٦ س ٨ شَمْعلة بن الأخضر ) ورد ذكرهُ في نقائض جرير والفرزدق (ص ٢٣٦) قال انهُ هُبيرة بن المنذر بن ضرار كان شاعرًا رُويت لهُ أبيات في يوم الشقائق يوم قُتل بسطام بن قيس راجع أيضًا كتاب البيان والتبيين للجاحظ ( ٢ : ٧٩ )

( ص ٢٣٧ س ١٨ عبد الله ) ومن النصارى الذين دُعوا بهذا الاسم في الجاهليَّة عبد الله بن دارم وهو جدّ حاجب بن زرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله. وقد جاء في أعمال مجمع افسس سنة ٤٣١ م اسم عبد الله أحد أساقفة العرب الذين وقَّعوا على تلك الأعمال كان اسقفًا على خَلَصَة ( Elusa ) وانَّما تصحَّف اسمهُ باللاتينيَّة ( Ampela ) امَّا في اليونانيَّة ( Θεόδουλος ) فيبيّن صحَّة اسمهِ عبد الله. وممَّن سُمّي بهذا الاسم مصغَّرًا عبيد الله بن سمعان التغلبيّ. ذكرهُ القالي في اماليهِ ( ٣ : ٦٥ ) وروى لهُ قولهُ :

وعَدتَ ولم تُنجِز وقِدْمًا وعدتَني فأَخلفتني وتلك إحدى الازامعِ

( قال ) الأزامع الواحد ازْمع وهي الدواهي

( ص ٢٣٨ س ٢ عبد الرحمان ) ومثلهُ « عبد الحنَّان » . وهو اسم ابن المتلمس الشاعر النصرانيّ كما ورد في إحدى نسخ الشعر والشعراء لابن قتيبة » ودعاهُ في الأغاني (٢١ : ١٨٧) « عبد المنَّان قال « وكان للمتلمس ابن يقال لهُ عبد المنَّان أدرك الإسلام وكان شاعرًا وهلك في بُصرى ولا عقب لهُ »

( ص ٢٣٩ س ١٦ ) يضاف إلى هذه الاعلام اسم « اسطفانوس » قال ياقوت في معجم البلدان ( ٣ : ١٠٨ ) في وصف سكَّة اصطفانوس انَّها موضع في البصرة وانَّها « أُضيفت إلى كاتب نصرانيّ من أهل البحرين »

( ـ س ٨ جُريج ) ورد في صحيح البخاري ( ٣ : ١٠٠ ) قصَّة رواها محمَّد عن جريج ناسك من بني إسرائيل كان في صومعة اتَّهمتهُ امرأة بالزنا فبرَّرهُ طفلُها الصغير وهو في المهد ودلَّ على الزاني بها

( ـ س ٢٣ ـ ٢٤ ابن رومانوس ) قال ياقوت ( ٢ : ٣٧٩ ) انهُ أخو النعمان لأُمّه امُّهما رومانوس وروى لهُ قولهُ :

ما فلاحي بعد الأولى عمَّروا م الحيرة ما ان أرى لهم من باقِ
ولهم كان كلّ مَنْ ضرّب العين م بنجدٍ إلى تخوم العراقِ

( ص ٢٣٩ س ٢٤ سَرْجس ) جاء في نقائض جرير والفرزدق (ص ٨١٩ ـ ٨٢٠) ذكر أبي كعب المسمى سرجس كان خازنًا للحجَّاج. وكذلك الأزرقيّ في تاريخ مكة ( ص ٤٣٥ ) ذكر خبرًا عن المهاجرين رفعهُ إلى نافع بن سَرْجس

( ص ٢٤١ س ٩ سَرْجون بن منصور ) قال الطبري في تاريخهِ ( ٢ : ٨٣٦ ): « كان يكتب لمعاوية على ديوان الخراج سرجون بن منصور الروميّ »

( ـ س ١٤ سمعان ) وقد ورد هذا الاسم على صورة أخرى. ذكر ابن الأثير في أسد الغابة ( ٢ : ٣٨٢ ) رجلاً اسمهُ سيمونه البلقاوي من أهل البلقاء نصرانيّ وشمَّاس كان في أيَّام نبيّ المسلمين قال عنهُ انهُ اسلم وعاش ١٢٠ سنة وانهُ حمل قمحًا للمدينة وابتاع منها تمرًا. وممَّن عُرف بسمعان عبد الله بن سمعان التغلبيّ ذكرهُ صاحب اللسانْ ( ١٥ : ٢١٩ ) ولعلَّهُ عبيد الله بن سمعان السابق ذكرهُ ( ص ٤٧٣ )

( ــ س ٢٣ شمَّاس ) قال ياقوت ( ٢ : ٣١٧ ) انّ محلَّة بغداد المعروفة بالشمَّاسيَّة منسوبة إلى أحد شمَّاسي النصارى. ولعلّ شمَّاسية دمشق ( التاج ٤ : ٤٢١ ) منسوبة إليهِ أيضًا

( ص ٢٤٢ س ٣ عبد المسيح ) وممَّن عُرف بالجاهليَّة باسم عبد المسيح رجل ورد اسمهُ في عهد ملكهم عبد كلال. وذكر في الأغاني ( ٢٠ : ١٢٨ ) عبد الحرث بن عبد المسيح الأوسى قتل في مرج راهط في حرب قيس وتغلب

( ـ س ٣ ) ممَّن فاتنا ذكرهُ هُنا اسم « صَلُوبا » وهو اسم نصرانيّ محض. جاء في معجم البلدان في باب بانقيا من نواحي الكوفة ( ١ : ٤٨٤ ) انَّ صاحبها « بُصْبُهرى بن صَلُوبا صالح العرب عند ظهورهم في العراق على ألف درهم وطيلسان »

( ص ٢٤٣ س ٧ عبد ياسوع ) وممَّن عرف بهذا الاسم عبد ياسوع بن كرب بن سعد التغلبيّ. جاء ذكرهُ في شعر القطاميّ ( ص ٧٦ من ديوانهِ ) :

وقد كنتَ تدعى عبدَ ياسوعَ مرّةً واخلفتَ والاخلافُ من سيّئ الذكرِ

ورد في الأغاني في ترجمة القطامي ( ٢٠ : ١٢٨ ) اسمه سعدان بن عبد المسيح الذي قُتل في مرج راهط ( ص ٢٥٠ )

( ـ س ٩ ) وهنا يجوز اقحام اسم آخر لأحد شهداء النصارى بين العرب كان أرسلهُ ملك العجم سفيرًا إلى القيصر يوليانوس الجاحد مع رفيقٍ لهُ يدعى سِنانًا

وكانا نصرانيَّين فعرض عليهما يوليانوس جحود دينهما فأبيا فقتلهما وعيدهما في الكلندار الروماني في ٣٠ تموز

( ـ ص ٢٤٣ س ٩ مارية ) يضاف إلى من دُعين بهذا الاسم مارية الدراميَّة امّ بني زُرارة ( فرائد اللآل ٢ : ٣١٤ )

( ـ س ١٧ مارية ابنة حنظلة ) هي ابنة حنظلة بن ثعلبة بن سيَّار امُّ عشرة أحدهم جابر العجليّ حضرت واقعة ذي قار وقطع ابوها وَطِينَها ( نقائض جرير ص ٦٤٣ )

( ص ٢٤٥ س ١ ـ ٣ مَرْقُس ) ذكرهُ المبرّد في الكامل ( ص ٥٦٣ ) وقال انهُ في طيء وانّ اسمهُ عبد الرحمان. وقد روى لهُ أبو تمَّام في حماستهِ شعرًا من الرَّجز ( ص ٦٩٧ ـ ٢٩٨ ). ولعلّ اسم المرقّش الشاعر تصحيف اسم مرقس

( ـ س ٤ ـ ٨ مريم وأبو مريم ) وقد روى في الأغاني ( ٢٠ : ١١٧ ) انَّ الشاعر عبد الله بن أبي معقل الخزرجيّ في أيَّام بني أميَّة دعا ابنة ابنتهُ باسم مريم وكذلك دعا بهذا الاسم ابنة ابنهِ مسكين. اما كنية أبي مريم فعُرف بها كثيرون منهم من ذكرهم ابن الأثير في أسد الغابة ( ٥ : ٢٩٥ ) كأبي مريم الجُهني عمرو بن مرَّة وكأبي مريم الخصِي يُعَدُّ في الشاميين وأبي مريم السكوني وأبي مريم السَّلُوليّ مالك بن ربيعة وأبي مريم الغسَّاني وأبي مريم الكنديّ. وذكر أبو بشر محمَّد الدولابي في كتابهِ الكنى والأسماء ( ١ : ٥٣ ) أبا مريم الازدي وابا مريم الحنفي الذي كان مع مُسَيْلمة وأبا مريم اياس بن صبيح وابا مريم اياس بن جعفر بن الصلت وغيرهم أيضًا

( ـ س ١٦ ) وفي باب النون يجوز أن نذكر اسمًا آخر نصرانيًّا وهو اسم نَسْطاس أو انسطاس وجاء في التاج « نِسْطاس قال ( ٤ : ٢٥٨ ) نِسْطاس بالكسر أهملهُ الجوهري وهو علم ونسطاس بالروميَّة العالم بالطبّ ( كذا ) نقلهُ الصاغاني وعبيد بن نسطاس العامري البكائي الكوفي في محدّث » . وذكر في الأغاني ( ٤ : ٤٢ و٦ : ١٠٣ ) نسطاس مولى صفوان بن أميَّة وكذلك ذكر ( ٧ : ١٧٥ ) « أبا نسطوس والأخطل »

( ـ س ١٧ هرمز ) ممَّن عُرف بهذا الاسم النصرانيّ رجلان من الصحابة هرمز القبطيّ ( أسد الغابة لابن الأثير ١ : ٤١ ) كان مولى لنبيَّ المسلمين توفّي سنة ٤٠

للهجرة. ثمَّ هرمز الفارسيّ (٥٨٥). ومثلهما هرماس وهو أبو جدير هرماس بن زياد الباهليّ ( ٥ : ٥٧ )

( ص ٢٤٨ س ٩ جابر بن شمعون ) كان أسقفًا على الحيرة وهو من أُسْرة أَوس بن قلاَّم الذي كان حاكمًا على تلك المدينة

( ـ س ١٢ الحارث ) ومن النصارى المعروفين بهذا الاسم « الحارث بن عبد الملك بن ربيعة ذو الرمحَين المخزوميّ القرشي وكان اسمهُ بُجَيْرًا فلمَّا أسلم سمَّاهُ رسول الإسلام عبد الله. وكانت أمُّهُ نصرانيَّة وهي ابنة أبرهة الحبشيّ ماتت على نصرانيَّتها والصليب في رقبتها فجنَّزها أهل دينها ( راجع تاريخ دمشق لابن عساكر ( ٣ : ٤٤٨ )

( ص ٢٥٠ س ١٠ ) لا بأس من إضافة اسم « سِنان » كأحد أعلام نصارى العرب وقد عُرف به الشهيد القديس سنان رفيق القديس عَبْدون في استشهادِهِ على عهد يوليانوس الجاحد

( ص ٢٥١ س ٨ محمَّد ) وكما دُعي بعض النصارى في الجاهليَّة باسم محمّد كذلك تسمَّوا بأحمد والدليل عليهِ أبيات رواها أبو تمَّام في الحماسة لوضَّاح بن اسماعيل بن عبد كلال بن داود بن أبي أحمد يخاطب بها العجَّاج. فعبد كلال وداود اسمان نصرانيَّان فلا شكَّ أنَّ اسم أحمد نصرانيّ أيضًا

( ـ س ٢٢ أوريشلم ) روى في اللسان ( ١٥ : ٢١٨ ) لابن خالويه « انهُ جاء لبيت المقدس عدَّة أسماء منها شَلْم وشَلَم وشَلِم وشَلَّم وأُورِيشَلم ( بيت الأعشى ) ويقال ايليا وبيت المقدس وبيت المِكياش وبيت الضرب وصلمون ( كذا ) »

( ص ٢٥٢ س ١١ و١٣ فلسطين ) ذكر في التاج ( ٥ : ١٩٩ ) لعدي بن الرقاع قولهُ :

فكأَني من ذكرهمْ خالطَتْني  من فلسطين جَلْسُ خمرٍ عُقارُ

( ص ٢٥٣ س ٥ صهيون ) قال في التاج ( ١٠ : ٢١٧ ) : « صهيون يراد بها الروم » ونسب هذا القول إلى ياقوت. والصواب ان ياقوت روى ذلك عن أبي عمرو وأصلحهُ بقولهِ « قلتُ هو موضع معروف بالبَيْت المقدس محلَّة فيها كنيسة صهيون » ( معجم البلدان ٣ : ٤٣٨ )

( ـ ١٣ بيت المقدس ) ومما ورد في بيت المقدس قول المعلَّى بن المطرَّف

( الأغاني ٤ : ٣٥٤ )

يا صاحِ اني قد حججتُ م وزرتُ بيت المَقدسِ

ومن الأمكنة التي في لفظها إشارة نصرانيَّة « أَسْقُف » قال ياقوت ( ١ : ٢٥٢ ) هو موضع بالبادية كان بهِ يوم من أيَّامهم وأنشد لعنترة :

فان يكُ عزٌّ في قُضاعةَ ثابتٌ فانَّ لنا في رَحْرَحانَ وأَسقُفِ

فلا يبعد أن يكون اسم هذا المكان مستعار من اسم أحد أساقفة العرب النصارى

( ص ٢٥٤ س ٢٠ ـ ٢١ قول عدي بن زيد ) هذه الأبيات وما يُلْحَق بها في الصفحة ٢٥٧ ينسبها البعض إلى أميَّة بن أبي الصلت. تجدها مع بعض روايات مختلفة في خطط المقريزي طبعة بولاق ( ١ : ٢٢ ) وفي الطبعة الجديدة ( ١ : ٣٤ )

( ص ٢٥٥ س ٢٢ .. ما ثَقَلاً ) والصواب « ثَقَلاً » . قال ابن السكيت في شرحها في اصلاح المنطق ( ص ٤١ ) : يقال ثَقَلْتُ الشيءَ إذا رفعتَهُ ويقال : إِثْقَلْ هذا الشيءَ أي زِنْهُ وانظُرْ ما فيهِ والشيءُ مَثقول ومنهُ المِثْقال

( ص ٢٦١ س ١٠ الطوفان ) وقد ذكرهُ أيضًا أُميَّة بن أبي الصلت ( لسان العرب ١٠ : ٤٥ ) حيث يذكر الخالق وملكوتهُ :

ويُنَفِّد الطوفانَ نحنُ فداؤهُ واقتادَ شَرْجَعَهُ بداحٌ بَديدُ

قال شمّر في شرحهِ أي هو الباقي ونحن الهالكون واقتادَ أي وسَّع. وشرجعهُ خريرُهُ. وبداحٌ بديد أي واسع

( ص ٢٦٣ س ١٠ إلى الجوديّ ... ) الجوديّ جبلٌ في الجزيرة. وقال اللسان في « تَالِك » انها مثنَّى « تلك » كتانِك. امَّا تاج العروس ( ١٠ : ٤٣٣ ) فيزعم انها لغةٌ في تلك من أقبح اللغات

( ـ س ١٩ .. وإذ صمُّ الصِلابِ لهم رِطابُ ) قال المقريزيّ في الخطط (١ : ١٦٠): « ذكر غير واحد انَّ الصخور في القديم من الدهر كانت تلين فعُمل منها أعمدة ناعط ومأرب وبينون ومآثر اليمن وأعمدة دمشق ومصر ومِدْين وتدمر وان كل شيء كان يتكلَّم » (كذا)

( ص ٢٦٤ س ١٢ حمامة نوح ) ورد في تاريخ العصاميّ من مخطوطات مكتبتنا (ff. 23$^{v}$) أبيات أخرى في هذه الحمامة لم يذكر اسم قائلها :

فأرسلها نبيُّ الله نوحٌ لتنظرَ هل عفا ربُّ السماءِ
فآبتْ وهي قد صُبغت بماءٍ وفي أعناقها طينُ البَرَاءِ
وفي منقارها ورقٌ قليلٌ اقامَتْهُ على صِدْق الوفاءِ
فأكرمها رسولُ الله نوحٌ وأكثرَ في المقامةِ بالدعاءِ
وطوَّقها وسروَلَها أداءً تعالى ربُّنا ذو الكبرياءِ
فكُنْ للهِ خالقنا مطيعًا فجنَّةُ ربّنا للأتقياءِ

( ص ٢٦٥ س ١٠ يرفع بالقار ) روى في التاج ( ٨ : ٤١٠ ) : يُرفع بالنار

( ـ س ١١ طول عمر نوح ) روى في الأغاني ( ١٥ : ٦٨ ) لبعضهم :

تَعِش عُمْرَ نوحٍ في سرورٍ وغبطةٍ وفي خفض عيشٍ ليس في طولهِ اثمُ

( ص ٢٦٦ س ٦ نحن آل الله في كعبتهِ ) رواهُ الأزرقي في تاريخ مكَّة (ص ٩٦): نحن أهل الله في بلدتهِ

( ـ س ١٣ اسحاق الذبيح ) من غرائب مرويَّات ابن عبَّاس ما نقلهُ عنهُ الأزرقي في تاريخ مكة ( ص ٤٠١ ) قال : « انَّ الصخرة التي بأصل جبل ثبير هي الصخرة التي ذبح ابراهيمُ عم عليها فداءَ ابنهِ اسحاق فهبط عليهِ من ثبير كبش أَعْين أَقرن لهُ ثُغاء فذبحهُ ( قال ) هو الكبش الذي قرَّبهُ ابن آدم ( هابيل ) عم فتقبَّل منهُ كان مخزونًا حتى فُدي بهِ اسحاق ( كذا ) ! . وكان ابن آدم الآخر ( قاين ) قرَّب حرثًا فلم يتقبّل منهُ »

وقد جاء لجرير في نقائضهِ ذكر ابرهيم وأولادهِ وبعض الأنبياء. وكانت تميم ومنها يربوع قبيلة جرير نصرانيَّة قبل الإسلام قال ( نقائض ٩٩٤ ـ ٩٩٥ ) :

ابونا خليلُ الله والله ربُّنا رَضينا بما أعطى المليكُ وقدَّرا
بنى قِبْلةَ الله التي يُهتدَى بها فأورَثنا عزّا وملكًا مُعمَّرا
أبونا أبو اسحاق يجمع بيننا ابٌ كان مَهديًّا نبيًّا مطهَّرا
فيجمعُنا والغرُّ ابناءَ سارةٍ ابٌ لا نُبالي بعدَهُ من تغدَّرا
ومنَّا سليمانُ النبيُّ الذي دعا فأعْطيَ تبيانًا وملكًا مسخّرا
ويعقوبُ منَّا زادَهُ اللهُ حكمةً وكانَ ابن يعقوبٍ نبيًّا مصدَّرا
وعيسى وموسى والذي خرّ ساجدًا فنبّتَ زرعًا دمعُ عينيهِ أخضرا

( ص ٢٦٩ س ١٦ يوسف الحسن ) وفي شعر جرير ذكرُ يوسف وأخوتهِ :

كونوا كيوسفَ لمَّا جاءَ اخوتهُ فاستَسْلِموا قال ما في اليوم تثريبُ

( ص ٢٦٩ س ٢١ موسى ) وقد ضربوا المثل في عصا موسى المتحوّلة حيَّة قال الشاعر :

إذا جاء موسى وأَلقى العصا فقد بطَلَ السحرُ والساحرُ

وذُكر للأخطل في نقائضهِ ( ص ٣٣ و ٣٦٧ ) :

فقد نهضَتْ للتغلبيّينَ حيَّةٌ كحيَّة موسى يوم أُيِّد بالنصرِ

ومن قوم موسى قورحُ الذي عصى على موسى مع داثَان وابيرون فخُسفت بهم الأرض ( سفر العدد ١٦ : ٢٤ ) والعرب يدعونهُ قارون ويضربون المثل في غناه وكنوزهِ

( ص ٢٧٦ س ١ كتاب البدء ١ : ٧٣ ) أصلح « ١٠ : ٧٦ »

( ص ٢٧٧ س ٢٢ نسبوهُ إلى امّه مريم ) ومثلهُ قول جرير ( نقائض ٨٣ ) :

لقد وجدَتْ بالقيْنِ خورُ مجاشعٍ كوَجْد النصارى بالمسيح بن مريما

( ص ٢٧٨ س ٣ ـ ٤ ) ما من مولود الاَّ يمسُّهُ الشيطان ... الاَّ مريم وابنها ) شرحهُ الزمخشري في الكشَّاف في سورة آل عمران قال « ومعناهُ انَّ كل مولود يطمع الشيطان في اغوائهِ الاَّ مريم وابنها كانا معصومَين »

( ـ س ١٧ ـ ٢٢ يوحنَّا المعمدان والسيِّد المسيح ) روى الأزرقي في اخبار مكَّة (ص ٨٢) لحسَّان بن ثابت قولهُ :

شهدتُ بإذن الله انَّ محمَّدًا رسولُ الله فوق السماوات من عَلُ
وانَّ ابا يحيى ويحيى كليهما لهُ عمَلٌ في دينهِ مُتَقبَّلُ
وانَّ الذي عادى اليهودَ ابن مريم رسولٌ اتى من عند ذي العرش مرسلُ

( ص ٣٠٢ س ٢٢ ... لبيد ) تنظر أبيات لبيد الواردة هنا إلى آية رسالة بولس إلى أهل رومية ( ٩ : ١٨ ) : الله يرحمُ من يشاء ويقسِّي من يشاء

( ص ٣١٤ س ٢٢ بالدينونة التي بها تدينون تُدانون ) ذكر الشنتمري في شرح بيوت الايضاح ( ص ٣٦ من نسخة مكتبتنا الخطِّيَّة ) لبعض الكلابيين أبياتًا يخاطب فيها ملكًا ظالمًا :

يا أيُّها الملكُ المخوفُ اما ترى ليلاً وصُبحًا كيف يعتقبانْ
هل تستطيعُ الشمسُ ان تأتي بها ليلاً وهل لك بالمليكِ يَدَانْ

إِعلمْ وأيْقِن انَّ ملكك زائلٌ واعلم بأنَّ كما تدينُ تدَانْ

( ص ٣١٩ س ٣ ـ ٤ اقرعوا يُفْتَح لكم ) جاء في احياء علوم الدين للغزالي ( ٣ : ٨١ ) عن عائشة انُّها قالت سمعتُ رسول الله صلعم يقول : « أديموا قَرْع باب الجنَّة يُفتح لكم » ؟

( ـ س ٨ صلُّوا هكذا : ابانا الذي في السماوات الخ ) روى الشعراني في كشف الغمَّة عن جمع الامَّة ( ص ٤٠٢ ) « انَّ الله أوحى لموسى هذه الآية كما روى كتاب الاحبار: اللهمّ لا تُولج الشيطان في قلوبنا وخلّصنا منهُ ومن كل شرّ من أجل انَّ لك الملكوت والابد والسلطان والملك والحمد والأرض والسماء أبدًا أبدًا » (Cfr. Goldzieher : *Cosmos Christianus, II, 300*)

( ص ٣٢٠ س ١٣ اكنزوا لكم كنوزًا في السماء ) جاء في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري في مادَّة « سوس » ( ٢ : ٤٢ ) : « روى البيهقي في شُعبَهِ عن ابن مسعود رض انهُ قال « من استطاع منكم أن يجعل كنزَهُ في السماء حيث لا ينالُهُ اللصوص ولا يأكلُهُ السوس فليفعل فانَّ قلب كلّ امرئ عند كنزهِ » ( راجع متى ٦ : ١٩ ـ ٢١ )

ومن الحديث المنقول عن الإنجيل ( متى ٤ : ٥ ـ ٧ ) ما رواهُ أبو هُريرة وأثبتهُ أبو الفرج في الأغاني ( ١٧ : ٢٨ ) قولهُ : « جاء الشيطان إلى عيسى قال : ألستَ تزعم انك صادق. قال : بلى. قال : فأَوْفِ على هذه الشاهقة فألقِ نفسك منها. فقال : ويلك أَلم يقل لك : يا ابنَ آدم لا تَبْلُني بهلاكك فاني أفعلُ ما أشاء »

( ص ٣٢٥ س ١ رؤيا يوحنَّا ) وقد اقتبس ابن الروميّ من هذا السِّفر ( ٢ : ١٦ ) قولهُ يهجو ابن ( طيفور العُمْدة ص ٧٥ ) :

عدمتُك يا ابنَ ابي الطاهِر وأطْعِمْتُ ثكلَك من شاعرِ
فما أنتَ سخنٌ ولا باردٌ وما بين ذَيْن سوى الفاترِ
وانت كذاك تغثّي النفو سَ غَشْيةِ الفاترِ الخاثرِ

( ص ٣٤٨ س ١٥ الوليد بن الملك ) والصواب « الوليد بن عبد الملك »

( ص ٣٥١ س ١ الهندسة المدنيَّة ). انَّ كثيرًا من الاختراعات المدنيَّة التي زعم البعض انَّ المسلمين سبقوا إلى اختراعها قد أثبت اليوم العارفون من المستشرقين

انَّهم أخذوها عن الروم والأقباط وغيرهم كالقوس المقنطر والطراز الغوطيّ. وممَّا نضيفهُ هنا إلى ما أوردناهُ من الشواهد السابقة ما أخبرهُ البلاذري في فتح البلدان ( ص ٥٤ ) « انَّ الخليفة عبد الملك أرسل إلى مكَّة رجلاً نصرانيًّا ليتلافى اضرار السيل فعمل ضفائر الدور الشارعة على الوادي وضفائر المسجد وعمل الردم على أفواه السكك لتحصن دور الناس » . وممَّا ورد في تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمنيّ ( ص ٦٢ ) « ان يوحنَّا الراهب هندَسَ سور القاهرة وأبوابها في الخلافة المستنصريَّة ووزارة أمير الجيوس بدر »

( ص ٣٥٨ س ١١ الموسيقى ) أقدم ما يُذْكر عن الغناء بين العرب ما كتبَهُ المؤرخ سوزمان عن بني غسَّان النصارى في القرن الرابع للمسيح (Sozoméne, *HE*, VI, 8383) حيث قال انَّ الغسَّانيين كانوا يتغنَّون بحوادث قومهم وبحروبهم مع الرومان في عهد ملكتهم النصرانيَّة ماوِيَة وهذا « Hæc gesta multi ex earum regionum incolis, etiamnum commemorant et apud Sarracenos vulgo cantibus celebrantur »

ولا شكَّ انَّ العرب أخذوا الغناء من الأمم المجاورة لهم كالنبط والروم والفرس (اطلب مروج الذهب للمسعودي ٨ : ٩١). ولابن خلدون في مقدَّمتهِ فصل حسن في صناعة الغناء وفي تأثير الأمم في غناء العرب وممَّا قال :

« ان المغنّين من الفرس والروم وقعوا إلى الحجاز وصاروا موالي للعرب وغنَّوا جميعًا بالعيدان والطنابير والمعازف وسمع العرب تلحينهم الأصوات فلحّنوا عليها اشعارهم وظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطُوَيس وسائب خاثر مولى عبد الله بن جعفر فسمعوا شعر العرب ولحَّنوه وأجادوا فيه وطار لهم ذكر ثمّ أخذ عنهم معبد وطبقتُهُ وابن سُرَيج وأنظارهُ وما زالت صناعة الغناء تتدرَّج إلى أن كملت أيَّام بني العبَّاس »

وقد عيَّن ابن عبد ربه في العقد ( ٣ : ٢٣٧ ) الأمكنة التي شاع فيها الغناء قال :

« انَّما كان أصل الغناء في أمَّهات القرى من بلاد العرب ظاهرًا فاشيًا وهي المدينة والطائف وخيبر ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع أسواق العرب »

( ص ٣٦٦ س ١٧ من مشاهير الأطبَّاء ... ) نضيف إلى هؤلاء أطبَّاء العرب ما رواهُ صاحب نقائض جرير والأخطل ( ص ٢٣٠ ) « انَّ في يوم ماكسين قُتل رجلان تغلبيَّان من بني الطبيب يقال لهما الآسيان يدعى أحدهما الأحمر »

( ص ٣٧٠ س ٢٢ اوس بن ججر ) أصلح « ابن حَجَر »

( ص ٣٧٦ س ١٧ الدروع ) جاء في المفضَّليَّات ( ص ٦١٣ ) انَّ قبيلة حطمة من محارب كانت شهيرة بعمل الدروع

( ص ٣٩٨ س ٢ ابن حفاف ) والصواب « خفاف » بالخاء

( ـ س ١٦ الأغاني ٢ : ٧٢ ) أصلح: « ١٢ : ٧٢ »

( ـ س ١٩ النذور ) وممَّا ورد عن نذور العرب في الجاهليَّة قول أميَّة بن الأشكر (حماسة البحتري العدد ٥٢٠) :

وكم من أَسيرٍ من قريشَ وغيرها تَدَارَكَهُ من سَعْينا نذر ناذرِ

وقال عبد قيس بن خفاف البرجمي ( المفضَّليَّات ٧٥٠ ) :

اللهَ فاتَقِ وأَوفِ بنذرهِ وإذا حلفتَ مُماريًا فتجلَّلِ

( ص ٤٠٦ س ٢ عمر بن عبد الحقّ ) أَصلح : « عمرو »

( ـ س ١١ حاجب يزيد بن المهلَّب ) اسمهُ حاجب بن ذبيان المازني ( الأغاني ١٣ : ٥٠ )

( ـ س ١٤ آل حوران غير المختتنين ) ومثلهم النبط لم يختتنوا قال في اللسان ( ٧ : ٦٣ ) :

كأَنَّ على أَكتافهم نَشْرَ غَرْقَدٍ وقد جاوَزوا نَيَّانَ كالنَّبَطِ الغُلْفِ

وقد ذكر أبو علي القالي في أماليهِ ( ٣ : ٤٦ ) انَّ بني اياد « استقلُّوا بعشرين ألف غلام أَغْرَل »

وممَّا لا يُنكر أنَّ النصرانيَّة كانت نفذت نفوذًا عظيمًا في بادية الشام وبلاد النبيط وحاضرتهم صُلَّع ( Petra ) لنا على ذلك شاهد عياني يرقى عهدهُ إلى القسم الأوَّل من القرن الرابع للميلاد أَلا وهو اوسابيوس أسقف قيصريَّة الملقَّب بأبي التاريخ الكنسيّ فانهُ في شرحهِ على آية اشعيا ( ٤٢ : ١١ ) : « لِتُشِدِ البرّيَّة ومُدُنُها ... وسكان الصخرة » قال : « انَّنا قد شهدنا تحقيق هذه النبوَّة إذ قد تشيَّدت كنائس المسيح في عهدنا في عاصمة مدينة الصخرة أي صُلَّع وفي ضواحيها بل في بوادي العرب الشرقيين »

( Eusebius in Isaiam XLII 11 : *Lætabuntur qui habitant Petram* ) : « Cujus sermonis veritatem mox ipse eventus comprobavit, cum in ipa Petrensium civitate, et in agro ejus necnon in solitudinibus Sarracenorum Christi Ecclesiæ nostro tempore fundatæ sunt ( *Migne* : PG., XXIV, col. 319 ) – Cujus rei testes ac spectatores sunt quotquot in Arabum regionibus peregrinantur.

( ص ٤٢٤ س ٢١ الافوه الاودي ) وقد سبق ( ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ) ذكرهُ لأبناء نوح سام وحام ويافث ما يدلُّ على معرفتهِ بالأسفار المقدَّسة

( ص ٤٣٥ س ١٥ حاتم الطائي ) وممَّا ينبئ بنصرانيَّتهِ صفحهُ عن أعدائيهِ وذلك « محافظةً على دينهِ » قال :

سمعتُ بعيبهِ فصفحتُ عنهُ محافظةً على حَسَبي وديني

( ص ٤٤١ س ٢ ابنتهُ رُهيمة ) يريد ابنة عبد المسيح بن دارس

( ص ٤٤٤ س ١ بغداد ) اختلفوا في اسمها المشتق من الفارسيَّة القديمة فمنهم من فسَّرها بجنَّة الإله ومنهم بعطيَّة الله. فلمَّا بناها أبو جعفر المنصور دعاها مدينة السلام وعُرفت أيضًا باسمهِ مدينة المنصور. وفي معجم البلدان لياقوت ( ١ : ٦٨١ ـ ٦٨٢ ) انَّ راهبًا دلَّ الخليفة المنصور على موقعها فاستحسنهُ وبنى فيهِ المدينة

( ص ٤٦١ س ١٩ الصفيَّة بن الحارث ) والصواب الصفيَّة بنت الحارث بن حرب

( ص ٤٦٣ س ١٨ في صحائف مصحح ) أَصْلح « مُنْصِحُ » وفي الأصل « مُصَّحُ » وهو تصحيف

( ص ٤٦٧ س ١ ابن خطاف ) والصواب « ابن خفاف »

( ص ٤٧٤ س ٢٥ أحد شهداء النصارى ) نريد بهِ القديس عبدون الذي استشهد في رومية مع رفيقهِ القديس سِنان أمر بقتلهما يوليانوس الجاحد وكانا أُرسلا سفيرين من قبل ملك العجم كسرى

# فهرس أوَّل

## لكتاب النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة

## المقدمة


| | الصفحة |
|---|---|
| | ٣ |
| جزيرة العرب : موقعها وأقسامها وأهلها | ٤ |
| أديان العرب قبل الجاهليَّة | ٥ |
| بقيَّة أديان الجاهليَّة غير النصرانيَّة | ١٧ |


## القسم الأوَّل

في تاريخ النصرانيَّة وقبائلها في عهد الجاهليَّة


| | | |
|---|---|---|
| **الفصل الأوَّل** | : النصرانيَّة في أنحاء الجزيرة | ١٩ |
| **الباب الأوَّل** | : مبادئ النصرانيَّة بين العرب | // |
| **الباب الثاني** | : النصرانيَّة بين عرب الشام | ٢٧ |
| // | : نصرانيَّة غسان | ٣٠ |
| **الباب الثالث** | : النصرانيَّة بين عرب الغَور والسلط والبلقاء | ٣٩ |
| **الباب الرابع** | : النصرانيَّة في النجب وطورسينا | ٤٤ |
| **الباب الخامس** | : النصرانيَّة في اليمن | ٥٢ |
| **الباب السادس** | : النصرانيَّة في حضرَموت وعُمان واليمامة والبحرين | ٦٨ |

**الباب السابع** : النصرانيَّة في العراق ٧٣
**الباب الثامن** : النصرانيَّة في الجزيرة ٩٣
**الباب التاسع** : النصرانيَّة بين عرب شمالي سوريَّة ١٠١
**الباب العاشر** : النصرانيَّة في الحجاز ونجد ١٠٦

**الفصل الثاني** : في قبائل العرب المتنصّرة ١٢٤

**افادات واصلاحات** ١٤٢

# القسم الثاني

في الآداب النصرانية في عهد الجاهلية

**الفصل الأوَّل** : النصارى والكتابة العربيَّة ١٥٢

**الفصل الثاني** : الألفاظ النصرانيَّة في لغة العرب الجاهليَة ١٥٧

١ الاسم الكريم وأسماؤهُ الحسنى في الجاهليَّة ١٥٨
٢ السماء والجحيم وما فيهما ١٦٨
٣ الدين ومقاماتهُ ومناسكهُ ١٧١
٤ الوحي وكتبهُ وأنمَّتهُ ١٧٩
٥ مفردات نصارى العرب الدالّة على رؤسائهم ورهبانهم ١٩٠
٦ مفردات نصارى الجاهليَّة الخاصَّة بكنائسهم وأقداسها ٢٠١
٧ مفردات نصارى الجاهليَّة الخاصَّة بمساكن الرهبان ٢١١
٨ مفردات نصارى الجاهليَّة في اعيادهم ومواسمهم السنويّة ٢١٤
٩ مفردات جاهليَّة لوصف ملابس النصارى ٢١٨
١٠ ألفاظهم في الكتابة وأدواتها ٢٢٠

**الفصل الثالث** : في الاعلام النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة ٢٢٧

١ الاعلام النصرانيَّة المستعارة من الأسفار المقدَّسة ٢٢٨
٢ الاعلام المتضمّنة للاسم الكريم أو لبعض صفاتهِ ٢٣٤
٣ الاعلام النصرانيَّة المحضة ٢٣٩
٤ الاعلام النصرانيَّة الوصفيَّة والمعدول بها والمعرَّبة ٢٤٦
٥ الاعلام النصرانيَّة الجغرافيَّة ٢٥١

**الفصل الرابع** : الأحداث النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة ٢٥٤

**١ أحداث العهد العتيق** ٢٥٤

١ التكوين //
٢ سكنى آدم في الفردوس وخطيئَتهُ ٢٥٧
٣ بنو آدم ٢٦٠
٤ نوح والطوفان ٢٦١
٥ أبناء نوح ٢٦٥
٦ ابرهيم الخليل واسحاق ٢٦٦
٧ لوط وسَدُوم ٢٦٨
٨ يعقوب وبنو اسرائيل ٢٦٩
٩ موسى الكليم //
١٠ القضاة إلى داوُد ٢٧١
١١ داود النبي ٢٧٢
١٢ سليمان الحكيم ٢٧٣
١٣ يونان النبي ٢٧٥
١٤ حزقيال ـ طوبيا ٢٧٦

**٢ أحداث العهد الجديد** ٢٧٧

مجيء المسيح //
العذراء مريم ٢٧٨
يوحنا المعمدان //
أعمال السيّد المسيح ٢٧٩
رسل السيّد المسيح الحواريُّون ٢٨٠
شهداء النصرانيَّة ـ أصحاب الكهف ٢٨١

القديس جرجس ٢٨١
القديسان سرجيوس وباخوس ـ شهداء نجران ٢٨٢

**الفصل الخامس** : في الأمثال العربيَّة المنقولة عن الأسفار المقدَّسة ٢٨٣

١ الأمثال الواردة على صيغة أفْعَل ٢٨٤
٢ الأمثال المنسوبة إلى الأنبياء أو إلى مشاهير العهدين القديم والحديث ٢٨٨
٣ الأمثال المنقولة بحرفها من العهد القديم ٢٩٠
٤ // // من العهد الجديد ٢٩٥

**الفصل السادس** : في ما ورد في الأسفار المقدسة من حِكَم العرب والحديث الإسلاميّ ٣٠١

١ الحكم المنقولة عن الأسفار المقدَّسة //
٢ الحديث المنقول عن أسفار العهدين العتيق والجديد ٣٠٦

**الفصل السابع** : في الخطابة النصرانيَّة بين العرب ٣٢٥

١ الخطابة الدينيَّة بين نصارى عرب الجاهليَّة ٣٢٦
٢ الخطابة المدنيَّة // ٣٢٩

**الفصل الثامن** : في التاريخ النصراني بين عرب الجاهليَّة ٣٣٢

**الفصل التاسع** : التعاليم الفلسفيَّة واللاهوتيَّة بين نصارى الجاهليَّة ٣٣٦

١ الفلسفة النصرانيَّة في عرب الجاهليَّة //
٢ التعاليم اللاهوتيَّة بين نصارى الجاهليَّة ٣٤٠

**الفصل العاشر** : الفنون الجميلة بين نصارى العرب ٣٤٢

**١ هندسة البناء** ٣٤٣

١ المباني الدينيَّة //
٢ الهندسة المدنيَّة ٣٥١

**٢ و ٣ التصوير والنحت** ٣٥٣

**٤ فن الموسيقى والغناء** ٣٥٨

الموسيقى الدينيَّة ٣٥٩
الموسيقى المدنيَّة ٣٦٠

**الفصل الحادي عشر** : العلوم والصنائع بين نصارى العرب ٣٦٣

**١ العلوم النصرانيَّة بين عرب الجاهلية** ٣٦٣

الطبّ ٣٦٤
علم النبات ٣٦٧
علم النجوم ٣٦٨
الفقه ٣٦٩

**٢ الصنائع النصرانية بين عرب الجاهلية** ٣٧٠

صناعة النسيج والحياكة //
النِجارة ٣٧٤
الحِدادة ٣٧٥
التِجارة ٣٧٨
الملاحة ٣٨٢
النقود ٣٨٣
التعليم ٣٨٩

**الفصل الثاني عشر** : العادات الدينيَّة بين عرب الجاهليَّة وأوَّل الإسلام ٣٩٢

**١ العادات الدينيَّة** ٣٩٢

الصلاة //
الصوم ٣٩٥
الزكاة ٣٩٦
الحجّ //

استلام الحجر الأسود ٣٩٨
النذور //
المساجد وبناؤها على شكل الكنائس ٣٩٩
الخطابة في المساجد //
المجامر في المساجد والجنازات ٤٠١
اكرام القبور //
الاستشهاد ٤٠٢

**٢ العادات الشرعية والاجتماعية** ٤٠٢

أصول الشرع الاسلامي ٤٠٢
الدواوين ٤٠٣
التاريخ //
الحَلَف ٤٠٤
الختانة ٤٠٦
الحجاب //
الردافة ٤٠٨
العمامة //

**الفصل الثالث عشر** : الشعر النصراني وشعراء النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة وأوَّل الإسلام ٤٠٨

**١ أصل الشعر العربي** ٤٠٩
**٢ ترقي الشعر العربي وتقصيد القصائد** ٤١٤
**٣ الشعر النصرانيّ** ٤١٥
**٤ شعراء النصرانيَّة** ٤١٩

أولاً شعراء ربيعة //

١ شعراء تغلب ٤٢٠
٢ شعراء بكر ٤٢١

شعراء ضبيعة ٤٢١
شعراء شيبان ٤٢٢
شعراء تيس بن ثعلبة ٤٢٣

| | | |
|---|---|---|
| | شعَراء يشكر بن بكر | ٤٢٣ |
| | شعراء علي بن بكر | ٤٢٤ |
| ٣ | ربيعون آخرون | ٤٢٥ |
| | ثانيًا شعراء اياد | ٤٢٦ |
| | ثالثًا شعراء مضر | ٤٢٧ |
| ١ | بنو تميم | // |
| ٢ | عبس وذبيان | ٤٢٨ |
| ٣ | شعراء هوازن | ٤٣١ |
| ٤ | مُضريون آخرون | // |
| | رابعًا شعراء اليمن من بني كهلان | ٤٣٣ |
| ١ | شعراء كندة | // |
| ٢ | شعراء مذحج | ٤٣٤ |
| ٢ | شعراء طيء | ٤٣٥ |
| ٣ | شعراء كلب | ٤٣٦ |
| | الختام | // |
| | ملحوظات شتَّى على كتاب النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة | ٤٣٧ |
| | ملحوظات على الجزء الأوَّل | ٤٣٧ ـ ٤٦٠ |
| // | // الجزء الثاني | ٤٦١ ـ ٤٨٣ |
| | فهارس شتَّى | ٤٨٥ |


# فهرس ثانٍ

## لاعلام الرجال والنساء والقبائل الواردة في الكتاب


= أ =

آدم أبو البشر وذكرهُ في عهد الجاهليَّة وشعرائها ٢٥٧ ـ ٢٦٠ بنو آدم في الشعر الجاهليّ ٢٦٠ ـ ٢٦١ مَنْ عُرفوا باسم آدم في الجاهليَّة ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ، ٤٧١
آدم بن ربيعة ٢٢٨
آدم مولى بلعنبر ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ، ٤٧١
الاباجرة ملوك الرها المتنصّرون ٩٦

ابجر اسم نصرانيّ في الجاهليَّة ٢٣٩
ابجر بن جابر العجليّ ٢٣٩
ابرهة الاشرم ملك الحبشة فاتح اليمن ٦٠ ، ٣٤٤ ، ٤٣٩ كتابتهُ الحميريَّة عن سدّ مأرب سنة ٥٤٢ ٦٣ تشييدهُ للقُلَيس كنيسة صنعاء ٣٤٤ ، ٤٤٠
ابرهيم الخليل ما ورد عنهُ في الشعر الجاهليّ ١٧٣ ، ٢٦٦ ـ ٢٦٨ ، ٤٧٨ صورتهُ في الكعبة ١١٧ شيوع اسمهِ في العرب قبل الاسلام ٢٢٩
ابن ابجر الكنانيّ ( عبد الملك الطبيب النصراني ) ٣٦٥ ـ ٣٦٦
ابن أبي رِمْثة الجرَّاح التميمي النصراني ٣٦٧
ابن أثال طبيب معاوية الدمشقيّ النصرانيّ ٣٦٦
ابن جُلْجل ٣٦٤ ، ٣٦٧ ـ ٦٣٨
ابن رامين الشاعر ٤٦٩
ابن رومانوس ٢٣٩ ، ٤٧٣
ابن سرابيون ( يوحنَّا) الطبيب ٣٦٤
ابن سَرْجون ٢٤١
ابن سُرَيْج المغنّي ٣٦١
ابن الضحَّاك الشاعر ٢١٩
ابن مسحج المغنّي ٣٦١ ـ ٣٦٢
ابن مَطَر ( الحجاج بن يوسف الناقل ) ٣٦٩
ابن منصور ( القديس يوحنَّا الدمشقي ) ٢٤١ ، ٢٥١ أُسْرَتهُ ٤٠٣
ابن يامن الملاَّح ٣٨٢
ابو الاخزر الشاعر ٢٢٥
أبو جبلة ملك غسّان ١١٣ ـ ١١٤
ابو جلدة مُسْهر اليشكريّ الشاعر ١٩٠
ابو حُصَيْن وتنصُّر ولدَيْهِ ٣٨٠
ابو الحَكَم الطبيب الدمشقي النصرانيّ ٣٦٦
ابو خراش الشاعر ٢١٨
ابو داوُد عبد الرحمان طبيب مكَّة النصرانيّ ٤٥٢
ابو دؤاد الايادي ١٧٢ ، ٢٣٢ ، ٤٦٦ ، ٤٧٢ بلاغتهُ في خطبهِ ٣٢٩ ـ ٣٣٠
ابو ذؤَيب الشاعر ١١٩ ، ٣٩١ ، ٤٧٠
ابو زُبَيْد الشاعر النصراني ١٣٣ ، ٤٤٩
ابو زِياد الكلابيّ ٤٧١
ابو زَيد العبشميّ ٤٤١
ابو سفيان بن حرب صهر بشر اخي أُكَيْدر ١٢١ ، ٤٦١ تجارتهُ في الشام ٣٧٨
ابو الطمحان الاسدي ٤٥٦
ابو عامر الراهب زعيم بني اوس ١١٤ ، ١٢١ ، ١٤٨ ، ٤٤٨ ـ ٤٤٩
ابو عمرو الشيباني وقولهُ في تغلب ١٢٥
ابو قابوس النعمان بن المنذر ٩٠ ـ ٩٢ ، ١٣٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦
ابو قيس صيفيّ بن الاسلت الاوسيّ ٤٤٩
ابو قيس صرمة بن أبي انس النصرانيّ ١٢٠ ، ٤٥١ ـ ٤٥٢
ابو كرب ( الأمير الكلبيّ النصراني ) ٥١ ، ١٠٥
ابو لقيط النصرانيّ مولى محمَّد نبيّ الإسلام ٤٥٢
ابو يعفر علقمة امير الحيرة ٨٨
ابو يوسف ( يعقوب صاحب كتاب الخراج ) ١٢١
احمد اسم نصرانيّ في الجاهليَّة ٤٧٦
الاحوص الشاعر ٢٠٥ ، ٣٥٣
أَخي أو اخَي رسول العرب ٧٤ ، ٩٦
الاخطل بن ربيعة ٢٥٩
الاخنس بن شهاب الشاعر النصرانيّ ٢٢٤ ، ٤٢٠
ادّي رسول العراق ٧٤ ، ٧٥ ، ٤٤٤
الأُرْثُقيُّون ونقودهم النصرانيَّة ٣٨٩
ارستون اليهودي المتنصّر ٤٣٨
الأَزْد والنصرانيَّة بينهم ١٢٤
ازدشير الأوَّل ٨٣

ازقير رسول النجرانيين ٦١
اسحاق بن يعقوب : ذكرهُ في الجاهليَّة وشعرائها ٢٢٩ ــ ٢٣٠ ، ٢٦٦ ، ٤٧٨ انتساب بني تميم إليهِ ٤٥٥
اسحاق الانطاكي : شهادتهُ في عبادة العرب للزهرة ١٠ ، ١٤٢
اسد بن خزيمة ( قبيلة نصرانيَّة ) ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٤٩
اسد بن عبد العزّى قوم من قُريش تنصَّروا ١١٨
اسرائيل ( بنو ) : ذكرُهم في الجاهليَّة ٢٣٠ ، ٢٦٩
اسطفانوس البابا المُحسن إلى العرب ٤٦
اسكندر راهب العراق ٧٩
الاسماعيليُّون : شهادة تاودوريطس في تنصُّرهم ٢٦، ١٠٣
الاسود ملك الحيرة ٨٧
أَصْبَغ بن عمرو الكلبيّ النصراني صاحب دومة الجندل ٤٤٨
إصْبَهْبذ أو اسپاباط الامير الفارسي المتنصّر ٤٣
اصطفن الحرَّانيّ الطبيب ٣٦٤
اصطفن بن باسيل الترجمان ٣٦٧ ـ ٣٦٨
الاصمعيّ ٣٦٧
الاعشى ( ميمون بن قيس الشاعر ) نصرانيَّتهُ ٥٢٤ـ ٥٢٥ شواهد عديدة من شعرهِ في امور النصارى ٦٤ ، ٧٢ ، ١١٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢ الخ
الاعلم الشاعر ١٩٥
اغاثرشيدس المتجوّل في جزيرة العرب ١٤
افتيموس رسول قبائل العرب في الاردن والغَوْر ١١، ٤٢ ، ٣٢٩
افرام القديس السريانيّ ١٠ ، ٥٨ ، ٩٨ كتاب مغارة الكنوز المنسوب إليهِ ٣٣٦
افريم أو افرائيم اسقف الحيرة ٩١ ، ٢٣٩
افنون الشاعر النصراني ٢٦١ ، ٣٠٢ ، : ٤٢ ، ٤٦٦
الافوه الاودي الشاعر النصراني ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ، ٤٣٤
اقاقيوس وأشياعُهُ في جزيرة العرب ١١٣
الاقباط النصارى ومصنوعاتهم ٣٤٨ ـ ٣٥٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤
أَقرع بن حابس حاكم تميم ٣٦٩ ، ٣٧٠
أَقرن الروميّ الطبيب ٣٦٤
الأُقيشر الشاعر ٢٠٤ ، ٤٦٨
اكثم بن صيفي خطيب تميم وحاكم العرب ٣٣٠ ـ ٣٣١ ، ٣٦٩
أُكَيْدر صاحب دومة الجندل ١٠٨ ، ١٢٠ ، ٤٤٨
أَلِيسْباوس او أَلِصْبان ملك الحبش ٦١ ، ٦٥
أَلِيشع من أسماء النصارى ٤٧٢
امرؤ القيس بن عمرو البدء المتنصّر ٧٧ : ١٤٧
امرؤ القيس بن عمرو وكتابتهُ الضريحيَّة بالحرف النبطي ١٥٦ ، ٤١٠ ـ ٤١١
امرؤ القيس الثالث ٨٨
امرو القيس الشاعر النصراني ٢٣٨ ، ٢٤٧ ، ٣٧٦، ٤٣٣ ـ ٤٣٤
امرؤ القيس بن اصبغ زعيم كلب النصرانيّ ٤٥٩
امّ الحارث بن عبد الله النصرانيَّة ٤٤٩
امّ حبيبة ابنة أبي سفيان زوجة عبد الله بن جحش ٤٥١
أُميَّة بن أبي الصلت الشاعر النصرانيّ ٤٢٦ ـ ٤٢٧ شواهد متعدّدة من شعرهِ في الحوادث النصرانيَّة ٦٦ ، ١٢٠ ، ١٥٩ ـ ٢٢٦ ، ٢٥٤ الخ
اميَّة بن أبي عائذ ٢٠٥ ، ٣٥٤
انستاس السينوي ( القديس ) ٤٩
انسطاس الطبيب الرومي ٣٦٤ ـ ٣٦٥

انسطاس العامري ٤٧٥
انطون تلميذ القديس سمعان المعمودي ٨١
انطونيوس القديس الكبير وتلامذتهُ ٤٣٨
انطيفاتر رئيس أساقفة بُصْرى ٣٤ ـ ٣٥
انطيوخوس بن سالم قائد النعمان ٨٢ ـ ٨٣
انوشروان كسرى ملك العجم ٩١ ، ٩٢
اهرن بن اعين القسّ الطبيب المعروف بطيبويهِ ٣٦٤
اوجان وبروتوجان ( القديسان ) في جزيرة العرب ٣٦ ، ٤٧
اوريون امير أَيْلة النصراني ٤٧
اوس والخزرج حلولهم في المدينة في عهد الجاهليَّة ١١٣ نصرانيَّتهم ١١٤ ، ١٢٤
اوس بن حجر الشاعر النصرانيّ ٤٣٧ ـ ٤٢٨
شواهد من شعرهِ ١٧٦ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٣٦٦ ، ٣٨٥ ، ٤٠٤
اوگين أو اوجين ( الناسك القديس ) ٧٨ تبشيرهُ في جهات الجزيرة ٩٧
اياد ( قبيلة ) نصرانيَّتها ٣١ ، ٧٥ ـ ٧٦ ، ٨٣ ، ٩٩ ، ١٢٤ ، ١٥٥ ، ٤٠٦ ، ٤٥٣ خطباؤهـــا ٣٢٩ ، ٣٩١ شعراؤها النصارى ١٥٩ ، ٤٢٦ ـ ٤٢٧ شهيد اياد في عهد هشام ٤٥٤
اياس بن قبيصة النصراني الطائي رئيس عرب الحيرة ٧٢ ، ١٣٣ ، ٤٣٥
أَيْزن ملك الحبش الوثني ٦٢
ايشوع اطلب ( يشوع )
ايليا اسم شائع في عرب الجاهليَّة ٢٣٩ ـ ٢٤٠
ايليا او الياس البطريرك الاورشليمي العربي الأصل ٣٦ ، ٤٢ ، ٢٣٠
أيمن بن الخُرَيم الشاعر ١٧٧ ، ١٩١ ، ٢٠٩ ، ٤٥١ ، ٤٦٨
الأَيهم بن الحارث الغسَّاني باني الأديرة ٣٠
ايُّوب اسمهُ بين عرب الجاهليَّة ٢٣٠ ـ ٢٣١ سِفْرهُ ٣٠٨ ، ٤٠٩

= ب =

بابيلاس القديس أسقف انطاكية وفيلبُّوس العربي ٣٣
باخوس أو بكُّوس القديس الشهيد وتكريمهُ عند العرب ٢٨٢ ، ٣٣٤ ، ٤٤٥
باقوم الرومي مجدّد بناء الكعبة ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ، ٣٧٤
بَخْدل بن أُنَيف سيّد كلب النصرانيّ ١٠٤ ، ١٣٨
بحير أو بحيرا أصل هذا الاسم وشيوعهُ ٢٤٧
بَحيرا العبسقيّ صاحب محمَّد ١٣٤ ، ٢٤٧ ، ٤٥٧ دير بحيرا ٤٣٧
برتلماوس الرسول وتبشيرهُ للعرب ٢٣ ، ٢٩ ، ٤٥، ٥٤ ، ٧٤ ، ١٠٧ ، ٤٣٩
بَرْدَيْصان المبتدع ٣٦٨
البرَّاق بن روحان الشاعر النصرانيّ ٣٩٠ ، ٤٢٥ ـ ٤٢٦
بَرْصوما المزمر ٣٦٢
بسطام بن قيس سيّد شيبان النصرانيّ ١٣٢ ، ١٤٨ ، ٤٢٢ ـ ٤٢٤
بشر وبشير من الأسماء النصرانيَّة ٢٤٧
بشر بن أبي خازم الشاعر ٣٥٤ ، ٤٥٦
بشر بن حجر الشاعر الايادي ٤٥٣
بشر بن عبد الملك اخو الاكيدر النصراني ١٢٠ ، ٣٩٠ ، ٤٦١
بَصْهَبْرى بن صلُوبا صاحب بانقيا النصرانيّ ٤٧٤
بطرس او صَخْر ٢٥٠ ـ ٢٥١
بطرس اسقُف نجران ٦٧
بطرس طرابون اسقف عرب الغَوْر ٤٣
بطلميوس القلوذي ٣٦٩
البعيث من أسماء نصارى العرب ٢٤٧ ـ ٢٤٨
البعيث الشاعر ١٧٧ ، ٢١٨
بقطر النجَّار النصرانيّ النوبيّ ٣٧٥

بكر بن وائل تعريف ديارها وقبائلها ٩٣ ـ ٩٤ انتشار النصرانيَّة بين قبائلها ٩٥ ـ ١٠١ ، ١٢٥ شعراؤها النصارى ٤٢١ ـ ٤٢٥
بكر بن خارجة الشاعر ١٩١ ، ٢١١
بلقين ( اطلب القين )
بلقيس ملكة سبا ٣٧٦
بَليّ قبيلة نصرانيَّة ١٢٥
بنتانوس الفيلسوف النصراني وتبشيرهُ بالمسيح في اليمن ٥٤ ، ١٤٤ ـ ١٤٥ ، ٤٣٨
بهراء قبيلة نصرانيَّة ٣٠ ، ٧٨ ، ٩٩ ، ١٢٥ ، ١٤٨، ٤٥٤
بهرامَ جور ملك العجم ٨٧ ، ٤٤٥
بورفيريوس : الفيلسوف شهادتهُ في تضحية البشر عند قدماء العرب ١٦
بولان قبيلة نصرانيَّة منسوبة إليها الكتابة ١٥٢
بولس الرسول في جزيرة العرب ٢٢ رسائلهُ وما اقتبس منها العرب ٢١٠ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ما نقلهُ الحديث عنها ٣٢٢ ـ ٣٢٣
بولس اسقف نجران ٦٠ ـ ٦١ ، ٢٤٠
پوليخرون اسقف بابل ٤٤٢
بيرلُس اسقف بصرى وأعمالهُ ٣١ ـ ٣٢

= ت =

تازينا ملك الحبش وحمير النصرانيّ وكتابتهُ ٦٢
تاوتيموس اسقف العرب ٤٤
تاودولوس ابن القديس نيلوس واسير العرب ١٠ ، ١١ ، ١٦ ، ٤٩
تاوفيل الهندي الموفد إلى الحميريين ٥٦ ـ ٥٧
تذَّاوس الرسول وتبشيرهُ للعرب ٢٣
تذَّاي التلميذ ( اطلب ادّي )
الترك المتنصّرون : شهادة ابن خلدون فيهم ١٤٣
تغلب القبيلة النصرانيَّة ٩٩ ، ١٢٥ ـ ١٢٦ ، ٤٥٤ شعراؤها النصارى ٤٢٠
تميم قبيلة نصرانيَّة ١٢٦ ، ٤٥٤ ـ ٤٥٥ خطباؤها ٣٣٠ ـ ٣٣١ كِتابُها ٣٣٥ قُضاتُها في الجاهليَّة ٣٦٩ ـ ٣٧٠ شعراؤها النصارى ٤٢٧ ـ ٤٢٨
تميم بن اوس الداري النجَّار النصرانيّ ٢٧٥
تميم بن مُقبل الشاعر ١٩٨
تنوخ قبائل نصرانيَّة ٣١ ، و ٧٨ ، ٩٩ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ٤٥٣ نزولهم في البحرين ثمَّ في العراق ٧٨ ، ٤٥٤ ـ ٤٥٦ مصنوعاتهم ٣٧٣ محاربة تنوخ وغسَّان للمسلمين ٤٣٨
تَوْبة اسم نصرانيّ في الجاهليَّة ٢٤٨
توما الرسول وتبشيرهُ للعرب ٢٣ ، ٥٤ ، ٧٤
تومَرْصا أو تموز الجاثليق رسول العرب ٧٩
تيادروس الطبيب النصرانيّ ٣٦٤
تيادوق النصرانيّ طبيب الحجَّاج بن يوسف ٣٦٦
تيمون الشمَّاس أوَّل أساقفة بُصرى ٢٣ ، ٢٩

= ث =

ثابت من أسماء نصارى العرب ٢٤٨
ثابت بن قُرَّة ٣٦٩
ثاودون الطبيب النصراني ٣٦٦
الثرواني الشاعر ٢١٣ ـ ٢١٤
ثعلبة قبيلة نصرانيَّة ٧٩ ، ١٢٧ ، ١٣١ ـ ١٣٢ ، ٤٢٢ ، ٤٤٣ محالفتهم للصليبيين ٤٥٦
ثعلبة بن عمرو الشاعر ٤٦٣

= ج =

جابر من أسماء نصارى العرب ٢٤٨
جابر بن بُجَيْر سيّد عجل النصراني ١٣٦
جابر بن حُنَيّ الشاعر النصراني ١٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢٤٨ ، ٤١٨ ، ٤٢٠
جابر بن شمعون اسقف الحيرة ٢٤٨ ، ٤٧٦
الجارود ( بشر بن عمرو ) سيد عبد القيس النصراني ٧٠ ـ ٧١ ، ١٣٤
جالوت أو جُليات في الشعر الجاهلي ٢٧٢
جالينوس الطبيب ٣٦٨ ، ٣٦٩

جبر وجبريل من الأسماء النصرانيَّة في الجاهليَّة ٢٣٥
جبريل الملاك في الشعر الجاهلي ١٦٥ ـ ١٦٦
جَبَلة بن الأيهم آخر ملوك غسَّان ٣٦٠ ، ٤٣٨
جَحْدَر بن أبي ضبيعة الشاعر النصرانيّ ٤٢١
جَحَظة الشاعر ٢١٧ ، ٢١٨
جُذام قبيلة نصرانية ٩٩ ، ١٢٧ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥
جذيمة الابرش ٧٣
جرجس القديس الشهيد وكرامتهُ عند العرب ٢٨١ ـ ٢٨٢ ، ٣٣٤
جرجس اسقف العرب ١٠١ ، ٢٤٠ خطبهُ ٣٢٨ ، ٣٦٨
الجرّار التغلبيّ والشهيد النصراني ٤٥٤
جرجنسيوس اسقف ظفار ورسول اليمن ٦٤ ـ ٦٥ ، ٣٢٩ ، ٣٦٩
جرم قبيلة نصرانيَّة ٥١ ، ٦٥ ، ٧٧ ، ٩٩ ، ١٢٧ ، ٤٥٥ ـ ٤٥٦
جرهم الثانية في مكّة ٧ آثارها النصرانيَّة ١١٦ ـ ١١٧ ، ١٢٨ ، ٤٤٩
جُرَيْج وجَريج وجُرْجه من أسماء نصارى الجاهليَّة ٢٤٠
جُرَيْج الناسك ٤٧٣
جسَّاس بن مرَّة الشيباني ٤٢٢
جعفر بن سراقة شعرهُ في وادي القرى ١٠٩ ـ ١١٠ ، ١٩٦ ، ٢٢٥
جفنة بن عمرو الغسَّاني ٧٢ ، ١٤٣ بنو جفنة ١٣٧
جُفَيْنة المعلم النصرانيّ في المدينة ٣٩٠
جليلة اخت جسَّاس ٤٢٢
جوَّاس بن حياض الشاعر ٤٦٧
جَيْفر بن الجَلَنْدى ملك عمان النصرانيّ ٧٠

= ح =

حاتم الطائي الشاعر النصرانيّ ١٥٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٣٨٠ نصرانيَّتهُ ٤٣٥
حاجب بن زرارة خطيب تميم النصراني ٣٣١
الحارث من أسماء نصارى العرب ٢٤٨
الحارث الأكبر بن أبي شمّر الغسَّاني الملقّب بالأعرج والملك النصراني ١٠ ، ٣٨ ، ٤٣٨ ، ٤٤٦
الحارث بن جبلة ٣٧٦
الحارث بن حلِّزة الشاعر النصرانيّ ٢٢١ ، ٢٤٨ ، ٤٢٣
الحارث بن خالد المخزوميّ الشاعر ٢٠٥ ، ٣٩٨
الحارث بن ظالم ٣٧٨
الحارث بن عبَّاد سيّد شيبان النصرانيّ ١٣٢ ، ٢٤٨، ٣٣٨ ، ٤٢٣
الحارث بن عبد كلال سيّد مهرة ١٤٠
الحارث بن كعب القبيلة النصرانيَّة ٦٤ ، ١٢٨ ـ ١٢٩ ، ١٤٠ ، ٤٤٠ ـ ٤٤١ بناؤهم للكنائس ٨٥ وصيّة جدّهم ١٢٨ ، ١٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٦٢
الحارث بن عبد الملك النصراني ٤٧٦
الحارث بن كَلَدة طبيب محمَّد النصرانيّ ٣٦٥ ، ٤٥٢
الحبش وفتح ملوكهم لليمن ٦٠ ، ٦٢ ـ ٦٣ مفردات عربيَّة منقولة عن لغتهم ٦٥ تأثير نصرانيَّتهم في العرب ١١٩ ـ ١٢١
حبيب : شيوع هذا الاسم بين نصارى العرب ٢٤٨ ـ ٢٤٩
حبيب النجَّار ٣٣٤
الحجَّاج بن يوسف والي العراق ٣٦٦ ، ٣٨٦
حجَّار بن جابر سيّد عِجْل النصراني ١٣٦ ، ٢١٦
الحدَّاء ( بنو ) النصارى ١٢٨ ، ٤٥٦
حذافة ( بنو ) النصارى ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥
حَرْب بن أميَّة ٤٦١
الحريث بن عنَّاب الشاعر ٣٠٣ ، ٤٠٦
حسَّان بن جَبَلة ٣٧٩

حسَّان الراهب النجرانيّ ٦٧
حَسَن قسيس اليمن النسطوري ٦٧
حُسَيل بن سُحيج الضبّي الشاعر ٢٧٢
حسين بن الضحاك الشاعر ١٩١ ، ٤٠١ ، ٤٣٤
حسين بن علي بن أبي طالب ٣٧٤
حُصين بن الحمام ٢٧٣ نصرانيَّتُهُ ٤٣٠
حطيئة الشاعر ٣٠٣ ـ ٣٠٤
حكيم : أحد أسماء نصارى العرب ٢٤٩
حكيم بن قبيصة ١٦٤
حليمة بنت المنذر ٤٤٦
حُمَيد بن ثور الشاعر ١٧٨ ، ١٩٢
الحميريُّون وديانتهم القديمة ١٤ يُدْعَون بالهنود ٥٤ تبشير برتلماوس الرسول للحميريين ٥٤ ـ ٥٥ القصيدة الحميريَّة ٥٥ الحميريُون يفدون على القديس سمعان العمودي ٥٨ ، ٨٠ تملك الحبش على بلادهم ٦٠ ـ٦٢ الكتابات الحميرية النصرانيَّة ٦١ ، ٦٣ نصرانيَّة حمير ٧٧ ، ١٢٩
حنَّا الكشكري مبشّر بلاد جَرْم ٧٧
حنظلة بن أبي عامر الراهب ٤٤٩
حنظلة بين أبي عفراء الطائي النصراني وديرهُ ٨٩ ، ٩٠ ، ١٣٣ ، ٤٣٥
حنظلة بن ثعلبة سيد بني عجل النصراني ١٣٥
حنظلة بن صفوان العبسيّ ١٣٥
حنظلة بن عبد المسيح وديرهُ ٨٤
حنَّة : اسمها عند نصارى العرب ٢٣١
حنَّة امّ مريم العذراء ١٧٤
حنَّة بنت نهشل ٤٧٢
حنيفة قبيلة نصرانيَّة في اليمامة ٧٢ ، ١٢٩ ، ١٤٩ ، ٢١٠ ، ٣٤٧ ، ٤٤٣ ، ٤٥٦ ـ ٤٥٧
الحنفاء ونصرانيَّتهم ١١٨ ـ ١٢٠ ، ١٣٢ ، ١٤٨ ، ١٩٧ ، ٤٥١
حُنَيْن بن اسحاق الطبيب النصرانيّ ٣٦٧
حنين الحيري المغنّي النصراني ٣٦٢ ، ٤٤٩
الحواريُّون والحواريَّات في الشعر الجاهلي ١٨٩ ـ ١٩٠ تبشير الحواريين في جزيرة العرب ٢٣ ، ٢٩ ، ٥٣ ـ ٥٤ ، ٧٤ ، ٩٥ ، ١٠٧ ـ ١٠٨ ، ٤٥٠
حوَّاء اسمها في عهد الجاهليَّة والشعر الجاهلي ٢٣١ ، ٢٥٧ ـ ٢٦٠
حيقار اسمهُ في الجاهليَّة والشعر الجاهلي ٢٣١ ، ٢٧٦

= خ =

خالد : من أسماء نصارى العرب ٢٤٩
خالد بن سنان العبسيّ رسول المسيح في قومهِ ١٣٥ ، ٢٤٩ ، ٤٥١
خالد بن عبد الله القسريّ وبيعتُهُ ٤٤٥
خالد بن الوليد : رايتهُ العقاب ٣٥٧ اسمهُ على نقود نصرانيَّة ٣٨٧
خالد بن الوليد المخزوميّ الشاعر ٢٢١
خالد بن يزيد الشاعر ٢٠٤
خالد بن يزيد بن معاوية ٣٨٨
خباب بن الارت النصرانيّ التميميّ ٣٧٦
خثعم قبيلة نصرانيَّة ١٤٩
خداش بن زهير الشاعر ٤٤٦
الخرّيت بن راشد القرشي المتنصّر ٤٥٠
الخرنق اخت طَرفة الشاعر ٤٢١
الخزرج والأَوس حلول قبائلهم في يثرب في الجاهليَّة ١١٣ نصرانيَّتهم ١١٤ ، ١٣٠
الخسّ بن حابس الايادي ٢٤٤
الخضر معنى اسمه ٢٤٩
خَلَف بن خليفة الشاعر ١٩٣
الخليل : من أسماء نصارى العرب في الجاهليَّة ٢٤٩ ـ ٢٥٠
خندف ليلى بنت حلوان القضاعي وديرها ٨٤ ، ١٣٨ ، ٣٥٦
خُوَيْلِد بن نوفل ١٧١

= د =

داؤد النبي اسمهُ وزبورهُ ودروعهُ في الشعر الجاهليّ ١٨٤ ، ٢٣٢ ، ٢٧٢ ـ ٢٧٣ ، ٤٧٢
داؤد بن عروة المتنصّر ٤٧٢
داؤد بن الهبولة أمير الضجاعمة ٤٠ ، ١٣١ ، ٤٧٢
الداؤدة أو الداؤديُّون وبدعتهم ١١٣
دَحْية بن الخليفة الكلبيّ النصرانيّ ١٣٨
دُريد بن زيد بن نهد ٤١٢ ـ ٤١٣
دريد بن الصمَّة الشاعر النصراني ٤٣١
دقيوس وفيلبُّوس العربي ٣٣ اضطهادهُ للنصارى ٤٥، ١٤٤ ، ٣٣٤
دُكَين الشاعر ٢١٣
دليل بن يعقوب النصرانيّ مهندس القصر الجعفري ٣٥٢
ديوسقوريدس النباتي ٣٦٧ ، ٣٦٨

= ذ =

ذبيان ونصرانيَّتها ١٣٤ ـ ١٣٥ ، ٤٢٨ شعراؤها النصارى ٤٢٩ ـ ٤٣١
ذو ثعلبان ( دوس ) ومناهضتهُ لذي نؤاس ٦٠
ذو جَدَن الحميري ٦٠ ، ٢١٤
ذو نـؤاس ملك حمير اليهوديّ واضطهادهُ للنصارى ٦٠ ـ ٦٢ ، ٨١ ، ٢٨٢ ، ٤٣٩

= ر =

الراعي الشاعر ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢١٩ ، ٤٦٨
ربيعة بن زياد نديم النعمان النصرانيّ ١٢٥ ، ٤٢٩
ربيعة بن محاسن حاكم تميم ٣٦٩
ربيعة بن مقروم الشاعر ١٩٥ ، ٢٠٧ ، ٣٦٠ ، ٣٨٣
ربيعة بن نزار : تعريف قبائلها وديارها ٩٤ ـ ٩٥ النصرانيَّة بين أهلها ٩٥ ، ١٠١ ، ١٣٠ ، ٤٣٠ شعراؤها النصارى ٤١٩ ـ ٤٢٦
رُدَينة ورماحها ٣٧٦ ـ ٣٧٧
رمحيس الحبشي ملك اليمن ٦٢
رُهَيمة ابنة عبد المسيح بن دارس ٤٤١
رؤية الراجز ٤٦٥
الروم والصنائع الإسلاميَّة ٣٤٨ ـ ٣٥٣ الروم والعرب النصارى في محاربة المسلمين ٤٣٨
الرومان استعمالهم للعرب في جيوشهم ٢٨ امتزاج معبوداتهم بمعبودات العرب ٢٨
رومان ورومانوس من أسماء نصارى العرب ٢٤٠
الرئاب بن البراء الشنّي النصرانيّ ١٣٤ ، ٤٥٨
رَيْحانة أمّ سيف بن ذي يزن ٤٤٠

= ز =

الزبرقان بن بدر الشاعر النصراني وخطيب تميم ١٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٤٧
الزبير بن بكَّار ٤٦٥
زرارة بن عدس حاكم تميم ٣٦٩
زكريَّا أبو يوحنَّا المعمدان ٣٧٨ ، ٤٦٥
زكريَّا بن برقنى ملك النوبة النصرانيّ ٣٧٥
زهير بن أبي سلمى الشاعر النصراني ١٦٢ ، ١٦٨، ١٨٠ نصرانيَّتهُ ٤٣١ ـ ٤٣٢
زهير بن جناب أمير كلب النصرانيّ ١٣٨ ، ٤٣٦
زهير بن عاصم الشاعر ٢٢٤
زوكومس ( ضجعم ) الغسَّاني المتنصّر ٣٥
زياد بن حمل الشاعر ٢٠٦
زيد بن جُنْدب الخطيب الاياديّ ٣٣٠
زيد بن حارثة مولى رسول المسلمين النصراني ١٢٠، ٤٥١ ، ٤٥٢
زيد بن حمَّار التميميّ ٤٦١
زيد بن عدي بن زيد ٩٢
زيد بن عمرو بن نفيل ١٢٠ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٣، ١٧٢ ، ٢٥٥ ، ٢٧٠ ، ٣٣٧ نصرانيَّتهُ ٤٣١ ـ ٤٣٣
زيدان ( جرجي ) رأيهُ في بعض الأسماء العربيَّة

٢٤٦ ـ ٢٥٠
زينب بنت جحش زوجة زيد بن حارثة ٤٥١

= س =

سابور ذو الأكتاف ٧٠ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٤٤٢ ، ٤٤٤
سارة من الاعلام الكتابيَّة ٤٧٢
ساطع ( بنو ) بُناة دير حنَّة ٨٤ ، ٤٥٥
سالم : من أسماء نصارى العرب ٢٥٠
ساويرس البطريرك اليعقوبي ٩٠
ساويرس سِبُوكت ٣٦٨
ساويرس بن المقفّع ٣٥٢
سبر يشوع اسقف لاشوم ١٤٨
سُجاع التغلبيَّة ٧٢
سُحَيْم الشاعر ٢٠٦
سرجون بن توفيل النصرانيّ نديم النعمان ١٣٥ ، ٢٤١
سرجون بن منصور الدمشقي عامل بني أميَّة ونديمهم ٢٤١ ، ٣٨٥ ، ٤٠٣ ، ٤٧٥
سرجيس الراسعيني ٣٦٤ ، ٣٦٨
سرجيوس أو سرجس القديس الشهيد. شيوع اسمهِ بين نصارى العرب ٣٤٠ ـ ٢٤١ ، ٢٨٢ ، ٣٣٤ ، ٤٤٧ ، ٤٧٤ رايتهُ ٩٩ ، ١٠٠ مشهدهُ ١٥٦ ، ٣٩٦ ـ ٣٩٧ دير سرجيوس ٤٤٥ ، ٤٤٧
سَعْد وسعيد واسعد وسعدان من أسماء نصارى العرب ٢٥٠
وسعد بن أبي وقاص وهند بنت النعمان ٩٢
سعد بن مالك بن ضبيعة الشاعر النصراني ٤٢١
السفَّاح التغلبيّ الشاعر النصرانيّ ٤٢٠
سفيان بن حرب ٤٦١
سفيان بن مجاشع ٤٤٦
السكاسك والسكون قبائل نصرانيَّة ١٢٢ ، ١٣٠
السكون النصارى ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٣٠ ـ ١٣١
سلامة بن جندل الشاعر النصرانيّ ١٦٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ نصرانيَّتهُ ٤٢٧ ـ ٤٢٨
السلجوقيُّون ونقودهم النصرانيَّة ٣٨٩
سلمان العجلي ٤٧٢
سلمان الفارسيّ النصرانيّ الأصل ٤٧٢
سُلْمى بن ربيعة الشاعر ٢٠٦
سليح قبيلة متنصرة ٢٩ ، ١٣١
سُلَيم بن منصور قبيلة نصرانيَّة ٤٥٧ ، ٤٥٩
سليمان النبيّ اسمهُ في الجاهليَّة وفي الشعر العربي ٢٣٢ ، ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ، ٤٧٨
سليمان أسقف البصرة : شهادتهُ في بشارة الإنجيل في تدمر ٢٩
السمط من نصارى العرب ١٢٨ ، ٤٥٦
سمعان وشمعون : اسمهما بين نصارى الجاهلية ٢٤١ ، ٤٧٤
سمعان العمودي القديس وتبشيرهُ للعرب ٥٧ ـ ٥٨ ، ٨٠ ـ ٨٢ ، ٩٩ ، ٣٩٩ هو نعمان الاعور ٤٤٣
سمعان القديم المتنسك في بلاد الإسماعيليين ٧٧
السموَل : اسمهُ ٢٣٦ سموئل وشمويل ٢٣٦
سنان القديس الشهيد ٤٧٤ ، ٤٧٦
سنّمار المهنس الرومي ٣٥١
سويد بن كاهل الشاعر النصرانيّ ٣٠١ ، ٣٣٧ ، ٤٢٣ ـ ٤٢٤
سيف بن ذي يزن ٦٦ : ٤٤١
سيمونة البلقاوي النصرانيّ ٤٧٤
السيّد رئيس نجران ٦٧

= ش =

شراحيل اسم نصراني في الجاهليَّة ٣٤ ، ٢٣٥
شراحيل شيخ حرَّان النصرانيّ ٣٤ ، ٤٧٢
شِرْبل شهيد مدينة الرها ٢٣٦
شُرَحْبيل اسم نصراني ٢٣٥
الشرقيُّون من العرب المتنصّرين ٣٥ ، ٥٨
شقران النصرانيّ مولى محمَّد ٤٥٢

شليطا ( الراهب القديس ) في بازبدى ٩٨
شَمْعَلة بن الأخضر الشاعر النصرانيّ ٢٣٧ ، ٤٧٣
شمعلة بن عامر الشاعر النصراني ٢٣٦
شمعلة بن فائدة ٢٣٦
شِمْعون اسقف الحيرة ١٤٨ ، ٢٤١
شمعون الراهب الطبيب ٣٦٤
شمعون بن صباعي اسقف المدائن الشهيد ٢٤١
الشهداء في جزيرة العرب ٣٦ ـ ٣٧ ، ١٤٤ في العراق ٧٦ في اليمن ٦٠ ، ١٤٥
شمَّاس : شيوع هذا الاسم عند نصارى الجاهليَّة ٢٤١
شيبان قبيلة نصرانيَّة ١٣١ ـ ١٣٣ ، ٤٥٧ نصرانيَّتها ٤٢٢ ـ ٤٢٣

= ص =

صالح : من أسماء نصارى العرب ٢٥٠
صالح قبيلة نصرانيَّة في طورسينا ٤٩
صخر : من أسماء نصارى العرب ٢٥٠
صخر الغيّ الشاعر ١٨٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٢٢
صرمة بن أبي أنس الحنفي المترهّب ( أبو قيس ) ١٢٠ ، ٤٥١ ـ ٤٥٢
الصهباء ابنة حرب زوجة بشر بن عبد الملك الكندي ٤٦١

= ض =

الضابئ بن الحارث البرجميّ الشاعر ١٨٩
ضبيعة بن ربيعة قبيلة نصرانيَّة ١٣٢ ، ٤٥٧ شعراؤها ٤٢١ ، ٤٢٦
الضجاعمة النصارى ٤٠ ، ١٣٠
ضجعم الغسَّاني وتنصُّرُهُ ٣٥

= ط =

طالوت ( شاول ) وذكرهُ في الشعر الجاهلي ٢٧٢
طُخَيم بن الطخماء الأسدي الشاعر ١٢٨
طرابون بطرس أسقف عرب الغور ٤٣
طرفة بن العبد الشاعر النصراني ١٣٣ ، ١٥٤ ، ٢٢٦ ، ٤٢١ ـ ٤٢٢
طسم وجديس ونسبة الخطّ العربيّ إليهما ١٥٤
طلحة الطلحات ٣٨١
طيء قبيلة نصرانيَّة ٣١ ، ١٢١ ـ ١٢٢ ، ١٣٢ ـ ١٣٣ دير طيء ١٤٩ وضع قوم من طيء للكتابة العربيَّة ١٣٣ ، ١٥٢ ـ ١٥٥ محالفة طيء للصليبيين ٤٥٦ ـ ٤٥٧
طيطس ( القديس ) رئيس أساقفة بُصرى ٣٤

= ظ =

ظريفة الخير الكاهنة ٤١٢

= ع =

عائشة زوجة محمد ٣٥٧ ، ٤٠١
عائشة بنت طلحة ٤٠٧
عابد بن عبد الله بن مخزوم ٢٣٧
عاملة قبيلة نصرانيَّة ١٣٣
العِباد قبائل نصرانيَّة في الحيرة ١٣٣ ـ ١٣٤ ، ١٥٤ ، ١٧٢ ، ٣٩٠ هم المشارقة ٤٤٥ سبب تسميتهم بالعباد ٤٥٧
عُبادة بن عقيل ٢٣٧
عُبادى اسم نصراني ٢٣٧
عبَّاد بن عمرو بن كلثوم ٢٣٧
عبَّاد بن عوف المالكي ٤٧٠
عبَّاس بن مرداس الشاعر ٤٦٦
العبد وملحقاتهُ من أسماء النصارى ٢٣٦ ـ ٢٣٧ ، ٤٧٣
عبد الأسود السيّد العجليّ النصرانيّ ١٣٦
عبد الأعلى بن صامت ٢٣٨
عبد الله بن الزُبَير شواهد من شعرهِ ١٣٦ ، ١٩٣ ، ٢١٦ ـ ٢١٧ ، ٢٢٥
عبد الله بن العبَّاس ٤٦٥ ، ٤٦٧
عبد الله بن العجلان ٢٠٤ ، ٣٥٣ ، ٤٦٧
عبد الله بن عبد المطَّلب ٢٣٧
عبد الحارث بن عبد المسيح ٤٧٤
عبد الحميد بن حفص ٢٣٨

عبد الحنّان ٤٧٣
عبد الدار القوم النصارى ١٣٤
عبد الرحمان بن أبي عمَّار القسّ ٤٦٥
عبد الرحمان بن الحكيم ٣٩٨ ، ٤٠٥
عبد الرحمان بن رِبْعيّ ٢٣٨
عبد الرحمان بن رواحة ٢٣٨
عبد الرحمان بن كعب ٢٣٨
عبد الرحيم الحارثي ٢٣٨
عبد عمرو النصرانيّ العبادي ٤٥٧
عبد الله : شيوع هذا الاسم بين نصارى الجاهليَّة ٢٣٦ ـ ٢٣٧
عبد الله أسقف خَلَصة ٤٧٣
عبد الله بن الثامر رئيس نصارى نجران ٦٠
عبد الله بن الرواحة ٢٣٧
عبد الله بن الزِبَعْري ٢٣٧
عبد القيس قبيلة نصرانيَّة ٧٠ ، ١٣٤ ، ٤٢٦ ، ٤٥٧
عبد قيس بن خفاق الشاعر ٣٠٢ ، ٣٣٧ ، ٣٩٨ ، ٤٦٧
عبد كلال مَلك حمير المتنصّر ٥٥ ـ ٥٧ ، ٤٣٩ ، ٤٧٤
عبد المدان بن الديَّان امراء نجران النصارى ٦٤ ، ١٢٨ ، ١٧٢ ، ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ، ٤٣٤ ، ٤٤١
عبد المسيح الحيريّ ٤٤٥
عبد المسيح عاقب نجران ١٣٩
عبد المسيح اليمنيّ ٤٧٤
عبد المسيح بن باقية بن جرهم ملك مكَّة ١١٦
عبد المسيح بن بُقَيْلة ٨٤ ـ ٨٥ ، ٢٤٢ ، ٣٧٣
عبد المسيح بن دارس النجرانيّ ٤٤٠ ـ ٤٤١
عبد المسيح بن عَسَلة الشاعر النصرانيّ ٢٤٢ ، ٤٢٢
عبد المطَّلب ١٧٥ ، ٤١٢
عبد الملك بن أُكَيدر ٢٣٨
عبد الملك بن علقمة ٢٣٨
عبد الملك بن مروان والنصارى ٣٤٨ ، ٣٦٦ ، ٤٠٣ نقودهُ ٣٨٨ ـ ٣٨٩
عبد المنَّان ٢٣٨ ، ٤٧٣
عبد الواحد بن منيع ٢٣٨
عبد ياسوع الحيري ٢٤٣
عبد ياسوع بن كرب التغلبيّ ٤٧٤
عبد يا ليل العبادي ٤٥٧
عبد يسوع العبادي ٤٥٧
عبد يشوع الناسك رسول اليمامة وجهات العرب ٧٢، ٧٩ ، ٤٤٢ ـ ٤٤٣
عبد يشوع خيّاط بطريرك الكلدان ٧٥
عبد يغوث الشاعر النصراني ٤٣٤
عبد القديس الناسك ومبشر العرب ٧٩ ـ ٨٠
عبدا بن حنيف بن وضَّاح اللحياني باني دير قنّى ٨٤، ٢٣٧
عَبْدان ٢٣٧
عبدة بن الطبيب ٢٣٧ ، ٣٩٧
عَبْدَل بن الحارث العجليّ ٢٣٧
عبدل بن حنظلة ٢٣٧
عبدون المنسوب إليه الدير ٢٣٧
عبس قبيلة نصرانيَّة ١٣٤ ، ٤٢٨ ـ ٤٢٩
عبُّود ٢٣٧
عبيد بن الأبرص الشاعر ٨٩ ، ١٦٩ ، ٢٠٦ نصرانيَّتهُ ٤٣١ ـ ٤٣٢
عُبَيْد بن اوس الظفري ٢٣٧
عُبيد بن رفاعة ٢٣٧
عُبَيْد بن عُوَيج القرشيّ ٢٣٧
عُبَيْدة بن عبد المطَّلب ٢٣٧
عُبَيْد الله بن أبي سرج كاتب محمَّد ٤٦١ ـ ٤٦٢
عبيد الله بن جحش الحنفيّ المتنصّر ١١٩ ـ ١٢٠ ، ٤٥١
عبيد الله بن سمعان التغلبيّ ٤٧٣ ـ ٤٧٤
عتبة بن أبي ربيعة النصرانيّ ٤٥٢
عتبة بن أبي لهب النصراني صهر نبيّ الإسلام

١٢٠ ، ٤٥٢
عثمان بن الحويرث القرشي الحنفيّ المتنصّر ١١٨ ، ١٦٠ ، ٤٥١
عثمان بن عفَّان الخليفة ٣٨٥ ، ٤٤٩ ، ٤٦١
العجَّاج الراجز ٢٠٩ ، ٢١٨ ، ٢٢٤
عجل قبيلة نصرانيَّة ١٣٥ ـ ١٣٦ ، ٤٥٨
عديّ : شيوع هذا الاسم بين نصارى العرب ٢٤٣
عديّ بن حاتم الطائي النصرانيّ ١٣٣ ، ٢٤٣ ، ٤٣٥
عدي بن حنظلة ٢٤٣
عدي بن الرقاع الشاعر ٤٧٠
عديّ بن رُمَيْك وبيعتهُ في الكوفة ٤٤٥
عدي بن زيد الشاعر النصرانيّ ٩١ ـ ٩٢ ، ٤٢٧ ـ ٤٢٨ ، ٤٦١ شواهد من شعرهِ ١١٨ ، ١٦٣، ١٦٨ الخ
العديل بن فرخ ٤٦٢
عذارى العرب النصرانيَّات المضَّحيات للعزَّى ١١ ، ١٦ صومهنَّ يوم ذي قار ١٣٦
عذرة بن حجرة الخطيب الايادي ٣٣٠
العرب قبل الإسلام : موقع جزيرتهم وأقسامها وأهلها ٤ ـ ٥ اديانهم ٥ عبادتهم للكواكب ٨ ولقوات الطبيعة ١٢ عبادتهم للحيوان والطير ١٣ ذبائحهم البشريَّة ١٠ ـ ١١ ، ١٦ أوَّل تبشير النصرانيَّة بين العرب : المجوس والرسل ٢٠ ـ ٢٤ العرب في خدمة الرومان ٢٨ النصرانيَّة بين عرب الشام ٢٧ ـ ٣٩ ، ٥١ ـ ٥٢ اساقفة العرب ٣٤ ، ٤٣ ، ٤١٤ شهداء بلاد العرب ٣٦ ـ ٣٧ زوَّارهم للقدس ٥٧ العرب المتنصّرون على يد القديس سمعان العمودي ٥٧ ـ ٥٨ النصرانيَّة في أنحاء اليمن ٥٢ ـ ٦٨ في حضرموت وعمان واليمامة ٦٩ ـ ٧٢ في العراق ٧٣ ـ ٩٢ بين عرب الجزيرة ٩٣ ـ ١٠١ بين قبائل شمالي سوريَّة ١٠١ ـ ١٠٦ بين عرب الحجاز ونجد ٩٥ ، ١٠٦ ـ ١٢٣ ، ٤٤٧ جدول قبائل العرب المتنصّرة ١٢٤ ـ ١٤١ الآداب النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة ١٥١ ـ ٤٣٦ الفنون الجميلة بين نصارى العرب ٣٤٢ ـ ٣٦٢ العلوم والصنائع بين نصارى العرب ٣٦٣ ـ ٣٩١ عادات العرب الدينيَّة والاجتماعيَّة والشرعيَّة المأخوذة من النصارى ٣٩٢ ـ ٤٠٨ ليس كلّ العرب مختتنين ٤٠٦ ، ٤٨٢ العرب النصارى في المسلمين محاربة ٤٣٨
عروة بن الورد الشاعر النصرانيّ ٤٩٢
عطارد بن حاجب الخطيب التميمي ٣٣١ ، ٣٧٣
عُقَيْل قبيلة نصرانيَّة ٩٤ ، ٩٩ ، ١٣٦
علقمة بن عَبدة الشاعر النصرانيّ ١٦٥ ، ٢١٠ ، ٤٢٧ ـ ٤٢٨ ، ٤٦٢ ، ٤٦٨
علقمة بن عديّ اللخمي وديرهُ ٨٥
عليّ بن أبي طالب ٤٦١ حِكَمُهُ المقتبسة من الاسفار المقدَّسة ٣٠٣ ـ ٣٠٦ نقودهُ ٣٨٦
علي بن بكر قبيلة نصرانيَّة وشعراؤها ٤٢٤ ـ ٤٢٥
عُمَر بن أبي ربيعة الشاعر ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٤٠٧
عُمَر بن الخطَّاب ٣٩٠ ، ٣٩٦ ، ٤٠١ ، ٤٤٨ ، ٤٦١ عمر ونصارى الجزيرة ١١٥ ، ٣٧٥ نقودهُ مع شاراتها النصرانيَّة ٣٨٥ ـ ٣٨٦
عُمَر بن عبد العزيز ٣٤٩ ، ٣٦٤ ـ ٣٦٦
عَمْران بن حطَّان ١٦٦
عَمْرو المقصور ملك كندة ٨٨
عمرو بن الاهتم التميميّ ٣٣١
عمرو بن درَّاك العبديّ الشاعر ٢٦٨
عمرو بن العاص ٣٤٩ ، ٣٧٥ ، ٣٧٩
عمرو بن عبد الحقّ ١٧٨ ، ١٨٦ ، ٢٧٧ ، ٤٠٦
عمرو بن قميئَة الشاعر النصرانيّ ٤٢١ ، ٤٢٢
عمرو بن كلثوم الشاعر النصرانيّ ١٢٥ ، ٣٨٢ ، ٤٢٠

عمرو بن لحيّ ٥ ـ ٧ ، ١١
عمرو بن معدي كرب ٢٨٢ ، ٣٧٦
عمرو بن هند ملك الحيرة النصرانيّ ٩١ ، ١٥٤
عُمَيْر بن السليل الشيباني ٤٥٧
عُمَيْرة بن جُعَيْل الشاعر النصرانيّ ٤٢٠
عنترة العبسيّ الشاعر النصراني ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٩ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٤٢٩
عوبديان أمير فاران النصرانيّ ٤٨
عوف بن سَعْد الجرهميّ ٢٧٢
عون الحيريّ العبَّاديّ المغنّي ٣٦٣
عون أسقف أيلة ٤٧
عيسى بن مريم ( السيّد المسيح ) صورتهُ في الكعبة في الجاهليَّة وفي أوَّل الإسلام ١١٧ ، ٣٥٦ اسمهُ في الشعر الجاهليّ ١٨٦ أصل هذا الاسم ٢٤٣ عصمتهُ من مسيس الشيطان وحد مع امّهِ ٢٧٨ ، ٤٧٩

= غ =

الغريض المغنّي ٣٦١ ـ ٣٦٢
غريغوريوس رئيس دير فاران ٤٨
غسَّان ( بنو ) حلولهم في باديـة الشام ٢٩ ، ٧٣ النصرانيَّة في غسَّان ٣٠ ـ ٣٩ ، ١١٤ ، ١٣٦ ـ ١٣٧ ، ١٥٨ دخول اليعقوبيَّة في غسَّان ٣٨ بناؤهم للكنائس ٨٥ ملوكهم النصارى ١٤٣
غلاقتيون الحمصي الشهيد مع زوجتهِ في طور سينا ٤٥
غوث بن مرّ الريط ٤٦٦

= ف =

فاطمة امّ امرئ القيس واخت المهلهل ٥٣٤
فاطمة الزهراء واكرامها للقبور ٤٠٢
فَان بركم ورأيهُ في أصل الهندسة العربيَّة ٣٥٠ ، ٣٩٩
فراسية أو اوفراسية ام المنذر بن امرئ القيس ٢٤٣
فرعون في الشعر الجاهليّ ٢٧٠ ـ ٢٧١
فرنسيس كسفاريوس القديس وذكرهُ لنصارى سقطرى ٦٩ ، ١٤٦
فند الزمَّاني الشاعر النصرانيّ ٤٢٤
فيلبُّوس الشمَّاس وتبشيرهُ للعرب ٢٣ ، ٣٢
فيلبُّوس العربي القيصر الروماني النصرانيّ ٣٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ٢٤٣ ، ٤٣٧
فيلوستورجيوس الاروسيّ راوي رحلة تاوفيل الهندي إلى اليمن ٥٦ ، ٣٤٣
فيميون منصّر أهل نجران ٥٩ ـ ٦٠ ، ٢٤٣ ، ٤٣٤

= ق =

قارون ( قورح ) عند العرب ٤٧٧
قاين وهابيل في الشعر الجاهليّ والتقليد ٢٦٠ ، ٤٧٨
قباذ ملك الفرس ٨٨
قبريانوس ( القديس ) رأيهُ في أصل المجوس العربيّ ٢٠
قبيصة ابن النصرانيّ الشاعر ٤٣٥
قتيلة أخت النضر بن الحارث بن كلدة ٤٥٢
قحطان أبو العرب ٥ بنو قحطان لم يختتنوا ٤٠٦
قرَّة الايادي وديرهُ ٨٥
قريش : تنصُّر قوم واحياء منها ٣١ ، ١١٨ ، ١٣٧، ٤٥٠ وضع قُريش صورة عيسى بن مريم في الكعبة ١١٧ ، ٣٥٦ تجارة قريش في الجاهليَّة وأصحابها ٣٧٨ ـ ٣٧٩ لغة قريش ٤١٠ ـ ٤١١
قسّ بن ساعدة أسقف نجران وخطيب العرب ٦٤ ، ١٢١ ، ١٦٢ ، ١٦٩ ، ١٩٢ ، ٢٤٤ ، ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ، ٣٧٩ ، ٣٩١ ، ٤٠٠ ، ٤٢٦
قضاعة وتنصُّرها ٢٩ ، ١٣٧ ، ٤٥٨ مصنوعاتها ٣٧٣
القياصرة الذين ورد ذكرهم في الشعر الجاهليّ

٣٣٥
قيس بن زهير الشاعر النصرانيّ وترهُّبهُ في عُمان ٧٠ ، ١٣٥ ، ٤٢٩
القين أو بَلْقين قبيلة نصرانيَّة ١٣٣ ، ١٣٨

= ك =

كثيّر عزَّة الشاعر ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٣٨٤
كسرى أنو شروان ٤٥٧
كعب الاحبار ٣٠٣ ـ ٤٠٤
كعب بن زهير ١٨ ، ٢٢٠
كعب بن سعد الشاعر النصرانيّ ٤٣١
كَلْب قبيلة نصرانيَّة في الجاهليَّة وبعد الإسلام ٥١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ـــ ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٣٨ ، ٤٣٦ ، ٤٥٩
كُلَيْب وائل أخو المهلهل ٤١٣ ، ٤٢٠
كندة ومعبوداتها ١٤ نصرانيَّتها ١٠٥ ، ١١٠ ، ١٢٢ ـ ١٢٣ ، ١٣٩ ، ٤٣٣ ، ٤٥٩
الكهف أصحابهُ الشهداء ٣٣٤
كيروس القديس الشهيد مبشّر عرب جزيرة سينا ٤٦

= ل =

لحيان ( قبيلة ) والنصرانيَّة بينها ٤٦٠
لخم قبيلة نصرانيَّة ٣١ ، ٧٦ ، ٩٩ ، ١٣٨
لقيط بن يعمر الشاعر الايادي ٧٥ ، ١٥٥ ، ١٨١
لوط ذكرهُ في آثار العهد الجاهليّ ٢٢٤ ، ٢٦٨ ـ ٢٦٩ ، ٣٦٩

= م =

ماء السماء ماويَّة ٨٨
ماروثا القديس أسقف ميَّافارقين ٨٣
ماري تلميذ المسيح ورسول العرب ٥٨ ، ٧٤ ـ ٧٥، ٩٥ ـ ٩٦ ، ٢٤٤
مارية وشيوع اسمها عند نصارى العرب ٢٤٤
مارية الدراميَّة ٤٧٥
مارية الغسَّانيَّة امّ امرئ القيس بن ثعلبة ١٤٧ ، ٢٤٤
مارية القبطيَّة زوجة نبيّ الإسلام ٢٤٤
مارية الكنديّة ٢٤٤
مارية بنت الأرقم امّ الحارث الأعرج ٢٤٤
مارية بنت حنظلة ٢٤٤ ، ٤٧٥
مارية بنت الصباح امّ قيس بن شراحيل ٢٤٤
مارية بنت ظالم صاحبة القرطين ٢٤٤
مازن قبيلة نصرانيَّة وبيعتها في الحيرة ١٣٩
مالك : من أسماء نصارى العرب ٢٥١
مالك الأمير وسمعان العمودي ٨١ ، ٢٥١
مالك بن فهم في العراق ٧٢ ، ٧٥
المأمون الخليفة ٤٠٦
ماوية ملكة العرب النصرانيَّة ٣٥ ، ١٤٤ ، ٤١١
المتلمس ( عبد المسيح ) الشاعر النصرانيّ ١٥٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٢٢٤ ، ٣٩٠ ، ٤٠٤ ، ٤٢٠ ، ٤٢٥ ـ ٤٢٦
متمَّم بن نويرة ٤٣٩
متَّى الرسول وتبشيرهُ للعرب ٢٢ ، ٢٩ تبشيرهُ لأهل اليمن ٥٣ اسمهُ في شعر السموأل ١٩٠ ـ ١٩١
متيَّا الرسول أحد مبشري العرب ٢٣ يبشّر في بلاد الشراة ٤٥
المثقب العبدي الشاعر النصرانيّ ١٦٣ ، ٤٠٧ ، ٤٢٦
مجنون ليلى ٣٩٢ ، ٤٦٤
المجوس وجنسهم العربي ٢١ ، ٣٦٨
محبوب ( اغابيطوس ) اسقف فاران ٤٩
محمَّد : شيوع هذا الاسم بين نصارى العرب في الجاهليَّة ١٢٦ ، ١٤٨ ، ٢٥١ ، ٤٥٥
محمَّد الخزاعي السُّلَمي المتنصّر ١٢٦ ، ١٤٨ ـ ١٤٩ ، ٢٥١ ، ٤٥٥
محمَّد بن أُحَيْحَة بن الجلاح أخو عبد المطَّلب لامّهِ ١٢٦ ، ٤٥٥
محمّد بن حمران الشويعر من نصارى مذبح ١٢٦ ، ١٤٨ ، ٤٥٥

محمَّد بن سفيان بن مجاشع الأسقف النصرانيّ الدرامي ١٢٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٤٥٥
محمَّد بن عبد الله رسول الإسلام ١١٧ ، ٣٦٥ ، ٣٧٣ ـ ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٤٧٦ ـ ٤٧٩ مواليهِ النصارى ٤٥٢
المِخَشّ العُقيلي الشاعر ٢٢٠
مدرك الشيبانيّ الشاعر ٢١٨
مَذحج قبيلة نصرانيّة ١٢٥ ، ١٣٩ ـ ١٤٠ ، ٤٣٤ ، ٤٦٠
مرار الفَقعسيّ ٤٧٠
مرار بن منقذ الشاعر ١٥٥ ، ١٨٤ ، ٢٢٤
مرامر وأَسلم وعامر الطائيُّون واضعو الكتابة العربيَّة ١٥٣ ، ٤٦١
مرثد بن عبد كلال الملك الحميري المتنصّر ٥٧
مرقس الطائي الشاعر ٢٤٥ ، ٤٧٥
المرقّش الأصغر الشاعر النصرانيّ ٣٨١ ، ٤٢١
المرقّش الأكبر الشاعر النصراني ١٥٥ ، ١٨٤ ، ٢٠٧ ، ٢٢٠ ـ ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٣٠٢ ، ٣٥٠ ، ٣٨٩ ، ٤٣١
مروان بن الحكم والنصارى ٤٤٩
مريم : شيوع اسمها في عهد الجاهليَّة بين العرب ٢٤٥ ، ٤٧٥
مريم العذراء ( والدة السيّد المسيح ) : ذكرها في الشعر العربي وفي الحديث ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٧٨ عصمتها من الخطيئة وحدها مع ابنها ٢٧٨ ، ٤٧٩ صورتها في الكعبة مع ابنها ١١٧، ٣٥٦ مسجد مريم في جوار مكَّة ١١٨ بدعة المريمانيَّة والمعادين لمريم ١١٢ ـ ١١٣
مرينا أو مرينة اسمان نصرانيَّان في عرب الجاهلية ٢٤٥
المزرّد الشاعر أخو الشمَّاخ ١٩٥
مسلمة بن مُخلد ٤٠٠ ـ ٤٠١
المُسهر اليشكريّ الشاعر ١٩٩
المسيَّب بن علس الشاعر النصرانيّ ١٧٥ ، ٣٨١ ، ٤٢١ ، ٤٢٢
المسيح الربّ ذكرهُ في الشعر الجاهليّ ١٧٠ ، ١٨٦ ـ ١٨٨ اسمهُ ، ٢٠٠ ، ٤٦٤ ، ٤٧٩ سيرتُهُ واعمالهُ العجيبة ٢٧٨ ـ ٢٨٠ صورتهُ في الكعبة قبل الإسلام وبعدهُ ١١٧
مسيلمة ( الكذاب ) نصرانيّ الأصل ٧٢ ، ١٢٩
مُضَر تعريف ديارها وقبائلها ٩٥ انتشار النصرانيَّة بين أهلها ٩٥ ـ ١٠١ شعراؤها النصارى ٤٢٧ ـ ٤٣٢
المضرّس الأسدي ١٧٧ ، ٣٩٤
المضرّس بن الربعي ١٨٤
معاوية بن أبي سفيان ونقودهُ النصرانيَّة ٣٨٦ ، ٤٠٣، ٤٦١
مَعَدَ : نصرانيَّة قبائلها وأساقفتها ٩٩ ، ١٤٠
المُغيرة بن شعبة وهند بنت النعمان ٩٢
مكسيموس الصوري وشهادتهُ في ديانة النَّبَط ٩
المكعبر عامل الفُرس في البحرين ١٥٤ ، ٣٤٣
ملكوس السائح القديس ١٠٣
الممزّق العبديّ الشاعر ٣٨٣
المناذرة وملكهم في العراق ٧٣ ـ ٧٤ تشييدهم للكنائس ٨٥
المنخّل اليشكريّ الشاعر النصرانيّ ٤٢٢
المنذر بن امرئ القيس ٤٤٦
المنذر الأوَّل بن النعمان ٨٧ تضحيتهُ للعزَّى ابنَ عدوّهِ ١٠ ، ١٦
المنذر الثاني ٨٧
المنذر بن الحارث الغسَّاني ٣٦
المنذر بن ساوي ملك البحرين النصرانيّ ٧٠ ، ٤٤٢
المنذر الثالث بن ماء السماء ٨٨ ـ ٩١ ، ١٤٧ ـ ١٤٨ ، ٤٤٦
المنذر بن النعمان أبو قابوس ٧٣ ، ٩٢
منصور : أحد أسماء نصارى العرب في الجاهليَّة

وبعدها ٢٥١
المنصور أبو جعفر الخليفة العبَّاسي ٣٤٤ ، ٤٤٠ ، ٤٨٢
منصور النمريّ الشاعر ٤٦٤
منظور الأسدي الشاعر ١٧٧ ، ١٩٦
مُنيم العربيّ النصرانيّ المبتدع ٣٢
المُهَلْهَل الشاعر التغلبيّ النصرانيّ ٤٠٤ ، ٤٢٠
مورق أو موريقيوس قيصر في الشعر العربيّ ٣٣٥
موسى النبيّ في الشعر الجاهليّ ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٣٣ ـ ٢٣٤ ، ٢٦٩ ـ ٢٧١ ، ٤٧٨ ـ ٤٧٩
موسى الناسك رسول عرب الشام ٣٥ ، ٣٢٩ ، ٤١١

= ن =

النابغة الجعدي ١٦٧ ، ٢٠٧ ، ٢٦٤
النابغة الذبياني الشاعر النصرانيّ ٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٧، ٤٢٩ ـ ٤٣٠ شواهد عديدة من ديوانهِ ١٦٤ ، ١٧٨ ، ١٨١ الخ
نابغة بني شيبان النصراني ١٣٢
ناجية من احياء قريش النصارى ١٤٠ ، ٤٥٠
النبطيُّون أو النبيط عبادتهم في الجاهليَّة للشمس ٩
هياكلهم ١٤ ملكهم الحارث في عهد بولس الرسول ٢٨ أصنامهم ٢٨ تديُّنهم بالنصرانيَّة ٤١، ٥١ ، ١٤٠ ــ ١٤١ ، ٤٣٨ ــ ٤٣٩ ، ٤٦٨
مالك آخر ملوكهم ٤١ الكتابة النبطيَّة ١٥ كتابة عربيَّة بخطّ نبطيّ ١٥٦ النبطيُّون في المدينة بعد الإسلام ٤٤٩ لم يختتن النبطيُّون في المدينة بعد الإسلام ٤٤٩ لم يختتن النبطيُّون ٤٦٠
نثير أو نثيراس أسقف فاران ٤٨
نرساي الشاعر السريانيّ ٧٤
النساطرة في جزيرة العرب ٥٨ ـ ٥٩ ، ٨٦ ـ ٨٧ في اليمن ٦٧ ـ ٦٨ في البحرين ٧١ ، ١٠١ في الحجاز ١٢١ في سقطرى ٤٤١ ، ٤٤٤
نسطاس العامريّ ٤٧٥
نسطاس مولى صفيان ٤٧٥
نسطوس ٤٧٥
النضير بن الحارث بن كَلدة الطبيب النصراني ٣٦٥، ٤٥٢
النعمان الأوَّل الأعور ٨٢ ـ ٨٣ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥
النعمان الثاني ابن الشقيقة ٨٧ ، ١٤٨
النعمان ابن الأسود ٨٨
النعمان بن الحارث الغسَّاني ٤٣٧
النعمان بن المنذر المتنصّر أبو قابوس ٩٠ ـ ٩٢ ، ١٣٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ٤٤٥ ـ ٤٤٦
النمر بن تولب ٣٩٥
النمر بن قاسط قبيلة نصرانيَّة ١٤١
نُنوُّز سفير القيصر يوستنيان إلى امرئ القيس ٤٣٤
نوح واخبارهُ في الشعر الجاهليّ ٢٣٤ ، ٢٦١ ـ ٢٦٥ ، ٤٧٧ ـ ٤٧٨ أبناء نوح ٢٦٥ ـ ٢٦٦
نونُس القديس منصّر العرب ١٠٣
نيقولا الراهب مترجم ديوسقوريدس ٣٦٨
نيلوس القديس وابنهُ في جزيرة العرب ١٠ ـ ١١ ، ٤٩

= هـ =

هابيل وقاين في الشعر الجاهلي والتقليد ٢٦٠ ، ٤٧٨
هارون الكاهن وذكرهُ في الجاهليَّة ٢٣٤ ، ٢٧٠
هارون الرشيد ٣٧٢ ، ٣٧٧
هاشم ( عمرو بن عبد مناف ) ٣٧٨ ـ ٣٧٩ ، ٤١٢
هانئ بن قبيصة سيّد شيبان النصراني ١٣٢ ، ١٣٥ ـ ١٣٦ ، ٤٥٧
هانئ بن مسعود الشيباني ٣٧٧
هرقل ذكرهُ في الشعر العربيّ ٣٣٥ الدراهم الهرقلية ٣٨٤ محاربتهُ للمسلمين مع نصارى العرب ٤٣٨
هرمز واسمهُ في الجاهليَّة ٢٤٥

هرمز وهرماس ٤٧٥ ـ ٤٧٦
هشام الخليفة الأموي والايادي الشهيد ٤٥٤
هند بنت الحارث زوجة المنذر بن ماء السماء وامّ عمرو بن هند وكتابتُها ٩١ ، ١٢٣ ، ٣٤٦ ، ٤٣٣ ، ٤٤٣
هند بنت النعمان بن المنذر المعروفة بالحُرقة ٩٢ ، ٣٤٦ ، ٤٤٦
هود واسمهُ في الجاهليَّة ٢٤٥
هوذة بن عليّ سيّد بني حنيفة النصرانيّ ٧٢ ، ١٢٩، ٢٤٥ ، ٤٤٣
الهَيْجُمانة امّ الملك النعمان ٢٤٥
هيلاريون ( القديس الناسك ) سياحتهُ في احياء العرب وتبشيرهُ لهم ٤١ ، ٤٦ ـ ٤٧ ، ٣٢٩
هيلانة الملكة القديسة مشيّدة كنيسة طور سينا ٤٦

= و =

ورقة بن نوفل القرشي المتنصّر ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٨٠ ، ٢٤٨ ، ٢٦٣ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٩٠ ، ٤٣١ ـ ٤٣٢
وكيع بن سلمة الأياديّ الناسك ٤٢٦ ، ٤٥٣
الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي ١١٥ ـ ١١٦ ، ٣٤٨ ـ ٣٤٩
الوليد بن يزيد الخليفة ٣٥٢ ـ ٣٥٣
وليعة بن مرثد ملك حمير المتنصّر ٥٧

= ي =

يحنّه بن رؤبة ( اطلب يوحنًا )
يحيى بن زكريًّا ( اطلب يوحنًّا المعمدان )
يحيى بن زياد الشاعر ٣٠٤
يربوع والردافة عندهم ٤٠٨
يزيد بن عبد المدان أمير نجران النصراني ٦٤ ، ٤٣٥
يزيد بن معاوية ٣٧٣ ، ٤٠٣
يشكر قبيلة نصرانيَّة ١٤١
يشوع وايشوع من أسماء عرب الجاهليَّة ٢٣٩
يشوع زخا الراهب مبشّر العرب ١٤٨
يشوع سبران الشهيد ٧٥
اليعاقبة : انتشارهم في اليمن ٦٥ ـ ٦٩ في ديار ربيعة من الموصل إلى شمالي سوريَّة ٨٦ ـ ٨٧ ، ٩٠ ، ١٠٠ ـ ١٠١ ، ١٠٦
يعقوب الرهاوي وشهداء نجران ٦١ ، ٣٦٨
يعقوب بن اسحاق : ذكرهُ في الجاهليَّة ٢٣٤ ، ٢٦٩، ٤٧٨
يعقوب بن حلفا ( الرسول ) وبشارتهُ في تدمر ٢٩
يغوث اسم نصرانيّ ٢٣٩
يقطان أو قحطان أبو العرب ٥
يليان سابا القديس في بلاد العرب ٧٧
اليهود في جزيرة العرب ١٨ في اليمن ٥٥ في المدينة ١١١ ، ١١٤ ، ١٥٧ اليهود المتنصّرون ٣٩ ، ١١١ بدع يهوديَّة نصرانيَّة ١١١ ـ ١١٢
يوحنا الدمشقيّ ( اطلب ابن منصور )
يوحنَّا السُّلَّميّ ( رئيس طور سينا ) ٤٩ ـ ٥١
يوحنَّا الفارسيّ الناسك ٧٧
يوحنَّا المعمدان ( يحيى بن زكريَّا ) ذكرهُ عند العرب ١٨٨ ـ ١٨٩ ، ٢٧٨ ، ٣٣٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٩ اثرُهُ في حرَّان ٣٤ ، ١٥٦
يوحنَّا ( ويحنَّة ) بن رؤية صاحب أَيْلة النصراني ١٠٨ ، ١٠٩ ، ٢٤٦ ، ٣٨٥ ، ٤٤٨
يوحنَّان الحيري الناسك ١٤٧
يوستنيان الملك بناؤهُ لكنيسة طورسينا ٤٩ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥
يوستينوس الملك وانتصارهُ لنصارى نجران ٦٠ ـ ٦١
يوسف الحسن بن يعقوب ذكرهُ في الشعر الجاهلي ١٨٩ ـ ١٩٠ ، ٢٣٤ ، ٢٦٩ يوسف واخوتهُ ٤٧٨ ـ ٤٧٩
يوشع قائد بني إسرائيل ٢٧١ ـ ٢٧٢
يوشع العمودي المؤرخ ٨٥

اليونان معبوداتهم وامتزاجها بمعبودات العرب ٢٨
يونان ( او يونس ) النبيّ ذكرهُ في الشعر الجاهليّ ٢٣٤ ، ٢٧٥ ـ ٢٧٦
يونان تلميذ مار اوكين ٧٩
يُوَنّس ويوانّس ويُحَنّس من أسمائهم في الجاهليَّة ٢٤٦
يوينياليوس بطريرك اورشليم ٤٣ ، ٤٤

# فهرس ثالث

## للبلدان والأمكنة الوارد ذكرها في الكتاب

= أ =

آدوم وآثارها النصرانيَّة ٥١
الإحساء : موقعها ٤ النصرانيَّة في أنحائها ٧٠ ـ ٧١
الأُخَيْضر قصر العراق ٣٥١
أديرة في جزيرة العرب : أديرة ملوك غسَّان ٣٠ أديرة حوران ٣٦ أديرة الغور ٤٢ أديرة شبه جزيرة سينا ٤٦ أديرة في العراق ٧٩ ـ ٨٥ ، ٤٥٥ في الجزيرة ٩٨ ، ١٠٠ في شرقيّ بلاد الشام ١٠٦ في جبال طيء ١٣٢ هندسة الأديرة ٣٤٥ ـ ٣٤٦
أَذْرُع ٤٤٨
الإزْل ( جبل ) ورهبانهُ ٩٧ ـ ٩٨ ، ١٤٧
أَسْقُف موضع في البادية ٤٧٧
الاسكندريَّة والعرب في مدرستها الطبيَّة ٣٦٥ ، ٣٦٧
اصطفانس محلَّة في البصرة ٤٧٣
الأَنْبار حلول عرب اليمن فيها ٧٢ دير الانبار ٧٩
اورشليم في الشعر الجاهليّ ٢٥١ ـ ٢٥٢ ، ٤٧٦
أيلة واميرها اوريون النصرانيّ ٤٧ اسقفها في المجمع الخلقيدونيّ ٤٧ نصرانيَّة أهلها ١٠٨ صاحبها في أوَّل الإسلام يوحنَّا بن رؤبة ١٠٨ ، ٢٤٦ ، ٣٨٥ ، ٤٤٨
ايليا اسم بيت المقدس في الجاهليَّة ٢٥٣

= ب =

بئر شقيق وآثارهُ النصرانيَّة ١٢٢
بازَبْدى وتنصُّر اهلها ٩٦ ، ٩٨
باعربايا ٩٣
بترا ( صُلَّع ) عاصمة النّبط ٤١ ـ ٤٢ ، ٤٨٢
البحرَين : موقعها ٤ النصرانيَّة فيها ٧٠ ، ٤٤٢ اسواقها ومغاصُها وتجارتها ٣٧٩ ـ ٣٨١
البَصْرة ( فُرات ميشان ) أساقفتها ٧٦
بُصْرى : النصرانيَّة فيها ٢١ ، ٣١ اساقفتها ٣٤ مطرانها بيرِلُّس واوريجانس المعلم ٣١ الأسقفيَّات المنوطة بكرسيّها ٣٧ مصانعها للأسلحة٣٧٧ ـ ٣٧٨
بغداد ٨٣ تشييدها عند الدير العتيق ٤٤٤
البقاع وأهلها النصارى من بني كلب ١٣٨
البلقاء موقعها ٤ آثارها النصرانيّة ٣٣ انتشار

النصرانيَّة بني العرب من أهلها ٣٩ ـ ٤٤ ، ١٤٤
البهنساء وانسجتُها ٣٧٣
بيت المقدس في الشعر الجاهليّ ٢٥٣ ، ٤٧٦
بيسان حاضرة فلسطين الثانية ٤٠
بيضاء بني عُقيل ٤٦٥

= ت =

تابروبانا جُزيرة سيلان والنصارى فيها ٦٩ تبالة ٤٤٨
تبوك موقعها واهلها النصارى ١١٠ ، ٤٥٩
تدمر والنصرانيَّة فيها ٢٩ ، ٤٤ ، ١٠٣ ، ٤٤٧
تكريت ٨٤ ، ٤٤٥
تنيس وانسجتها ٣٧٢ ـ ٣٧٤
تهامة : موقعها ٤
تيماء : موقعها والنصرانيَّة فيها ١١٠ كتاباتها ١٤٢

= ث =

ثَمَدُ الروم بين الشام والمدينة ٤٧٣

= ج =

جدَر ( امّ قيس ) موقعها وآثارها النصرانيَّة ٤٣٨
جَرَش وأسقفها ٣٢ ، ٤٤٨
الجزيرة ( ما بين النهرين ) : النصرانيَّة بين قبائلها العربيَّة ٩٣ ـ ١٠١
جزيرة العرب : موقعها وأقسامها وأهلها ٤ ـ ٥ أديانها القديمة في الجاهليَّة ٥ ـ ١٨ النصرانية في أنحاء جزيرة العرب ١٩ ـ ١٥١ البدع النصرانيّة فيها ٣٨ ، ١١١ ـ ١١٣ اللغات الشائعة في جزيرة العرب ٤٠٩ ـ ٤١٠
جزيرة بني عُمَر ٩٣
جنديسابور ومستشفاها ٣٤٦ الجودي ٣٦٣ ، ٤٧٧
الجوف : موقعها ٤ النصرانيّة في أنحاء الجوف ١٢٢
جولان : موقعها ٤ آثارها النصرانيّة ٣٣

= ح =

حاضر قنّسرين وأهلها تنوخ النصارى ٤٥٦
الحبش : متاجرة العرب مع أهلها ٣٧٨ ـ ٣٧٩
الحجاز : موقعها ٤ ، ١٠٦ ـ ١٠٧ النصرانيَّة في الحجاز ونجد ١٠٦ ـ ١٢٣
حَجْر قصبة اليمامة ونصرانيّة أهلها ٧٣ ، ٤٤٣
حرَّان في ما بين النهرين وديانة أهلها ١٨
حرَّان في حوران وكتابتها العربيَّة النصرانيَّة قبل الإسلام ٣٤ ، ١٥٦ ، ٣٣٤
حصن الغراب : الكتابة النصرانيّة المكتشفة فيها ٦٢
حَضَر وتنصُّر أهلها ٩٧
حَضرموْت : موقعها ٤ ، ٦٨ النصرانيَّة في حضرموت ٦٨ ـ ٦٩ أسواقها ٣٧٩
حمص وهيكل الشمس فيها ١٢
حوَّارين وأهلها العرب النصارى ٢٠٤
حوارون : موقعها ٤ النصرانيَّة في جهاتها وآثارها القديمة ٢٩ ، ٣٣ ـ ٣٤ ، ٤٠٦ ، ٤٣٦ أساقفة حوران ٣٤
الحيرة قاعدة ملوك المناذرة ٧٣ ملوكها النصارى ١٤٣ قبائلها النصرانيّة ٤٥٣ أديرتها وكنائسها ٨٢ ـ ٨٥ تجارتها وسوقها ٣٨٧ ـ ٣٨٠

= خ =

الخطّ مدينة الاحساء : كنائسها وأساقفتها ٧١ رماحها الخطّيَّات ٣٧٧
خلَصة تبشير القديس هيلاريون فيها بالنصرانيَّة ٤١ أسقفها عبد الله ٤١ ، ٤٧٣

= د =

دابق والدبيقيَّات ٣٧٢ ، ٣٧٣
دَارين جزيرة البحرين وأساقفتها ٧١
دمشق : جامعها الأموي كنيسة مار يوحنَّا القديمة ٣٤٥ حَرَم كنيستها القديم ٣٩٧
دمياط وانسجتها ٣٧٢ ، ٣٧٣

دومة الجندل وصنَمها ودّ ٧ فتحها على يد تغلتفلآسر ٨ تضحية أهلها للبشر ١٦ دخول النصرانيَّة فيها ١٠٨ ـ ١٠٩ ، ٤٥٩ انسجتها ٣٧٢
ديار بكر : حدودها وقبائلها العربيَّة ٩٣ ـ ٩٤ النصرانيّة في ديار بكر ٩٥ ـ ١٠١
ديار ربيعة : حدودها وقبائلها العربيّة ٩٤ ـ ٩٥ النصرانيّة في ديار ربيعة ٩٥ ـ ١٠١
ديار مضر : حدودها وقبائلها ٩٤ النصرانيّة بين أهلها ٩٥ ـ ١٠١
ديارات الأساقفة بالنجف ٤٤٤
دير الجاثليق ٤٤٥ = دير الجماجم ٧٨ ، ٤٤٣ = دير الحريق أو محراق بظاهر الكوفة ٧٨ ، ٧٩ = دير خندف ٨٤ = دير داؤد في الشام ١٣١ = دير سَعْد في بلاد غطفان ١٢١ = دير سَلع في المدينة ١٤٨ = دير الصليب ٧٩ = دير عبد المسيح ٨٤ ـ ٨٥ = دير العذارى في العراق ٨٥ = دير علقمة بن عديّ ٨٤ = دير قرَّة الأياديّ ٨٥ = دير قنَّى ٧٩ = دير اللجّ ٨٥ ، ٣٨١ ، ٤٤٥ ـ ٤٤٧ دير ماري ماري ٧٩ = دير مار يونان ٧٨ = دير هند ٩٢ = دير يونس ٧٩
ديُوسْقُريدس ( جزيرة سقطرى ) والنصارى فيها ٦٩، ١٤٦ ، ٤٤١ ، ٤٦٠

= ذ =

ذات حبيس ٤٥١

= ر =

ربَّة عمَّان وأسقفها ٣٢
الرصافة وآثارها النصرانيَّة ٩٩ ، ١٠٠ ، ٤٤٧ ، ٤٥٦
الرقَّة وأميرها المخلَّع والقديس سمعان العمودي ٨١
الرها وتنصُّر أهلها ٩٥ ـ ٩٧
رَيْث وديرها في طور سينا وشهداؤها ٤٨

= ز =

زَبَد وأثرها بالخطّ العربي النصرانيّ في الجاهليَّة ١٠٣ ، ١٥٦ ، ١٩٧ ، ٣٣٤ ، ٣٤٧ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٦٦

= س =

سَدُوم في الشعر الجاهليّ ٢٥٢ ، ٢٦٨
سرنديب ( اطلب سقطرى )
سقطرى الجزيرة وأهلها النصارى ٦٩ ، ١٤٦ ، ٤٤١ ، ٤٦٠
السَّلْط : النصرانيَّة بين عرب السلط قبل الإسلام ٣٩ ـ ٤٤
سَماهيج جزيرة البحرين : كنيستها وأساقفتُها ٧١
السماوة موقعها ونصرانيَّة اهلها ١٠٢ ، ٤٤٧
سنداد قصر في العراق ٦
سواد العراق وتنصُّر اهلهِ ٧٩
سوريَّة : النصرانيَّة بين عرب شماليّها ١٠١ ـ ١٠٩ آثار قديمة هناك ١٠٣ ـ ١٤٠ وأديرة عديدة ١٠٦
سيلان والنصرانيّة في جزيرتها ٦٩ ، ١٤٦ ، ٤٤١
سينا وآثارها السابقة للإسلام ٢٥٢ ـ ٢٥٣

= ش =

الشام : بادية الشام واهلها العرب ٢٧ النصرانيَّة بين قبائلها ٢٧ ـ ٢٩ أديرة بناها هناك ملوك غسَّان ٣٠ متاجرة العرب في الجاهليَّة مع الشام ٣٧٨ ـ ٣٧٩
الشَّراة : تبشير الإنجيل في جبل الشراة ٤٤ ، ٤٥
شِعْب جَبَلة ٤٠٦
شَقَّة في حوران وكنيسة مار جرجس ٣٣٤
شمَّاسيَّة بغداد ودمشق ٤٧٤

= ص =

صَعْدة في اليمن وسهامُها ٣٧٧
الصفا : موقعها ٤ آثارها النصرانيَّة ٣٣ ، ٣٧
صُلّع ( پترا ) حاضرة فلسطين الثالثة ٤ ، ١٤ ،

٢٣ ، ٤٠ تنصر أهلها ٤٢ ـ ٤٣
صنعاء حاضرة اليمن وكنيستها الفُلَيس ٦٧ ، ٣٤٤ ـ ٣٤٥ ، ٤٤٠ أساقفتها ١٤٥ ـ ١٤٦ سواقها ٣٧٩
صهيون في الشعر الجاهليّ ٢٥٢ ، ٤٧١
صوَّران ١٩٧ ، ٤٦٦

= ط =

الطائف وآثارها النصرانيَّة ١٢١
طور سينا وموقعهُ ٤ نسَّاكُهُ ١٦ ، ٤٥ النصرانية في أنحائهِ ٤٤ ـ ٥٢ شهداؤهُ ٤٦ ، ٤٨ كنائسهُ وأديرتُهُ وزوَّارهُ ٤٦ ـ ٥٠ ، ٣٤٧ ، ٣٥٥ ـ ٣٥٦ ، ٣٩٧ كتاباتهُ النصرانية ٥٠ اسمهُ في الآثار العربيّة ٢٥٢ ـ ٢٥٣
طور عابدين ورهبانهُ ٩٨

= ظ =

ظَفار في اليمن وكنيستها ٥٦ ، ٦٤ ، ٤٤١ تجارتُها بالجَزْع ٣٨١

= ع =

عَبْقر وبرودها العبقريَّة ٢٧١ ، ٢٧٣
عدَن وكنيستُها في الجاهليَّة ٥٦
العراق العربي : موقعهُ ٤ النصرانيَّة بين قبائل العرب في العراق ٧٣ ـ ٩٢
العريش ٤٧
العقيق الجبل المجاور للمدينة وقبر رسول عيسى فيهِ ١٠٧
عُكاظ آثارها النصرانيَّة ١٢١ مواسمُها وحكَّامُها ٣٧
عُمَان موقعها ٤ النصرانيَّة في عُمان وأساقفتها ٧٠ ملكها النصراني جَيْفَر ٧٠ ، ٤٦٠ تجارتها ٣٨٠
عَمَّان وأهلُها النصارى ٣٣ ، ١٤٤ شهداؤها في عهد ديوقلطيانوس ٣٠٦
عين أُباغ ٤٤٦

= غ =

غزَّة والنصرانيَّة فيها ٤٦ ـ ٤٧
الغَوْر : عربُها المتنصّرون ٣٩ ـ ٤٤ أساقفتهم ٤٣ ـ ٤٤

= ف =

فاران مدينة في جزيرة سينا : ذكر امرائها وأهلها وأديرتها وأساقفتها وآثارها ٣٨ ـ ٤٩
فَرَسان الجزيرة وأهلها النصارى ١٣٧ ، ٤٤٢
فسطاط : جامعها من بناء النصارى ٣٤٩
فلسطين الثانية والثالثة وانتشار النصرانيَّة بين أهلها العرب ٤٠
فهيل ٤٣٨
فينيقيون من واحات العرب وأهلها النصارى ٥٠ ـ ٥١

= ق =

القدس وبيت المقدس في الشعر الجاهلي ٢٥٢ حجّ النصارى إليهِ ٣٩٦
القريتَين ونصرانيَّة أهلها ٢٠٤
قصور : الأُخَيْضر ٣٥١ = الخَوَرنق ٣٥١ = الجعفري ٣٥٢ = طوسة ٣٥٢ = قصر العدَسيّين ٣٥١ = قُصَيْر عمرة والمشتَّى ٣٥٢
قَطَر مدينة البحرين : نصرانيَّتها وأسقفها ٧١ ، ٤٤٢
قُلَيس صنعاء ٦٤ ـ ٦٥ ، ٢٠٢ ، ٣٤٤ ـ ٣٤٥ ، ٣٩٧ ، ٤٤٠

= ك =

الكعبة وآثارها النصرانيَّة ١١٧ ـ ١١٨ بناء النصارى للكعبة وللمسجد الحرام ٣٤٧ ـ ٣٤٨، ٤٧٤ تصاويرُها المسيحيَّة ٣٥٦ كسوتها في الإسلام ٣٧٢ ـ ٣٧٣ الحَلَف بالكعبة ٤٠٤
كعبة نجران ٣٤٥ ، ٣٥٥

= ل =

اللجأ : موقعها ٤ آثارها النصرانيَّة ٣٣

= م =

مأرب وسدّها ٦٢ ـ ٦٣ ، ١٢٤ ، ١٤٥ إصلاح أبرهة لسدّ مأرب سنة ٥٤٢ م ٦٣
ماردين والنصرانيَّة في أنحائها ٩٨
مالي أو ملبار والنصارى فيها ٦٩
المدائن ومجمعاها السنتين ٤١ و ٤٢٠ ، ٨٣ ، ٤٤٤
مَـدْين : رهبانهـا فـي الجاهليَّـة ١٥٤ ، ١٩٦ ملوكهـا ووضعهم المزعوم للأبجديَّة ١٥٤
المدينة ( يثرب ) قبر رسول عيسى في جوارها ١٠٧ آثارهـا النصـرانيَّة فـي الجاهليَّـة وأوَّل الإسـلام ١١١ ـ ١١٦ ، ٤٤٩ النسـاطرة وكنائسـهم فـي المدينـة ١١٥ دير سَـلْع فـي المدينـة ١٤٨ بنـاء النصـارى لمسـجد النبـي فيهـا ٣٤٨ ـ ٣٤٩ النصـارى في المدينـة قبل الإسلام وبعدهُ ١١٥ ، ٤٤٩
مصر : نصارى مصر المهاجرون إلى جزيرة العرب في أيَّام الاضـطهاد ٥٥ جامع الفسطاط من بنـاء النصارى ٣٤٩
مَعَان : موقعها ونصرانيَّة أهلها ١١٠ ، ٤٣٨
مكَّـة : تعظـيم العـرب لهـا ٥ أصـنامُها ١٢ ، ١٣ النصرانيَّة في مكَّة ١١٦ ـ ١٢١ بناء النصارى للكعبـة والمسـجد الحـرام فـي مكَّـة ٣٤٧ ـ ٣٤٨ موقف النصارى ومقبرتهم في مكَّة ٣٨٠ ، ٤٥٠ ـ ٤٥١ حجُّ النصارى إلى مكَّة ٣٩٧ ، ٤٥٠
مَهْـرة موقعهـا ٤ النصـارى فيهـا ٦٨ ـ ٦٩ ، ١٤٠ ، ١٤٦
مؤَاب وآثارها النصرانيَّة في جزيرة العرب ٥١
موتة وواقعتها ٤٣٨
موزن أحد مناسك الرهبان ١٩٧
الموصل وأديرتها ٨٣ ـ ٨٤
موقف النصارى ومقبرتهم في مكَّة ٣٨٠
مَيْسنان او ميسان في العراق ٢٠٦

= ن =

النبك وأهلها النصارى ٢٠٤
النجب : النصرانيَّة في أنحائها ٤٤ ـ ٤٦
نجْـد موقعهـا ٤ ، ١٢١ النصـرانيَّة بـين أهلهـا ١٢١ ـ ١٣٣
نجـران : صـنمها العـزَّى ١٣ ، ٥٩ تنصُّـر أهلهـا واستشـهادهم ٥٩ ـ ٦١ ، ٦٣ ـ ٦٤ ، ١٤٥ ، ٢٨٢ كعبة نجران ٦٣ ـ ٦٤ ، ٣٤٥ أساقفتها ٦١ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ١٢٨ ، ٤٠٨ ثبوت النصرانيَّة في نجـران بعـد الهجـرة ٦٧ ـ ٦٨ بروذُهـا ٣٧٠ دروعُها ٣٧٦
النجف وديارات الأساقفة ٧٣ ، ٤٤٤
نصيبين ونصرانيَّة أهلها ٩٧ ـ ٩٨
نيسابور ٣٩١

= هـ =

هَجَـر قصـبة البحـرين : موقعهـا ٤ النصـرانيَّة فيهـا وأساقفتها ٧٠ ـ ٧١ ، ٤٤٢ تجارتها ٣٨
هرمز في خليج العجم وكنيستها في الجاهليَّة ٥٢ هَكِر في اليمن ٢٠٦
الهنـد فـي اصـطلاح القـدماء تعنـي بـلاد العـرب ٢٦ وخصوصًا اليمن ٥٤ ، ٥٧ ، ١٤٤ ـ ١٤٥

= و =

وادي القرى منسك الرهبان ١٩٦ ـ ١٩٧

= ي =

يثرب ( اطلب المدينة )
اليمامـة موقعهـا ٤ النصـرانيَّة فـي اليمامـة ٧١ ـ ٧٢ ، ٤٤٢ ـ ٤٤٣
اليَمَن موقعهـا ٤ ، ٥٢ لغـة اليمن ٥٣ النصـرانيَّة فـي اليمن وجزائرها ٥٢ ـ ٦٩ ، ٤٤١ ـ ٤٤٢ تبشير الرسـل فـي اليمن ٥٣ ـ ٥٥ ، ٤٣٩ ملوكهـا النصارى ١٤٣ كنائسها ٥٦ ـ ٥٧ ، ٣٤٣ ـ ٣٤٤ البرود والأنسجة اليمنيَّة ٣٧٠ ـ ٣٧٤ لم يختتن اليمنيُّون ٤٠٦ شعراء اليمن النصارى ٤٣٣ ـ ٤٣٦

# فهرس رابع

## للمفردات اللغويَّة عند نصارى العرب

= أ =

الآبِل والمتأبِّل ٤٦٥
الآخني ٢١٨
الآية ١٨١
الله ١٥٨ ـ ١٥٩
ابابيل ٤٧١
ابليس ١٦٨
الأَبيل اسم السيّد المسيح ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ضارب الناقوس ٢٠٨
الاحتساب ١٧٣
الأَديم ٢٢٠
الإران ٢٢٦ ، ٤٧١
الأَرباب ١٩٢
الأَرَنْدَج واليَرَنْدج ٢١٨ ـ ٢١٩
الاسطوانة ٢١١
الإسقف ١٩١
الأَشْعث ( من أسماء الرهبان ) ١٩٨ ، ٤٦٦
الإضْريج ٢١٨
الأَكَيْراح ٢٢١
الانجيل ١٨٥
الابيليّ ١٩٤
الإيمان ١٧٢

= ب =

الباعوث والباغوث ٢١٧
البُرْنس ٤٦٩ ـ ٤٧٠
البطرك والبطريق ١٩٠ ـ ١٩١
البَعْث ١٦٩
البوق ٢٢٦ ، ٤٧١
البيعة ٢٠٢ ، ٤٦٦

= ت =

النامور ٢١٢
التقديس ٢٠٨
تقرَّبَ ٢٠٩
التمثال ١٩٨ ـ ١٩٩
تنحَّسَ ٢١٦
التوراة ١٨٣ ـ ١٨٤

= ج =

الجاثليق ١٩١
الجَرَس ٢٠٨
الجُلاذيّ والجُلَذي ١٩٧ ـ ١٩٨
جهنّم ١٦٧ ، ٤٦٢

= ح =

الحازي ٤٦٢
الحَبْر ١٩١ ـ ١٩٢ ، ٤٦٥
الحبيس ١٩٧
الحجّ ١٧٩
الحنيف : النصراني والراهب ١١٩ ، ١٤٨ ، ١٩٧
الحواريّ الحواريَّات ١٩٨

= خ =

الخالق والخلاَّق ١٦٢

= د =

الدُّمْية ٢٠٥ ـ ٢٠٦
الدِنْح ٢١٥
الدواة ٢٢٤
الدير ٢١٢
الدَّيْراني ١٩٧ ، ٢١٢

الديرانيَّة ١٩٩
الدين ١٦٩ ـ ١٧٠

= ر =

الراكع ١٧٨
الراهب ١٩٤ ، ١٩٦
الربّ ١٥٩
الربيط ١٩٧ ، ٤٦٦
الرجيم ١٧٠
الرحمان والرحيم ٢٣ ، ١٦٣ في الكتابات الحميريَّة ١٤٥
الرسول ١٨٣
الرقّ ١٨٥ ، ٢٢١
الرقيم ٢٢١ ـ ٢٢٢
الرُكْح ٢١٢
الركوع ١٧٨
الريط ٢١٩

= ز =

الزَّبُور. الزُبُر ١٦٩ ، ١٨٤ ـ ١٨٥
الزمزمة ٣٦٠
الزون ٢٢٦

= س =

الساروفيم والسرافيل ١٦٦
الساعور ١٩٤
الساعي ١٩٢
السائح ١٩٩ ـ ٢٠٠
السباسب ٢١٥
السُبَّار ٢١٤
سَبَّحَ ١٧٨
السُبْحة ٣٩٤
السِجِلّ ٢٢٣
السُجود ١٧٧ ـ ١٧٨
السَّطْر ٢٢٣
السعانين ٢١٥، ٤٦٩
السعيدة ٢٠٢
السِفْر ١٨٠ ـ ١٨١ ، ٢٢٣
السلاَّق ٢١٧ ، ٢٦٩
السَّليط ١٦٢
السَّلْوى ٢٧١
الساء ١٦١ ـ ١٦٢
السِملاَّج ٤٦٩
السُورة ١٨٢ ، ٥٦٣ ـ ٥٦٤

= ش =

الشاطن والشيطان ١٦٨
الشَّبَر ٢٠٩ ، ٤٠٦
الشَّرْجع ١٦٧
شَمْعل والشَّمْعلة ٢١٧ ـ ٢١٨ ، ٣٦٠
الشمَّاس ١٩٣ ، ٤٦٥

= ص =

الصحيفة ١٨١ ـ ١٨٢ ، ٢٢٢
الصَّرْح ٢١٣
الصَّرُورة ١٩٦
الصلاة ١٧٧
الصليب ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ، ٤٦٧
الصُوَر ٢٠٤ ـ ٢٠٥
الصَمَد ١٦٠
الصوم ١٧٩
الصومعة ١٧٤ ، ٢١٣

= ط =

الطربال ٢١٣

= ع =

العابد والعباد والعبد ١٧٢ ، ١٩٨ ، ٤٦٦
عَدْن ١٧٠
العرَّاف ٢٠٠
العرش ١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٨٤
العزيز ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٤٦٨
العَسَطوس ١٩٢
العسيب ٢٢١
العُمْر ٢١٣

العنوان ٢٢٣
العيد ١٧٣

= غ =

الغطاس ٢١٥

= ف =

الفُرْقان ١٨٢ ، ٢١٠ ـ ٢١١
الفِصْح ٢١٦ ـ ٢١٧ ، ٤٦٩

= ق =

القباطيَّات ٣٧٢
القِبلة ١٧٤ ـ ١٧٥ ، ٣٩٣
القرآن ١٨٣ ، ٢١٠ ـ ٢١١
القربان ٢٠٩
القرطاس ٢٢٠ ، ٤٧٠
القسّ ومشتقَّاتها ١٩٢ ـ ١٩٣ ، ٤٦٥
القِمطّ ٢٢٢
القُلاّية ٢١٣
القَلَم ٢٢٠
القَلَنْدَس ٢١٥
القُلَّيس ٢٠٢
القِمَطْر ٢٢٣
القُوس ٢١٤
القوقة ٢٠٠
القيامة ١٦٩

= ك =

الكاروبيم ١٦٥
الكاهن ٣٦ ، ٢٠٠ ـ ٢٠١
الكتاب ٢٢٢
الكتَّان ٢١٩
الكِرْح ٢١٤
الكَرُوبيّة ١٦٥
الكَعْبة ١٧٤
الكنيسة ٢٠١

= ل =

اللوح ٢٢١

= م =

المؤمن ١٧٢
المئذنة ١٧٥ ـ ١٧٦
المائدة ٢١٠ ـ ٢١١
المتأبِّل ٤٦٥
المتبتِّل ١٩٦
المتعبِّد ١٩٨ ، ٤٦٦
المجلّة ١٨١ ، ٢٢٢ ـ ٣٢٣ ، ٤٦٤
المِحراب ١٧٤ ـ ١٧٥ ، ٢٠٣
المحرَّر ١٩٩
المِداد ٢٢٤
المَذْبَح ٢٠٣
المسجد ١٧٤
المِسْح ٢١٩
المُسْنَد ١٥٢ ، ٣٩٠ ، ٤٦١
المصباح ١٧٦
المِصحَف ١٨١ ـ ١٨٣ ، ٢٣٢
المَصلَّى ١٧٣ ـ ١٧٤
المِطران ١٩١
المُغَلْغلة ٢٢٢
المُقدِّس ١٩٨ ـ ٢١٨
الملاك ١٦٤ ـ ١٦٦
المنارة ١٧٥ ـ ١٧٦
المِنْبر ٢١١
المِنّ ٢٧١
المَنْهَمة ٢١٤
المُهْرَق ٢٢١
المُهَيْمَن ١٦٢
المُوق ٢١٩
الميزان ١٦٩ ، ١٨٤

= ن =

الناؤوس ٢٢٦ ، ٢١٤ ، ٤٦٨ ، ٤٧١
الناسك ٢٠٠
الناقوس ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ، ٤٦٧

الناموس ٢١٤ ، ٢٢٦ ، ٤٦٨ ، ٤٧١
النبيّ ١٨٣
النَذْر ١٧٣
النزير والنذيرة ١٩٩
النِقس ٢٢٤ ، ٤٧٠
النهامي ١٩٨ ، ٢١٠

= هـ =

الهِنْزمْن ٢١٧
الهَيْكل ٢٠٢ ـ ٢٠٣
الهَيْنَمة ٣٦٠

= و =

الوافه ١٩٣
الواقف ١٩٣
الواهف ١٩٣
الوَتَن ٢٢٦
الوحي ١٨٠
الوَرَق ٢٢١

# فهرس خامس

## في أديان العرب في عهد الجاهليَّة

= أ =

الابيونيون في جزيرة العرب ١١٢
أديان العرب في الجاهليَّة قبل النصرانيَّة ٥ ـ ١٨
الإريوسيون في جزيرة العرب ١١٣ ، ٤٣٦
إساف ونائلة الصنمان ٦ ، ١٥
الأصنام وعبادتها عند العرب ٨ ـ ١٣ نسبتُها زورًا إلى النصارى ٣٥٤
الانصاب وإكرامها ١٢ نَضْحُها بالدم ١٧ الأنصاب والنصارى ٢٠٦ ، ٤٠٤

= ب =

البعل وعبادتهُ عند العرب ١١

= ث =

الثريَّا من معبودات العرب ١٢
الجبَّار أو الجوزاء من معبوداتهم ١٢
جدّ من أصنام العرب ١٢
جَلْسَد الصَّنَم ٦
الجَمَرات أو رمي الحصى عند عرب الجاهليَّة ١٥

= ح =

الحجارة واكرامها عند قدماء العرب ١٢ ، ١٤ استلام الحجر الأسود ٣٩٨
الحيوان وعبادتهُ عند عرب الجاهليَّة ١٣

= د =

الداؤدة أو الداوُديون في جزيرة العرب ١١٣

= ذ =

ذات أَنواط من معبودات العرب ١٣
الذبائح عند العرب ١٦ ، ١٤٢ ذبائحهم البشرية ١٦ ـ ١٧
ذو خَلَصة من معبودات العرب ١٢ ، ١٤٣
ذو الشَّرَى معبود النبطيين ٩ ، ٢٨

ذو الكعبات الصنم ٦ ، ١٤
ذو الكفَّين صنم دوس ١٥
= ر =
رئام صنم الازد ٦
رضا الصَّنَم ٦ ، ١٢
= ز =
زُحَل معبود للعرب ١١
الزُّهَرة شيوع عبادتها في أنحاء العرب ٩ ـ ١١ ، ١٤٢
= س =
سَعْد الصنم ٦ ، ١٢
السَّعيدة من مناسك النصارى في ربيعة ٢٠٢
السَّكْب في دين العرب ١٥
سُواع الصَّنم ٦ ، ١٣
= ش =
الشجر وعبادتها عند قدماء العرب ١٣
الشمس صنم عذرة ٦ عبادتها في جزيرة العرب ٧ ـ ٩ هيكلها في حمص ١٢ صورة شكل صنمها ١٥
= ص =
الصابئيَّة بين العرب ١٧
= ط =
الطير وزجرها عند العرب ١٤
= ع =
عَتَر أو عشتار معبودة العرب ١٠ ، ١١
العُزَّى الصنم ٦ عبادتها عند العرب ٩ ـ ١١ في نجران ٥٩ صورتها ١٣ تضحية البشر لها ١١، ١٦ حَلَف العرب بالعزّى ٤٠٤
عزيز من آلهة العرب ١١
عوف معبود العرب ١٣
= غ =
الغريَّان والمنذر ٨٩
= ف =
الفطائريُّون المبتدعون ١١٢
الفَلْس الصَّنَم ٦
= ق =
قُزَح من معبودات العرب ١٢
القصير الصنم ٦
القمر معبود العرب ٩ شكل صورتهِ ١٥
= ك =
كبرَ أحد معبودات العرب ١١
كَثرى من أصنامهم ١٢
الكسائيُّون في جزيرة العرب ١١٢
الكَعَبات عند العرب ١٤ ، ٣٩٧
كعبة مكَّة ١١٦ ـ ١١٨ ، ٣٩٧
كعبة نجران وكعبة اليمن ٦٤ ، ١٤٩ ١٧٨ ، ٣٩٧
الكواكب وعبادتها عند العرب ٨ ـ ١٠
= ل =
اللات الصنم ٦ عبادتها عند العرب ٩ ـ ١٠ الحلَف باللات ٤٠٤
= م =
المانويَّة في جزيرة العرب ٨٩
مجاور الريح صنم ٦
المجوسيَّة بين العرب ١٧ ، ٧٠ ، ٧٩
المريميَّة أو المريمانيَّة عند العرب ١١٢ ـ ١١٣
مزدك والمزدكيَّة بين العرب ٨٩
مطعم الطير صنم ٦ ، ١٥
المُعادون لمريم عند العرب ١١٣
المقامات الدينيَّة في العرب ١٣ ـ ١٤
مناة الصَّنَم ٨ ، ١١ ، ٣٨
مناف الصنم ٦ ، ١٢ ، ١٥
مونيموس من معبودات العرب ١١
= ن =
نائلة صنم مكّة ٦ ، ١٥
الناصريُّون في جزيرة العرب ١١٢
نسْر الصنم ٦ ، ١٣
النسطوريَّة في جزيرة العرب ٥٠ ، ٦٧ ـ ٦٨ ، ٧١ ، ٨٦ ـ ٨٧ ، ١٠٠ ـ ١٠١ ، ١١٥ ، ٤٣٦

النصرانيَّة تاريخها في جزيرة العرب ١٩ مبادئها ١٩ ـ ٢٦ النصرانيَّة بين عرب الشام ٢٧ ـ ٣٩ بين عرب الغور والسلط والبلقاء ٣٩ ـ ٤٤ في النجب وطورسينا ٤٤ ـ ٥٢ في اليمن ٥٢ ـ ٦٨ في حضرموت وعمان واليمامة والبحرين ٦٨ ـ ٧٢ في العراق ٧٣ ـ ٩٢ في الجزيرة ٩٣ ـ ١٠١ في شمالي سوريَّة ١٠١ ـ ١٠٦ في الحجاز ونجد ١٠٦ ـ ١٢٣ مقبرة النصارى في مكَّة ومواقفهم ١١٨ المفردات النصرانيَّة في العربيَّة ١٥٧ ـ ٢٢٦ الاعلام النصرانيَّة ٢٢٧ ـ ٢٥٣ الأحداث النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة ٢٥٤ ـ ٢٨٣ أمثال العرب المنقولة عن الأسفار المقدّسة ٢٨٣ ـ ٣٠١ حكم العرب والأحاديث المنقولة عن الأسفار الإلهيَّة ٣٠١ ـ ٣٢٥ الخطابة النصرانيّة بين عرب الجاهليَّة ٣٢٥ ـ ٣٣٢ التاريخ النصرانيّ بين عرب الجاهليَّة ٣٣٢ ـ ٣٣٦ التعاليم الفلسفيَّة واللاهوتيَّة بين نصارى الجاهليَّة ٣٣٦ ـ ٣٤٢ الفنون الجميلة بين نصارى العرب ٣٤٢ ـ ٣٦٣ العلوم والصنائع بينهم ٣٦٣ ـ ٣٩٢ العادات النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة ٣٩٢ ـ ٤٠٨ الشعر النصراني وشعراء النصرانيَّة بني عرب الجاهليَّة ٤٤٨ ـ ٤٣٦

= هـ =

هُبَل الصنم ٦ ، ١٥

= و =

ودّ معبود دومة الجندل ٦ ، ١٢ ـ ١٤ ، ٤٥٥

= ي =

يتع صنَم النبطيين ٢٨
اليعقوبيَّة في بلاد العرب ٦٥ ـ ٦٦ ، ٨٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ٤٣٦
يعوق الصنم ٦
يغوث الصنم ٦ ، ١٣
اليهوديَّة في جزيرة العرب ١٠ ، ٦٠ ، ٧٠

# فهرس سادس

## لموادّ الكتاب على حروف المعجم

= أ =

الآداب والحقوق بين نصارى العرب ٣٣٩ ـ ٣٤٠
أديان العرب في الجاهليَّة قبل النصرانيَّة ٥ ـ ١٧
المجوسيَّة والصابئيَّة ١٧ اليهوديَّة ١٨ النصرانيَّة ١٩ ـ ١٤٩
الاسم الكريم والأسماء الحُسْنى في الجاهليَّة ١٥٨ ، ١٦٣ ، ٢٣٥ ـ ٢٣٩
الاعلام النصرانيَّة في العهد الجاهليَّة ٢٢٧ ـ ٢٥٣ .
(١ الاعلام المستعارة من الاسفار المقدّسة ٢٢٨ ـ ٢٣٤. (٢ الاعلام المتضمّنة للاسم الكريم ٢٣٥ ـ ٢٣٨ . (٣ الاعلام النصرانيَّة المحضة ٢٤٠ ـ ٢٤٥ . (٤ الاعلام النصرانيَّة الوصفيَّة ٢٤٦ ـ ٢٥٠ . (٥ الاعلام

النصرانيَّة الجغرافيَّة ٢٥١ ـ ٢٥٣
الله تعالى ومعرفة نصارى العرب بهِ وبصفاتهِ ٣٣٦ ـ ٣٣٨
الألوية النصرانيَّة في حروب النصارى ٣٥٧
الألفاظ النصرانيَّة في لغة عرب الجاهليَّة ١٥٧ ـ ٢٢٦
الأمثال العربيَّة المنقولة عن الأسفار المقدَّسة ٢٨٣ ـ ٣٠٠
الأنبياء الذين ضرب بهم العرب المثل ٢٨٨ ـ ٢٩٠
الإنجيل والعرب ٢٠ ـ ٢٢ الإنجيل في الشعر العربيّ ١٨٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٧٦ أمثال نقلها العرب عن الإنجيل ٢٩٥ ـ ٣٠٠ حكمٌ نقلوها منه ٣٠٤ ـ ٣٠٦ ما نقلهُ الحديث من الإنجيل ٣١٤ ـ ٣٢٢
الايلاف تجَّار مكَّة ٣٧٨ ـ ٢٧٩

= ب =

البعث والنشور في الشعر الجاهليّ ١٦٣ ــ ١٦٤ ، ١٦٨ ـ ١٧٠ ، ٣٤١

= ت =

التاريخ عند العرب في الجاهليَّة والإسلام ٤٠٣ ـ ٤٠٤
تاريخ الكنيسة في مرويَّات عرب الجاهليَّة ٢٨٠ ـ ٢٨٣ التاريخ النصرانيّ وما عرفوا منهُ ٣٣٢ ـ ٣٣٦
التجارة ونصارى العرب ٣٧٨ ـ ٣٨٣
تجويد القرآن وتلحين النصارى ٣٩٤
التصوير بين نصارى العرب في الجاهليَّة ٣٥٢ ـ ٣٥٨
التعليم وسعي النصارى في نشرهِ بين عرب الجاهليَّة ٣٨٩ ـ ٣٩١
تكوين الخليقة وما ورد عنهُ في الشعر العربيّ ٢٥٤ ـ ٢٥٧ علم نصارى العرب بخصوص التكوين ٣٤١
التوراة والزبور في الشعر الجاهلي ١٨٣ ـ ١٨٤ الحديث ومقتبساتهُ من التوراة ٣٠٦ ـ ٣٢٥

= ج =

الجامع الأقصى في القدس والجامع الأموي في دمشق وجامع عمرو في مصر من أبنية النصارى ٣٤٩
الجَزْم أي الكتابة العربيَّة وأصلهُ ١٥٣ ـ ١٥٥ ، ٣٩٠ ، ٤٦١

= ح =

الحجاب عند النصارى والمسلمين ٤٠٦ ـ ٤٠٧
الحجّ عند نصارى العرب ١٧٩ ، ٤٠٥ الحجّ في النصرانيَّة والإسلام ٣٩٦ ـ ٣٩٨
الحدادة ونصارى العرب ٣٧٥ ـ ٣٧٨
الحديث الإسلاميّ النبوي المنقول عن الأسفار المقدَّسة ٣٠٦ ـ ٢٢٥ ، ٤٧٩ ـ ٤٨١
الحرَم والحِمّى في مقامات العرب الدينيَّة وفي كنائس النصارى ١٤ ، ٣٩٧
الحساب والدينونة في الشعر الجاهلي ١٦٨ ـ ١٧٠
حكم العرب المنقولة عن الكتب المقدَّسة ٣٠١ ـ ٣٠٦
حكَّأم العرب في الجاهليَّة ٣٦٩ ـ ٣٧٠
الحَلَف في عرف نصارى العرب ١٩٤ ، ٤٠٤ ـ ٤٠٦
حمامة نوح وغرابهُ ٢٦١ ـ ٢٦٤ ، ٤٧٧ ـ ٤٧٨ حمام مكة ٣٩٧
الحنيفيّة شيعة نصرانيَّة في الجاهليَّة وأوَّل الإسلام ١١٨ ـ ١٢٠ ، ١٣٢ ، ٤٥١ الحنيف بمعنى النصرانيّ والراهب ١١٩ ، ١٤٨ ، ١٩٧
الحياكة والأنسجة عند نصارى العرب ٣٧٠ ـ ٣٧٤

= خ =

الختانة ليست عند جميع العرب ٤٠٦ ، ٤٨٢
الخطابة النصرانيَّة في الجاهليَّة ٣٢٥ ـ ٣٣٢ تقليد العرب للخطابة النصرانيَّة الدينيَّة ٣٩٩ ـ

٤٠٠
الخطّ العربيّ وأصله للنصارى ١٥٢ ـ ١٥٥ ، ٢٢٣
خمر القربان وكأسها ٢٠٩ ـ ٢١٠
خميس العهد أو الفصح ٢١٥ ـ ٢١٦

= د =

الدروع ونسبتها إلى داؤد ٢٧٣ الدروع العربيّة وقيونُها النصارى ٣٧٦ ـ ٣٧٧
الدواوين النصرانيَّة في الاسلام ٤٠٣
الدين ومقاماتهُ ومناسكهُ في الثغر الجاهلي ١٧١ ـ ١٧٩

= ر =

الرجز والسجع عند قدماء العرب ٤١٢ ـ ٤١٣
الرَّدافة عند العرب ٤٠٨
الرهبان ومناسكهم في الشعر العربي ١٧٧ ـ ١٧٩
أسماؤهم وعباداتهم ١٩٤ ـ ٢٠٠ الرهبانيَّة ١٩٩
الرواهب ١٩٩

= ز =

الزبور والتوراة في الشعر الجاهلي ١٨٣ ـ ١٨٤ ، ٢٧٣ ، ٤٦٤ مقتبسات العرب من الزبور ٣٠٢ ـ ٣٠٦ ما نقلهُ الحديث من الزبور ٣٠٩ ـ ٣١٠
الزبور لسان جرهم ٤٤٩
الزكاة في النصرانيَّة والإسلام ٣٩٦

= س =

السَّجَع والرجز عند العرب وأصلهما ٤١٢ ـ ٤١٣
السُّرج والمصابيح في كنائس النصارى ٢٠٨ ، ٤٧٦
السماء والجحيم في الشعر الجاهليّ ١٦٣ ـ ١٧٠
السيَّاح في جزيرة العرب ٧٦
السيوف العربيَّة ٣٧٦

= ش =

الشرع الإسلاميّ وأصلهُ النصراني ٤٠٢ ـ ٤٠٣
الشعر العربيّ وأصلهُ ٤٠٨ ـ ٤١٤ ترْقيهِ وتقصيد القصائد ٤١٤ ـ ٤١٥

شهداء النصارى بين العرب : شهيدات العراق ١١ ، ١٦ شهداء فاران ٤٩ شهداء نجران ٥٩ ـ ٦٤، ٢٨٣ ، ٣٣٤ أصحاب الكهف ٣٣٤

= ص =

الصلاة وآدابها بين نصارى العرب ٣٩٢
الصنائع عند نصارى العرب ٣٧٠ ـ ٣٩١ صناعة النَّسْج والحياكة ٣٧٠ التجارة ٣٧٤ الحدادة والأسلحة ٣٧٥ التجارة ٣٧٨ الملاحة ٣٨٢ النقود ٣٨٣ التعليم ٣٨٩
الصور عند نصارى العرب ٢٠٤ ـ ٢٠٦
الصوم في الشعر الجاهلي ١٧٩ الصوم النصراني والإسلاميّ ٣٩٥ ـ ٣٩٦ صوم عذارى العرب يوم ذي قار ١٣٦
الصومعة ١٧٥ ، ٢١٣ تقليدها بالمنارة ٤٠٠ ـ ٤٠١

= ط =

الطبّ النصراني بين العرب ٢٦٤ ـ ٣٦٧
طواف نصارى العرب حول كنائسهم ٣٩٧ ـ ٣٩٨
الطوفان في الشعر الجاهلي ٢٦١ ـ ٢٦٤ ، ٤٧٧

= ع =

عادات العرب المنقولة عن النصارى ٣٩٢ ـ ٤٠٨ العادات الدينيّة ٣٩٣ العادات الشرعيَّة والاجتماعيَّة ٤٠٢
عذارى النصارى المضحيَّات للعزَّى ١١ ، ١٦ عذارى العرب النصرانيَّات يوم ذي قار ١٣٦ العذارى عند نصارى العرب ١٩٩
العصاة الرعويَّة وتقليدها في الإسلام ٤٠٠
العلوم والصنائع عند نصارى العرب ٣٦٣ ـ ٣٩١ الهندسة ٣٤٣ ـ ٢٦٣ التصوير والنحت ٣٥٣ الموسيقى والغناء ٣٥٨ الطب ٣٦٤ علم النبات ٣٦٧ علم النجوم ٣٦٨ الفقه ٣٦٩
العمامة عند نصارى العرب ٤٠٨
العَهْدان العتيق والجديد وما نقلهُ عنهما شعراء

العرب ٢٥٤ ـ ٢٨٣

= غ =

الغناء العربيَّ وأصلهُ النصراني ٣٥٨ ـ ٣٦٣ ، ٤١١ ، ٤١٤ ، ٤٨١

= ف =

الفسيفساء في كنائس النصارى ٣٤٨ ، ٤٤٠ ، ٤٦٨
الفقه بين العرب وأصلهُ النصراني ٣٦٩
الفلسفة النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة ٣٣٦ ـ ٣٤٠
الفنون الجميلة بين نصارى العرب ٣٤٣ ـ ٣٦٣

= ق =

قبائل العرب المتنصّرة ٩٥ ، ١٢٤ ـ ١٤١ ، ٤٤٧، ٤٥٢ ـ ٤٥٣
القبور واكرامها في النصرانيَّة والإسلام ٤٠١ ـ ٤٠٢
قصور ملوك العرب والخلفاء من أبنية النصارى ٣٥١ ـ ٣٥٣

= ك =

الكتابة العربيَّة وأصلها النصراني ٩٣ ؛ ١٥٢ ـ ١٥٧ ، ٤٦١ ـ ٤٦٢ كتابة بني حمير (المسند) ١٥٢ ، ٣٩٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٣ الكتابة النبطيَّة ١٥٢ شيوع الكتابة عند نصارى العرب ٤٦ الكتابات النصرانيّة القديمة في زبد وحوران ٣٤، ٤٦١
الكنيسة عند نصارى العرب ٢٠١ ، ٤٦٦ ـ ٤٦٨
معرفة العرب بتاريخ الكنيسة وأصلها ورتبها واسرارها وشهدائها ٣٣٣ ـ ٣٣٤
الكهف وأصحابُهُ الشهداء ٢٨١
المئذنة والمنارة عند نصارى العرب ١٧٥ ـ ١٧٦ ، ٤٠٠

= ل =

اللاهوت وتعاليمهُ عند نصارى العرب ٢٤٠ ـ ٣٤٢
اللغة العربيَّة وأقدم آثارها في الجاهليَّة ٤٠٩ ـ ٤١٢

= م =

المجامر في النصرانيَّة والإسلام ٤٠١
المجوس الساجدون للمسيح وأصلهم العربيّ ٢٠ ـ ٢١
الرأي المرجّح كونهم من اليمن ٥٣
المسجد في الشعر الجاهليّ ١٧٤ المساجد وهندستها النصرانيَّة ٣٤٧ ـ ٣٥٠ ، ٣٩٩
المفردات اللغويَّة النصرانيَّة في العربيّة ١٥٧ ـ ٢٢٦
الاسم الكريم وأسماؤه الحسنى ١٥٨ السماء والجحيم وما فيهما ١٦٣ الدين ومقاماتهُ ومناسكهُ ١٧١ الوحي وكتبهُ وائمَّتهُ ١٧٩ رؤساء النصارى ورهبانهم ١٩٠ كنائسهم وأقداسهم ٢٠١ مساكن الرهبان ٢١١ أعياد النصارى ومواسمهم السنويَّة ٢١٤ ملابسهم ٢١٨ كتابتهم وأدواتها ٢٢٠ ألفاظ نصرانيَّة شتَّى ٢٢٤
المقتبس : ردّ على أحد كتبتها الناكر نصرانيَّة غسَّان ٣٨
الملائكة في الشعر الجاهليّ ١٦٤ ـ ١٦٧ ما عرفهُ نصارى العرب من خواصّهم ٣٤١
الملاحة ونصارى العرب ٣٨٢ ـ ٣٨٣
المنبر في الكعبة وأصلهُ النصراني ٣٧٤ ـ ٣٧٥ ، ٤٠٠ ، ٤٦٨
الموتى وتجميرهم في النصرانيَّة والإسلام ٤٠١
الموسيقى العربيَّة وأصلها النصرانيّ ٣٥٨ ـ ٣٦٣
ميكال الملال في الشعر الجاهليّ ١٦٥ ـ ١٦٦

= ن =

النجارة ونصارى العرب ٣٧٤
النجوم وعلمها في الجاهليَّة ٣٦٨
النحت وفنُّهُ بين نصارى العرب ٢٥٣ ، ٣١٨
النذور بين عرب الجاهليَّة ١٧٣ ، ٣٩٨ ـ ٣٩٩ ، ٤٦٣ ، ٤٨٢ النذير والنذيرة ١٩٩
النصرانيّ والمتنصّر ٢٢٤ ـ ٢٢٥

نصرانيَّة شعراء الجاهليَّة ٤١٥ ـ ٤٣٦
النفس وعلم نصارى العرب بخواصّها ٣٣٨ ـ ٣٣٩
نقود إسلاميَّة مصوَّرة ٣٥٧ النقود النصرانيَّة بين العرب قبل الإسلام وبعدهُ ٣٨٣ ـ ٣٨٩

= هـ =

هندسة البناء عند العرب والنصرانيَّة ٣٤٢ ـ

٣٥٣ ، ٣٦٣ ـ ٣٦٤ ، ٤٨٠ ـ ٤٨١

= و =

الوحي وكتبُهُ وأئمَّتهُ في الشعر الجاهليّ ١٧٩ ـ ١٩٠ ، ٤٦٣
الوضوء عند قدماء النصارى ٢٩٣

= ي =

يسوع وسوع ويشوع ١٨٦ ، ٤٦٤

# جدول

## لأخصّ الكتب الطبعيَّة والخطِّيَّة المعتمَد عليها

### ١ الكتب العربية

الآثار الباقية من القرون الخالية لأبي الريحان البيرونيّ ( Leipzig 1878 )
آثار البلاد واخبار العباد للقزويني ( Goettingen 1848 )
الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ( مصر ١٢٨٧ )
أحسن التقاسيم في معرفة التقاليم للمقدّسيّ البشّاري ( Leiden 1908 )
احياء علوم الدين للغزالي ( مصر ١٢٨٩ )
الاخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ( Leiden 1888 )
اخبار فطاركة كرسي المشرق لسليمان بن ماري ( Rome 1899 )
اخبار مكَّة لأبي الوليد الازرقي ( Leipzig 1858 )
أساس البلاغة للزمخشري ( مصر ١٢٩٩ )
اسد الغابة في معرفة الصحابة لعزّ الدين أبي الحسن أبي الأثير ( مصر ١٢٨٥ )
الاشتقاق لابن دريد ( Goettingen 1854 )
الاضداد لأبي بكر الانباري ( Leiden 1881 )
الاعلاق النفيسة لابن رسته ( Leiden 1891 )
الاغاني لأبي الفرج الاصبهاني ( بولاق مصر ١٢٨٥ الجزء ٢١ Leiden 1888 )
أمثال العرب للميداني ( مصر ١٢٨٤ )

البدء والتاريخ للمقدّسي ( Paris , 1919 – 1899 )
بلوغ الأرب في أحوال العرب لشكري أفندي الألوسي ( بغداد ١٣١٤ ـ ١٣١٨ )
تاج العروس للزبيدي ( مصر ١٣٠٧ )
تاريخ أبي الفداء ( الأستانة ١٢٨٥ )
تاريخ بطاركة الاسكندريَّة لساويروس بن المقفَّع ( خطّ )
تاريخ الجزيرة لابن شدَّاد ( خطّ )
تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي ( Leipzig 1903 )
تاريخ حمزة الأصفهاني ( Leipsig 1844 )
تاريخ سعيد بن بطريق ( بيروت ١٩٠٦ )
تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمنيّ ( Oxford 1895 )
تاريخ الطبريّ ( Leipzig 1901 – 1879 )
تاريخ العبرَ لابن خلدون ( مصر ١٢٨٤ )
تاريخ الكامل لأبي الحسن علي بن الأثير ( مصر ١٢٩٠ )
تاريخ مختصر الدول لابن العبري ( بيروت ١٨٩٠ )
تاريخ نسطوري قديم ( خطّ )
تاريخ اليعقوبيّ ( Leiden 1883 )
تذكرة ابن حمدون ( خطّ )
تقويم البلدان لأبي الفداء ( Paris 1840 )
التنبيه والاشراف للمسعودي ( Leiden 1893 )
تهذيب الألفاظ لابن السكّيت ( بيروت ١٨٩٥ )
الجامع الصغير للسيوطيّ ( خط. وطبعة مصر ١٣٣٠ )
جمهرة أشعار العرب للقرشي ( خطّ. وطبعة مصر ١٣٠٨ )
حماسة أبي تمَّام مع شرح التبريزي ( Bonnæ 1828 )
حماسة البحتري ( بيروت ١٩١٠ )
الحماسة البصريَّة ( خطّ )
حياة الحيوان للدميري ( خط. وطبعة مصر ١٢٩٢ )
الحيوان للجاحظ ( خطّ. وطبعة مصر ١٣٢٤ )
خزانة الأدب للبغدادي ( مصر ١٢٩٩ )
الخطط والآثار للمقريزي ( بولاق مصر ١٢٧٠ )
ديوان الأخطل طبعة ( بيروت ١٨٩١ ـ ١٩١٠ )
ديوان امرئ القيس ( Paris 1837 )
ديوان اميَّة بن أبي الصلت ( مجموعتنا الشخصيَّة ثم Leipzig 1911 )
ديوان جرير ( نسخة خطّيَّة وطبعة مصر ١٣١٣ )

ديوان حسَّان بن ثابت ( Leiden 1910 )
ديوان الحطيئة ( الاستانة ١٣٠٨ )
ديوان ذي الرمَّة ( Cambridge 1919 )
ديوان رؤبة ( Berlin 1903 )
ديوان سلامة بن جندل ( بيروت ١٩١٠ )
ديوان السمؤل ( بيروت طبعة ثانية ١٩٢٠ )
ديوان الشمَّاخ ( مصر ١٣٢٧ )
ديوان طرفة ( Paris 1901 )
ديوان العجَّاج ( Wien 1896 )
ديوان الفرزدق ( Paris 1870 )
ديوان لبيد ( Wien 1880 )
ديوان المتلمّس ( خط ثمَّ طبعة Leipzig 1903 )
ديوان النابغة الذبياني ( Paris 1800 )
سراج الملوك للطرطوشي ( مصر ١٢٨٩ )
السيرة الحلبيّة ( إنسان العيون ) لعليّ الحلبيّ ( مصر ١٢٩٢ )
سيرة الرسول لابن هشام ( Goettingen 1860 )
شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة ( مصر ١٢٩٠ )
شرح مقامات الحريري للشريشي ( مصر ١٢٨٢ )
شعراء النصرانيَّة ( بيروت ١٨٩٠ ـ ١٨٩٢ )
الصحاح للجوهري ( بولاق ١٢٩٢ )
الصحيح البخاري ( مصر ١٧٩٠ الاستانة ١٣١٥ )
صحيح مسلم ( الاستانة ١٣٣٤ )
الطبقات الكبيرى لابن سعد ( Leiden 1921 – 1905 )
العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين ( London 1870 )
العقد الفريد لابن عبد ربهِ ( خطّ وطبعة مصر ١٣٠٢ )
العمدة لابن رشيق ( خطّ وطبعة مصر ١٢٢٥ )
عيون الاخبار لابن قتيبة ( Berlin 1908 – 1900 )
عيون الانباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة. ( مصر ١٢٩٩ = ١٨٨٢ )
فتوح البلدان البلاذري ( Leiden 1866 )
فتوح الشام والمغازي للواقدي ( Calcutta 1856 – 1854 )
الفهرست لابن النديم ( Leipzig 1872 )
القرآن مع معجمهِ ( 1842, ed. Flügel, Lipsiæ )
قصص الأنبياء ( العرائس ) للثعلبيّ ( مصر ١٢٧٧ )

الكامل للمبرّد ( مصر ١٣٠٩ ( Leipzig 1864 )
الكتاب المقدَّس. بيروت ( ١٨٧٦ ـ ١٨٨٢ )
كشف الظنون للحاج خليفة ( London 1858 – 1835 )
لسان العرب لابن مكرَّم ( مصر ١٣٠٠ )
اللطائف والمعارف للثعالبي ( Leiden 1867 )
المجدل لعمرو بن متى ( Rome 1896 )
مجموعة المعاني ( الاستانة ١٣٠١ )
المخصص لابن سيده ( مصر ١٣١٦ )
مروج الذهب للمسعودي ( Paris 1877 – 1861 )
المزهر للسيوطي ( مصر ٢٨٢ )
مسالك الممالك للاصطخري ( Leiden 1870 )
المسالك والممالك لابن حوقل ( Leiden 1870 )
المسالك والممالك لابن خردادبه ( Leiden 1870 )
المستطرف من كلّ فنّ مستظرف للابشيهي ( مصر ١٢٨٥ )
المعارف لابن قتيبة ( مصر ١٣٠٠ )
معجم البلدان لياقوت الحموي ( Leipzig , 1873 – 1866 )
معجم ما استعجم للبكري ( Goettingen ١٨٧٧ )
المفضَّليَّات للمفضَّل الضبّي مع شروح الانباري ( C. Lyall بيروت ١٩٢٠ )
الملل والنحل للشهرستاني ( London 1842 )
مقدَّمة ابن خلدون ( Paris 1858 )
النجوم العوالي في انباء الأوائل والتوالي للعصامي ( خطّ )
نزهة المشتاق للادريسي ـ ذكر الشام ( Bonn 1885 )
نقائض جرير والأخطل ( بيروت ١٩٢٢ )
نقائض جرير والفرزدق ( Leiden 1905 – 1912 )
وفيات الاعيان لابن خلكان ( Paris 1838 . مصر ١٢٩٩ )

## الكتب الأوربية

# BIBLIOGRAPHIE

**Abbeloos**: Greg. Barhebræi Chronicon Ecclesiasticum
**---** Acta S. Maris
**Arnold (J. M.)** : Islam, his History and Relations

ACTA SANCTORUM
**Assemani** : Biblioteca Orientalis
**Berger** (Ph.) : L'Arabie avant l'Islam d'après les Inscriptions
**Bergmann** : De Religione Arabum anteislamica.
**Blochet** : La culte d'Aphrodite chez les Arabes du Paganisme.
**Caetani** (Princ. L,) : Annali dell' Islam
**Carpentier** (E. s. j.) : De SS. Aretha et Ruma Commentarius.
**Caussin de Perceval** : Essai sur l'Histoire des Arabes avant l'Islam
**Chauvin** (V) : Le jet des pierres au Pélerinage de la Mecque.
**Bedjan** (P.) : Acta Martyrum et Sanctorum.
**Bell** (Miss G.) : Amurath to Amurath
**Brünnow** (R. E.) et **Domaszewski** : De Provincia Arabiæ
**Budge** (E. A. W.) :Book of the Bee
**Chabot** (Abbé J-B) : Synodes Nestoriens
**Cheikho** (L. s. j.) : Les Evêques du Sinaï
CORPUS INSCRIPTIONUM SEMITICARUM
**Dalmann** (D[r] G.) : Petra und seine Felsheiligtümer
**Dictionnaire d'Archéologie et de Liturgie**
Dozy (R.) : Essai sur l'Histoirede l'Islamisme
**---** Die Israeliten zu Mekka
**Dussaud** (R.) : Les Arabes avant l'Islam
**---** Mission dans les région désertiques de la Syrie moyenne.
**Eusebinus Cæsarienisis** : Historia Ecclesiastica
**Evagrius** : » »
**Fraenkel** (S.) : Aram. Fremdwoerter in arabischen
**Gamurrini** (J. Fr.): S. Silviæ Peregrinatio
**Gayet** : (Al.) : L'Art arabe
**Glaser** (E.) : Geschichte u. Geographie Arabiens
**---** Die Abessinier in Arabien u. Afrika,
**Goeje** (M. J. de) : Mémoires d'Histoire et de Géographie.
**Goldziher** (Ig.) : Muhammedanische Studien
**---** Abhandl : z. arab. Philologie
**Guidi** (I.) : L'Arabie antéislamique
**Josephus** (Fl.) : Antiquitates hebraicæ

JOURNAL ASIATIQUE FRANÇAIS
**Lagarde** (P.) : Analecta Syriaca
**Lammens** (H. s. j.) : Le Berceau de l'Islam
**---** Etudes sur Mo'awia
**---** Fàtima
**Land** (J. P.) : Anecdota Syriaca
**Langlois** (V.) : Numismatique des Arabes avant l'Islamisme
**Lequien** (M.) : Oriens Christianus
**Mai** (A.) : Spicilegium
**Mansi** : COLLECTIO CONCILIORUM
**Mémoire des Inscriptions et Belles-Lettres**
**Mélanges de la Faculté Orientale**
**Migne** : PATROLOGIE GRECQUE
» PATROLOGIE LATINE
**Michel le Grand** : Histoire (éd. Chabot)
**Mingana** : Sources Syriaques.
**Mordtmann** : Himjar. Inschriften
**Musil** (Al.) : Arabia Peræa
Noeldeke (Th.) : Die Ghassânishen Fürsten
**---** Neue Beitraege z. semit. Sprachwissenschaft
RENDICONTI D. REALI ACCADEMIA DEI LINCEI
REVUE DE L'HISTOIRE DES RELIGIONS
REVUE DE ETUDES JUIVES
PROCOPIUS : DE DELLO PERSICO
**Rothstein** (G.) : Die Dynastic d. Laḫmiden in Arbia
**Sacy** (S. de) : Mémoire sur l'Hist. des Arabes avant Mahomet
**Socrates** et **Sozomenus**. Hist. ecclesiastica (Migne)
SYRIA : Expedition of the Princetum University
**Theodoretus** : Historia religiosa (Migne)
**Theophanes** : Hist. ecclesiastica (ib.)
**Vogué** (M. de) : Syrie Centrale
**Waddington** : Inscriptions de l'Arabie romaine
**Wellhausen** (J.) : Reste arab. Heidentums
**---** Skizzen u. Vorarbeiten
**Wetzer** (W. H. J.) : Macrizii Historia Coptorum
**Wright** : Early Christianity in Arabia.
ZEITSCHRIFT d. morgenl. Gesellschaft (ZDMG)

انجزت المطبعة الكاثوليكية ش. م. ل.
عاريا، لبنان
طباعة كتاب
« النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية »
في الخامس من شباط ١٩٨٩

٨٩ ـ ٢٠٠٠ ـ ٠٠٩٨٠٤

# LE CHRISTIANISME

## ET LA LITTÉRATURE CHRÉTIENNE

### EN ARABIE AVANT L'ISLAM

Par

LE P. L. CHEIKHO s. j.

1ère édition
Imprimerie Catholique 1912-1923

2ème édition
Dar el- Machreq 1989

DAR EL- MACHREQ SARL
Beyrouth

[Page Blanche]

# PRÉFACE

Il y a 25 ans, paraissaient à notre Imprimerie Catholique les six premiers fascicules de notre ouvrage « Les Poètes arabes chrétienne ». Ce travail, rédigé à la hâte au moment où des occupations plus pressantes devaient détourner ailleurs notre attention, resta inachevé. L'ouvrage devait être précédé d'une longue Introduction sur le Christianisme en Arabie et sur l'influence qu'il a exercée sur la Littérature préislamique. Tout fut remis à plus tard.

Ce n'est que l'année dernière que nous avons pu donner suite en partie à notre projet dans une série d'articles parus dans notre revue *Al-Machriq*. C'est ce travail, tiré à part et complété, que nous offrons au public. Il comprend la première partie de notre thèse, c'est-à-dire l'histoire du Christianisme en Arabie et dans chacune des provinces que composent la Péninsule, durant les six premiers siècles de l'ère chrétienne, en commençant par une vue générale sur paganisme des anciens Arabes.

En dix chapitres assez étendus, nous donnons tous les témoignages, qu'on trouve éparpillés dans une multitude d'auteurs grecs, latins, syriaques et surtout arabes, sur l'extension du Christianisme en Arabie. Ce recueil est le fruit de longues lectures d'ouvrages spéciaux, imprimés ou manuscrites, que nous avons compulsés dans les grandes bibliothèques d'Europe ou d'Orient. On verra que notre thèse est bien appuyée et que la religion chrétienne – orthodoxe ou non, ce n'est pas le lieu de l'examiner – était connue et pratiquée, même dans les parties reculées de l'Arabie. Ces témoignages sont explicites et s'échelonnent, presque sans interruption, durant les siècles qui précèdent l'Islam; les uns

plus généraux comprennent sans distinction les Arabes nomades ou sédentaires; d'autres spécifient telle ou telle région de l'Arabie, tel ou tel royaume, tribu ou clan.

Des monuments épigraphiques sont venus, ces dernières années, s'ajouter à des publications de premier ordre, pour corroborer ces témoignages historiques et fixer l'attention des savants sur un problème trop négligé jusqu'ici.

Sans doute, le Christianisme des Arabes a subi, plus qu'ailleurs, l'influence des sectes hérétiques que pullulaient dans toute la Péninsule, grâce à la liberté sans frein dont elles jouissaient loin de tout contrôle; mais il est certain aussi que cette religion y a joué un rôle considérable; qu'elle a eu des gloires comparables à celles des autres chrétientés d'Orient, quoiqu'il lui ait manqué un écrivain attitré pour les conserver à la postérité. En tout cas, on doit affirmer avec des Orientalistes bien informés, comme Wellhausen, que le Prophète de l'Islam n'aurait jamais implanté son Monothéisme, s'il n'avait trouvé le terrain préparé par le Christianisme et le Judaïsme.

A la suite de la partie historique dont nous parlons, nous avons donné une longue liste de tribus arabes dont le Christianisme est attesté par preuves authentiques. Elles sont une cinquantaine : nous les avons énumérées par ordre alphabétique.

Dans la seconde partie de notre travail, nous nous proposons de traiter un sujet encore plus neuf : la Littérature chrétienne préislamique.

Beyrouth, 2 Novembre 1912.

# PRÉFACE

DE LA 2de PARTIE (1er FASCICULE).

Ce 1er fascicule de la seconde partie de notre travail sur le Christianisme en Arabie avant l'Islam était terminé avant la guerre; il allait paraître, quand le gouvernement turc allié aux Puissances Centrales en Novembre 1914 s'empara de notre Imprimerie et la saccagea complètement. A notre rentrée nous avons heureusement retrouvé ce fascicule encore au brochage. Nous nous hâtons de le livrer au public.

Il comprend, comme on le voit, des extraits d'auteurs surtout de poètes préislamiques, dont nous avons compulsé les fragments que des philologues musulmans recueillirent dans le désert an 2d et au 3e siècle de l'Hégire. Ces fragments encore épars contiennent un nombre considérable de termes, de noms propres, d'allusions, d'idées, de récits, de proverbes entièrement chrétiens, tirés de sources chrétiennes, de l'Ancien et du Nouveau Testament, de l'Histoire, de la Liturgie et des monuments ecclésiastiques. Nous avons repassé pour les extraire tous le ouvrages imprimés ou manuscrits de notre Bibliothèque Orientale, puis nous les avons groupés en différents chapitres, dont l'ensemble forme un magnifique témoignage en faveur de la thèse que nous soutenons, que c'est au Christianisme que l'Arabie préislamique a dû cette renaissance littéraire et cette civilisation avancée qu'elle a connues un siècle avant l'apparition de l'Islam. Cette civilisation devait aboutir à transformer la Péninsule, à la féconder, à lui imprimer un grand mouvement de progrès moral, si les hérésies qui désolèrent alors cette partie du monde, si la révolution

sociale qui éclata quelque temps après dans la métropole du Héjâz n'étaient venues arrêter ce mouvement et lui donner une direction toute différente.

Mais avant de devenir une langue mahométane, avant de servir de véhicule aux idées islamiques, l'arabe a été une langue chrétienne. C'est le résultat de nos recherches. Des Orientalistes comme de Sasy et Wellhausen en avaient déjà fait remarque; notre travail ne laissera plus de doute à ce sujet.

L'écriture arabe plus encore que le langage est un bienfait du Christianisme. Les deux Inscriptions chrétiennes de Zebed (512 J. C) et de Harran (568) le prouveraient amplement, à défaut de la tradition constante que attribue les origines de l'écriture arabe à de chrétiens. Notre premier chapitre est consacré à ce sujet.

Ce 1$^{er}$ fascicule sera suivi d'un second, qui montrera, à l'aide d'anciens documents, l'influence prépondérante du Christianisme sur les diverses branches de la Littérature arabe préislamique (genre oratoire, genre lyrique), sur les Sciences (astronomie, médecine), sur les Beaux-Arts (peinture, sculpture, architecture religieuse et civile, musique), sur le commerce et les diverses industries (céramique, mosaïque, tissage, fabrication d'armes, constructions navales, monnayage).

Nous terminerons par un chapitre où nous donnerons nos preuves pour le Christianisme d'un grand nombre de poètes arabes antérieurs à l'Islam, dont nous avons précédemment publié les poésies.

BEYROUTH. 19 MARS 1919

# PRÉFACE

## DE LA 2E PARTIE (DERNIER FASCICULE AVEC TABLES)

Avec le présent fascicule se termine notre travail sur le Christianisme en Arabie avant l'Islam, fruit de quelque 40 ans de recherches. Il complète les preuves nombreuses données dans les fascicules précédents de l'influence et de l'extension de la Religion chrétienne dans toutes les parties de l'Arabie.

En sept nouveaux chapitres très suggestifs, on y montre tout ce que doit aux Chrétiens l'Arabie préislamique. Ce n'est plus seulement l'art de l'écriture, tout un vocabulaire de mots religieux, des noms propres, des proverbes, des allusions aux événements de l'Ancien et du Nouveau Testament, comme on l'a vu dans le fascicule précédent. C'est toute une série de pensées chrétiennes, souvent puisées dans les Saints Ecritures. Ce sont des centaines de traditions rapportées par Boḫārī et consorts et attribuées à Mahomet, copiées littéralement dans nos Livres Saints. C'est l'art oratoire inauguré en Arabie par des Chrétiens, voire même, par un évêque dont l'éloquence a passé en proverbe : La théologie et la philosophie chrétiennes elles-mêmes ne sont par inconnues aux anciens Arabes.

Les trois chapitres (X-XII) démontrent que la civilisation arabe avant l'Islam est en grande partie tributaire du Christianisme. C'est grâce à lui, que l'Arabie antéislamique eut quelque connaissance des Beaux-Arts. L'Architecture, la Peinture, la Sculpture, la Musique, ont eu en Arabie, de l'aveu même des plus anciens auteurs musulmans, des origines chrétiennes. La fameuse église de San‘aā au Yémen, avec ses pointures merveilleuses et ses mosaïques, celle de Naǵrān, La Ka‘ba de la Mecque elle-même restaurée par un Architecte chrétien en sont autant de preuves, sans parler des premières Mosquées musulmanes, celle des Omeyiades à Damas, celle du Prophète à Médine, celle d'Omar à Jérusalem et de ‘Amrou au Caire, toutes bâties ou restaurées par des Chrétiens.

Les autres sciences, notamment la Médecine, l'Astronomie, la Botanique, la Jurisprudence, pénètrent aussi en Arabie parmi les classes plus distinguées, par I'intermédiaire d'arabes chrétien formés

par de maîtres Grecs ou Syriens. On sait que le médecin de Mahomet était le chrétien nestorien Ḥariṯ ibn Kalada.

Également les arts industriels, le tissage, la menuiserie, l'art naval, le monnayage sont exercés en Arabie par de chrétiens. L'enseignement était exclusivement leur œuvre.

Plus encor, les usages religieux (prières, jeûnes, aumônes, pèlerinages) et les usages civils ont été calqués au début de l'Islam sur les usages chrétiens, avec quelques emprunts au Judaïsme.

On trouvera dans notre travail, pour confirmer toutes ces assertions, des témoignages recueillis soit dans les restes de la poésie et de la tradition antéislamiques, soit dans les auteurs les plus autorisés musulmans ou chrétiens.

Un dernier chapitre termine enfin ce fascicule : c'est le couronnement de tout l'ouvrage. Nous y traitons plus explicitement la question du Christianisme des Poètes arabes dont nous avons autrefois publié les Notices. La preuve de leur Christianisme se déduit tout d'abord de tout ce que nous avons publié, dans nos trois fascicules sur l'Histoire et la Littérature chrétienne en Arabie, de la diffusion de cette religion dans toutes les parties de la Péninsule, et surtout parme tribus auxquelles appartenaient ces Poètes. D'autre part, l'absence dans leurs poésies de toute trace d'idolâtrie, et la présence au contraire de croyances au Monothéisme et à la vie future, d'idées et d'allusions chrétiens, d'images et de figures empruntées à l'histoire ecclésiastique, fournissent une autre preuve en faveur de cette thèse.

L'histoire même de l'art poétique chez les Arabes confirme cette théorie. Ce n'est guère qu'un siècle ou deus tout au plus avant Mahomet que la Poésie fait son apparition en Arabie. Ce sont des poètes de Tagleb, de Bakr et de Kindah qui l'inaugurent. Or, le Christianisme de ces tribus est hors de doute. Notre thèse semble donc bien appuyée.

Nous avons joint an présent fascicule plusieurs Tables pour faciliter toutes les recherches.

*Beyrouth,* 8 *Décembre* 1922